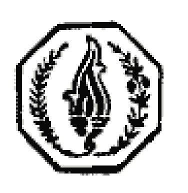




صفر الخير ١٤٠٠ هـ
كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حياة الألفاظ

الاستاذ شفيق جبري

نمرّ في هذا العصر بألفاظ فصيحة لها معانٍ خاصة في اللغة ولكنّا تصرّفنا في هذه المعاني بعض التصرّف على سبيل المجاز ، من هذه الألفاظ : الصعيد والمستوى والإطار وغيرها ، فالصعيد في اللغة معناها : التراب أو وجه الأرض ، ولكنّا اذا وقع نظرنا على هذا التركيب : على الصعيد الدولي أو على الصعيد السياسي ، فهل معنى الصعيد في هذا المقام : التراب أو وجه الأرض ؟ ما أظن شيئاً من ذلك ، ولست أدري هل نجد مثل هذا التركيب في لغتنا الأدبية القديمة ، ولست أقصد في قولي هذا شيئاً من الاستنكار وانما الذي أقصده انما هو التنبيه على تصرّف عصرنا في بعض المعاني .

ومن هذا القبيل لفظة : المستوى ، إنّا نجد في اللغة : استوى: اعتدل والرجلُ بلغ أشدّه أو أربعين سنة والى السماء صعد أو عمد أو قصد أو أقبل عليها أو استولى ، وكما تصرّفنا بعض التصرف في معنى الصعيد فكذلك تصرفنا مثل هذا التصرف في معنى المستوى ، فكثيراً ما نمرّ بهذا التركيب : على مستوى الوزراء أو على مستوى الرؤساء أو ما شاكل ذلك ، ولسنا نجد في هذا التركيب شيئاً من المعاني التي تقدّمت الاشارة اليها .

ومن هذا النمط : لفظة الإطار ، فالإطار في اللغة لها معانٍ كثيرة فالإطار ككتاب : الحلقة من الناس وقضبان الكرم تلتوي للتعريش وما يفصل بين الشفة وبين شعرات الشارب وخشب المنخل وكل ما أحاط بشيء ، ولا شك في أن هذا المعنى الأخير هو الذي يراد به في لغة عصرنا، فاذا قالوا : في الإطار القومي أو الإطار الوطني فانما يريدون بقولهم ما يحيط بالقومية أو بالوطنية .

لا أريد أن أتبسط في الاستشهاد أكثر من ذلك ، لقد ذكَّرني هذا التصرف كتاباً من الكتب الفرنسية الجليلة وهو كتاب : حياة الألفاظ لصاحبه « أرسين دارمستتر » أستاذ الأدب الفرنسي في القرون الوسطى وأستاذ اللغة الفرنسية في كلية الآداب في باريز ، ومن هذه الألقاب تتبيَّن لنا قدرة المؤلف على الخوض في الموضوع الدقيق الذي خاض فيه في كتابه : حياة الألفاظ ، واذا تمنَّيت شيئاً فاني أتمنَّى أن يكون في لغتنا كتاب من هذا الوزن ، أو أن يتيسَّر لنا على الأقل ترجمته .

افتتح المؤلف كتابه بالمدخل ثمَّ بالقاء نظرة عامة على الموضوع ، وليس من السهل تلخيص محتويات هذا الكتاب ، وإنّي لأكتفي بالاشارة الى أقسامه الثلاثة ، ففي القسم الاول تكلَّم على ميلاد الألفاظ ، وفي القسم الثاني بيَّن كيف تعيش الألفاظ بعضها مع بعض ، أو كيف تتعايش الألفاظ اذا صحَّ هذا التعبير ، وفي القسم الثالث وضَّح كيف تموت الالفاظ ، واني لآسف على أن يدي لا تصل الآن الى تقريظ أكبر كتَّاب فرنسة لهذا الكتاب وأعني به « أناتول فرانس » .

اني أرجع الى مطالعة كتاب : حياة الألفاظ من حين الى آخر ، وآخر مطالعتي له نشأ عنها اقتباس لأفكار جاءت في مقالي هذا .

لاريب في أن اللغات لا يستمرّ بقاؤها على حالةٍ واحدة ، فهــي عرضة للتحوّل أو للتطوّر على لغــة هذا العصر ، انها عرضــة لقوتين مختلفتين : قوة المحافظة أي القوّة التي تبقي اللغــة على حالتها ، وقوّة الثورة أو التجديد التي تدفع باللغات الى وجهات جديدة •

من عوامل المحافظة حضارة الأمة مهما تكن هذه الحضارة بسيطة ، واعتنــاء الأهل بمراقبة تلفظ الأطفــال والذوق السليم في هذه اللغــة والرغبة في الحصول على لغة ممتازة ، واذا ترفعنا عن هذه العوامل وارتفعنا الى أفق أعلى فانّا نجد للكتب المقدّسة كالقــرآن في بلاد الإسلام أو كالتوراة في بلاد أهل التوراة مكانة عظيمة في المحافظة • واذا جاوزنا هذا كلّه فانّا نجد في الآثار الادبية التي تستولي على أذواق الناس وتوحي الى الذين يجيئون بعدهم عبادة الصيغة التي لامثيل لها ــ مايحمل على المحافظة• هذه هي أهمّ العوامل التي تعمل على صفاء اللغة •

أمّا العوامل التي تقف في وجه كل ما ذكرت فانها تتلخّص في كلمة: الثورة أو تطوّر اللغة ، وهذا التطور يظهر في فســاد التلفظ وفي تغيير قواعد النحو وفي إدخال الألفاظ الأعجمية على اللغة ، فطائفة مــن علماء اللغة يجدون أن سلامة اللغة تنحصر في تتبّع آثار الثورة مع التقيّد في الوقت نفسه بمبادىء المحافظة •

قوّتان مختلفتان تعملان في اللغة : قوّة الثورة وقوّة المحافظة ، فالمهم أن نعرف ماذا يحدث اذا تغلبت احدى هاتين القوتين على الأخرى، فعلماء اللغة يجدون أن الثورة اذا لم تعمل عملها وبقيت اللغة جامدة على حالها فان خاتمة هذه اللغة انما هو الهــلاك ، فالشعوب التي لاتتغيّــر حضارتها والتي لا تاريخ لها تستطيــع أن تبقى لغتها على حالتها دون أن ،

يمسّها شيء فان الفكر اذا لم يتغيّر فالبيان المعبّر عن هذا الفكر لايتغيّر أيضا ، ولكن اذا منعت اللغة عن تتبع مجرى الأفكار وحدث التناقض بين أفكار الأمة وبين الصيغة التي تعبّر عن هذه الأفكار فاللغة قد تموت، وقد ضربوا مثلا لذلك اللغة اللاتينية « الكلاسيكية » فان لغة الكتّاب ولغة الجماعة الرومانية الراقية التي امتنعت عن اتباع لغة الشعب اللاتينية قد هلكت وماتت .

واذا كانت قوة الثورة وحدها هي التي تعمل فان اللغة التي تتقلّب في طرق التغيّرات سرعان ما تتحوّل وجوهها ، فمرّة تظهر وكأنّها لغة جديدة ومرة تظهر وكأنها تنقسم انقسامات مختلفة، ففي بعض القبائل المتوحشة بطن واحد يشاهد لغاتٍ تحيا ثم تموت ثم تحيا على وجه جديد .

قد يخشى بعض علماء اللغة أن تتغلب قوّة من القوّتين على الاخرى فاذا تغلّبت قوة الثورة على قوّة المحافظة فقد تتوجه اللغة نحو آفاق مجهولة ، إذ تدخلها ألفاظ جديدة أو تراكيب جديدة فتحلّ محلّ ألفاظ اللغة الأصيلة وتراكيبها الأصيلة ، فاذا حدث هذا فلا يعلم مصير اللغة الاّ الله تعالى ولا تأثير حينئذ لشكوى رجال النحو أو رجال المحافظة على صفاء اللغة .

والخلاصة اذا كان لا مندوحة لعصرنا عن بعض الأخذ بقوة الثورة أو التجديد فأرجو أن يلهمنا الله تعالى شيئا من الاعتدال في هذا التجديد حتى يبقى لنا صفاء لغتنا التي يتصّل بقاؤنا ببقائها .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

– ٤٣ –

الدكتور حسني سبح

١٢٧٢٥ سَرَطان" صَلْد ، جَرَذ — 12725 Squirre

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[١] وأرجح الاقتصار على سرطان صَلْد أو جاسىء ، كما أقره مجمع اللغة اللغة العربية في القاهرة . وليس للفظة جَرَذ الدلالة المطلوبة[٢].

١٢٧٢٧ مَرْحَلَة ، دَوْر — 12727 Stade

أرى الاقتصار على مَرحَلَة ، اذ سبق للجنة أن ترجمت (Période) بدَوْر (اللفظة ١٠٠٥٦ وما يليها)

---

(١) الصفحة ٥٩٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب : الجَرَذ بالتحريك كل ما حدث في عُرقوب الفرس وفي الصحاح في عرقوب الدابة من تزيد وانتفاخ عصب يكون في عرض الكعب من ظاهر أو باطن !

12728 Stade précurseur, prophase (mitose)

١٢٧٢٨ دَوْر" سابِق" ، صَفْحَة" سابِقة (انقسام)
وأرجح المَرْحَلة الطَّليعِيَّة،الطورالطليعيأو التمهيدي
(الانقسام الفتيلي)[١]

12729 Stade prémonitoire

١٢٧٢٩ دَوْر" مُحَذِّر" ، أوَّلي
وأفضل المَرْحَلَة المُنْذِرَة أو المُحَذِّرَة

12730 Stagiaire

١٢٧٣٠ مُلازِم ، مُتَمَرِّن
وأفضل مُتَدَرِّب ، مُلازِم

12733 Stagnation de sang par stase veineuse

١٢٧٣٣ رُكُود الدَّم بوُقوفٍ وَريدي
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[٢] وأفضل : رُكود الدَّم بإبطاء الدَّوران الوريدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣]

12736 Staphylome antérieur ou cornéen

١٢٧٣٨ عِنَبَة أماميَّة أو قَرَنِيَّة
ونُتوء القَرَنيَّة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٤]

(١) الصفحة ٢٦ من المجلد السابع والاربعين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٥٩٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (pool stagnation of blood by slowing down of venuse circulation)

(٤) (protusion of cornea)

12739 stase biliaire

١٢٧٣٩ رُكُودٌ صَفْراوي

وكذلك الإمتلاء الصَّفْراوي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[(١)]

12743 Stasobasophobie, astasie - abasie émotive

١٢٧٤٣ إسْتِحالةُ الوَقوفِ مِنَ الخَوفِ رَجَزٌ تَأَثُّري •

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[(٢)] والصحيح رُهابُ الوُقوف والخَطو اللاوقوف واللاخطو الانفعاليَّان

12744 Station d'altitude

١٢٧٤٤ مُناخٌ أو مَحطَّةُ الإرْتِفاع

وأرجح مُنْتَجَع المرتفعات ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[(٣)] وأن تخصص لفظة مناخ[(٤)] ترجمة لِ (climat)

12745 station balnéaire, thermale ville d'eau, station hydrominérale

١٢٧٤٥ مَحَطَّة استِحْمام ، حَمَّة ، مَدينَةُ مِياه ، مُناخُ مِياهٍ مَعْدِنِيَّة

وأفضل حَمَّة ، مُسْتَحَم، مَدينَة المياه المَعدِنِيَّة، مُنْتَجَعُ المِياهِ المَعدِنِيَّة

12746 station climatique

١٢٧٤٦ مناخٌ إقليمي

---

(١) (billiary engorgement)

(٢) الصفحة ٥٩٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة •

(٣) (health resort in high altitude)

(٤) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة •

وأرجح مُنْتَجَع مُناخـي كما جـاء في الترجمـة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

12747 station de bout (en) ١٢٧٤٧ وَضْع" قائِم" (في)

وأفضل وَضْع" قائِم (بـ)

12748 station d'été ١٢٧٤٨ مَصيف ، مُناخ" صَيْفي

مَصيف ، منتجع للاصطياف

12748 station hivernale ١٢٧٤٨ مَشْتى ، مُناخ" شَتَوي

(1) (١) مَشْتى ، مُنْتَجَع" شَتَوي أو للتَّشْتِيَة

12749 station maritime ١٢٧٤٩ مُناخ" بَحْري

وأفضل مُنْتَجَع" بَحْري ، مُنْتَجَع الاسْتِحْمام البَحْري ، مُنْتَجَعُ الشّاطِىء ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

12750 station de recherches scientifiques

١٢٧٥٠ مَحَطّة الأبْحاث العِلْمِيّة

وأفضل مَرْكَز البُحوث العِلْمِيّة

12752 Statocystes, otocystes (chez les invertébrés)

١٢٧٥٢ كِيسات" سَمْعِيّة ، كِيْسات" أُذُنِيّة (في اللافقريات)

---

(١) (climatic health resort)

(٢) (bathing resort, sea side resort)

وأفضل كِيْسات الوُقوفِ أو السُّكون ، كِيْساتُ الأُذُنِ (في اللافقريات)

12753 Statural, le

١٢٧٥٣ قَوامِيْ

وأرجح قَدِّي ، لأن للفظة قَوام مَعْنى آخر[١]

12754 Stature élevée, haute taille, haute stature

١٢٧٥٤ قامَةٌ طَويلة ، بَسَطَ القَوام

وأفضل قامَةٌ طَويلة ، قَدٌّ طَويل ، بَسْطَةُ الجِسْم[٢]

12756 Stéatorrhée stéarrhée, selles riches en graisse, selles graisseuse

١٢٧٥٦ تَغَوُّطٌ دَسَمِيٌّ ، غائِطٌ وافِرُ المَوادِ الشَّحْمِيَّة ، بِرازٌ دَسِم

وأقرَّ مجمع اللغة العربية في القاهرة : إسْهالٌ شَحْمي . وجاء في التعريف : وَفيه يَكونُ في البِراز شَحْم بِشَكْل صابونٍ ، وشُحومٌ مُتَعادِلَةٌ وأحْماضٌ شَحْمِيَّة

وأرجح إسْهال دُهني ، بِراز كَثير الدُّهْن ، وبِرازٌ دُهْني بالاضافة الى بِراز دُهْني أو زَيْتي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣]

---

(١) في لسان العرب : القَوام حُسْن الطول والقوام العدل : قال تعالى : وكان بين ذلك قواما .

(٢) في لسان العرب : البَسْطة السعة ويقال فلان بسيط الجسم والباع : حفر الرجل قامة باسطة اذا حفر مدى قامة مديدة .

(٣) (oily stool)

12757 Stéatose, infiltration graisseuse

١٢٧٥٧ إنْشِحام ، إرْتِشاح شَحْمي
وأفضل تَشَحُّم ، إرْتِشاح شَحْمي أو دُهْني

12764 Sterilisateur d'air chaud ١٢٧٦٤ مُعَقِّمَة بالهَواءِ الحارّ
مُطَهِّرة بالهواء الحار ، لتخصيص التعقيم للتطهير وحده كما يلي :

12765 Stériliser ١٢٧٦٥ عَقَّمَ
وأفضل أن يقال إعْقام لِما يَعْني تَعْطيل الإنسال، وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً وتعقيم للتطهير (القضاء على الجراثيم والطفيليات)

12766 Stérilité ١٢٧٦٦ عُقْم ، عَقَامة
وأفضل عُقْم بمعنى فَقْدِ الإنْسال ، وتعقيم تطهير وطهارة بمعنى القضاء على الجراثيم والطفيليات أو الخلو منهما

12767 Stérilité par inanition ١٢٧٦٧ عَقامَة مِن المَخْمَصَة
وأفضل عُقْم أو إعقام من المَخْمَصة أو بالمَخْمَصَة أو المَسْغَبَة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

12771 Sternutatoires ١٢٧٧١ مُعْطِسات
وأفضل مُعَطِّسات

12773 Stétoscope ١٢٧٧٣ مِسْمَع
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مِسماع

12775 stétoscope auriculaire

١٢٧٧٥ مِسْمَعٌ أُذْني

المِسْماع المُثَنَّى ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١] تمييزا له من المسمع الخَشَبي الذي يُسْتَمَعُ به بإحدى الأُذُنَيْن

12777 stigmate de la variole,
marque de la variole cicatrice
après variole

١٢٧٧٧ سِمَةُ الجُدري ، أَثَرُ الجُدْري ، نَدْبُ ما بَعْدَ الجُدْري

وأفضل شَارَةَ الجُدْرِي ، سِمَةَ الجُدْرِي ،

12780 Stock - vaccin

١٢٧٨٠ لَقاحٌ جاهِزٌ أو مُدَّخَر

12787 Stomachiques

١٢٧٨٣ هاضُومات ، مَعِديَّات ، مَهْضَمات

وأفضل أَدْوِيَة للمعدة(نافِعة) وتخصيص هاضِمات أو مُهْضِمات ترجمة لـ (eupeptiques) و (digestifs) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٣٣٦)

12784 Stomate

١٢٧٨٤ فُوَهَة ، مَسَمّ

وأرجح فُوَيْهة ، مُسَيْم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٢] وسبق للجنة أن أن ترجمت (bouche) بفوهة (اللفظة ١٧٥٨)

---

(١) (binaural stetoscope)

(٢) stomate (minute pore)

١٢٧٨٧ حادّ الفَمّ (ذباب) 12787 Stomoxe

وأفضل ذُباب الإصْطَبْل العَادي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١]

١٢٧٩٨ تَقَطّر البَول 12789 Strangurie

وأقرّ مجمع اللغة العربية : التَشْفِيَة[٢] المؤلِمة وجاء في التعريف : وهي أن يقطر البول بألم وصعوبة

١٢٧٩٩ تَنْضيد ، تَدْكين 12799 Stratification

١٢٨٠٠ مُنَضَّد ، مُدَكَّن 12800 Stratifié, ée

وأفضّل رَصْف أو تنضيد في اللفظة الاولى ومَرْصُوف أو مُنَضَّد في الثانية•وأستبعد تَدْكين ومُدَكَّنْ لالتباسهما باللون المعروف (الدُّكن)[٣]

١٢٨٠٥ تَخَطُّط ، تَخْطيط 12805 Striation

وتَثَلُّم وتَثْليم أيضاً

١٢٨٠٦ إنْقِباض ، تَضَيُّق ، حَرَج 12806 Striction, constriction,

وأفضل تَضَيُّق ، عَصْر ، إنْكِماش • وسبق للجنة إنْ ترجمت إنقباض بـ (systole) (اللفظة ١٣١٠٠)

١٢٨٠٨ صَرْصَرَة 12808 Stridor

---

(١) (common stable fly)

(٢) في لسان العرب : التشفية تقطير البول والاسم الشَّفى •

(٣) في لسان العرب : الدُّكْن والدُكنة : لون الادكن كلون الخز الذي يضرب الى الغبرة بين الحمرة والسواد ، الى ان قال : ودكن المتاع يدكنه دكنا ودكنة نضد بعضه على بعض ومنه الدكان مشتوق من ذلك •

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة صرصرة وصَرير في بعض المصطلحات وكَرير[1] في بعضها الآخر،وأرجح صَرْصَرة و صَرير

12810 Strié, ée مُخَطَّط ، مُثَلَّم ١٢٨١٠

وأرجح مُخَطَّط وذو شُرُط ، وسبق للجنة أن ترجمت (sillon) بـ : تلم (اللفظة ١٢١٤١)

12811 strié transversalement مُخَطَّط عَرْضاً ١٢٨١١

مُخَطَّط عَرْضانياً دفعاً للالْتباس

12812 striés acoustiques خُطوط سَمْعِيَّة ١٢٨٢١

شُرُطٌ نُخاعِيَّة ، وَشُرُطٌ سَمْعِيَّة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[2]

12813 stries de la grossesse

أتلامُ الحَمْلِ ، تَفَزّراتُ الحَمْلِ ١٢٨١٣

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (striae gravidarun) بخطوط الحمل ، وجاء في التعريف : خُطوط ترى في جِلْد البَطْن وفي مَواضع أخرى من الجسم ويكون أثناء الحَمْل والخُطوط الضُمورية ،كما جاء في الترجمة الانكليزية

(١) في لسان العرب : والكرير صوت في الصدر مثل الحشرجة وليس بها .

(٢) (auditory stripes acoustic, medullary stripes,)

من المعجم الاصلي[1]

12814 stries livides, raies livides ou sanglantes

١٢٨١٤ أتلام" كُهْب ، خُطَيطات" كُهْب أو دامية وأرجح خُطوط رُصاصيَّة (اللون)، تخططات رُصاصية (اللون) أو دَمَويَّة ، وسبقت الملاحظة على الكُهْبَة[2] (lividité) ومعناها اللون الازرق الضارب الى السواد[3]

12815 stries rayonnates des astres (caryocinèse)

١٢٨١٥ خُطوط الأَنْجُم المُشِعَّة (إنْقِسام مُعْتَنَف) وأرجح خيوط النُّجوم المُشِعَّة (انقسام لا مباشر فَتيلي[4] ، الإشعاع القُطْبي لِخُيوط النَّواة أو الخُيوط النَّوَوية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية المعجم الأصلي[5].

12816 Strongle géant

١٢٨١٦ دُودَة أُسْطوانيَّة عَرْطَل

12817 Strogylides

١٢٨١٧ اسطوانيات

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (hook - worm) بالدودة الشَّصِّيَّة وجاء في التعريف : نوع من الديدان

---

(١) (stirae atrophicae)

(٢) الصفحة ٤٩٥ من المجلد الخامس والاربعين من المجلة .

(٣) لفظة (lividity) في معجم ستدیمان (Stedman's Medical Dictionary)

(٤) الصفحة ٦٣٠ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) (polar radiation of nuclear threads)

منها الانكيلوستوما (ancylostoma) سُمِّيَت لأسنانها المعقوفة في فَمِها •

12819 Strophulus إحْمِراريّة ١٢٨١٩

وأرجح طَفَح العَرَق أو الدُخَنِيَّة الحَمراء (miliara rubra) كما تدعى أيضاً

12820 structure بُنْيَة ، بِناء ، تَرْكيب ١٢٨٢٠

وأرجح تَركيب تاركاً بُنْيَة ترجمة لـ (constitution) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٣١٢٥)

12823 Stupeur ذُهُول ١٢٨٢٣

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1] ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: (أ) إغماء مع تعريفه: فقدان الوَعي لِمدَّة قصيرة (ب)غيبوبة، وعَرَّفها الغَيَبعَن الوعْي قليلاً أو كثيراً • وأفضل فُتور الوَعي كما سلف أو الخَبَل وهي الشائعة •

12824 Stupidité, v. confusion mentale

١٢٨٢٤ بَلادَة ، أنظر إخْتلاط عَقْلي

وأفضّل سخافة

12825 stupidité émotionnelle بَلادَة تَأثّريّة أو انفعاليّة ١٢٨٢٥

وأفضّل رُعُونة

---

(١) الصفحة ٤٦ من المجلد السابع والاربعين من هذه المجلة •

١٢٨٢٦ ذَاهِل — 12826 Stupureux, euse

وأفضّل مَخْبول ومُخَبَّل ، مُخَبَّلة أو قليل الوَعي وقَليلَته [١]

١٢٨٢٧ مُرَقِّم خاطٌ ، إبْرَة خاطّة — 12827 Style inscripteur

وأرجح إبرة كاتبة أو ريشة كاتبة، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٢]

١٢٨٢٨ زُباني ، إبْرة — 12828 Stylet, aiguillon

والصحيح أحد أجزاء حامِل السِمَّة أو قلم السِمَّة في اللفظة الاولى ، وإبرة وحُمَة في اللفظة الثانية ، وكما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي [٣] وفي المعجم المذكور زُباني ترجمة لِـ (antenne) [٤]

١٢٨٢٩ مِرْوَد ، مِحْراف — 12829 stylet

وأفضل مِسبار ، مِحراف ولا أرى لفظة مِرْوَد

---

(١) الصفحة ٤٦ من المجلد السابع والاربعين من هذه المجلة .

(٢) (writting point or stylet)

(٣) لفظة (style) في المعجم المذكور : يقال القلم اجتزاء . والسمة تسمى الميسم في مصر جزء من المدقة بين المبيض والسمة وهو خيط يحمل السمة .

لفظة (aiguillon) في المعجم المذكور أيضا : (١) حمة : ابرة (سلاح بعض الحشرات كالنحلة والزنبور (٢) منخس (عصا حادة الرأس ينخس بها بقر الحراثة (٣) ابرة (شوكة سطحية أي قشرية في بعض النباتات كالورد).

(٤) زُباني ، قرن : عضو مفصلي على شكل قرن يكون في رأس الحشرات وبعض الحيوانات الدنيا : وهما قرنان وزبانيان .

تفي بالمعنى المطلوب (١)

12830 stylet de Bowman — ١٢٨٣٠ مِروَد بُومان

والصحيح مِيل بُومان أو مِيل المَدْمَع ، كما جاء في الترجمةالانكليزية من المعجم الاصلي (٢) وهو المستعمل لتوسيع مجرى الدمع

12831 Stypage — ١٢٨٣١ مُداواة بالتَّبريد المَوضِعي

وأفضِّل التَّبريد المَوضعي ، ويغلب الرُّكون إليه بإرذاذ أحد السَّوائل الطيَّارة على الجلد (وكلور المتيل خاصة) وغالبا ما يكون من أجْل التَّخدير الموضعي

12833 Styrax liquide, liquid-amber

١٢٨٣٣ مِيعَة سائِلَة ، عَنْبَر" سائِل

أصْطِرَك ، لُبْنى ، عَبْهَر للفظة الاولى في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي ومَيْعة (بالفتح) سائِلة للفظة الثانية (٤)

---

(١) في لسان العرب : المسبار والسبار ما سُبر به وقدر به غور الجراحات والسبر مصدر سبر ، والجرح يسبُره ويسبِره سبرا نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره ومسبرته نهايته .
المحرف والمحراف : الميل الذي تقاس به الجراحات والمسبار الذي يقاس به الجرح .
المِرْوَد بكسر الميم الذي يكتحل به .

(٢) (browmon probe, lacrimal probe)

(٣) (stypage) في معجم لاروس الكبير .

(٤) جاء في المعجم المذكور ما يلي : (styrax officinalis) aliboufier
(في الشام عن المفردات . قلت واللُّبنى تطلق عليه في جبل الشيخ وهو مبذول في جبال الشام، شجر او جَنَبة من فصيلة الاصْطِرَكيات صمغها يسمى المَيْعة والميعة الجامدة والناشفة . وتدل كلمة العَبهر أيضا على النرجس والياسمين كما جاء في المعاجم . واليونانية (styrax) =

12836 Subconscient, ente — ذُو إدراكٍ جُزْئي ١٢٨٣٦

12837 Subconscient — دُونَ الإدْراك ١٢٨٣٧

وأفضل ذو شُعورٍ دُوني أو بِحالة ماتَحْتَ الشُّعور في اللفظة الاولى وما تَحْتَ الشعور في اللفظة الثانية

12839 Subfébrile — حُمَّى خفيفَة ١٢٨٣٩

اللفظة كما جاءت في المعجم الاصلي صِفَة لا اسْم ، لذا أرى ترجمتها بِحالة تَحْتَ الحمى أو بحالة الحمى الخفيفة أو نسبة الى الحُمَّى الخَفيفَة

12841 Subintrant, intrante — مُتَداخِل ، مُتَداخِلَة ١٢٨٤١

وأفضل مُداخَل ومُداخَلَة ، لأن أكثر ما يوصـف بهذه اللفظة هي نُوب حُمَّى البرداء التي تتم العَدوى فيها مُكَرَّرَة ، فتأتي النوبة قبـل نهاية سابقتها . هذا وسبق للجنـة أن ترجمـت (interférence) بتداخل (اللفظة ٧٤١٢)

= من أصل سامي . وقد أعادها العرب الى لسانهم باسم أُصْطُرك . أما اللبنى فسامية تدل على البخور .

مَيْعة سائلة (liquidamber) جنش شجر حرجي وطبي وللتزيين يجعله **بعضهم من** فصيلة مستقلة ويعده آخرون من فصيلة المشتركات أو من كاسرات الحجر أو من الدلبيات وسمي ميعة سائلة باسم الراتينج البلسمي المستخرج من بعض أنواعه .

في لسان العرب : المَيْعة والمائعة ضرب من الفِطر أو الميعة صمغ يسيل من شجر في بلاد الروم يؤخذ فيطبخ فما صفا منه فهو الميعة السائلة وما بقي منه شبه الثجير فهو الميعة اليابسـة .

واستعمال الميعة في زننا مقتصر على دخولها في تركيب بعض المراهم والمستحضرات الخاصة للاستعمال الخارجي .

12842 Subinvolution utérine حَكْش الرَّحم النَّاقِص ١٢٨٤٢

وأقر مجمع اللغةالعربيةفيالقاهرة:أوْب جُزْئيللرحم،
وجاء في التعريف : وهو بطء عودة عَضَلة الرَّحِم
الى حَجْمها الطبيعي بعد الولادة • وأفضل نُكوص
الرَّحم الجُزئي(١)

12843 Subir une opération عَانى عملاً جِراحِيّاً ، بضع ١٢٨٤٣

12844 subir (faire) une opération à quelqu'un

أجْرى عَمَلاً جِراحياً لِشَخصٍ ١٢٨٤٤
بَضَع شخْصاً
وأفضل أُجريتْله جراحــة أو عَمَليَّة جِراحيَّة(١)
في اللفظة الاولى وأجرى عَمَليَّة جِراحيَّة لأحد الناس
أو لامرِىءٍ ما(٢)

12846 Subjectif, ve مَرْوِيّ ، شَخصِيّ ١٢٨٤٦
وذاتيّ (علم النَّفس)

12849 Sublimation تَصْعيد ، تَسامِي ١٢٨٤٩
وأفضل تَصْعيد ، تسامٍ ، إعْلاء (علم النَّفْس)

12850 Subliminal, ale infraliminaire

دُون الأَدنَى ، دُونَ الأَقَل ١٢٨٥٠
دُون الأدنى أَقَل مِنْ القَليل وتحتَ عَتبة الإعجاز

(١) الصفحة ٤٩٢ من المجلد الثالث والاربعين من هذه المجلة •
(٢) الصفحة ١٨ من المجلد التاسع والاربعين من هذه المجلة •
(٣) في لسان العرب : بَضَع اللحم يبضعه وبضّعه تبضيعا قطعه : بضع الشيء يبضعه شقه والبَضْع النكاح والمباضعة المجامعة وهي البضاع•

أو دون حدّ الشّعور (علم النّفْس)

12851 Sublingual, le ١٢٨٥١ تَحْتَ اللّسان ، تَحْ ـ لِساني
تَحْتَ اللّسان وتَحْتَ اللّساني

12852 Subluxation ١٢٨٥٢ خَلْع خَفيف
وخَلْع جُزئي

12953 Submatité, son hyposonore
١٢٨٥٣ صَمَم خَفيف ، لَحْن" خَفيف
وأفضل أَصميّة[1] خَفيفة ، لَحْن تحْتَ الواضِح
أو قَليل الوضَاحَة[2]

12856 Substance ١٢٨٥٦ مَادّة
وأفضل أن يقال مَادّة" مُكَوِّنَة أو جَوهَر[3]
ونَسيج وعامِل تمييزاً لها من (matière) لأن ماتعنيه
اللفظة في الاصل الشيء الذي يتكون منه العُضو أو
البَدن ، وكذلك الغذاء الثانوي كالفيتامين وما يَنْقُل
السَّيّالة العَصَبِيّة[4] . هذا وقد أقر مجمع اللغة
العربية في القاهرة ترجمة (substance) بمادّة في
عدة مصطلحات (للبحث صلة)

(١) الصفحة ٢٥٦ من المجلد السادس والاربعين من هذه المجلة .
(٢) الصفحة ٧٣٧ من المجلد الرابع والخمسين من هذه المجلة .
(٣) في لسان العرب : وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته .
(٤) لفظة (substance) في معجم درلند Dorland's Illustrated Medical Dictionary وفي معجم بلاكستون Blackiston's New Gould Medical Dictionary

القدس الشريف
في تاريخ العرب والإسلام

(القسم الثاني)*

الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي

- ١١ -

كانت الانتخابات النيابية المذكورة أعلاه من أهم حوادث التاريخ العثماني الحديث ، لكن أثرها في القدس كاد يكون مقصورا على ارسال رئيس بلديتها يوسف ضيا الخالدي نائبا في مجلس لم يُعَمَّر أكثر من بضعة شهور ، لأن السلطان عبد الحميد عطّله الى أجل غير مسمى دام نحو ثلاثين سنة حكم السلطان أثناءها حكماً مطلقاً • وتمهيداً لدرس حالة القدس في تلك المدة وذكر الهجرة اليهودية الجديدة من روسيا لاغنى عن توضيح الفرق بين القادمين منها والمقيمين قبلهم في القدس من طائفة أشْكِنازيم • فالمقيمون كانوا فقراء كسالى شديدي التعصب • قاوموا كل من حاول تحسين حالتهم من اليهود أو غير اليهود ، فقاطعوا المدارس الحديثة التي فتحها لأبنائهم وبناتهم المبشرون البريطانيون ، وعارضوا محاولة المُحسن البريطاني سِرْ مُوزِس مُنْتِفيُوري إحصاءهم تمهيداً لإسعافهم من ماله لأنهم خافوا أن يُصيبهم الوباء[٦٦] •• وعندما وصل مبلغ من المال

---

* انظر القسم الاول من هذا المقال في العدد السابق (ج ٤ ـ م ٥٤)

(٦٦) أغوى الشيطانُ داود فأحصى اليهود ، فغضب عليه ربه وأرسل الوباء في الارض (أخبار الايام الاول : الاصحاح ٢١) • وقصة المحسن اليهودي مع أحبار اليهود ذكرها القنصل البريطاني في تقرير ـ Fo/78/803 (22 August, 1849)

من انكلترا ليُنْفَق على تعليم اللغة العربية لأبنائهم رفضوا المشروع وهددوا المعلّم وهمّوا بهدم غرفة التدريس[٦٧] .

أما القادمون فجاء معظمهم اضطراراً لا اختياراً ، فقد اتُّهِمَ يهود روسيا بأنه كانت لهم يدٌ في اغتيال القيصر اسكندر الثاني ، فهوجموا وقُتِل بعضهم وأُتلفت بعض أملاكهم ، ثم صدرت أنظمة حددت أماكن اقامتهم ونوع ما يمكنهم مزاولته من الاعمال ونسبة ما يُقبَل من أبنائهم في مدارس الحكومة . وكان عددهم حينئذ نحو خمسة ملايين ، فأخذ كثيرون منهم يهاجرون الى أوروبا الغربية والى أمريكا ، والتجأ بعضهم الى أراضي الدولة العثمانية ، وبعض هؤلاء وصلوا الى فلسطين والقدس ، فعددهم بالنسبة الى عدد من هاجر الى أوروبا وأمريكا كان ضئيلا ، لكنه كان عظيماً بالنسبة الى ما كان في القدس من سكان مسلمين ونصارى .

وكان معظم القادمين من المتعلمين تعليما حديثا ومن أصحاب الحرف ، وكان فيهم عدد غير قليل من « مُحِبِّي صهيون » الذين عُدّوا من طلائع الصهيونية قبل تأسيسها الرسمي . وسكن هؤلاء في بيوت جديدة خارج أسوار المدينة كان أول ما بُني منها على الطريق الى يافا والى الغرب من المسكوبية . وسرعان ما زاحم هؤلاء اليهود سكان القدس على وسائل الرزق من تجارة أو صناعة ، وبلغ الضيق أشده في سنة ١٨٩١ عندما أرسل المسلمون احتجاجا الى الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) في استانبول[٦٨] ، فقد رأوا كما رأت الحكومة أن المهاجرين كانوا تحت حماية أجنبية ، وتمسكوا كما تمسك

(٦٧) قصة رفض تعليم اللغة العربية ذكرها القنصل البريطاني مُور في تقرير ـ
Fo/195/1263 (11 June, 1879)

(٦٨) احتجاج أهل القدس ذكره القنصل البريطاني دِكسون في تقرير ـ
Fo/195/1727 (16 July, 1891)

مَن كان قبلهم في القدس من طائفتهم بالجنسيات الاجنبية للاستفادة من الامتيازات ، وقد ساعدهم قناصل روسيا ، لا حبّاً بهم بل رغبة في خلق الصعوبات للحكومة العثمانية ، فهذه كانت تخشى أن تكوّن الهجرة اليهودية مشكلة دينية او قومية جديدة تُضاف الى ما كان عندها من هذه المشاكل . وهكذا حالت معارضة الدول الاوروبية دون تنفيذ القوانين العثمانية التي صدرت منذ سنة ١٨٨١ لتحديد هجرة اليهود وامتلاكهم للارض . وكانت هذه المعارضة العامل الاول في إخفاق التدابير العثمانية، يضاف اليها عاملان ثانويان وهما قلة مقدرة الموظفين الصغار وقبول الرشوة.

ولم يكن لهذه الهجرة بَعْدُ صفة سياسية ظاهرة ، وآية ذلك أن الاحتجاج الذي أرسله أعيان القدس الى استانبول كان مبنيّاً على أسباب أقتصادية لا سياسية . ولكن الصفة السياسية للهجرة اليهودية أصبحت واضحة بعد المؤتمر الصهيوني الاول في سنة ١٨٩٧ والمطالبة بوطن لليهود في فلسطين فسّره كتّابهم تفسيرا قوميا : سياسيا واقتصاديا . ولعل ذلك كان من أهم أسباب فشل هَرْتْسِل زعيم الصهيونية عندما حاول إغراء السلطان عبد الحميد بالمال ليوافق على البرنامج الصهيوني .

وقلّما يذكر المؤرخون لعبد الحميد هذه الفطنة السياسية ، واهتمامهم بتفصيل استبداده جعلهم ينسون ما تَمّ في عهده وبتدبيره من التقدم في سائد أنحاء المملكة . أما القدس فقد أولاها جانباً كبيراً من اهتمامه الشخصي ، وأرسل اليها متصرفين مشهوداً لهم بالمقدرة والخبرة تدرب بعضهم في ديوانه الخاص . ولعل هذا التدريب هو الذي دلّهم الى ضرورة انشاء دائرة خاصة بالاجانب وشؤونهم في مكتب المتصرف ،فهذه

الدائرة كانت في أواخر القرن التاسع عشر وأول هذا القرن أكثر الدوائر شغلا وأكثرها تنظيماً .

واكتسب عبد الحميد اخلاص علماء المسلمين في القدس بعدة وسائل منها سياسة الجامعة الاسلامية التي اتخذها تثبيتاً لعرشه ودفاعاً عن مملكته أمام مطامع الدول الاوروبية . صحيح أنه لم يُعِد تأسيس المدارس الاسلامية الاصلية في القدس ، لكنه أنشأ فيها مكاتب جديدة سدّت في نظره حاجة سكانها المسلمين ، حتى إنه أمرهم بعدم ارسال بنيهم الى المدارس الاجنبية(٦٩) . وفي عهده أُكْمِل تعمير المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة الذي بدأ في عهد محمود الثاني واستمر في عهد عبد المجيد وعبد العزيز . وأرسل السلطان عبد الحميد الهدايا الى علماء القدس استمراراً لعادة ارسال « الصُرة » ، وفرش أرض المسجدين في الحرم الشريف بالسجاد العجمي على نفقته الخاصة .

أما سياسة عبد الحميد الخارجية وأثرها في القدس فقد أخذت تتضح حالاً بعد اعتلائه العرش ، فروسيا كانت عدوة قديمة ، وبريطانيا وفرنسا من الدول العظمى احتلت كل منهما جزءاً من البلاد الاسلامية التي كانت تحت السيادة العثمانية . أما الامبراطورية الالمانية فلم تكن لها مطامع استعمارية في أملاك الدولة العثمانية ، وقد لمّح بِسْمارك في مؤتمر برلين أن غرض ألمانيا الوحيد كان التجارة لإرغام الدولة العثمانية على اتّباع سياسة معينة في ادارة شؤون رعاياها من النصارى . لكن اهتمام ألمانيا بالقدس بدأ قبل تأسيس الامبراطورية عندما شارك الملك فرِدْرِك وليم

(٦٩) كما جاء في تقارير الجمعية الكنسية التبشيرية (البريطانية) :
C. M. S. Proceedings : 1883 - 84 (p. 61) ; 1884 - 85 (p. 57) ; 1887 - 88 (p. 68)

الرابع بريطانيا في إنشاء الأسقفية البروتستانية • ثم في سنة ١٨٦٨ جاءت طائفة ألمانية دينية وحلت في يافا ، وبعدها جاءت جماعات أخرى حلت في أماكن مختلفة من فلسطين وأنشأت مستعمرات زراعية ، وجاءت جماعة الى ضواحي القدس وأنشأت حيّاً ألمانياً بقرب البقعة •

وكان السلطان قد أهدى لملك بروسيا قطعة أرض في مدينة القدس بقرب كنيسة القيامة كان قد أقام عليها فرسان القديس يوحنا في زمن الصليبيين • وقد سُلّمت الارض رسميا لولي عهد بروسيا عندما زار القدس في سنة ١٨٦٩ • وأقام الالمان عليها « كنيسة المخلص » التي دشّنها الامبراطور غليوم الثاني في سنة ١٨٩٨ • فزيارة الامبراطور للسلطان عبد الحميد في تلك السنة كانت رمزاً للسياسة التي رسمها بسمارك • وكرّم السلطان ضيفه فأمر بفتح ثغرة في سور القدس بجانب باب الخليل من اليمين لدخول الامبراطور • ولكن رواية شاهد عيان تؤكد أنه خلافاً للشائع لم يدخل المدينة راكباً جواده بل راجلا • والراوي هو المراسل الخاص لجريدة التايمس الذي رافق الامبراطور في زيارته ، قال ان الامبراطور ترك مخيّمه على ظهر جواد وتركته الامبراطورة في عربة ،فلما وصلا باب الخليل ترجّلا ودخلا المدينة مشياً على الاقدام ، وكانت طريقهما بأمر السلطان قد فرشت بالسجاد وسعف النخل ، فذهبا أولا الى كنيسة القيامة ثم الى كنيسة المخلص حيث دشّنها الامبراطور بموكب فخم[٧٠] •

وهكذا ازداد اتصال القدس بالعالم ، وكثر مجيء العظماء والحجاج والتجار والسواح اليها ؛ وسهّل ذلك اكمال الخط الحديدي من يافا اليها في سنة ١٨٩٢ ، فصارت البواخر تأتي بالحجاج الى يافا فيسافرون منها

(٧٠) أنظر جريدة التايمس (لندن) :
The Times, 1 November, 1898, p. 5, col. 3

بالقطار الى القدس بدلا من ركـوب الدواب على طـرق غير معبـدة • أحصى القنصل الفرنسي عـدد حجاج النصارى الذين وصلوا القـدس بالقطار بعد فتح الخط الحديدي بثلاث سنوات فكان أربعة عشر ألفـاً زاد عدد حجاج الروس منهم على ثمانية آلاف•وتم اتصال القدس بأوروبا، عن طـريق يافا ، بواسطة التلغـراف في سنة ١٨٦٤[٧١] • أما البـريد (البوسطة) فكان على نوعين : القنصلي الاجنبي والعثماني الرسـمي ، والثاني ظهر بعد الاول • ولم يكن البريد القنصلي مقصورا على حاجـة القنصليات الرسمية أو حاجة مَن وُجِد من رعايا دولها في القدس ، بل كان مفتوحا للعثمانيين وغيرهم اذا دفعوا رسومه العاليـة • ولم يَحتَج الاجانبُ البريد العثماني ، وتجنَّبه العثمانيون الذين أرادوا تجنب المراقبة الرسمية ، فالتجؤوا خلسة الى البريد القنصلي •

ولم يكن في القـدس نظام عام لتوريد الماء حتى عهـد الانتداب البريطاني ، ففي سنة ١٩٣٥ وصلها الماء بكثرة من رأس العـين في السهل الساحلي بواسطة الانابيب والمضخّات • وصعوبة توريد الماء الى القدس قديمة ، ففي عهد الرومان جُلِبَ الماء اليها بأقنية من عين أرطاس وبرك سليمان الى الجنوب من بيت لحم ، ثم انقطع ذلك فاعتمد السكان عبـر القرون على ماخزنوه من ماء المطر في آبار قلّما خلت منها البيوت الكبيرة وكثرت في ساحة الحرم الشريف • وقلة الماء في المدينة تفسّر كثرة ما أنشأ السلاطين وغيرهم من السُّبُل لماء الشرب فيها • وفي مطلع القرن العشرين أُعيد توصيل الماء من عين أرطاس الى بركة السلطان خارج باب الخليل•

---

(٧١) ورد ذلك في تقرير مبشر برتستانتي كان في القدس :

Annual Report, London Jews Society, 1864, p. 286

(وقبل نجاح مشروع رأس العين وبعده استمدت القدس الماء أيضا من عين فارَه الى الشمال الشرقي منها ومن عين العَرّوب على الطريق الى الخليل)٠

ومراقبة البريد المذكورة أعلاه تحتاج الى شيء من التفصيل ، فغرضها كان منع دخول الكتب والمجلات والصحف التي انتقدت الاستبداد الحميدي ٠ وكان من وظائف وزارة المعارف مراقبة المطبوعات والحرص على نقاء الكتب المدرسية من الافكار المثيرة ، وعلى منع استعمال كل كتاب أو مجلة أو صحيفة فيها شيء من تلك الافكار ، تلميحاً أو تصريحاً ٠ وقد نجحت مراقبة برامج التدريس وثمرات المطابع الى درجة كبيرة ، أما مراقبة ما دخل البلاد مع الاجانب أو بواسطة بريدهم فكانت على وجه الاجمال فاشلة ٠

وذكر المطبوعات يستدعي الاشارة الى ما كان في القدس من المطابع ، وما نُشر فيها من كتب ومجلات وصحف ، وما وجد فيها من حركة أدبية ، من أواخر القرن التاسع عشر الى خلع عبد الحميد في سنة ١٩٠٩ ٠

تأخر نشوء الطباعة عند المسلمين في الدولة العثمانية لأن العلماء منعوا طبع القرآن الكريم والحديث الشريف وما يتعلق بهما ، ولم يسمحوا بطبع غير ذلك من الكتب إلا بعد صدور فتوى شرعية وإرادة سلطانية ٠ولما رُفع المنع أُسِّست مطبعة أميرية في استانبول ثم مطبعة بولاق في مصر٠ وقبل ذلك وُجدت مطابع بسيطة في أديرة لبنان وغيرها اقتصرت على طبع الكتب الدينية ٠ وأول المطابع التي أُسست في القدس حوالي سنة ١٨٥٠ كانت تابعة للاديرة ، وهي مطبعة دير الروم (مطبعة الارض المقدسة) ومطبعة الآباء الفرنسِسكان ومطبعة دير الأرمن ، وكانت هذه في حارة الشَرَف الاسلامية ، وكذلك مطبعة ليهودي اسمه اسحق ليفي أسست

في سنة ١٨٩٦[٧٢] ، وهذه الحارة كانت الى الشرق من حارة اليهود وفيها استأجروا بيوتا عديدة منذ القرن السابع عشر وقبله كما ذكر أعلاه •

ووجدت حروف عربية في كل مطبعة من المطابع النصرانية المذكورة ، وقد طُبع فيها بالاضافة الى الكتب الدينية ، بعض كتب التدريس وبعض الاعلانات الرسمية والتجارية • وفي العقد الاخير من القرن التاسع عشر أسَّس جورج حنانيا مطبعة أدارها بنفسه ، وفيها طُبِعت بعض الصحف وعدد غير قليل من كتب التدريس • وجميع هذه المطابع كانت في البدء بسيطة جدا مكونة من آلات تحرك باليد أو القدم وبعض جوارير الحروف •

ولم يظهر من الصحف شيء أثناء العهد الحميدي الا جريدة رسمية وهي « القدس الشريف » ، صدرت باللغتين العربية والتركية مرة في الاسبوع من مكتب المتصرف • وبعد اعادة العمل بالدستور في سنة ١٩٠٨ ظهرت في وقت واحد تقريباً أربع صحف وثلاث مجلات • أما الصحف فكانت « النجاح » لمحررها الشيخ علي الريماوي ، و « القدس » لمحررها جورج حنانيا (صاحب المطبعة التي ذكرت أعلاه) ، و « الانصاف » لمحررها بندلي مشحور ، و « المنادي » لمحررها محمد المغربي • وأما المجلات فكانت « الاصمعي » لصاحبها حنا العيسى ، و « النفائس » لصاحبها خليل بيدس ، و « المنهل » لصاحبها محمد المغربي (محرر صحيفة المنادي) •

كانت الصحف تصدر مرة في الاسبوع وبعضها مرتين دون انتظام، والمجلات كانت تظهر مرة كل نصف شهر أو شهر دون انتظام • ولم تختلف

(٧٢) تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني تأليف يعقوب يهوشع (القدس، ١٩٧٤) ص ٨ ، ٩ •

مادة المجلات عن مادة الصحف كثيرا ، فكلها اهتمت بنشر الاخبار المحلية ثم الاخبار العامة ، مع نُبَذٍ أدبية وتاريخية وبعض القصص والقصائد . وكلها اهتمت بموضوعَي الصهيونية والهجرة اليهودية وأثرهما فيفلسطين والقدس . ومن أشهر كتاب الصحف والمجلات إسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وعبد الله مخلص وعارف العارف وحبيب الخوري (وهذان كانا طالبين الاول في جامعة استانبول والثاني في الكليـة الانكليزية في القدس) . واشتهر من المحررين الشيخ علي الريماوي وخليل بيدس،الاول بشعره والثاني بقصصه المترجمة عن الروسية . وكان الريماوي مُتلوِّناً متقلباً ، وأغرب ذلك موقفه من خوف العرب على لغتهم بسبب تغليب اللغة التركية عليها في المكاتب الرسمية ،فكتب الريماوي تحت عنوان « العربية والتركية شقيقتان فما بالهما تختصمان ؟ » زاعماً أن لا خوف على اللغة العربية أو القومية العربية من تعلّم اللغة التركية ، فذلك واسطة لترقي العرب في الوظائف الرسمية[٧٣] .

والكتاب المذكورون كانوا أركان الحركة الادبية في القدس ، ومن آثارهم « جمعية الآداب العربية » التي تأسست سنـة ١٨٩٨ ، وعُنيت بالخطابة والكتابة والتعليم[٧٤] . أما الكتب التي نُشرت فكان معظمها للتدريس مع بعض التاريخ والادب . ومن المؤلفين المقدسيين ، غير الذين ذكروا سابقا ، يوسف ضياء الخالدي الذي ألّف رسالة عن اللغة الكردية ونشر مجموعة أشعار لبيد . ومنهم روحـي الخالدي الذي ألّف كتاب « علم الادب عند الفرنج والعرب » وكتاب « الانقلاب العثماني »وكتاب « المقدمة في المسألة الشرقية » . ومنهم نخلة زُرَيْق الذي كان يعلّم اللغة

(٧٣) جريدة النجاح الصادرة في الثامن من نيسان سنة ١٩١٠

(٧٤) راجع مقالتنا عن الجمعية في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٧٤) ص٨٧١–٨٨١

العربية في الكلية الانكليزية في القدس ، واشتهر بالتعليم أكثر من اشتهاره بالتأليف ، اذ لا يُذكر له غير مجموعة أشعار نشرها في سنة ١٩٠٣ بالاشتراك مع عيد سالم[٧٥] .

كل ما سبق من الانتاج الادبي والصحافي كان لمنفعة عدد قليل من القراء لِفُشُوِّ الامية . وهؤلاء القراء القليلون وجدوا كثيرا مما يطلبون في المطبوعات التي وصلت القدس من استانبول أو القاهرة أو بيروت . والمكاتب كان شأنها منحطاً ، فاذا استثنينا مكتبة المسجد الاقصى فالمكاتب العامة لم تكن بعد معروفة . وما وُجِد من كتب التراث الاسلامي أو العربي كان مخطوطا ومحفوظا في خزائن العائلات . ولعل أشهر هذه الخزائن المكتبة الخالدية التي رتَّبها الشيخ طاهر الجزائري أثناء اقامته في القدس (وهو الذي رتب أيضا المكتبة الظاهرية بدمشق) ثم كتب لها « برنامجاً » الشيخ راغب الخالدي . ولمَّا زار المستشرق الروسي كْراتْشْكوفسكي القدس في سنة ١٩١٠ رأى المكتبة فقال عنها باختصار « وهناك في القدس ، في مكتبتها المهملة التي تسمى بالخالدية .. ذكريات تاريخ قديم » . قال ذلك في مذكرات نشر فيها صورة أربعة من أبناء القدس لاقاهم فيها ، وهم بندلي الجوزي (الاستاذ بجامعة باكو) وجميل الخالدي (صاحب المخطوطات) واسعاف النشاشيبي (الشاعر) وخليل السكاكيني المعلم[٧٦] . ومن أشهر مكاتب العلائلات الاخرى التي بُعثِرت أو

(٧٥) الكتاب العربي الفلسطيني (نشرته لجنة الثقافة العربية في القدس سنة ١٩٤٦) ص ٢٢ (السطر الثالث) .

(٧٦) ترجمت المذكرات الى اللغة العربية بعنوان « مع المخطوطات العربية » ونشرت في موسكو سنة ١٩٦٣ . وذكر المكتبة الخالدية وارد على صفحة ٥٦ ، وصورة الادباء الاربعة تقابل صفحة ٤١ ، والاوصاف : صاحب المخطوطات ، والشاعر ، والمعلم ، كلها موجودة في الاصل .

اقتسمها الورثاء مكتبة آل الموقت (أخذ بعض كتبها الشيخ طاهر الجزائري الى دمشق) ومكتبة آل البديري ومكتبة آل أبي السعود (كانت في الزاوية الفخرية الملاصقة لحائط الحرم الشريف عند زاويته الجنوبية الغربية ، وقد هدمها الصهيونيون واغتصبوا أرضها بعد سنة ١٩٦٧).

أما مؤهلات محرري الصحف وكتابها حتى سنة ١٩١٤ فكانت مختلفة باختلاف المدارس الاسلامية أو النصرانية أو الاجنبية التي تعلّموا فيها . وفيما يلي بعض التفصيل عن أربعة منهم على سبيل المثل لا الاحاطة . فالريماوي (١٨٦٠ ــ ١٩١٩) كان تعلّمه اسلاميا صِرفاً، إذ بعد إكمال كُتّاب قريته تعلّم في الازهر أكثر من عشر سنوات قبل شهادة العالمية ، ولا يُعرف له كتاب ، ولكن مقالاته وقصائده ملأت صحف عهده ومجلاته. وبيدس (١٨٧٤ ــ ١٩٤٩) تعلّم بمدرسة طائفة الروم الارثوذكس في الناصرة ثم بالمدرسة العالية التي أنشأها الروس لأبناء تلك الطائفة فيها ، فتعلّمه كان عربيّاً روسيّاً ظهرت ثماره فيما ترجم الى العربية من القصص الروسية والتاريخ وما ألّف من كتب التدريس ، حتى عُدّ أكثر كتّاب عهده إنتاجاً . والسكاكيني (١٨٧٨ــ١٩٥٣) تعلّم بمدرسة طائفة الروم الارثوذكس بالقدس ثم بمدرسة غُوبات التبشيرية الانكليزية ، ودرس العربية على نخلة زريق الذي كان يعلّمها بمدرسة الشبان الانكليزية (عُرفت فيما بعد بالكلية الانكليزية) التي كانت تديرها الجمعية الكنسية التبشيرية ، فتعليمه كان عربياً انكليزياً ، وكتب في هذا الدور « الاحتذاء بحذاء الغير » ولا يُعرف غير عنوانه . والنشاشيبي (١٨٨٢ــ١٩٤٨) تعلّم بكُتّاب في القدس ثم بمدرسة الحكمة في بيروت ، ودرس فيها اللغة العربية على عبد الله البستاني ، فتعلّمه كان عربياً خالصاً ، وكتب في هذا

الدور « أمثال أبي تمام »[٧٧] •

-١٢-

أخفق غير واحد من المستبدين قبل عبد الحميد وبعده في مقاومة الافكار المعارضة لاستبدادهم ، ومن عِبَر القَدَر أن أفكار الثورة على عبد الحميد نَمَت وأثمرت في المكاتب العالية ، من عسكرية ومدنية ،التي اهتم هو بانشائها ، فخريجوها هم الذين أرغموه في ثورة سنة ١٩٠٨ على اعادة العمل بالدستور ودعوة مجلس النواب (المبعوثان) للاجتماع بعد تعطيل دام نحو ثلاثين سنة • وقد مثّل متصرفية القدس في دورة المجلس الاولى سعيد الحسيني وروحي الخالدي وحافظ العيد (ومثّل سنجق نابلس الشيخ أحمد الخمّاش وسنجق عكا الشيخ أسعد الشقيري)•

وسارت الحكومة العثمانية بعد اعادة العمل بالدستور بحسب رغائب « جمعية الاتحاد والترقي » التي سبّبت الانقلاب • ولكن الشؤم لازمها منذ اليوم الاول ، فقد اغتنمت بلغاريا اشتغال الجيش العثماني باضطراب داخلي فأعلنت استقلالها عن الدولة العثمانية ، وأعلنت النمسا ضمّ مقاطعتين عثمانيتين في البلقان كانتا تحت ادارتها الموقتة • ولمّا لم تستطع جمعية الاتحاد والترقي أن تحرك ساكناً لإلغاء ما حدث أو مقاومته، تحوّل الفرح بإعادة العمل الدستور الى استياء عام ، وقامت ثورة في استانبول ظُنّ أن عبد الحميد كان محركها ، فأدى ذلك الى خلعه واعلان أخيه محمد رشاد سلطاناً في نيسان سنة ١٩٠٩ •

---

(٧٧) تراجم الاربعة مأخوذة عن « أعلام الفكر والادب في فلسطين » ليعقوب العويدات (عمان، ١٩٧٦) : الريماوي (ص ٢٢١) ، بيدس (ص ٦٧) ، السكاكيني (ص ٢٧٣) ، النشاشيبي (ص ٦٢٦) •

وخيَّبت جمعية الاتحاد والترقي ، ورئاستها الثلاثية التي تكونت من أنور وطلعت وجمال ، آمال العرب بإهمال تطبيق مبدأ المساواة بين العرب والاتراك في ادارة الدولة ، ومبدأ اللامركزية في حكم الولايات العربية، ومبدأ تحسين حال اللغة العربية في مدارس الحكومة ودواوينها • وزاد الحال سوءاً اتجاه" جديد في سياسة جمعية الاتحاد والترقي وهو إعلاء شأن العنصر التركي ولغته على حساب العناصر واللغات الاخرى فيالمملكة• ولا يقل عن هذا سوءاً ما تداوله الناس من أن بعض رجال الجمعية المذكورة كانوا تحت تأثير اليهود والماسونية وان اهتمامهم بالاسلام كان سطحياً•

وهكذا واجه العرب بعد الانقلاب العثماني ، في القدس وفي فلسطين اجمالا، مسألتين خطيرتين: أولاهما الهجرة اليهودية الجديدة وهدفها السياسي، وثانيتهما مستقبل العرب والعربية في دولة عثمانية فقدت كثيرا من صفتها الاسلامية • وواجه علماء المسلمين في القدس مسألة ثالثة وهي استمرار تدهور أحوال الاوقاف الاسلامية منذ وضعها محمود الثاني تحت ادارة وزارة جديدة أنشأها في استانبول • أما الهجرة فقد فهم العرب، على اختلاف طبقاتهم هدفها السياسي حالا بعد إعلانه في المؤتمر الصهيوني الاول، فكتب يوسف ضياء الخالدي تنبيها الى هرتسل أرسله بواسطة رئيس حاخامي فرنسا ، بعد محاولة هرتسل اغراء السلطان عبد الحميد بالمال وفشله • وفي سنة ١٩٠١ ذكر ألبرت عَنتابي ، ممثل الشركة اليهودية الاستعمارية في تقرير الى رئيسها أن الفلاحين العرب سألوه « هل صحيح أن اليهود يريدون الاستيلاء على هذه البلاد ؟ » وبعد عشر سنوات ذكر عَنْتابي في تقرير آخر في سنة ١٩١١ أن فلاحا عربياً سأله « هل صحيح أن اليهود يستعدون

لانتخاب ملك لهم في القدس ، وهل سيكون أجنبيا أو يتكلم اللغة العربية ؟ »[٧٨] .

فاذا كان هذا ما فهمه العربي الأمي فلا حاجة الى تفصيل ما فهمه المتعلم وكتاب الصحف والمجلات في القدس ، أو حملات صحيفة «الكرمل» (حيفا) أو « فلسطين » (يافا) ، أو صدى ذلك في الصحف والمجلات العربية في دمشق (كالمقتبس) والقاهرة (كالمنار) واستانبول (كحضارة العرب) ، أو شرح احتجاج روحي الخالدي وسعيد الحسيني في مجلس المبعوثين في سنة ١٩١١ ، فكل الصحف والمجلات والكتاب والنواب فهموا أن غرض الصهيونية انشاء دولة يهودية في فلسطين على حساب سكانها العرب . ففي الوقت الذي سأل الفلاحون سؤالهم المذكور أعلاه كتبت مجلة المنار تقول إن غرض الصهيونية اعادة السلطان والملك الى شعب اسرائيل ... والاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم . وحوالي الوقت الذي سأل الفلاح الثاني سؤاله كتبت المجلة نفسها مقالة أخرى قالت فيها : « ان الصهيونيين اذا تمّ لهم مايريدون فانهم لايُبقون في أرض الميعاد مسلماً أو نصرانياً »[٧٩] .

وحرّكت الاحتجاجات المستمرة الحكومة العثمانية فوضعت مشاريع قوانين لتَقْوية أنظمة الهجرة واستملاك الارض ، ولكن ممثلي الدول الاجنبية احتجوا عليها ، وزعموا أنها تُنقص مما لرعايا دولهم من

---

(٧٨) ورد السؤالان في تقريرين رسميين كتبهما ألبرت عنتابي ، الاول في ٢٧ أيار سنة ١٩٠١ والثاني في ٢١ حزيران سنة ١٩١١ ، واقتبسهما مؤلف يهودي في كتابه :
M. J. Mundel, The Arabs and Zionism before World War I (University of California Press, 1976,), p.p 42, 121

(٧٩) مجلة المنار : المجلد الرابع (يناير ١٩٠٢) ص ٨٠١ ــ ٨٠٩ ، والمجلد السابع عشر (١٩١٤) ص ٦٩٧ ــ ٧٠٨

الامتيازات ، وفي الوقت نفسه كتب مُمثل الصهيونية في استانبول الى الحكومة ، مُلَمِّحاً الى قوة اليهود في مصارف أوروبا ، إن تنفيذ القوانين الجديدة قد يُعيق الحصول على قروض لخزينة الدولة . وهكذا قُتلت مشاريع القوانين الجديدة بتأثير الاجانب ، واستمرت الهجرة واستمر استملاك الاراضي بتأثيرهم . وفتح الصهيونيون في يافا في سنة ١٩٠٣ فرعاً للشركة الانكليزية ــ الفلسطينية (وهي بنك متفرع من رأس المال الاستعماري اليهودي المسجل في لندن) ، ثم فتحوا في يافا أيضاً في سنة ١٩٠٨ مكتبا ليشرف على مصالحهم . ولم توافق الحكومة العثمانية في البدء ، ولكن تدخّل السفير البريطاني في استانبول أرغمها على الموافقة. أما المصرف فقد توسع بسرعة فأنشأ له فروعاً في القدس وفي غيرها من البلدان الفلسطينية .

أما المسألة الثانية التي واجهها زعماء العرب في القدس ، مع غيرهم من الزعماء في الولايات العربية ، فكانت أيضا عسيرة الحل . فأكثرهم رغبوا في البقاء ضمن الدولة العثمانية مع شيء من الاستقلال الداخلي ، وأقلّهم رغبوا سراً في الاستقلال التام ، ولكنهم لم يروا بَعْدُ سبيله واضحاً . ولا شيء أدل على المنهجين من الانتماء الى الجمعيات التي كثرت بعد اعلان الدستور ، فأهل المنهج الاول أسسوا في القدس فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي وفرعاً لجمعية الاخاء العربي العثماني . وأهل المنهج الثاني انتسبوا الى جمعيات سرية أسسها بعض طلاب الجامعات أو ضباط الجيش . وظنّ الأوّلون أنهم بلغوا مأربهم باتفاق تمّ بين ممثل الجمعيات العربية(العلنية) ووزير الداخلية في سنة ١٩١٣ . وأهم نصوص هذا الاتفاق : تمثيل العرب في مجلس الوزراء وادارة الولايات ، والتعليم باللغة العربية وقبولها لغة

رسمية في دواوين الحكومة ، وجعل الاوقاف المخصصة لمنافع محلية تحت ادارة محلية(٨٠) . (وجاءت الحرب العامة في السنة التالية ، فأُجّل تنفيذ أهم شروط الاتفاق .)

يظهر من النقطة الاخيرة في الاتفاق أن الشكوى من تدهور الاوقاف كانت عامة ولم تقتصر على طبقة العلماء ، إذ لما ظهرت صحف حُرّة في القدس بعد اعادة العمل بالدستور عالجت الموضوع ، ولعل أوضح ماكتبته كان بقلم محرر مسلم ، انتقد استئثار متولي الوقف بمنافعه خلافاً لنصوص الوقفيات . وقد نشر هذا النقد في السنة التي سبقت الاتفاق مع وزير الداخلية ، وجاء بمناسبة الدعوة لفتح المزيد من المدارس العالية في القدس : « في هذه المدينة من دور الوقف والاراضي مايكفي دخله لإقامة ثلاث كليات ... وكل تلك الاوقاف خُصصت لمثلها . فلِمَ لا نقوم بشروط الواقفين وتتّبع الامانة في تنفيذها ، فنَقسر بعض العائلات التي تعيش بمالها ، وتتربّى على الكسل ، على أن تدفع نصف ما تأخذه لنُنْفقه في ترقية الأمة ؟ »(٨١) .

وكان هذا الاهتمام بموضوع الاوقاف عاماً بعد اعلان الدستور ،ومن أهم مظاهره برقية أرسلها الى الصدر الاعظم في استانبول عدد من أعيان القدس ، منهم اسماعيل الحسني والشيخ راغب الخالدي والشيخ حسام الدين والشيخ محمد طاهر أبو السعود ، وراغب النشاشيبي ، ومحمد يوسف العلمي وخليل الدجاني ، جاء فيها : « ان الدولة وعدت إرجاع الاوقاف الى حالها الاصلي وصرفها (كذا . المقصود صرف رَيْعها) في مصارفها

(٨٠) نص الاتفاقية موجود في المنار (المجلد ١٦ سنة ١٩١٣) ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩ (النص التركي)، ٦٣٩ ـ ٦٤٠ (النص العربي) .

(٨١) صحيفة « المنادي » المقدسية في ١١ حزيران ١٩١٢

الاصلية التي كان شَرَطها الواقفون »[٨٢] وعلّق على إهمال الاوقاف والمباني العامة في القدس ، وقابله بازدهار المصالح الاجنبية فيها ، أحمد عارف الحسيني مفتي غزة وممثلها في المجلس العمومي للمتصرفية (مجلس الشورى سابقاً) ، فقال : « لا أقدر أن أبيِّن ما خامر شعوري من الاسى بعدما تجولت في أكثر شوارع هذا البلد المبارك ورأيت ما فيه من المساجد الخربة والمدارس الداثرة ، مع ماهي عليه من جسامة المؤسسات وفخامة المعاهد الاجنبية »[٨٢] .

هذه كلمة محزون بالغ قائلها بشأن « المساجد الخاربة » ولم يبالغ بشأن « المدارس الداثرة » وجسامة المؤسسات الاجنبية ، كما تبيَّن فيما سبق من البحث . وقوله « الاجنبية » ينصرف الى النصرانية الاوروبية لا اليهودية . وبرهان ذلك ما قاله حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني بعدما زار القدس في سنة ١٩٠٧ ، فبالغ هو أيضا بقوله إنه رأى لكل أمة من الامم موطىء قدم في المدينة الا أمة اليهود ، وان حيَّهم (في المدينة القديمة) كان حقيراً يعيش سكانه على الصدقة ، وان كل المباني الفخمة في المدينة للاجانب وليس منها واحدة لليهود .[٨٣]

لاشك في نمو المصالح الاجنبية الذي استمر منذ انتهاء حرب القرم وفتح المدينة للاجانب . ومن أوضح الامثلة على ذلك ما وُجِد في سنة ١٩١٠ في شارع قصير امام القلعة من مصالحهم ، ابتداءً من أوله في الشمال الى آخره في الجنوب ، : مكتب شركة كوك البريطانية للسياحة، ثم القنصلية الاميركية ، ثم دائرة البريد التابعة لقنصلية النمسا ، ثم كنيسة

(٨٢) صحيفة « فلسطين » في ٣ كانون الثاني ١٩١٤ .

(٨٣) Chaim Weizmann, Trial and Error (Autobiography) (Lonodn, 1949), p. 169

يسوع الانكليكانية ، ثم مدرسة البنين التابعة لجمعية تنصير اليهود البريطانية ، ثم الشركة الانكليزية ـ الفلسطينية (وهي بنك صهيوني أصله مسجل في لندن) ، ثم أملاك دير الأرمن ومدخل حارة اليهود[٨٤] .

وكلمة مفتي غزة لها مغزى آخر ، فقد جاءت على أثر تغيّر مهم في موقف ثراة المسلمين في القدس من المدارس الاجنبية . جاء فيما سبق أن السلطان عبد الحميد حرّم ارسال أبناء المسلمين اليها ، والمشهور ،بحسب شهادة مبشري الانكليز ، أن أمر السلطان قد أطاعه المسلمون ، حتى إن بعض أبنائهم الذين كانوا في المدارس الاجنبية قد تركوها،فظلت مقصورة على أبناء الطوائف النصرانية ، ولم يتغيّر ذلك الا في أوائل القرن العشرين والغالب أن سببه الرغبة في تعلّم اللغات الاجنبية ، فأخذت بعض العائلات الاسلامية ترسل أبناءها الى مدارس الانكليز والفرنسيس .

والمدارس الاجنبية التي اشتهرت في القدس حينئذ كانت مدرسة سانت جورج (عُرفت بمدرسة المطران) تحت اشراف الاسقف (المطران) الأنكليكاني ، والكلية الانكليزية (مدرسة الشبان سابقا) تحت اشراف الجمعية الكنسية التبشيرية (البريطانية) ، وكلية الفرير الفرنسية ،ودار المعلمات في بيت جالا (بقرب القدس) تحت اشراف الجمعية الامبراطورية الروسية ، ومدرسة شنلر الصناعية الالمانية . والمدارس التي أقبل عليها المسلمون كانت مدرسة المطران والكلية الانكليزية وكلية الفرير . ولم يكن بجانب هذه المدارس الاجنبية أو بجانب المدارس العثمانية الرسمية مدرسة أهلية يُعْتَدّ بها غير (روضة المعارف الوطنية) التي أسست في

(٨٤) J. E. Hanauer, Walks About Jerusalem (London, 1910), p. 9

سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م فضاهت الاجنبية في برنامجها وفاقت العثمانية في تعليم اللغة العربية • (أما مدارس اليهود القديمة والحديثة فليست من اختصاص هذا البحث) •

كل ماجاء من التفصيل في الصفحات السابقة يدل دلالة واضحة على التغير المستمر في معالم القدس وسكانها منذ اصدار الخط الهمايوني في سنة ١٨٥٦ • وازدياد هذا التغيُّر ازدياداً ظاهراً في أواخر القرن التاسع عشر وفي السنوات التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى • ومن أبرز مظاهر التغيُّر سلوك المهاجرين من يهود روسيا • وفيما يلي مثلان على ذلك في مدينة القدس فقط دون الاشارة الى مثله في أماكن أخرى في فلسطين • جاءت جماعة من مهاجري اليهود من بُخارى في آسيا الوسطى وسكنت في ضاحية من ضواحي القدس الى الشمال الغربي من باب العامود ، بقرب أراضي مدرسة شْنِلّر الالمانية • وكان البخاريون من رعايا روسيا فتمسكوا بالجنسية الروسية كما تمسك بها اليهود الذين جاؤوا من روسيا في أوروبا للسبب نفسه ، وهو استغلال الامتيازات الاجنبية • ومن مساخر القدر أن يعتدي هؤلاء اليهود على حقوق زوجة القنصل البريطاني السابق جيمس فِنّ في قطعة أرض مجاورة عُرِفَت بِكَرْم الخليل • كان القنصل المذكور لشدة محبته لليهود وحرصه على اسعاف فقرائهم يسمى نصف يهودي ، وقد أنفق مالا على ذلك الكرم حيث شغّل كسالى اليهود ، ولهذا الغرض استدان من مرابي اليهود بفائدة فاحشة أدت الى افلاسه • وقد ورثت زوجته الكرم واستثمرته بواسطة وكيل مقدسي عثماني • وفي خريف سنة ١٩٠٨ منع اليهود البخاريون الوكيلَ من الوصول الى الكرم ببناء حائط حجري على عرض الطريق الوحيدة المؤدية اليه • وعجزت

السلطات العثمانية المحلية عن حماية الوكيل • وهذه التفاصيل واردة في تقرير من القنصل البريطاني استنكر فيه موقف زميله القنصل الروسي « الذي حمى البخاريين من طائلة قانون هذه البلاد »[٨٥] (كان يجدر بهذا القنصل أن يتذكر أنه هو أيضا كان يحمي الرعايا البريطانيين على هذه الصورة) •

هذا مثل على مقابلة الاحسان بالاساءة ، أما المثل التالي فيدل على محاولة استغلال التسامح الاسلامي • تقدّم ذكر اليهودي البريطاني الذي طلب في سنة ١٨٤٠ إذْناً لتبليط « مبكى اليهود » أي الرصيف الواقع أمام حائط البراق (جزء من السور الغربي للحرم الشريف) حيث اعتاد أتقياء اليهود الوقوف للبكاء أو الصلاة • وجاء في الامر الرسمي الذي رفض الطلب هذه العبارة « وأن يحذروا اليهود من رفع الاصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها ، فقط تعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم » • فلما كثُر عددُ اليهود في القدس بعد ١٨٨٢ ، وكثر بينهم الصهيونيون ، والذين كانوا تحت حماية اجنبية ، والذين اتخذوا الدين واسطة للسياسة ، حاول بعضهم تغيير الحالة الراهنة ، فأخذوا يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها ، وستاراً يضعونه بين الرجال والنساء ، فتُسَدّ بذلك طريق سكان البيوت المجاورة على أرض الوقف • وهذا كان خلافاً للعُرْف القديم ودون إذن متولي الوقف • فكتب هذا شكوى الى مفتي القدس والمحكمة الشرعية ودائرة الاوقاف ، فكان الرأي ان ما حاوله اليهود بدعة،قد يتخذونه سبباً لادعاء شيء من الملكية في الرصيف أو الحائط •

(٨٥) دار الوثائق العامة في لندن

Fo/195/2287 : Consul Blech's report (27 October, 1908)

ورفعت الاوراق الى المتصرف فدرسها المجلس العمومي في ١٢ تشرين الثاني من السنة المالية العثمانية ١٣٢٧ (= ١٩١١) وأمر بإبقاء القديم على قدمه ومنع اليهود من تغييره [٨٦] .

ومما يجدر ذكره أن أحد أعضاء المجلس العمومي للمتصرفية حينئذ كان يهـوديأ (وتناوب العضوية ألبرت عَنتابي وداود يَلين) . وكان المجلس حينئذٍ مؤلفاً من ثلاثة ممثلين عن القدس (ممثل واحد لكل من المسلمين والنصارى واليهود) ومن ثلاثة ممثلين عن يافا والرملة وكلهم مسلمون ، ومن أربعة عن غزة وبئر السبع أحدهم نصراني ، ومن ممثلَين مسلِمَين عن الخليل . أما المجلس البلدي لمدينة القدس فكان مؤلفاً من رئيس مسلم وخمسة أعضاء (اثنين من المسلمين وواحد من النصارى وواحد من اليهود العثمانيين) . ومثّل المتصرفية في دورة مجلس النوّاب (المبعوثان) التي سبقت اعلان الحرب في سنة ١٩١٤ : سعيد الحسيني وفيضي العلمي وراغب النشاشيبي (ومثّل سنجق نابلس توفيق حماد وأمين عبد الهادي ، ومثّل سنجق عكا عبد الفتاح السعدي).

– ١٣ –

قد يُعَدُّ نشوب الحرب العامة ودخول الدولة العثمانية فيها ختاما مناسبا لهذا البحث ، لولا ماحدث أثناء تلك الحرب من الحوادث السياسية المهمة التي كان لها أثر عظيم في تاريخ القدس وفلسطين . فخصص هـذا

(٨٦) التفصيل وارد في تقرير لجنة التحقيق الدولية تحت رئاسة وزير خارجية السويد لفغْرن' الذي نشر بالانكليزية في لندن في سنة ١٩٣١ (راجع الملحق ٧ والصفحة ٧٠) . وترجم التقرير الى العربية ونشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت في سنة ١٩٦٨ تحت عنوان « الحق العربي في حائط المبكى في القدس » .

القسم لإجمال تلك الحوادث(٨٧) حتى الحد الفاصل في شهر كانون الاول سنة ١٩١٧ ، عندما أخلى الجيش العثماني مدينة القدس ودخلها الجيش البريطاني ، فانتهى بذلك حكم اسلامي دام ثلاثة عشر قرنا وبدأ حكم أوروبي غيَّر مجرى تاريخ القدس وتاريخ فلسطين تغييراً خطيراً .

بدأت الحرب في أوروبا في آخر تموز سنة ١٩١٤ بين النمسا وألمانيا في جانب ، وروسيا وفرنسا وانكلترا في جانب آخر . ودخلتها الدولة العثمانية بجانب ألمانيا والنمسا في تشرين الثاني ، مع أنها أعلنت النفير العام احتياطا بعد نشوب الحرب حالا ، كما أعلنت أيضا الغاء الامتيازات الاجنبية . ويصف أحد أدباء القدس في مذكراته « مرور الجنود » عند باب الخليل،وتوديع بعض الشبان الذين ذكر منهم توفيق الحسيني وحلمي الحسيني وعلي النشاشيبي ، كما يصف مظاهرة في ساحة الحرم الشريف « للاحتجاج على روسيا وفرنسا وانكلترا والدعاء للدولة وحليفتيها بالنصر »(٨٨) . ولأن الكاتب كان نصرانيا لم يكن مع المصلين داخل المسجد الاقصى فلم يسمع قراءة اعلان الجهاد والدعاء للسلطان وجيوشه بالنصر بعد الخطبة . وكان ذلك الاعلان قد أصدره في استانبول شيخ الاسلام وهيئة العلماء ووقعه السلطان بصفته خليفة المسلمين وأمر بإبلاغه لهم في جميع البلاد التي تحت حكمه وتحت حكم أعدائه(٨٩) .

---

(٨٧) أما التفصيل ففي كتاب لنا باللغة الانكليزية يزيد على خمسمائة صفحة .
Anglo - Arab Relations and the Question of Palestine, 1914-1921 (London, 1977).

(٨٨) كذا أنا يادنيا (مذكرات خليل السكاكيني) نشرتها بعد موته ابنته هالة في القدس سنة ١٩٥٥ . راجع ص ٧٩ (تحت تاريخ ٢٨ أيلول) ، ص ٨٣ (تحت تاريخ ١٨ تشرين الثاني)

(٨٩) لم تنشر الصحف التركية اعلان الجهاد الا بعد أن ردت الدولة العثمانية متأخرة على اعلان روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب عليها . راجع النص التركي لاعلان الجهاد في صحيفة « صباح » الصادرة في ٦ محرم سنة ١٣٣٣ (= ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤).

وخافت بريطانيا من هذا الاعلان وأثره على المسلمين في الهند وفي الامبراطورية البريطانية عامة،فأسرعت بمحاولة اجتذاب العرب الى جانبها، فأصدرت السلطات البريطانية في القاهرة منشورا وجهته الى العرب في شبه الجزيرة وفلسطين وسورية والعراق باسم الحكومة البريطانية ، يردُّ على ماجاء في اعلان الجهاد ، ويؤكّد أن بريطانيا لاتنوي امتلاك أي جزء من البلاد العربية لا بالاحتلال ولا بالحماية ، ويدعو العرب «الشرفاء الاذكياء» أنْ لا يصدّقوا ما قيل في المساجد والصحف من أن بريطانيا هي عدوة الاسلام وتريد احتلال العراق وسورية ، ويدعي المنشور أن بريطانيا مشهورة بالوفاء بالوعد ، وهي تعد العرب ، اذا أعلنوا استقلالهم عن تركيا أن تعترف به هي وحلفاؤها ، وينتهي بهذه العبارة : « أنتم رؤساء العالم الاسلامي •• فاغتنموا الفرصة وثقوا بمساعدة بريطانيا»(٩٠) والملاحظ في هذا المنشور أنه ينص نصاً صريحا على جعل فلسطين من البلاد العربية التي وعدت بريطانيا من تلقاء نفسها أن تعترف باستقلالها • وهذا الوعد جاء قبل الاتفاق بين الشريف حسين بن علي وهنري مكماهون: « نائب ملك بريطانيا » بعشرة أشهر •

يصعب تقدير أثر هذا المنشور وأمثاله التي كان يبثها الاسطول البريطاني على شواطيء البحر الابيض المتوسط وشواطيء البحر الاحمر أثناء الحرب • لكنه يمكن استنتاج خطرها من الاحتياط الذي اتخذه أحمد جمال باشا حالا بعد وصوله الى سورية وفلسطين حاكما عاما وقائدا للجيش الرابع مع صلاحية تشمل الحجاز واليمن ، اذ حذّر الناس

(٩٠) اكتشفنا النص الانكليزي لهذا المنشور في سجلات وزارة الخارجية البريطانية في الملف رقم FO/141/710 وبحثناه في كتابنا المذكور في الهامش رقم (٨٧) أعلاه (ص ٤٢ ـ ٤٣) أما النص العربي فلم تحفظ منه نسخة في هذا الملف ، ولم يستطع موظفو دار الوثائق العامة ايجاده

من تداول هذه المناشير ، ومنع دخول جميع الصحف العربية التي كانت تصدر في مصر بعد أن وضعتها بريطانيا تحت الحماية ، وعطّل الصحف المحلية وأنشأ جريدة « الشرق » لنشر البلاغات الرسمية وأخبار الحرب. وكان ذلك كله عند البدء بإعداد حملة على قناة السويس والقوات البريطانية في مصر .

واستولى جمال باشا على المباني الروسية والفرنسية والبريطانية في القدس لايواء الجنود وخزن الذخائر الحربية . أما بناء المدرسة اللاهوتية الذي أقامه الآباء البيض بجانب كنيسة سانت حنه فقد استعمله جمال باشا لانشاء « كلية صلاح الدين الايوبي » بَعثاً للمدرسة الصلاحية ، ولكنه خلافا للشائع لم يستعمل بناء الكنيسة لهذا الغرض بل سلمه لعثماني من طائفة الكاثوليك وهو ألِكْسيوس عاقل ، وعين للكلية الشيخ عبد العزيز جاويش (المصري) مديراً مع عدد من العلماء والادباء الفلسطينيين والسوريين لتعليم العلوم الاسلامية والعلوم الحديثة باللغتين العربية والتركية ، تقرّبا من العرب الذين كانوا يشكون من التعليم باللغة التركية. وحلّ جمال باشا مشكلة رعايا روسيا من اليهود ، بتوسط القنصلية الاميركية ، حلاً انسانيا ، فخيَّرهم بين اتخاذ الجنسية العثمانية والبقاء ، وبين الاحتفاظ بجنسيتهم الروسية والخروج . فخرج أحد عشر ألفا على سفن أمريكية الى مصر ، معظمهم من الموسرين وأصحاب المهن . أما سكان المستعمرات (نحو عشرة آلاف أو سدس السكان اليهود في فلسطين) فخرج كثيرون منهم أيضا ، والذين قعدوا كانوا من الرعايا العثمانيين أو أصبحوا كذلك بالاختيار . وبعد ذلك دخل عدد من اليهود جنوداً غير محاربين في الجيش العثماني .

قدّم جمال باشا نفسه الى العرب في سورية وفلسطين مُجاهداً في سبيل الله تحت لواء الخلافة العثمانية ، ولكنه أضمر كرهه الشديد لحركة الاستقلال العربي وزعمائها . فلما أخفقت الحملة على مصر اتهم نخبة منهم بالخيانة وساقهم الى محكمة عسكرية عرفية حكمت بالاعدام على عشرة منهم كان أحدهم ، سليم عبد الهادي ، فلسطينيا من جنين ، وذلك في آب سنة ١٩١٥ . وكان هؤلاء من طلاب الاصلاح والادارة اللامركزية ومن أعضاء جمعيات علنية ، أما طلاب الانفصال والاستقلال عن الدولة فكانوا من أعضاء الجمعيات السرية التي لم يستطع جمال باشا كشف سرها . فهؤلاء هم الذين اتصلوا بشريف مكة الامير حسين بن علي ووكلوا اليه قيادة حركتهم ومفاوضة الحكومة البريطانية بالنيابة عن الامة العربية : وليس هذا مكان تفصيل ذلك ، والمهم أن دراسة الوثائق البريطانية التي ظلت سرية حتى السنوات الاخيرة أثبتت أن فلسطين وفيها القدس كانت كما جاء في المنشور البريطاني المذكور أعلاه من البلاد العربية التي وعدت بريطانيا الاعتراف باستقلالها[٩١] .

رحّب الانكليز بالشريف وخاطبوه بأفخم الالقاب ، ولكنهم موّهوا أجوبتهم وراوغوا . أما هو فظلّ أثناء مكاتبتهم يخشى أن يكتشف جمال باشا صلته بالعدو واستعداده للثورة بمساعدة هذا العدو . وقد أحزنه لا بل أرعبه عودة جمال باشا لاتهام زمرة أخرى من زعماء سورية وفلسطين أمام محكمة عسكرية حكمت بشنق واحد وعشرين منهم في ٦ أيار سنة ١٩١٦ ، وكان بينهم ثلاثة من الفلسطينيين وهم القانوني سيف الدين

(٩١) راجع الفصل الثالث (ص ٦٤ـ١٠٠) من كتابنا « العلاقات البريطانية العربية ومسألة فلسطين ١٩١٤ـ١٩٢١ » مع الاهتمام بالصفحات الآتية : ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٣٨ ، ١٥٧، ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٤١٤ ، ٤٦١ . وراجع ملخص البراهين على الصفحات ٤٦٤ـ٤٦٦

الخطيب (حيفا) والتاجر محمد الشنطي (يافا) والضابط علي النشاشيبي (القدس) • وقد ردّ جمال باشا شفاعة الشريف بهم بغلظة فيها تهديد مقنّع ، فكان ذلك من أسباب الاسراع باعلان الثورة العربية،أي بعد شهر تماما من اعدام الزعماء العرب • وقد نجحت الثورة باستيلاء الشريف وأولاده على مكة وجدة وغيرهما ومحاصرة المدينة •

واستغلّ الانكليز اسم الشريف في دعايتهم واستفادوا من جيش الثورة عندما أصبح مَيْمَنَة في شرق الاردن للجيش البريطاني في غربه عند الزحف على فلسطين • ولكنهم لم يَفُوا بما وعدوا في منشورهم الاول ولا بما جاء بعده من الوعود ، فأرادوا جعل العراق من ملحقات امبراطوريتهم في الهند ، واقتسموا مع فرنسا سورية وفلسطين دون علم الشريف ، ووعدوا اليهود وطناً قومياً في فلسطين حتى قبل أن يحتلوها • وحدث ذلك بعد أيام من شنق الزعماء في سبيل استقلال بلادهم ، ومن اعلان الثورة العربية للغرض نفسه • ففي شهر أيار سنة ١٩١٦ ،عُقدت معاهدة سايكس ــ بيكو بين بريطانيا وفرنسا وحدّدت نصوصها مناطق الحكم المباشر وغير المباشر لكل من الدولتين في العراق وسورية وفلسطين، وجعل جزء من هذه مع القدس منطقة دولية يُعَيَّن شكلها بعد استشارة الشريف ، لكن الانكليز حلفاءه لم يستشيروه ، بل كتموا المعاهدة عنه ، وذهبوا في الكتمان الى حد الكذب عندما أخبروا الشريف جوابا على سؤاله أن المعاهدة لا وجود لها[٩٢] •

ومع هذا استمر الانكليز يستغلون اسم الشريف أدبيّاً ، ويستفيدون من الجيش العربي تحت قيادة فيصل حربيا • واستمرت الدعاية البريطانية

(٩٢) دار الوثائق العامة في لندن : الوثيقة رقم ١٠٣٣٧٩ وملحقاتها في الملف Fo/370/3380

تحرّض الضباط والجنود العرب في الجيش التركي على الفرار والالتحاق بالجيش العربي « لتحرير العرب من الترك ... واعادة تأسيس الدولة العربية كما كانت في عهد أجدادكم . » وأسقطت الطيارات البريطانية على العرب المدنيين في المدن والقرى ومضارب البدو في جنوب فلسطين كثيرا من المناشير ومعها نداء بتوقيع الشريف وختمه ، وبعض التقارير التي كتبها الطيّارون يذكر بوضوح نجاح الدعوة الى استقلال العرب في جهات غزة وبئر السبع . قال أحدهم : « لقد حيانا العرب ... ولوّحوا لنا بقماش أبيض »(٩٣) . وكان من المخاطرين الذين لبّوا النداء أحمد عارف الحسيني ، مفتي غزة ، وعضو المجلس العمومي في متصرفية القدس ، ومبعوثها الى المجلس النيابي في استانبول . فقد سار مع ابنه الضابط مصطفى عبر الصحراء لملاقاة الجيش العربي . فاعتقلهما كشافة من الجيش التركي وأرسلتهما الى القدس حيث حكم عليهما بالاعدام : الاب شنقا وابنه رمياً بالرصاص . وكان ذلك في شهر آذار سنة ١٩١٧ .

وهذه السنة كانت شؤماً على فلسطين ، ففيها وعدت الحكومة البريطانية أن تبذل جهدها لتسهيل تأسيس وطن قومي لليهود في تلك البلاد ، أي أنها وعدت تأسيس وطن لقوم متفرقين في أنحاء العالم بداخل وطن قومٍ آخرين دون علمهم أو استشارتهم . فكان الوعد بمثابة حكم غيابي على العرب في فلسطين أصدرته حكومة لم يكن لها حينئذ حق السيادة على فلسطين أو على الاقل حق الاحتلال ، اذ في يوم الاربعاء الحادي والثلاثين من شهر تشرين الاول ، عندما وافقت وزارة الحرب

(٩٣) تقارير الطيارين المحفوظة في دار الوثائق العامة في لندن في الملف AIR/1/2285/209/75/4

البريطانية على نص الوعد(٩٤)،كان جيشها على أبواب فلسطين الى الجنوب من غزة،يحتل قطعة ضـيقة من السهل الساحلي طولها سبعة عشر ميـلا وعرضها سبعة أميال ، تشتمل على بلدة خان يونس وقرى رفـح وبني سُهَيْلة وعَبَسان ودير البلح ، وفيها بضعة آلاف من السكان العرب ولا أحد من اليهود • (أمضى وزير الخارجية البريطانية آرثر جيمس بلفور نصّ الوعد يوم الجمعةفيالثانيمن تشرين الثاني وأرسله الى الصهيونيين)•

وفسَّر بلفور معنى الوعد في الاجتماع المذكـور فقال انه لا يعني تأسيس دولة يهودية حالا ، فهذا يتوقف على التطور السياسي التدريجي • وهذا ينطبق على ما أراده الصهيونيون ، وهذا ما فهمه العرب ،خاصتهم وعامتهم ، منذ البدء • وهذا ما فهمته صحيفة التايمس عندما نشرت نصّ الوعد تحت عنوان « فلسـطين لليهود »(٩٥) ومعناه أن الاقلية اليهودية ستنمو وان الاكثرية العربية ستتقلص حتى يصبح الغريب صاحب البلاد، ويُقْهَر هذا على أمره اما بالرضوخ لحكم أجنبي أو بالجلاء والإجلاء •

وقد تجاهلت الحكومة البريطانية تحذير المسلمين لها قبل اصدار الوعد بخمسة أشهر ، اذ عقد زعماؤهم اجتماعا عاماً في لندن حضره بعض أنصارهم من الانكليز ، وألقى الخطاب الرئيس عن مكانـة فلسطين في الاسلام مترجم القرآن الى اللغـة الانكليزية مَرْمَدِيوك بِكْثال ، وأُرسل بيان مطول الى الحكومة تدل السجلات الرسمية ان بلفور قد رآه • ولكنه مضى في عناده ، بل أصدر أمرا الى السلطات البريطانية في

(٩٤) دار الوثائق العامة في لندن ــ وقائع جلسات وزارة الحرب في الملف :
CAB/23/4, No. 261, Minute 12 :

(٩٥) راجع النص في صحيفة التايمس :
The Times (9 November, 1917) p. 7, col. 4

القاهرة أن تمنع الصحف العربية من معارضة الوعد ، لهذا نشرت نصه جريدة المقطم دون تعليق • ولكن أحد محرريها فارس نمر اشترك مع فوزي البكري ورفيق العظم والفلسطيني سليمان ناصيف في ارسال برقية احتجاج الى بلفور منعت الرقابة ارسالها رأساً • فقال الاربعة أن فلسطين في سورية كالقلب في الجسم ، وإن مكانتها عند المسلمين والنصارى لا تقل عن مكانتها عند اليهود وإنه ليس من العدل أن يفضّل اليهود على العرب من المسلمين والنصارى(٩٦) •

واحتج المسلمون في لندن مرة أخرى وأعربوا هذه المرة عن خوفهم على المسجد الاقصى • وكتب القانوني المؤرخ سيد أمير علي الى وزارة الخارجية مبيّنا أهمية فلسطين والقدس عند المسلمين وخطر وضعهما تحت حكم اليهود • واحتج في الوقت نفسه على وصف زحف الجيش البريطاني في فلسطين نحو القدس كأنه حرب صليبية(٩٧) فكيف يصح ذلك مع وجود عشرات الآلاف من الجنود الهنود المسلمين في الجيش البريطاني؟ (وكان بامكان السيد أمير علي أن يقول أيضا إن ميمنة الجيش البريطاني كانت مكونة من الجيش العربي تحت قيادة الامير فيصل ابن شريف مكة،والغالب أن سبب عدم ذكر ذلك هو معارضة مسلمي الهند للثورة العربية التي كانت في نظرهم مضرة بالوحدة الاسلامية تحت راية الخلافةالعثمانية)•

وهذا يشبه ما كتبه جمال باشا في مذكراته بعد خمس سنوات ، اذ قال ان إخفاق حملته على مصر كان سببه « خيانة » الشريف ، وان الانكليز لم يجسروا على عبور قناة السويس والزحف على فلسطين الا بعد أن اتفقوا

---

(٩٦) دار الوثائق العامة في لندن ـ الملف رقم Fo/114/654, p. 312-313

(٩٧) راجع المقالة الافتتاحية في صحيفة التايمس :
The Times (11 December, 1917), p. 7, col. 6:

معه(٩٨) . ومعنى ذلك أن الانكليز أمّنوا بذلك الاتفاق صداقة العرب في فلسطين فسهّلت هذه الصداقة تغلغلهم فيها . وعندما اقترب الانكليز من القدس أعاد جمال باشا اتهامه للشريف بالخيانة ، بل حمّله مسؤولية خسارة المدينة التي خلّصها صلاح الدين للاسلام من أيدي الصليبيين.

ومع هذا فقد دافع الجيش العثماني عن القدس دفاع الابطال ،رغما عن قلةٍ في العدد والعُدَد بالنسبة الى الجيش الانكليزي.ولكن الحكومة العثمانية رأت احتراما لقداسة المدينة أن لاتعرضها لأخطار الحرب ، ففي اليوم الثامن من كانون الاول سنة١٩١٧دعا المتصرف عزت بك كلاً من المفتي كامل الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم الحسيني الى مكتبه وبلّغهما أن الجيش العثماني سينسحب من المدينة وانه هو سيغادرها حالا ، ثم سلّم رئيس البلدية كتابا باللغة التركية موجها الى قيادة الجيش الانكليزي هذه ترجمته :

« الى القيادة الانكليزية . في اليومين الاخيرين سقطت القنابل على القدس الشريف ، المدينة المقدسة عند كل ملّة . ولما كانت الحكومة العثمانية حريصة على حماية الاماكن المقدسة فيها من الخراب ، فقد أمرت سحب عسكرها من المدينة،وعيّنت موظفين للمحافظة على الاماكن الدينية ككنيسة القيامة والمسجد الأقصى . ولما كنت آمل أن تتبعوا أنتم هذه الخطة أيضا ، فاني مرسل لكم هذا الكتاب مع وكيل رئيس البلدية حسين بك الحسيني »(٩٩) .

---

(٩٨) راجع الترجمة الانكليزية للمذكرات :
Memoirs of a Turkish Statesmen (London, 1922), p. 139 168, 169:

(٩٩) النص التركي وارد في تاريخ القدس لعارف العارف : ص ٣٨٣

وتمّ انسحاب الجيش العثماني من القدس في الصباح الباكر من اليوم التاسع من كانون الاول . فخرج بعدها رئيس البلدية الذي كان يتكلم الانكليزية ، ومعه مدير الشرطة وبعض الموظفين ومعهم علم أبيض ، الى ظاهر المدينة في الغرب . وهناك سلّم رئيس البلدية كتاب المتصرف الى الجنرال سير جون شي Sir John Shea ، فلما علم القائد العام السر ادموند أللّنبي أن المدينة قد سلّمت أمر أن لا يدخلها جندي بل يقف الحرس على أبوابها الى أن يدخلها هو في الحادي عشر من الشهر . واشتمل موكبه على ممثلي الدول المتحالفة ولكن لم يكن فيه ممثل للعرب . والسبب في ذلك معارضة المندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي ذكر سببا سخيفا لذلك وهو أن وجود فيصل أو ممثل آخر للشريف قد يُفهم منه أن الحكومة البريطانية توافق على تقلده خلافة المسلمين !

دخل أللنبي راجلا من باب الخليل ، ومشى مع حاشيته الى درج الباب الشرقي للقلعة حيث كان في استقباله رئيس البلدية ورؤساء الطوائف المختلفة في المدينة . وهنا قُرِىءَ بأمره منشور وضعته وزارة الحرب في لندن ، فسمعه أهل المدينة بالعربية والعبرية واليونانية ، ثم عُلّق في أماكن مختلفة في المدينة . وقُرىء المنشور أيضا بالانكليزية والفرنسية والايطالية والروسية . والترجمة العربية قليلة الدقة مضطربة التركيب، ومن اسباب ذلك صعوبة الاصل الانكليزي وكثرة ما فيه من الصفات التي قد يفهمها النصراني في تلك اللغة ، لكن يصعب فهمها بعد ترجمتها ترجمة حرفية الى اللغة العربية . وفي المنشور فقرتان رئيسيتان ، الاولى تُعلِن الحكم العرفي العسكري ، والثانية تُبقي القديم على قدمه في الاماكن المقدسة . وهو موجه « الى سكان القدس المباركة والذين يقطنون

بجوارها » • وفيما يلي ترجمة الفقرة الثانية :

« بما أن أتباع الديانات الثلاث الكبرى يحترمون مدينتكم ويحبونها، وبما أن تربتها قد قُدِّست بصلوات وزيارات الثقات من أتباع تلك الديانات الثلاث على مرّ القرون — أُعلن لكم أن كل بناء مقدس فيها ، وكل بقعة مقدسة ، وكل مزار ، وكل أثر قديم ، وكل وقف خيري ، وكل مكان اعتاد اتباع تلك الديانات الصلاة فيه ، سيحافظ عليه وسَيُحْمى ، بحسب عقائد وعادات الذين يعتقدون قداسته »[١٠٠] •

بهذا ينتهي البحث ، أي عند آخر سنة ١٩١٧ • وقد فصلنا حوادث السنوات التالية في القدس وفلسطين بكتب ورسائل باللغة الانكليزية ذُكر بعضها في هوامش هذا البحث ، وأهمها : (١) العلاقات البريطانية العربية ومسألة فلسطين (٥٢٣ صفحة) ؛ تاريخ سورية الحديث المشتمل أيضا على تاريخ لبنان وفلسطين (٤٤١ صفحة) ؛ (٣) الاوقاف الاسلامية في القدس : أصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها ؛ (٤)الرسالة القدسية للامام الغزالي (مع شرح ومقدمة) ؛ الغزالي في القدس ودمشق (مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) •

في أول رمضان ١٣٩٩

٢٤ تموز ١٩٧٩ **عبد اللطيف الطيباوي**

---

(١٠٠) وصف النبي دخوله المدينة والاحتفال بقراءة المنشور بحضوره في برقية أرسلها في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه • راجع الملف FO/371/3061, paper 236700

ملحـــــق

هل كان اليهود أكثرية سكان القدس قبل سنة ١٩١٤ ؟

بعد أن احتلت اسرائيل مدينة القدس العربية في سنة ١٩٦٧ أخذت الدعاية الصهيونية تزعم أن أكثرية سكان القدس من أواسط القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الاولى كانت من اليهود • فما هي الحقيقة ؟ يرى كل مَن قرأ ما سبق من هذا البحث فساد هذا الزعم اجمالا وهذا الملحق هو لاثباته تفصيلاً • بيّنا أن الصليبيين أفنوا جميع مَنْ كان فيها مـــن اليهود ، فلما خلّصها صلاح الدين سمح لأقلية من نصارى الشرق وأقلية أقل منها من اليهود أن تقيم في المدينة مع أكثرية ساحقة من المسلمين • ثم بيّنا أن الكتب التي تذكر عدد سكانها يناقض بعضها بعضاً لأن مافيها من الارقام قائم على الحدْس والتخمين لا اليقين والتحقيق • وأخيرا نقلنـــا ملاحظة عالم بريطاني من جامعة كامبردج أقام في القدس ونشر عنها كتابا في سنة ١٨٤٢ ، وهي أنه يصعب التوفيق بين ما تذكره المصادر المختلفة عن عدد السكان ، لأن الحكومة العثمانية لم تُحصهم احصاءاً رسميا ، وقلنا إن هذه الملاحظةظلت مطابقة للواقع حتى سنة ١٩٢٢ ، عنـــدما تمّ أول احصاء رسمي في تاريخ فلسطين الحديث ، تحت ادارة حكومة الانتداب البريطاني • ونتائج هذا الاحصاء التي نلخصها فيما يلي تفضح سُخف كل ما سبق من تخمين ومبالغة واختلاق •

أما أسباب التضارب في التخمين ، والمبالغة في التقدير ، والجرأة في الاختلاق فكثيرة نذكر منها : اعتماد بعض الكتاب على أقوال جهلاء لم يكن بوسعهم معرفة حقيقة الامور في احصاء عدد السكان ، وسذاجة بعض

مبشري البروتستانت الانكليز الذين كانوا يحاولون تنصير اليهود فاعتبروا وصول أي عدد منهم الى القدس دليلا على صدق النبوة ، ونشر أرقام في دليل مشهور مستمدة من يهودي من سكان القدس دون المقابلة مع المصادر النصرانية والاسلامية ، ونقل اللاحق من الكتّاب عن السابق دون نظر أو تحقيق . وهذه بعض الامثلة على ذلك :

(١) في سنة ١٨٥٨ زعم قنصل بريطاني اشتهر بحب اليهود أن عددهم في القدس كان حينئذ ٨٫٠٠٠ نسمة ، أو على زعمه نصف عدد السكان (والنصف الآخر قسّمه بالتساوي بين المسلمين والنصارى) . وهذا الكلام هو عن المدينة القديمة داخل الاسوار ، لان المدينة الجديدة خارجها لم تكن بعد موجودة . (كيف حشر هذا القنصل نصف السكان في ثُمْن مساحة المدينة أي الحي اليهودي ؟) .

(٢) في سنة ١٨٧٦ صدرت الطبعة الاولى من دليل بَدِكَر ، فقدّرت مجموع سكان القدس بنحو ٢٤٫٠٠٠ نسمة (أي ٤٫٠٠٠ من اليهود و ٧٫٠٠٠ من النصارى و ١٣٫٠٠٠ من المسلمين) . فاذا قيس هذا التقدير على ما زعمه القنصل ظهر أن عدد اليهود قد انخسف الى نصف ما كان عليه قبل ثماني عشرة سنة ، وتضاعف عدد المسلمين أكثر من ثلاث مرات في المدة نفسها . فهل هذا يُصَدّق ؟

(٣) في سنة ١٨٩٨ صدرت طبعة جديدة من الدليل المذكور اشترك في إعدادها يهودي من سكان القدس ، فنسي ما جاء في الطبعة الاولى وزعم أن سكان المدينة كانوا ٤١٫٠٠٠ نسمة من اليهود ، و ١٢٫٠٠٠ من النصارى ، و ٧٫٠٠٠ من المسلمين . ومعنى هذا الزعم أن عدد اليهود قد تضاعف عشر مرات منذ الطبعة الاولى وأن عدد النصارى أصبح ضعف

ماكان عليه تقريبا ، ونقص عـدد المسلمين الى نصف ما كان عليه . فهل هذا يُصَدَّق ؟

(٤) في سنة ١٩٠٥ أصدر مبشر بروتستانتي (أصله يهودي متنصّر) كتابا في صـورة دليل زعم فيه أن عدد اليهود في القـدس قد ازداد من ٨٫٠٠٠ في سنة ١٨٤٦ الى ٦٤٫٠٠٠ في سنة اصدار الكتاب . ولم يذكر برهاناً على ذلك سوى ما رآه هو من صدق النبوة !

(٥) في سنة ١٩٠٧ قدَّر قنصل بريطاني آخر مجموع سكان القدس بنحو ٨٠٫٠٠٠ وزعم أن عدد اليهود بينهم كان ٥٥٫٠٠٠ (أي أن عددهم نقص من ٦٤ ألف الى ٥٥ ألف في سنتين !)

من الواضح أن الارقام المذكورة في المصادر السابقة يلعن بعضهـا بعضا ، وأنها كلها صدرت عن جهْل أو سُخْف أو غَرَض . وهذا هو البرهان : أصدرت السلطات البريطانية في آخر سنة ١٩١٨ تقديرا رسميا لعدد اليهود في جميع فلسطين فكان ٥٥٫٠٠٠ نسمة (فكيف كان عددهم أيضا ٥٥٫٠٠٠ في القدس وحدها قبل احدى عشرة سنة ؟)

وأصدرت السلطات البريطانية أرقاماً خاصة بهجرة اليهود الىفلسطين تطبيقا لسياسة وعد بلفور ، فيما يلي خلاصتها نقلا عن تقرير لجنة شُو الرسمي (صفحة ١٠١) :

عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين :

من شهر كانون الثاني (يناير) الى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩	١٫٦٤٣
من شهر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٩ الى شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٢١	١٥٫٠٧٩
من شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢١ الى شهر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢١	٤٫٧٨٤
سنة ١٩٢٢	٧٫٨٤٤
المجمـــوع	٢٩٫٣٥٠

وفيما يلي نتائج الاحصاء الرسمي الاول الذي تمّ في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ :

سكان فلسطين

المسلمون	٥٩٠٫٨٩٠
النصارى	٧٣٫٥٢٤
اليهـود	٨٣٫٧٩٤

سكان القدس

	المسلمون	النصارى	اليهود
المدينة القديمة	٩٫٣٤٥	٧٫٢٦٢	٥٫٦٣٠
المدينة الجديدة	٤٫٦٦٨	٧٫٤٣٧	٢٨٫٣٣٢
المجمـــوع	١٤٫٠١٣	١٤٫٦٩٩	٣٣٫٩٦٢

مجموع سكان المدينة ٦٢٫٦٧٤

مجموع المسلمين والنصارى ٢٨٫٧١٢

تدل هذه الارقام دلالة واضحة على استحالة كون اليهود أكثرية في المدينة القديمة في أي وقت من الاوقات ، ولا تدل أكثرية خمسة آلاف في المدينتين القديمة والجديدة معا في سنة ١٩٢٢ على اكثرية يهودية قبل تلك السنة للاسباب الآتية : (١) وجوب اسقاط حصة القدس من هجرة فوق العادة بلغت ٢٩ ألفا بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٢ ؛ (٢) وجوب اسقاط آلاف من من اليهود الذين أقاموا في ضواحي القدس قبل سنة ١٩١٤ وتمسكوا بجنسياتهم الاجنبية وحمتهم الامتيازات الاجنبية من دفع الضرائب لكن حرمهم القانون العثماني من أن يَنْتَخِبوا أو يُنْتَخَبوا، لانهم لم يكونوا من سكان المدينة قبل توسيع حدود بلديتها وقبل اكتسابهم الجنسية الفلسطينية في العهد البريطاني ؛ (٣) لم يدَّعِ اليهود لا في أواخر العهد العثماني ولا في أوائل العهد البريطاني أنهم شكلوا أكثرية المدينة ، بل قبلوا بالوضع الراهن الذي دلَّ على أكثرية اسلامية ؛ فالمجلس البلدي كان مكونا من أكثرية من المسلمين ورئيسه مسلم . وكل المجلس في أوائل العهد البريطاني مكوَّن من أربعة أعضاء من العرب (المسلمين والنصارى) وعضوين من اليهود ، والرئيس عينته الحكومة من الاعضاء المسلمين في العهد البريطاني كما كان العُرْف في العهد العثماني . والاعضاء كلهم كانوا مُنْتَخَبين وعددهم يدل على نسبة السكان ضمن حدود البلدية . (وكان آخر عضو منتخب عيِّن رئيسا الدكتور حسين فخري الخالدي وكان بالاضافة الى رئاسة بلدية القدس رئيس حزب سياسي وعضواً في الهيئة العربية العليا . فلما نفت الحكومةُ أعضاءها لأسباب سياسية عيَّنت القاضي مصطفى الخالدي رئيسا للمجلس البلدي ، ولما توفي واختلف الاعضاء العرب مع الاعضاء

اليهود عينت مجلساً جديداً رئيسه وأعضاؤه من الموظفين البريطانيين)٠

يرى القارىء بعد حساب هذه العوامل الثلاثة سخف ما نُشِر قبل سنة ١٩٢٢ من تقدير وتخمين واختلاق ٠ فاذا كان عدد اليهود في القدس قد بلغ في تلك السنة ٣٤ ألفاً فكيف أمكن أن يكون ٤١ ألفاً في سنة ١٨٩٨، أو ٦٤ ألفاً في سـنة ١٩٠٥ ، أو ٥٥ ألفاً في سنة ١٩٠٧ ؟ واذا كان عـدد اليهود في جميع فلسطين قد بلغ في سنة ١٩٢٢ نحو ٨٣ ألفاً فكيف ادعى الصهيوني اليهودي البريطاني هربرت صموئيل في مذكرة قدمها الى الوزارة البريطانية في سنة ١٩١٤ أن عددهم كان حينئذ مئة ألف ؟ وكيف ادعـى الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن في سنة ١٩١١ أن عددهم كان مئة وخمسة وعشرين ألفاً ؟ لم يصحح الثاني زعمه ، أما الاول فاضطر الى ذلك عندما أصبح في سنة ١٩٢٠ المندوب السامي البريطاني في القدس فكتب في أول تقرير سنوي أن عدد اليهود ، بعد هجرة كثيرين منهم في السنتين السابقتين، لم يزد على عُشْر السكان وهو سبعون ألفاً ٠

عبد اللطيف الطيباوي

يرجى تصحيح الأخطاء التي وردت في القسم الأول من هذا المقال (القدس الشريف) المنشور في ج ٤ مج ٥٤ :

		الخطأ	الصواب
ص ٧٥٥	س ٥	ونبيك	وبنيك
ص ٧٥٨	س ٣	وقبلها	وقبلما
ص ٧٥٦	(الهامش)	pilgrim's	Pilgrims'
ص ٧٧٠	« ٢	كليس	كَليسًا
ص ٧٧٠	« ١٩	كما	كما قال
ص ٧٧٤	« ٩	فإيها	فأيتُها
ص ٧٧٥	(الهامش)	العنع	الضَّبع
ص ٧٧٧	س ٣	مايلاً	ماملاً
ص ٧٩٢	س ١٢	تصرف	منصرف
ص ٨٠٢	« ١١ـ١٢	لايعرف مصيره الآن	هو الآن في المتحف البريطاني
ص ٨١٢	« ١٣	فتفيوري	منتفيوري
ص ٨١٤	« ٧	سكانه	سكانها

التّضمين

الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

التضمين على ماورد في كتب اللغة ، إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه . فاذا كان اللفظ فعلا تصرّف في اللزوم والتعدّي تصرف الفعل الذي أُشرِب معناه . فقد يكون الفعل لازما فيتعدّى بالتضمين ، أو يكون متعدياً فيلزم . أو يستمر لازماً فيعدل به عن حرفه الى حرف آخر ...

قال الزمخشري كما جاء في الاشباه والنظائر للسيوطي (١٠١/١): (ومن شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله ، مع ارادة معنى المتضمن) . وقال ابن هشام في المغني (١٨٥/٢) : (وقد يشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ، ويسمّون ذلك تضميناً) . وفي الكليات (١٠٨) : (هو إشراب معنى فعل لفعل ، ليعامل معاملته) .

وقد شُرع التضمين لغرض تعبيري وفائدة معنوية . قال الزمخشري (والغرض من التضمين اعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من اعطاء

معنى) • وقال ابن هشام (وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين) •وفي الكليات (وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان قصداً وتبعاً) • وقد نص الأشموني على هذا في حاشيته • والذي يعنيه ذلك عند النحاة كابن هشام أنه اذا كان مقتضى التضمين اكساب الفعل الاول ، حكم الفعل المقدّر من حيث التعدية واللزوم ، فليس مؤدّاه أن يُجرّد الفعل الاول من معناه ليكسب معنى جديدا ، وانما القصد أن يجمع هذا الفعل بالتضمين بين دلالتين ، دلالته الاولى ، ودلالة الفعل الذي أشرب معناه • وكل فعل عُدّي غير تعديته ولم يستوف هذه الفائدة أو يصب هذا الغرض في جمع دلالتين وضمّ معنيين ، امتنع حمله على التضمين في الاصل • وكان التصرف فيه والعدول به عن حاله الاولى ، تحكماً لاوجه له ، بل خطأ لايسعه تأويل أو يحتمله تخريج ، الا أن يُحمل على وجه من المجاز بقرينة مانعة من إرادة ما وضع له •

والذي يعنيه التضمين عند الزمخشري دلالته على معنيين أيضا ، المعنى الوضعي للفعل المذكور ، أما المعنى الآخر فيأتي من لفظ محذوف كالحال تؤخذ من الفعل الآخر بقرينة لفظية ، كذلك قال البيانيون •

فاذا ثبت هذا وكان الامر جاريا هذا المجرى ، واشترط المحققون أن يقوم في التضمين معنيان وان يكون بين هذين جانب من مناسبة ، فانه ينبغي أن يكون بينهما وجه من مغايرة • وانتفى على هذا أن يضمّن الفعل معنى فعل هو في معناه ، أو في معنى كمعناه • والا فما حاجتك أن تضمّن (استند) معنى (اعتمد) وتقول (استندت عليه) بدلا من (استندت اليه) • أو تعكس فتقول (اعتمدت اليه) عوض (اعتمدت عليه) • بل أي داعٍ تعبيري يقتادك الى هذا ويغريك به ؟ انك ان أجزته

وطبّعْت على غراره ، فاتك غرض التضمين وعدمت قصده وفائدته ، بل تجاوزت شرطه فأوغلت في العبث فأتيت على حدود التعدية في الافعال ، وهو ما لا يؤنس به أو يسكن اليه أو يُساغ بحال •

ونظير هذا أن تقول (حزت على الشيء) حملا على (حصلت عليه) بدلا من (حزته) ، و (ظلمت عليه) حملا على (جرت عليه) بدلا من ظلمته ، ولو أن الاصل في الجور الميل ، ، أو تقول (نلت بالشيء) حملا على (فزت به) بدلا من (نلته) • وكله غريب غير سائغ ولا مستقيم•

ونحو من هذا أيضا إقرار الشيخ مصطفى الغلاييني (قبل به) حملا على (رضي به) ، والاصل (قبله) • فاذا كان القبول يفيد معنى الرضا، كما يفيد الرضا معنى القبول ، فأي غرض نبتغيه من تضمين (قبل)معنى (رضي) ؟ قال ابن القوطية (ورضيت الامر والشاهد رضا قبلتهما)•وقال ابن الاثير في النهاية (القبول بفتح القاف المحبة والرضا بالشيء وميل النفس اليه)•

واحتجّ الاستاذ الغلاييني لصحة (قبل به) حملا على (رضي به) فقال : (ألا ترى أن ـ أخذ ـ لمّا ضمّنوها معنى ـ رضي ـ عدّوها بالباء فقالوا : أخذ برأي فلان أي رضي به)• أقول اذا صح هذا التضمين فإن (أخذ) مغاير في معناه لِ (رضي) • فاذا أنت ضمّنت ذاك معنى هذا، فانك تجيز ما أجازوه • وليس كذلك تضمين (قبل) معنى (رضي) لان قبل تعني ما أردته من رضي ، كما رأيت •

وعندي أن (أخذت به) كـ (أمسكت به) فالاصل أن تقول (أخذته) و (أمسكته) • فاذا أدخلت الباء على مفعولهما فقد عنيت أن

الفعل قد جرى بمباشرتك وأكدت تعلقك به • ففي المصباح : (مسكت بالشيء مسكاً وتمسَّكت واستمسكت به بمعنى أخذت به وتعلَّقت واعتصمت) • وجاء في الهمع (٢/٢٠) : (قال أبو حيان قال أصحابنا الباء نوعان أحدهما التي لا يصل الفعل الى المفعول الا بها ، نحو سطوت بعمرو ومررت بزيد ••• والآخر الباء التي تدخل على المفعول المنتصب بفعله اذا كانت تفيد مباشرة الفعل للمفعول نحو أمسكت بزيد ، الاصل أمسكت زيداً فأدخلوا الباء ليُعلموا أن إمساكك كان مباشرة منك له ، بخلاف نحو أمسكت زيداً دون الباء فانه يُطلق على المنع من التصرف بوجه ما ، من غير مباشرة) •

واذا كان (أخذت به) يعني مباشرتك الشيء وتعلقك به ، فقولك (أخذت بالرأي وبالمذهب) مجازاً يفيد اعتناقك اياه اعتناقاً يجيئك أن تتبعه وتحكم به ، وكذلك أمسكت به • قال ابن منظور (ومسك بالشيء وأمسك به ومسَّك ••• ومعنى قوله : والذين يمسّكون بالكتاب أي يؤمنون به ويحكمون بما فيه)[١] • وانظر الى قوله تعالى : (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوَّة وأْمر قومك يأخذوا بأحسنها[٢]) أوَليس فيها أمرٌ بالعمل بما كتب الله واتباعه • قال الامام البيضاوي (أي بأحسن مافيها كالصبر والعفو ••• على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى : واتبعوا أحسن ما أُنزِل اليكم من ربكم) •

هذا والأئمة لم تُجمع على قياس التضمين ، كما اختلف فيه أعضاء

---

(١) الاعراف / ١٦٩ •
(٢) الاعراف / ١٤٤ •

مجمع اللغة العربية القاهري حين بحثوه قبل إقراره • وقد فزع بعضهم الى القول بسماعه خشية أن يتسمّح به الكتاب فيخفى عليهم وجهه ويستبهم حدُّه فيقع به الخللُ في تصرّف الافعال وتعديتها • قال الشيخ أحمد الاسكندري عضو المجمع القاهري ، فيما دار حول التضمين: (رجعتُ الى أقوال العلماء بعد المناقشة التي دارت أمسِ ، فوجدت أن القائلين بسماعية التضمين انما يخشون أن يحدث في اللغة فساد واضطراب في معاني الافعال اذا أباحوه للناس . مع أنهم يسلّمون أن ماورد من التضمين كثير يجمع في مئين أوراقا) •

فمن الأئمة من أقر قياس التضمين ومنهم من منعه • وممن أقرّه علماء البيان اذ رأوا في التضمين ضربا من ضروب التوسع بحذف لفظ كالحال • فالفعل المضمَّن قد دلّ على معناه الحقيقي ، وأتت حال من الفعل الملحوظ دلت عليها القرينة فحذفت • وحذفُ العامل بدليل ، قياس لا شبهة فيه •

فقد جاء في كتاب الفروق لاسماعيل الحقي (١٠٩) : (والتضمين أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ، ويلاحظ معه معنى آخر يناسبه • ويُدَل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر ، كقولك : أحمد إليك فلاناً ، فانك لاحظت مع الحمد معنى الانهاء ودللت عليه بذكر صلته ، أي كلمة ــ الى ــ أي أحمد منهياً إليك حمدي إياه) • وقال الزمخشري في كشافه (١/٨٩) حول ما جاء في التنزيل (ولتكبروا الله على ما هداكم ــ البقرة / ١٨٥) : (وعدّوا معنى التكبير بحرف الاستعلاء ليكون مضمّنا معنى الحمد ، كأنه قيل لتكبروا الله حامدين على ماهداكم) •

فقد رأى البيانيون أن الفعل المذكور انما يدلّ على معناه الوضعي،

ويدل على المعنى الآخر لفظ محذوف ، كالحال من الفعل المقدّر ، بمعونة قرينة لفظية، فيجتمع في التضمين معنيان. ولم يتصوروا إشراب الفعل المذكور معنى الفعل الملحوظ ، ليدلّ على المعنيين جميعا ، كما فعل النحاة . ومذهب البيانيين هذا هو مذهب الزمخشري وما انتحاه الإمامان السعد والسيّد، في تقريرهما لكلامه .

يقول السعد : (حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه) ، ويقول : (ان الفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية نحو أحمد إليك فلانا ، معناه أحمده منهياً اليك حمده . وقد يعكس كما يقال في : يؤمنون بالغيب ـ يعترفون به مؤمنين) .

وقال السيّد : (ذهب بعضهم الى أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط ، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ما هو من متعلقاته . فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام والمحذوف قيداً فيه ، على أنه حال ، كما في قوله : ولتكبروا الله على ماهداكم ، كأنه قيل : لتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلاً) .

وجاء في الكليات لأبي البقاء نحو من هذا (١٠٨) .

وفي معرب الإظهار للشيخ حسن زاده (١٢) حول قول المؤلف الشيخ محمد البركوي (فوجب ترتيبها على ثلاثة أبواب) : (أي وجب ترتيب أجزائها مشتملة أو مقصورة على ثلاثة ، أو وجب قصرها أو اشتمالها على ثلاثة مرتبة ، على القولين في التضمين من جعل الاصل ثابتاً ، والمضمّن

قيداً في المعنى ، وعكسه وحينئذ فكلمة على متعلقة بالاصل بملاحظة معنى المضمِّن أو بالمضمَّن).

فقد تقدَّر الحال المحذوفة إذاً ، من الفعل المذكور أو من الفعل المقدر المحذوف . إذ قدر السعد قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم): ولا تأكلوا أموالهم ضامِّيها الى أموالكم ، وقدَّره الزمخشري: ولا تضمُّوها اليها آكِلين . ولكن لا يستوي الوجهان في كل موضع ، بل يؤثر أحد الوجهين ويرجح بحسب المعنى .

ولايلزم في كل تضمين أن يقدَّر المحذوف ــ حالاً ــ فقد يتصور غير ذلك ، على وفق المعنى المراد . قال السيد : (والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته) . وقال الزمخشري في كشَّافه حول تأويل قوله تعالى : (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ــ الزمر / ٥٣) : (أسرفوا على أنفسهم : جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلوِّ فيها) ، ولم يقل : جنوا عليها مُسرفين . هذا ولا يُشترط أن يُستدل على المعنى الملحوظ بحرف أو صلة ، فقد يُضمَّن الفعل اللازم معنى فعل متعدٍّ ، أو يضمَّن الفعل المتعدي الى مفعوله الثاني بالحرف معنى فعل متعدٍّ الى مفعولين ، فلا يكون هناك صلة . وإنَّما يُشترط أن تقوم ثمة قرينة للتضمين . قال صاحب الفروق (١٠٩) : (والاحسن أن يقال : ويُدل على الفعل الآخر إمَّا بذكر شيء من متعلقاته ، كما في أحمد إليك فلاناً ، أو حذف شيء من متعلقات الاول كما في قولهم : هيجني شوقاً ، بحذف صلة هيجني . قال صاحب الكشاف انهم يضمون الفعل معنى فعل آخر ، فيجرونه مجراه ، فيقولون : هيجني شوقاً . فعدّى الى مفعولين بنفسه وان كان حقه أن يتعدّى الى الثاني

بإلى ويقال : هيجــه الى كذا ، لتضمينه معنى ذكَّر • هــذا كلامه فقد صرّح أن الفعل لم يُدلّ عليه بذكر شيء من متعلقاته ، بل بحذف صلة الفعل الأول) •

أراد الزمخشري بكلامه هذا قول النابغة :

إذا تغنَّى الحمام الورق هيَّجني ولو تعزيت عنها ، أمّ عمّار

وهو من أبيات الكتاب ، وقد روي فيه (ولو تَغَرَّبْتُ ••) • قال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٣١٥) : (لأنه تصوّر هيجني أنه ذكَّرني فعدّى تعدينه) أي هيَّجني فذكَّرني أمّ عمار •

هذا وقدقال جماعة من نحاة البصرة بقياس التضمين ، على أنه ضرب من ضروب المجاز • والمجاز قياس • واذا كان التوسّع في الفعل كان التضمين مــن قبيل المجاز المرسل • والمجاز المرسل استعمالٌ للفظ في غير ما وُضع له ، لعلاقة غير المشابهة ، بقرينة مانعة من ارادة ماوضع له • والفعل المضمَّن لايدلّ على معناه الوضعي ، ولا ينسلخ عنه أيضا ، وانما يراد به غــير ما وضع له ، حين يُشرب معنى الفعل الآخر فيضــمّ الى معناه الحقيقي معنى الفعل الملحوظ ، فيدلّ على المعنيين جميعا • قال ابن كمــال باشا (وبالجملة لابد في التضمين من إرادة معنيين في لفظ واحد ، على وجه يكون كل منهما بعض المراد) •

واذا كان التوسّع في الحرف ، كان التضمين استعارة تبعية • وانما تجري الاستعارة في الحرف باستعارة متعلق معناه ، ثم استعارة الحــرف نفسه تبعاً لــه •

وعندي أن المجاز الذي ليس هو تضميناً ، ذلك الذي لا يُستعمَل

به اللفظ في معناه ، ومعنى الآخر جميعا • بل يتحوّل عن معناه الحقيقي الى المعنى الآخر فيستعمل فيه لعلاقة بين المعنيين ، بقرينة مانعة من إرادة معناه الحقيقي •

هذا واذا كنا قد ذكرنا اللفظ بدل الفعل فذلك لأنّ مَــنْ استعمل لفظ الفعل فقد جاء به على جهة التمثيل لا الحصر • فقد يُضَمَّن اسم معنى اسم لإفادة معنى اسمين ، كقوله تعالى : (حقيق عليّ ألاّ أقول على الله إلاّ الحق ـ الأعراف / ١٠٤)• فقد ضمّن حقيق معنى حريــص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه ، كما ذكره ابن عبد السلام في كتابه مجاز القرآن •

وقد أنِسَ النُّحاةُ ، في تقــرير قياس التضمين ، بقول ابن جني في الخصــائص (٢/٢٠٨) : (إعلم أنَّ الفعلَ اذا كان بمعنــى فعلٍ آخر ، وكان أحدهما يتعدّى بحرف ، والآخر بحرف ، فان العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر • لذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه) • وقد حُكي في بعض النصوص لفظ (مجازاً) بعد قوله (موقع صاحبه)•

كما أنس النحاة بقول ابن جني بعد هذا : (ووجدت في اللغة شيئاً كثيرا لايكاد يُحاط به ولعلّه لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً)•

قال محمد الأمير في حاشية المغني(٢/١١٦): (قال ابن جني لو جُمعت تضمينات العرب ملأت مجلّدات • فظاهره القولُ بأنه قياس) • وقد كرر هذا في غير موضع •

وفي حاشية الصبان على الاشموني (٢/٢٣٢) تفريق بين تضمين نحوي هو إشراب كلمة معنى كلمة أخرى تؤدي المعنيين وأنه قياس عند

الاكثرين ، كما جاء في الارتشاف لأبي حيان ، وتضمين بياني بتقدير حال يناسبها المعمول بعدها ، وهو قياس اتفاقاً ، لكونه من قبيل حذف العامل بدليل ، كما قال السعد ومتابعوه.وقد ذهب ابن كمال باشا الى التوفيق بين النحوي والبياني فجعل تقدير العامل في البياني تفسيراً للفعل المضمَّن.

وقال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها / ٢٠٥) : (للتضمين غرض هو الايجاز . وللتضمين قرينة هي تعدية الفعل بالحرف ، وهو يتعدى بنفسه . أو تعديته بنفسه وهو يتعدى بالحرف . وللتضمين شرط هو وجود مناسبة بين الفعلين . وكثرة وروده في الكلام المنثور والمنظوم ، تدل على أنه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية ، متى حافظ على شرطه وهو مراعاة المناسبة..).

★ ★ ★

وهاهنا موضع لابد من الكشف عنه ، ذلك أنه اذا كان فعل في معنى فعل آخر ، أو أنه استعمل في معنى فعل آخر ، أفيصحُّ أن يُعَدَّى تعديته ويُسمَّى ذلك تضميناً فيكون قياساً ؟ ظاهرُ قولِ ابن جني أنه اتَّفق من ذلك مستفيضٌ مِن كلامِ العرب حتَّى عدَّهُ كثير من الأئمة قياساً . قال ابن جني في المحتسب (١/٥٢) : (متى كان فعل من الافعال في معنى فعل آخر فكثيراً مايجري أحدهما مجرى صاحبه فَيُعدَلُ في الاستعمال به إليه ، ويُحتَذى في تصرفه حذو صاحبه ، وان كان طريق الاستعمال والعرف ضدّ مأخذه) . فما تأويل كلامه هذا؟

أقول اذا عدنا الى ما أورده ابن جني من الشواهد برهانا على صحة ما ذهب اليه في هذا الموضع من الخصائص والمحتسب ، لحظنا أن الفعل الذي استعير له الحرف الجديد ليس في معنى الفعل الذي استعير منه

هذا الحرف ، ولا استعمل في معناه وحده ، لكن بين المعنيين من المناسبة ما قد يصل الى حدّ انتمائهما الى جنس واحد •

قال ابن جني في الخصائص (٢/٣٠٨) : (وذلك كقول الله عز اسمه : أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ الى نسائكم ـ البقرة ١٨٧ ـ وأنت لا تقول رفثت الى المرأة وانما تقول رفثت بها أو معها • لكنه لما كان الرفث هذا في معنى الإفضاء وكنت تعدّي أفضيت بإلى كقولك أفضيت الى المرأة ، جئت بإلى مع الرّفث ، إيذاناً وإشعاراً بمعناه) •وقال الإمام البيضاوي في تفسيره : (وعدّى بإلى لتضمّنه معنى الإفضاء) فما توجيه قولهما ؟

أقول الذي يُقصَد بهذا أن في (الرَّفَث) معنى (الإفضاء) فحين أُريد أن يشار الى ما يتّسع له (الرّفث) من ذلك ، عُدّي بإلى توجها الى المعنى المراد • قال الزمخشري في كشافه : (فإن قلت لِمَ عُدّي بإلى، قلت لتضمينه معنى الافضاء ، لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشمل كل منهما الآخر) • وهذا يعني أن الرَّفَث غير الافضاء في الوضع • ذلك أن الرّفث أصل في الجماع ، وليس الافضاء أصلا فيه • ففي المصباح : (وقيل الرّفث يكون في الفرج بالجماع ، وبالعين بالغمز للجماع ، وفي اللسان للمواعدة به) •

وفي اللسان : (الافضاء في الحقيقة الانتهاء ، ومنه قوله تعالى : فكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ، أي انتهى وأوى) • وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : (الراء والفاء والثاء أصل واحد • وهو كلام يُستحيا من إظهاره • وأصله الرَّفَث وهو النكاح • قال الله جلّ ثناؤه:

أحِلّ لكم ليلة الصيام الرّفَــث الى نسائكم ، والرّفَــث الفحش في الكلام ٠٠) ٠

وقد عرض ابن هشام في المغني لهذه الآية (٢/١٨٥) فأيّد قول الزمخشري ٠ إذ عرّف التضمين وقال : (وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين) ٠ ثم قال: (ومن ذلك قوله تعالى: الرّفَث الى نسائكم٠وضمّن الرّفَث معنى الافضاء فعدّى بإلى ، مثـــل : وقد أفضى بعضكم الـــى بعض ٠ وانما أصل الرّفَث أن يتعدّى بالباء) ٠ ويشهد هذا بأن لكل من الفعلين في الاصل معنى لا يؤدّيه الآخر ٠ فاذا ثبت أن الرّفَث أصل في الجماع أو الفحش ، كما صرّح به كثيرون ، وأشار اليه الافصـــاح حين قال : (والرّفَث كلمة جامعـــة لما يريد الرجل من المـــرأة في سبيل الاستمتاع بها من غير كناية) ، فان الافضاء ، كما رأيت ، انتهاء وإواء ، هذا أصله ٠ وقد يعني الافضاء ، مع ذلك، الجماع ، ولكن بطريق الكناية، لا من حيث الاصل، وإن بدا كذلك ٠ قال صاحب المفردات: (وأفضى الى امرأته في الكناية،أبلغ٠٠٠من قولهم خلا بها ٠ قال : وقد أفضى بعضكم الى بعض) ٠ وقد شرح ابن فارس هذه الكناية فقال في المقاييس (ويقولون أفضى الرجل الى امرأته باشرها ، والمعنى فيه عندنا أنه شبّه مقدّم جسمه بفضاء ، ومقدّم جسمها بفضـــاء ، فكأنه قد لاقى فضـــاءها بفضائه) ٠ وأشار الى ذلك الزمخشري في كشافه فقال : (لِما كان الرجل والمـــرأة يعتنقان ويشمل كل منهما الآخر)٠ ومتى استبان أن في الرّفَث معنـــى الافضاء الذي هو الانتهاء والإواء ، فلا خفاء أن هناك جنســـاً من المعنى يضم بينهما ويشملهما جميعا ٠

واذا كان ظاهر كلام ابن جني أن الفعل قد استعمل في معنى الآخر،

وكان قد سبق بعض الأئمة الى الاستظهار به لاعتداد ماجاء من قبيل هذا المجاز تضميناً دون اشتراط انطوائه على معنيين ، فانه قد اتضح بأن شاهد أبي الفتح صريح بأن الرّفث قد استعمل فيما وضع له وفي معنى الفعل الآخر ، وأن قوله أنه استعمل في معنى الآخر انما يراد به استعماله في معناه، ومعنى الآخر جميعاً •

وقد أورد ابن جني في الخصائص (٢/٣٠٨) مثالا آخر فقال : (وكذا قوله عزّ اسمه : هل لك الى أن تَزَكّى ـ النازعات/١٨ ـ وأنت تقول: هل لك في كذا • لكنه لما كان ، على هذا ، دعاء منه ـ ص ـ صار تقديره: أدعوك وأرشدك الى أن تَزَكّى)•

أقول لاجرم أن في قولك (هل لك في فعل كذا) مايفيد سؤالك المخاطب هل يرغب في فعل هذا الامر ، وأنت تعني أن تشعره بأنك راغب في أن يفعله • فاذا أريد أن يضاف الى هذا (دعوة) الى فعله ، على سبيل التضمين ، قيل (هل لك الى فعل كذا) • فالتضمين قد ضمّ الدعوة الى الرغبة ، وبين المعنيين تغاير وتناسب • فانظر الى قول ابن جني في المحتسب (١/٥٢) : (وأنت انما تقول هل لك في كذا ، لكنه لما دخله معنى أجذبك الى كذا وأدعوك اليه ، قال : هل لك الى أن تَزَكّى) • أوَليس في قول ابن جني (لكنه لما دخله معنى أجذبك) اشارة صريحة بأن هناك معنى في الاصل دخله معنى آخر بدلالة الحرف (الى) ، فاجتمع بذلك معنيان ؟ وقوله (دخله) لايعني بحال أن المعنى الطارىء قد نسخ الاول فحلّ محلّه ، ومن ثم كان تأويل قول أبي الفتح (ان الفعل قد استعمل في معنى الآخر) أنه استعمل ـ كما ذكرنا ـ في معناه ومعنى الآخر • وأما التناسب بين المعنيين فواضح في أن إشعار صاحبك أنك راغب في الامر يعني دعوتك

الى فعله ضمناً • فاذا عمدت الى التضمين فقد قصدت دعوته الى فعله صراحة • فالمعنيان متدانيان بحيث ينتميان الى جنس • ففي رغبتك في أمر دعوة الى تحصيله وتحقيقه •

هذا وقد رأى أبو حيان في قوله تعالى (إذهب الى فرعون إنّه طغى فقل : هل لك الى أن تَزَكّى) لطفاً في الاستدعاء ، كما أوضحه في البحر المحيط • ذلك (أن كل عاقل يجيب مثل هذا السؤال بنعم) • أو ليس هو دعوة الى التطهر من الرذائل والتحلّي بالفضائل ؟ أقول ان في صيغة السؤال (هل لك في كذا) أو (الى كذا) توقعاً للاستجابة ، يناسب لطف الاستدعاء الذي أشار اليه أبو حيان •

ومن شواهد ابن جني قول الفرزدق (قد قتل الله زياداً عني)• قال ابن جني في الخصائص : (لما كان معنى قد قَتَله قد صرفه عدّاه بعن) وقال في المحتسب (١/٥٢) : (فاستعمل عن ، هاهنا ، لما دخل من معنى قد صرف الله عني ، لانه اذا قتله فقد صرف عنه)•

أقول اذا كان ابن جني قد قال أولا (لان معنى قد قتله قد صرفه) فذلك لايعني أن القتل هو الصرف ، وإنما يُرادُ به أن في قتله صرفاً له، ولذا قال ثانيا (لانه اذا قتله فقد صُرِف عنه) • وهكذا قولك : اذا بكيت فقد حزنت ، فانه لايعني أن البكاء والحزن سواء • فالحق إذاً أن القتل غير الصرف ، لكن في القتل صرفاً • فحين أريد الاشارة الى هذا المعنى عُدّيَ القتل بـ (عن) ، وأصبح معنى (قتل الله زياداً عني) قتل الله زياداً فصرفه عني • وهذا تأويل قولهم ان المضمَّن يؤدّي معنيين • وقد جاء في مجاز القرآن لابن عبد السلام (ويضمَّن فعل معنى فعل،فتعدّيه

أيضا تعديته في بعض المواضع كقول الشاعر : قد قتل الله زياداً عني ، ضُمِّن قتل معنى صرف لإفادة أنه صرفه حكماً بالقتل ، دون ما عداه من الاسباب ، فأفاد القتل والصرف جميعا) • ولا شك أن بين المعنيين(القتل) و (الصرف) من المناسبة بحيث يُعزوان الى جنس ، فالاول محتوٍ للآخر •

فثبت بما أسلفنا أن الفعل المضمَّن في شواهد ابن جني لم يُستعمل في معنى الآخر ، وانما جاء في معناه ومعنى الآخر • لكنه اتفق أن كان فيها من تناسب المعنيين ، ما اتسع له جنس واحد من المعنى •

ومما نحن بسبيله ما حكاه الاستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية القاهري ، مما ذكره العلامة ياسين في حاشية التصريح • قال ياسين : (واعلم أن كلام المصنف في المغني ، في تقريره التضمين في مواضع ، يقتضي أن أحد اللفظين مستعمل في معنى الآخر ، لانه قال في ــ وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه ــ آل عمران / ١١٥ ــ أي فلن يحرموه •• ، وحينئذ فمعنى قوله ــ إشراب لفظ معنى لفظ آخر ــ أن اللفظ مستعمل في معنى الآخر فقط • فان هذا هوالموافق لذلك التقرير ، وان احتمل أنه مستعمل في معناه ومعنى الآخر) • حكى الاستاذ حسين الوالي هذا ، ثم جاء بما ذكره ابن جني في الخصائص حين قال (إن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين ••) فأكّد أن قول ابن جني صريح في أن الفعل مستعمل في معنى الآخر فقط ، وأردف : (وعلى هذا فالتضمين مجاز مرسل لانه استعمال اللفظ في غير معناه ، لعلاقة بينهما وقرينة ، كما سيتضح ذلك ، وهو أحد الاقوال فيه) •

أقول قد بينّا فيما سلف أن الفعل المضمَّن في شواهد ابن جني قد استُعمل في معناه ومعنى الآخر • أما الجواب عما جاء في حاشية التصريح

وما تلاه من تعليق عضو المجمع القاهري فذلك أن صاحب المغني قد ذكر أن التضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر ، لكنـــه أردف : (وفائدته أن تؤدّي كلمة مؤدّى كلمتين) •وهذايعني أن إشراب اللفظ يقتضي استعماله في معناه ومعنى الآخر جميعا • أما قول ابن هشام (فلن تكفروه أي فلن تحرموه) فانه حكاية لما قاله الزمخشري • قال صاحب الكشاف (١/١١٦): (فان قلتَ لِمَ عُدّيَ الى مفعولين ، وشكر وكفر لا يتعديان الاّ الى واحد ، تقول شكر النعمة وكفرها ، قلت ضمّن معنى الحرمان ، فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه) •

أوضح الزمخشري بقوله هذا كيف عُدل بالتضمين الى تعدية كفر تعدية حرم • ولم يُشر الى ما تضمنته الآية من معنى الجحود والحرمان جميعا ، خلافا لما فعل في أمثلة كثيرة من التضمين بعد أن أشار الى أن الغرض منه اعطاء مجموع معنيين •

وعندي أنه لا شك أن (تكفروه) قد ضم في الآية بتضمينه معنى حرم ، معنى الجحود الذي هو معناه ، ومعنى الحرمان الذي أُشربه • قال القرطبي في تفسيره (ومعنى الآية ، وما تفعلوا من خير فلن تجحدوا ثوابه بل يشكر لكم) وهذا معنى لن تكفروه ، وأردف : (وتجازون عليه) وهذا مؤدّى (لن تحرموه) • كذلك كانت شواهد أبي الفتح في انطوائها على المعنيين ، كما فصلناه •

وقد رأيتُ أبا حيان يقول : (ولما جاء وصفه تعالى بأنه شـــكور في معنى توفية الثواب ، نفى عنه تعالى نقيض الشـــكر) • ولا يخفى أن نقيض الشكر هو الكفر ، قال صاحب المفردات : (الشكر تصوّر النعمة

واظهارها ••• أي الكشف ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها) فنفي الكفر اذاً مقصود في الآية ، على أن أبا حيان يختـم كلامه فيقول (وهو كفر الثواب أي حرمانه) !

فما الذي أتاح للزمخشري اذاً أن يقول (فكأنه قيل فلن تحرموه) وأتاح لأبي حيان أن يقول (كفر الثواب أي حرمانه) وأوحى لابن جني أن يعبِّر عما يريد بقوله (••• فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذاك الآخر) ؟

أقول الذي بعث الأئمة أن يفسروا الفعل المضمَّن بما أشرب مـن معنى وأن يسكتوا عن معناه ، أن المعنيين في أمثلة التضمين هذه ، قد جاءا متدانيين بحيث يعزوان الى جنس ، فيبدوان وكأنهما قد تعاقبا على دلالة• وقد أوضحنا هذا فيما تقدَّم من شواهد ابن جني ، أما قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) فالكفر هو الجحود ، والحرمان الذي ضُمِّنه هو غير الجحود • ولكنك اذا جحدت رجلا حقه فقد حرمته ايَّاه ، واذا حرمته حقَّه فقد جحدته هذا الحق ، فالمعنيان قد تفرعا على أصل واحد•

وجاء في كتاب الفروق لاسماعيل الحقي (أن تعدية سأل ، في قوله تعالى ، سأل سائل بعذاب واقع ، بالباء ، من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير ، فان نظيره : دعا ، يتعدى بالباء ، لا من التعدية بالتضمين كما زعم صاحب الكشاف حيث قال : ضُمِّن سأل معنى دعا فعُدِّي تعديته ، كأنه قيل : دعا داع بعـذاب واقع ، لان فائدة التضمين على ما صـرَّح بذلك الفاضل في تفسير سورة النحل ، اعطاء مجموع المعنيين • ولا فائدة في الجمع بين معنى سأل ومعنى دعا ، لان أحدهما يُغني عن الآخر)! أقـول

اذا صح أن (دعا) بمعنى (سأل) كما دلّ عليه ظاهر كلام الزمخشري ، فلا وجه لتضمين هذا معنى ذاك ، على ما جاء في الفروق•ولكن هل يتعاقب الفعلان على معنى ويتواردان على دلالة واحدة حقاً ؟

ان من المفسرين من جعل تعدية (سأل) بالباء في الآية ، كتعديته بـ ـ عن ـ سواء بسواء ، على حد قوله تعالى (فاسأل به خبيراً ـ الفرقان/ ٥٥) أي فاسأل عنه خبيرا • فيكون معنى السؤال هنا هـو الاستعلام ، ويكون تفسير (سأل سائل بعذاب واقع) : سأل سائل عن عذاب واقع، والامر فيه واضح" جلي" • قال الجوهري : (سأل سائل بعذاب واقع ، أي عن عذاب واقع ، وقال الاخفش : يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان)•

وفي تفسير القرطبي عن ابن عباس أن (السؤال بمعنى الدعاء ، أي دعا داعٍ بعذاب •• يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب)•

أما الزمخشري فقد ذهب مذهباً آخر ، إذ قال في كشافه (٤٨٧/٢): (ضُمِّن سأل معنى دعا فَعُدِّي تعديته ، كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع، من قولك ، دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه • ومنه قوله تعالى : يدعون فيها بكل فاكهة ـ الدخان /٥٥) • ففسَّر الآية تفسيراً آخر بتضمين (سأل) معنى (دعا به) فهل يتوجه على هذا التضمين أن الفعلين قد تورادا فيه على معنى بخلاف شرطه ، وأنه لا بد من حمل الآية على وجهة ثانية كحمـل النظير على النظير ، كما ذهب اليه صاحب الفروق ؟

أقول ان الفعلين لم يتعاقبا على معنى ، وأن تضـمين أولهما معنى الآخر ، سائغ مقبول • فالسؤال هنا بمعنى طلب الشيء أو التماسه ، وهو يتعدّى مباشـرة الى مفعولين ، تقول (سألته حاجـة) • أما (دعا به)

فالذي قصد اليه الزمخشري من معناه هو الاستدعاء والاستحضار .قال الزمخشري في كشافه (دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه) . وقال في الاساس (دعا بالكتاب استحضره ، يدعون فيها بكل فاكهة ــ الاية) . وقال القاضي الجرجاني في الوساطة (٣٤٦) : (فإنما يقال دعا بكذا اذا طَلَب أن يُؤتى بذلك الشيء كقول الفرزدق :

دعوتُ[١] بقضبان الأراكِ التي جنى لها الركبُ من نعمان أيام عرّفوا)

فسأل معناه طلب الشيء ، أو طلب تحقيق السؤل وقضاء الحاجة ، ودعا به معناه استحضار الشيء واستدعاؤه ، فهما متغايران . فاذا قلت (سألت به) حملا على (دعوت به) تضميناً ضَمَّمْتَ المعنيين : طلبَ الشيء وتحقيق السؤل ، ثم استدعاءَه . وهو ما أراده الزمخشري في تفسيره . ستقول : ولِمَ قال الزمخشري إذاً (كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع) أوَليس يعني هذا أن (سأل) قد أنزل بعد تعديته بالباء منزلة (دعا به) فانسلخ عنه معناه ليؤدي مؤدّى هذا الفعل ؟

أقول قد رأينا أن معنى (دعا به) يغاير معنى (سأله). وقد أوضح الزمخشري في غير موضع أن غرض التضمين اعطاء معنيين ، صراحة أو ايماء . فاذا صحّ هذا كان مراد ــ جار الله ــ أن (سأل به) قد غدا يفيد معنى (دعا به) الى معناه . أما الذي أتاح للزمخشري أن يقول (كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع) وينتوي المعنيين ، فهو ما بعثه أن يقول (فكأنه قيل فلن تحرموه) ويضمر الجحود والحرمان ، كما ذكرناه في تفسير قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه). فـ (سأل الشيء) بمعنى التمسه،

(١) في ديوان الفرزدق : « دعون » بنون الاناث . وقبل البيت :

وان نبهتهنّ الولائد بعدما تصعّد يوم الصيف أو كاد ينصف

و (دعا بـه) بمعنى طلب احضاره ، والمعنيان متجانسان بحيث يتفرعان على جنس • ففي قولك (دعوت بالشيء) طلب" على كل حال • قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) : (يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه) • وكذلك بيّنا أن في جحودك حق رجل حرماناً لحقه ، فاذا جحدت رجلا حقه فقد حرمته اياه •

فتأويل قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) : سأل سائل أو التمس ملتمس داعياً بعذاب واقع ، أو التمس ملتمس ودعا بعذاب واقع ، وقد حذف مفعول الفعل الاول في العبارة الاولى فدل عليه متعلق الفعل في العبارة الثانية ، وهو ما يسمّى بـ (الاحتباك)•

ويسدد قولنا هذا معنى الآية ، ذلك أن فيها (سؤال السائل) على جهة الحاجة من جانب ، وطلبه استنزال العذاب أو استمطاره عليه أو على الكافرين ، من جانب آخر • ففي السؤال طلب للسؤل ، والسؤل كما قال صاحب المفردات (الحاجة التي تحرص النفسُ عليها) • أما طلب استنزال العذاب فهو صريح بقول السائل ، وهو النضر بن الحارث (فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ــ (الانفال/٣٢) كما أشار اليه الزمخشري • وقال البيضاوي : (والسائل هو النضر بن الحارث فانه قال : ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو أبو جهل فانه قال : أسقط علينا كسفاً من السماء ، سأله استهزاء ، أو الرسول صلى الله عليه وسلم : استعجل هذا بهم)• وقال أبو حيان في البحر المحيط (وقيل السائل نوح عليه السلام،سأل العذاب على الكافرين، وقيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : سأل الله أن يشدّد وطأته على مضر ــ الحديث ــ فاستجاب الله دعوته)•

* * *

هذا وقد بحث مجمع اللغة العربية في القاهرة (التضمين) فعرّفه بقوله (١/١٨٠) : (التضمين أن يؤدّي فعل أو ما في معناه في التعبير ، مؤدّى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم) • وأقر المجمع قياسه بشروط ثلاثة :

الاول : تحقيق المناسبة بين الفعلين ، والثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس ، والثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي •

وأردف المجمع فقال : (ويوصي المجمع ألاّ يلجأ الى التضمين الاّ لغرض بلاغي) • وشرح الشيخ أحمد الاسكندري عضو المجمع القاهري شروط التضمين هذه ، وذكر ما يقصد بالمناسبة بين الفعلين ، فقال : (بل لابدّ أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما • بل زعم بعضهم أنهما قد يتساويان حتى كأنّ فعلا قد تضمّن لفظ فعل آخر) •

أقول أمّا تعريف المجمع القاهري للتضمين فقد جاء يجمع بين تعريفه البياني وكثير مما قيل في النحوي •وهولم يسع ، على كل حال ، أن يجتمع للتضمين معنى الفعل المضمَّن ، ومؤدّى الفعل الآخر • ولو قيل :(التضمين أن يُضمَّن فعل أو ما في معناه ، معنى فعل آخر ••) أو (أن يُشرب فعل أو مافي معناه معنى فعل أو ••) لكان أدلّ على ارادة المعنيين ، لاشتراط ذلك عند الاكثرين • ففي لفظ التضمين احتواء شيء شيئا آخر ، وفي الاشراب جريان شيء في شيء •• أو يضاف ما يفيد ذلك •

أما قول الشيخ الاسكندري (بل لابد من أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما) فانه يلفت النظر ويدعو الى التدبّر • ذلك أنه اذا اتفق أن تدانى المعنيان فاعتزيا الى جنس في كثير من الشواهد ، على

ما فصّلناه ، فان ذلك لا يطّرد ولا يستمر • بل يكفي أن تؤكد المناسبة علاقة من علاقات المجاز • قال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) : (فاذا لم توجد بين الفعلين العلاقة المعتبرة في صحة المجاز ، كان التضمين باطلا) • فالعلاقة المطلوبة بين المعنيين هي العلاقة التي قيّد بها المجاز • وقد عدد العلماء العلاقات المصحّحة لاستعمال المجاز ، فأوصلها بعضهم الى سبع وعشرين ، وزادها آخرون ، على ماهو مفصّل في الامهات •

ذلك أن ثمة فرقاً بين انتماء المعنيين الى جنس ، وبين تلازم صورتيهما على شكل من الاشكال • ففي الاول اشتراك للمعنيين في ناحية من نواحي الدلالة ، وليس في الثاني مثل هذا الاشتراك • فبين الرغبة في أمر والدعوة اليه اشتراك ، وكذلك بين الرّفث والافضاء وبين القتل والصرف وبين الكفر والحرمان وبين سؤالك حاجة وأن تدعو بها ، على ماشرحناه فيما تقدم من شواهد التضمين • وليس في كثير من أمثلة التضمين نحو من هنا الاشتراك •

فمما ذكروا من الامثلة وأتى به الاسكندري قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ــ النساء/٢) فقد قدر السعد (ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم): ولا تأكلوا أموالهم ضامّيها الى أموالكم ، وقدرها الزمخشري : ولا تضمّوها اليها آكلين • وقال الامام البيضاوي : (ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم أي لا تنفقوها معا ، ولا تسوّوا بينهما ، وهذا حلال وذاك حرام) فهل يدخل (الضمّ) و (الأكل) الذي هو الانفاق ، فيجنس من المعنى ؟ فالواضح أنه ليس بين الاكل أو الانفاق ، وبين الضم اشتراك •

وكل ما في الامر أن في تكرر حدث الفعل ما يقتضي تعدد محل وقوعه ، وضم محل الى آخر ، فتقول : (أكلت هذا الى ذاك) فتتلازم الصورتان • ونظير هذا قوله تعالى (ولتكبّروا الله على ما هداكم ــ البقرة/ ١٨٥) أي لتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وقولك (أحمد اليك فلانا) أي أحمده منهياً اليك حمده • فليس بين التكبير والحمد ما يتيح اعتزاءهما الى جنس لكن هناك تصورا لتلازم صورتيهما ، وكذلك ما بين الحمد والانهاء ، فان في حمدك تطلعاً لان يحمده سواك فتنهي الحمد اليه فتتلازم الصورتان حمدك وإنهاؤك هذا الحمد •

وشاهد آخر • قال جميل بن عبد الله بن معمر :

فما أنفيك كي تزداد لؤماً ِلألأَم من أبيك ولا أذلاّ

قال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٣١٤/٣١٥) : (يقول لا أبرّئك من أبيك طلباً لان أنسبك الى من هو ألأم منه وأذلّ ، فتزداد ذلاًّ ولؤماً • لأن أباك النهاية في هذين • وانتصب لؤما على التمييز • واللام من : ِلألأَم ، تعلّق بفعل مضمر كأنه قال : ما أنفيك من أبيك وأدعوك ِلألأَم منه ، لانه اذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره • ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى فيُتصور أنفيك بأدعوك ويُعدّى تعديته • ومثله قوله عز وجل : هل لك الى أن تَزَكّى) • فتأويل (ما أنفيك •• لألأم من أبيك) ما أبرّئك من نسبك لأعزوك أو أدعوك لرجل ألأم من أبيك فما العلاقة بين (النفي) و (العزو) ، أو بين قطع النسب ووصله ؟ انها علاقة تلازم أيضا • فما دام لابد من الانتساب في الاصل ، فقطع النسب من جهة يستلزم وصله بجهة أخرى • أو هي علاقة تقابل بين نقيضين ، ولا شيء غير هــذا •

فثبت بما قدّمنا أنه لا يلزم من تحقيق المناسبة بين المعنيين ، أن يفضي أحدهما الى الآخر بحيث يلتقيان في جنس واحد • بل يُجْتَزَأُ من هذا بأن تقوم بينهما علاقة من علاقات المجاز • وقال الشيخ أحمد الاسكندري: (الشرط الاول ، وهو تحقق المناسبة بين الفعلين ، حاجز مانع من تحميل الفعل معنى بعيداً عن معناه الوضعي بحيث تُفضي تعدينه بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى الى فساد الكلام ••• فلا يجوز : أكلت الى الفاكهة، على أن أَكَل مضمَّن معنى مال ، وتناولت عن القوس مضمَّنا معنـــى رميت) • وكلامه هذا وجيه ظاهر الاستقامة • لكنه أردف : (بل لا بد من أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما) • وهذا ما لم نشايعه فيه بالحجة • فاذا كان قد حدث أن تداخل المعنيان فأفضى أحدهما الى الآخر والتقيا في جنس فقد اتفق أن لم يكن بينهما غير علاقة من علاقات المجاز كما بيناه • وتابع الاسكندري كلامه فقال (بل قد زعم بعضهم أنهما قد يتساويان حتى كأن فعلاً تضمن لفظ فعل آخر)• لكنه فنَّـــد هذا بقوله (ومن الثاني المزعوم فيه تساوي المعنيين قوله تعالى / وقد أحسن بي ـــ يوسف / ١٠٠ / قالوا أنه ضمِّن معنى لطف فعدِّي بالباء • وزعم الدسوقي والامير أن معنى لطف وأحسن واحد • ولكن المعجمات مجمعة على اختلاف المعنيين ، وان تقاربا • ولم يصرِّح معجـم منها في مادةٍ ، الاحسان بمعنى اللطف ، ولا العكس ، حتى الاساس المميز بين الحقيقة والمجاز • بل صرحوا أن معنى اللطف الوضعي هو صغر الجسم ودقته، وعدم الجفاء والضخامة ، وأنه قد يخرج الى معنى مجازي هو الرفق••• والحق ان المناسبة اشتدت بينهما حتى أشبها المتماثلين وأنهما يجمعهمـــا جنس قريب هو : عُـني به) •

أقول لابد في التضمين من ارادة معنيين، قال السيد : (ان التضمين يجب فيه القصد الى المعنيين) • فاللطف هو الرفق ، كما ذكر الاسكندري، يقـال لطف به وله بالفتح يلطف لطفاً اذا رفق به ، هذا ما صرّح به ابن الاثير في النهاية والفيومي في المصباح •

أما الاحسان فأحد معانيه الإفضال والإنعام والايلاء ، لكنه أعم من ذلك وأشمل • قال صاحب المفردات (والإحسان أعم من الإنعام • قال تعالى : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وقوله تعالى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فالإحسان فوق العدل • وذلك أن العدل هو أن يُعطي ماعليه، والاحسان أن يُعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له • فالاحسان زائد على العدل) • ثم قال : (ولذلك عظّم الله ثواب المحسنين) • فاذا أنت ضمّنت الاحسان معنى اللطف فقد قصدت بذلك الى معنى الاحسانعامة، والإلحاح على ما يتسع له من اللطف خاصة •

لكن ملاك الأمر ألاّ يُفزع الى التضمين اذا أمكن حمل الكلام على أصله • قال الجوهري في صحاحه : (أحسنت اليه وبه) • وجاء في الأشباه والنظائر للسيوطي (٣/١٧٦) : (قال أبو نزار ••• وانما حَمَلَك على ذلك أنك وجدت ــ أحسن ــ يتعدّى بإلى في مثل قول القائل : أحسنت اليه ، ولا يقال : أحسنت به ، وجهلت أن الفعل قد يتعدّى بعدّة من حروف الجرّ ، على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل • لان هذه المعاني كائنة في الفعل ، وانما يثيرها ويُظهرها حروف الجر ••) ثم قال : (فيكون التقدير في الآية ــ أحسن الصنع بي ، ثم حذف المفعول لدلالة المعنىعليه •• فيصير المعنى : أوقع جميل صنعه بي ، واذا عدّيت بإلى ، يصير المعنى فيه الايصال ، كأنه قال : أوصل احسانه اليّ ، والمعنى متقارب وان كان

تقدير كل منهما غير تقدير الآخر) ، وختم كلامه فقال : (فليس ينبغي أن يحمل فعل على معنى فعل آخر الا عند انقطاع الاسباب الموجبة لبقـاء الشيء على أصله) .

على أنهم يذكرون (للتضمين) في المعنيين المتدانيين مثـلا آخر هو قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما / ١٣) . قال القرطبي في تفسـيره حول تأويل قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرّفـث الى نسائكم ـ البقرة ١٨٧) : (وأنت لاتقول رفث الى النساء ولكنه جيء به محمولا على الإفضاء الذي يراد به الملابسة) . وقال : (ومثله قوله تعالـى : وكان بالمؤمنين رحيما ، حُمل على رؤوف في نحو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ألا ترى أنك تقول رؤفت به ولا تقول رحمت به ، لكنه لما وافقه في المعنى نزل منزلته في التعدية) .

أقول في الرفث والافضاء اشتراك في المعنى ، ففي كل منهما ملابسة. وقد عُدّي الرفث تعدية الافضاء بالتضمين ، كما فصّلناه .

وكذلك الرحمة والرأفة، فالذي يتبين بمراجعة الامهات، أن بينهما تداخلا في المعنى . ففي كل منهما (رقة وإحسان) . على أن الرأفة أبلغ في الرقة، والرحمة أبلغ في الإحسان . فأنت إذا أردت أن تقسو في تربية ولدك تأديباً له فقد تمنعك الرأفة به أن تقسو عليه . لكن الرحمة توجب التصرف في مصلحته فلاتحول دون ما قد يمليه التأديب من القسوة . ففي النهاية (والرأفة أرقّ مـن الرحمة ، ولا تكاد تقع في الكراهة ، والرحمة تقع في الكراهة للمصلحة). وفي المفردات (أن الرحمة منطوية على معنيين : الرقة والاحسان) ،وفيه

(والرحمة رقة تقتضي الاحسان المجرّد عن الرقة) • ولما كان الغالب على (الرأفة) هو الرقة والرّفق فان (تضمين) الرحمة معنى الرأفة يعني الالحاح فيه على هذا المعنى دون الانفكاك عن المعنى الآخر •وهذا مؤدّى قول القرطبي (ولما وافقه في المعنى نزل منزلته في التعدية) • والموافقة عندي في محل اشتراك المعنيين ، لا فيهما جميعا كما رأيت•

واذا كان قد تسمح بعض اللغويين فجعلوا الرحمة والرأفة سواء ، فقد عمد كثرة المفسرين الى التمييز • وقد قال الجوهري (الرأفة أشدّ الرحمة) وذكر أبو هلال العسكري في فروقه (الرأفة أبلغ من الرحمة) ، وكأن المعنى أنها أرق • ففي المقاييس (الرأفة تدل على الرقة والرحمة) وفي اللسان (الرأفة أخص من الرحمة وأرق) وكذا في القرطبي • وانظر الى قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ــ النور / ٢) قال الزمخشري (والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلّبوا في دين الله ويستعملوا الجدّ والمتانة فيه ، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده)•

★ ★ ★

هذا ويتصل بما نحن فيه قولهم سكت عنه وعليه ، وخرج عنهوعليه ونبا عنه وعليه ••• فما تأويل ذلك ؟ أقول أما السكوت فهو الصمت • فاذا قلت (سكتُّ) فأنت تعني أنك سكتّ عن الكلام • وقد تكون هناك حاجة الى التصريح بما يسكت عنه ، ولو كان قولا أو كالقول ، فتقول : سكتّ عن الجهر وعن القراءة وعن القول ، كما جاء في النهاية حول حديث (ماتقول في إسكاتتك) • أما اذا توقفت عما سوى ذلك فلا بد لك

أن تفصح عن المسكوت عنه . تقول : سكت عن هذا الامر ، تعني أنــك أغفلته أو تجاوزته أو تغاضيت عنه مجازاً . واستعمال (عن) هاهنا انما يجري فيما يطّرد من معانيها ، وهو المجاوزة .

وقد جاء في نهج البلاغة (٣/١٧٤) : (ان الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها..وسكت لكم عن أشياء ، ولم يدعها نسيانا ، فلاتتكلفوها). وفيه (لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل). وفيه أيضا (٢/٢٣٦) : (وخرسوا عن جواب السائلين عنه) .

على أنهم لم يقفوا في (سكت) عند هذا الحد ، بل قالوا (سكت عليه) أيضا . ففي أمالي المرتضى (١/٤٩٧) : (.. قال لقيــت أعرابياً بالبادية فاسترشدته الى مكان فأرشدني وأنشدني :

ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل)

فما تأويل قوله (السكوت على الجهل) ؟ أقول قد شــاع قولهم (سكت عن الامر) حتى أصبح كالاصل ، فضُمِّن (سكت) معنى (صبر) وبينهما اشتراك في المعنى . فاذا قلت (سكت على الجهل) فتأويله : سكت عن الجهل صابرا عليه .

ونحو من هذا قولك (نام عنه ونام عليه). فاذا نمت حقاً ففاتك أمر، قيل (نمت عن كذا) ففي حديث الإفك قول بريرة تخاطب الرسول (ص): (لا والذي بعثك بالحق ، ان رأيت منها أمراً أغمصه ــ أي أعيبه ــ عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ..) . قال الشارح في تفسير (تنام عن العجين) : (لأن الحديث السنّ يغلبه النــوم ويكثر عليه) . هذا هو الاصل . ثم قيل (نام عنه) مجازاً اذا غفل أو تغافل ،

عامة . ففي الاساس (ونمت عني نومة الأَمَة : غفلت عني وعن الاهتمام بي) . وفي نهـج البلاغة (١/٧٨) : (لاينـام عنكم ، وأنتـم في غفلة سـاهون) .

ثم اشتهر هذا فقيل حملاً عليه (نام عليه) ، وتأويله (غفل أو تغافل صابرا عليه) . ففي نهج البلاغة (٣/٧٨) : (ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحَرَب) . قال الرضي : (ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال) والحَرَب بالتحريك سلب المال .

ومثل ذلك (خرج عنه) . ففي نهج البلاغة (٣/٨) : (فان خرج عن أمرهم خارجٌ بطعن أو بدعة ، ردّوه الى ما خرج عنه) .ومعناه خرج عن أمرتهم وطاعتهم . وقد استعمل (عن) فيما اطّرد من معانيـه وهو المجاوزة . ولما شاع استعماله في هذا ، حملوا عليه قولهم (خَرَجوا عليه) . قال المرزوقي في شرح الحماسة (٦٦٨): (أمّا مشاقتك ومجاهدتك وركوب صعبٍ وذلولٍ في الخروج عنك وعليك ، وأما الرضا بالدنيّة والدخول تحت العار والهضيمة) . وقد نصّت المعاجم في الحديث عن الخوارج (سُمّوا بذلك لخروجهم على الناس) أو (الخروج على الأئمة). واذا كان معنى (الخروج عنه) هاهنا ترك الطاعة والامر ، فان معنـى (الخروج عليه) القصد الى مشاقة صـاحب الطاعة أو الامر ومجاهدته بالثورة والعصيان .

وقد قيل (خرج فلان على القانون) اذا ترك اتباعه وقصد الـى مخالفته ، وهو نظير قولك (خرج على السلطان أو الإمام أو الخليفة) اذا تمنّع عليه وعصاه . ففي محاضرات الادباء (٣/٣٤٣) : (وكان عبد الله ابن علي خرج على المنصور فوجه اليه أبا مسلم فهزمه) . فحلّت (على)

محل (عن) هنا في كل مجاهدة لصاحب سلطان • والقانون نفسه، أليس ذا صولة وقوة ؟ وقد قيل قديما للحق دولة ، والقانون دعامة هذا الحق•

والغريب أن الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي قد أقر (خرج فلان على الدولة) وأنكر (خرج فلان على القانون) ، وهما متفرّعان على أصل ، ذلك لشيوع استعمال (خرج على هذا الامر) اذا (جرى عليه وعمل به)•

والجواب عن ذلك أن جواز هذا وصحته واطراده ، لاتمنع من صواب ذاك • قال الإمام المرتضى في أماليه (وهذا القول خارج على طريق المجاز) بمعنى جار عليه • وفي الاساس (ناقة مخترجة خرجت على خلقة الجمل)أي صوّرت على هذه الخلقة ، واستعمال (على) هاهنا انما كان فيما اطّرد من معانيها ، وهو الاستعلاء • فقولك (خرجت الصورة على أصلها) مثلا معناه جاءت أو بُنيت أو قامت أو استقرت على هذا البناء • ولا يمنع من صحة هذا صواب قول القائل (خرج على القانون) بمعنى امتنع عليه• ففي نهج البلاغة (١٧٢/٣):(نوم على يقين خير من صلاة في شك) أوليس معناه (نوم استقرّ على يقين خير من صلاة في شك) ؟ فهل منع هذا أن يقال (ينام الرجل على الثكل ولاينام على الحَرَب) بمعنى يتغافل صابرا على الثكل •• ، فالقرينة هي المعيار والفاصل في الحكم•

وقد خرّج الاستاذ محمد العدناني في معجمه (خرج على القانون) على أنه مجاز من (خرج على الدولة) وعندي أن يخرّجا جميعا على تضمين (خرج عنه) وهو الاصل ، معنى (ثار عليه أو تمرّد) ، فيكون تأويل كل منهما (خرج ثائراً أو متمرداً عليه) • وبين المعنيين اشتراك ففي الثورة أو التمرد أو الامتناع خروج على كل حال • والمجاز الذي يعنينا هنا هو مجاز الفعل لا مجاز إسناده •

ومن ذلك قولهم (نبا عنه ونبا عليه) • فقد جاء في النهج (٣/١٠١): (ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء) أي يشتد ويعلو عليهم ليكفّ أيديهم عن ظلم الضعفاء •

ومنه قولهم (أغضى عنه وأغضى عليه) ، ففي النهج (٣/١٠١) : (أَغضِ على القذى والالم ، ترضَ أبداً) • فالإغضاء على أمر كنايةعن تحمل أذاه والصبر عليه ، ومن لم يتحمل يعش ساخطاً ، كما جاء في تفسيره •

ومنه (شرد عنه وشرد عليه) • ففي النهاية (لتدخُلُنّ الجنة أجمعون أكتعون الاّ من شرد على الله ، أي خرج عن طاعته وفارق الجماعة) ••ولو كان الشرودُ هاهنا نفورا وحسب ، كما هو الاصل ، لعدّي بـ (عن) كما جاء في الاساس ، لكنه نفور وعصيان •

ومنه (نشز عنه ونشز عليه) • ففي الاساس : (نشزت المرآة على زوجها ونشز عليها نشوزا) • وفي الافصاح : (الناشز المستعصية على زوجها المبغضة له) ، وهكذا •••

ولكن هل يُشترط في كل ما عُدّي من الافعال بعن و على أن تخرج تعدينه بأحد الحرفين على التضمين ؟ يقال (صبر عليه وصبر عنه) فصَبَرَ في الاصل حَبَسَ • ففي النهج (٣/١٦٤) : (الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب) • وفي محاضرات الادباء (١٠٥) : (الصبر حبس النفس على المكروه وعما تدعوك اليه) • وهو متعدٍّ في الاصل ، تقول (صبرتُ نفسي) كقولك (حبست نفسي) • ففي التنزيل: (واصبر نفسَك على الذين يدعون ربهم بالغداة والعَشيّ) • قال

البيضاوي في تفسير الآيــة / ٨٢ / من الكهـف : (واصبـر نفسـك احبسها وثبتها) •

على أن (الصبر) ليس حبساً وحسب ، ففي الصبر احتمال للمكروه وثبات لايشترطان في كل حبس • قال صاحب المفردات (الصبر امساك في ضيق) • وفي نهج البلاغة (٢/٢٠٨) : (قلّ يارسول الله ، عن صفيّتك صبري ، ورقّ عنها تجلّدي) ، فان معناه قل صبري عن فراقها بوفاتها ، وقصد بالصفيّة فاطمة عليها السلام •

ومادام (صبر) يجري مجرى (حبس) فان تعديته بـ (على) اذا أريد به امساك النفس على حال أو استمسـاكها إزاء حال دون جبن أو جَزَع ، ودون ضعف أو خَور ، وتعديته بـ (عن) اذا بُغِيَ به حبـس النفس عما تحب في ثبات أو انصرافها دونه في تجلد ، تعديته في هذا وذاك صحيح ، قد أُنزل (على) و (عن) بهما الموضع الذي ألفاه في الاصل•

هذا وقد قيل (نصرته من فلان) وهو على تضمين (نصـر) معنى (منع) أي (نصرته مانعاً ايّاه من فلان) • والنصر والمنع متآخيان • فقد جاء في اللسان : (قال ابن بري يقال نصرته من فلان اذا منعته منه • لأن الناصر لك مانع عدوّك•فلما كان نصرته بمعنى منعته جاز أن يتعدّى بمن••)

وجاء في الحديث (تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار) •وهو على تضمين (الفوز) معنى (النجاة) • وتأويله (تمام النعمة دخول الجنة والفوز ناجياً من النار) • قال صاحب المفردات (وقوله فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ، من آل عمران /١٨٨ ، فهي مصدر فاز والاسم الفوز ، أي لاتحسبنهم يفوزون ويتخلصون من العذاب) • وقال الإمام البيضاوي (أي فائزين بالنجاة منه) •

★ ★ ★

وبعد فهل عزا النقاد الى (التضمين) ما استوجب حاله أن يُحمل عليه ، بشروطه التي أوضحنا ؟ أقول قد أقر الاستاذ الغلاييني (قبل به) حملاً على (رضي به) لكنه أنكر (أهداه) فهلاّ حمله على (أعطاه)، وهو في إغفاله غرض التضمين كسابقه سواء . وكنا قد أبينا تضمين (قبل) معنى (رضي) لانه لايزداد بهذا التضمين معنى على معناه . كذلك القول في (أهداه) فأي غرض نبتغيه بتضمينه (أعطاه) . قال الاستاذ الغلاييني (أهدى له الشيء وأهداه اليه ، لا أهداه إيّاه) . ونحن نشايعه في انكار (أهداه إياه) كما قلنا ، لاننا لا نستسيغ مثل هذا التضمين ، ذلك أنه مادام في (الاهداء) معنى الإتحاف ، فما الذي نضيف اليه بتضمينه معنى (الإعطاء) ؟ ففي التاج (الهدية كغنيّة ، ما أتحف به . قال شيخنا وربما أشعر اشتراط الاتحاف بعض الاكرام) . وأما تعدية الفعل باللام والى ، الى من أريد حمل الهدية اليه ، فذلك آتٍ من أن في (الإهداء) غير الاتحاف ، معنى الإرسال ، والبعث والتقديم . قال صاحب المقاييس (الهاء والدال والحرف المعتل أصلان أحدهما للارشاد ، والآخر بعثة لَطَف) ، ثم قال (والاصل الآخر الهدية : ما أهديت من لَطَف الى ذي مودّة) . وقال صاحب المصباح (وأهديت للرجل كذا بعثت به اليه). وفي الاساس : (ومن المجاز أهدى له واليه هدية لانها تقدم أمام الحاجة في مِهْدًى : في طبق) .

ويقول الاستاذ الغلاييني : (ومتى أُشرب الفعل معنى فعل آخر ، لمناسبة بينهما ، تعدّى تعديته أو لزم لزومه كما قدّمنا،فلا نرى من يقول: تعهّد له بكذا معنى ضمن له به مُخطئاً ، لان ضمن يتعدى بالباء أيضا

فيقولون : تعهّد الشيءَ بمعنى ضمنه ، وتعهّد له نجاح العمل أي ضمن له نجاحه) .

وقد أورد الاستاذ محمد العدناني في معجمه قولا كهذا أو قل انه حكاه عن الغلاييني فقال (.. فيجوز لنا أن نقول : تعهّدت له بزيارته ، أو تعهّدت له أن أزوره ، لأن الفعل ـ ضمن ـ يتعدّى بنفسه وبالباء..). أقول ليس استعمالك (تعهّد) بمعنى (ضمن) وتعديته تعديته من التضمين في شيء . فتعهّد الشيء بمعنى تفقّده وجدّد العهد به ، ففي المصباح (تعهّدت الشيء ترددت اليه وأصلحته ، وحقيقته تجديد العهد به ، وتعهدته حفظته) . قال ابن منظور (وتعهّد الشيء وتعاهده واعتهده تفقده وأحدث العهد به ..) . أما (ضمنت المال وبالمال) فمعناه أنك التزمته أو ألزمت نفسك إيّاه . فاذا أنت أشربت (تعهّد) معنى (ضمن) أو (كفل) لزمك أن تستأدي (تعهد) أو التضمين جملة ، دلالتين : دلالة تفقد الشيء ورعايته وتجديد العهد به ، ودلالة التزامك اياه . فهل يريد الكتاب بقولهم (تعهد لهم بالمال) مثلا غير ضمان المتعهد لهذا المال والتزامه إياه ، بل هل في قولهم (تعهّد لهم بزيارته) معنى غير إلزام نفسه أن يزوره ؟ فالكتّاب على هذا لايرومون من قولهم (تعهّدت بكذا) أن يُشربوا (تعهّد) معنى (ضمن) ليكون له دلالة الفعلين ، وانما يقصدون أن يجردوه من معناه الذي وضع له ويحلوا محلّه معنى (التزم أو ضمن أو كفل) ليغني مغناه . وليس هذا تضمينا بحال ، بل ليس هو بسائغ أو جائز ، وانما هو تصرّف بالفعل في غير ما وضع له ، وعدول به عن معناه الاول الى سواه دون مسوّغ من تضمين أو مجاز . بل هو تحكّم في

تصريف الفعل وتجاوز لحدود تعديته دون ضابط يُقتاس به • أوليس هذا عبثاً باللغة واشاعة للخلل في أقْيستها ؟

والغريب أن يمثّل الاستاذ العدناني لتعدية الفعل بالباء وبنفسه ، بقوله : (تعهدت له بزيارته،وتعهدت له أن أزوره) ، ذلكأن الجملةالثانية ليست صريحة بتعدية الفعل بنفسه ، لجواز حذف الجاز قبل — أن — وهو قياس مشهور •

واذا كان الاستاذ العدناني قد ارتضى ، في غير موضع ، أن يعدّي الفعل تعدية ما هو في معناه ، قياسا لا شرط فيه ، ويسمّي هذا تضمينا، ولايرى أن يضمّ الفعل المضمَّن الى معناه الوضعي معنى جديداً مغايراً يناسبه ، فقد لزمه أن يسيغ (حرمه من حقه) و (حاز عليه) حملاً على (منعه من) و (حصل عليه) • فما باله يأباهما ويجعل الصَّواب فيهما (حرمهحقه) و(حازه) ؟

علىأنه اذا خلت كتباللغةمن(حاز عليه)ونصّتعلى(حازه)،فانهاحكت (حرمه إيّاه ، وحرمه منه) خلافا لما ذهب اليه العدناني ، وهو ما نود اثباته • واذا صح أن (حرمه إيّاه) هو نصّ المعاجم جميعاً ، فان الاستاذ أحمد العوامري عضو مجمع اللغة العربية القاهري قد أكد حكاية (حرمه منه) أيضا ، اذ قال في مجلة الرسالة القاهرية (٤٢١): (ان الفعل حرم يتعدّى بمن أيضاً • وعندي شاهد لذلك عثرت عليه في بعض مطالعاتي للاغاني •• وبينما كنت أُجيل الطرف أمس في كناشتي، اذا أنا أمام هذا الشاهد ، وهو للعباس بن الاحنف ، قال :

أُحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

وصرتُ كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق)

وقد رأيت ابن المقفع يقول في كليلة ودمنة (٩٣) : (فأما الحرمان فأنْ يُحْرَمَ من صالحي الأعوان ..) ، كما رأيت الجاحظ يقول في (فضل هاشم على عبد شمس) : (فأمرنا بإخراجه وما زال الى أن مات محروماً منه) .

وقد منع الاستاذ محمد العدناني (أرجوك الصفح عني) وجعل الصواب (أرجو صفحك عني) أو (أرجو منك الصفح عني) فقال في معجمه (لأن الفعل رجا يكتفي بمفعول واحد) . وقد استشهد بآيات من الذكر الحكيم ، كما استظهر بنصوص المعاجم . ولا شك أن كتب اللغة قد جعلت للفعل (مفعولا صريحا واحدا). فأنت تقول (رجوت الامر) كما تقول (رجوت فلاناً) ، ولا تقول (رجوت فلانا الخير) . ولكن ما الذي يمنع من تضمين (رجا) معنى (سأل) وإكسابه معنى جديداً الى معناه ليكون مرادك من قول (أرجو رفيقي الصفح) أنك تتوقع الصفح من رفيقك وتريده ، وتسأله أن يقوم به فعلا . وبين الفعلين تغاير في المعنى ومناسبة أيضا . فالوجه ظاهر في تضمين (رجا) معنى (سأل) وتعديته مثل تعديته ، ويكون معناه الرجاء على جهة السؤال أو الطلب والالتماس.

قال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) : (فان صدر مثل هذا ــ أي التضمين ــ من عاميّ أو شبيه بعاميّ ، أي ممن يدلك حاله على أنه لم يبنِ كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ ، كان لك أن تحكم عليه بالخطأ. فلا جناح عليك أن تحكم على قول العامة مثلا : أرجو الله قضاء حاجتي ، باللحن ، والخروج

عن قانون اللغة الفصحى ، لأن معنى الرجاء لا يتعـدّى الى مفعولين • وليس لك أن تخرّجه على باب التضمين ، كأن تجعل أرجو ، مُشرباً معنى أسأل ، بناء على أن بين الرجاء والسـؤال علاقة السببية والمسببية ، فان هذا الوجه لم ينظر اليه أولئك الذين استعملوا فعل ـ أرجو ـ متعدّيا الى المفعولين) •

ومؤدّى قوله أن لإشـراب ـ أرجو ـ معنى : أسـأل ، وجهـاً صحيحاً ، لكنه لو أتى استعماله من عامي أو مثله ، كان خطأ • وهو قول غريب ! وإلاّ فهل يصح أن يكون الكلام صوابا وخطأً معاً ، وأن يختلف الحكم عليه باختلاف قائله ؟ وما الذي نقوله للكاتب المبتدىء اذا حاكى في كتابته عالما من العلماء ؟ أفنردّ عليه كلامه ونحمله على الخطأ حتى يكون كاتباًحقاً فيُعرف بالحذق ويُشهد له بالعلم؟ هذا وقد جرت تعدية ـأرجوـ مجرى تعدية(أسأل)في كلام البلغاء•فانظر الىماجاء في نهجالبلاغة(١/١٨١): (وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة) وهو صريح بتضمين فعل الرجاء معنى السؤال وتعديته تعدية فعله •• وقد أُريد بالنص أنـه (راجٍ من الله أن يدلّه على الاعمال التي تُرضيه سبحانه ، ويستوجب بها الرحمة والمغفرة وكأنه جعل تلك الاعمال التي يرجو أن يدل عليها ذخائر للرحمة وكنوزاً) كما يقول شارح النهج الاستاذ ابن أبي الحديد ، سائلا ربّه أن يحقق له هذا الذي رجاه •

وقد عاب الشيخ ابراهيم اليازجي قول القائل (أرجو اليه أن يفعل كذا ـ أي أرغب) ، وجعل صوابه (أرجو منه) ، وقال (على أن الرجاء بمعنى الامل ، واستعماله بمعنى الرغبة عامي) • ونحن نشايع الشيخ فيما عابه ، لان قولك (أرجو اليه أن يفعل) لايمكن أن يخرّج على تضمين

فعل ـ أرجو ـ معنى ـ أرغب اليه • فقد يأتي الرجاء بمعنى الارادة في في الاصل بلا تضمين • فاذا قلت (أرجو اليه أن يفعل) فأنت لا تعني غير أنك تتوقع منه ذلك وتريده ، وصحة التعبير أن تقول (أرجـو منه) أو (أرغب اليه) !•

والذي يؤكد أن الرجاء يحتمل معنى الارادة ماجاء في المصباح • قال الفيومي (رجوته أرجوه رجوّاً على فعول أمّلتـه أو أردته ، قال تعالى : اللاتي لا يرجون نكاحاً ، أي لا يردْنه ، والاسم الرجاء بالمد)• وقال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا ـ النور / ٦٠) : (لا يطمعْن فيه لكبرهن) • بل إن في (رغبت اليه) معنى الرجاء أيضا • قال صاحب الكليات (ولم تشتهر تعديتها ـ أي رغب ـ بإلى ، إلاّ أن تتضمّن معنى الرجوع أو يكون معنى الرغبة : الرجاء والطلب) •

فلا وجه إذاً لقول اليازجي (على أن الرجاء بمعنى الامل ،واستعماله بمعنى الرغبة عامي) !

ونظير تعدية (رجا) الى مفعولين بتضمينه معنى (سأل) ، كما مرّ في تخريج قول صاحب النهج (رجوتك دليلاً) ، تعدية (نَشَـد) الى مفعولين بتضمينه معنى (سأل) أيضا • فأنت اذا عدّيتَ (نَشَد) الى مفعول واحد كان معناه طلب غالباً • قال صاحب المصباح: (نشدت الضالة نشداً من باب قتل طلبتها ، وكذا اذا عرفتها) واذا عدّيته الى اثنين كان من أفعال الأيمان ومعناه استحلفتك به وذكّرتك اياه • ففي اللسان : (يقال نشدتك الله وأنشدك الله ، وبالله : أي سألتك وأقسمت عليك ••• وتعديته

الى مفعولين إما لأنه بمنزلة دعوت حيث قالوا : نشدتك الله وبالله ، كما قالوا دعوتك زيداً وبزيد • أو لأنهم ضمنوه معنى ذكّرت)[1] • وقال صاحب المصباح (ونشدتك الله وبالله أنشدك ذكّرتك به واستعطفتك أو سألتك به مقسماً عليك)•

ولكن هل يتعدّى الفعل الى مفعولين ويكون معناه الطلب ؟ أقول ليس في نصوص المعاجم ما يُسعف ذلك ويشهد بصحته • لكنه جاء في كلام البلغاء • ففي نهج البلاغة (٢/٢) : (فمن نشدناه شهادة ، فليقل بعلمه فيها) • ومعناه (من سألناه أن يشهد فليقل بعلمه) • فما تخريج ذلك ؟ الذي عندي أنه يحمل على باب التضمين أيضا • فقد أُشرِب (نشدته) المتعدّي الى واحد معنى (سألته الحاجة) المتعدّي الى اثنين، فعُدّي تعديته • واذا كان معنى (نشد الضالة) في الاصل (رفع الصوت بطلبها) كما ورد في المظان ، كان معنى (نشدتك الحاجَةَ) مثلا ، رفعت صوتي بطلبها سائلا إياك قضاءها • ففي اللسان : (وقولهم نشدت الضالة أي رفعت نشيدي أي صوتي بطلبها) • وقال صاحب المقاييس (النون والشين والدال ، أصل صحيح يدل على ذكر شيء وتنويه • ونشد فلان فلاناً قال : نشدتك الله ، أي سألتك بالله • وتلخيصه ذكّرتك الله تعالى • ومنه إنشاد الشاعر ، وهو ذكره والتنويه به • وأما نَشَدت الضَّالَّة يعني طلبتها ، فلرفع صوته) !

وهناك (أدمن الامر) يعني أدامه ولزمه • ففي اللسان : (يقال فلان

---

(١) وهي عبارة ابن الاثير في النهاية •

يدمن كذا ، أي يديمه ، ومدمن الخمر الذي لا يُقلع عن شربها ، يقال فلان مدمن خمر أي مداوم شربها) • وقد جاء في معجم المتن ومعجم الوسيط (أدمنه وأدمن عليه) ، فعاب الاستاذ محمد العدناني قولهما وقال : (وقد أخطأ المتن والوسيط حين أجازا استعمال : أدمن عليه • وقد جاء في محيط المحيط : والعامة تقول أدمن على الامر أي اعتاده ومرن عليه) • أقول ان (المتن والوسيط) لم يُخطئا وانما أثبتا ما جاء في أساس البلاغة واعتمداه• قال الزمخشري : (وفلان مدمن خمر لايُقلع عن شربها ، وهو يُدمن شربها • وأدمن الامرَ وأدمن عليه : واظب) •

فـ (أدمن عليه) اذاً ليس من كلام العامة كما جاء في محيط المحيط، ولا هو من خطأ الكتاب كما قاله الشيخ ابراهيم اليازجي • وقد نبهنا على على ذلك في كتابنا (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) الصادر عام ١٩٣٩ •

ووجه العجب ألاّ يستظهر الاستاذ العدناني بالتضمين في إقرار (أدمن عليه) كما استظهر به لتسويغ نظيره، فمادام قد أجاز تعدية الفعل تعدية ما هو بمعناه وسماه تضميناً ، فما باله لم يحمل (أدمن عليه) على (واظب عليه) مثلا ؟

وأبلغ في العجب وأذهب ، أن يمضي الاستاذ العدناني في استحسان إنابة حرف مكان حرف ، في استعمال كثير من الافعال ، وكأنه قياس ، ثم يختم كلامه على التضمين بقوله : (من هذا كله نرى أن إنابة حرف مكان حرف آخر جائزة في كثير من الاحوال ، لكنها لا تطَّرد في كل موضع ، ويُترك الامر فيها الى السماع لا القياس) !

وقد عاب صاحب الجاسوس على القاموس ، صاحبَ المصباح ، بأنه

عدّى (واظب) بنفسه في مادة (دام) وبـ (على) في مادة واظب ، فقال: (ومثله تعدية صاحب المصباح واظب بنفسه في تفسير داوم وبـ ـ على ـ في مادّته) • أقول ان (واظبه) لم يرد بمعنى (واظب عليه) فيما تهيأ من نصوص المراجع ، وانما جاء (وَظِبَه) • ففي اللسان (ووَظِبَه وظوباً وواظب لزمه) • فقد يكون كلام المصباح قد حُرِّف والاصل فيه (وداومَ على الشيء مُداومة وَظِبَه) لا (واظبه) • أما (واظبه) فقد جاء في حديث أنس (كنّ أمهاتي يواظبنني على خدمته) • قال صاحب النهاية (أي يحملني ويبعثني على ملازمة خدمته والمداومة عليها)•

★ ★ ★

ومما نحن بسبيله ما بحثه الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج ، عضو مجمع اللغة العربية القاهري في مجلة المجمع للبحوث والمحاضرات لعامي (١٩٦٦ و ١٩٦٧) حول ما جاء عن زيادة (لا) في التنزيل الحكيم•

فقد أورد آية ص (٧٥) : (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقته بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين) ، وقال ان السؤال فيها قد كان عن المانع الذي منع ابليس من السجود • وقد أتبع السؤال سؤالاً آخر عن حقيقة هذا المانع ، أهو الكبر والتعالي ، أم أنه من العالين ، فلم ينطو على شيء غير السؤال عن المانع وحقيقته •

وجاء بآية الحجر (٣٢) : (وقال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين) وقال انها تضمنت سؤالا ، لا عن المانع من السجود ، بل عن السبب الباعث على تركه • فهو في معنى أي شيء حصل لك حتى حملك على ترك السجود مع الساجدين ، وأردف : (ولا شكّ أن السبب الباعث

والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعل •فهما أمران متغايران وان كانا متقاربين)•

ثم أتى بآية الأعراف (١١) : (قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك • قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين)، فقال انها انطوت على سؤال عن المانع من السجود ، وآخر عن الباعث على تركه ، وكأنّ تقدير الكلام (ما منعك من السجود ، وما حملك على ألاّ تسجد) •

وقد دعا ذلك الشيخ عبد الرحمن أن يحمل هذه الآية على التضمين، إذ قال : (إن الآيتين من سورة الحجر وسورة ص ، تشيران الى ذلك المجال الرحب ، وتوجّهان لذلك الوجه السديد السهل ، وترشدان الى سرّ ذلك التعبير الخاص الذي جاءت عليه آية الأعراف) • وأردف : (ان التضمين الذي هو من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن ، وأجمله وأبرعه • ذلك التضمين قد جَمَعت به آيةُ الأعراف ما اشتملت عليه الآيتان الأُخريان من المعنى • جَمَعت السؤال عن المانع من السجود ، والسؤال عن الباعث على ترك السجود ، بطريقة يدركها من يُعنى بمراعاة الدقة والتعمق في تفهّم الآيات القرآنية ولاسيما في هذا المقام) •

وهكذا ضُمِّن فعل (منع) معنى (حمل) وعُدّي تعديته فجمع بالتضمين الى معناه معنى هذا الفعل ، وكأن تقدير الكلام كما أسلفنا (ما منعك من السجود وما حملك على ألاّ تسجد) • فالفعل الاول لم يفقد معناه ولا عمله (وبذلك يتعدّى الى مفعوله الخاص الذي كان له قبل التضمين • ويتعدّى أيضاً الى مفعول آخر يناسب معنى الفعل الثاني بسبب التضمين • غير أن التضمين يقتضي طيّ المفعول الذي كان للفعل الاول ، للعلم به ، ودلالة المقام عليه • كما يقتضي التصريح بالمفعول الذي

يتطلبه الفعل الآخر ، بعد أن يُطوى هذا الفعل ويحمل الفعل الاول معناه ••) •

وأوضح الشيخ تاج ما ذهب اليه فقال : (ان التضمين الذي معنا هنا في آية الاعراف قد اشتمل على ما يسمى الاحتباك ، وهو أن يكون في الكلام عبارتان يحذف في كل منهما ما ترشد اليه الأخرى) •

هذا وأما تقدير آية الاعراف هذه ، على التضمين البياني ، فذلك (ما الذي منعك من السجود حاملا لك على تركه) •

ولكن ما رأي المتقدّمين في تأويل مجيء (لا) في آية الأعراف هذه ؟

ذهب بعض النحاة البصريين والكوفيين الى القول بزيادة (لا) ، وقال آخرون بأصالتها • والقائلون بالزيادة يلتمسون معنى لذكر الحرف، إذ لا قائل من النحاة بأن في القرآن حرفاً جيء به لغير فائدة • وعلى رأس من أخذ بالزيادة جار الله الزمخشري ، إذ قال في كشافه (إن ــ لا ــ في: ألاّ تسجد صلة ، بدليل قوله : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ،ومثلها: لئلا يعلم أهل الكتاب ، بمعنى : ليعلم •• فان قلت مافائدة زيادتها قلت لتوكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه، كأنه قيل: ليتحقق علم أهل الكتاب ، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك) •

ولم يرتض الشيخ تاج أن ترد اداة للنفي ، لتأكيد ما هو مثبت أو تحقيقه • والنفي والاثبات متعارضان بل متناقضان ، وقال : (إن هذا الذي ذهب اليه الإمام الزمخشري ، لا يسلم له دليل ، ولا ينهض له شاهد من لغة أو عرف • بل إن الشواهد كلها واللغة والعرف على خلافه) • وعندي أن ما ارتآه الشيخ لا يجافي الصواب ، والاّ فكيف يكون قولك

(أن لا تسجد) أبلغ في تحقيق السجود من قولك (أن تسجد) ، فيأتي تحقيق الاثبات في صورة النفي ؟

قال الإمام الزمخشري (إن ــ لا ــ في : أن لاتسجد ، صلة • بدليل قولك : ما منعك أن تسجد) • وقال أبو حيان في البحر المحيط (قولـــه تعالى : ما منعك أن تسجد ، وسقوط ــ لا ــ في هذا ، دليل على زيادتها في : ألاّ تسجد) • أقول قد أصاب الإمامان وجه الرأي إذا ثبت أن آية الأعراف التي جاءت على النفي بمعنى آية (ص) التي قامت على الإثبات، وأنزلت منزلتها من كل وجه • ولكن ما الدليل على ذلك ؟

وظاهر" أن آيتي الأعراف (١٠/١١) قد انطوتا على أمر الله الصريح (ثم قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا ، الاّ ابليس لم يكن من الساجدين • قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين) • واقتضى عدم الانقياد لأمر الله ورفض طاعته ، البحث عن علة هذا العصيان بالسؤال عن المانع من الامتثال لأمر الخالق ،والباعث على تركه ، وذلك بالتضمين • وقد خلت آية ص (٧٥) من مثل هذا الامر • قال تعالى (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين) • فانطوت على السؤال عن المانع من السجود ، ولم تتجاوزه الى الباعث على تركه • ذلك (أن الباعث والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعـــل ، فهما متغايـــران ، وان كانا متقاربين) كما تقدم •

على أن كثيرا من الأئمـــة المفسرين قد عرضوا لما قاله البصـــريون والكوفيون على زيادة (لا) ، ثم استصوبوا القول بأصالتها ، كما فصله الشيخ تاج • ومن هؤلاء (ابن جرير الطبري) وقد أوّل آية الاعراف على

تقدير (ما منعك من السجود فأحوجك ألاّ تسجد) . والفخر الرازي ، فقال : (ان الله ذكر المنع ، وأراد الداعي ، فكأنه قال : مادعاك الى ألاّ تسجد) . ذلك (لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يُتَعجب منها ويُسأل عن الداعي اليها) ـ ونظير هذين الإمامين ، أبو السعود ، إذ قال (وقيل الممنوع عن الشيء مصروف اليه . فالمعنى ما صرفك الى أن لا تسجد) .

ويمكن أن يُحمل كلام هؤلاء جميعا،على أن في الآية نوعا من المجاز المرسل ، علاقته اللزوم ، وقد ردده السكاكي في باب المجاز المرسل .

أما أبو حيان في البحر المحيط فقد قال بزيادة (لا) ، وذكر القول بأصالتها على أنه وجه آخر . قال : (وقال قوم ـ لا ـ في : أن لاتسجد، ليست زائدة ، واختلفوا . فقيل يقدر محذوف يصحّ معه المعنى ، وهو ما منعك فأحوجك أن لاتسجد . وقيل يحمل قوله ما منعك معنى يصحّ معه النفي ، فقيل معنى ما منعك من أمرك ، ومن قال لك ألاّ تسجد).

هذا وقد نقل الشيخ الآلوسي في (تفسير روح المعاني) عن السكاكي وغيره،أن فعل المنع في الآية مجاز عن الحمل أو مجاز عن الإلجاء والاضطرار، فلم يرتض الشيخ تاج ذلك فقال : (فان المجاز كما هو معلوم ، لا يصحّ فيه ارادة المعنى الحقيقي للفظ ، بل لابد أن تكون هناك قرينة تمنع من إرادة هذا المعنى).

ثم أردف (واذاً يكون الصواب هو ما أفادته عبارة الآلوسي ... أن يكون ذلك من باب التضمين) . أقول إذا ذُكر في تأويل الآية أن فعل المنع قد قصد به الحمل على تقدير (ما حملك على ألاّ تسجد) فهو مجاز لا شك فيه . ولكن اذا ذكر المنع وقصد به حقيقة معناه مع إرادة الحمل

على تقدير : (ما منعك أن تسجد وحملك على تركه) فهل ثمة ما يحول أن يصحّ فيه المجاز أيضا ؟

يبدو أن الشيخ يعارض في هذا كما مرّ ، ويعلل فيقول : (فان المجاز لا يصحّ فيه إرادة المعنى الحقيقي) • ومن ثم يحمل التأويل على التضمين دون المجاز • وعندي أن ارادة المعنى الحقيقي للفعل المذكور مع معنــى الفعل الآخر قد يُفَسَّر بأنه مجاز أيضا • ذلك أن المجاز انما يمنــع من ارادة المعنى الاصلي وحده ، وقد امتنع هذا المعنى فعلا ، لا بانسلاخه عن اللفظ ، بل بانضمام المعنى الآخر اليه • فلو كان الفعل المذكور مستعملا في معناه الحقيقي،فلا دلالة على الفعل الآخر • وعلى هذا يندرج التضمين في مطلق المجاز كما يقولون •

وقد جاء في حاشية الامير على المغني (١/١٩٥) : (قوله مامنعك ، قال الدماميني يحتمل عدم الزيادة بتضمين منع معنى حمل أي حملك على كذا) • أقول ليس هذا تضمينا اذا كان التأويل (ما حملك) ، ولو سُمي كذلك • بل هو مجاز لان في التضمين عند الاكثرين إرادة للمعنيين جميعا على تأويل : (ما منعك وحملك) • وجاء في مفردات الراغب (ما منعك ألاّ تسجد أي ما حملك) • وهذا مجاز • لكنه أردف : (وقيل ما الذي صدّك وحملك على ترك ذلك) ، فاستوفى بقوله هذا حدّ التضمين •

هذا وقد عرض الدكتور علي العماري لكلام الشيخ تاج ، في مجلة الازهر (لربيع الاول عام ١٣٩٥) فاستبعد أن يفيد (منعه) معنى (دعاه) أو (حمله) مجازاً ، أو يشرب نحوا من هذا المعنى على سبيل التضمين ، والمعنيان متضادان • فقال : (أما أن يضمَّن الفعل معنى فعل مضاد له ، فلا نكاد نسمعه) • ثم آثر أن يذهب مذهب بعض المفسّرين في تفسـير

(منعه) معنى (حماه) ، فيكون فحوى الآية (ما حماك وجعلك في منعةٍ مني في ترك السجود) •

والجواب عن ذلك أنه قد يتفق في التضمين أن يتضاد المعنيان،فيكون التناسب في تلازمهما • قال المرزوقي في قول الشاعر (ما أنفيك •• لألأمَ من أبيك) : (كأنه قال ما أنفيك من أبيك وأدعوك لألأم منه ، لأنه اذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره) • وقد سبق أن بينّا العلاقة بين (النفي)و(العزو) أو بين قطع النسب ووصله ، على تضادهما ، فأوضحنا أنها علاقة تلازم • فقطع النسب من جهة يستلزم اتصاله بأخرى ، كما لمَّح اليه المرزوقي • أولا ترى أن ما بين (أنفيك) و (أدعوك) في البيت ، مثل مابين (منعك) و (دعاك) في الآية ؟ فاذا صحّ التضمين في البيت فقد ثبت في الآية •

أما إيثار العماري مذهب بعض المفسّرين في أن (منعه) بمعنى (حماه) فلا نستجيزه • ذلك أن (منعه) قد جاء بمعنى (حال دونه) في قوله تعالى (ما منعك أن تسجد) باتفاق • وقد زيد النفي في قوله تعالى (ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك) ، وقد بينّا وجه دخول هذا النفي •

★ ★ ★

فتبيَّن بما بسطنا القول فيه وفصّلناه ، أن ملاك الامر في هذا الباب أن يُحمل الفعل في تعديته ولزومه على أصله • فاذا تعذر ذلك لقرينة مانعة ، حُمل على وجه من المجاز بشروطه المصححة لاستعماله،أو التضمين بمراعاة حدّه وتحقيق غرضه •

ولابدّ في كل ذلك من إنعام الفكر وإعمال الرويّة ، ليخلص الرأي من كل شائبة ، ويصفو من كدر أو معابة •

والاّ فقد جرنا عن قصد السبيل ، وجرينا في الحكم بلا دليل •

صلاح الدين الزعبلاوي

من أعلام الأحمدين عند ابن عساكر

قطعة من التاريخ سقطت من نسخه المعروفة وثبتت في مختصره لابن منظور

الاستاذ محمد أحمد دهمان

يسألني كثير من الناس في بعض الاحيان عن تاريخ ابن عساكر كم مجلداً هو فأجيب بأنه ثمانون مجلداً ، وأزيد في التوضيح بأن أقول اذا وضعتَ على الارض مجلداً ثم وضعتَ فوقه بقية المجلدات فان آخر مجلَّد يلامس السقف وبعبارة ثانية يحتاج هذا الكتاب الى رف طوله أربعة أمتار . ثم يسائلونني لماذا تقول هذا العدد وهو في المكتبة الظاهرية بضعة أجزاء فأجيبهم بأن الموجود منه ناقص وهذا ما يدفعني لان أذكر بعض النقص فيه..ان الأعلام الواردة في الاجزاء الموجودة في الظاهرية تبتدىء «بأحمد بن عتبة» فأين أحمد بن أحمد وأحمد بن ابراهيم وأحمد بن بشر وأحمد بن ثابت الخ..حتى نصل الن أحمد بن عتبة. إن هذا يدعو الى التأمل والتفكير وهذا ما دعاني لأن أراجع في مختصر هذا التاريخ لابن منظور الموجود في الاستانة . وحينما زرت الاستانة كان أول تفكيري في هذا الموضوع فذهبت الى مكتبة طوب قبو سراي والى غيرها من المكتبات وراجعت الاسماء الموجودة في أول الاعلام فاذا هي تزيد عن نسخة الظاهرية نحو مائتي اسم وقد كنت نسختها وقتئذٍ . وها أنا أقدم مانسخته الى القراء الكرام راجياً منهم أن ينشروا في هذه المجلة الغراء تراجم ما

يطلعون عليه في الكتب التاريخية وغيرها لنستدرك ما سقط من تاريخ ابن عساكر ، ولو كان غير منقول عنه • وبهذا نستطيع أن نرد الى هذه الموسوعة الضخمة عدداً ضخماً من الاسماء الفارّة منه والناقصة • وفيما يلي أقدم هذه القائمة الناقصة التي تبلغ نحو المائتين من مكان واحد وهي تبلغ ثلاث مجلدات ونصفاً ، وليس ما ذكره ابن منظور في مختصره هو كل ما في تاريخ ابن عساكر بل إنه أسقط بعض تراجم لم ترق له لانعرف مقدارها• وهذا ماورد في مختصر ابن منظور :

من اسم أبيه على حرف الألف

١ أحمد بن أحمد بن وركشين
٢ أحمد بن أبي أحمد الجرجاني
٣ أحمد بن أبي أحمد بن ابراهيم بن حبيب البغدادي
٤ أحمد بن ابراهيم بن الحداد الاسدي
٥ أحمد بن ابراهيم بن أحمد الاصبهاني الشاهد
٦ أحمد بن ابراهيم الرازي المعروف بابن الخطاب
٧ أحمد بن ابراهيم بن أيوب أبو بكر الحوراني
٨ أحمد بن ابراهيم بن تمام بن حبان أبو بكر السكسكي
٩ أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
١٠ أحمد بن ابراهيم بن سعد الخير بن عثمان بن يحيى
١١ أحمد بن ابراهيم بن عبد الله القرشي
١٢ أحمد بن ابراهيم بن عبد الوهاب بن بشير بن عبد الله بن الحسن ابن يزيد بن عبد الله أبو الطيب المعروف بابن عباد الشيباني •
١٣ أحمد بن ابراهيم بن فيل أبو الحسن البالسي

٣١ أحمد بن اسحق بن صالح بن عطاء أبو بكر الوزان
٣٢ أحمد بن اسحق بن محمد بن أحمد بن اسحق بن عبد الرحمن بن يزيد
٣٣ أحمد بن اسرائيل بن الحسين أبو جعفر الكاتب
٣٤ أحمد بن اسماعيل بن القاسم بن عاصم أبو جعفر وقيل أبو بكر الصدفي
٣٥ أحمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن أبي البحتري وهب ابن وهب
٣٦ أحمد بن أصرم بن خزيمة بن عباد بن عبد الله بن حسان ... المغفلي المزني
٣٧ أحمد بن أصرم بن طاهر بن محفوظ أبو حامد السجستاني
٣٨ أحمد بن أنس بن مالك أبو الحسن الدمشقي

مَن اسم أبيه على حرف الباء

٣٩ أحمد بن بحر اللحمي
٤٠ أحمد بن بشر بن حبيب بن يزيد أبو عبد الله الصوري التميمي المؤدب
٤١ أحمد بن بشر بن عبد الوهاب بن بشر أبو طاهر

مَن اسم أبيه على حرف التاء

٤٢ أحمد بن تبوك بن خالد بن يزيد بن عبد الله

مَن اسم أبيه على حرف الثاء

٤٣ أحمد بن ثابت بن عتاب ويقال عيّاث وعراب أبو يحيى الرازي الناهلي ــ كذا

٤٤ أحمد بن ثعلبة العاملي

مَن اسم أبيه على حرف الجيم

٤٥ أحمد بن الجحاف أبو بكر الأزدي النشوي
٤٦ أحمد بن جعفر بن أحمد بن حمكان أبو العباس القصوري
٤٧ أحمد بن جعفر بن الحسن أبو بكر البلدي الواعظ
٤٨ أحمد بن جعفر بن حمدان ابو الحسن الطرسوسي
٤٩ أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد هرون
٥٠ أحمد بن جعفر بن محمد بن علي أبو الحسن البغدادي
٥١ أحمد بن جعفر أبو العباس الفرغاني المعروف بغياث
٥٢ أحمد بن جعفر أبو جعفر الهلالي أي من جبل بني هلال ، الزاهد من اعمال سرخد .
٥٣ أحمد بن جواد بن قطن بن كثير بن سويد بن جعفر التميمي النيسابوري

مَن اسم أبيه على حرف الحاء

٥٤ أحمد بن حبيب بن عبد الملك بن حبيب
٥٥ أحمد بن حجيل بن يونس أبو عبد الله الغوثي
٥٦ أحمد بن حسن بن أحمد بن خميس بن أحمد بن الحسين السلماسي القاضي
٥٧ أحمد بن الحسن بن أحمد بن عثمان بن سعيد بن القاسم الغساني المعروف بابن الطيان
٥٨ أحمد بن الحسن بن أحمد أبو العباس الشاهد المعروف بابن الوراق

٥٩ أحمد بن الحسن بن جنيد أبو الحسن الترمذي الحافظ

٦٠ أحمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد أبو نصر الحافظ الشيرازي المعروف باللباد

٦١ أحمد بن الحسن بن روزبة أبو بكر البصري الفارسي

٦٢ أحمد بن الحسن بن زريق أبو محمد الحراني

٦٣ أحمد بن الحسن بن علي بن زرعة أبو الفرج الصوري

٦٤ أحمد بن الحسن بن هرون بن سليمان بن يحيى بن سليمان المعروف بالصباحي البغدادي

٦٥ أحمد بن الحسن أبو بكر الاحنف البغدادي

٦٦ أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب بن كثير بن حماد المشغراني

٦٧ أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن أصعر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو القاسم الحسيني العقيقي كان من وجوه الاشراف بدمشق ومدحه أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الوأواء وهو صاحب الدار والحمام بنواحي باب البريد • قال محمد ابن المكرم : هو صاحب الدار التي كانت تعرف بدار العقيقي وهي الآن تربة ومدرسة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري دفن بها هو وولده الملك السعيد وبنيت تربة ومدرسة • قال الشريف أبو القاسم العقيقي سمعت في قول الله عز وجل في قصة يوسف وخطابه لاخوته : انه من يتق ويصبر ، قال : يتقي الله في جميع أموره ويصبر على العزوبة كما صبر يوسف عن زليخا ، وعزوبته في تلك السنين كلها • مات

الشريف العقيقي المذكور بدمشق يوم الثلاثاء لأربع خلون من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة بين الظهر والعصر وأغلقت المدينة يوم الاربعاء وأخرجت جنازته ضحوة نهار الى المصلى وحضر يكجور وأصحابه ومشى الاشراف خلف سريره ودفن خارج باب الصغير.

٦٨ أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسن البغدادي

٦٩ أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم .. الثغري الصوري المعروف بابن أخت الكاملي

٧٠ أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي من أهل الكوفةقدم دمشق ومدحبها.

٧١ أحمد بن الحسين بنالحسن بن عليأبو بكرالانصاري البروجردي

٧٢ أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن خراسان الاطرابلسي

٧٣ أحمد بن الحسين بن داتاج أبو العباس الزاهد الاصطخري

٧٤ أحمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم أبو العباس مولى بنيهاشم

٧٥ أحمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم بن الحكم بن عبد الله أبو زرعة الحافظ الرازي

٧٦ أحمد بن الحسين بن علي بن مهدي بن علي بن جابر الاطرابلسي المعروف بابن الشماع

٧٧ أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر الاصبهاني المقرىء

٧٨ أحمد بن الحسين أبو الحسين بن التمار المؤذن مؤذن مسجد جامع دمشق

٧٩ أحمد بن الحسين أبو الحسن البغدادي البزي

٨٠ أحمد بن حفص بن عمر بن صالح بن عطاء بن السايب البلقاوي
٨١ أحمد بن حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
٨٢ أحمد بن الحكم أبو جزيه ويقال أبو حرب البلقاوي
٨٣ أحمد بن حمدون بن اسماعيل بن داود أبو عبد الله الكاتب الشاعر
٨٤ أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزيمة أبو اسماعيل النهروي الحداد الصوفي المعروف بعمويه
٨٥ أحمد بن حميد بن سعيد بن خالد بن حميد بن صهيب بن طليب ابو الحسن الازدي المعروف بابن أبي العجائز

مَن اسم أبيه على حرف الخاء

٨٦ أحمد بن خالد أبو العباس الدامغاني
٨٧ أحمد بن خالد رجل من أهل دمشق
٨٨ أحمد بن الخضر بن بكر بن حماد بن الخاضب الامام
٨٩ أحمد بن خلف
٩٠ أحمد بن خلف الدمشقي نزيل بخارا
٩١ أحمد بن خليد بن يزيد أبو عبد الله الكندي الحلبي
٩٢ أحمد بن الخير الانطرطوسي الامام

مَن اسم أبيه على حرف الدال

٩٣ أحمد بن داود من العباد
٩٤ أحمد بن داود بن أبي نصر ويقال ابن نصر
٩٥ أحمد بن أبي دؤاد القاضي

مَن اسم أبيه على حرف الذال

٩٦ أحمد بن ذكوان امام مسجد دمشق

من اسم أبيه على حرف الراء

٩٧ أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زيد
٩٨ أحمد بن روح بن زياد بن أيوب أبو الطيب البغدادي
٩٩ أحمد بن ريحان بن عبد الله أبو الطيب البغدادي

من اسم أبيه على حرف الزاي

١٠٠ أحمد بن زكريا بن يحيى بن يعقوب أبو الحسن المقدسي

من اسم أبيه على حرف السين

١٠١ أحمد بن سالم المري ، ويقال أحمر بالراء
١٠٢ أحمد بن سباع أحد المتعبدين
١٠٣ أحمد بن سعد بن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف
١٠٤ أحمد بن سعيد بن الحسن بن النضر أبو العباس الشيحي
١٠٥ أحمد بن سعيد بن سعد أبو الحسين البغدادي المعروف بالذهبي
١٠٦ أحمد بن سعيد بن عبد الله أبو الحسن المؤدب الدمشقي
١٠٧ أحمد بن سعيد بن محمد بن الفرح
١٠٨ أحمد بن سعيد أبو بكر الطائي الكاتب
١٠٩ أحمد بن أبي السفر ويقال ابن أبي العسر
١١٠ أحمد بن سلمة بن الضحاك
١١١ أحمد بن سلمة بن كامل بن ابراهيم ابو العباس المري
١١٢ أحمد بن سلمة الانصاري ابو موسى

١١٣ أحمد بن سليمان بن ايوب بن داود بن عبد الله بن حذلم
١١٤ أحمد بن سليمان بن زبان بن الحباب
١١٥ أحمد بن سليمان ابو بكر الزنبقي الصوري
١١٦ أحمد بن سليمان البغدادي
١١٧ أحمد بن سهل بن بحر ابو العباس النيسابوري
١١٨ أحمد بن سهل بن حماد الرافقي
١١٩ أحمد بن سلامة بن يحيى ابو الحسين الابار
١٢٠ أحمد بن سيار بن أيوب بن عبد الرحمن ابو الحسن المرزوي

مَن اسم أبيه على حرف الشين

١٢١ أحمد بن شبون بن أحمد بن ثابت بن عثمان
١٢٢ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي

مَن اسم أبيه على حرف الصاد

١٢٣ أحمد بن موسى بن صاعد الصوري
١٢٤ أحمد بن صافي ابو بكر التنيسي ابن رحيم البزاز
١٢٥ أحمد بن صالح أبو جعفر المصري الحافظ المعروف بابن الطبري
١٢٦ أحمد بن صالح المكي الطحان السواق
١٢٧ أحمد بن صالح بن عمر بن اسحاق ابو بكر البغدادي
١٢٨ أحمد بن صالح بن محمد بن صالح بن المثنى بن ثعلبة بن عمر بن منصور أبو العلاء الأثطّ

مَن اسم أبيه على حرف الضاد المعجم

١٢٩ أحمد بن الضحاك بن مازن ابو عبد الله الاسدي

١٤٧ أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو علي العبدي
١٤٨ أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن صفوان
١٤٩ أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق بن عمر بن مسلم ابو الحسن الدمشقي
١٥٠ أحمد بن عبد الله بن عراك بن الركين بن العلاء ابو بكر الدهستاني
١٥١ أحمد بن عبد الله بن علي أبو العباس المقرىء البغدادي
١٥٢ أحمد بن عبد الله بن عمر بن حفص المالكي البغدادي
١٥٣ أحمد بن عبد الله بن عمر الدمشقي
١٥٤ أحمد بن عبد الله بن عمرو الدمشقي
١٥٥ أحمد بن عبد الله بن الفرج بن عبد الله ابو بكر القرشي
١٥٦ أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المزني الهروي
١٥٧ أحمد بن عبد الله •• بن أبي طالب وهو صاحب الحال أخو علي بن عبد الله القرمطي تابعه القرامطة بعد قتل أخيه •
١٥٨ أحمد بن عبد الله بن مرزوق ابو العباس الاصبهاني
١٥٩ أحمد بن عبد الله ابي الحولدي بن ميمون بن عباس التغلبي العطفاني
١٦٠ أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير
١٦١ أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال ابو الفضل السلمي
١٦٢ أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن سفيان ابو العلاء البغدادي
١٦٣ أحمد بن عبيد الله بن فضال ابو الفتح الحلبي
١٦٤ أحمد بن عبيد الله
١٦٥ أحمد بن عبد الباقي بن الحسن ابو الحسين القيسي

١٦٦ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد
١٦٧ أحمد بن عبد الرحمن بن بكار بن عبد الملك بن الوليد بن يسر بن أبي أرطاة أبو الوليد القرشي العامري البسري
١٦٨ أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن ابو الحسين الطريفي
١٦٩ أحمد بن عبد الرحمن بن ابي الحصين أبو بكر الانطرسوسي
١٧٠ أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن معروف بن حبيب
١٧١ أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك اللخمي
١٧٢ أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس الاطرابلسي
١٧٣ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الجارود ابو بكر الرقي
١٧٤ أحمد بن عبد الرحمن بن واقد التنوخي البيروتي
١٧٥ أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى المعروف بابن ثرثار
١٧٦ أحمد بن عبد الرزاق
١٧٧ أحمد بن عبد الصمد بن محمد بن غانم بن الحسن أبو الحسين التميمي
١٧٨ أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن حبيب ابو الطيب المقدسي
١٧٩ أحمد بن عبد العزيز ابو عمرو
١٨٠ أحمد بن عبد القاهر بن الخيبري اللخمي
١٨١ أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد النيسابوري
١٨٢ أحمد بن عبد الملك بن مروان ابو بكر البيروتي
١٨٣ أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن بندار الكريدي
١٨٤ أحمد بن عبد الواحد بن أحمد ابو بكر البجلي
١٨٥ أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن الحكم السلمي

١٨٦ أحمد بن عبد الواحد بن الموحد بن البري أبو الحسين السلمي
١٨٧ أحمد بن عبد الواحد بن واقد ابو عبد الله التميمي
١٨٨ أحمد بن عبد الواحد بن يزيد ابو عبد الله العقيلي الجوبري
١٨٩ أحمد بن عبد الوهاب بن عوف بن اسماعيل أبو الحسين المزني
١٩٠ أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الغني اللهبي
١٩١ أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة أبو عبد الله البجلي الحمطي
١٩٢ أحمد بن عبيد بن أحمد بن عبيد بن سعيد ابو بكر الصفار الرعيني الحمصي
١٩٣ أحمد بن عتاب ابو العباس الرفني
١٩٤ أحمد بن عتبة بن مكين ابو العباس السلامي الجوبري

هذا آخر ماورد في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور حتى اسم « أحمد بن عتبة بن مكين ابو العباس السلامي الجوبري » وهو أول اسم ورد في النسخة الخطية الظاهرية .

محمد أحمد دهمان

نظرية الضرورة في كتاب سيبويه

الدكتور محمد خير الحلواني

لم يخطىء القدماء حين وصفوا كتاب سيبويه بأنه قرآن النحو ، فقد وجدوا الخالفين من النحاة ينهلون منه بلا تحفظ ، ويحكمونه فيما شجر بينهم ؛ وليس بمستنكر أن يطلق عليه المعاصرون هذا اللقب ، لان كثيراً من آرائه وطرائقه تبدو لهم جديدة كلما امتد بها الزمان ، حتى لتجد فيها معالم واضحة من بحوث علم اللغة الحديث ومدارسه ، بل تصادف في أسلوبه ومعالجته للظواهر اللغوية رؤية تكاد تتسم بالشمول والتوحد ، على الرغم من أن المسهمين فيه ليسوا سواءً في أسلوب الدرس اللغوي، ولا سواء في أصالة التفكير النحوي .

والحق أن هؤلاء المسهمين ينتظمون في اتجاهين : يمثل الاول منهما عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (١١٧ هـ) ، وعيسى بن عمر (١٤٩هـ) والخليل بن أحمد (١٧٠ هـ) وسيبويه (١٨٠ هـ) . ويمثل الثاني أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ) . أما الاتجاه الاول فكان ينحو نحواً قياسياً عقلياً في تعليل ظواهر اللغة ، وينحو الثاني نحواً هو الى الوصفية أقرب منه الى التعليل والتأويل .

ولم يطلعنا « الكتاب » على آراء هؤلاء جميعاً في الضرورة الشعرية، بل اكتفى بنقل شيء يسير من كلام يونس ، ثم فرغ للإفاضة بنقل رأي الخليل بن أحمد خاصة ، وهو الذي حدد نظرية الضرورة في تاريخ

النحو العربي ، أما سيبويه فيبدو لنا أنه لم يضف شيئاً الى مفهوم الضرورة بل اكتفى بما انتهى اليه فهم شيخه ، فمضى في « الكتاب » يطبق هذه النظرية بذكاء نادر ، وبصر نافذ في تراكيب اللغة ، مثله كمثل عالم الكيمياء الذي لم يصنع قانون المادة ، ولكنه يملك من القدرة ما يكفيه لممارسته في المخبـر •

وترتبط نظرية الخليل في الضرورة برؤيته العامة للغة ، ومستوياتها التعبيرية ، ولا يستطيع الباحث أن ينفذ الى جوهرها الا اذا أحاط بهذه الرؤية التي يجسدها سيبويه في كثير من صفحات الكتاب•

١ ـ الضرورة قبل الخليل

ومن المجزوم به أن نظرية الضرورة الشعرية لم تظهر الا بعد أنقطع الاستقراء اللغوي شوطاً بعيداً ، إذ لايمكن أن تتضح للنحاة الا بعد أن تتجمع لديهم الاصول الاولى ، وتستقر في أذهانهم القوانين اللغوية ، ويغلب على الظن أنها ترجع الى المرحلة النحوية التي خلفت تلامذة أبي الأسود الدؤلي ، وهي التي يمثلها نحاة « الكتاب » وأعني بهم الحضرمي، وعيسى ، وأبا عمرو ، غير أنها لم تصر نظرية واضحة المعالم الا في نتاج الخليل وتلميذه سيبويه•

ففي مرحلة الحضرمي وصاحبيه ظهر الفرق بين لغتي الشعر والنثر، وقد اتضح لهؤلاء أن اللغة الاولى قد تخرج على الاصول العامة ، بل ان أبا عمرو من دون صاحبيه كان يجمع اليها بعض اللغات التي قرىء بها القـرآن •

وعلى الرغم من أن الحضرمي كان يلتمس الحيلة أحياناً في توجيه

بعض الظواهر الشعرية لانجد له ــ فيما رواه الرواة ــ نظرية واضحة في الضرورة ،فكل ما وصل الينا من آرائه أنه كان ينسب الى الخطأ تلك الظواهر المخالفة للأصول .

أما يونس بن حبيب فقد ظل مفهوم الضرورة عنده على ما كانعليه قبل الخليل ، إذ لم يكن يلتمس وجهاً ما كما كان يفعل معاصره الخليل ، بل كان يكتفي بمثل هذا القول : « أنَّه نوّن مضطراً[1] » .

٢ ــ الضرورة عند الخليل وسيبويه

ظل إذن مفهوم الضرورة غير واضح حتى جاء الخليل ووضع له أسساً نظرية وعاها تلميذه سيبويه وعياً عميقاً ، فأحسن نقلها عنه ، وأجاد ممارستها في تفسير الظواهر التي تخرج على الاصول العامة .

وفي هذه المرحلة كان التفاعل الثقافي في الحياة العلمية قد امتد الى النحو ، وكان علم الفقه خاصة يسود سائر العلوم ، وقد انتقل منه الى الدراسات النحوية بعض أساليبه وطرائقه ، كالقياس ، والإجماع ، والعلة، وما يمكن أن نسميه « نظرية الأصل » ، فقد كان الفقهاء ــ كأبي حنيفة وأصحابه ــ يبحثون في « الرُّخَص » ، وما يباح أحياناً من تجاوز أصل كلي ، أو قاعدة فقهية ، اذا دعت الى ذلك ضرورة ، كما كانوا يبحثون في ماهية الاشياء والافعال من حيث تحليلها وتحريمها ، والاصل في التحليل والتحريم[2] ، كما بحثوا في حدود الضرورة فرأوا أن من شروطها « ألا يخالف المضطر مبادىء الشريعة الاسلامية الأساسية ..[3] » .

(١) كتاب سيبويه (طبعة هارون) ٢/٣٠٨ ــ ٣٠٩

(٢) نظرية الضرورة الشرعية . للدكتور وهبة الزحيلي ص ٢٨ دمشق ١٣٨٩/١٩٦٩

(٣) نفسه : ٦٧

وقد كان الخليل يتابع الحركة الثقافية في شُعَبها الثلاث ، الفقهية، والكلامية ، واللغوية ؛ وساعده على بناء نظرية الضرورة أن الاستقراء اللغوي لزمنه قد حدد الضوابط العامة ، ووضح النُّظُم الكلية ،وأشار الى المستويات اللغوية المتعـددة إشارات لا تفتقر الى المزيد ، ومن أجل ذلك كله صار مفهوم الضرورة عنده جزءاً من وعيه لبناء اللغـة العام ، وإحاطته بدقائق التعبير ، وصارت الضرورة نفسها مقرونة الى مستويات أخرى كالرديء ، والقبيح ، والضعيف ، وأشباه ذلك .

١ ـ الضرورة والرؤية اللغوية

وأول ما نلاحظه في دراسة الخليل وتلميذه للضـرورة أنها ترتبط ارتباطا محكما بروؤيتهما للغة ، بحيث لايمكن فصمها عنها ؛ فهما يريان اللغة بناءً بالغَ مهندسه في إحكام صنعته . أو هي عندهما مجموعة من الاساليب تحكمها قوانين دقيقة ليست مستقلة تمام الاستقلال ، ولكنها متفاعلة بحيث تتقارض الأحكام طوراً ، وينوب بعضها عن بعض أحياناً .

وقد نشأ من هذا التفاعل بين أنظمة الاساليب ما ظاهره خروج على النظـام العام ، ولذلك كان من اللازم أن تدرس الظواهر الشاذة هذه، ليعودَ الى بناء اللغة وحدته المتكاملة ، ولتبرز فيه ظاهـرة التفاعل بين وَحَداته التي تكوِّنه .

ويبرز لنا في كتاب سيبويه ضربان من الظواهر اللغوية التي تخـرج على النظام العام :

الاول صدر عن الجماعة اللغوية كلها ، وصار جزءاً من نظام اللغة وأقيستها ، وبات عادة كلامية تخضع للعُرف والشيوع ؛ من هذا النوع

الاسم الممنوع من الصرف ، والاسم المبني ، وإعراب الفعل المضارع ، وعمل (ما) عمل (ليس) ، وحذف الواو والنون من (يكون) في حال الجزم ، واستعمال بعض الكلمات استعمالاً خاصاً في تراكيب محدودة لاتعدوها ، مثل : لدنْ غُدْوةً ، وعسى الغويرُ أبؤساً • فهذه الظواهر خرجت على الأصول ، لأن« الاصل » في الاسماء أن تنوّن وأن تدخلها حركة الجر ، ولهذا صار الممنوع من التنوين مخالفاً للاصل • كما أن الاسماء معربة" في أصل اللغة العام ، وبهذا يكون ما بني منها على سمت آخر ، وكذلك « الأصل » في الأفعال أن تبنى ، ولذلك كان إعراب المضارع خروجاً عليه • وهكذا نرى في تحليل هذه الظواهر مُخالَفةً صريحة للأصول •

أما النوع الثاني فلم يصدر عن الجماعة اللغوية كلها ، ولم يصرعادة كلامية خاضعة للعرف ، بل صدر عن انسان واحد ، في حالة واحدة ، ألجأته اليه رغبته في الإفصاح المباشر عما في ذهنه ، وحالت قيود الشعر دون أن يأتي التعبير مستوياً مراعياً النظام الاساسي العام ، وهذا هو الذي سمي بعد سيبويه بالضرورة الشعرية •

والذي يدل على ارتباط النوعين في ذهن الخليل وسيبويه أنهما يفسران الظواهر فيهما تفسيراً واحداً يقوم على ملاحظة العلاقة الوطيدة بين اللغة والفكر ، أو بين الكلام والمتكلم ، ففي ذهن الانسان تَخْتَزَن جميع النظم اللغوية الخاصة ، وتجتمع كل التراكيب التعبيرية ، وهو على هديها يركب ملايين العبارات السليمة ، ولكنه في بعض الاحيان يقيم نظاماً مُقام نظام ، ويجعل صيغة في موضع صيغة ، مستهدياً بحسه اللغوي العفوي ، فإن رضيته الجماعة واستخدمته صار جزءاً من اللغة ، ودخل في

أساليبها ونظمها ، وإن رفضته ظل حالاً فردية ، أو ظاهرة خارجة عن النظم السائدة ، والامر في النوعين كليهما واحد ، لأن المتكلم يصدر فيهما عن تفاعل المخزون اللغوي في نفسه ، أو ــ إن شئت ــ يصدر عن « قياس » عفوي يقوده اليه تفاعل النظم اللغوية في ذهنه ، وتداخل بعضها في بعض أحياناً .

وهذا « القياس » يختلف عن قياس الفقهاء والمناطقة ، لأنه قياس المتكلم ، وان شئت هو ما يملكه الانسان من قدرة على تركيب ملايين الجمل بحسب النظام اللغوي الذي اكتسبه من البيئة اللغوية.

وبهذا تكون ظاهرة الممنوع من الصرف قائمة على « القياس » أو على تفاعل النظم وتناوبها ، فالاسم الممنوع من الصرف مقيس على الفعل، فكما أن الفعل لا ينون ولا يجر كذلك الاسم الممنوع من الصرف ، وهذا القياس لايقوم في نفس المتكلم اعتباطاً بل يقود اليه تشابه الصيغ ، أو تشابه الظواهر ، وهذا واضح فيما قاله سيبويه ، وما نقله عن الخليل : « اعلم أن (أَفْعَل) اذا كان صفة لم ينصرف في معرفة ولا نكرة ، وذلك لأنها أشبهت الافعال ، نحو : أذهبُ ، وأعلمُ ، ، قلت : فما باله لا ينصرف اذا كان صفة وهو نكرة ؟ فقال : لأن الصفات أقرب الى الأفعال ،فاستثقلوا التنوين فيه كما استثقلوه في الافعال ، وأرادوا أن يكون في الاستثقال كالفعل اذ كان مثله في البناء والزيادة وضارعه[1] » .

أما الأسماء المبنية فقد خالفت الاصول العامة ، لأن الأصل في الاسم أن يكون معرباً ، ولكن هذه الاسماء ضارعت الحروف[2] في بنائها ، أو

(١) كتاب سيبويه : ٣/١٩٣

(٢) نفسه : ٣/٢٨٥ وما بعدها . وانظر : ١/١٥

في دلالتها الوظيفية ، والفعل المضارع أعرب لأنه في صيغته يشبه اسم الفاعل[١] (يُخْرِج ـ مُخرِج) ، ويشبهه أيضاً في تأثره باللواصق وفي مواقعه من التركيب .

على مثل هذا الأساس تُفَسَّر ظواهر اللغة التي تخرج على « الأصول » العامة التي لاتوافق القياس ، أو النظام العام للعربية ، وكثيراً ما نجد في الكتاب مثل هذا المبدأ : « ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضعٍ على غير حاله في سائر الكلام[٢] » أو : « وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله[٣] » ومثل هذا المبدأ يأتي أحياناً في كلام الخليل ، ويأتي طوراً في كلام سيبويه ، وذلك يجزم بأن الاصول التي وَجَّهت سيبويه في الكتاب كله هي مما اهتدى اليه الخليل دون غيره .

ب ـ مفهوم الضرورة في الكتاب :

على الرغم من كثرة تأويل الخليل وسيبويه للظواهر اللغوية التي خرجت في الشعر على الأصول العامة، لا نرى واحداً منهما استخدم مصطلح « ضرورة » ، ولكنهما كانا يستخدمان ألفاظاً من الجذر نفسه، كالاضطرار، أو مضطر ، أو اضطر[٤] ، أو يكتفيان بالقول : يحتمل الشعر . أو يجوز في الشعر[٥] .

وكثيراً ما نجد عندهما مُقابَلة صريحة بين لغة الشعر ولغة الكلام ،

---

(١) نفسه : ١٣/١
(٢) نفسه : ١٥/١
(٣) نفسه : ١٨٢/١ ، وانظر : ٥١٥/٣
(٤) أنظر : ٣٠٧/١ ، ٤٠٧ ، ١٦٤/٢ ، ٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٩ ، ٣٨٢
(٥) أنظر : ٢٦/١ ، ٤٨ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٨٠ ، ١٦٦/٢ ، ٢٣٠ ، ٣٠٥

ومصطلح « الكلام » عندهما يعني ما يقابل « الشعر » ، وهما يغتفران في الشعر ما لايغتفرانه في الكـلام ، وهذا واضح في مثـل قول سيبويه : « اعلم أنه يجوز في الشعر ما لايجوز في الكلام[١] » وفي قوله : « وهذا قليل في الكلام ، كثير في الشعر[٢] •

وتقوم النظرية عند الرجلين على تجاذب الأنظمة أو تفاعلها في أذهان المتكلمين ، وهذا يعني أنها لاتخرج على الأصول الاساسية للغة ، مثلهـا مثل الضرورة الشرعية التي لايمكن أن تخرج على مبادىء الدين الأولى•

أما أساس هذه النظرية فقد صاغه سيبويه بقوله : « وليس شـيء يضطرون اليه إلا وهم يحاولون به وجهاً[٣]»•

وقد تفرع هذا المبدأ في تطبيقاته ثلاثة فروع :

١ ــ الاول : الربط بين لغة الضرورة ولغة أخرى قياسية تشبهها في الشكل أو في المعنى ، وهو ما يعبر عنه الخليل وسيبويه بـ « الشَّبَه »•

٢ ــ والثاني: العودة الى النظام العام للغة،وهو مايسميانه«الاصل»•

٣ــ والثالث : التماس وجه قياسي يسوّغان به الظاهرة •

وسنتحدث عن كل من هذه الفروع حديثا موضحا •

١ ــ التشابه بين ظاهرتين :

والخليل بن أحمد هو صاحب هذه النظرية ، فهو ، يرى أن الشاعر

(١) نفسه : ٢٦/١

(٢) نفسه : ١٢٥/٢ • وانظر : ٢٥٤/٢ ، ٥٧٢/٣

(٣) نفسه : ٣١/١

حين يضطر الى تركيبٍ ما يسوقه الاستغراق النفسي أحيانا الى أن ينيب بُنْيَةً مناب بُنْيَةٍ ، وهذه العملية وان تستفيجومن الاستغراق تقوم على تداعي الصيغ وتفاعلها — كما قلنا — وتقوم على احـدى ركائز ثلاث : التركيب ، والصيغة ، والمعنى •

ففي توجهه لجزم الفعل المضارع بـ « إذا » يقول : « وقد جازوا بها في الشعر مضطرين ، شبهوها بـ « إنْ » ، حيث رأوها لما يستقبل ، وأنها لا بد لها من جواب[1] »

ومن هذا القبيل توجيهه حذف الفاء أحيانا من جواب الشرط ، قال سيبويه : « وسألته عن قوله : إن تأتني أنا كريم • فقال : لا يكون هـذا إلا أن يضطر شاعر ، من قبل أن (أنا كريم) يكون كلاما مبتَدأ ، والفاء و «إذا» لايكونان الاَّ معلقين بما قبلهما ، فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء ، وقد قاله الشاعر مضطراً ، يشبهه بما يُتَكَلَّم بـه من الفعل[2] »

في النصين كليهما نجد الخليل يبني توجيهه للظاهرة على العلاقة بين اللغة والفكر ، فللغة تراكيب خاصة بكل معنى،كتراكيب الشرط ، وتراكيب الاستفهام ، وتراكيب التوكيد ، وهذه التراكيب تقوم في النفس والوعي ، وهي على استقلالها يختلط بعضها ببعض أحياناً ، أو تتناوب ، ولكن في حال نفسية خاصة هي حال الاستغراق • ومن هنا اختلط في ذهن الشاعر تركيب « إذا » بتركيب « إنْ » ، وكلاهما للشرط ، واختلط التركيبالذي

(١) نفسه ٣/٦١

(٢) نفسه : ٣/٦٤ ، وانظر أيضا : ٢/٣٧٠

يحتاج الى فاء في الجواب بالتركيب الذي لايحتاج اليها ، كما في مثل: إن تعمل تربح . والخليل حين يقول عن الشاعر : شبه كذا بكذا . يريد هذا اللون من التناوب في التركيب الذي تسرب الى الشعر في حال الاستغراق.

هذه هي الركيزة الاولى .

أما ركيزة الصيغة فتظهر لنا جلية فيما رواه عنه تلميذه سيبويه بقوله: « وسألت الخليل عن : ثلاثة كلاب . فقال : يجوز في الشعر . شبهوه بـ « ثلاثة قرود » ، ونحوها[١] .

وجه المخالفة للاصل العام هنا أن « ثلاثة » عدد قليل ، و (كلاب) من جموع الكثرة ، وكان يجب أن يقال : ثلاثة أكْلُب . كما يقال : ثلاثة أسطر . ولكن يجوز في الشعر أن يُخالَف هذا الاصل من قبيل تفاعل الصيغ ، ففي الذهن من اللغة جموعُ كثرةٍ ليس لها ما يقابلها من جموع القلة ، فـ (قرد) مثلا ، ليس له الا جمع كثرة ، هو (قرود) ، ولا يقال: أَقْرُد . ففي حالات الاستغراق تنوب الصيغة (فُعول) أو (فِعال) مناب (أَفْعُل) ، فيقال : ثلاثة كلاب ، وثلاثة سطور .

ومما اعتمد فيه ركيزة المعنى قوله : « وقد جاء في الشعر : قطي ، وقدي ، فأما الكلام فلا بد فيه من النون ، وقد اضطر الشاعر فقال : قدي. شبهه بـ (حسبي) ، لأن المعنى واحد[٢] » .

ولاشك أن اعتماد الخليل للركيزتين الاوليين أكثر توفيقا من اعتماده ركيزةَ المعنى ، لأن تداخل الكلمات والعبارات المتشابهة في الشكل أقرب

(١) نفسه : ٣/٦٢٤

(٢) نفسه : ٢/٣٧١

الى الواقع من تداخل الكلمات المتفقة في المعنى ، المختلفة في الصيغة واللفظ .

هذه هي نظرية الشبه عند الخليل ؛ ولما جاء تلميذه سيبويه أخذ بهذه الركائز الثلاث ، ولكنه لم يستطع أن يحافظ على المستوى الذي كان عليه الشيخ ، بل انحدر به الى ضرب من التمحل أحيانا بحيث يستحيل «القياس» العفوي الذي يجري في نفس المتكلم الى قياسٍ واعٍ هو الى قياس العلماء أقرب منه الى قياس المتكلمين ، حتى ليخيل اليك أن المتكلم هو سيبويه نفسه .

ولكنه الى ذلك وفق في تفسير بعض الظواهر ، فاعتمد التركيب ، والصيغة ، والمعنى ، وقد يجمع أحيانا بين المعنى والتركيب في تفسير واحد كما في تحليله لظاهرة أفعال الرجاء والمقاربة ، يقول : « واعلم أن من العرب من يقول : عسى يفعل ، يشبهها بـ « كاد يفعل » ويقول : « وقد جاء في الشعر : كاد أن يفعل . شبهوه بـ : عسى » ويقول : « وقد يجوز في الشعر أيضاً : لعلي أن أفعل . بمنزلة : عسيتُ أن أفعل[1] » .

ففي هذه الآراء نجد منزعاً خليلياً في تفسير الظواهر ، اذ يتضح لنا جانب التفاعل بين الاساليب المتشابهة في التركيب والدلالة ، فالمتكلم يستعمل آناً (عسى) في موضع (كاد) ، ويجعل طوراً أسلوب (كاد) كأسلوب (عسى) ، ولاشك أن هذا التفاعل مبني على توافق (النُظُم) اللغوية في ذهنه من حيث الشكل والمعنى .

ونراه في موضع آخر يفسر الضرورة بركيزة الصيغة ، قال :« وقد

(١) نفسه : ٣/١٥٨ ـ ١٦٠

اضطر فقال في « الرجال » وهو الفرزدق :

واذا الرجـال رأوا يزيد رأيتهم خُضُعَ القلوب نواكس الأبصار

لأنك تقول : هي الرجال ، كما تقول : هي الجمال ، فشبه بالجمال[١] » .

غير أن سيبويه أسرف في التماس الشبه ونسبته الى المتكلم ، حتى بدا التمحل واضحا في بعض تفسيره وتوجيهه للضرورة ، ففي حديثه عن لام الامر يسوق هذا الكلام : « واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر ، وتعمل مضمرة ، كأنهم شبهوها بـ (أنْ) اذا أعملوها مضمرة . » ثم يقول « والجزم في الافعال نظير الجر في الاسـماء ، فليس للاسم في الجزم نصيب ، وليس للفعل في الجر نصيب ، فمن ثم لم يضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار ، وقد أضمره الشاعر شبهه بإضمارهم (رُبَّ) وواو القسم ، في كلام بعضهم[٢] » .

فالظاهرة هنا ــ وهي حذف لام الامر وبقاء عملها ــ تشبَّه مـرة بـ (أن) المضمرة العاملة ، ومرة أخرى بـ (رب) وواو القسم ، من دون أن يكون هناك تركيب واحد ، أو صيغة واحدة ، بحيث تقود الى اختلاط الظاهرتين بعضهما ببعض ، وبهذا يستحيل الامر الى قياسٍ مجرد يمكن أن يفكر فيه العالم ، ولا يمكن أن يصدر عن المتكلم ، فهـذا التناظر بين الجر في الاسم ، والجزم في الفعل ، يقود الى تناظر آخر بين جواز حذف الجازم وجواز حذف الجار ، ولا يمكن أن يكون هذا كله مما يحصل عفوا في نفس المتكلم[٣] .

(١) نفسه : ٦٣٣/٣
(٢) نفسه : ٨/٣ ــ ٩
(٣) انظر مثل هذا : ٢٦/١ ــ ٢٧

الحق أن سيبويه حاول أن يحاكي الخليل في تطبيق نظرية الشبه ، فلم يَسْمُ الى منزلته ، ولم يفلح في بعض الاحيان ، بل نراه يتخذ من تفاوت الشبه معياراً لمستوى الضرورة ، فكلما كان الشبه أكبر كانت الضرورة ذات مستوى عال ، وهذا واضح في حديثه عن توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد ، يقول : « وقد تدخل النون بغير (ما) في الجزاء ، وذلك قليل في الشعر ، شبهوه بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب » . ثم أورد شاهدا أُكّد فيه الفعل بعد (لم) ، وهو :

يحسبه الجاهل ما لم يعلمـا شيخاً على كرسيه معمما

ثم قال : « شبهه بالجزاء حيث كان مجزوما ، وكان غير واجب ،وهذا لايجوز الا في اضطرار ، وهي في الجزاء أقوى[1] » .

في هذا القول ملاحظتان : الاولى أنه ليس بين الجزاء والنهي من شبه واضح الا في جزم الفعل ، وبهذا تضعف فكرة التشبيه ، لأنها لاتقوم على تداخل التركيب ، والثانية أنه يشير الى مراتب الضرورة بحسب قربها من الاصل ، وهو المشبه به ، وذلك على الشكل الآتي :

١ ـ النهي هو الاصل في التوكيد



٢ ـ يُشبَّه به الجزاء فيجوز التوكيد



٣ ـ يشبه المضارع بعد (لم) بالجزاء فيجوز التوكيد

ولذلك تراه يقول : « وهي في الجزاء أقوى . »

(١) نفسه : ٣/٥١٥ ـ ٥١٦

ولا شك أن الفرق بين صنيع الخليل وصنيع سيبويه في مقولة الشبه قد بان واتضح ، فالخليل يقيمها على العلاقة الوثيقة بين اللغة والفكر ، لا على مجرد التناظر بين المتباعدين ، وتفسرها عنده العلاقة بين النُّظُم اللغوية المتشابهة التي تتداخل وقد تتناوب في حالات الاستغراق ، وقد وفق تلميذه سيبويه في بعض ممارساته الذكية لهذه النظرية ، وجانبه التوفيق في مواضع أخرى .

وهاهنا يجب أن نذكّر بما سبق أن فصلناه من أمر الظواهر التي خرجت على نظام اللغة العام ، كالممنوع من الصرف ، وأشباهه ، فالخليل وسيبويه يقرنان الضرورة الشعرية الى هذه الظواهر ، لانهما يفسرانها جميعا تفسيرا واحدا ، يقوم على الشبه الذي يحس به المتكلم بين ظاهرتين، أو بين أسلوبين من التعبير ، فكما أن الممنوع من الصرف فُسِّر بشبه الفعل ، فُسِّرت الضرورة بالمقولة نفسها ، وعلى هذه الصورة تتفاعل الظواهر ، وتتقارض النظم والاساليب .

إلا أن الفرق بين الضرورة والظواهر الاخرى هو أن الاولى ظلّت حالاً فردية لم تشأ لها الجماعة أن تنضم الى نظام اللغة ، أو تُحْدِث لنفسها نظاما خاصا ضمن النظام العام ، على حين صار للظواهر الاخرى أنظمة يخضع لها المتكلم ، بل صارت وحدة ضمن وحدات كثيرة .

٢ ـ العودة الى الاصل :

وهذا وجه آخر من توجيه الضرورة في ذهن الخليل ، وذهن تلميذه سيبويه ،وهو في جوهره لا يكاد يختلف عن الوجه السابق ، فهو يصدر مثله عن العلاقة بين اللغة والفكر ، أو عن احساس الشاعر بحقائق الظواهر

اللغوية وبواطنها ، فهو يتصرف معتمدا عليها اعتمادا نظريا ، إنهـا كالنظم اللغوية العامة ، فكما يرفع الفاعل وينصب المفعول لإحساسه بهذه النظم، يعود الى الاصل بهديها أيضا .

والذي اهتدى الى هذا الوجه هو الخليل ، وآمن به تلميذه وطبقه في مواضع كثيرة من كتابه ، فمن كلام الخليل فيه ما نقله سيبويه في قوله: « ويقول يونس للمرأة تسمى بـ « قاضٍ » : مررتُ بقاضيَ قبلُ ، ومررت بأعيميَ منك . فقال الخليل : لو قالوا هذا لكانوا خلقاء أن يلزموها الجر والرفع ، كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجرَوْه على الاصل ،قال الشاعر:

أبيت على معاريَ واضحاتٍ بهنّ مُلوّبٌ كدم العِباط

وقال الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوتُه ولكن عبد الله مولـى مواليا

فلما اضطروا الى ذلك في موضع لابد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الاصل(١) » .

وقد استعان سيبويه بهذا الاصل غير مرة ، وساق بعض عباراته فيه على صورة قانون لغوي ، كقوله : « وقد يبلغون بالمعتل الاصل ، فيقولون: رادد ، في رادّ ، وضننوا ، في ضنوا ، ومررت بجواريَ قبلُ(٢) ». وعاد الى مثل هذا القول في موضع آخر ، فقال : « واعلم أن الشعراء اذا اضطروا الى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه ، أجروْه على الاصل ، قال الشاعر ، وهو قعنب بن أم صاحب :

(١) نفسه : ٣/٣١٢ ـ ٣١٣ . وانظر : ٣/٣١٥

(٢) نفسه ١/٢٩

مهلاً أعاذلَ قد جربتِ من خلقي   أني أجـود لأقوامٍ وإن ضننوا

وقال :

تشكو الوجى من أظْلَلٍ وأظللِ

وهذا في الشعر كثير[١] » •

وقد ساد هذا التوجيه العصور المتأخرة ، وانقسمت الضرائربموجبه الى حسنة وقبيحة ، فكلما كان الاصل الذي رجع اليه الشاعر واضحاً كانت الضرورة حسنة ، واذا ابتعدت عنه كانت قبيحة •

٣ ـ التماس وجه :

ويأتي هذا التوجيه ليكمل الاسس التي تنهض عليها نظرية الضرورة وهو أيضا لايختلف عن الاساسين السابقين من حيث صدوره عن العلاقة بين اللغة والفكر ، انه ليس شبها بين ظاهرتين ، ولا عودة الى أصل متروك ، ولكنه ملاحظة دقيقة تصدر حينا عن تداخل العادات الكلامية أو سيطرتها على فكر المتكلم ، وتصدر حينا آخر عن خصائص المفردات ووظائفها في التركيب ، وقد تصدر عن القضايا الصوتية ونيابة بعضها عن بعض •

ولنضرب مثالا على تداخل العادات الكلامية وتقارضها :

يقول سيبويه : « ومن العرب من يثقل الكلمة اذا وقف عليها ، ولا يثقلها في الوصل ، فاذا كان في الشعر فهم يجرونه في الوصل على حاله في الوقف ، نحو : سبسبَّا ، وكلكلاً ، لأنهم قد يثقلونه في الوقف[٢] »•

---

(١) نفسه ٣/٥٣٥ ، وانظر : ٣/٣١٥ ، ٤٥٣ ، ٥٠٥

(٢) نفسه : ١/٢٩ ، وانظر : ١/٣٠٧

صحيح أن العملية هنا تقوم على التشبيه ، غير أنها تختلف عما سبق أن رأيناه ، فالمتكلم هنا لاتتفاعل في ذهنه التراكيب أو الصيغ،بل تتفاعل العادات المتبعة في الوقف والوصل ، فتثقيل الكلمة في الوقف عادة كلامية، يحتاج اليها الشاعر في حال الاضطرار ، ثم انها لاتخضع للحظات الاستغراق كما رأينا من قبل ، بل انها تجري في جو طبيعي واعٍ .

ونجد اعتماده خصائصَ المفردات في العربية في حديثه عن امتناع الجزم بالشرط بعد الادوات : إذ ، وما ، وأمَّا . يقول : « وانما كرهوا الجزاء هاهنا لانه ليس من مواضعهِ ، ألا ترى أنه لا يَحْسُنُ أن تقول : أتذكر إذ إن تأتنا نأتِك . كما لم يجز أن تقول : إنّ إن تأتنا نأتِك . فلما ضارع هذا الباب باب « إنّ » و «كان» كرهوا الجزاء فيه . وقد يجوز في الشعر أن يجازى بعد هذه الحروف ، فتقول : أتذكر إذ من يأتنا نأته. فانما أجازه لأنّ « إذ » وهذه الحروف لا تغيِّر ما دخلت عليه عن حاله قبل أن تجيء بها ، فقالوا : ندخلها على : من يأتنا نأته . ولا تغير الكلام ، كأنا قلنا : من يأتنا نأته . كما أنا اذا قلنا : إذ عبدُ الله منطلق" . فكأنَّا قلنا : عبد الله منطلق . لان « إذ » لم تحدِث شيئا لم يكن قبل أن تذكرها[1] » .

وينبغي هنا ألا يذهب بنا بعيدا أسلوب سيبويه في التعليل ، فهو – كما ترى – ينسب المحاكمة الى المتكلمين ، ويظهر من كلامه أن احساسهم بخصائص المفردات واستخدامهم لها يجري في جو من الوعي واليقظة ، والحق أن هذا أسلوبه وأسلوب من تقيَّل ظلاله من الخالفين، ولكنه لا يعني قطعا ما يدل عليه ظاهر العبارة ، بل يريد أن يبين أن خصائص

(١) نفسه : ٣/٧٥

المفردات تقوم في نفس المتكلم ، وأن احساسه بها احساس" فطري عفوي، فهو يستخدمها بوحي من هذا الاحساس ، ويضعها حيث يمكن أن توضع •

وننتقل الآن الى توجيه الضرورة بملاحظة القضايا الصوتية ، وسنرى فيها ضربين من التعليل ، ضربا تقبله النفس ، وتطمئن اليه ، لأنه واقعي طبيعي ، وضرباً آخر تجد فيه من التمحل ما ينأى به عن واقع اللغة وقوانينها الصوتية •

نجد الضرب الاول في هذا النص ، يقول : « واعلم أن الشعراء اذا اضطروا حذفوا الهاء في الوقف ، وذلك لأنهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلا منها ، وقال الشاعر ابن الخرع :

كادت فَزارَةُ تشقى بنا فأولى فزارة أولى فزارا[١] »

فألف المد هنا تحل صوتياً محل الهاء في « فزاره » لانهما صوت من طبيعة واحدة ، غير أن سيبويه يسوق كلاما في موضع آخر لايمكن أن يكون له وجه صوتي مقبول ، كقوله : « وأما قوله ، وهو رجل من بني يشكر :

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتَمِّرُه من الثعالي ووخز من أرانيها

فزعم أن الشاعر لما اضطر الى الياء أبدلها مكان الباء ، كما يبدلها مكان الهمزة[٢] •»

فالثعالي ، هنا يراد بها الثعالب ، والأراني ، الارانب ، ولكن الشاعر اضطر فاستغنى عن الباء في كل منهما ، وأحل محلها الياء • غير أن البعد

(١) نفسه : ٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣

(٢) نفسه : ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٣

الصوتي بين الياء والباء يرفض ذلك ، والاقرب الى واقع اللغة أن الشاعر اضطرّ فحذف الباء في كل من الكلمتين، ثم مد حركة الكسر التي تسبقها ليقيم عوج البيت ، وليستوي له الايقاع ، ولم يبدل حرفا بحرف.

* * *

تلك هي الاسس الثلاثة التي تقوم عليها نظرية الضرورة في كتاب سيبويه ، وفق فيها الرجلان توفيقا حسنا ، وصدرا فيها عن وعي كامل لنظم العربية وادراك ذكي للصلة بين اللغة والفكر ، وان كان لسيبويه خاصة توجيهات يتوقف عندها النظر أحيانا .

الضرورة ومعيار الصواب

مر بنا من قبل أن الضرورة الشعرية في نظرية الخليل وسيبويه تشبه الضرورة الشرعية من حيث مراعاتها للمبادىء الاساسية للغة ، فهي وان جانبت النظام العام تبقى في حدود المبادىء الاولى لا تتجاوزها ولا تخرج عليها ، بل حسبها أن تستبدل نظاماً في التركيب أو في الصيغة بنظام آخر يجاري القياس العام ، أما الخطأ فما خرج على تلك المبادىء الاساسية خروجا تاما ، ولم يسلك مسلك وجه من وجوه القياس.

وقد أعطانا سيبويه مثالا دقيقاً عن الفرق بين الضرورة والخطأ ، فالمعروف أن الكاف الجارة لا تجر الضمائر في لغة الكلام ، ولا في لغة الشعر الفصيحة، إذ لا يُقال : كَكَ ، ولا، كَهُ ، ولا، كي ، بل يقال: مثلك، ومثله ، ومثلي . ولكن اذا اضطر شاعر جاز له ذلك ، لانه حينئذ يرجع الى أصل متروك ، هو أن حروف الجر جميعا تجر الضمائر . ولكن ينبغي للشاعر في هذه الحال أن يكسر الكاف ، وان كانت أبدا مفتوحة ، وعلة

ذلك أن كسر الحرف قبل ياء المتكلم من مبادىء العربية الاولى ، فاذا فتح الكاف قبل ياء المتكلم يخرج من اطار الضرورة الى اطار الخطأ . يقول سيبويه : « ولو اضطر شاعر فأضاف الكاف الى نفسه ، قال ما أنت كِيِ . و (كَيْ) خطأ من قبل أنه ليس في العربية حرف يفتح قبل ياء المتكلم[1] » .

فالضرورة اذن تبقى محصورة في إمكانيات اللغة ، واستعمالاتها ، وعاداتها الكلامية .

وعلى الرغم من هذه التفرقة الواعية بين الضرورة والخطأ في نص سيبويه نجده وشيخه لا ينظران الى الضرورة الاّ نظرة هي الى الإزراء والاستهجان أقرب ، فهما وان عللاها يجدانها مستوى من التعبير لايرقى الى مرتبة المقبول في الكلام .

بيد أنها ليست سواء عندهما ، بل تتفاوت قربها من اللغة السوية وبعدها عنها ، ولعلنا لانبعد عن الصواب اذا نحن جعلناها في قسمين كبيرين : الاول : أسلوب في التعبير لا يجوز في الكلام ، والآخر الى مرتبة المقبول في الكلام .

١ ـ القسم الاول :

والقسم الاول كثير جدا ، افتتح به سيبويه حديثه عن الضرورة في بداية الكتاب ، فقال : « اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام . » وعدّ منه صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يحذف ، ومدّ ما لا يمد ، وبلوغ الاصل في المدغم والمعتل ، وتثقيل الكلام في الوصل كما يثقل أحيانا في الوقف[2] ...

(١) نفسه : ٢/٣٨٥

(٢) نفسه : ١/٢٦ ومابعدها

وقد تنوع التعبير الذي استخدمه الخليل وسيبويه في هذا القسم، فحينا يسوقان عبارة صريحة ، مثل : لايجوز في الكلام ، أو لايستعمل في الكلام ، الخ •• وحينا آخر يستخدمان عبارة أقل صراحة كنعتهما لغة الضرورة بالرداءة ، أو القبح •

فمن الظواهر الكثيرة التي وقعت في الشعر ، ونعتت في الكتاب بأنها لاتجوز في الكلام ما أورده سيبويه بقوله : « وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لايستعمل في الكلام•[1] » وهذا في الكتاب كثير[2] •

وقد ينعتان الظاهرة بالخطأ ، كما فعل الخليل في حديثه عن جزم الفعل المضارع بـ « إذا » ، قال : « فهذا اضطرار ، وهو في الكلام خطأ•[3] »

أما مانعته سيبويه بالقبح ، ولم يجزه الا في الشعر فكثير ، منه الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، قال : « ولا يجوز : ياسارقَ الليلةَ أهلِ الدار ، إلا في شعرٍ كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور » • ثم أورد مجموعة من الشواهد الشعرية وقال : « فهذا قبيح[4] » ، وقال في موضع آخر : « كما لا يجوز لك أن تفصل بين الجار والمجرور بحشو الا في شعر[5] » • ومن قوله في الموضعين على تباعدهما في الكتاب يتأكّد عندك أن القبيح وغير الجائز عنده سواء •

وله في موضع آخر تعبير يختلف في اللفظ ، ويتفق في الدلالة على

---

(١) نفسه : ٢٠٩/١
(٢) أنظر: ٩٩/١ ، ٤٠٧ ، ٢٦٩/٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ٣٨٢ ، ٦٦/٣ ، ٨٢ ، ١١١ ، ١١٥
(٣) نفسه : ٦١/٣ وانظر : ١٠١/٣
(٤) نفسه : ١٧٦/١ ــ ١٨٠
(٥) نفسه : ١١١/٣

ما تقدم ، فقد ذكر أنهم يحتملون في الشعر أحيانا «قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه[١] » فوضع الكلام في غير موضعه لا يختلف في الدلالة عن غير الجائز • وقال أيضا : « فان قلت : هل زيداً رأيت ، وهل زيد" ذهب • قَبُحَ ، ولم يجز الا في الشعر[٢] » •

وقد يتناوب على الظاهرة الواحدة في نص واحد مصطلحان: القبيح، والضعيف ، ثمَّ يُصَرِّح بأنها لا تجوز في غير الشعر • قال سيبويه : « واعلم أنه قبيح أن تقول : مررت برجلٍ لافارسٍ • حتى تقول : لافارس ولا شجاعٍ ••• وقد يجوز على ضعفه في الشعر[٣] »•

أما ما استخدم فيه لفظ « رديء » فقليل ، كقول سيبويه : «وقد جاء في الشعر: حسنة وَجْهِها• شبهوه بحسنة الوجه • وذلك رديء[٤] »•

٢ ــ القسم الثاني :

ويغلب على الظن أن سيبويه كان يرى في هذا القسم ضرباً خاصاً من مستويات اللغة ، فهو عنده لغة خاصة بالشعر ، ولكنها وقعت في الكلام أيضا ، ولعله كان يحاكي شيخه الخليل[٥] ، فيراها لوناً من ألوان التفاعل بين لغتي الشعر والنثر ، لان لغة الشعر ــ لكثرة سماعها وانشادها ــ فرضت بعض العبارات الخاصة على لغة الكلام نفسه•

والذي يرجح هذا الظن حتى يجعله قريبا من اليقين أن ظواهر اللغة هنا تختلف عما رأيناه في القسم الاول ، وعما سبق أن تحدثنا عنه وعرضنا

(١) نفسه : ٣١/١
(٢) نفسه : ٩٩/١
(٣) ٣٠٥/٢ وانظر : ٣٧٨/٢ ، ٣٨٠ ، ٧٠/٣
(٤) نفسه : ١٩٩/١
(٥) أنظر : ١٣٤/٢ ــ ١٣٥

أمثلة منه ، فهي لون من تراكيب الشعر اتخذت سمتاً لا يخلو من انحراف عن التراكيب المألوفة الموافقة لأعراف العربية ، ولكنها مع ذلك لم تبلغ مبلغ « حسنة وجهِها » ، ولا مبلغ « مررت برجلٍ لا فارسٍ » وأمثالهما.

من هذا الضرب عند سيبويه أن تقع النكرة مبتدأ، لأن في ذلك لبسا، وهذا الاسلوب « قد يجوز في الشعر ، وفي ضعف من الكلام[٣]. » — كما يقول — وذكر منه أيضا أن يقع الخبر فعلا دون أن يذكر فيه ضمير المبتدأ منصوبا ، مما يجعل الفعل عاملا في المبتدأ نفسه على أنه مفعول به، قال : « ولا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل مبنياً على الاسم ، ولا يذكر علامة إضمار الاول حتى يخرج من لفظ الإعمال في الاول ، ومن حال بناء الاسم عليه ، ويشغله بغير الاول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه ، ولكنه قد يجوز في الشعر ، وهو ضعيف في الكلام ، قال الشاعر ، وهو أبو النجم العجلي :

قد أصبحت أم الخيار تدّعي عليّ ذنباً كلّه لم أصنعِ

فهذا ضعيف ، وهو بمنزلته في غير الشعر ، لان النصب لا يكسر البيت ، ولا يخلّ به تَرْكُ إظهار الهاء ، وكأنه قال : غير مصنوع ، وقال امرؤ القيس :

فأقبلتُ زحفاً على الركبتين فثوبٌ نسيتُ وثوبٌ أجرّ

وقال النمر بن تولب :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويومٌ نُسَرّ

(١) نفسه : ٤٨/١

سمعناه من العرب ينشدونه • يريدون : نُساءُ فيــه ونسر فيه •
وزعموا أن بعض العرب يقول : شهر ثَرى ، وشهرٌ ترى ، وشهر مرعى•
يريد : ترى فيه • قال :

ثلاثٌ كلهُّن قتلــتُ عمداً فأخزى الله رابعةً تعــودُ

فهذا ضعيف ، والوجه الأكثر الاعرف النصب ، وانما شبهوه بقولهم: الذي رأيت فلان ، حيث لم يذكروا الهاء ، وهو في هذا أحسن(١) » •

وربما اتضح في هذا النص سيطرة اللغة الشعرية على لغة الكلام ، فعلى الرغم من أن الشاعر الاول يستطيع أن يقول : كلّه لم أصنع ،بنصب (كله) وأن الآخر قادر على القول : فثوباً نسيت وثوباً أجــر ، وكذلك الشاعران الآخران ، الا أنهم جميعا ركبــوا متن اللغة الشعرية الشائعة يومئذٍ ، وآثروها على النظام الآخر الذي يجعل الاسم تابعاً للفعل بدلا من أن تنعكس الصورة فيقع الفعل مخبراً عن الاسم ، بل ان هذا السمت من التراكيب انتقل الى النثر ، فقال القائل : وشهرٌ ترى • فآثر أن يُلْحق ثانية العبارات الثلاث بأختيها المكتنفتين لها في الإعراب ، ولم يقل : شهراً ترى • كما يقتضي النظام العام في العربية ، لأنه حاكى في ذلك لغة الشعر•

وفي موضع آخر نجد الاتجاه نفسه ، اذ يحدثنا سيبويه عن تداخل اللغتين : الشعرية والنثرية ، كحديثه عن قول العرب : مُرْهُ يَحْفِرها • قال : « وقد جاء رفعه على شيء هو قليل في الكلام ، علــى : مُرْهُ أن يحفرها • فاذا لم يذكروا « أن » جعلوا المعنى بمنزلته في عسينا نفعلُ • وهو في الكلام قليل ، لايكادون يتكلمون به ، فاذا تكلموا به فالفعل في

(١) نفسه : ١/٨٥ ـ ٨٧

موضع اسم منصوب ، كأنه قال : عسى زيد قائلا • ثم وضع (يقول) في موضعه ، وقد جاء في الشعر ، قال طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجري أحضُرُ الوغى وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مخلدي

وسألته عن قوله عز وجل : قل أَفَغَيْرَ الله تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون •» فقال : تأمروني ، كقولك : هو يقول ذاك بلغني • فـ«بلغني» لغو ، فكذلك « تأمروني » كأنه قال : فيما تأمروني • كأنه قال: فيما بلغني• وان شئت كان بمنزلة :

ألا أيهذا الزاجري أحضُرُ الوغى[1] »•

إن الظاهرة هنا غنية الدلالة على ما نذهب اليه ، فالعبارة المدروسة هي من « الكلام » لا من الشعر ، والى جانبها آية قرآنية وبيت من الشعر، وقد اشترك في تحليلها الخليل وسيبويه ، ويغلب على الظن أن المسألة في جذورها من مذاهب الخليل ، وأن سيبويه يعرضها كما وعاها منه•

غير أننا نرى الخليل يلتمس للآية القرآنية وجهاً آخر ، كأنه يريد أن ينأى بها عن « القليل من الكلام » الذي ذكره تلميذه في مطلع التحليل ، ثم لايلبث أن يردها الى حذف (أن) وارتفاع الفعل المضارع من جراء ذلك•

ومهما يكن من شيء فان القسم الثاني من لغة الشعر لايخلو من نظرة ضيقة ، ذلك أن الخليل وسيبويه يحكمان على ظواهره بالقلة أو بالضعف ، مستهديين بما وقع لهما من المادة اللغوية المجموعة لزمنهما ، ومثل هذه النظرة تنسى التطور اللغوي ، اذ يحتمل أن تكون هذه الظواهر

(١) نفسه : ٣/٩٩ - ١٠٠

التركيبية من بقـايا العربية القديمة ، ولكنها أخذت تتضاءل على الزمن لظهور تراكيب أخرى تزاحمهـا في التعبير ، غير أنها لم تنقرض تماما بل بقيت آثار لها قليلة تظهر بين حين وآخر في نظم شاعر ، أو في أسلوب ناثر ، فاذا وافقنا الخليل وسيبويه في الحكم عليها بالقلة ، كان قبول الحكـم عليها بالضعف لايخلو من عسر •

الخـــــاتمة

نخلص من جميع ما وقفنا عليـه من نظرية الضرورة عنـد العالمين الجليلين بمجموعة من الملاحظات ، هي :

١ ـ انها دراسة واعية لمستويات التعبير في اللغة العربية ، تكشف عن الرؤية اللغوية الشاملة عند الخليل وسيبويه ، فهي تختلف عـن الخطأ ، وتباين اللحن ، لانهـا تساير أنظمة اللغـة الاساسية ، وان خالفت النظم السائدة المرعية ، وقد قامت على أسس ثلاثة من التوجيه ترجع في حقائقها الى العلاقة بين اللغة والفكر ، هي : الشـبه ، والعودة الى الاصـل ، والتماس وجه من وجوه العلة أو القياس •

٢ ـ وهي أيضا ضرب من ضروب الخروج على نظم اللغة الشائعة، كالممنوع من الصرف ، والاسم المبني ، وإعراب الفعل المضارع ، ولكنها مع ذلك تختلف عن هذه الظواهر بأنها ظلت ظاهرة فردية لم يكتب لها أن تحظى بقبول الجماعة اللغوية لتغدو نظاماً خاصاً ضمن النظم الكثيرة •

٣ ـ وهي كذلك مستوى مـن التعبير لايسمو الى منـزلة اللغة الفصيحة ، تضطر الشاعر فيها قيود الشعر الكثيرة ، من وزن ، وقافية،

والتزام حركة إعرابية خاصة ، وقد عبر سيبويه وشيخه عن هذه السمة فيها بغيرما عبارةٍ ،فأكثرا من استخدام الالفاظ المشتقة من الجذر «ض•ر•ر•» وقرناها الى مستويات لغوية غير مستحبة ، كالقبيح ، والرديء ، وغير الجائز •

٤ـ صار كلام سيبويه وشيخه مصدر النحاة الخالفين في دراسة الضرورة، وسببَ اختلافهم في تحديدها، وقد رأينا ألا نعرض شيئا من ذلك في هذا البحث ، لان الغاية منه هي الكشف عن « النظرية » نفسها ، فلا يهمنا أن يكون المتأخرون كلهم أو بعضهم فهموها أو لم يفهموها ، ولذلك اعتمدنا كتابَ سيبويه وحده ، ولم يحثنا شيء على التماس المراجع •

ونأمل أن نكون قد بلغنا من ذهن الخليل وتلميذه مبلغا صحيحا في هذا البحث ، والله من وراء القصد •

محمد خير الحلواني
أستاذ اللغويات المساعد في جامعة محمد الاول
وجـدة ـ المغـرب

التعريف والنقد

بل هو تهذيب التحبير

الأستاذ مطاع الطرابيشي

ترجع قصة هذا الكتاب الى بضع سنوات خلت ، حين نشر الاستاذ حمد الجاسر حفظه الله بحثاً في مجلة العرب (ج١٠/س٦ ، حزيران ١٩٧٢م ، ص ٧٥٣ ــ ٧٧٦) حول نسخةٍ في الظاهرية مخرومة الاول والآخر ، تضم مشيخة أبي سعد السمعاني ، وانتهى في ختام بحثه الى طرح السؤال التالي: هل هي كتاب التحبير للسمعاني ؟

وأجبتُ على السؤال في مقال نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (ج ٢/مج ٤٨ ، نيسان ١٩٧٣ ، ص ٣٧١ ــ ٣٨٠) قمت فيه بالمقارنة بين مخطوطة الظاهرية ونسخة أخرى تشابهها ، محفوظة في خزانة مكتبة « أحمد الثالث » بالقسطنطينية ، تحمل عنوان : « المنتخب ــ وهو المعجم لأبي سعد السمعاني » ، خلصتُ فيه الى أن مخطوطة الظاهرية هي تهذيب للتحبير بخط الضياء المقدسي وتعليقه ، وأن التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ما زال في عالم الغيب .

وصادف أن كانت الباحثة العراقية منيرة ناجي سالم قد تقدمت بهذه

النسخة محققةً الى كلية الاداب في جامعة بغداد لنيل درجة ماجستير آداب في التاريخ الاسلامي ؛ فنشرت في مجلة « المورد » العراقية (مج٣/ع٣، ١٩٧٤ م ، ص ٣٠٧ ــ ٣١٦) تعقيبا على مقالي ؛ انتهت فيه الى عدة نتائج ، كان أبرزها ــ وهذه عبارتها ــ (ص ٣١١) :

« اعتبار النسخة الظاهرية تهذيباً لكتاب التحبير للسمعاني ، بخط الضياء المقدسي » •

ثم أكدتْ ذلك في (ص ٣١٥) بقولها : « ان كتاب التحبير في المعجم الكبير نسخة فريدة من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ، تقع في (١٤٨) ورقة ، ناقصة من طرفيها ، وهي تمثل نسخة مختصرة ومنتسخة ، ويمكن اعتبارها تهذيباً لكتاب التحبير للسمعاني بخط الضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ » •

واعتقدتُ آنذاك أن المسألة منتهية ، فضربت صفحاً عن الكتاب وذكره •

ثم تابعت الزميلة الفاضلة عملها فنشرت الكتاب في سلسلة إحياء التراث الاسلامي الصادرة عن رئاسة ديوان الاوقاف في الجمهورية العراقية، وذلك في سنة (١٩٧٥ م) في جزأين ، ولم أطّلع عليه ــ مع الاسف ــ الا من أمد قريب ، فحمدتُ للآنسة جهدها القيم في اخراجه ، وأثنيت عليها بالتي هي أهله ، غير أنه لفت انتباهي العنوان المثبت على الغلاف وهو : « التحبير في المعجم الكبير » ، فظننتُها أشارت الى جلية الامر في المقدمة، فلم أظفر بغير اشارة مقتضبة في (ص ٤٠) ذكرتْ فيها أن « نسخة الظاهرية التي وصلت الينا عن كتاب التحبير ليست النسخة الاصلية التي كانت بخط المؤلف ، ولكنها مُنتسخة عن الاصل » •

قلت : ان الامانة العلمية تقتضي التصريح بأن هذا العنوان لا يُعبر البتة عن حقيقة الكتاب ، وأن هذا الكلام لايفيد شيئا عن هذا الفرع ومدى إحاطته بأصله ؛ ولا أودّ إعادة الكلام في هــذا الموضوع ، وإنما حسبي التنبيه الى أن العنوان كان يهدي الى الحقيقة والصواب لو أُضيف اليه من فوقه ، كلمة (من) أو (مختصر) أو (تهذيب) ليكون القراء على بيّنة من أمر الكتاب .

وليس هذا فحســب ، بل يجب أن تبسط المحققــة في المقدمة كل الاسباب التي دعت الى اعتبار هــذه النسخة مختصرا أو تهذيبا لكتاب التحبــير .

ثانياً ــ قمت بقراءة عشر ورقات من أول نسخة الظاهرية وقارنتهــا بمصوّرة المنتخب الموجودة في المجمع بدمشق ، ثم عارضتُ النسختين بما يقابلهما من الجزء الاول المطبوع ، فخرجتُ ببعض المستدركات أرجو أن يكون فيها شيء من الفائدة ، وأبادر الى التنبيه على أن هذه المستدركات لاتعني انتقاص الجهد المبذول في الكتاب حقه ، وانما هــو تعاون على الخير ونسأل الله السداد .

وسأبدأ بذكر أرقام الصفحات مع الاسطر من الجزء الاول المطبوع ، يليها ذكر الخطأ كما ورد . ثم أذكر الصواب مع الاشارة الى موضعه من النسختين المخطوطتين ، مستعيناً بالرموز التالية :

ظ : نسخة الظاهرية

م : مصوّرة المنتخب

س : سطر

أ ، ب : وجه الورقة،قفا الورقة (ويحسن الانتباه الى فرق الترقيم بين أوراق النسخة وألواح التصوير).

٧٢ : ٢ أبو إسحاق إبراهيم بن سهل بن محمد بن مندويه الصالحاني.
في العبارة سقط بين محمد ومندويه ، وتمامها : محمد بن عثمان ابن مندويه .
(ظ : ١ أ/س ٤ ، م : ١٣٦ أ/س٣)

٧٢ : ٣ [من] إحدى محالّها
هذه الزيادة من المحققة لاتتناسب ومقدار الطمس الذي أحدثته الرطوبة في هذا الموضع من الورقة . والصواب ما ورد في المنتخب ، ففيه : « وصالحان » إحدى محالّها .
(ظ : ١ أ/س٥ ، م : ١٣٦ أ / س ٤)

٧٣ : ٢ ..شجاع بن أبي بكر بن إبراهيم
سقط اسم أبي بكر بعد كنيته ، وتمام الكلام : شجاع بن أبي بكر محمد بن إبراهيم .
(ظ : ١ أ/س ٧ ، م : ١٣٦ أ/س ١٢)

٧٥ : ٥ سمع أبا العباس الدلال بن أبي بكر الرازي
قلت : الكلمات بعد « العباس » غير واضحة في الاصل بسبب امّحاء تتمة السطر ، لكنها واضحة في المنتخب تماما ، وفيه : « سمع أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الرازي » .
وقد أشارت المحققة في حاشية الصفحة الى مكان الترجمة في المنتخب ، لكنها كما يظهر لم تستعن به في قراءة هذا السطر

واكتفت بالتخمين ، وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئاً •
(ظ : ١ أ/س ١٥ ، م : ٣٦ ب/س١)

٧٥ : ١٢ كان فقيهاً عفيفاً •••
سقط ما بين الكلمتين الاخيرتين ، والاصل : كان فقيها ورعا عفيفـاً •
(ظ : ١ أ/س ١٩ ، م : ٣٦ ب/س١٢)

٧٧ : ٦ وهو والد شيخنا محمد ومحمود
الصواب : « وهو والد شيخينا محمد ومحمود » • فهمـا اثنان وليسا مفرداً •
(ظ : ١ ب/س ٦)

٧٧ : ٨ •• بن علي بن القاسم
الصواب حذف (بن) المثبتة بأول السطر ، لأن أبا الحسن هو علي نفسه
(ظ : ١ ب/س ٧ ، م : ٣٧ أ/س ٧)

٧٨ : ٨ أخو الفضل كان مقدّم الأصحاب
الصواب : أخوه الفضل كان ••
(ظ : ١ ب/س ١٢ ، م : ٣٧ ب/س ١٣)

٧٩ : ٥ ثم تخيّر وترك الاشتغال
الصواب : وترك الأشغال •
(ظ : ١ ب/س ١٦ ، م : ٣٨ أ/س ١١)

٧٩ : ٦ نهايته في وقعة الغزّ •• ورغبتُ في القراءة عليه
الصواب : رأيتهُ في وقعة الغزّ •• ورغبتُ • ولا بدّ من

التوقف قليلا عند الكلمة الاخيرة ، فقد وردت في الاصل بإثبات الهاء في آخرها « ورغبته » ، واسترجحت المحققة أنها خطأ والصواب حذفها . والحق أن لها وجهاً في القراءة صحيحا، هو « ورغَبَّتُهُ » بالتشديد ، فكان الأولى اثباتها في المتن ، مع الاشارة في الحاشية الى الرواية الثانية الواردة في المنتخب بحذفها .

(ظ : ١ ب/س ١٦ ، م : ٣٨ أ/س ١٢)

٧٩ : ٩ أنبأنا إسماعيل بن أحمد .. بمرو وأنبأنا أبو العباس

الصواب : « أنبأنا » بحذف واو العطف .

(ظ : ١ ب/س ١٩ ، م : ٣٨ أ/س ١٥)

٨١ : ٥ وظهر له العزّ والجاه والثروة والتجميل

الصواب : والتجمّل .

(ظ : ٢ أ/س ٦ ، م : ٣٨ ب/س ١٧)

٨٥ : ٤ وتوفي في جمادى الآخرة

تمام الجملة : وتوفي بها في جمادى الآخرة

(ظ : ٢ ب/س ١ ، م : ٣٩ أ/س قبل الأخير)

٨٨ : ٣ نيّف وتسعين وأربعمائة

الصواب : نيّف وسبعين وأربعمائة

(ظ : ٢ ب/س ١٧ ، م : ٤٠ أ/س ٨)

٩٠ : ١ وأبا بكر أحمد بن خلف بن علي بن عبد الله الشيرازي

قلت : كانت في الاصل : « أبا بكر بن خلف » ثم ضرب الناسخ

على (خلف) وأثبت فوقها (أحمد) ، فصارت « أبا بكر أحمد ابن علي بن عبد الله الشيرازي » وهو الصواب •

ويبدو أن المحققة لم تتبيَّن رسم الكلام في المصوَّرة لديها فوهمت في قراءته ، مع أنها رجعت الى المنتخب والعبر ٣/٣١٥ وهو فيهما على الصواب•

(ظ : ٣أ/س ٨ ، م : ٤٠ ب/س ١٤)

٩٢ : ٣و٧ مناضراً • سنة

الصواب : مُناظراً • بسنةٍ

(ظ : ٣أ/س قبل الاخير ، و ٣ ب/س ٢)

٩٦ : ١ وجزء فيه ثلاث أجزاء

الصواب : وجزءاً فيه ثلاثة أجزاء

(ظ : ٣ ب/س الاخير ، م : ٤٢ ب/س ٧)

١٠٣: ٤ بروايته عن أبي طاهر بن عبد الرحيم عن ابن المقرىء عنه

في العبارة سقط ، وتمامها: بروايته عن أبي طاهر بن عبد الرحيم إنْ شاء الله ، عن ابن المقرىء ، عنه •

(ظ : ٤ ب/س ١٤ ، م : ٤٤ ب/س١٥)

١٠٤: ٢ عن أبي طاهر بن عبد الرحيم بن شاهين،عن أبي بكر بن المقرىء

هي الغلطة السابقة تكررت : بالإسقاط أولا،وبالتصحيف ثانياً

والصواب : عن أبي طاهر بن عبد الرحيم إنْ شاء الله ، عن أبي بكر بن المقرىء •

(ظ : ٤ ب/س ١٥ ، م : ٤٤ ب/س ١٦)

١٠٥: ١ حسن العبادة

قلت : قد تلتبس الدال بالراء في رسم الكلمة بالاصل ، لكنّ سياق الكلام يحتم أنها : « حسن العبارة » ، وهي كذلك في المنتخب .

(ظ : ٤ ب/س ١٨ ، م : ٤٥ أ/س ٢)

١٠٦: ٧ وأفتقر وأظهر الخلل في أحواله

الصواب : وافتقر وظهر الخلل في أحواله . ولها تتمة مفيدة في المنتخب ، وهي « حتى كاد أن يختلط » ، ثم روى المصنّف قصة لطيفة عنه وقال : إلا أنني الخ ...

(ظ : ٥ أ/س ١ ، م : ٤٥ أ/س ١٩)

١٠٩: ٢و٣ كتب عنه بأصبهان ، وكانت ولادته في حدود سنة تسعين وأربعمائة .

الصواب : كتبتُ عنه .. سبعين وأربعمائة . ويُلاحظ أن المحققة سجلت في الحاشية تاريخ وفاة شيخه الأبهري سنة (٤٨٢ أو ٤٨١) ولم تنتبه الى أن سنة (تسعين) تجعل ولادة المترجم بعد وفاة شيخه ببضع سنوات .

(ظ : ٥ أ/س ١٠ ، م : ٤٦ أ/س ٥)

١١١: ٩ أخو سعد

الصواب : أخو أسعد ، وهو كذلك في الترجمة برقم (٤٨)

(ظ : ٥ أ/س قبل الاخير ، م : ٤٦ ب/س ١٦)

١١٣: ٢ فاتا الزاهر بن أحمد بن ابراهيم

الصواب : عن إبراهيم (ظ: ٥ب/س ٩ ، م : ٤٧ أ/س١٦)

وبالمناسبة فقد تكرر هذا الإسناد في (ج ٢/ص ٣٥٨/س ٢) وصُحِّف فيه اسم (زاهر) الى (إبراهيم)

١١٤: ١ لو روى عن الشعبي ربما سمعت منه
الصواب : لو روى عن القعنبي ما سمعتُ منه
(ظ : ٥ ب/س ١١ ، م : ٤٧ أ/س ١٩)
قلت : ويجب أيضا حذف ترجمة الشعبي من الحاشية . وبالمناسبة فهذه الترجمة تصلح مثلاً لانقطاع الصلة بين المتون والحواشي في الكتاب في بعض الاحيان ، ذلك لأن غاية التعليق إنما هي توضيح أو تأييد القراءة التي ارتضاها المحقق للنص، وهذا التعليق لا يقدم أية فائدة للنص ، بل قد يكون في ذكر تاريخ وفاة الشعبي ما يكشف عن انقطاع صلته بالموطأ وصاحب الترجمة معا ، وبالتالي فهو يقطع ببطلان المتن الوارد أعلاه ، وكذلك يصبح آخر الكلام مناقضاً لأوله ، ويصحّ فيه المثل القائل : يكاد المُريب أن يقول خذوني.

١١٨: ٤ أنبأنا أسعد كتابةً
الصواب : في كتابه . والعبارة مطلع الرواية التي تلي الترجمة، شرع الناسخ ينقل طرفا منها ثم أضرب عن التتمة.
(ظ : ٦ أ/س ٨ ، م : ٤٩ أ/س ٧)

١٢٠: ٦ بكالسمت . ثم صوّبتها المحققة في آخر الكتاب (٢/٦٥٨)ـــ ظناً ـــ فرسمتها : كالمست ، وهي في الاصلين : «بكالمسمت»، بميمين اثنتين.
(ظ : ٦ أ/س ٢٠ ، م : ٥٠ أ/س ٧)

١٢٣: ٤ فيه كل حديث لا معارض
قلت : وكذلك ورد في الاصل ، وهو سهو من الناسخ ، كشف عنه سياق العبارة ، وإثبات « له » بآخرها في المنتخب.
(ظ : ٦ ب/س ١٠ ، م : ٥٠ ب/س ١٢)

١٢٤: ٢ سمع أبا الحسن عبد الغافر الفارسي
الصواب : سمع أبا الحسين
(ظ : ٦ ب/س ١٣ ، م : ٥٠ ب/س الاخير).
والظاهر أنه اختلط على المحققة أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي المتوفى سنة (٥٢٩ هـ) ، وجده أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي المتوفى سنة (٤٤٨هـ)، وقد فرّقهما الذهبي في العبر (ج ٣/ص٢١٦ ثم ج٤/ص ٧٩)، على حين اكتفت المحققة في الفهارس بذكر واحد فحسب.

المهم أن المذكور في هذا السماع هو الجد ، وهو نفسه المذكور ــ مصحّفا ــ في الصفحات : ٩٤ و ١٢٦ و ١٤٤ و ١٥٧ من هذا الجزء .

١٢٥: ٨ سقط بعده العنوان : « مَن اسمه إسحاق » ، وهو ثابت في الاصلين .
(ظ : ٦ ب/س الاخير ، م ٥١ أ/س ١٦)

١٢٦: ١ ومن مشايخ عصره
الصواب : من (بإسقاط الواو)
(ظ : ٧ أ/س ٣ ، م : ٥١ب/س ٣)

١٢٨: ١٥ •• جعفر بن القاسم بن حفص ••
الصواب : جعفر بن القاسم بن جعفر
(ظ : ٧ أ/س ١٩ ، م : ٥٢ ب/س ٩)

١٣٠: ١ سنة تسع الصواب : سنة سبع
(ظ : ٧ ب/س ٣ ، م : ٥٣ أ/س ٣)

١٣٥: ١ أنبأنا أبو البركات الكوفي بها
قلت : لا لزوم للزيادة في المتن ، ولا التعليق في الحاشية ، لأن النص في الاصل « أنبأنا بركات الكوفي بها » يعني المترجَم نفسه . والعبارة مطلع الرواية التي تلي الترجمة كالعادة .
(ظ : ٨ أ/س ٨)

١٣٩: ٣ سقط بعده العنوان : « مَن اسمه بندار » ، وهو ثابت في الاصلين .
(ظ : ٨ ب/س ٨ ، م : ٥٧ أ/ س ٧)

١٤٠: ٨ وكذلك سقط العنوان : «من اسمه بنيمان»،وهو فيهما أيضا
(ظ : ٨ ب/س ١٤ ، م : ٥٧ ب/س١١)

١٤١: ١٠ سقط هنا السطر الاخير من الترجمة ، وهو :
« كتب إليّ الإجازة في سنة ثمانٍ وعشرين » .
(ظ : ٨ ب/س ٢١ ، م: ٥٨ أ/س ٩)

١٤٤: ٨ وأبا الحسن عبد الغفار الفارسي ، وأبا عثمان الحيري
الصواب : وأبا الحسين عبدالغافر الفارسيوآبا عثمان البَحيري
(ظ : ٩ أ/س ١٢ ، م : ٥٩ أ/س ١٦)

١٥٢: ١٠ أحمد بن أبي الحسين
الصواب : أحمد بن أبي الحسن
(ظ : ١٠ أ/س ١ ، م : ٦١ ب/س ٥)

١٥٣: ٥ سمع أحمد بن عبد الغفار
العبارة ناقصة ، وتمامها في حاشية الأصل ، وهو : « سمع أبا العباس أحمد إلخ ... »
(ظ : ١٠ أ /هامش ، م ٦١ ب/س ١٢)

١٥٤: ١ شيخ الإسلام ــ الصواب : بشيخ الإسلام
(ظ : ١٠ أ/س ٨)

١٥٤: ٤ على ماكان والده ــ الصواب : على مكان والده
(ظ : ١٠ أ/س ١١ ، م : ٦١ ب/س الأخير)

١٥٤: ٦ أبا إسماعيل عُبيد الله ــ الصواب : عبد الله
(ظ : ١٠ أ/س ١٢ ، م : ٦٢ أ/س ٢)

١٥٧: ١٢ سمعني والدي رحمه الله أجزاء
قلت : العبارة في الأصل بتراء ، وتمامها في المنتخب ، قال : « سمَّعني والدي رحمه الله أجزاء ، وأحضره في مدرستنا ، وقرىء عليه أجزاء بحضوري »
(ظ : ١٠ ب/س ٨ ، م : ٦٢ ب/س قبل الأخير)

١٥٨: ٧ ابن عبد الرحمن الذكواني
الصواب : أحمد بن عبد الرحمن الذكواني
(ظ : ١٠ ب/س ١٢ ، م : ٦٣ ب/س ٥)

١٥٨: ٨ سقط العنوان : « من اسمه جعفر »
(ظ : ١٠ ب/س ١٣ ، م : ٦٣ ب/س ١٤)

١٦٠: ٣ سقط من أول السطر بضع كلمات ؛ وتمامه : وأبا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذكواني
(ظ : ١٠ ب/س قبل الأخير ، م : ٦٤ ب/س ١٢)

وهنا تنتهي الورقات العشر الاولى ، وأعتذر عن المتابعة في القراءة خشية الإملال ، ولعلّي أنشط لذلك فيما بعد إن شاء الله •

ثالثاً ــ التعليقات :

يُلاحَظ في التعليقات جهد غير يسير ؛ على أنها قد تُسرف تارةً ، وقد تحطب في ليلٍ تارة أخرى ، وقد سلف الكلام عن بعضها آنفا ، وأكتفي الآن بذكر مثالين اثنين لفتا انتباهي أثناء المطالعة في الكتاب ، فأحببت الوقوف عندهما قليلا :

أ ــ جاء في الجزء الاول ؛ في التعليق على نسبة أبي بكر الجماني ؛ قول المحقّقة ــ في حاشية الصفحة ١٤١ :

« الجُمّاني : هذه النسبة إلى جُمَّة ؛ يعني بها الشعر الذي في مقدمة الرأس • الأنساب ٣/٣٢٦ »

قلت : ثَمّ خطأ في الضبط والتعليق معاً ؛ فقد جاء اسم الرجل في الأصل (٨ ب/س ٢٠) هكذا : « أبو بكر بنيسان بن أبي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن جِمانة الهمذاني الجماني » ، ورُسمت كسرة تحت جيم (جِمانة) •

نعم ؛ قد يكون ضبط الكلمة غير واضح في المصوّرة ؛ لكنّ وجود

(الجماني) عقب (جمانة) يشير بوضوح الى أنها نسبة الى الجدّ ، ثم إن كتب المشتبه قد ضبطت الاسم والنسبة معاً ؛ كما في تبصير المنتبه (٤٥٣/١) ، وتاج العروس (جمن) ؛ بل صرّح صاحب التاج بأن (جِمانة) ككتابة .

ب ــ وجاء في الجزء الثاني ؛ في التعليق على كتاب « الاستسقاء » للمحدّث الكبير أبي القاسم الطَّبَراني ؛ قول المحقّقة ــ في حاشية الصفحة ١٢ :

« الاستسقاء علّة ينتفخ بها البدن كله ويترهّل ،ويخصّونه بالحمى، أو قد ينتفخ بها البطن وحدها ، ويقال : استسقى بطنه اذا امتلأ ماءً .وعند الفقهاء مصطلح يريدون به طلب المطر عند طول انقطاعه ، وفي مدوّناتهم تفصيل لأحكامه ، كما أنهم وضعوا له صلاةً خاصة به . مفيد العلوم ومبيد الهموم : ص ١٢ »

قلت : عجبٌ أمر هذا التعليق كله ؛ وأعجب منه أني بحثت في مصادر التحقيق بآخر الكتاب عن « مفيد العلوم » فوجدته في الصفحة (٦٤٩) مسجّلا على ذمة التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى ، والمعروف أن كتاب السبكي عنوانه : « مُعيد النِّعَم ومُبيد النِّقَم » .

أما « مُفيد العلوم ومُبيد الهموم » فكتاب آخر من تأليف أبي بكر الخوارزمي ، طبع بمصر سنة (١٩٠٦ م) . ومع ذلك فقد بحثت في الكتابين كليهما عن مصدر هذا التعليق فلم أظفر بطائل .

وبعد : لا جرم أن « المنتخب » أجل قيمةً وأولى بالنشر من هذا « التهذيب » الذي نُشر ؛ ذلك لأنه نسخة كاملة واضحة المعالم ، تفوق

هذا الكتاب وملحقاته معاً بأكثر من مئتي ترجمة . علاوةً على أن حجم الترجمة في المنتخب أكبر من نظيره في التهذيب،ويزيد من فوائده «الرواية» التي تلي كل ترجمة تقريبا .

وإذا ماكان نشر نسخة الظاهرية تجربةً أولى مع الكتاب ؛ فلقد توفرت الأسباب وألحَّت على نشر « المنتخب » بصورةٍ أفضل وأكمل . وقد كانت المحققة الفاضلة أعلنت في « المورد » عام ١٩٧٤ م ، ثم في مقدمة المطبوع عام ١٩٧٥ م أنها « قد أنجزت تحقيق المنتخب » ، أفلا يحقُّ لنا بعدُ أن نتساءل : متى سيظهر ؟ متى ؟

مطاع الطرابيشي

« بيبليوغرافيا [1] اسلاميــة عربيــة :
دليــل مجلس مكتبة الشرق الأوسط »
وقصــة ســنة عقــود

الاستاذ عبد النبي اصطيف

« بيبليوغرافيا إسلامية عربية : دليل مجلس مكتبة الشرق الأوسط »

كتاب قديم جديد ، بعث دون صاحبه بعد ما يقرب من ستة عقود ، في حجمٍ ماكان له ، ومعاصرةٍ كان بعيداً عنها، وتوثيق أين منه توثيق بداية

---

(١) **البيبليوغرافيا** تعـريب للاتينية الحديثـة (NL) bibliographia المأخوذة مـن اليونانيـة bibliographia وتعني نسـخ الكتب . وهـذه مركبـة مـن — biblio + graphia — . اما ثانية هاتين الكلمتين فهي الصيغة التركيبية المأخوذة من اليونانية graphein اي كتب . واما اولاهما فهي الصيغة التركيبية للكلمة اليونانيـة biblíón اي كتاب وهي تصغير الكلمة byblos ومعناهـا ورق البردي (بابيروس) الذي كان يستعمله الاقدمون للكتابة . ومعناها أيضا كتاب . وهي مأخوذة من Byblos المدينة الفينيقية القديمة التي تسمى الآن جبيل ، وهي المدينة الساحلية اللبنانية الواقعة بين بيروت وطرابلس ومنها كان يصدر قديما ورق البردي .

وللكلمة الانكليزية bibliography على ما جـاء في معجم وبستر اربعـة معـان متقاربة هي :

(١) تاريخ المؤلفات أو المنشورات وتمييزها ووصفها .

(٢) قائمة تتضمن غالبا ملاحظات وصفية او انتقادية لمؤلفات متعلقة بموضوع خاص او عصر خاص او مؤلف خاص .

(٣) قائمة مؤلفات وضعها احد المؤلفين أو طبعتها احدى دور النشر .

(٤) المؤلفات أو قائمة المؤلفات المتخذة مراجع لنص ما أو التي يشير اليها المؤلف في اخراج ذلك النص .

وعليه يستطاع ان تترجم الكلمة bibliographia (بيبليوغرافيا) اللاتينية الى العربية بالكلمة كتبيات (من — biblio) ، او مدونات (من — graphia)، وربما كانت الثانية أصلح من الاولى والله أعلم . « لجنة المجلة : م٠خ »

هذا القرن . عاد يرفل ولكن في حلة جديدة ، حاكتها له أيدي فريق من البيبليوغرافيين وقيمي المكتبات العامة من جامعات عدة ، جمعها هدف واحد هو الرغبة في النهوض بالدراسات العربية والاسلامية ، وليتحدث ، ولكن بلغة غير لغته الأم ، لغة أكثر انتشاراً واستعمالاً لدى المستعربين ، تكون عوناً لعدد أكبر من المهتمين بالدراسات العربية والاسلامية في مختلف بقاع الأرض ، وذلك عن طريق تقديم بيبليوغرافيا جديدة وموثقة .

أما المؤلف فهو المستشرق الإيطالي غ،غابرييلي Giusepp Gabrieli (١٨٧٢ ــ ١٩٤٤) والذي يعتبر بحق واحداً من أعظم المفهرسين والقيمين على المكتبات في مختلف العصور ، وأما الكتاب فهو :

Manuale di bibliografia musulmana

« الوجيز في البيبليوغرافيا الاسلامية »

الذي صدر باللغة الإيطالية أول مرة عام ١٩١٦ ، وأما الذين بعثوا الحياة فيه من جديد فهم مجموعة من الباحثين أبرزهم ديانا غريم وود جونز Diana, Grimwood - Jones وديـرك هبوود Derek Hopwood و ج ، د. بيرسن J. D. Pearson و ج ، ب ، أوختـرلوني J. P. D. Auchterlonie ، و ج ، د. ليثام J. D. Latham وياسين الصفدي وآخرون ، أنفقوا بضعة أعوام ليخرجوا بالكتاب القديم ــ الجديد تحت عنوان :

Arab Islamic Bibliography : The Middle East Library Committee Guide

من نشر مطبعة هارفستر ومطبعة هيومانتيس (١٩٧٧) .
Harvester Press and Humanities Press

ولكن كيف بدأت قصة الكتاب الذي ظهر أول مرة كما ذكرت عام ١٩١٢ وهو يحمل اسم محرر واحد ، ليبعث من جديد بعنوان جديد ومحررين جدد يتجاوز عددهم بضعة عشر باحثاً من مختلف الجامعات عام ١٩٧٧ .

غ . غابرييلي

ولنبدأ بحديث المؤلف المستشرق غ غابرييلي ، صاحب الكتاب ...

ولد غابرييلي الأب - تميزاً له عن **الابن فرانسيسكو غابرييلي أستاذ كرسي الأدب العربي في جامعة روما** - عام ١٨٧٢ . والتحق بجامعة نابولي في تشرين الثاني من عام ١٨٩١ ليدرس العربية على يد لوبو بونازيا Lupo Bounazia ، ثم انضم إلى معهد الدراسات العليا في فلورنسا Instituto di Studi Superiori ، عام ١٨٩٣ ، حيث تابع دراسته للعربية هناك على يد فاوستو لازينيو Fausto Lasinio ، وللعبرية على يد ديفيد كاستيلي David Castèlli . وقد تخرج من المعهد عام ١٨٩٥ بعد أن قدم رسالة عن حياة الشاعرة العربية الخنساء وعصرها وقصائدها . ومن المعروف أن هذه الأطروحة قد نشرت عام ١٨٩٩ ، وهو العام نفسه الذي أنهى فيه غابرييلي متطلبات النجاح في دبلوم اللغة العربية في المعهد الشرقي في نابولي . وقد تتلمذ في تلك الفترة على كارلو ألفونسو نالينو المستشرق الإيطالي المعروف وأحد أساتذة طه حسين الذين كان لهم أثر كبير في حياته العلمية . وربما كان من الشائق هنا أن يشير المرء إلى أن معرفة غابرييلي بالعربية وآدابها جعلته يتبوأ درجة المصلّي بعد أستاذه نالينو في المسابقة التي أجرتها جامعة باليرمو لانتقاء أستاذ لكرسي اللغة العربية وأدبها فيها عام ١٨٩٩ . وعلى أي حال فإن غابرييلي أصبح

قيم مكتبة Reale Acca demia dei Lincei عام ١٩٠٢ ، ودرس اللغة العربية في جامعة روما بعد ذلك بوقت قصير .

بدأت صلة غابرييلي تتوطد بالأمير ليوني كاتاني Leone Caetani خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، وقد أهداه هذا الأخير المجلد الخامس من كتابه Annali dell' Islam اعترافاً منه بجهده ومعونته له في إنجاز عمله الهام .

وإذا كانت قيمة الباحث تقاس بمقدار إسهاماته في حقل المعرفة الذي نذر نفسه له ، فإن المرء يستطيع أن يشير هنا إلى أن للمستشرق غابرييلي الأب ٢٤٩ عملاً مكتوباً ، بينها تسعة وستون يتناول فيها موضوعات شرقية ، وأحد عشر عملاً ببيليوغرافيا ، وواحد وعشرون عملاً في ميدان التاريخ المحلي ، وتسعة وستون عملاً في ميدان الكتابة الوثائقية عن المجمعيين في مجمع Lincei وواحد وثلاثون عملاً في ميدان الدراسات المسيحية والدينية والتعليمية ، وسبعة وعشرون عملا متفرقاً .

والحقيقة أنه على الرغم من شهرة غابرييلي الأب ببحوثه الأدبية والتاريخية العديدة ، فإن أعظم إنجازاته هي أعماله المرجعية والبيبليوغرافية التي حررها والتي تعد بحق من أفضل ما قدم إلى هذا الحقل من الدراسات الضرورية لأي بحث والذي يكاد يكون مهملاً تماماً في الوطن العربي . فقد أعد فهرساً للسير الموجودة في كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي ، وللمصادر التاريخية التي اعتمدها G. Rampoldi في كتابه **Annali Musulmani** ، كما جمع مواد وبيبليوغرافيا وفهرساً أبجدياً لتاريخ ابن خلدون ، وساهم في إعداد ذيل مطول بالأسماء العربية جعله

مقدمة للمجلد الأول من كتاب Onomasticon Arabicum والذي تعاون فيه مع كاتاني •

أمـــا في حقـل فهرســة المخطوطات فقــد أعــد عابريلي الأب **فهرساً بالمخطوطات والمصورات الشرقية الموجودة فيأرشيفات إيطاليا ومكتباتها** Manoscritti e carte orientali negli archivi e nelle biblioteche d'Italia عـــام ١٩٣٠ ، وألحقـــه بـ « **وثائق شرقية** » **Documenti Orientali** عـام ١٩٣٣ • والكتاب الأول كما يقـول البروفيسور بيرسن عمل لا نظير له في اللغات الأخرى ، فهو يتضمن سرداً لمجموعات المخطوطات الشرقية الموجودة في مكتبات إيطاليا ، مع تفاصيل عن تواريخها ، والفهارس المتعلقة بها وأماكن وجودها ، إلى غير ذلك مـن المعلومات القيمة التي لا غنى لأي باحث معني بشؤون المخطوطات عنها •

وقـد كرس أحـد أعماله الأخرى لتاريخ Caetani foundation وألحقه بثبت بمخطوطاتها المتوفرة باللغات المختلفة ، وهذا كله بالإضافة الى مقالة ــ أعدها مع ابنه فرانسيسكو ــ تتضمن وصفاً لمخطوطات كتاب « شاه نامه » الموجودة في مكتبات إيطاليا ، وأماكن وجودها •

أما في حقل الببليوغرافيا بمعناه الضيق فقد أعد الكراسة الإيطالية من كتاب : **Post—War Bibliography of the Near Eastern Mandates, 1919 — 1930**

(ببليوغرافيا ما بعد الحرب لانتدابات الشرق الأدنى ، ١٩١٩ ــ ١٩٣٠)

إضافة الى كتاب :

Bibliografia degli studi orientalistici del 1912 al 1934

والذي يغطي فترة تقــارب اثنين وعشرين عامــا ، ويسجل وقائع المساهمة الإيطالية في حقل الدراسات الشرقية بين عامي ١٩١٢ ــ ١٩٣٤•

وهذه السلسلة سلسلة فريدة من نوعها ، وأهم ما تتميز به هو اتصالها ، واستمراريتها التي تؤهل إيطاليا لتكون أبرز دول أوربا في هذا الميـدان على حد تعبير بيرسن •(*)

الكتاب القـديم

ولـكن مـاذا عـن كتـاب « **الوجيز في البيبليوغرافيا الاسلامية** » والـذي أصـدره مؤلفـه عـام ١٩١٦ والـذي نشـر في سلسلة Manuali Coloniali التـي كـانت تصـدرها وزارة المستعمرات الإيطالية !

يقـدم ج ، غابرييلي نفسـه في كتابـه على أنـه قيـم مكتبـة « R. Accademia dei Lincei » وأنـه Libero dosente (أستاذ جامعي) للغـة العربية وآدابهـا في الجامعة الملكية لرومـا • ويصف كتابه بأنه الجزء الأول من بيبليوغرافيا عامة • ويبدو أنه الجزء الوحيد الذي تحقق له أن ينشره ، فالمواد التي جمعها من أجل الأجزاء الأخرى للمشروع قـد فقدت ولم يعثر عليها •

يقول المستشرق غابرييلي الأب في مقدمته لكتابه « كان قصـدي الأول من إعداد الوجيز الحالي أن أجمع لأبنائنا الشباب البادئين بدراسة اللغات الإسلامية ــ وخاصة العربية ــ أكثر المراجع البيبليوغرافية ضرورة، والمنتشرة هنا وهناك في أعمال ليس من اليسير الوصول إليهـا أو معرفتها إلا من أفواه الأساتـذة • وكان في ذهني أن أقـدم للمعني بالدراسات الإسلامية عملاً مشابهاً لما يوجد باللغة الايطالية عن علم اللغة الكلاسي ،

(*) أفدت في التعريف بالمؤلف من مقدمـة بروفيسور بيرسن للكتاب الجـديد وانظـر الصفحـات (XIII — IX)

والأدب الايطالي ، وتاريخ الرياضيات » (الكتاب : ص ٧)

ولكن يبدو أن هذا العمل خضع أثناء عملية إعداده ودفعه إلى المطبعة إلى عملية تغيير واضحة . لقد كانت ببليوغرافيا الأدب الاسلامي وخاصة الجزء المتعلق بالتاريخ الإسلامي في طور التكون ، ولم يكن هناك من عملٍ يتناول ما وصلت إليه الدراسات الإسلامية في الفترة التي كان يعيش فيها غابرييلي الأب . ولذلك فقد بدا له ـ كما يقول ـ أنه ينبغي أن يتوسع في مشروعه ، وأن يجعل أفقه أكثر رحابة ، فيستبدل بالمجلد الواحد اثنين أو ثلاثة تضم جملة الببليوغرافيا المتصلة بالدراسات الاسلامية . ولذا فقد خصص الجزء الأول ـ والذي يمكن أن ينهض بنفسه كعمل مستقل ـ للببليوغرافيا وللمصادر العامة لدراسة العلوم الاسلامية المدروسة لأغراض لغوية أو عملية .

والواقع أن مجالاً أرحب كهذا الذي قصد إليه غابرييلي الأب قاده إلى تحطيم النسب التي أرادها لعمله ، وإلى التخلي عن النظام الذي أقامه عليه ، ولكنه في الوقت نفسه جعل من عمله أكثر فائدة ، وأوسع قبولاً ليس بين صفوف طلاب المدارس والمعاهد الشرقية والأساتذة والمستشرقين وقيمي المكتبات ، بل بين صفوف موظفي ومسؤولي إدارة المستعمرات كما يعترف هو نفسه (ص VI) .

وقد أعطى غابرييلي الأب لعمله صبغة تاريخية فنحن نراه في كتابه يرتب الأعمال الرئيسية التي يضمها كل قسم حسب تاريخ صدورها . وهو لا يكتفي بهذا بل إنه يذكر حتى الأعمال المبكرة في أي حقل من الحقول الدراسية ، وحتى تلك التي تجاوزها الزمن ولم يعد لها كبير أهمية .

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع أن غابرييلي الأب أبدى عناية

خاصة بما كتبه الإيطاليون وما ساهموا به في ميدان الاستشراق وهذا ليس بالقليل • وكذلك فإننا نراه لا يكتفي بذكر عناوين الكتب ، وإنما يورد ذكراً موجزاً لمحتوياتها وقيمتها وأصولها • وهو لا ينسى أن ينظم في أماكن مختلفة من كتــابه قوائم بالمستشرقين (ص‌ص ٨٩ ــ ١٠٣) والمترجمين الأوائل والمدارس والمعاهد والمخطوطات ، وما إلى ذلك من الأمور التي شعر أن الشادين في حقل الاستشراق بحاجة إليها • وهنا لا بد للمرء من أن يشير إلى أن غابرييلي الأب كان ينسخ أسماء الكتب كما هي وأنه غالبا ما كان يصف كتبه بعد معاينة مباشرة لها إلا فيما قل ، وعندها يكتفي بما يعلمه • أما نظام الترجمة الصوتية Transliteration الذي استخدمه فهو نفسه المستخدم من قبل الأميركاتاني في أعماله التاريخية والبيبليوغرافية القيمة • (ص VII)

يقع كتاب غابرييلي الأب في ما يقرب من خمسمائة صفحة من القطع الصغير ، ويضم مقدمة وأحد عشر فصلاً وملحقاً ، وفيما يلي ثبت بمحتوياته مع بيان موجز عنها :

ــ المقدمة وقد تمت الإشارة إلى ما جاء فيها في التقديم للكتــاب (ص‌ص . V — VIII)

ــ الفصل الأول : أراضي المسلمين :

وفيه يناقش المؤلف حدود العالم الإسلامي ويحدد آفاق المجلد الذي يضعه بين أيدي قارئه • (ص‌ص ١ ــ ٢)

ــ الفصل الثاني : تجارة الكتب :

ويضم هــذا الفصل فهرساً أبجــدياً بالمكتبات التي تتجــر بكتب الدراسات الاسلامية• وبالطبع فإن هذا يعكس اهتماماً ــ ينبغي تقديره ــ

بتيسير الحصول على الكتب الخاصة بالدراسات الاسلامية سـواء على الطلاب أو المعاهد ، ولا يمكن للمرء هنا أن يغفل الناحية العملية في هـذا المقام (ص‌ص ٣ ــ ٨) •

ـ الفصل الثالث : ببيليوغرافيا عامة وموسوعات خاصة :

ويضم هذا الفصل ببيليوغرافيا شرقية وغربية وأخرى عن العرب واللغة العربية ، وببيليوغرافيا متأخرة وقوائم بالكتب المنشورة في مختلف المدن والأقطار إضافة إلى ببيليوغرافيا للمناطق الاسلامية (ص‌ص ٩ــ٢٣)

ـ الفصل الرابع : دوريات ومجموعات : (ص‌ص ٢٤ ـ ٨٣)

ا ــ الدوريات (ص‌ص ٢٥ ــ ٤٧)

ب ــ المجموعات (ص‌ص ٤٧ ــ ٨٣)

ـ الفصل الخامس : الاستشراق والمستشرقون (ص‌ص ٨٤ ـ ١٠٨)

ويتضمن قائمة بـ ٥١٩ باحثاً إسلامياً محترفاً وهاويا ومعنيّاً بحقـل الاستشراق • وقد ضمت هذه القائمة أسماء عدد من معاصري غابرييلي الأب الذي يعطي هنا التواريخ الهامة في حياة هؤلاء المهتمين بالدراسات العربية والاسلامية ، ويشير الى مصادر كتبهم وأماكن وجودها ، وكذلك فإن المؤلف يقدم في هذا الفصل أسماء مترجمي النصوص العربيـة الى اللاتينية •

ـ الفصل السادس : التعليم والتربية الاسلاميان في القديم والحـديث (ص‌ص ١٠٩ ــ ١٨٣)

ا ــ التعليم والمدارس (ص‌ص ١٠٩ ــ ١٢٥)

ب ــ التعليم اللغوي الأساسي الأدبي واللغوي (ص‌ص ١٢٥ــ١٨٣)

ــ في العربية :

* النحو (ص ١٢٩ ــ ١٣٤)
* البلاغة والعروض (ص‌ص ١٣٤ ــ ١٣٥)
* المجموعات والمختارات (ص‌ص ١٣٥ ــ ١٣٦)
* الأسلوبيات والمحادثة العملية (ص‌ص ١٣٦ ــ ١٣٧)
* كتب اللغة والمعاجم (ص‌ص ١٣٧ ــ ١٤٣)
* دراسة الأسماء (ص ١٤٥)
* اللهجات العربية[١] (ص‌ص ١٤٥ ــ ١٥٩)
* تاريخ اللغة العربية وحياتها وتأثيرها على اللغات الأوربية (ص‌ص ١٥٩ ــ ١٦١)
* تاريخ الأدب العربي ــ الاسلامي (ص‌ص ١٦١ ــ ١٦٨)
الأدب المكتوب بالعربية من قبل غير العرب أو المسلمين (ص ١٦٨) ــ

ــ الفارسية : النحو ، والبلاغة وتاريخ الأدب (ص‌ص١٦٩ــ١٧٤)
ــ التركية : (ص‌ص ١٧٤ ــ ١٧٩)
ــ الهندوستانية : (ص‌ص ١٧٩ ــ ١٨٠)
ــ الأفغانيـــة : (ص‌ص ١٨٠ ــ ١٨١)
ــ الماليزية والملاغاشية (ص‌ص ١٨١ ــ ١٨٢)
* تاريخ الأدب الاسلامي الشرقي في أعمال عامة وسلاسل ٠
* الأدب واللغة في المناطق الخاضعة للحكم الاسلامي ٠

ــ الفصل السابع : المخطوطات :

(١) وتضم لهجات الصحراء العربية السورية ووسط الجزيرة العربية ، وجنوبي الجزيرة ، وعمان وزنجبار ، وسوريا وفلسطين ، والعراق ومصر ، وشمالي افريقيا وليبيا ، ومالطة ، واللهجة البربرية ، والسويحيلية ، واللهجات العربية في صقلية واسبانيا ٠

ا : القانون : وذلك في حلب والجزائر وأمستردام والهند وبغداد وبيروت وباتافيا وبرلين وبومباي وبون وبوردو وبروكسل وبودابست والقاهرة وكلكتا وكامبريدج الانكليزية والأمريكية ، والقسطنطينية ودمشق ودياربكر ودرسدن ودبلن وادنبرة وإيرفورت والبندقية وجنيف وغلاسكو وغرناطة وهالة وقازان ولشبونه ومدريد ومدراس وميلانو وموسكو ونابولي ونيويورك وأكسفورد وباليرمو وباريس وبطرسبورغ وبرنستون وروما وتورينو وتونس وفيينا وغيرها من المدن في مختلف أنحاء العالم .

ومن الواضح أن غابريبلي الأب هنا قد عمد إلى الترتيب الألفباني في إيراده لأسماء المكتبات تبعاً للمدن الموجودة فيها . وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا القسم الخاص بالقانون موزع على المجموعات الموجودة في المكتبات العامة الموجودة في المدن المذكورة سابقا (صص ١٨٩ — ٢٤٢) وعلى المجموعات الخاصة بأناس معينين (صص ٢٤٢ — ٢٥٤) . ونحن نجده هنا أيضاً يذكر لنا أماكن وجودها وذلك إضافة إلى بعض المعلومات الأخرى المفيدة في هذا المقام .

ب — الأوراق والوثائق الرسمية من اتفاقيات أو مراسلات (صص ٢٥٥ — ٢٥٨)

ج — البرويات (صص ٢٥٨ — ٢٦١)

د — النقوش (صص ٢٦١ — ٢٧٣)

— الفصل الثامن : الكتب :

وهذه موزقة أيضا على المدن (صص ٢٧٤ — ٢٩٢)

ـ **الفصل التاسع : العملات** : (ص‌ص ٢٩٣ ـ ٣٢١)

ا ــ عموميات (ص‌ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦)
ب ــ أقطار وسلالات حاكمة الخ (ص‌ص ٢٩٧ ــ ٣٠٤)
جـ ــ خزائن (ص‌ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦)
د ــ مجموعات عامة للعملات الشرقية ــ الاسلامية بشكل خاص (٣٠٦ ــ)

ـ **الفصل العاشر : مصادر أثرية أخرى** (ص‌ص ٣٢٢ ـ ٣٥٤)

ا ــ دراسة المتاحف
ب ــ التصنيفات الأثرية

ـ **الفصل الحادي عشر : تقويم المسلمين** : (ص‌ص ٣٥٥ ٣٥٧)

وقد ألحقه بجــدول مقارن يمتــد بين عامي (١ ــ ١٣٤٠ هـ) ، و (٦٢٣ ــ ١٩٢٢ م)

ـ **الملحق** : (ص‌ص ٣٨١ ــ ٣٩٤) وفيه ثبت بالمخطوطات الشرقية الموجودة في مكتبات العالم[٢] .

★ ★ ★

ولكن لماذا تمت إعادة تحرير الكتاب ، وبعثه من جديد وجعله أكثر معاصرة دون أن يتم التخلي عنه نهائيا وتأليف كتاب جديد ؟

يبدو لي أن القائمين على تحرير الكتاب الجديد أرادوا أن يجسدوا

(٢) من الواضح أنــه تم ايراد محتويات الفصول بشيء من التفصيل لان هــذا الاهتمام البيليوغرافي محدود في الوطن العربي . وفي هذه المناسبة ان صاحب هــذه السطور يود أن يعرب عــن تقــديره للصــديقين الايطــاليين ، وزيلا وريكاردو روفللي مــن كليــة سانت انتوني Rosella and Richardo Rovelli لمساعدتهما القيمة التي جعلت مراجعة كتــاب غابرييلي ممكنة له

احترامهم لعمل غابرييلي الأب فالتزموا به أساساً انطلقوا منه في إعداد الكتاب الجديد • والحقيقة أن هذا الاحترام غير مستمد فقط من إسهامات غابرييلي الأب وجهوده الكبيرة في حقل الاستشراق والتي تمت الإشارة إليها مسبقاً ، ولكنه مستمد أيضاً من قيمة الكتاب نفسه كعمل رائد وجبار في ميدان الببليوغرافيا الإسلامية • فرغم مضي أكثر من ستة عقود على تأليف الكتاب ، ظل مصدراً حافلاً بالفائدة لكل المعنيين بشؤون الاستشراق والدراسات الشرقية في الغرب • ولكن كون الكتاب باللغة الايطالية ــ وهي لغة غير شائعة شيوع الانكليزية أو الفرنسية أو الألمانية ــ حد من تلك الفائدة ، وجعلها مقصورة على أولئك الذين يستطيعون أن يقرؤوا بالإيطالية أو يستطيعوا فك رموزها • وهكذا تراءى لمجلس مكتبات الشرق الأوسط : Middle East Libraries Committee (وهو مجلس مؤلف من ممثلين عن الجامعات البريطانية التي تضم أقساماً للدراسات العربية والاسلامية من بينها أكسفورد ، وكامبريدج ، ولانكستر ، وهل ، ومانشستر ، وادنبره ، وسانت أندروس ودرم ••• غايته تعزيز التعاون فيما بينها في ميدان مكتبة الشرق الأوسط) في المؤتمر الذي عقده في حزيران عام ١٩٧٠ في كامبريدج أن يقنع عدداً من الباحثين والقيمين على شؤون المكتبات ليعملوا معاكفريق واحد، ويعدوا ببليوغرافيا عربية اسلامية تنطلق من كتاب غابرييلي الأب إذ تتخذه أساساً ، وتحاول أن تجعل من هذه الببليوغرافيا الجديدة أكثر معاصرة ، وأن تستبدل باللغة الايطالية اللغة الانكليزية وهي لغة أكثر شيوعاً بين المستعربين والدارسين العرب ، وبالتالي أن توسع من نطاق الفائدة المرجوة من الكتاب •

وقد بدأ العمل بالفعل منذ ذلك التاريخ واشترك فيـه فريق من الباحثين وقيمي المكتبات ، فكان لنا هذا الكتاب القديم ــ الجديد الذي ظهر منذ عامين •

ولعل عرضاً موجزاً لمحتوياته قمين بإظهار بعض وجوه الاختـلاف والتشابه بينه وبين عمل غابرييلي الأب ، والكشف عن الوجوه الإيجابية الكثيرة في عمل تضافر على القيام به أكثر من عشرة باحثين ظلوا يعملون بصمت فترة تقارب سبع سنوات •

الكتاب الجديد

يقع كتاب « **بيبليوغرافيا اسلامية عربية** » الذي صدر في لندن منذ عامين في أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير • وربما تساءل القارىء عن سر هذا التضاؤل في عدد صفحات الكتاب ــ مع ملاحظة اختـلاف قياس الصفحة وحجم حروف الطباعة ــ ، وإذا ما جاز للمـرء أن يستبق الحديث فإنه يمكن أن يشير هنا الى المختصرات والرموز الكثيرة التي استخدمها محررو الكتاب الجديد ، والتي امتد ثبتها على خمس صفحات وقارب عددها المائتين ، والى التركيز الشديد الذي كتبت به مادته والذي يمكن أن يكون نموذجاً يحتذى به في مؤلفات من هذا النوع •

ويتلو مقدمة البروفيسور[٣] ج ، د ، بيرسن الجامعة المركزة . عشرون فصلاً وثبتاً بالمؤلفين والكتب المجهولة المؤلف •

---

(٣) ج ، د، بيرسن هو أستاذ البيبليوغرافيا في جامعة لندن مع اهتمام خاص بآسيا وافريقيا ،من مؤلفاته : وهو فهرس لمقالات ما يقرب من

a — **Index Islamicus** (1958 —)

فصول الكتاب :

الفصل الاول :

ببليوغرافيات وقد كتبه وأعده ج ، د ، بيرسن وأحمد عبد الحليم

ا) شرقية عامة

ب) الاسلام عامة ، الشرقان الأوسط والأدنى — (مع أو دون شمالي أفريقيا) : بشكل عام أو حسب الموضوعات

جـ) مناطق وأقطار منفردة

د) كتابات بالعربية ، ببليوغرافيا وطنية للبلاد العربية .

هـ) كتابات الباحثين والأشخاص المهتمين بالشرق العربي والشرق الأوسط .

★ ★

الفصل الثاني :

موسوعات وأعمال مرجعية وقد أعدته ديانا غريم وود جونز(٤) ويتضمن :

ا) الموسوعات

=

b — **Oriental and Asian Bibliography** (1960)
c — **Oriental Manuscript Collections in Europe and North America** (1971)
d — **The Bibliography of Pre — Islamic Iran** (Editor) 1974 .
e — **Papers on Oriental Library Collections** (Editor) 1971 .

(٤) د. جونز هي قيمة مكتبة مركز الشرق الاوسط (أكسفورد) ومسؤولة أرشيفة وقد شاركت دريك هيورد في تحرير :

Middle East and Islam : A Bibliogrphical Introduction (1972)

والذي ستظهر منه طبعة معدلة قريبا في نهاية هذا العام .

ب) أدلة الأدب ومراجع التواريخ
جـ) التقويم الاسلامي : جداول التحويل
د) معاجم وأدلة عامة للمنطقة
هـ) رسائل (أطروحات جامعية) وأدلة بحث
و) معاجم •

الفصل الثالث :

القواعد العربية وقد أعده ج ، ب ، اوخترلوني(٥) ويتضمن :
ا) الأدلـــة
ب) القواعد العربية باللغة العربية
جـ) القواعد العربية باللغات الغربية •

الفصل الرابع :

علم الأنساب ، معاجم السير وكتب من هو **Who's who** وقد أعدته ديانا غريم وود جونز ويشمل :
ا) علم الأنساب
ب) معاجم السير وكتب من هو

الفصل الخامس :

الصحافة والدوريات وقد أعده الدكتور دريك هبوود(٦) ويضم :

(٥) ج٠ أوخترلوني هو قيم الدراسات الاسلامية في جامعة لانكستر ٠
(٦) الدكتور دريك هبوود هو عميد سانت انتوني ٠ ومدير مركز الشرق الاوسط سابقا ،، وبيبلوغرافي جامعة أكسفورد وكلية سانت انتوني أيضا لشؤون الشرق الاوسط وأكسفورد ،،
=

أ) قوائم الصحف والمجلات
ب) المسوح العامة
جـ) تاريخ الصحافة
د) فهارس الدوريات العربية
هـ) دوريات للدراسات الاسلامية والشرق ـ أوسطية •
و) دوريات اسلامية وشرق ـ أوسطية •

الفصل السادس :

خرائط البلاد العربية ومصوراتها أعدته هيلين ميدلوك H. Medlock

الفصل السابع :

الأسماء الجغرافية العربية ، أعده ج ، م جيلان P. J. Geelan

الفصل الثامن :

مجموعات Festschrifts (٧) ، والمجلدات التذكارية أعده

=

وممثل بريطانيا في الحوار العربي الاوربي ، وسكرتير « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط » من مؤلفاته :

- **The Russian Presence in Syria and Palestine** ; 1843 — 1914, (1969) .
- **The Arabian Peninsula : Society and Politics** , (1972) (editor)
- **Catalogue of Islamic Arabic Manuscripts in Selly Oak Colleges, Birmingham** 1963 .

(٧) هي كلمة ألمانية تستخدم على نطاق واسع اليوم للدلالة على الكتب المؤلفة من عدة بحوث أو دراسات ألقيت في ذكرى بلوغ شخص هام سنا معينة ثم جمعت في كتاب تكريما له وتقديرا لخدماته •

ج ، د، ليتام J. D. Latham

الفصل التاسع :

الرحلات العلمية ، أعدته آن وولش Ann Walsh ويشمل :

ا) الرحلات العامة

ب) رحلات شمالي أفريقيا

جـ) رحلات الشرق الأوسط

الفصل العاشر :

الاستشراق والمستشرقون أعده س، إ ، بوزورث Bosworth

الفصل الحادي عشر :

المعاهد ، أعده ج ، د، بيرسن ويشمل :

ا) المعاهد في المملكة المتحدة

ب) فرنســا

جـ) ألمانيــا

د) الولايات المتحدة

الفصل الثاني عشر :

المخطوطات العربية عامة أعده ج ، د، بيرسن ويشمل :

ا) دراسة النقوش القديمة Palaegraphy

ب) نماذج الخطوط

جـ) قوائم المجموعات والفهارس

د) الفهارس الموحدة

هـ) فهارس بائعي الكتب

و) معهد المخطوطات العربية

الفصل الثالث عشر :

المخطوطات العربية المزوقة أو الموشاة أعده إ• م• ف• جيكيموفيتش E. M. F. Jachimowicz ويشمل :

ا) كتب عامة عن الفن الاسلامي والرسم الاسلامي مع قسم خاص عن توشية الكتب العربية •

ب) ببليوغرافيا عن التصوير في الاسلام

جـ) المتاحف والمكتبات والأرشيفات ، والمجموعات ، والمعارض إضافة الى عينات من المخطوطات العربية الموشاة •

د ـــ كتب عامة عن فن الكتاب العربي

هـ ـــ مدارس توشية الكتب •

و ـــ دراسات حول مخطوطات مفردة ومنمنمات •

ز ـــ علم الإيقونات Iconography

ح ـــ توشية القرآن ودراسات أخرى متصلة بها

ط ـــ توشية الكتب العربية وصلتها بالاساليب الأجنبية

ي ـــ أعمال في موضوعات مختلفة تتضمن إشارات إلى المخطوطات العربية الموشاة •

الفصل الرابع عشر :

البرديات العربية ، أعده ويك فيلد C. Wakefield

الفصل الخامس عشر :

الأرشيفات ، أعده دريك هبوود

ا) في الشرق الأوسط

ب) في شمال أفريقيا

جـ) في البلاد غير العربية

د) في الهند

هـ) في أوربا

و) في الولايات المتحدة الأمريكية .

الفصل السادس عشر :

النقوش العربية ، أعده أ. د. بيفر A. D. H. Bivar ويشمل :

ا) بيبليوغرافيات

ب) دراسات عامة

جـ) نقوش أموية

د) نقوش عباسية أو متصلة بسلالات معاصرة لها .

هـ) سلالات ماقبل مغولية متأخرة : مصر وما يقع شرقها

و) أفريقيا

ز) الأندلس

الفصل السابع عشر :

علم النـمّيات الاسلامية : Muslim Numismatics [8] أعـده بيفر ويشمل :

---

(٨) الـNamismatics علم يعنى بدراسة القطع النقدية والميداليات والاوراق المالية .

ا) المسوح الببليوغرافية
ب) دراسة عن دور سك معينة
جـ) فهارس المتاحف
د) كنوز و نفائس وحفريات
هـ) الإيقونات
و) المقاييس والأوزان
ز) تقنية سك العملة
ح) المصادر العربية عن سك النقود .

الفصل الثامن عشر :

الطباعة العربية وانتاج الكتاب ، أعده ياسين صفدي ويقع في :
١) مدخل
٢) تاريخ موجز

الفصل التاسع عشر :

المكتبات ، أعده أوخترلوني ويتضمن :
أ) المكتبات الغربية التي تحتفظ بمجموعات عربية وإسلامية .
ب) المجموعات العربية في الأقطار الآسيوية والأفريقية غير الناطقة بالعربيــة .
جـ) المكتبات والخدمات الببليوغرافية في الوطن العربي .
د) الاشراف على المكتبات بالنظر إلى اللغة العربية بالوطن العربي .

الفصل العشرون :

« بائعو الكتب للتزود بسواد حول الشرقين الأدنى والأوسط العربيين الاسلاميين » أعده م ، دريسكل M. Driskell ويشمل :

ا) أوربا •

ب) الولايات المتحدة الامريكية •

جـ ــ الشرق الأوسط[٩] •

★ ★ ★

ويضم الكتاب إضافة إلى فصوله العشرين ثبتاً بالمؤلفين وبعناوين الكتب المجهولة المؤلف (ص‌ص ٢٦٩ ــ ٢٩٢) •

خلاصة القول

والآن ، وبعد هذا العرض المفصل لمحتويات البيبليوغرافيا ، قد يتساءل القارىء : ولكن ماذا يمكن لبيبليوغرافيا كهذه أن تقدم من خدمة للثقافتين العربية والاسلامية ؟

لست أريد في هذا الموضع الحديث عما وصلت إليه حال الدراسات العربية في وطننا العربي ، فهذا ما لا أعتقد أني مؤهل للحديث عنه • ولست أريد أن أذكر هنا الصعوبات التي تعانيها المحاولات المبذولة للنهوض بهذه الدراسات لأنني لا أعتقد أنني سأضيف جديداً في هذا المقام • ولكني أظن أن إشارة سريعة الى الهبوط النوعي في مستوى الدراسات الأدبية يمكن أن تفي بالغرض • إن المتتبع لما ينشر اليوم من

(٩) ربما تحسن الاشارة في هذا الموضوع الى ان صاحب هذه السطور قد توسع في الاشارة الى محتويات الفصول على نحو مفصل رغبة في اتاحة الفرصة للقارىء العربي ليفيد من مراجعة هذا الثبت البيبليوغرافي القيم •

انتاج أدبي ونقدي أو من دراسات حولهما ، يدرك أن في إثارة قضيةمستوى ما ينشر من هذا النتاج أمر هام وحيوي • هناك بالطبع من يحاول أن يربط بين أزمة الانتاج الأدبي ، وبين الأزمة التي تتنازع الفكر العربي الحديث بشكل عام • ومع أن هذه الأخيرة تلقي بظلالها على مستوى الدراسات الأدبية التي تعاني أيضا من هبوط نوعي في مستواها لا يمكن للمرء أن يتجاهله ، فإن الدارس من جهة أخرى يمكن أن يقع على أسباب أخرى لهذا الهبوط • يقول الأديب العربي الكبير يحيى حقي : أمنيتي « **أن أرى في حركتنا الأدبية ما أسميه (التتابع) أي أن تكون الأفكار الجديدة مستندة ومتابعة للأفكار السابقة وهذا ما يتطلب ما أرجوه من أن يكون المفكر ملما بكل ما سبق عن الموضوع الذي يعالجه ، لأنه يخيل إلي في بعض الأحيان حين أقرأ بحثاً صدر اليوم ، أني قد سبق لي أن قرأته ، كأننا ندور في مكان واحد لا نبرحه الى الأمام** »(١٠) •

لقد وضع الأستاذ يحيى حقي يده هنا على أمر حيوي جداً ، تفتقر إليه أكثر الدراسات العربية باستثناء الأكاديمية والجامعية منها (وهذا الحكم نسبي أيضا) وهو الانطلاق في كل بحث أو مشكلة أو قضية من النقطة التي وصل إليها الآخرون الذين سبقوا إلى معالجتها • إن أغلب الدراسات العربية تنطلق في كثير من الأحيان من نقطة الصفر • وقد يعزو بعضهم أسباب هذا القصور الى كاتبي هذه الدراسات وإلى أنهم لا يعيرون ما أسهم به غيرهم في هذا الميدان أو ذاك أدنى اهتمام ، ولكن هؤلاء ينسون الى أن نقطة البدء في أي بحث هي مراجعة الببيليوغرافيا الخاصة به ، ومعرفة كل ما كتب عنه ، وبالتالي محاولة الاستفادة من هذا الذي كتب وتطويره والوصول به الى نتائج جديدة •

(١٠) انظر : عاطف مصطفى : « يحيى حقي في حديث عن الابداع الفني وتدهور الفكر » في الهلال ، ديسمبر ، ١٩٧٧ ، ص ٦١ •

إن البدء بإعداد بيبليوغرافيا شاملة ومستقصية للموضوعات المختلفة التي تتصل بالثقافة العربية أمر هام وحيوي جداً ، إذا ما أريد لهذه الدراسات أن تحقق قفزة نوعية في ميدانها . ولا شك أن التقدم الذي أحرزته الدراسات العربية في الغرب إنما تحقق بتطبيق مبدأ متابعة البحث من النقطة التي انتهى الآخرون إليها ، لا من نقطة الصفر . وأن هذه المتابعة ما كان لها أن تتم لولا وجود بيبليوغرافيا خاصة بكل موضوع .

قد يشير البعض هنا إلى بعض الجهود المحدودة في هذا القطر العربي أو ذاك (عبد الإله أحمد في العراق ، يوسف أسعد داغر في لبنان ، حمدي الشلوت ، بدر الديب وأحمد ابراهيم الهواري في مصر ، اسكندر لوقا وحسام الخطيب في سوريا)[١١] وبالطبع فإن المرء لا يستطيع إلا أن ينظر نظرة تقدير إلى هذه الجهود الفردية ، ولكنه في الوقت ذاته يرى أن الأمر يتطلب مجهودات جماعية ، تسهم فيها الجامعة والمؤسسات العلمية والمجامع والمكتبات العامة واتحادات الكتاب .

إن النهوض بمستوى الدراسات العربية اليوم في شتى الميادين بحاجة إلى هذه البيبليوغرافيا ، لأنها تعني تسهيل الطريق أمام الباحثين والدارسين العرب في الإفادة من الكتب والمكتبات ، وبالتالي إفساح المجال أمامهم بشكل أو بآخر ليسهموا في هذا العصر ، ويؤكدوا انتماءهم إليه بهذا الإسهام .

يقول د. حسام الخطيب في معرض حديثه عن استيرادنا للدراسات المتعلقة بثقافتنا وأدبنا :

---

(١١) اضافة الى جهود المجامع العلمية ومعهد المخطوطات العربية في فهرسة المخطوطات التي بحوزتها ، وهي جهود لا يسع المرء الا أن ينظر اليها بعين التشجيع والتقدير معا .

« ومنذ زمن تخلينا عن السؤال عن مدى إسهام عرب هذا العصر في العلم أو الفكر أو الفلسفة ، وذلك أنه من نوع الأسئلة التي « إن تبد لكم تسؤكم » وأصبح وكدنا أن نتساءل عن مدى تمثل الذهن العربي لثقافة العصر • ومع ذلك نحن نجيب على هذا السؤال بطريقة واحدة وبخط واحد ، وكان له جواباً لا يجوز الخروج عنه •

اللهم فاشهد ، أنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فسوف نصبح ــ ولعلنا أصبحنا وانتهى الأمر ــ مستوردين للدراسات المتعلقة بأدبنا وثقافتنا كما نستورد الدراسات المتعلقة بتاريخنا ومجتمعنا ومعاهدنا وضآلة مشاركتنا في المؤتمرات الثقافية غير الاحتفالية هما مؤشران خطيران »[١٢] •

وبالطبع فإن إعداد ببليوغرافيا خاصة بكل موضوع لا يعني إزالة هذه المؤشرين الخطيرين اللذين تحدث عنهما الدكتور الخطيب ولكنه أول الطريق ، وأول الطريق خطوة ، ومن الأهمية بمكان أن تكون واعية وصحيحة وواثقة[١٣] •

عبد النبي اصطيف
كلية سانت أنتوني ــ جامعة أكسفورد

---

(١٢) انظر ، د• حسام الخطيب : « **ملامح في الادب والثقافة واللغة** » منشورات وزارةالثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٧ •

(١٣) ربما يلاحظ القارىء أن صاحب هذه السطور قد التزم جانب الوصف في تقديم الكتاب• وبالطبع فان هذا لا يعني أن هذه الببليوغرافيا عمل كامل منزه عن الخطأ وبالتالي بعيد عن متناول النقد • وربما كان بامكان المرء أن يجد بعض الهنات والنواقص هنا وهناك وأن يقترح على المحررين كذا وكذا من الامور ، ولكن يبدو لي أن عمل المفهرسين والببليوغرافيين أبعد مايكون عن الاثرة ، وأن طابعه الرغبة في افادة الاخرين والحرص على دفع بحوثهم خطوت جادة على الطريق الصحيحة • وبالتالي فان أية ببليوغرافيا لا يمكن الا أن تقابل بالترحيب والتشجيع فهي أقل ما ينتظره ــ أو يستحقه بالفعل ــ المفهرس أو الببليوغرافي •

ذيل ديوان الطرماح

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

نُشِر ديوان الطِّرمَّاح أول مرة في لنـدن عام ١٩٢٧ بتحقيـق المستشرق الانكليزي فريتز كرنكو • على أن تلك الطبعة لم تتضمن الا جزءاً يسيراً من أشعار الطِّرمَّاح اذ اعتمد المحقق على مخطـوطة سقيمة مضطربة بترت بعض أجزائها فضلا عما أصابها من خروم في مواضع أخرى •

ثم نشر ثانية في دمشق عام ١٩٦٨ بتحقيق الدكتور عزة حسن الذي اعتمد على نسخة خطية أخرى أتم وأوفى من المخطوطة السابقة • غير أن نشرته تلك لم تخل من بعض المآخذ والهنات التي نستعرض منها مايلي :

أثبت المحقق في ذيل الديوان عدداً من المقطعات والابيات المفردة مما لم يرد في النسخة المعتمدة الا أنه لم يبين صحة نسبتها كما يتضح من الامثلة التالية :

١ ــ ق/١ : ٥٦٣

سما للعُلى من جانبيها كليهمـا ‏ ‏ ‏ ‏ سُمُوَّ حَباب الماء جاشتغَوارِبُهْ

وليس البيت للطِّرمَّاح وانما هو لأبي تمام وهو في ديوانه ١/٢٣٤ ضمن أبيات كثيرة مطلعها :

هنَّ عوادي يوسفٍ وصواحِبُهْ ‏ ‏ ‏ ‏ فقِدْماً أدرك السُّؤل طالِبُهْ

وبعد البيت المذكور :

فنوَّل حتى لم يجد من يُنيلُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وحارب حتى لم يجد منيحارِبُهْ

وهو كذلك في هبة الايام ١٣١ ، والموازنة ١/٨١

٢ ــ ق/٢ : ٥٦٣

• • • • • • وإن تَوَتَّى التالياتُ عَقَّبا

وليس الشطر للطِّرمَّاح وانما هو للعجاج وهو في ديوانه ٧٤، والتاج والتكملة (عقب) وقبله :

كأنَّ تحتي أخدريَّاً أَحقَبا رَباعيا مُرتَبِعا أو شوقَبا
عَرْدَ التَّراقي حَشوراً مُعَقربا بأَدَماتٍ قَطَوانا تألَبا
إذا علا رأسَ يَفاعٍ قَرَّبا وان توفَّى • • • •

وبعض هذه الأشطار في اللسان (ربع) ، (عقرب) ، (عرد) ، (تألب) ، وتهذيب اللغة ٢/١٩٨ ، ٣/٢٩٣ ، ١٤/٢٩٠ ، وجمهرة اللغة ١/٢٦٤ •

٣ ــ ق/٦ : ٥٦٦

• • • • • • • • • • • في جنبي مَرِيٌّ ومِسطحِ

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان ، وهو البيت ٧٩ من القصيدة ٧ ، وتمامه :

أصابت نِطافاًوَسْطَ آثارِ أذْؤُبٍ من الليلِ فيجَنْبَيمَدِيٌّومسطَحِ

وفي الحاشية ص ١٢٦ : « اللسان مري وهو تصحيف ••• والمدي: الحوض الصغير » وفي ص ٥٦٦ : « المري الناقة الغزيرة الدر في الأصل، ويريد ركية مريا » • ولا يخفى ما في العبارتين من تناقض ، والصواب : « مدي ومسطح » • و « المسطح » : الصفاة يحاط عليها بالحجارة فيجتمع فيهـا الماء •

٤ ــ ق/٩ : ٥٦٩

وأجوبةٌ كالزَّاعبيَّةِ وَخزُها يُبادِهُها شيخُ العِراقَين أمردا

والبيت في التكملة (زعب) وفيه : « وقال الجوهري : قال الطرماح: وأجوبة ٠٠٠٠ وليس البيت للطرماح بن حكيم » ٠ وهو كذلك فيالتاج (زعب) ، (بده)٠

٥ ــ ق/١٠ : ٥٦٩

تُزَجِّي عِكاكَ الصيف أخصامُها العُلا وما نَزَلت حول المقرِّ على عَمْدِ

والبيت في التاج (عكك) للطرماح ، وفي (خصم) للاخطل،غير أنني لم أجده في ديوانه ٠

٦ ــ ق/١٨ : ٥٧٦

نُطعمها اللحمَ اذا عزَّ الشَّجَرْ والخَيلُ في إطعامها اللحمَ عَسَرْ

والرجز للنمر بن تولب كما في الشعر والشعراء ١/٣٠٩ ، والاغاني ١٩/١٥٩ ، وتهذيب اللغة ٥/٣٤٨ ، واللســان (حشش) ٠ والرواية : « ٠٠٠ اللحم ضرر » وهما في اللسان (لحم) ، (علف) ، والتاج (لحم)، وتهذيب اللغة ٥/١٠٦ ، والمحكم ٢/١١٥ دون نسبة وقبلهما :

إنَّا أتيناكَ وقد طــال السَّفَرْ نقود خيلاً ضُمَّراً فيها عَسَرْ

٧ ــ ق»٣٣ : ٥٨٩

وما أروى وإن كَرُمتْ علينــا بأدنى من مُوَقَّفَةٍ حَــرُونِ

«البيتان في شروح سقط الزند ٤/١٦٢٥،منسوبين الى الطرماح٠٠٠»
كذا لم يذكر المحقق الا البيت الأول أما البيت الثاني فهو :

يُطيفُ بهــا الرُّماةُ وَتَتَّقيهم بأوعالٍ مُعَطَّفَةِ القرونِ

كما يمكننا أن نضيف الى مصادر بعض المقطعات ما يلي :

١ ــ ق/٣ : ٥٦٤ : البيتان في نضرة الإغريض ١٢٧ ، وهما في منهاج البلغاء دون نسبة .

٢ ــ ق/١١ : ٥٧٠ : البيت في التاج (قتد)

٣ ق/١٣ : ٥٧٢ : البيت الثاني في اللسان والتاج (شكر) ، وفي مايجوز للشاعر في الضرورة ١٣٤

٤ ــ ق/١٥ : ٥٧٤ : البيت في المحكم ٣/٣٣٤

٥ ــ ق/١٧ : ٥٧٥ : البيت في التاج (جذأر) . وتهذيب اللغة ١١/٢٥٥ والرواية :

. . . . تكابد همّاً مثل همّ المُراهِنِ

٦ ــ ق/٢٠ : ٥٧٧ : البيت في التاج (دعع) ، (طخف) ، (لدم)، وفي تهذيب اللغة ١/٩٤ ، ٧/٢٤٥ ، وهو في التكملة (دعع) . (طخف) دون نسبة .

٧ ــ ق/٢٢ : ٥٧٩ : البيت في التاج (كدن) . وفي تهذيب اللغة ، ١٠/١٢١ لأبي دؤاد الإيادي ، وهو في ١/١٨٧ دون نسبة.

٨ ــ ق/٢٣ : ٥٨٠ : الشطر الاول منه في التاج (غضا)

٩ ــ ق/٢٥ : ٥٨٢ : الابيات في تهذيب اللغة ٦/١٦٣ . ١٠/٣٠٠

كذلك يمكننا أن نضيف الى ما ذكره المحقق من أبيات:

ومَرَّ بكَ المختارُ مختارُ طيّئٍ فلم تَقْرِهِ حتى تَرَحَّل غاديا

سوى شَربةٍ أبكتكَ حين قريتَهُ فلا رقأت عيناكَ ان كنتَ باكيا

فلو كنتمُ قوماً كراماً كتمتمُ قِراكم ولكن لم تُبالوا المخازيا

الوحشيات ٢٢٣ ، وفيها : « الطِّرِمّاح يجيب الفرزدق » .وأبيات

الفرزدق هي :

ومَرَّ بنا المختارُ مختار طيِّىءٍ فروّى مُشاشاً كان ظَمآنَ صاديا
أقمنا له صهباءَ كالمسكِ ريحُها إقامَتَهُ حتى ترحَّل غاديا
فسارَ وقد كانت عليه غباوةٌ يخالُ حزونَ الارضِ سهلا ووواديا

ديوانه ٢ / ٨٩٤ ، وهي في الوحشيات ٢٥٩ لمالك بن جعدة التغلبي.

وكذلك :

لحرّاشِ المجيبِ بكلِّ نيقٍ يقصِّرُ دونه نبلُ الرميَّا

و :

. . . . على جُهرَةٍ في العينِ وهو خَدوجُ

اللسان والتاج (جهر).

محمد يحيى زين الدين

آراء وأنباء

صفحة من تاريخ المجامع اللغوية العربية

محمد جميل بيهم ومجمع اللغة العربية (*)

الدكتور شكري فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ كانَتْ لَهُم جنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً . خالدين فيها لا يَبْغونَ عَنْها حِوَلاً . قُلْ لَو كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَددا . قُلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إليَّ أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحِدٌ ، فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّه أحَدا . « صدق الله العظيم »

وكذلك كان ــ أيها السادة ــ هذا الرجل الكبير .. كان في جملة حياته ، على مدى هذه الاعوام التسعين المباركة عملا صالحا،وكان كذلك

(*) الكلمة التي ألقاها الدكتور شكري فيصل ، ممثلا للمجمع ، في الحفل الذي أقيم في بيروت « بهو دار الفتوى ٢٠ جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩/٥/١٧ م » بمناسبة مرور الذكرى السنوية الاولى لوفاة الاستاذ محمد جميل بيهم عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

إيمانا صادقا بكل ما يتصل بالله وكتاب الله ولغة هذا الكتاب وللرجال الذين حملوا دعوته الاولى بكل اخلاصهم وجهادهم ومفاهيم حياتهم ••

من العمل انطلق ولكنه الى العلم انتهى •• كانت من حوله مغريات الحياة التجارية الخاصة فاستجاب لها ريثما استبان له الطريق ثم انعطف عنها الى ألَقِ الحياة العلمية واشراقاتها فانصرف اليها ومضى فيها هــذا الشوط الطويل غوصاً فيما يتراءى له أن يغوص فيه من بحث ، ثم اشراقاً بهذا الذي ينتهي اليه هذا الغــوص ، فكانت كتبه ــ هــذه الدراري اللامعات ــ عنوان علمه وعمله ، ودلالة تفكيره ومنهجه ، وعلامة واضحة من علامات تطلعاته ومعاناته •

أكانت حقا هذه المؤلفات الكثيرة معاناته هو ؟•• أتذهبون ــ أيها السادة الذين تلتقون على تكريمه ولمّا يخفت منه الصوت وما كان له أن يخفت ، ولمّا تغب منه الصورة وما كان لها أن تغيب ــ أتذهبون حقا الى أنها كانت ، هذه الكتب كلها وهذه الاعمال كلها ، معاناة من معاناته هو وحــده ؟••

قد يكون ذلك فيما يبدو لنا من ظاهر الامر : عمل يرأسه ، وكتاب يكتبه ، ومحاضرة يؤديها ، وبحث ينشره ، وجمعية يقــودها •• ولكننا لا نلبث أن نكتشف حين ننظر الى أبعد مما يتبدى لنا أنها ، في الحــق واليقين ، لم تكن معاناته هو قدر ماكانت معاناة وطنه ، ولم تكن تجربته هو وحده قدر ماكانت تجربة أمته • ولم تكن ثمرة هذه التجارب يصطنعها وانما كانت ثمرة هذه التجارب والتطلعات يمارسها ويكتوي بها •• حتى إنك لو نشرت مؤلفاته التي قاربت الثلاثين على مدى أعــوامه التسعين لوجدت أنها تتدرج بها وتندرج فيها•• تلبسها وتُقَدّ منها •• تأتي تلك

كفاءً لهذه ووفاقاً لها .. وكأنما أردت أن أقول ، وأنا أمضي من كتاب الى كتاب ومن عمل الى عمل ، انها تختصر حياة لبنان وتؤلف هذا المَعْلَم البارز من فكر لبنان وقلبه ، من عقله وروحه ، من بداياته التي بدأ بها حين واكب العمل العربي الى نهاياته التي صار اليها وسيظل عندها لبنانَ العربيَّ الموحَّد الذي لايمكِنُ أن يكون للاستعمار ممراً ولا للانقسام والتجزئة مقرا .

انَّ جميل بيهم فتح عينيه على مثل ما فتحت أعينها الاجيال من أنداده وأترابه .. على أضواء العلم والمعرفة في مثل مدرسة الشيخ عباس في بيروت والكلية الصلاحية في القدس ومدارس العلماء الاعلام في حلب والشام ، ومعاهد الزيتونة في تونس والقرويين في فاس والازهر في القاهرة .. انه كان من هؤلاء الذين عاشوا منذ فجر أعمارهم تلتهب أعماقهم بالاصلاح الرشيد والحركة الهادفة .. والذين تطلعوا بعد ذلك الى الثورة على أنها ثورة لا ثروة ، والى الجهاد على أنه تضحية لا قيادة ، والى العمل العلمي على أنه احياء واستيحاء لا زينة وتلوين .. هؤلاء جميعا لم يكونوا لأنفسهم .. انهم الجيل الذي كان يمثل العمل الصامت حين نشهد نحن الآن الاعمال التي تملؤها الابواق والتي يضج فيها الضجيج حتى لايسمع نفسه .. ويعبرون عن التطلعات الى ماضي الامة والى حاضرها حين نذكر الآن كيف نتطلع من الكوى الضيقة الى عوالم تختلط منها علينا رؤيةَ المستقبل أشد اختلاط .

كان (جميل بيهم) واحداً متميِّزاً من هذا الجيل الذي ابتدأ من الايمان ثم مضى في طريق العمل لهذا الايمان .. غلب على بعض أفراده العمل وغلب على بعض أفراده النظر .. ولكنهم كانوا يوازنون بحق بين

التنظير والتضحية ، بين الفكرة والممارسة ، أو لنقل كما نقــول الآن بين المنهج والتطبيق•• لايرأسون الصفوف من فوق ولكنهم يتقدمونها •• ولايمارسون القيادة بحكم الموقع والاكراه ، ولكنهم يُدْفَعون اليهـا •• ولا يمضون في رَهَبوت من السلطان وانما ينطلقــون في مَلَكوت أرضي من العمل الصالح •• كلٌ بالقدر الذي يقوى عليه لا بالاقدار التي يتقوى بها • وبالإيمان الذي يملكه ، لا بالأَيْمان التي يُمَدُّ بها•• هنا كانوا يطبقون بحق : لكل بمقدار عمله لا يبخس منه شيئا •

كان جميل بيهم من ذلك الجيل ــ ولذلك استطاع أن يفعل الكثير في ميدان العمل وأن يقدم الكثير في ميدان الفكر •• حسبه أنه ظل يناوىء الانتداب ، لا يلين له ، ربع قرن من الزمن على حين حرص أصحاب الانتداب أن يعبّدوا بينهم وبينه الطريق •• حسبه أنه حين افتقد المقاومة المادية، لجأ الى هذه المقاومة الفكرية فكان ما قدمه في ذلك ضخما كبيرا تجاوز أفقه المحلي الى الافق العربي الكبير ••

كان يؤمن بهذا الوطن الكبير •• ألم يشهد ، ممثلاً لبيروت ، المؤتمر السوري ١٩١٩ الذي أعلن استقلال سورية وملك فيصل ؟•• ألم تكن هذه البيعة في عنقه نصف الطريق الى الهدف الكبير ؟••

فلما أطبق (غورو) بعد ذلك يلتهم البرعم الذي نبت في أحضـان الغوطة أخذ (بيهم) وجهته الاخرى : وجهة تأكيد ما بين الساحل والداخل، وشد الاواصر بينهما والعناية بجذورها وفروعها •• وقطع الطـريق على ألوان من فتنة القول وفتنة العمل •• وفي ذلك مضـى يكتب ويؤلف ، ويحاضر ويعمل •

قلت ــ أيها السادة ــ لو أن باحثاً أراد أن يدرس تاريخ لبنان خلال هذه العقود كلها من هذا القرن لكان في وسعه أن يجد في مسيرة جميل بيهم هــذا التاريخ ، فيما كتبه وفيما قام به •• فقد اختصر (بيهــم) في ســيرته سيرة لبنــان أو تمثَّلها •• أوجــز في سيرته الشــخصية : الاجتماعية والفكرية،أطرافاً من مسيرة لبنان السياسية ومسيرته الاجتماعية، وجانبا ضخما من سيرته الفكرية •• مؤلفاته عن فلسفة التاريخ العثماني بداية" رائعة" لتصحيح التاريخ ، وتجاوز الاخطاء،والنظر الدقيق السليم، ومنطلق" لمؤلفاته عن الحركة القومية وتمهيد" لها••حديثه عن الانتداب في العراق وسورية حديث عن العقبات الدولية التي فرضت على الحركة العربية •• وقفته عند المرأة في التمدن الحديث وقفة عند المشكلة الاجتماعية الكبرى التي تخبط فيها الرأي في أكثر البلاد العربية على غير هدى •• وكذلك كتابه (فتاة الشرق في حضارة الغرب) ، وكتابه عن (المــرأة في حضارة العرب) ألم يكن وضعاً للمرأة العربية المعاصرة من خلال سيرتها السالفة في موضعها السليم •• أما كتابه عن (فلسطين أندلس الشرق) فَنُذُرٌ من النُّذُر الأولى وما أكثر النذر •• وضع القضية الفلسطينية في أوضح صورها وأقربها للذهن •• انها الاندلس الجديدة •• ومؤلفاته الاخرى بعد ذلك ، هل كانت إلاّ هذه المؤلَّفات التي تريد أن تُؤَصِّل للفكر القومي وأن ترشّد طريقه وأن تجنّبه في ميدان النظر وفي ميدان العمل ، في لبنان وغير لبنان ، آفات السلوك الخاطىء أو التنظير المنحرف•

* * *

وفي الحق أن هذه المؤلفات كلها كانت اقامة للبنان ذي القلب العربي

والوجه العربي واللسان العربي •• كان بدأ الفهمُ الآخر للبنان يخرج عن أن يكون هاجساً عابراً الى أن يكون فكرة جادة ، ثم أن يكون فكرة هادفة ثم أن يكون عملا منظما •• أحسَّ جميل بيهم ــ على نحــو ما أحسَّ المفكرون العرب ــ أن هذا الذي كان يتلامح نزعاتٍ ورؤىً بدأ يأخذ طريقه الى دنيا من الفكر ودنيا من الواقع •• ولذلك كان لا بد له من أن يعمل للبنان كما هو لبنان في حقيقته وكما هو ايماننا به •• ولقد تهدّى الى هذا الايمان وهذه الحقيقة عن طريق التاريخ وعن طريق رصد الاحداث ومتابعتها والنفاذ الى ظواهرها وخفاياها ، فقد كان التاريخ ساحته ،وكان منطلقه ، وكان حجته وبرهانه •

واذا كان هنالك ايمانان بلبنان ــ ان صحت صورة التفكير وصورة التعبير وهي لا تصحّ الاّ على أنها فرض من الفرض ــ فان جميل بيهم كان يؤمن بلبنان الذي يتحقق عن طريق وجوده الرحب العريض ، لالبنان الذي يريد أن يتحقق عن طريق قوقعته والتضييق على ذاته •• ان جماعةً ما لايمكن أن تحقق ما تفكر فيه أو ما تتخيله من وجود متميز أو من مهمة حضارية حين تظل وحدها في جزيرتها •• أن تمتد يدها الى الناس حولها، أن تنسج بينها وبينهم الخيوط ــ ذلك أول السبل الى تحقيق الذات والى سريان هذه الذات الى الآخرين : اغتناء بها وإغناءً لها •

كان (بيهم) يفهم لبنان هذا الفهم •• لبنان الذي يعرف اخوته ــ أو على الاقل جيرانه ــ لاينكرهم ، وينظر الى تجربة القرون لايهملها •• ويتسع أفقه التاريخي لاينحبس فيه في فترة معينة ولا في حدث صغير أو أزمة عابرة دخيلة يجعل منها منطلق حياة وبداية وجود •• ان لبنان هو لبنان العربي بأوسع معاني العرب في هجراتهم الاولى من الجزيرة ، ثم في

الهجرات التي تلتها •• والذين يتصدّون لقيادة الشعوب ويدركون بعمق حركة التاريخ لايفتشون عن الخروم ينطوون فيها يضيّقون ساحةالسمع والبصر والفؤاد ، وانما يمضون يفتشون عن الآفاق الطلقة يردمون بها الفجوة ، وييسرون الطريق الجامعة ، ويدعون الى الكلمة الحق : الكلمة التي تضع المعاني التي انتهت اليها الانسانية في الاخوة والتعاون والتواصل والاحترام موضع الرعاية الاولى •

ومن أجل ذلك كثرت كتب جميل بيهم في هذا الاتجاه أو فيما يؤدي اليه وتعددت مسالكه الى التأكيد على هذا الفهم ، وكأنما قصر الفترة الاخيرة من حياته على ذلك •• ألم تكن الاحداث التي عاناها وطنه هي التي دفعته الى ذلك ؟•• ألم أقل إن (جميل بيهم) طوى حياته في حياة لبنان وطوى مسيرة لبنان في مسيرته •

* * *

ولكني لا أملك في حديث ٍ حظه من الزمن قصير ، أنأتحدث عن كل هذه السيرة ، انما أردت أن أتوقف عند الذي يتصل بجميل بيهم المجمعي•• فقد تهدّى فقيدنا الى عمل عظيم كان ممن فكر فيه ودعا له ثم كان فيرأس من أسهم فيه وعمل له••وكان من الخير للبنان لو خُلّي بينهوبين استمرار العمل •• اذن لكان بيئة ممتازة للتواصل الفكري الذي يسقط الشكوك ويذهب بالاوهام ، ويطارد الاحقاد ويحقق التعاون •• ذلكم هو اقامة مجمع علمي عربي في لبنان •

لقد درجنا على أن نقول إن مجمع دمشق كان أبا المجامع •• بدأ مع الدولة العربية الاولى سنة ١٩٢٠ ثم كان المجمع الثاني مجمع القاهرة العتيد سنة ١٩٣٢ •• وهو قول حق اذا راعينا الاعمال المتصلة ، أما اذا

ذكرنا الاعمال المنقطعة فقد كان لبنان هو صاحب المجمع الثاني ••وكان جميل بيهم رأس هذا المجمع ومحركه •• انه يحدثنا في مقال له نشره في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق سنة ١٩٦٦ حديثا ممتعا حلوا عن هذا المجمع ويفتح صفحة من تاريخ لبنان الفكري جديرة أن نتوقف عندها في ذكرى هذا الراحل الكبير •• لقد كان القوم يسعون الى كل ما يؤكّد الوحدة ويحقق التواصل الفكري ويهدم جدران الشك والحذر •• وعلى حين فكر اللبنانيون سنة ١٩٢٧أنيقيموا مجمعا علمياً يوحّد الفعاليات الفكرية وينسق بينها ، ويتطلع بعد ذلك الى مجمع عربي موحد •• على حين كان ذلك أواخر الربع الاول من القرن الحالي نشهد في أوائل الربع الاخير من القرن بعد أن أوشك أن يمحّي ما بين الشعوب من فوارق المكان والزمان والجنس ، انشطار الجامعة الواحدة الى جامعتين قالوا إنّهما فرعان فلْنَتعزّ عن ذلك بأنه شطحة هوى وليس منهج حقيقة••ولنتسلّ عنه بهذا الذي ذكره جميل بيهم مذكرين به •• وما أكثر ما تنفع الذكرى ••

يقول في هذا المقال :

« اتجهت أنظار الطبقة المثقفة في لبنان الى أن تكون لها هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي وذلك بإنشاء مجمع علمي أسوة بسورية منذ عـام ١٩١٩ فرفعت أصواتها مطالبة بهذا المجمع وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي فأثار هذا الموضوع ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام ١٩٢٧ سرعان ما أثمرت • فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من أن الانتداب ، الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيده عن شقيقاته ، لم يكن راضيا عن هذا العمل •واستنادا الى قرار المجلس المذكور أصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس

قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في ٢٠ شباط ١٩٢٨ غايته المحافظة على اللغة العربية ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والاعمال المتعلقة بأصولها وآدابها والحفاظ على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بادارة الشؤون العلمية وتنظيمها ، وأصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الآتية أسماؤهم أعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ،والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ أمين تقي الدين والشيخ منير عسيران والشيخ محمد الحسيني ، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك أغناطيوس أفرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخوري بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ أحمد عمر المحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والاب لويس المعلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من آذار ١٩٢٨ افتتح المجلس أعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ أحمد عمر المحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في أول الامر وزارة المعارف والتربية الوطنية مقرا له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ووالى اجتماعاته فيها الى أن استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس معلوف والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والشيخ محمد الحسيني ، والشيخ حسين مغنية في جلسات المجمع الاولى فقرر هذا المجلس اعتبارهم أعضاء مراسلين وانتخب بدلا عنهم السادة : الشيخ علي زين ،

والخوري جرجي ستيتي والذي أصبح من بعد مطران السريان بدمشق ، وجرجي صفا وأسد رستم ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهـذا التبديل اجتمع المجمع في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٨ وانتخـب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي » .

ثم يمضي يحدثنا عن المجمع في السنة التالية حين اتجه فيه أكثر الاعضاء لانتخاب (بيهم) رئيسا له ، وكيف تحركت السلطة وكيف عملت للحيلولة دون ذلك في تفاصيل مثيرة ، ثم كيف أخفقت وانعقدت رئاسة المجمع للفقيد في السنة التالية .

لعلي أثرت شجونكم وأنتم تسمعون وتقارنون بين الماضي والحاضر .. ولكني لم أقصد الى ذلك ، ولا الى أن أطلعكم على طرف مما تعرفون، ولا أن أعرض صفحات من أسلوب بيهم التاريخي حين يسجل الاحداث التي مرَّ بها .. ذلك جانب من الرجل جدير بالبحث لانه يمثل قدرة نادرة على تجميع الجزئيات واقامة كلٍّ منسَّق منها .. لم أقصد الى ذلك، ولا الى شيء من ذلك وانما قصدت الى أمرين اثنين استبانا لي من خلال هذا المقال :

أحدهما : هذا التماثل الكامل بين ماكان يتم في بلد عربي وما يتم في بلد آخر .. كان هنالك هذه الروح التي تسري هنـا وهنالك في ميادين الفكر السياسي وفي ميادين الفكر العربي .. انكم في هذا المقال تقفون على تشابه كامل بين الذي حدث في دمشق في تأسيس المجمع ونظامه وبين الذي حدث في بيروت .. اذ كان هناك هذا الوجود المشترك وكان هناك كذلك هذا العمل المشترك والتطلع الواحد ..

لم يكن هناك هذه الخطوط المتعارضة التي لا تلتئم ، ولكن كانت

هناك هذه الخطوط المتوازية التي تتلاقى في تكوين قطعة النسيج الواحدة ••ولو مضيتم في قراءة المقال لوجدتم أن هذا المجمع في لبنان مضى على مثل العمل في المجمع في سورية •• لا في الاهداف فحسب بل في تأليف اللجان وفي تسميتها أحيانا ، وفي هدفها وفي بدايات عملها وفي جوانب من تقاريرها في السنة التي ترأس فيها الاستاذ بيهم المجمع •

قلت انهما أمران اتضحا لي من خلال المقال ، كما يتضحان من خلال مؤلفات الفقيد كلها•• ان الاشارة اليهما لها أهميتها في هذا الحفل الذي نلتقي فيه على تكريم الذكرى الاولى •• كان التماثل بين مايتم في سورية وما يتم في لبنان أحدهما •• أما الآخر فهذه الحركة العلمية الرشيدة التي كان المجمع يسعى اليها وهذا التنظيم الذي أعدته لجانه وهذه الآراء التي ذهبتْ اليها ، والوجهات المتوازية النقية التي تطلعت اليها وأخذت نفسها بالعمل لها ووضعها موضع التطبيق •• وكلها يصور من جانب آخر مدى العقلية المتفتحة التي كان يتسم بها (بيهم) وسعة الافق الذي كان يحتاطه من حوله ، ويداخله في نفسه وعمله •

وأجدني مدفوعا الى أن أعرض عليكم شيئاً مما ورد في تقاريراللجان التي انشعب فيها العمل في المجمع اللبناني ، تبيُّناً للروح التي كانت تغمر لبنان ، والروح التي كان ينبض بها قلب اللبناني بيهم •

ففي تقرير اللجنة اللغوية نقرأ كلاما رائعا عن ضرورة التعاون مع سائر المجامع العربية •• فقد نظرت اللجنة في آراء طائفة من أكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة فرأت أن بعضهم يقبل بما يقرره الافراد المعنيون باللغة وبعضهم كان يرى أن للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات

الجديدة .. ولذلك رأى المجمع اللبناني أنه لابد من أن ينهد مجمعي الى مصر ، ومصر قلب العالم العربي النابض ، يسعى لإيجاد صلة بين الهيئات والمجامع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لعقد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لأجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية.

ويسافر بيهم فعلا الى القاهرة ويقابل النحاس باشا ووزير المعارف ويساعده على ذلك بعض أهل الوجاهة والفضل ولا يغادرها قبل أن تتألف لجنة في القاهرة من كبار مفكريها وعلمائها تجعل همها السـعي لتحقيق هذه الغـاية .

ترى .. أكان ذلك من بعض الاسباب التي أدت الى قيام مجمـع القاهرة سنة ١٩٣٢ ؟

ثم يتحدث التقرير في نزعة لغوية متفتحة ولكنها تحاول أن تكون متزنة ــ عن البيان الذي وضعه سنة ١٩٢٨ الشيخان عبد الرحمن سلام وأحمد عمر المحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية وأوجزه بقولهما في ختامه : « لذلك نرى أن باب الاشتقاق في اللغة العربية يجب أن يفتح على مصراعيه توصلا الى استخدام الافعال والاسماء والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر فيتسع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانون من المشاق والمصاعب . وسننظر فوق ما تقدم في أصول اللغة ، أي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء ، وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لاتزال على حالها منذ وضعها الأئمة لم يطرح منها باب ولا عـُدِّلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لأنهم رزحوا تحت أعبائها وضاعوا بين المؤلفات الضخمة والآراء المتباينة والقواعد المعقدة التي يجب أن تطرح من كتب

اللغة تسهيلا لتناولها ولا يخفى ما في تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه المتفننين ، ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتعابيرها الشائعة مستعينين بأقطابها المدققين العاملين الضاربين في مشارق الارض ومغاربها» •

أما في تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا فنلمح اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على أحوال بلاده وقوفاً صحيحا ويلم بكل ما فيها من المعالم والآثار بالاضافة الى تراجم كبار اللبنانيين الذين تركوا خير ذكر في العلم والادب •• ويقترح التقرير وضع « معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال في الجمهورية اللبنانية وأن يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من أساتذة الجامعتين الاميركية والفرنسية في بيروت » •

ثم يسمي بعض الذين اختارهم لذلك فيقول : (طلبنا الى حضرةالاب هنري لامنس اليسوعي أن يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية والى الاب جبرائيل لوفتك أن يكتب مقالة في جغرافية الجبل الاقتصادية كما أننّا رغبنا الى بعض أساتذة الجامعة الاميركية في بيروت، وهم ألفريد داي ، ويوليوي برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه • وأما القسم الاكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها، فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي كل منها حقولمتنوعة تتناول المدنوالقرىوعدد النفوس فيها والمذاهب

والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن الآثار وأهم الخاصلات الزراعية والمنتوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون) •

ويتابع التقرير ذكر ما تحقق من ذلك فيقول : « وقد رفعنا هــذه الجداول الى وزارة الداخلية الجليلة لتأمر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية •• وقد أعيدت الجداول المذكورة معبأة وعهد الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح منها ولتنسيقها » •

أما تقرير لجنة المخطوطات فقد أشار الى المشكلة التي تعانيها البلاد العربية كلها وهي الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات اذ أن أكثرها موزع على مكتبات خاصة لم تصل بعد أيدي الباحثــين الى التحري عنها وأكثرها غير معروف •

ولذلك اكتفت اللجنة باحصاء مخطوطات مكتبة الجامعة الاميركية ومكتبة الآباء اليسوعيين ومكتبة دار الكتب الوطنية •

فاذا اكتمل لها العمل عمدت الى وضع معجم محيط (فهرس) يسهل الرجوع اليه ويشمل التفاصيل التي يحتاج اليها في فهرسة الكتب•

أيها السادة •••

ولكن المجمع اللبناني الذي ضمّ هذه الشخصيات العلمية ،وتطلع الى هذه الاهداف الكبيرة ، وأراد أن يعمل لخير لبنان ، وتحرّك نحــو إنشاء مكتبة عامة ومجلة عربية ، لم يقدر له البقاء •• أ'لغيَ كما يقــول (بيهم) تحت ستار من التوفير على الخزينة بمرسوم صادر عن رئاســة الجمهورية تاريخه ٣ شباط ١٩٣٠ ، ولم يستطع أعضاؤه متابعة العمل دون الاعتماد المالي فقضى نحبه ــ على حد تعبيره ــ قبل القطاف •

ان سيرة هذا العالم والمفكر والمؤلف والرجل الوطني والمجمعي الاول في لبنان ، سيرة رائعة بمنطلقاتها ومسالكها وأهدافها .. واذا كان للمرء في هذا الموقف أن يتمنّى فذلك أن تنظر لجنة التكريم في طبع آثار الفقيد في مجموعة كاملة لاتقصد الى الترف قدر ما تقصد الى الذيوع والاشاعة. ان ذلك أول معاني الوفاء الذي ترمز اليه اقامة هذا الحفل الكبير ..حتى تبقى هذه المؤلفات تذكيرا متصلا للبنانيين جميعا بمرحلة من مراحل تاريخهم وبقضايا من القضايا التي كانت تشغل أذهانهم وتملأ عقولهم وتخالط حياتهم ، وبحياة رجل عف اليد عف الضمير ، صلب الوطنية نذر نفسه لهذا البلد الطيب : لتاريخه وحاضره ومستقبله الذي أراده أن يكون متابعة لخطاه السابقات على طريق الحضارة .

أيها السادة :

لقد جئت من دمشق لأنهض بمشاركة مجمع اللغة العربية لكم في مشاعر التكريم لمحمد جميل بيهم ، وهي المشاعر التي تمثلت باقامة هذا الحفل في ذكرى وفاته الاولى .. وأحمل اليكم تحيات زملائه أعضاء المجمع الذين عرفوا فضله وقدروا علمه وشرف نفسه فاختاروه منذ ١٦/١٠/١٩٦٦ — وذلك أقل ما كان يستحق وأكثر ماكنا نملك — عضوا مراسلا وصدر بذلك القرار ذو الرقم ٤٧ والتاريخ ٥/١٢/٦٦ ، عن وزارة التعليم العالي الذي جمع بينه في عضوية المجمع وبين الاديب الكبير والشاعر العظيم أمين نخلة من لبنان والعالم الفاضل : الفاضل بن عاشور من تونس، والباحث الفلسفي محمد صغير المعصومي من الباكستان .. قلت : جئت أحمل اليكم مشاعرنا وتحياتنا واسمحوا لي أن أضيف : بل وجئت كذلك أحمل معكم راية الوفاء والتقدير للرجل الكبير الذي وفى بلده حقه عليه

عملا في ميدان العمل ، ومقاومة في ميدان المقاومة ، وأخوة في ميدان الإخاء اللبناني ، وتآليف في ميدان التأليف •• وجدير ببلده كله أن ينوّع السبيل الى وفائه حقه •

رحم الله محمد جميل بيهم وسلام عليه في الأولين ، وسلام عليه في الآخرين ، وسلام عليه في الملأ الأعلى الى يوم الدين •• (يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) •

رحمه الله ماكان أشد سلامة قلبه وعفة يده وطهارة ضميره •

شكري فيصل

عبد العزيز الميمني *

الدكتور أحمد خان

اخترمت المنية الاستاذ العلامة عبد العزيز الميمني ليلة الخميس السابع والعشرين من تموز (اكتوبر) سنــة ١٩٧٨ فخلفنا متحسرين عليه وعلى مصير اللغة العربية العربية بعده في شبه القارة الهندية وذلك لانه كان أعلم الأحياء بنوادر المخطوطات العربية ومكان وجودها .

وقد كنت عرفت أستاذي عبد العزيز الميمني بواسطة مجلة مجمـــع اللغة العربية بدمشق إذ كنت أقرأ فيها بعض مقالاته المفيدة ولكني لم أتمكن من رؤيته عدة أعوام الى أن شاء القدر فشرفنا العلامة بخدماته العظيمة في جامعة بنجاب ، بلاهور في سنتي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ واذ ذاك طلبني وأدخلني في حوزة تلاميذه الخاصة واستحثني على اخراج بعض كتب الصغاني التي كان بوده أن يخرجها في بقية عمره فباشرت العمل وكنت أحضر عنده كل يوم تقريبا وأنتفع بعلومه وأسترشده في عملي . وبهذا غرس فيّ حب اللغة العربية وتراثها تنقيباً وتحقيقاً وبعد هاتين السنتين رجع شيخنا الى كراتشي ولكن الصلة بيننا لم تنقطع لأن مواظبتي على العمل دعتني الى مواصلة المكاتبــة ...

---

* كانت المجلة نعت العلامة المرحوم الاستاذ الميمني في العدد الاول من المجلد (٥٤) وكتب عنه الاستاذ الدكتور شاكر الفحام بحثا ممتعا آنذاك . وقد بعث الينا الدكتور أحمد خان بهذه الكلمة مع مقاله عن بيتي الحريري الذي ظهر في العدد السابق . وقد آثرنا نشرها تقديـرا لمكانة الفقيد الكريم سائلين الله أن يعوض الاسلام والثقافة الاسلامية خيرا . (لجنة المجلة) .

كان الفقيد عالماً باللغة العربية ، درسها طيلة حياته • ووجدناه في اجتماعاتنا به بحراً للغة عارفاً بتراثها • كان يحض تلاميذه على قراءة أصول الكتب العربية • ويقول إنه قرأ كتاب الكامل للمبرد نحو أربعين مرة وكان يجد لذة جديدة في كل مرة • وفي بعض الاحيان كان رحمه الله ينشدنا شيئا من الابيات ويشرحها ويأتي بالاشعار الكثيرة شاهداً عليها من ذاكرته لانه كان يحفظ القصائد الكثيرة عن ظهر قلبه مهما كانت طويلة • وأخبرنا أنه كان بعليكره في بداية عمله بالجامعة وكان رئيس قسم اللغة العربية وقتئذ الاستاذ تريتون (A. S. Tritton) المستشرق الشهير •

وقال : « حضرت أحد الايام الى مكتبه فاذا هو منكبٌ على المخطوطة قراءة وهو لايجد منفذاً الى قراءة بعض السطور إذ كانت مقطوعة في التجليد • قال لي الاستاذ : ياشاب هل تحب قراءة المخطوطات • قلت له: نعم ، هذه الابيات أقلقتني منذ أسبوع ولم أتمكن من قراءتها لانها قطعت عند التجليد • فلما رأيت البيت الأول منها بادرت بإنشاد الأبيات الباقية لأن القصيدة التي وردت هنا كانت منها هذه الابيات ، وكانت عالقة بذاكرتي منذ قرأتها في احدى المخطوطات • ولما سمع مني الأستاذ تريتون الابيات كلها وثب من كرسيه وضمني الى صدره قائلا : كنت أتردد كيف يذكر العرب القدماء القصائد ولكنني اليوم آمنت بأنهم كانوا يقدرون عليها إذ أنت فينا في هذه الايام كواحد منهم •

وأنا أتذكر كثيرا منذكريات المرحوم ولكن هذه المناسبة لاتساعدعليها وسأسردها ان شاء الله في مناسبة أخرى • والحقيقة التي لا شك فيها هي أن رحيله قد ترك فراغاً عظيماً في شبه القارة بالنسبة للغة العربية • ولن يجود الزمان بمثله خلال قرون •

كان رحمه الله تعالى يحب مجمع اللغة العربية (بدمشق) كحب الأم لولدها وكان يود لو يتمكن من إنشاء مجمع على نمطـه في باكستان إذ حاول أن يجمع المخطوطات العربية والمطبوعات القديمة في مركز البحوث الاسلامية (كان في البداية بكراتشي وهو الآن بإسلام آباد » ، وخاصـة تصاوير المخطوطات للصغاني . وكان في برنامجه أولا أن يخرج هذا المركز ــ وكان مديراً له ــ بعض كتب الصغاني ، ويؤسفنا القول بأنه لم يتمكن من ذلك ولكنه أوصانا أن نعتني بهذا العالم الكبير الذي لم يسترع انتباه العلماء حتى الآن .

أحمد خان

انتخاب زميلين جديدين

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي والدكتور محمد مروان محاسني

عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الاولى من الدورة المجمعية ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ (١٣ شوال ١٣٩٩ ، ٤ أيلول ١٩٧٩) قد انتخب الاستاذ عبد الكريم زهور عـدي عضواً عاملا في المجمـع وقد صدر المرســوم الجمهوري رقم ٣٠١٥ تاريخ ٢٣/١/١٤٠٠ هـ = ١٢/١٢/١٩٧٩ م

رئيس الجمهورية ...

يرسم ما يلي :

مادة ١ ــ يعيَّن الأستاذ عبد الكريم زهور عدي عضــواً عاملا في مجمع اللغة العربية بدمشق

مادة ٢ ــ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

رئيس الجمهورية

حافــظ الأســد

* * *

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلستهالاولى من الدورة المجمعية ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ (١٣ شوال ١٣٩٩ ، ٤ أيلول ١٩٧٩) قد انتخب الدكتور

محمد مروان محاسني عضواً عاملا في المجمع وقد صدر المرسوم الجمهوري رقم ٣٠١٦ تاريخ ٢٣/١/١٤٠٠ هـ = ١٢/١٢/١٩٧٩ م

رئيس الجمهورية ...

يرسم ما يلي :

مادة ١ ـــ يعيَّن الأستاذ الدكتور محمد مروان محاسني عضواً عاملا في مجمع اللغة العربية بدمشق .

مادة ٢ ـــ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

تقرير عن أعمال المجمع

في دورته ١٩٧٨ ـــ ١٩٧٩

مجلس المجمـع :

عقد المجلس في دورته المنصرمة تسع عشرة جلسة عالج فيها أمــورا مجمعية مختلفة أهمها :

١ ـــ درس ما تلقاه من الهيئات والمؤسسات ، داخل القطر وخارجه، من موضوعات ومشاريع واستشارات لغوية وثقافية ، ومقررات وتوصيات ومصطلحات مختلفة ، وناقشها وأحال بعضها على اللجان المختصة لدراستها وبيان الرأي فيها •

٢ ـــ استمع الى البحوث والتقارير والمذكرات التي أعدها بعضــ أعضائه وناقشها وهي :

أ ـــ تقرير قدمه العضو الاستاذ الدكتور عبدالكريم اليافي عن اجتماع الخبراء العرب الذي عقدته المنظمة العربية للعلوم الادارية بمدينة عمان في المدة الواقعة بين السادس والعشرين من شهر رجب والثاني من شعبان ١٣٩٨ الاول من شهر تموز والثالث عشر منه سنة ١٩٧٨ والــذي تمت فيه مراجعة الجزء الاول من مشروع دليل مصطلحات الحاسبات الالكترونيـــة •

ب ـــ تقرير قدمه العضو الاستاذ الدكتور هيثم الخياط ، تناول فيه :

١ ـــ الدعوة الى اعادة النظر في قانون المجمع وفي أسلوب انتخاب السادة الاعضاء ، وتفرغهم ومكافآتهم •

٢ ــ مهمات المجمع وأغراضه ووسائل تحقيقها والتصدي لاصلاح لغة التعليم ولغة الإعلام •

٣ ــ الملاك العلمي للمجمع واختيار الاكفياء له •

٤ ــ الملاك الاداري وتعزيز بنيته وتدعيمه •

جـ ــ تذكرة أخرى قدمها العضو الاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ملحقة بتقريره سابق الذكر ، عرض فيها مقترحاته في الوسائل التي تؤدي الى اصلاح ما تصدى لبحثه في التقرير المذكور •

د ــ تقرير قدمه العضو الاستاذ شكري فيصل ، عرض فيه لسير العمل في سبيل تحقيق كتاب « تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر » والمراحل التي مر بها ، وقدم فيه اقتراحات لتنظيم سير التحقيق والوسائل التي تساعد على الاسراع فيه •

هـ ــ بحث قدمه العضو الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي عن أسرار الابجدية العربية •

٣ ــ نظر المجلس في الدعوات الموجهة الى المجمع من مختلف الهيئات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه ، للمشاركة في مؤتمرات وندوات واجتماعات وحلقات دراسة ، ورشح من يمثل المجمع من أعضائه فيما قرر الاسهام فيه •

٤ ــ بحث موضوع اعادة طبع بعض مطبوعات المجمع النافذة ، وتصوير بعض المخطوطات العلمية واللغوية ونشرها •

٥ ــ تابع دراسة الوسائل المجدية والتي تؤول الى استكمال الاسباب المادية لاقتناء مطبعة حديثة تسد حاجات المجمع وتساعده على تذليل المصاعب التي يواجهها في سبيل طبع كتبه ومجلته ومنشوراته •

٦ ـ نظر في موضوع ملء الشواغر في المجلس ، وفي ترشيح وانتخاب أعضاء مراسلين للمجمع •

٧ ـ تابع باهتمام المراحل التي اجتازها مشروع البناء الجديد للمجمع، وقام أعضاؤه بزيارات له وأبدوا مقترحات حول بعض جوانبه •

أعمال اللجان :

أ ـ اللجنة الادارية :

درست في جلساتها التي عقدتها الامور الادارية والمالية وشؤون الموظفين ، وأمور الطباعة واتخذت القرارات الملائمة لكل منها في نطاق المصلحة العامة ، وأحكام القانون واللائحة الداخلية • كما أنها درست مشروع موازنة المجمع للعام ١٩٨٠ ، واقترحت زيادة ٣٠٠ ألف ليره سورية على بند اللوازم، لتضاف الى ما يثمره المجمع من مال لشراء المطبعة•

وقد بلغت موازنة المجمع العادية للعام ١٩٧٩ (١٣٢٠٠٠ر١) ليرة سورية ، وبلغت موازنته الاستثمارية مليوني ليرة سورية •

ب ـ لجنة المطبوعات :

أصدرت الاعداد الاربعة من مجلة المجمع والتي تصدر عادة خلال كل دورة • ومن المعلوم أن شؤون الطباعة كانت وما زالت القضية الرئيسية التي تحول دون صدور الاعداد في مواعيدها •

ج ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

عقدت تسع جلسات نظرت خلالها في الكتب التالية :

١ ـ أرجوزة أبي نواس •

٢ ـ المنهل في بيان قواعد علم الحروف •

٣ ـ ديوان عبد الرحمن الموصلي•

٤ ـ عرف البشام

٥ ـ تاريخ الخلفاء لابن ماجه

٦ ـ شعر ابن مياده

٧ ـ ديوان أبي هلال العسكري

٨ ـ حاشية ابن بري على كتاب المعرب للجواليقي •

٩ ـ مقال للاستاذ محمد أحمد دهمان •

١٠ ـ نظام الغريب •

١١ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ما لم يفهرس •

وقد أقرت ما رأته جديرا بالنشر منها ورأت بعد دراسة بعضها الآخر أن تطلب أصولها للتأكد من صلاحها ، كما رأت أن يترك أمر بعضها الى اصحابها •

وقد ألفت الى جانبها هذه اللجان ، لجان مؤقتة هي :

(١) لجنة تضم الاعضاء السادة : الاستاذ عبد الهادي هاشم والاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ، والاستاذ أحمد راتب النفاخ ، للنظر في ترشيح من يرون فيهم كفاية وجدارة من العلماء والمفكرين للفوز باحدى جوائز الملك فيصل العالمية الثلاث: جائزة خدمة الاسلام،وجائزةالدراسات الاسلامية ، وجائزة الادب العربي •

(٢) لجنة تضم الاعضاء السادة : الاستاذ الدكتور شكري فيصل ،

والاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ، والاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي ، لاختيار ماهو مناسب للتصوير والنشر من مخطوطات التراث العربي •

(٣) لجنة تتألف من الاعضاء السادة : الاستاذ عبد الهادي هاشم ، والاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ، والاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي لدراسة طريقة الاستاذ الاخضر غزال لتأليف العربية المعيارية وغيرها من الطرق والمشاريع المماثلة لها •

نشاط المجمع داخل القطر :

ـ قام المجمع بالتعاون مع المنظمة العربية للعلوم الادارية بالقاهرة بتنظيم الاجتماع العربي الذي عقدته المنظمة بدمشق في المدة الواقعة بين السادس والثامن عشر من شهر ربيع الاول ١٣٩٩ والثالث والخامس عشر من شهر شباط سنة ١٩٧٩ م وقد نوقشت فيه المجموعة الاولى من المعجم الكامل لمصطلحات العلوم الادارية الذي تعتزم المنظمة اصداره •

ـ شارك المجمع في لجنة تنظيم حفل أقامه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم والاجتماعية بدمشق في المدة الواقعة بين السادس والعشرين والثامن والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٩ هـ — الثالث والعشرين والخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٧٩ م — إحياء لذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادة المؤرخ العربي الكبير أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر • وقد مثل المجمع في هذه اللجنة العضو الاستاذ الدكتور شكري فيصل •

نشاط المجمع خارج القطر :

ـ شارك المجمع في حفل تكريم العضو المراسل المرحوم محمد جميل بيهم الذي أقيم في بيروت في المدة الواقعة بين العشرين والحادي والعشرين

من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ ، و ١٧ و ١٨ أيار سنة ١٩٧٩ م بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته . وقد مثل المجمع فيه العضو الاستاذ الدكتور شكري فيصل .

ـ شارك في الندوة التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية العربية في مدينة عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية ـ في المدة الواقعة بين الثلاثين من ذي القعدة والثالث من ذي الحجة ١٣٩٨ هـ و ٣١ تشرين الاول و ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ م وموضوعها أسباب ضعف اللغة العربية ، وقد مثل المجمع فيها الاستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والعضو الدكتور عدنان الخطيب .

ـ شارك في المهرجان الثقافي الدولي الذي أقامته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مدينة الجزائر في المدة الواقعة بين الرابع والثاني عشر من ذي الحجة ١٣٩٨ هـ و ٤ـ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ م تكريماً للفيلسوف العربي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد بمناسبة مرور ثمانية قرون هجرية على وفاته . وقد مثل المجمع في هذا الحفل العضو الاستاذ الدكتور محمد كامل عياد .

ـ أسهم في المعرض الخامس للكتاب العربي الذي أقيم في الكويت خلال المدة الواقعة بين الخامس والخامس عشر من شهر ذي الحجة ١٣٩٨هـ الخامس والخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ م .

أعضاء المجلس :

ـ انتخب في هذه الدورة الدكتور احسان النص عضوا عاملا في المجمع .

ـ انتخب الاستاذان محمد المزالي من تونس ، والاخضر غزال من

المملكة المغربية عضوين مراسلين •

ـ أعيد انتخاب العضو الاستاذ المهندس وجيه السمان عضواً في لجنة المطبوعات •

ـ فجع المجمع بعضو جليل من أعضائه العاملين،هو المرحوم الدكتور أسعد الحكيم ، وقد وافته المنية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٩ م •

ـ كما فجع بالعضو المراسل المرحوم العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ باكستان ـ وقد اختاره الله الى جواره يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٩٨ هـ الموافق للسابع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٧٨ م •

مطبوعات المطبوعات :

الكتب التي صدرت :

١ ـ مصور لجزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم طائفة من العبادلة من الرجال (من عبد الله بن عمران الى عبد الله بن قيس الاشعري)•

٢ ـ مصور للجزء الاول من مخطوطة كتاب (قاموس الاطبا وناموس الالبا) من تأليف الطبيب (مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري)•

الكتب التي بوشر بطبعها ومعظمها على وشك الصدور :

١ ـ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم بعض الرجال من العبادلة • من عبد الله بن جابر الى عبد الله بن زيد •

٢ ــ الجزء الثاني من كتاب : فهرس مخطوطات كتب التصوف في دار الكتب الظاهرية من صنع الاستاذ رياض المالح.

٣ ــ تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبي العيد ديدو .

٤ ــ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري بتحقيق المرحوم الدكتور محمد يوسف .

٥ ــ تصنيف العلوم والمعارف من صنع المرحوم الدكتور يوسف العش.

٦ ــ أرجوزة أبي نواس ــ طبعة ثانية ــ بتحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري .

٧ ــ تاريخ أبي زرعة الدمشقي بتحقيق الاستاذ شكر الله نعمة الله.

٨ ــ عرف البشام للمرادي بتحقيق الاستاذ رياض مراد ومحمد مطيع الحافظ .

٩ ــ شعر أبي هلال العسكري من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

الكتب التي أقرت ولم يباشر بعد بطبعها :

١ ــ الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي .

٢ ــ مشيخة ابن طهمان بتحقيق الدكتور محمد طاهر ملك .

٣ ــ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ويتضمن تراجم بعض العبادلة من الرجال ــ من عبادة الى عبد الله بن ثوب .

٤ ــ المعاصرون من تأليف الاستاذ محمد كرد علي.

البناء الجديد :

وصل الى المرحلة الاخيرة ويتوقع أن تستكمل كسوته ويصبح جاهزا

للسكن خلال الربع الاول من سنة ١٩٨٠ ، وقد شاركت ادارة المجمع في الاشراف على تنفيذ البناء في جميع مراحله متعاونة مع فرع دمشق للهيئة العامة لأبنية التعليم ، ومع الاستاذ المهندس شكيب العمري الذي كلف من قبل المجمع بالاشراف فنيـا على تنفيذ المشروع •

مكتبة المجمع :

ـ بلغ عدد الكتب التي زودت بها خلال هذه الدورة شراء واهداء (٤٥٣) كتابا وتنشر أسماؤها في أعداد مجلة المجمع •

ـ وبلغ مجموع كتبها عربية وأجنبية ١٦١٢٩ كتاباً •

ـ ألفت لجنة من بعض موظفي المجمع لجرد محتوياتها ، وذلك تطبيقا للمادة السابعة عشرة من القرار ذي الرقم ٣ والمتضمن اللائحة الداخلية لمكتبة المجمع ، واستعدادا لنقلها الى مكانها من البناء الجديد •

المجـلات :

ـ بلغ عدد العربية منها (١٤٠) والاجنبية (٤٥)

ـ ألفت لجنة من بعض موظفي المجمع لجردها وتسجيلها واعدادها للنقل الى البناء الجديد •

دار الكتب الظاهرية :

المخطوطـات :

يبلغ عدد المخطوطات فيها ١١٨٩٩ وعدد المخطوطات التي صورت لمؤسسات وهيئات وباحثين ٢٣٢٤ وعـدد المخطوطات المعـارة في قاعة الباحثين ٢٤٦٥ •

المطبـوعات :

ـ أنجز فهرس للموضوعات

ـ بلغ عدد الكتب فيها ، عربية وأجنبية ، ٦٥٩٢٨ كتابا .

ـ بلغ مجموع ما زودت به من كتب شراء واهداء ٩٢٣ كتابا عربيا وأجنبيا .

ـ بلغ عدد رواد القاعة العامة ٦٢ ألفا وعدد رواد قاعة الباحثين ٢٠٠

المجلات :

ـ بلغ مجموع أعداد المجلات العربية الواردة الى قسم الدوريات ١٠١٨ عددا ومجموع أعداد المجلات الاجنبية ٢٤٢ عددا وعدد المعار منها ١٨٠ .

بناء الدار :

استكملت الترميمات والاصلاحات في البناء وفي فناء الدار وجددت وسائل الانارة والتهوية والتدفئة المركزية .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الاخير من عام ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ الإمام أبو الحسن الماوردي	محمد سليمان داود . فؤاد أحمد	الاسكندرية ١٩٧٨
ـ منتخب قرة العيون النواظر في الاجوبة والنظائر في القرآن الكريم	ابن الجوزي تح ـ محمد السيد الصفطاوي ود. فؤاد أحمد	« ١٩٧٩
ـ الكتاب المقدس		اوكسفورد ١٨٦٩
ـ ذكرى الحاج محمد شعبان	حسين شعبان	بغداد ١٩٧٩
ـ كتاب المذكر والمؤنث	ابن الانباري ، تح : د. طارق الجنابي	« ١٩٧٨
ـ المصحة العسكرية	أمين رويحه	« ١٩٣٨
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام (مصطلحات علم الحيوان)	المنظمة العربية	« ١٩٧٦
(مصطلحات علم الفيزياء)	« «	« ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مع المصادر في اللغة والادب (الجزء الاول)	د. ابراهيم السامرائي	بغداد ١٩٧٩
ـ الحرية والمساواة ومجالس الشورى	عبد الله العلمي	بيروت ١٣٢٦
ـ السنن القويم في تفسير أسفار الكريم (١ـ٢)	ترجمة ابراهيم الحوراني	بيروت ١٩٠٧
ـ صحيح ابن خزيمة (الجزء الرابع)	تح : د. محمد مصطفى الاعظمي .	« ١٩٧٩
ـ قاموس الكتاب المقدس (١ـ٢)	ترجمة جورج بوست	« ١٩٠١
ـ الكنز الجليل في تفسير الانجيل (١ـ٥)	وليام الامريكاني	« ١٨٨٨
ـ تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس	سيد محمد بن التهامي أفبلال .	تطوان ١٩٧٦
ـ درر السمط في خبر السبط	ابن الأبّار البلنسي تح : د. عبد السلام الهراس و سعيد أعراب	تطوان ١٩٧٢
ـ استنزال السكينة الرحمانية بالتحديث بالاربعين البلدانية	عبد الحفيظ الفاسي الفهري . تح: عبد الله كنون	« ١٩٥٣
ـ الامير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ التعريف بالقاضي عياض	أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض تح: د. محمد بن شريفه	الدار البيضاء ١٩٧٩
ـ صراع المذهب والعقيدة في القرآن	عبد الكريم غلاّب	« ١٩٧٩
ـ محمد المدني بن الحسني	عبد الله الجراري	« ١٩٧٩
ـ محمد المكي	« «	« ١٩٧٩
ـ نماذج من الكتاب المغربي المخطوط والمطبوع	وزارة الدولة لشؤون الثقافة	« ١٩٧٦
ـ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية[1]	عبد العزيز بنعبد الله	« ١٩٧٥
ـ موشحات مغربية	د. عباس الجراري	« ١٩٧٣
ـ الاسلام في فجر عظمته	موريس لومبار (ترجمة حسين العودات)	دمشق ١٩٧٩
ـ أحزان الغزال الاشهب (قصص أطفال)	أيوب منصور	« ١٩٧٩
ـ أناشيد سائق القطار (شعر)	بركات لطيف	« ١٩٧٩
ـ انباء الغمر بأنباء العمر (الجزء الاول)	ابن حجر العسقلاني (تح : محمد أحمد دهمان).	« ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ البحث عن الزمن المفقود (القسم الثاني)	مارسيل بروست	دمشق	١٩٧٩
ـ بشر وتواريخ وأمكنة (شعر)	منذر مصري	«	١٩٧٩
ـ بيت العنكبوت	شارلوت (ترجمة : رباب هاشم)•	«	١٩٧٩
ـ تاريخ حسن آغا العبد (قطعة منه حوادث١١٨٦ ـ ١٢٤١ هـ)	تح : يوسف جميل نعيسه	«	١٩٧٩
ـ التجارة الدولية والبلدان النامية	منير الحمش	«	١٩٧٩
ـ جبل الدر (حكايات أطفال)	عدة مؤلفين	«	١٩٧٩
ـ الجنيّات العشر	سارة كون بريان (ترجمة اليان ديراني)	«	١٩٧٩
ـ حرب صغيرة (قصص)	نيروز مالك	«	١٩٧٩
ـ حكايات شجرة التوت	وفيق خنسه	«	١٩٧٩
ـ حياة شيخ الاسلام ابن تيمية	محمد بهجة البيطار	«	١٩٦١
ـ دوستويفسكي	عدة مؤلفين (ترجمة نزار عيون السود)	«	١٩٧٩
ـ ديوان الجواهري(١)	الجواهري	«	١٩٧٩
ـ الرحلة النجدية الحجازية	محمد بهجة البيطار	«	١٩٦٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الامة (٢)	محمد ناصر الدين الالباني	دمشق ١٩٧٩
ـ السيف المرصود	أحمد يوسف داود	« ١٩٧٩
ـ صوت من القاع	طالب عمران	« ١٩٧٩
ـ العمارة العربية الاسلامية في سورية	د. عبد القادر الريحاوي	« ١٩٧٩
ـ الفصول وقصائد أخرى للاطفال (مسرحية)	خيري عبد ربه	« ١٩٧٩
ـ قصص بأقلام الاطفال	جمع أسامة دعبول	« ١٩٧٩
ـ مسرحيتان	محمد أبو معتوق	« ١٩٧٩
ـ معالجة الامراض الباطنة	ن. كوستريني و و. تومسون	« ١٩٧٩
ـ من كتاب الحيوان للجاحظ (السفر الثاني)	اختيار نعيم الحمصي وعبد المعين الملوحي	« ١٩٧٩
ـ هوامش من حرب تشرين التحريرية	جان ألكسان	« ١٩٧٩
ـ ييتس (جزآن)	هارولد بلوم (ترجمة: هاني الراهب)	« ١٩٧٩
ـ التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية في المدينة (جزآن)	محمد الحسني الادريس	الرباط ١٣٤٦هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر	ابن عسكر الحسني تح : محمد حجِّي	الرباط	١٩٧٦
ـ ما يجب أن يعرفه المسلم من أمر دينه	وزارة الحج والاوقاف	الرياض	
ـ المحاضرات	الحسن اليوسي	»	١٩٧٩
ـ ابن كثير	د. مسعود الرحمن خان الندوي	عليكره	١٩٧٩
ـ أنباء التربية	عدة مؤلفين	عمان	١٩٧٩
ـ حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية (١)	ايرل و. سووكوفسكي	عمان	١٩٧٩
ـ الاعتداء على الحياة في التشريعات الجنائية العربية	معهد البحوث والدراسات العربية	القاهرة	١٩٧٩
ـ انجيل برنابا	ترجمة خليل سعادة	»	١٩٥٨
ـ التحضر في الوطن العربي (١)	جامعة الدول العربية	»	١٩٧٨
ـ التقرير النهائي عن تجربة تيسير الكتابة	» » »	»	١٩٧٦
ـ تيسير تعليم اللغة العربية	اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	»	١٩٧٧
ـ حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية (الدورة الثالثة) ١٩٥٢	جامعة الدول العربية	»	١٩٥٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ كتاب الحساب لتعليم الكبار ومحو الامية	جامعة الدول العربية	القاهرة	١٩٥٥
ـ دراسات في أدب البحرين	» » »	القاهرة	١٩٧٩
ـ دولة الامارات العربية المتحدة دراسة مسحية شـاملة		»	١٩٧٨
ـ الصراع العربي الاسرائيلي	» » »	»	١٩٧٩
ـ فهـرس المخطوطات المصورة (الجزءالاول ـ القسـم الثـاني)	» » »	»	١٩٧٩
ـ القراءة الاساسيـة للبيئات الصنـاعية	» » »	»	١٩٧٧
ـ المضمون السياسي للحـوار العربـي الاوروبي	» » »	»	١٩٧٩
ـ لمـاذا أسـلمنا ؟	وزارة معارف قطر	قطـر	١٩٦٩
ـ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقـاد	محمد الطوسـي	النجف	١٩٧٩
ـ خطط الكوفة وشرح خريطتها	لويس ماسينيون ترجمة : تقي محمد المصـعبي	النجف	١٩٧٩

هـدية قيمـة

أهدى الدكتور عبد الحليم العلمي الى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق مجموعة نادرة من مؤلفات والده الشيخ العلامة عبد الله العلمي المخطوطة والمطبوعة كما أهدى بعض الكتب العربية والاجنبيـة • وقد أوردنا أسماء الكتب المطبوعة منها مع قائمة الكتب المهداة للمجمع ، وأما مؤلفات والده المخطوطة فهي :

١ ــ سوانح في تفسير القرآن •

(٨ مجلدات)

ومعها أوراق ملحقة •

٢ ــ مجموعة دروس وعظ (مجلدان صغيران)•

٣ ــ مختارات ابن العلمي من صحيح البخاري ومسلم (جـزآن صغيران في مجلد واحد) •

٤ ــ تأوهات ابن العلمي (شعر) •

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

من سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الاعضـــاء العـــاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٤٦
الاستاذ شفيق جبري	١٩٢٦
الدكتور حكمة هاشم	١٩٥٢
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٦٠
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١
الاستاذ محمد المبارك	١٩٦١
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الاستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
الاستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور شاكر الفحام «نائب الرئيس»	١٩٧١
الدكتور ميشيل خوري	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدوره	١٩٧٥
الدكتور هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٧
الدكتور أحمد راتب النفاخ	١٩٧٧
الدكتور احسان النص	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الاستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٧٩

الاعضاء المراسلون في البلدان العربية(١)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الاردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الاسد ١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧

الجمهورية التونسية

الاستاذ محمد مزالي ١٩٧٨

الجمهورية الجزائرية

الاستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢
الدكتور أحمد طالب الابراهيمي ١٩٧٢
الاستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧

المملكة العربية السعودية

حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية

الاستاذ محمد سليمان الاحمد ١٩٤٥
الاستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨

تاريخ دخول المجمع

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الاثري ١٩٣١
الاستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨
الاستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٦
الاستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ١٩٧٣
الدكتور ابراهيم شوكة ١٩٧٣
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣

(١) ذكرت الاقطار حسب الترتيب الهجائي والاسماء حسب الترتيب الزمني.

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور فاضل الطائي	١٩٧٣
الدكتور جميل سعيد	١٩٧٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣
الاستاذ طه باقر	١٩٧٣
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٧٣

فلســطين

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور احسان عباس	١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ	١٩٤٨
الدكتور فريد الحداد	١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ علي الفقيه حسن	١٩٥٧

جمهورية مصر العربية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٧٢
الاستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٧٢
الاستاذ محمود شاكر	١٩٧٧

المملكة المغربيــة

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ عبدالله كنون	١٩٥٦
الاستاذ الاخضر غزال	١٩٧٨

الاعضاء المراسلون في البلدان الاخرى

اسبانية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ غومز (إميليو غارسيا)	١٩٤٨

إيــران

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٥٧
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٧٧

ايطــالية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ جبريلي (فرنسيكسكو)	١٩٤٨

	تاريخ دخول المجمع
باكستان	
الاستاذ يوسف البنوري	١٩٥٥
الاستاذ محمد صغيرحسن	١٩٦٦
البرازيل	
الاستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٥٧
تركية	
الدكتور فؤاد سوزكين	١٩٧٧
الدانيمرك	
الاستاذ بدرسن (جون)	١٩٢١
السويد	
الاستاذ ديدرنغ (س)	١٩٥٦
فرنسة	
الاستاذ كولان (جورج)	١٩٣١

	تاريخ دخول المجمع
الاستاذ لاوست (هنري)	١٩٤٢
فنلانده	
الاستاذ كرسيكو (اهتنن)	١٩٢٣
المجر	
الاستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٦٦
النمسا	
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٥٤
الهند	
الاستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٥٦
الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الاعضاء العاملون

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الاستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الاستاذ سليم بخاري	١٩٢٨
الاستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الاستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الاستاذ سليم عنجوري	١٩٣٣
الاستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الاستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الاستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٥٤
الاستاذ اديب التقي	١٩٤٥
الاستاذ معروف الارناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الاستاذ محسن الامين	١٩٥٢
الاستاذ محمد كردعلي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الاستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الاستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الاستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الاستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الاستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الاستاذ الامير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الاستاذ الامير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الاستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الاستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم.	١٩٧٩

ب ـ الاعضاء المراسلون الراحلون
من الاقطار العربية

المملكة الاردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الاستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

	تاريخ الوفاة
الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الاستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الاستاذ محمد البشير الابراهيمي	١٩٦٥

المملكة العربية السعودية

	تاريخ الوفاة
الاستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الاب جرجس شلمت	١٩٢٨
الاب جرجس منش	١٩٣٣
الاستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الاستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الاستاذ ميخائيل صقال	١٩٣٨
الاستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الاحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الاستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الاستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨

	تاريخ الوفاة
الاستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩

الجمهورية العراقية

الاستاذ محمود شكري الالوسي	١٩٢٤
الاستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الاستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الاستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الاب انسطاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الاستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الاستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الاستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الاستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الاستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الاستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الاستاذ كمال ابراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧

	تاريخ الوفاة

فلسطين

الاستاذ نخله زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الاستاذ عبدالله مخلص	١٩٤٧
الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الاستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الاستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الاب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الاستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الاستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الاب لويس شيخو	١٩٢٧
الاستاذ عباس الازهري	١٩٢٧
الاستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الاستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الاستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الاستاذ جرجي يني	١٩٤١

	تاريخ الوفاة
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الاستاذ عمرالفاخوري	١٩٤٦
الاستاذ بولس الخولي	
الامير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ ابراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا العاملي	١٩٥٣
الاستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الاستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الاستاذ بشارة الخوري	١٩٦٨
الاستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الاستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الاستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨

جمهورية مصر العربية

الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الاستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الاستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الاستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الاستاذ أحمد كمال	١٩٣٢

	تاريخ الوفاة
الاستاذ حافظ ابراهيم	١٩٣٢
الاستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الاستاذ داود بركات	١٩٣٣
الاستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الاستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الاستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الاستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبدالعزيز البشري	١٩٤٣
الامير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرزاق	١٩٤٧
الاستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الاستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الاستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الاستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨

الاسم	تاريخ الوفاة
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الاستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الاستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الاستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الامير يوسف كمال	١٩٦٦
الاستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥

المملكة المغربية

الاسم	تاريخ الوفاة
الاستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الاستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الاستاذ علال الفاسي	١٩٧٣

ج ـ الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الاتحاد السوفييتي

الاسم	تاريخ الوفاة
الاستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الاستاذ برتلز (ايفيكيني)	١٩٥٧

اسبانية

الاسم	تاريخ الوفاة
الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤

ألمانية

الاسم	تاريخ الوفاة
الاستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الاستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الاستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الاستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦
الاستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الاستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الاستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الاستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الاستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

ايــران

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	١٩٤٧

تاريخ الوفاة	
الاستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
ايطالية	
الاستاذغريفيني(اوجينيو)	١٩٢٥
الاستاذ كاتياني (ليون)	١٩٢٦
الاستاذ جويدي(اغنازيو)	١٩٣٥
الاستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الاستاذ سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
البرتغال	
الاستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الاستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الاستاذ بفن (أنطوني)	١٩٣٣
الاستاذ مرجليوث (د•س•)	١٩٤٠
الاستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الاستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الاستاذ اربري (أ•ج•)	١٩٦٩

تاريخ الوفاة	
الاستاذ جيب (هاملتون ا•ر•)	١٩٧١
بولونية	
الاستاذ كوفالسكي (تداوس)	١٩٤٨
تركية	
الاستاذ احمد اتش	
الاستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشيكوسلوفاكية	
الاستاذ موزل(ألوا)	١٩٤٤
الدانيمرك	
الاستاذ بوهل (ف•م•ب•)	١٩٣٢
الاستاذ استروب (ج•)	١٩٣٨
السويد	
الاستاذ سيترستين (ك•ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الاستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الاستاذ هس (ح•ح)	١٩٤٩

	تاريخ الوفاة
فرنســـة	
الاستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الاستاذ مالانجو	١٩٢٦
الاستاذهوار (كليمان)	١٩٢٧
الاستاذ كَي (ارتور)	١٩٢٨
الاستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الاستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الاستاذ فران (جبرائيل)	١٩٥٣
الاستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الاستاذ دوسو (رينيه)	١٩٥٨
الاستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الاستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
المجـــر	
الاستاذ غولد صهير (اغناطيوس)	١٩٢١
الاستاذ ماهلر (ادوارد)	

	تاريخ الوفاة
الهنـــد	
الحكيم محمد أجمل خان	
هولانـدة	
الاستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الاستاذ اراندونك (ك)	
الاستاذ هوتسما (م•ت•)	١٩٤٣
الاستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الاميركية	
الاستاذ مكدونالد (د• ب•)	١٩٤٣
الاستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الاستاذ سارطون(جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيادر)	١٩٧١
الدكتور فيليب حتي	١٩٧٨

فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والخمسين

التعـريف والنقـد

آراء وأنبـــاء



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقا »



جمادى الثانية ١٤٠٠ هـ
نيسان (ابريل) ١٩٨٠ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرونة دمشق

الأستاذ شفيق جبري

أشهد في دمشق أمراً عجيباً ولست أدري هل أشـهد مثله في بلد آخر ، فقد شرعت في مخالطة الناس بعد الحرب الكبرى الأولى فجالست من جالست وعاشرت من عاشرت . والذي شهدته من أوّل حياتي أنّه اذا عاش في دمشق رجل من لبنان أو فلسطين أو مصر أو الحجاز أو العراق أو من أي بلد آخر فإنه لا يغيّر في حديثه لهجةَ بلده ؛ فإذا كان من لبنان كانت لهجته لبنانية واذا كان من فلسطين حرص على اللهجة الفلسطينية واذا كان من مصر لم يبدّل لهجته المصرية . وكذلك إذا كان من الحجاز أو العراق أو من أي بلد آخر ، فقد يقيم القادم على دمشق من بلدان غير الشام سنين طويلة تبلغ عشرين سنة أو ثلاثين سنة فأراه بعد هذه الاقامة الطويلة كأنه لا يزال يقيم ببلده بين ظهراني قومه يخاطبهم بلهجته فلا يتغير شيء من هذه اللهجة . وقد كانت لي صلة صداقة بجماعة من رجال الصحافة بعضهم من بيروت وبعضهم من يافا ، وكانت لي صلة برجال آخرين من مصر أو بغداد ، فكنت إذا جالستهم بعد إقامتهم بدمشق عشرين سـنة أو أكثر وكنت اذا حدّثتهم أو حدثوني فلا أراهم ينحرفون في أحاديثهم عن لهجة بلدهم . فلم تؤثر في شيء من لهجتهم إقامتهم بدمشق زمنا طويلا .

وعلى عكس هذا الأمر ما أراه من أهل دمشق ، فإذا غادروا بلدهم إلى بلد آخر مثل لبنان أو مصر أو الحجاز أو العراق أو غيرها من البلدان

فإنهم لا تكاد أقدامهم تطأ تلك البلاد ولا تكاد آذانهم تسـمع لهجات أهلها حتـى يأخذوا بتقليد هـذه اللهجات فتراهم يعـدلون عن لهجتهم الدمشقية ويميلون الى لهجة البلد الذي أقاموا به فإذا كانوا في مصـر قلّدوا أهل مصر في لهجتهم ، واذا كانوا في العراق تشبهوا بأهل العراق في لهجتهم على صعوبة هذه اللهجة ، حتى اني كنت في بعض سفراتي الى مصر أضطر الى مجاراة أهلها في لهجتهم على الرغم من استغرابي لهـذا الأمر . وكنت اذا حاولت المحافظة على لهجتي الدمشقية أحافظ عليها مرّة وأعجز عن هذه المحافظة مرة .

وأعرف صديقاً من أصدقائي رحـل مرّة الى الحجاز وأقام بـين السعوديين زمناً غير طويل ثم عاد الى دمشق يلبس لباس السعوديين ويقلّد لهجتهم في أحاديثـه ويكرّر بعض عباراتهم المألوفة حتـى كان إخوانه يتنادرون به إلا أنه ما لبث أن طرح اللباس السعودي وتخلّى عن لهجـة أهل نجد وعاد الى لهجته الحمصية رحمه الله أوسع الرحمات .

لقد شهدتْ دمشق من أول تاريخها حتى عصرنا هذا كثيراً مـن الفاتحين والغزاة الذين مرّوا بها ، واستولى عليها كثير من الملوك والولاة فكان أهلها مضطرين الى مسايرة أولئك الفاتحين والغـزاة حرصاً على أمور دنياهم ، فخلقت فيهم هذه المسايرة نوعاً من المرونة جعلتهم يتخلّوْن في بعض الأحيان عن خصائصهم ويأخذون بخصائص من هجم عليهم من الفاتحين والغزاة . ومن هذه الخصائص تقليد اللهجات سواء أكانت سهلة أم كانت صعبة حتى كاد هذا التقليد أن يكون فيهم على ترادف السنين ابن الطبع .

على أن هذه المـرونة على المسايرة لا تتعدّى تقليـد اللهجات أو

اللباس أو نحو ذلك ، فإنهم اذا اضطروا الى الانتفاض على الغزاة والفاتحين والملوك والولاة انتفضوا واذا أُلْجِئوا الى الثورة ثاروا ، فهم قد جمعوا بين المرونة وضدها فما أسرعهم الى التقليد والمسايرة وما أسرعهم الى الانتفاض والثورة .

على أنه قد شهدتْ بلاد ثانية مثل الذي شهدته دمشق في ماضي أحقابها . لقد شهدت مصر مثلاً كثيراً من الغزاة والفاتحين فلم يعمد أهلها لتغيير لهجتهم في أحاديثهم من باب المسايرة مثل الذي فعله أهل دمشق فهل معنى هذا انهم أقلّ مرونة ؟ هل معنى هذا أن أهل دمشق قد اختصهم الله تعالى بهذه المرونة دون غيرهم ؟ .

هذا أمر شهدته في خمسين سنة من أول حياتي العامة،وقد حاولت أن أجد له سبباً من الأسباب أو علّة من العلل فلم أجد إلا ما ذكرته من ميل أهل دمشق الى المسايرة ولو حيناً من الدهر . وقد أكون مخطئاً في تقديري أو قد أكون مصيباً وعلى كل لا أجزم ولكني أخمّن تخميناً وأشعر بأنه قد أدركتني الحيرة في الاهتداء الى حقائق الأسباب والعلل فأكتفي بتدوين هذا الأمر الذي خطر على البال في هذه المسألة غير قادر على الزيادة في الإيضاح ، فلستُ من علماء هذا الباب في وجه من الوجوه ، فإذا عنّ لي أمرٌ في هذا الموضوع فلا أقطع به .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

— ٤٤ —

الدكتور حسني سبح

12857 substance alimentaire,
aliment, nourriture, nutriment

١٢٨٥٧ مادةٌ غذائيّة ، غِذَاء ، غِذاء مَحْض
وأفضل مَادّة غِذائِيّة أو جَوْهَر غِذائِي ،
غذاء ، قوت

12859 substance collagène

١٢٨٥٩ مادّة مُوَلِّدة لِلْغِراء
والصحيح جَوْهَر الكولاّجين[1] وجَوْهَر
مُوَلِّد الغراء أو نَسيجه ، لأنّ ما يفهم من لفظة مادة
مُوَلِّدَة للغراء ، المادة التي تُكَوِّن الغراء (colle)

12860 substance cornée, cornine

١٢٨٦٠ مَادّةٌ قَرْنِيّة ، قَرْنِين
وأفضل جَوْهَرٌ قَرْني أو مادّة قَرْنِيّة أو
نَسيجٌ قَرْني ، قَرنين (تعريباً)

---

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

12861 substance excitant

١٢٨٦١ مادّة مُثيرة ، مُهيِّج

وأفضّل مُثير(١) في اللفظة الثانية

12862 substance excito - sécrétive

١٢٨٦٢ مادّة مُنَبِّهَة الإفراز

وأفضل مادّة مُثيرة الإفراز

12936 substance fondamentale intercellulaire

١٢٨٦٣ مادّة أساسيّة بَيْن الخَلايا

وأرجح المادّة الأصيلة أو الجَوْهر الأصيل بَيْن الخلايا وكذلك النَّسيج بَيْن الخلايا

12864 substance gélatineuse centrale (moëlle épinière)

١٢٨٦٤ مادّة هُلامينيّة مَرْكَزيّة (نُخاع شَوْكي)

وأفضّل الجَوْهَر الهُلامي المركزي أو المادّة الهُلاميّة المركزية (النُّخاع الشَّوْكي)

12865 substance gélatineuse de Rolando

١٢٨٦٥ مادّة رُولَنْدو الهُلامينيّة

جَوْهَر رُولَنْدو الهُلامي أو مادّة رُولَنْدُو

12866 substance gélatineuse du cortax

١٢٨٦٦ مادّة القِشْرَة الشَّهباء (أو السِّنجابيّة) جَوْهَر القِشْرة السِّنجابي أو مادّة القِشْر السِّنْجابيّة

12869 substance médullaire

١٢٨٦٩ مادّة نُخاعيّة

وأفضل جَوْهَر النُّخاع وجَوْهَر النِّقي أو مادّته(٢) .

(١) الصفحة ٥٧٥ من المجلد الاربعين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (medullary substtantia) في معجم درلند الطبي .

12874 substance vagale

١٢٨٧٤ مادَّة مُبْهَمِيَّة (ذات علاقة بالعَصَب المُبْهَم)
وأفضل جَوْهَر العَصَب المُبْهَم

12875 Substitution ١٢٨٧٥ إبْدال ، إحْلال
واسْتِعاضَة أيضاً

12876 Subtil, le ١٢٨٧٦ رَقِيق
وَدَقيق وحَادّ

12876 subtotal, le ١٢٨٧٦ دُون التَّام
ومَنْقوص ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

12877 Suc ١٢٨٧٧ عُصَارَة
وَسائِل ومائع ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الاصلي(١)

12882 suc gastrique de la sécrétion psychique

١٢٨٨٢ عُصَارَة مَعِدِيَّة بالإفْراز النَّفْساني
عُصَارة الشَّهْوة أو الشَّهِيَّة ،كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

12884 suc nucléaire ١٢٨٨٤ عُصارَة نَوَوِيَّة
والجُزء السَّائِل من النَّواة ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(٣).

---

(١) (juice, fluid, liquor)
(٢) (appetite juice)
(٣) (fluid part of the nucleus)

12885 Succédanés, produits de remplacement

١٢٨٨٥ مَوادّ مُتَبادِلَة ، مَحاصيلُ تَعْويضٍ
أو تَبْديل
وأفضل البَدائِل ، مُنْتَجات مُعيضَة

12889 Succion, aspiration

١٢٨٨٩ مَصّ ، جَذْب ، رَشْف
وأفضل المصّ ، الاشْتِفاف[1] وكما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وسبق للجنة أن ترجمت (attraction) بجذب (اللفظة ١٢٨١) ، وأرى تخصيص رَشَفَ وارْتَشَاف[2] لـ (resorption)

12890 succion, ventouse (odontol.)

١٢٨٩٠ مِحْجَم ، مِرْشَف (مبحث الأسنان)
وأفضل ماصّة (أداة) تمييزاً لهذه اللفظة من مِمَصّ (pipette) (اللفظة ١٠٣٥٧) ومُفْرِغَة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[4] وللفظة حَجَم استعمال خاص[4] وتقدم آنفاً الملاحظة على الرَّشْف

12891 succion à rondelle de caoutchouc

١٢٨٩١ مِحْجَمٌ بِدائِرة من المطّاط

---

(١) في لسان العرب : شَفَّ الماءَ يَشُفُّهُ شَفّاً واسْتَشَفَّهُ وتَشافَّه وتشافاه تقصّى شُرْبَه .

(٢) الصفحة ٢٧١ من المجلد الثالث والخمسين من هذه المجلة .

(٣) (sucker, air chamber, vacum chamber)

(٤) في لسان العرب : المِحْجَم بالكسر الآلة التي يُجمع فيها دَم الحِجامة عند المصّ والمِحْجَم أيضا مِشْرط الحجّام .

وأفضل ماصّة أو مُفرِغة ذاتُ حلْقة أو (طارة) من المطّاط ، وقُرْصٌ ماصّ أو قُرْص المَصّ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

١٢٨٩٢ كَثيرُ الرُّب ، رَطيبٌ ، رَيّان 12892 Succulent, ente

وأفضل رَيّان[٢] وغزير السُّلاف[٣] ولا أرى الرُّب والرَّطيب يَفيان بالمعنى[٤]

١٢٨٩٣ رَجّ ، هَزّ 12893 Succussion

ودرجت على ترجمة اللفظة بالرَعْص[٥] تمييزاً لها من الألفاظ المشابهة ، وسبق للجنة أن ترجمت (agiter) برَجّ (اللفظة ٤١٠) و (secousse) باهْتِزاز (اللفظة ١٢١٨٨)

١٢٨٩٥ مَصّ ، مَغَد 12895 Sucer

١٢٨٩٦ ماصّ الإبْهام ، ماغِد الإبهام 12896 Suceur du pouce

وأفضل مَرَثَ ، مَصّ في اللفظة الأولى ومارِث الإبْهام في الثانية

---

(١) (suction disk)

(٢) في لسان العرب : رَوِيَ النَّبْتُ وتَرَوّى تَنَعَّمَ ونَبْتٌ ريّانٌ وشجرٌ رِواء .

(٣) في لسان العرب : وسُلافُ الخمر وسُلافَتُها : أوّلُ ما يُعْصَرُ مِنْها وقيل هو ما يَسيلُ مِنْ غَيْرِ عَصْر .

(٤) في لسان العرب : الرُّبُّ الطلاء الخاثِر وقيل هو دِبْسُ كل ثَمَرةٍ وهوَ سُلافَة خُثارتِها بعد الاعتِصار والطَّبْخ .

(٥) في لسان العرب : الارتِعاصُ الاضْطِراب : رَعَصَهُ يَرْعَصُهُ رَعْصاً هزّه وحَرّكَهُ .

12902 Sucreries ١٢٩٠٢ سُكَّرِيات ، مصانع السُّكَّر
سُكَّرِيَّات وحَلاوى

12903 Sudamina, v. miliare
١٢٩٠٣ حَصَف ، هَرَض ، انظر دُخْنِيَّة
وأفضل الاقتصار على حَصَف(١)

12904 Sudation ١٢٩٠٤ رَشْح العَرَق
وأرجح تَعَرُّق وهي اللفظة الشائعة

12906 Sudaripare ١٢٩٠٦ مُفْرِز العَرَق وأرجح مُعَرِّق

12913 suggestion de jugement ١٢٩١٣ تَلْقين الحُكْم
وأفضل الإيعاز بالحُكْم

12914 suggestion de veille ١٢٩١٤ إيحاء في اليَقَظَة
والأفضل في حالَة اليَقَظَة أو الصَّحْو ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

12915 Sugillation, ecchymose de la peau
١٢٩١٥ قَرْتٌ خَفيف ، قَرْتُ الجِلْد
للفظة الأولى دلالتان كما جاء في معجم درلند الطبي(٣)

---

(١) ورد تعريف الحَصَف في كامل الصناعة : بُثور صِغار شَبيه بالجاوَرْس يَتَضَرَّس في ظاهِر الجِلْد وتَولُّده يكون من رُطوبة رقيقة حادة صفراوية تخالط الدم وأكثر ما يحدث ذلك في الصيف .

أقول وقوله بثور لايعني ما اصطلح عليه بترجمة لـ (pustule) بل يبدو أن البَثْر يطلق على أي طَفَح جلدي . وجاء في لسان العرب : والحَصَف بَثْر صِغار يُقيح ولا يعظم وربما خرج في مَراقِ البَطْن أيام الحر .

(٢) (suggestion in waking state)

(٣) لفظة (suggilation) في معجم Durland's Illustrated Medical Dictionary.

الأولى لارتضاض (bruise) والكَدْم[١] والثانية الزُرقَة الرثمية[٢] البادية في الجثة

12918 Suint, graisse de laine , graisse de suint

١٢٩١٨ زوفى ، صوفين ، دَسَم الصوف، دسَم الوَشَل ·
والصحيح الرَشْح أو رَشْح الصوف كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية · يُطلَق على العَرَق الذي يُطرّي صوف الضأن ومنه يُستَخرَج دُهْن الصوف أو اللانولين[٣] وزُوفى أو زوفا اسم نبات (hysope) ويعرف بأشنان داود أيضاً[٤] ولفظة الوَشَل الواردة هنا لم أهتَدِ الى معناها في هذا الصدد[٥] ·

12922 suites des idées

١٢٩٢٢ تَعاقُبُ الأفكار
وأرجح تَتابع الأفكار

12923 Sujetion sexuelle, servitude sexuelle

١٢٩٢٣ انقياد تَناسُلي ، استِحْواذ" تَناسُلي انْقِياد" شِقّي ·
وأفضل انْصِياع" جنسي" ، خُضوع جِنسي

12926 Sulfamidémie

١٢٩٢٦ تَسَلفُم الدَم
وأفضل سُلْفاميديَة الدَم

(١) الصفحة ٤٦٠ من المجلد الاربعين من هذه المجلة ·
(٢) الصفحة ٤٩٥ من المجلد الخامس والاربعين من هذه المجلة ·
(٣) الصفحة ٦٥٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة ·
(٤) لفظة (hysope) في معجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابي ·
(٥) في لسان العرب : الوَشَلُ بالتحريك الماءُ القليل يَتَحَلَّب من جَبَلٍ أو صَخرةٍ يَقطُر منه قليلاً قليلاً لا يتصل قَطره الخ ·

12930 Sulfhémoglobine
١٢٩٣٠ يَحْمور "كِبْرِيتي
وأفضل خِضاب الدَّم المُكَبْرَت أو الخِضاب
المُكَبْرَت أو سُلْفِهموغلوبين تعريباً

12932 Sulfhydrisme, plomb des vidangeur
١٢٩٣٢ انْسِمام بكبريت الهِدْرُجين رصَاصة" النَّزاحين.
وأفضل انْسِمام بالهِدْرُوجين الكِبْريتي أو
المُكَبْرِت ورَصاصة" عمَّال الكَهاريز أو الكَنيف

12934 Sulfoconjugaison
١٢٩٣٤ إشْتِقاق" مِنْ حَمْض فنيل الكِبْريت
وأفضل اقْتِران" كِبريتي أو اقْتِران" بِحَمْضِ
فِنيل الكِبْريت

12935 sulfoconjugué, ée
١٢٩٣٥ مُشْتَق" من حَمْضِ فِنيل الكِبْريت
وأفضل مُقْتَرِن" كِبْريتي

12936 sulfourée, thiourée , sulfocarbamide
١٢٩٣٦ بَوْلَة" كِبريتيَّة (تيوئوره) فُحْماميد" كِبْرِيتي
وأفضل تيويوريا ، سُلْفا كَرْباميد

12940 Sumac de Californie
١٢٩٤٠ سُمَّاق كَليفورْنية
وسِنْديان أو بَلّوط سَام" كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

(١) (poison oak)

12941 Sumac vénéneux

١٢٩٤١ سُمَّاق" زَبيبي
ولَبْلاب" سامّ كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي(١)

12942 Superdicrote, hyperdicrote

١٢٩٤٢ فَرْط ، ازْدِواج النَّبض
وأفضل فَرْط التَّثلم الثّنائي

12943 Superfécondation

١٢٩٤٣ إلْقاح" على إلْقاح
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : لَقْح على لَقْح
وجاء في التعريف : إلْقاح أكثر من بَيْضة واحدة من
جِماع مُتَفَرق

12945 Superflu,ue

١٢٩٤٥ فائِض
وزائِد" عن الحاجَةِ وغير مُجْدٍ

12946 super - imprégnation

١٢٩٤٦ إلْقاحُ أكثَرِ من بَيْضَة
والصحيح إلْقاح بَيْضَةٍ بَعْدَ أخْرى(٢)

12947 super - infection, surinfection

١٢٩٤٧ خَمَج" على خَمَج ، تَضاعُف الخَمَج
وأفضل إنْتان" على إنْتان ، إنْتان مُزْدَوِج

12961 suppuration provoquée par le fil de suture

١٢٩٦١ تَقَيُّح" حادِث" من خَيْط الخِياطَة
وأفضل تَقَيُّح الخَيوط أو بالخِياطَة كما جاء في

---

(١) (poison ivy)

(٢) لفظة (superimpregnation) في معجم درلند الطبي .

الترجمة من المعجم الأصلي[١]

12967 Suralimentation, gavage فَرْطُ التَّغْذِية ، إزقام ١٢٩٦٧

12968 Suralimenté مُزدادُ التَّغْذِية ، مَزْقوم ١٢٩٦٨

وأفضل فَرْط التغذية والتَغْذية القَسْرِيَّة بأنبوب المعدة ، والإلزام بِغِذاء إضافي في اللفظة الأولى ، كما جاء في معجم دُرلنـد[٢] ومفْرِطُ التَّغْذِية في اللفظة الثانية

12969 Surcharge فَرْطُ الحِمْل ١٢٩٦٩

وأرجح الإثقال والثِّقَل الإضافي

12972 Surdi - mutité صَمَمٌ وخَرَس ١٢٩٧٢

وأفضل صَمَمٌ بُكْمٌ

12973 surdistendu, ue فائِق التَّمَدُّد بالشَّدّ ١٢٩٧٣

وأرجح شديدة الامتلاءِ (وأكثر ما تستعمل في فرط امتلاء المثانة)

12974 surdité verbale, amnésie logophonique

صَمَم النُّطق ، نِسْيانُ الأصْوات والكلام ١٢٩٧٤

وأفضل الصَمَم الكلامي ، نِسيانُ أصواتِ الكلام أو مَدْلولِها

12975 Surdosage فَرْطُ العِيار أو المُعايَرَة ١٢٩٧٥

---

(١) (suppuration of sutures)

(٢) لفظة (gavage) في معجم درلند (Dorland's Medical Dictionary)

والصحيح تَجاوُز الجَرْعات (مقادير الجرعات العلاجية)

١٢٩٧٨ فرْطُ التَّحْسيس surexcitation 12978

والصحيح فَرْطُ الإثارة(١)

١٢٩٧٩ فَرْطُ التَّمْديد surextention 12979

وفَرْط البَسْط ، كما سبق للجنة أن ترجمته (اللفظة ٥٤٦٨) .

١٢٩٨٠ سَطْحٌ طاحِن surface triturante 12990

وأفضل سَطْح المَضْغ ، وسَطْح الإطباق، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

١٢٩٨٢ مُسَمَّن Surgrase, asse 12982

وأفضل مُفْرِط التَّشَحُّم ، غَزير الشَّحْم

١٢٩٨٣ إعياء ، نَصَب ، لُغوب Surmenage 12983

وأفضل إرْهاق ، إعْياء ، لُغوب

١٢٩٩٧ فَوْ ــ تَرْقُوي ، فَوق التَّرقُوَة (١) sus - claviculaire (1) 12997

١٢٩٩٧ فَوْ ــ وَقبي ، فَوْق الوَقْب (٢) sus - orbitaire (2) 12997

وأفضل فَوْق التَّرقُوة في اللفظة الاولى وفَوقَ الحِجَاج(٣) في الثانية

---

(١) الصفحة ٥٧٥ من المجلد الاربعين من هذه المجلة .

(٢) (masticatory occlusal surface)

(٣) الصفحة ٨٥ من المجلد التاسع والاربعين من هذه المجلة .

١٢٩٩٩ عُلاقَة (صيدلة) 12999 suspension

وأرجح مُعلَّق أو مُعلَّقة (وهي حالة الحبيبات الصُلبة غير المُنْحلّة في السائل)

13000 suspension colloïdalee solution colloïdale

١٣٠٠٠ عُلاقَة شَبْغَريّة ، مَحْلول شَبْغَري

وأفضل مُعلَّق غرَواني ، مَحْلول غرَواني[1]

١٣٠٠١ أُرْجُوجَة ، رِباط مُعلِّق 13001 Suspensoir

وأفضل رِباط مُعلِّق

١٣٠٠١ فَوْ ـ عاني ، فَوْق العانَة 13001 Sus - pubien

وأفضل فَوْقَ العانَة

١٣٠٠٢ إسْتِناد 13002 Sustentation

والصَّحيح إقْتِيات[1] ويعني التَغَذّي بما يُنَشِّط

13003 Suture, synarthrose

١٣٠٠٣ دَرْز ، إلتِحام ، مَفْصِل ثابِت

(١) مُحَزَّز (1) dentée

(٢) إنْسِجامي (2) harmonique

وأفضل مُسَنَّن في الأولى ومُنَسَّق في الثانية.

13006 suture en bourse, point en bourse

١٣٠٠٦ خِياطة كَفَم الكِيس

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (sustentation) من معجم لاروس الكبير .

وأفضل خياطة حَلَقية أو دائرية

13014 suture de palais, staphylorrhaphie

١٣٠١٤ خِياطة الحِفاف ، خِياطة اللَّهاة

والصحيح خياطة الحِفاف .

13017 suture de relâchment

١٣٠١٧ خِياطَة الاستِرْخاء

وأفضل خياطة رِخوة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

13015 suture perdue

١٣٠١٥ خِياطَة مَخْفِيَّة

وأرجح خِياطَة خَفِيَّة ومطمُورة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

13021 Sycosis, sycose

١٣٠٢١ دَاءٌ تِيني ، قُوبَاء الذَّقْن

وأفضل دَاءُ الذَّقْن نَظير التِّيني ، قُوَباءالذَّقْن ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة بالسُّوقَمِية وجاء في التعريف : التهاب بصيلات شَعْر الذَّقْن

13022 sycosis de la barbe parasitaire, tricophytie de la barbe

١٣٠٢٢ دَاء اللِحْيَة التِيني ، قُوبَاء طُفَيْلِيَّة قُوبَاء الذَّقْن

---

(١) في لسان العرب : الحفافان ناحيتا الرأس والإناء وغيرهما وقيل هما جانبان والحِفاف اللَّحْم في أسفل الحَنك الى اللَّهاة : الأهرى : يقال ييبس حِفَافه وهو اللحم اللين أسفل اللهاة هذا وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (soft palate) بالحَفاف بدون تشديد وجاء في التعريف (اللحم الذي في أسفل الحنك) .

(٢) (relaxation suture, suture in relaxation)

(٣) (buried suture)

وأفضل دَاءُ الذَّقن نَظير التّيني الطُفَيْلي ، دَاء اللّحْيَة الطُفَيْلي ، حُكاك الحَلاّق ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

هذا وأقر مجمع اللغة العربيــة في القاهرة ترجمــة (barber's itch) بِـمَرْش(٢) الحــلاّقين ، وجاء في التعــريف : التهــاب جُرَيبات الشّعر من عــدوى بَكْتيرية !؟

١٣٠٢٣ قُوباء ، مُمْتَدّة مُنْتَشِرَة 13023 sycosis en nappe

وأفضل قُوباء الذَّقْن المَبْسُوطَة ، وسبق للجنة أن ترجمت (impetigo) بقوباء (اللفظة ٧١٠٨)

١٣٠٢٤ قُوبَاء بَسيطة 13024 sycosis simple

وأفضل داء الذَّقْن البَسيط

١٣٠٢٧ وُداد ، ألَم الوُدّي 13027 Sympathalgie

وأفضل الألم الوُدّي

هذا وأقــر مجمع اللغة العربية في القاهــرة تعريب العصب الوُدي (symathetic nerve) بالعصب السَمْبَتــاوي وبالعصــب الشَّمْبَثي ثم ترجمــه بالعَصَب الشَّنْبَثي(٣) .

---

(١) (sycosis of the bread, barber's itch)

(٢) في لسان العرب : المَرْش شبه القَرْص من الجلد بأطراف الاظافير ويقال قد الطَفَ مرشاً وخَرْشاً والخَرْش أشده .

(٣) في لسان العرب : الشَنْبَثَة العلاقة يقال شَنْبَث قلبه أي علِق به .

13031 Sympathicotonie, andrénergie

٣١٠٣١ تَنَبُّه الوُدي ، تَنْبيه الوُدّي

وأفضل تَوَتُّر الوُدي أو رَجَحانه ، أدريناليّ التأثير

13033 Sympexion

١٣٠٣٣ رُسُوب مَنَوي

وأرجح رَمْل برُوستاتي(١)

13035 symphyse cardiaque

١٣٠٣٥ إلْتِصاق تأمُوري

إرْتِفاق القَلْب والْتِصاق التَّأمور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

13036 symphyse pubienne, articulation pubienne,

١٣٠٣٦ وَصْل عاني ، مَفْصِل" عاني

وأرجح إرتِفاقُ العانَة ومَفْصِل العانَة

13038 Symphysiotomie, synchondrotomie

١٣٠٣٨ قَطْع الوَصْل العاني ، قَطْعُ غُضْروفِ العانَة

وأفضل فَصْل العانة ، قَطْعُ غُضْروفِ العانَة

13046 symptôme de dissociation

١٣٠٤٦ عَرَض التَفَكُّك

وأفضل عَرَضُ التَّبايُن(٣)

13047 symptôme à disteuce

١٣٠٤٧ عَرَض" مُبْتَعِد

وأفضل عَرَض على بُعد أو مُجانِب أو انعِكاسي ،

---

(١) في معجم فلاماريون لفظة sympexion (Dictionnairede Médecine Flammarion)

(٢) (cardiac symphysis, pericardial adhesion)

(٣) الصفحة ٢٩٤ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

13049 symptôme de freinage (Söderberg) dans la sclérorse en plaques.

١٣٠٤٩ عَرَض الكَبْح (سُودِربَرغ) في التصلب اللوحي والعَرَض النَاهي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

13050 symptôme radiculaire — ١٣٠٥٠ عَرَضٌ جُذَيْري

وعَرَضٌ جَذْري ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣)

13051 symptôme de sevrage — ١٣٠٥١ عرض الفطـام

وعَرَض الامْتِنَاع أو الانْقِطاع ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤).

13053 Synapse — ١٣٠٥٣ اشـتباك

وأفضل مُوصِل ومُتَّصِل ، وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : مَمَسّ وجاء في التعريف نقطة تماس محور احدى الخلايا العصبية بجسم خلية عصبية أو بإحدى زوائدها .

13054 Synchondrose — ١٣٠٥٤ إتّحاد غُضْرُوفي

وأفضل مَفْصل ثابت غُضْروفي

(للبحث صلة)

---

(١) (referred symptome)

(٢) (inhibitory symptom)

(٣) (root symptom)

(٤) (withdrawal symptom)

حائط البراق والأوقاف الإسلامية في غربه

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

نشر لنا المركز الاسلامي الثقافي بلندن رسالة باللغة الانكليزية عنوانها « الاوقاف الاسلامية في القدس : أصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها »، فلاقت الرسالة قبولا عند بعض الزملاء في الجامعات العربية والاسلامية والغربية ، وسألنا بعضهم أن نترجمها الى اللغة العربية أو أن نكتب خلاصة لها بهذه اللغة ، وهذه المقالة هي ترجمة مختصرة جدا للاصل مع بعض التنقيح .

— ١ —

أصبحت مدينة القدس الشريف بعد الفتح الاسلامي موئلاً لقرّاء القرآن الكريم ورواة الحديث الشريف ، ومقراً للزهّاد وطلاب العلم ، ومزاراً للتُّقاة والحُجّاج ، فجاءها المسلمون من سائر الأنحاء لطلب العلم أو المجاورة أو الزيارة . وبعد بناء المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة فيها كَثُر « المجاورون » في حرمها أو حوله كثرةً جعلت وُلاة الأمر والمُحسنين يُخصِّصون أوقافاً ليصرف ريْعُها على هؤلاء . والوقف معناه في الاصطلاح الشرعي المَنْع والحَبْس ، أي منع بيع ما خُصص لأغراض خيرية ، وحبسه الى الأبد للغرض الذي خُصِّص له .

ومن الذين استفادوا من الأوقاف في مدينة القدس جماعةٌ من المغاربة جاوروا عند المسجد الاقصى وحائط الحرم الشريف من جهة الغرب. وقد أوْقف الملك الأفضل نور الدين علي ، الابن الأكبر لصلاح الدين الأيوبي ، الأرضَ التي أقام عليها المغاربة ، وبنى لهم فيها مدرسة عُرفت

باسمه ، وعُرف المكان بحي (أو حارة أو محلة) المغاربة . ونَصّ الوقفية المحفوظ في المحكمة الشرعية بالقدس يدل على أن صحيفتها الأصلية ضاعت ، فأُعيد تقييدها بأمر القاضي الشرعي وبحسب الأصول الشرعية، وقد تَمّ ذلك مرتين الأولى في سنة ٦٦٦ للهجرة (١٢٦٧ للميلاد) ، والثانية في سنة ١٠٠٤ للهجرة (١٥٩٥ للميلاد) . وفيما يلي نَصّ هذه الوقفية[١] :

« شرط واقف محلة المغاربة قُيِّد بإذن مولانا .. شجاع الدين أفندي قاضي القدس الشريف ... وهذا الكتاب مُتَّصل الثبوت والتنفيذ بحكم الشريعة الى يومنا هذا . وقُيِّد في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وأربع .

« بسم الله الرحمن الرحيم . يشهد من أثْبت اسمه وشهادته آخر هذا المحضر ، وهم يومئذٍ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم ومخبرة بما يشهدون به ، شهادةً عرفوا صحتها وتحققوا معرفتها ... لا يشكُّون فيها ولا يرتابون ... ويلقون الله بأدائها انَّهم يعرفون جميع الحارة المعروفة المسماة بحارة المغاربة الكائنة بمدينة القدس الشريف ... الحد الأول وهو القبلي ينتهي الى سور مدينة القدس الشريف والى الطريق المسلوكة الى عين سلوان . والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي الى حائط الحرم الشريف . والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي الى القنطرة المعروفة بقنطرة أم

(١) المحكمة الشرعية بالقدس : سجل رقم ٧٧ صفحة ٥٨٨ . وضعنا النسخة الرسمية التي وصلتنا من القاضي الشرعي في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، لتسهيل الرجوع اليها .

البنات[٢] • والحد الرابع وهو الغربي ينتهي الى دار الإمام ••• شمس الدين قاضي القدس الشريف ، ثم الى دار الأمير عماد الدين بن موسكي ، ثم الى دار الأمير حسام الدين قايماز •

« ويشهد شهوده أن هذه الحارة المعينة أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ابن شادي ، رحمهما الله تعالى ، على جميع طائفة المغاربة ، على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ، ذكورهم وإناثهم ، كبيرهم وصغيرهم ، فاضلهم ومفضولهم ، ليسكنوا فيها في مساكنها وينتفعوا بمرافقها على قدر طبقاتهم ، وما يراه الناظر عليهم وعلى وقفهم من ترتيب ذلك ، وتفضيل من يفضّله وتقديم من يقدمه ، بحيث لا يتّخذ شيء من المساكن مُلْكاً ولا احتجازاً ولا بَيْعاً ، وقفاً مؤبّداً شرعيّاً ، ماضياً جارياً على هذه الطائفة المغاربة ••

« ويشهد شهوده أن النظر في ذلك ، وفي كل جزء منه ، وفي ترتيب أحواله ووظائفه وأموره ، راجع الى مَنْ يكون شيخاً قُدوَة من المغاربة المقيمين في كل عصر وأوان بالقدس الشريف ، يتولى ذلك بنفسه ، وله أن يُوَلّي مَنْ اختار وآثر ، ويَسْتَنيب عنه مَنْ يقوم مقامه ، وله عزله إذا أراد •••

« ويشهدون به وبذلك كتبوا شهاداتهم في اليوم الرابع والعشرين من شهر الله رجب الفرد سنة ست وستين وستمائة ••• »

وحَسُنَ حال المغاربة في القدس وصار بعضهم من أصحاب الأملاك في المدينة وضواحيها • ففي سنة ٧٠٣ للهجرة أنشأ عمر بن عبد الله بن

---

(٢) عند باب السلسلة أحد ابواب حائط الحرم الشريف من جهة الغرب •

عبد النبي المصمودي المجرّد ، أحد علمائهم وأثْريائهم ، زاوية لمنفعتهم على الارض التي أوقفها الملك الأفضل(٣) . وبعد ذلك بثلاث عشرة سنة أنشأ شُعيبُ بن محمد بن شعيب المعروف بأبي مَدْين ، من مشاهير علماء المغاربة ، زاوية أخرى على الأرض المذكورة لمنفعة المغاربة القادمين الى القدس ، وجعل مُلْكه في قرية عيْن كارم وقفاً يُنفَق ريْعه على الزاوية ومَنْ يكون فيها . وفيما يلي نص هذه الوقفية(٤) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ... هذا كتاب وقفٍ صحيح شرعي ... كتبه ... الشيخ ... أبو مَدْين شعيب بن أبي عبد الله محمد بن... أبي مدين شعيب المغربي ... أشهد على نفسه وهو في صحته أنه وقف ... جميع المكانين الآتي ذكرهما ووصفهما وتحديدهما الجاريين في يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته الى حين هذا الوقف ...

« وأحد المكانين المذكورين هو قرية تعرف بقرية عيْن كارم من قرى مدينة القدس الشريف ، وتشتمل على أراضي مُعْتمل ومعطل وأوْعار وسهل ... وعلى آثار دور برسم سُكْنى فلاحيها ... وبستان صغير ، وأشجار رمّان وغير ذلك يُسْتقى من عين مائها ، وأشجار زيتون رومي(٥) ، وخروب وتين وبلّوط ... الحد القبلي منها ينتهي الى المالحة الكبرى ، والحد الشمالي ينتهي الى بعض أراضي قلونية ... والحد الغربي ينتهي الى عين الشقاق ، والحد الشرقي ينتهي الى بعض

(٣) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين العُلَيْمي (القاهرة ، ١٢٨٣) ص ٣٩٧ ، ٥٨٠ .

(٤) وضعنا النسخة الرسمية التي وصلتنا من القاضي الشرعي في قسم الوثائق الخاصة في مكتبة كلية سانت انتوني بجامعة اكسفورد ، لتسهيل الرجوع اليها .

(٥) معناها بالاصطلاح العاميّ المحلي « قديم » .

أراضي المالحة الكبرى ••• (أوْقفها)بجميع حقوقها ومرافقها •• والعين الموجودة فيها والنزّارة[٦] ، والأشجار النابتة ، والآبار الخربة ، وقرامي العنب العتيقة الرومية ، وما يُنْسب للقرية المذكورة بكل حق من حقوقها ••• خلا مافي ذلك مسجد لله تعالى ، وطريق المسلمين ومقبرة لهم ، فإن ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه •

« وأما المكان الثاني الموقوف فإنه بالقدس الشريف بخَطِّ[٧] يُعرف بقنطرة أم البنات بباب السلسلة المشتمل على إيوان وبَيْتَيْن وساحة ومرتفق خاص ، وسُفليّ ذلك مخزن وقبو ••• وقفاً صحيحاً شرعياً قاطعاً •• دائماً سرمدياً ••• خالصاً لأهله والمستحقين مؤبّداً على الدوام ••• لا يُباع ذلك ولا شيء منه ، ولا من حقوقه ، ولا من حدوده ، ولا يُملك ، ولا يُناقل ، ولا يُحل عقد من عقوده ، ولا يرجع هذا الوقف لغير أهله ••• لايُبْطله تقادم دهر ، ولا يوهنه اختلاف عصر ، كلما مرّ عليه زمان أكّده ••• أبد الآبدين ••• الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

« أنشأ الوقف المذكور ••• وقفه هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين اليها من السادة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ••• لا ينازعهم فيه منازع ، ولا يشاركهم فيه مشارك ••• ينتفعون بذلك ••• ويقدّم الواردون على المقيمين ، الأحوج فالأحوج ••• فاذا انقرضت المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيماً بالقدس الشريف ••• فيرجع وقفاً على مَنْ يوجد من المغاربة في مكة المشرفة وعلى مَنْ يوجد منهم بالمدينة المنورة • فاذا لم يوجد منهم أحد بالحرمين

(٦) معناها بالاصطلاح الفلسطيني « عين ماء غير غزيرة » •

(٧) معناه باصطلاح ذلك الزمان « الشارع » أو « الحي » •

الشريفين ، فيرجع وقفاً على الحرمين الشريفين .

« وقد شَرَطَ الواقف النظر والتولية على هذا الوقف لنفسه مدة حياته ، ثم من بعده لمن يوجد رشيداً من جنس المغاربة بالقدس الشريف ، ويُشْهد له بالرشد والتقوى .

« وقد أعَدَّ المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاويةً سكناً للواردين الذكور من المغاربة ... وليس لذكور المغاربة المقيمين ولا لإناثهم السكن في المكان المذكور ، وعلى كل من يتولَّى هذا الوقف أن يبدأ بعمارته وإصلاحه ...

« (وقد شرط الواقف) ألاَّ تؤجَّر القرية أكثر من سنتين ، ولا يستأنف عقد حتى ينتهي العقد الأول .

« وقد شرط الواقف انه بعد الفائض من التعميرات ، أن يعمل المتولي في الثلاثة أشهر ، رجب وشعبان ورمضان ، خُبْزاً ويفرِّقه في الزاوية على المغاربة ، لكل قادم من المغرب أو مقيم بالقدس الشريف من المغاربة ، ذكوراً وإناثاً ، جوازي رغيفان . وعند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح والاخلاص والمعوَّذتين ثلاثاً ، ويُهْدى ثواب ذلك الى حضرة النبي ﷺ ولأصحابه وأتباعه ، ولروح الواقف ، ولجميع من يُنْسب بالخير في هذا الوقف .

« وشرط الواقف إطعامية في عيد الفطر وفي عيد الأضحى وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة

« وشرط الواقف أن يدفع المتولي لكل قادم من المغرب محتاجاً ومقيماً بالزاوية ثمن كسوة تَقيه من البرد ...

« وقد تمّ هذا الوقف المبارك بتمام شروطه ... لوقوعه من أهله في محله على الوجه المرْضي لجوازه ، ولِخلُوّه عما يؤدي الى نقضه وحله ، لكونه صار وقفاً مؤكداً وميساً دائماً ... لا يُمْلك ، ولايتصدق به ، ولا يوهب ، ولا يُرهن ، ولا يناقــد به ، ولا يُتَعوض عنــه ، ولا يُسلَب ، ولا يَحِلّ لأحد ... من أمير أو مأمور أو ذي سلطان جائر أن يُبْطل هذا الوقف ولا شيء منه ، ولا يغيّــره ... ولا يَسْعى في إبطاله ، ولا في إبطال شيء منه ... فمن فعل ذلك أو أعان عليــه ... (فقد) عدل عن أمر ربه وتمرّد عليه ... واستحق لعنته .

« وأشهد الواقف عليه ... بجميع ما نُسب اليه في هذا الكتاب ، بعد أن قُرِئ عليه من أوله الى آخره ... وذلك في اليوم المبارك التاسع والعشرين من شهر رمضا ن المعظم سنة عشرين وسبعمائة ... »

واشتهر وقف أبي مدين هذا حتى عُرِفَت الأرض التي أوقفها الملك الأفضل فيما بعد تجوّزاً بوقف أبي مدين . والغالب أن ذلك كان لأن متولي (ناظر) الوقف كان دائماً من المغاربة ، وأبو مدين كان أشهرهم . ولهذه الأرض الموقوفة أهمية خاصة في تاريخ الاسلام ، فعنــد حدّها الشرقي رُبِطَ « البُراق » الذي حمل رسول الله ليلة الإسراء من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، ومن تلك النقطة مشى رسول الله ومعه جبريل الى الصخرة المشرفة وعرج الى السماء من فوقها . ولهذا سُمِّيَ الحائط الغربي للحرم الشريف بحائط البُراق ، وعُرف الباب المؤدي الى الحرم من تلك الزاوية الجنوبية الغربية بباب البراق أو باب محمد (وسُمِّيَ فيما بعد بباب المغاربة) . وتفسير حدود هذه الأرض كما وردت في وقفية الملك الأفضل هو كما يلي : حدّها الشرقي واضح لاشك فيه وهو حائط

البُراق أو الحائط الغربي للحرم الشريف ، وحدّها الجنوبي أيضاً واضح لاشك فيه وهو سور مدينة القدس • والحد الشمالي هو الخط (الشارع) المؤدي الى باب السلسلة من أبواب الحرم الشريف (عند قنطرة أمّ البنات) والحد الغربي هو حيّ الشَّرَف (وكانت فيه مساكن الأشراف والأمراء والعلماء) ، ويقع الى الغرب من حي المغاربة •

— ٢ —

لبعض الأماكن المقدسة في القدس الشريف أهمية تاريخية عند المسلمين واليهود ، وأهمها جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف • ولهذا الأمر تاريخ طويل هذا مجمله : أُقيم هيكل اليهود على الساحة التي أصبحت بعد الفتح الاسلامي ساحة الحرم الشريف وعليها المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة • ودمَّر الرومان الهيكل وأقاموا مكانه معبداً وثنياً ، وهدموا مدينة أورشليم وأقاموا على أنقاضها مستعمرة رومانية سموها إيلْيا • وبعد تنصُّر قسطنطين أُزيلت معالم الوثنية من المدينة ، ومنها المعبد الوثني المذكور ، وتُرِكَ مكانه والساحة جميعها قاعاً صفصفاً، عملاً بنبوة السيد المسيح • ومنع الرومان الوثنيون اليهودَ من الاقتراب من مكان الهيكل أو المدينة بعد تدميرهما ، وجدد الرومان (البيزنطيّون) النصارى هذا المنع • وكان أمره نافذاً عندما سلّمت مدينة إيلْيا لعمر بن الخطاب ، فلبَّى طلب النصارى وجدَّد منع اليهود ، في عهد الأمان الذي أعطاه لأهل المدينة •

وتساهل العرب فيما بعد فسمحوا لبعض اليهود أن يقيموا في المدينة،

فلما وصلها الصليبيون كان عدد اليهود فيها قليلاً جداً بحيث أمكن حشرهم كلهم في الكنيس وحرقها على رؤوسهم • وكان صلاح الدين هو الذي سمح لبعض اليهود أن يُقيموا في المدينة بعد أن خلّصها من أيدي الصليبيين ، فظلّت أقلية من اليهود فيها في عهد سلاطين المماليك وسلاطين آل عثمان • ولهؤلاء فضل عظيم على اليهود الذين طردوا من اسبانيا ، بالسماح لهم بدخول أملاك الدولة العثمانية ومنها مدينة القدس • وقد أقاموا فيها في الناحية الجنوبية الغربية،بين حي الأرمن في الغرب وحي الشرف في الشرق ، في بعض المساكن حول كنيس لهم • لكن معظم مساكنهم كانت مستأجرة من متولي الوقف الاسلامي في حي الشرف وما جاوره •

وفي القرن التاسع عشر جاء الى القدس مهاجرون من يهود شرقي أوربا يختلفون اختلافاً كبيراً عن أولئك الذين جاءوا من اسبانيا ، وعن الشرقيين الذين كانوا في المدينة منذ عهد صلاح الدين • ولكن اليهود من جميع الطوائف الذين اختاروا الاقامة في القدس لأسباب دينية كانوا محافظين على دينهم وتقاليدهم ، ومن هذه عادة البكاء على خراب الهيكل عند جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف ، اعتقدوا أن خمسة مداميك في أسفله هي بقايا حائط الهيكل الذي دمره الرومان • ولكن هذا الجزء من الحائط عينه هو حائط البراق عند المسلمين • ومع هذا تسامحوا وتساهلوا ، وظنوا أن لاضرر من أقلية ضئيلة مستضعفة يقف بعض أفرادها على رصيف ضيق أمام الجانب الخارجي من جزء من حائط الحرم الشريف للبكاء والصلاة ، مع أن مكان الوقوف هذا هو طريق بعض المغاربة الى بيوتهم على أرض الوقف الاسلامي ، وهذا المكان هو زقاق غير نافذ يُتَوصّل اليه من جهة الشمال فقط ، وأرضه جزء من أرض

وقف الملك الأفضل (الذي عُرف تجوّزاً بوقف أبي مدين) .

وعُرف هذا الزقاق أيضاً بحوش البراق ومبكى اليهود . وعرضه أقل من أربعة أمتار وطول المكشوف من الحائط أمامه أقل من ثلاثين متراً، فتكون مساحته مئة وعشرين متراً مربعاً تقريباً . وكان مبلّطاً بالحجارة كسائر شوارع المدينة وأزقّتها . وفي سنة ١٨٤٠ عندما كانت القدس تحت حكم محمد علي باشا والي مصر بنتيجة ثورته على السلطان العثماني محمود الثاني ، قدّم يهودي تحت الحماية البريطانية طلباً بواسطة القنصل البريطاني يرجو فيه السماح له بإعادة تبليط الرصيف (الزقاق) . ولم يكن الطالب عثمانياً ، ولم يكن لرئيس الحاخامين المعترف به رسمياً يد في هذا الطلب ، بل كان محاولة أجنبية لتغيير عادة قديمة نشأت من تسامح المسلمين مع الأقلية اليهودية .

ونظر المجلس الاستشاري في الطلب لأنه جاء بواسطة قنصل دولة عظمى ، وسمع شهادة متولي الوقف وشهادة غيره،ثم أوْصى برفض الطلب. وأرسلت أوراق القضية الى القاهرة ، فأمر محمد علي باشا بتنفيذ توصية المجلس الاستشاري ، وأرسل أمره هـذا الى ابنه ابراهيم باشا ، القائد العام لجيشه في سورية ، وهذا بدوره بلّغه الى الحاكم العام الذي كان مقره في دمشق ، ومن الحاكم العام وصل الأمر الى متَسَلّم (مُتصرّف) القدس . وفيما يلي نصه بلغة ذلك الزمان واصطلاحاته وطـرق كتّاب الدواوين في التنقيط أو عدمه[٨] :

« افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام أخينا السيد أحمد آغا دزدار

(٨) الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا لجامعها ومحررها أسد رستم (بيروت ، ١٩٣٤) ج ٥ ص ٧٨ .

متسلم القدس الشريف حالا

انه ورد لنا أمر سامي سر عسكري[٩] مضمنه صورة ارادة شريفة خديوية[١٠] صادرة لدولته يعرف مضمونها العالي انه قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعين تبليطه اليهود هو ملاصق الى حايط الحرم الشريف والى محل ربط البراق وهو كاين داخل وقفية حضرة أبو مدين (قدس الله سره) وما سبق لليهود تعمير هكذا اشيا بالمحل المرقوم ووجد أنه غير جايز شرعا • فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهـود بتبليطه وان يتحذروا اليهود من رفع الأصوات وإظهار المقالات ويمنعوا عنها فقط ليعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم • وصادر لنا الامر السامي السر عسكري بإجرا العمل بمقتضى الارادة المشـار إليها فبحسب ذلك اقتضى افادتكم بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا إجرا العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم •

في ٢٤ را[١١] سنة ١٢٥٦ (الختم) محمد شريف »

تثبت هذه الوثيقة أن اليهود أزعجوا المغاربة في بيوتهم « برفـع الأصوات وإظهار المقالات » • وقد ازدادت شـكوى المغاربة من اليهود بمرور الزمن ، وتفاقم أمرها في عهد الانتـداب البريطاني حتى آدت الى

(٩) «سر عسكر» بالتركية معناها « القائد العام »•

(١٠) « الخديوي » بالفارسية معناها « الملك » • وقد اتخذ محمد علي هذا اللقب بصورة غير رسمية • وأول من ناله من عائلة محمد علي بصورة قانونية هو اسماعيل باشا في سنة ١٨٦٧ •

(١١) « را » هي اختصار ربيع الاول من سنة ١٢٥٦ •

سفك الدماء . وكان مسببي الشكوى بعض اليهود من الأجانب الذين جاءوا قبيل إعلان أهداف الصهيونية وبعيده ، فهم الذين أرادوا إكساب المبكى أهمية سياسية ، فحرضوا المتدينين من أبناء جلدتهم على مخالفة العرف ، ولو كان في ذلك مقابلة إحسان المسلمين بالإساءة . والغريب ان المحرضين لم يكونوا من المصلين ، إذ لا أثر لصنفهم ، باللباس الأوربي، في صور المبكى الموجودة في كتب المؤرخين والرحالة ، من منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني . فهذه الصور تبيّن رجالاً طاعنين في السن كثيفي اللحى وعليهم ألبسة فضفاضة وعلى رؤوسهم قلانس من الفرو ، في ناحية من المبكى ، ونساءً عليهن أيضاً ألبسة فضفاضة وعلى رؤوسهن خرق كبيرة ، في ناحية أخرى من المبكى (وذلك اتباعاً لعادتهم في فصل الرجال عن النساء عند الصلاة) . وتبيّن هذه الصور أيضاً بعض الرجال والنساء واقفين ووجوههم نحو الحائط ، وبعضهم جالسين على أرض الرصيف أمام الحائط دون شيء مفروش تحتهم .

وفي سنة ١٩١١ حاول اليهود إحداث بدعة في المبكى بإحضار كراسي لجلوسهم وستار لوضعه بين الرجال والنساء . فعرقل ذلك طريق المغاربة الى بيوتهم ، فشكى متولي الوقف من ذلك بكتاب الى القاضي الشرعي، فحوّل هذا الشكوى مع ملاحظاته الى مجلس ادارة لواء القدس . فأقر المجلس عدالة الشكوى وحوّل الأوراق الى المتصرف العثماني لتنفيذ القرار . وهذا كله واضح في الوثيقة الآتية التي نثبتها دون إصلاح لغتها وإملائها(١٢) :

(١٢) الوثيقة مسجلة في دائرة الاوقاف بالقدس تحت رقم ١٨٦٠ وتاريخ ١٢تشرينالاول من السنة المالية العثمانية ١٣٢٧ .

« إن متولي أوقاف أبي مدين الغوث شعيب (قدس الله سره) قد رفع استدعاء يبين فيه ان افراد الطائفة اليهودية الذين جرت عادتهم بالذهاب الى الحائط المعروف بالبراق الكائن خارج الحرم الشريف في القدس الشريف لجهته الغربية على ان يبقوا في اثناء زيارتهم واقفين على اقدامهم اخذوا اخيرا خلافا للعادة يجلبون كراسي للجلوس عليها اثناء زياراتهم • وبما ان البراق من املاك الوقف المذكور اعلاه ويؤدي الى زقاق غير نافذ فقد طلب المتولي المشار اليه توقيف هذه الحالة حالا تجنباً لادعاء اليهود في المستقبل بملكية المكان •

« وعند تقديم الاستدعاء السابق الذكر بيَّن فضيلة المفتي ودائرة الأوقاف والمحكمة الشرعية في مطالعاتهم على الاستدعاء المشار اليه بأن الوقف المذكور كائن داخل المسقفات المجاورة لحائط المسجد الاقصى الشريف من جهته الغربية وهو عبارة عن زقاق غير نافذ عائد للوقف المذكور وانه محظور بموجب الشرع من جميع الوجوه وضع كراسي او ستار او اشياء اخرى من هذا القبيل او احداث اي بدعة مما يدل على الملكية وانه ليس لأحد الحق في وضع اشياء كهذه او احداث اية بدعة مما يؤول الى احتلال موقع حائط المسجد الاقصى الشريف وانه يجب اتخاذ التدابير لمنعهم •

« وبعد المذاكرة في الأمر قرر المجلس في عدم السماح بوضع أشياء تعتبر بأنها من دلائل الملكية سواء في الوقف المذكور أو عند حائط الحرم الشريف وأنه يجب ان لا تعطى فرصة لأحد بوضع اشياء كهذه ومن الضروري المحافظة على العادة القديمة •

« وعليه نرفع هذا الاستدعاء المذكور مع ملحقاته الى سعادة المتصرف

لاجراء الايجاب .»

أكّدت وثيقة سنة ١٨٤٠ ووثيقة سنة ١٩١١ أن حائط البراق له علاقة متينة بإسراء رسول الله الى القدس ، وأن الأرض الواقعة الى الغرب منه هي وقف إسلامي ، وان أرض الزقاق (الرصيف) الواقعة أمام الحائط، والتي عرفت بمبكى اليهود ، هي جزء من ذلك الوقف ، وان المغاربة المقيمين على تلك الأرض لهم حق الانتفاع من الوقف ، وانه لم يسمح لليهود إلا بزيارة المكان « على الوجه القديم » أو « العادة القديمة » .

هذا هو الوضع الشرعي القانوني عندما انتهى الحكم العثماني وبدأ الحكم البريطاني في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٧ ، وكانت الحكومة البريطانية قبل ذلك بنحو شهر ، أي في الثاني من شهر تشرين الثاني ، وعدت اليهود تسهيل انشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

- ٣ -

كان معظم اليهود في القدس عند إصدار وعد بلفور غير صهيونيين، بل كان كثير منهم يعارضون الصهيونية ، لأنهم كانوا يعتقدون ان إحياء اسرائيل يتوقف على إرادة الله لا على جهد مخلوقاته . ومن الوسائل التي اتخذها الصهيونيون لإغراء اليهود المتدينين أنهم وعدوا السعي لأخذ حائط البراق (المبكى) من المسلمين . وتسرع حاييم وايزمَن رئيس اللجنة الصهيونية ، التي ذهبت الى فلسطين بعد خمسة أشهر من إصدار وعد بلفور ، فكتب الى وزير الخارجية البريطانية يطلب « تسليم » الحائط لليهود وإجلاء المغاربة عن أرض الوقف التي أمامه لقاء تعويض مالي . وفي

الوقت نفسه عرض وايزمـن على المفتي ، بواسـطة الحاكم العسكري البريطاني ، « شراء » أرض الوقف هذه ، وأرسل يهوديا مغربيا الى متولي الوقف المغربي وحاول إغراءه بالمال • وكان جواب المفتي وجواب المتولي واحداً : أرض الوقف لاتباع ، وأرض هذا الوقف لها مكانة خاصة عند المسلمين فبيعها مستحيل • وعلم المسلمون بهذه المحاولات فهاجوا وألفوا لجنة لحماية البراق واحتجوا ووصل احتجاجهم الى لندن مع تقرير من السلطات العسكرية تحذر من عواقب ما حاوله الصهيونيون ، فجاء أمـر من لندن بوجوب إغلاق الموضوع •

ولكن اللجنة الصهيونية لم تقبل النصيحة ، وادّعت بكتاب رسمي الى السلطات العسكرية « ان الحائط ملك لجميع يهود العالم » وأعادت طلب تسليمه الى اليهود[١٣] • وحـرّض الصهيونيون بعـض أعوانهم لمحاولة تغيير الحالة الراهنة عند الحائط ، واستمر التحريض والاستفزاز عدة سنوات ، فطلبت حكومة فلسطين من العرب واليهود أن يقدموا ما عندهم من الوثائق المتعلقة بالمكان ، فقدم المجلس الاسلامي الأعلى عدداً من الوثائق الشرعية ومنها ما أثبتْناه في هذه المقالة ، ولكن اليهود عجزوا عن تقديم أي شيء ، بل أخذوا يضلّلون الرأي اليهودي بحملة صـحافية شديدة ، تلتْها مظاهرة أفراد الجيش الصهيوني السري أمام الحائط ، ورفع العلم الصهيوني هناك ، وإنشاد النشيد الوطني الصهيوني ، والهتاف « هذا الحائط ملكنا » • فكان ذلك الشرارة التي أشعلت نار الاضطرابات الدموية في آب ١٩٢٩ •

---

(١٣) ورد ذلك في تقريرين كتبهما الجنرال السير لويس بولز في ٧ و ٢٩ حزيـران سنة ١٩٢٠ • وهما محفوظان في دار الوثائق العامة بلندن تحت رقمي : Fo/371/5114 and 5270

وجاءت لجنة بريطانية للتحقيق فأوصت في تقريرها وجوب إرسال لجنة أخرى دولية للنظر في مسألة حائط البراق فقط ، فعيّنت الحكومة البريطانية ، بموافقة مجلس جمعية الأمم ، لجنةً رئيسها إليل لُفغْرِن، وزير خارجية السويد سابقاً مع عضوين أحدهما سويسري وثانيهما هولندي • وزارت هذه اللجنة القدس وسمعت شهادات من العرب واليهود ، وأصدرت تقريرها في كانون الأول سنة ١٩٣٠ ، وهذه أهم قرارات اللجنة في ذلك التقرير :

(١) للمسلمين وحدهم حق ملكية الحائط الغربي لأنه جزء من ساحة الحرم الشريف ، وهي ملك من أملاك الوقف الاسلامي •

(٢) للمسلمين وحدهم حق ملكية الرصيف (الزقاق) الواقع بين الحائط وحي المغاربة المقابل له ، لأنه جزء من وقف صحيح بحسب الشريعة•

(٣) لليهود حرية الوصول الى الحائط الغربي لأجل الصلاة وإحضار أدوات ضرورية للصلاة (ذكرها التقرير تفصيلاً) ، لكنه لا يجوز لهم إحضار مقاعد أو كراسي أو حُصُر أو ستائر أو ما شابه ذلك •

(٤) لايجوز أن يُعْتبر السماح بإحضار الأدوات اللازمة للصلاة ووضعها بجانب الحائط حجة لليهود لادّعاء شيء من الملكية في الحائط أو الرصيف (الزقاق) الواقع أمامه[١٤] •

ووافق مجلس جمعية الأمم ، كما وافقت الحكومة البريطانية (الدولة المنتدبة من جمعية الأمم لإدارة فلسطين) على قرارات اللجنة كما وردت في تقريرها دون تغيير • وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها ، وبناء

(١٤) عنوان هذا التقرير طويل جدا يقع في سبعة أسطر مطبوعة باللغة الانكليزية : ونشير اليه بقولنا « تقرير لجنة لُفغرن عن حائط البراق » : وقد طبع في مطبعة الحكومة في لندن سنة ١٩٣١ • وقرارات اللجنة موجودة على صفحة ٥٧ وما يليها •

على هذا الأمر أصدرت حكومة فلسطين عدداً خاصاً من الجريدة الرسمية جعلت هذا الأمر نافذاً من اليوم الثامن من شهر حزيران سنة١٩٣١ • ولم يحدث حتى انتهاء الانتداب البريطاني ما خالف نصوص هذا الامر •

لكن بريطانيا عجزت عن حل مسألة فلسطين السياسية التي خلقتها هي بإعطاء وعد بلفور ، وأخيراً اضطرت الى إنهاء انتدابها على فلسطين دون أن تسلّم السلطة الى حكومة وطنية ، بل أحالت القضية الى منظمة الأمم المتحدة (التي خلفت جمعية الأمم في مسألة الانتداب) ، فقررت الجمعية العمومية للمنظمة ، بضغط شديد من حكومة الولايات المتحدة على حكومات بعض الدول الصغيرة ، تقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ، مع منطقة مستقلة عنهما لها حاكم تعينه الأمم المتحدة ، وتشمل القدس وبيت لحم والقرى التي حولهما • وكان قرار التقسيم هذا سبباً في نشوب حرب أهلية بين العرب واليهود ، حاول الأولون فيها منع التقسيم والآخرون تنفيذه • ثم تدخلت الدول العربية بجيوشها لمنع التقسيم وإقامة دولة يهودية فأخفقت • وعندما انتهت الحرب كانت الدولة اليهودية (اسرائيل) تحتل من فلسطين مساحة أوسع بكثير من نصيبها بحسب خطة التقسيم ، ومن تلك المساحة المحتلة الأحياء العربية خارج سور مدينة القدس الى الغرب والجنوب • أما الباقي من أرض فلسطين فقد ضُمّ الى المملكة الاردنية الهاشمية ، ومن ذلك الباقي مدينة القدس القديمة داخل الأسوار ، والأحياء العربية الى الشمال والشرق ، وكذلك حي اليهود داخل السور ، فقد حصّنه اليهود وحاربوا العرب الى أن سقط بيد الجيش الأردني بعد خراب كنسه ، فخرج من بقي فيه من اليهود الى اسرائيل ، وأصبح خالياً •

والمشهور أن الصهيونية طمعت في جميع أرض فلسطين (يسمونها أرض اسرائيل) ، فظلت الدولة اليهودية تتحين الفرص لتحقيق ذلك ، الى أن احتلت ما ضُمّ من فلسطين الى الاردن في حزيران سنة ١٩٦٧ ، ومن هذا القسم المحتل مدينة القدس القديمة وفيها الحرم الشريف وكنيسة القيامة . وكان احتلال القدس في يوم الاربعاء في السابع من حزيران . وفي الايام الاربعة التالية ، بعد انتهاء الحرب في المدينة ، تآمر وزير الدفاع الاسرائيلي مع رئيس بلدية القسم اليهودي من المدينة ، فأَخْرج الجيش الاسرائيلي بالقوة جميع سكان حي المغاربة (٦٥٠ نفساً) من بيوتهم بعد إنذار ساعتين فقط ، وفي يومين هدموا جميع مباني الحي بالديناميت والجرافات ونقلوا الركام بسيارات الجيش ، وخرّبوا جميع مباني الحي من المعالم الاسلامية ومنها جامعين وزاويتين ، وأزالوا كل آثر عربي على الأرض التي أوقفها الملك الأفضل قبل سبعمئة سنة . فزاد هذا العدوان الاسرائيلي على الاسلام وأماكنه المقدسة وأوقافه على ما فعله الصليبيون في سنة ١٠٩٩ للميلاد ، وأشبه ما اقترفه التتار من الجرائم في بغداد في سنة ١٢٥٨ للميلاد .

ولم يكن لهذا العدوان من سبب حربي ، فقد انتهت مقاومة الجيش الأردني في السابع من شهر حزيران . لقد حارب جنوده كالأسود من شارع الى شارع ، بل من بيت الى بيت ، خارج سور المدينة ، الى آخر لحظة ، ثم تقرر عدم الحرب داخل المدينة القديمة احتراماً لما فيها من الاماكن المقدسة . وهذا هو عين ما فعله الاتراك في سنة ١٩١٧ ، فقد حاربوا الجيش البريطاني حرب الأبطال خارج مدينة القدس ، ثم بلّغوا القيادة البريطانية ، بواسطة رئيس البلدية ، انهم سحبوا جيشهم من المدينة

احتراماً لقداستها وحرصاً على حماية الأماكن المقدسة فيها من الضرر . (قابل هذا وذاك بما فعله اليهود في سنة ١٩٤٨ فقد حاربوا داخل المدينة حتى من داخل الكنيس !) .

والغرض من العدوان الاسرائيلي ، بعد انتهاء الحرب وخلافاً للقانون الدولي الذي يحتّم على المحاربين احترام الأماكن المقدسة ، ويحرّم هدم الأماكن التاريخية ، واضح ، وهو اغتصاب أرض الوقف الاسلامي التي حاول الصهيونيون « شراءها » مدة نصف قرن ، وتحويل مكان حي المغاربة الى ساحة واسعة أمام ما كشفه هدم المباني من الحائط الغربي للحرم الشريف ، بين باب المغاربة في الجنوب وباب السلسلة في الشمال ، واستعمال هذه الساحة للتجمع أكثر من الصلاة . أما حائط البراق والأجزاء من الحائط الغربي للحرم الشريف التي كشفت بهدم المباني ، فقد وُضع تحت إشراف السلطات الدينية اليهودية ــ هذا المكان الذي شرّفه رسول الله ليلة الإسراء !

وأسرعت اسرائيل ، رغم نصيحة الدول المحايدة وبعض الدول الموالية لها ، فأعلنت في ٢٧ حزيران ضمّ مدينة القدس القديمة وما حولها من القرى العربية الى اسرائيل (ولم يكن في المدينة أو في القرى يهودياً واحداً !) ، وألغت البلدية العربية ، وأخذت تُرهِب السكان للخروج من المدينة ، وتسلب بيوتهم وأراضيهم لإقامة مهاجرين جيء بهم لتكثير عدد اليهود في المدينة . وبالغت اسرائيل في احتقار القانون الدولي والرأي العالمي عندما رفضت تنفيذ قرارين اتخذتهما الجمعية العمومية وأربعة قرارات اتخذها مجلس الأمن للأمم المتحدة[١٥] . وكل هذه القرارات

---

(١٥) كان قرارا الجمعية العمومية في ٤ و ١٤ تموز سنة ١٩٦٧ ، وكان اول قرار من قرارات مجلس الامن في ٢١ ايار سنة ١٩٦٨ .

أكدت مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض بواسطة الحرب ، كما أكّدت أن جميع ما اتخذته اسرائيل من تدابير تشريعية وإدارية (ومنها استملاك الأرض ونقل السكان) لتغيير صفة مدينة القدس ، تُعتَبَر لاغية •

ولم تلتفت اسرائيل الى هذه القرارات ، واستمرت في تهويد القدس بسلب الأملاك وهدم المباني وإخراج السكان • ففي ١٨ نيسان سنة ١٩٦٨ نشرت الجريدة الرسمية الاسرائيلية أمراً باستملاك جميع الأرض (ومساحتها ٢٩ فداناً) الواقعة بين الحائط الغربي للحرم الشريف في الشرق وحي الأرمن في الغرب ، وهذه المساحة تشمل مكان حي المغاربة الذي هدم ، وأرض حارة الشرف الى غربه ، وأرض حارة اليهود التي معظمها وقف إسلامي • وقد نُفِّذَ هذا الأمر حالاً دون إبطاء أو إعطاء إنذار لمدة قصيرة ، فنشأ عنه إخراج ستة آلاف عربي من بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ، واخراج خمسة آلاف عربي آخر كان الجيش الاسرائيلي قد طردهم من قراهم فأسكنهم أهل القدس القديمة في الحي اليهودي الخالي من السكان ، أي إن هؤلاء اللاجئين قد أخرجهم الاسرائيليون بالقوة من بيوتهم مرتين •

وفي سنة ١٩٦٩ صودرت « دون استملاك » قطعتان من الأرض ملاصقتان لحائط الحرم الشريف من جهة الغرب ، كان على أحدهما (بقرب باب المغاربة) الزاوية الفخرية (مقر مفتي الشافعية) وبيوت آل أبي السعود من خدام الحرم الشريف على مدى قرون ، ثم بعد المصادرة حالاً هُدمت الزاوية وبيوت آل أبي السعود لتوسيع منطقة الساحة الجديدة الى الغرب من حائط البراق • أما القطعة الثانية فتقع بقرب باب السلسلة وعليها بناء أثري مهم وهو المدرسة التَّنْكُزِيَّة (بنيت في سنة

٧٢٩ للهجرة = ١٣٢٨ للميلاد) ، وكان البناء في عهد الاتراك مقراً للمحكمة الشرعية ، وصار في عهد الانتداب البريطاني منزلاً لرئيس المجلس الاسلامي الأعلى . وقد حفر الاسرائيليون تحت هذا البناء نفقاً وأخذوا يقيمون الصلاة فيه ، زعماً منهم أن ذلك المكان يقابل قدس الأقداس في هيكلهم الذي هدمه الرومان .

* * *

وبعد كتابة الرسالة الأصلية المطولة عن مصير الوقف وصلنا من زميل في القدس فصل من كتاب لمؤلف اسرائيلي ترجم الى اللغة العربية[١٦] . وهذا الفصل فيه مايثبت أنه كان في حي المغاربة قبل هدمه ١٣٠ عائلة عربية، وأن المتآمرين على الهدم عرفوا حق المعرفة أن حي المغاربة وقف إسلامي وأرضه لها علاقة بإسراء رسول الله الى بيت المقدس ، وأن الهدم كان بموافقة الجيش الاسرائيلي ومؤازرته دون أمر سابق من الحكومة ، وأن رئيس بلدية القسم الاسرائيلي من المدينة كان على رأس المتآمرين مع وزير الدفاع الاسرائيلي، وأن سكان حي المغاربة رفضوا الخروج فأُخْرِجوا بالقوة ، إذ هُدمت بعض أجزاء بيوتهم ، وهم فيها ، بالجرّافات ، وأن بيت الحاجّة رسمية علي طَبَعْكي هُدم وهي فيه وأُخرجت منه في دور النزع وماتت دون إسعاف طبي ، وأن وزير الدفاع رأى فظاعة الهدم فأمر بمنع الأجانب من مشاهدته، وأن الحاكم العسكري كان يعلم أن أكثرية الأرض والأملاك في الحي اليهودي كانت للوقف الاسلامي وان أملاك اليهود فيه كانت قليلة جدا ، وانه مع ذلك أخرج خمسة آلاف عربي منه بالقوة والارهاب .

---

(١٦) عنوانه « القدس مدينة بلا أسوار » لمؤلفه عوزي بنزيمان : ترجمه محمد ماضي (القدس ، ١٩٧٤) ، وعنوان الفصل المذكور « الجرّافة » ، ص ٤١ ــ ٤٨ .

كل ما تقدم يبين خطورة اعتــداء اسرائيل على حائط البــراق ، واغتصاب أراضي الوقف الاسلامي ، وهدم كثير مــن المعالم الاسلامية والآثار العربية ، وتغيير صفة مدينة القدس العربية بذلك كله وبإخراج السكان العرب منها . وهذا كما بيّن المحايدون وكما قررت منظمة الأمم المتحدة يخالف نصوص القانون الدولي في الحرب والسلم ، ولاينطبق على العُرْف الانساني عند الأمم المتمدنة في الشرق والغرب .

أما لهذا الليل من آخر ؟

لندن : **عبد اللطيف الطيباوي**

أسماء أجزاء العين
في العلم واللغة

الدكتور ميشيل الخوري

يتفق حنين بن إسحق[1] في كتابه العشر مقالات في العين والرئيس ابن سينا[2] في كتاب القانون وعبد الملك بن زهـر[3] في كتاب التيسير في المداواة والتدبير وداود الانطاكي[4] في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب وسواهم من المؤلفين المتقدمين على استعمال ألفاظ واحدة لتسمية الأجزاء التي تتركب منها عين الانسان ، ولتسمية عـدد كبير من الامراض التي كانوا يزعمون أن العين تصاب بها •

قال حنين في كتابه (ص ٧٤ و ٧٥) ان في العين ثلاث رطوبات وست طبقات هي كما يلي[5] :

أولا ـ الرطوبات :

١ ــ الرطوبة الجليدية

٢ ــ الرطوبة الزجاجية

٣ ــ الرطوبة البيضية

ثانيا ـ الطبقات :

١ ــ الطبقة الشبكية

٢ ــ الطبقة المشيمية

٣ ــ الطبقة الصلبة أو الغشاء الصلب •

٤ ــ الطبقة العنبية

٥ ــ الطبقة القرنية أو الحجاب القرني
٦ ــ الطبقة الملتحمة أو الغشاء الملتحم

وأورد ابن سينا في القانون (الكتاب الثالث ص ٣٣٣) أسماء رطوبات العين وطبقاتها على النحو التالي :

أولا ــ الرطوبات :

١ ــ الرطوبة الجليدية
٢ ــ الرطوبة الزجاجية
٣ ــ الرطوبة البيضية

ثانيا ــ الطبقات :

١ ــ الشبكية أو الشبكي
٢ ــ المشيمي أو المشيمية
٣ ــ الطبقة القرنية أو القرني
٤ ــ الطبقة العنبية
٥ ــ الطبقة الصلبة
٦ ــ الملتحم

وأورد ابن زهر في كتاب التيسير (الورقة ١٧/و من نسخة باريس) أسماء رطوبات العين وطبقاتها هكذا :

أولا ــ الرطوبات :

١ ــ الرطوبة الجليدية
٢ ــ الرطوبة الزجاجية
٣ ــ الرطوبة البيضية

ثانيا ـ الطبقات :

١ ـ طبقة تلي القحف
٢ ـ طبقة شبيهة بالمشيمة
٣ ـ طبقة شبيهة بالشبكة أو الشبكي
٤ ـ طبقة شبيهة بالعنبة أو العنبي
٥ ـ الطبقة القرنية أو القرني
٦ ـ الملتحم

تتبين مما ذُكِر أن ابن سينا وابن زهر سميا أجـزاء العين بنفس الاسماء التي استعملها حنين مع يسير من التغيير في بعض منها • وقـد يتساءل المرء تلقاء ذلك عن المصدر الذي استقى منه حنين هذه الاسماء التي أطلقها على أجزاء العين ، هل اقتبسها من بني قومه النساطرة الذين سبقوه في الترجمة من اليونانية الى السريانية والعربية ، أم نقلها عمن سبقه من قدماء الأطباء الذين ألّفوا في أمراض العين ، أم ترجمها عن اليونانية في جملة عشرات الكتب التي ترجمها عن هذه اللغة • لا جـرم أن هذه الأسئلة الثلاثة مما تمكن الاجابة عنه بالإيجاب ، فإن النساطرة السريان الذين كانوا يقطنون البلاد المعروفة بما بين النهرين ، نظراً لعلاقاتهم الدينية والثقافية والاجتماعية بالدولة البيزنطية قبل الاسلام وبعده ، بدأوا الترجمة من اليونانية الى السريانية والعربية قبل زمن حنين الذي كان من أهـل القرن الثالث الهجري •

أما ان حنيناً قد يكون اقتبس مصطلحاته أو جانبا منها ممن سـبقه من الأطباء الذين ألّفوا في أمراض العين فذلك ممكـن أيضاً لأن أستاذ حنين وهو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه (١٩٠ـ٢٤٢هـ/٧٧٧ـ٨٥٧م)

ألّف في أمراض العين كتاباً عنوانه دغَل العين • وعلى ماذكره مايرهوف في تحقيقه لكتاب العشر مقالات في العين (ص ٦) يعدّ هذا الكتاب أقدم الكتب التي صنفت في أمراض العين • ومع أنه رديء اللغة فإنه يحفـل بالكثير من المصطلحات اليونانية والسريانية والفارسية فليس ببعيد اذن أن يكون حنين قد اقتبس منه جانباً من المصطلحات التي استعملها في كتابه•

أما داود الأنطاكي فإنه في تذكرته ذكر أكثر أسماء رطوبات العين وطبقاتها ، وهي التي قد تصاب فيتناولها بالمعالجـة ، وأما تلك التي كان يزعم بقاءها سليمة من العلل ، وهي الرطوبة الزجاجية والطبقة الشبكية فإنها لم ترد في كلامه •

ويلوح لي ان حنيناً ترجم عن اليونانية أكثر المصطلحات العربية التي وردت في كتابه • ومما يدعو الى ترجيح هذا الرأي على سواه ان حنينـاً حين إيراده أسماء أجزاء العين ، شفع كل اسم منها بما يقابله باللغة اليونانية التي نقل عنها • وفي ذلك يقول مايرهوف (ص٥٨ ـ ٥٩) : « ان مؤلف العشر مقالات كان يملك ناصية العربية كما كان على علم بالاصطلاحات الفنية اليونانية • وقد نسخ أطباء العيون العرب حتى القرن التاسع بأمانة كثيراً من الاصطلاحات اليونانية عن كتاب حنين بغية إعطاء نسخهم مظهر الثقة العظيمة » •

ومما لا ريب فيه أن الاسماء العربية لأجزاء العين كما ذكرها حنـين ابن إسحق في كتاب المقالات العشر (ص ٧٤) هي ترجمة صحيحة للأسماء اليونانية التي وضعها اليونانيون لتسمية تلك الأجزاء وذلك بحسب ماكانوا يعرفونه عن تركيبها التشريحي • ولكن بعد أن أثبت علماء القرن السادس عشر أن من أجزاء العين ما جهل القدماء حقيقة بنيته التشريحية فأطلقوا

عليه أسماء خاطئة فإنهم استبدلوا من الأسماء اليونانية القديمة أسماء لاتينية صحيحة من الوجهة التشريحية وهذه بدورها وضع لها ما يقابلها من الاسماء العربية الصحيحة •

ويهمنا في هذا البحث أن نورد أسماء أجزاء العين كما ذكرها حنين ابن اسحق وسواه من القدماء ، وأن نذكر أسماءها اليونانية على النحو الذي ذكره حنين ومايرهوف على أن نشير بخاصة الى ما انتقل من هذه الاسماء الى اللغات الأوربية وما حوله أو أهمله الأوربيون منها فيما وضعوه من المصطلحات • وقبل التنقيب عن الأصول التي اقتبست منها أسماء رطوبات العين وطبقاتها كما ذكرها حنين وأعاد ذكرها ابن سينا بعده بنحو قرنين وابن زهر بعده بنحو ثلاثة قرون نرى من المجدي أن نبحث عن الأصل الذي اقتبست منه الكلمة رطوبة لإطلاقها على كل من الأجسام السيالة وشبه السيالة التي تتركب منها العين وذلك كما يلي :

أصل الكلمة « رطوبة » :

قال حنين في كتابه العشر مقالات في العين (ص ٧٣) : « نجد العين انها مركبة من أجزاء كثيرة مختلفة وليس بجميع أجزائها يكون البصر بل بالرطوبة الشبيهة بالجليد • »

وقال ابن سينا في القانون (٣ : ٣٣٣) : « وإذا انحدرت العصبة والأغشية التي تصحبها الى الحجاج اتسع طرف كل واحد منها وامتلأ وانبسط اتساعاً مخيفاً بالرطوبات التي في الحدقة التي أوسطها الجليدية • »

وقال ابن زهر في كتاب التيسير (الورقة ١٧/و من نسخة باريس): « وللعين رطوبات أشرفها الجليدية وهي الآلة للإبصار • »

ولم ترد الكلمة « رطوبة » في معجم تاج العروس للدلالة على أحد أجزاء العين أو أنها لم ترد بالمعنى الذي أراده حنين وغيره ممن ألّفوا في أمراض العين فقد جاء في هذا المعجم : « الرطب بالفتح ضـد اليابس . والرطب من الغض والريش ونحوه الناعم . ورطب ككرم وسمع يرطُب رطوبة ورطابة فهو رطب ورطيب . ونقل شيخنا عن أبي الريحان (أي البيروني) في كتاب الجماهر : قولهم في اللؤلؤ رطب كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ونَعَمة البشرة وتمام النقاء . وليس نعني بالرطوبة ضد اليبوسة » . وعليه فإن حنيناً حين استعماله كلمة الرطوبة عنى بها ضـد اليبوسة وقد يكون عنى بها الرونق والنقاء وتلك صفة الأجسام المائعـة وشبه المائعة التي تتركب منها العين .

ومن ناحية ثانية يتبين لدى مراجعة الترجمة الانكليزية التي وضعها مايرهوف لكتاب العشر مقالات انالكلمة رطوبة العربية مترجمة عن الكلمة hygron اليونانية ومعناها الرطوبة التي هي ضد اليبوسة . ومما يدل على صحة هذه الترجمة أن مايرهوف حين الحاجة كان يتحقق صحة ترجمته بمراجعة مؤلفات جالينوس باللغة اليونانية ، وهي الأصول التي نقل عنها حنين كتابه المقالات العشر . على أن مايرهوف لم يلجأ الى الأصل اليوناني لترجمة الكلمة « رطوبة » الى الانكليزية بل استعمل الكلمة humour وهي الكلمة اللاتينية التي انتقلت الى الانكليزية لتسمية أي من الموائع وأشباه الموائع التي يشتمل عليها البدن كما أنهـا استعملت في المؤلفات والمعجمات الحديثة لتسمية رطوبة المقلة . فقد جاء في معجم دورلند الطبي أن رطوبة العين تقابلها الكلمة humor . وأشار هذا المعجم بخاصة الى أن للعين رطوبتين اثنتين هما الرطوبة المائية (الرطوبة البيضية عند حنين)

والرطوبة الزجاجية . وأما ما سمي بالرطوبة البلورية (الرطوبة الجليدية عند حنين) فهو العدسة أو العدسة البلورية . هذا فضلا عن أن الكلمة humor أطلقت في الأصل على أحد الأخلاط الأربعة التي كان القدماء يعتقدون أن على توازنها وتناسبها تقوم صحة البدن ، وهي الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء . ولذلك فإن بعض الكتاب العرب المحدثين أهملوا الكلمة « رطوبة » لترجمة الكلمة humor واستعملوا في ترجمتها كلمة الخلط فقالوا أخلاط العين ولم يقولوا رطوبات العين على ما سبقت الإشارة إليه . وأما الكلمة خلط فقد يكون العرب ترجموها قديماً عن الكلمة hygron اليونانية .

وجاء في معجم دورلند ان الكلمة humor لاتينية ومعناها سائل . وفي معجم وبستر ان هذه الكلمة قد تكتب humour وخاصة في بريطانيا وهي من الانكليزية الوسطى (ME) humour وهذه من الفرنسية الوسطى (MF) humeur . وهذه من اللاتينية القديمة (L) humor عن طريق لاتينية العصور الوسطى (ML) وتعني الرطوبة moisture . وهي تمت بقرابة الى الفعل اللاتيني humere ومعناه رَطُبَ والى الصفة اليونانية hyg'ros ومعناها رَطْب .

ويعسر أن يُعرف بالضبط متى أطلقت الكلمة humor اللاتينية التي تعني الرطوبة على رطوبات العين أو على أخلاطها ، ولكن يمكن أن يقال بالتقريب إن ذلك كان بعد القرن التاسع أي بعد العصر الذي أطلقت فيه الكلمة اليونانية hyg'ron التي تعني الرطوبة على كل من رطوبات العين، وذلك على ما يستنتج مما ذكره مايرهوف في ترجمته الانكليزية لتحقيقه لكتاب العشر مقالات في العين (١٨٩) . على أنه استطاع

أن يعرف بالتقريب متى استعمل المؤلفون الغربيون لأول مرة الكلمة humor لتعني إحدى رطوبتي العين أو أحد خليطيها ، وذلك من معجم أكسفورد الذي درج على الاستشهاد بالنصوص العلمية والأدبية التي يستدل منها بالتقريب على الزمن الذي يظن ان هؤلاء المؤلفين استعملوا فيه لأول مرة أية كلمة اصطلاحية . فقد جاء في هذا المعجم تحت الكلمة crystalline ان الكلمة humor يظن أن المؤلفين استعملوها لأول مرة لتسمية احدى رطوبات العين أو أحد أخلاطها منذ القرن الرابع عشر وذلك بالاستناد الى النص الوارد في كتاب التشريح للمؤلف تريفيزا Trevisa (ص ١٠٩ سنة ١٣٩٨) وترجمته: «إن الخلط الزلالي humor albugines (أي الرطوبة البيضية وقد سميت هذه الرطوبة فيما بعد بالخلط المائي أو الرطوبة المائية) في العين هو أرطب من الخلط البلوري (أي العدسة البلورية أو العدسة) .

أما الكلمة « رطوبة » فإنها استعملت في المؤلفات الطبية العربية مدة طويلة بعد زمن ابن زهر للدلالة على الأجسام المائعة وشبه المائعة التي تحتويها العين ، فإن كتاب تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب للشيخ داود الأنطاكي جاءت فيه أسماء أكثر رطوبات العين وطبقاتها (٣ : ٢١٣) ، وهي نفس الاسماء التي ذكرها حنين في كتاب المقالات العشر .

وجاء في كتاب كشاف اصطلاحات الفنون (٥٣٢) للتهانوي[٦] ما يلي : « رطوبات العين منها الرطوبة الزجاجية وهي رطوبة صافية غليظة القوام بيضاء تضرب الى قليل حمرة مثل الزجاج الذائب ولذا سميت بالزجاجية . ومنها الرطوبة الجليدية وهي رطوبة وسطية من رطوبات العين

سميت بها لجمودها وصفائها • ومنها الرطوبة البيضية وهي رطوبة شبيهة ببياض البيض لوناً وقواماً ولذا سميت بها •

وجاء في معجم محيط المحيط لبطرس البستاني[٧] عن الكلمة رطوبة ما يلي : « ورطوبات البدن الاخلاط ورطوبات العين ثلاث احداها الرطوبة البيضية وهي شبيهة ببياض البيض في اللون والقوام وموضعها في الجهة الأمامية من حدقة العين وتقابلها الرطوبة الزجاجية وهي صافية غليظة القوام تضرب الى حمرة قليلة كلون الزجاج الذائب ، وبينهما في الوسط الرطوبة الجليدية وهي جامدة صافية كالجليد ، وكل واحدة منهن سميت بما هي شبيهة به » • ولابد أن ما ذكره البستاني في محيط المحيط عن رطوبات العين مقتبس عما كتب عن هذه الرطوبات فيما سبق المحيط من المؤلفات الطبية والعلمية واللغوية كتذكرة الأنطاكي وكشاف التهانوي اللذين سبق ذكرهما أو عن غيرهما من قديم المؤلفات •

ومما يستوقف النظر أن من مؤلفات القرن الماضي الطبية ما اقتُصِر فيه على استعمال المصطلح رطوبات العين لا أخلاطها • ففي كتاب المصباح الوضاح في صناعة الجراح لجورج بوست[٨] يتوالى استعمال الكلمة رطوبة دون الكلمة خلط ، ومن ذلك قوله (ص ٣٩٠) : « إذا انجرحت البلورية سواء كانت قد انجرحت المقلة من الظاهر أم لا فتصير غالباً مجلس كتركتا لأن الرطوبة المائية تدخل المحفظة وتمتص بنسيج البلورية وتجعله مظلماً • » وبما أن كتاب المصباح المشار اليه طبع سنة ١٨٧٣ فإن ورود كلمة الرطوبة فيما قاله بوست يدل على أن المصطلح رطوبة العين كان لايزال شائع الاستعمال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر •

ولا يزال البعض الى الآن يستعملون الكلمة « رطوبة » أو أنها لاتزال

تذكر في المعجمات كلفظة تدل على الاجسام المائعة وشبه المائعة التي تتركب منها العين مما يدل على صحة ترجمتها عن الكلمة اليونانية hygron التي تعني الرطوبة المخالفة لليبوسة ، فضلا عن تضمن كلمة الرطوبة معنى النقاء والصفاء وهو المعنى الذي انفرد معجم تاج العروس بإيراده على ما سبق ذكره • ومع أن هذه الكلمة لم تذكر في كتب اللغة المعروفة بمعنى الجسم المائع أو شبه المائع الذي تحتويه المقلة فإن بعض المعاجم الطبية الحديثة ذات اللغتين وذات اللغة الواحدة تذكر للكلمة رطوبة هذا المعنى وهو أنها من الاجزاء التشريحية التي تحتويها العين(١١) •

وقال محيط المحيط عن الاخلاط : « وأخلاط الانسان عند الأطباء أربعة هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وهي أجسام رطبة سيالة يستحيل إليها الغذاء • والخلط الاصلي منها هو الدم وهو الغذاء الحقيقي الذي يقوم به البدن والثلاثة الأخر فضلة وتوابع له • » فيؤخذ من ذلك أن البستاني فرق بين الرطوبات الثلاث التي هي الأجسام المشتركة في تركيب العين وبين الاخلاط الاربعة التي عدت في الفيزيولوجيا القديمة أركاناً تعتمد عليها صحة البدن ، وهي اليوم بعد أن استبعدت منها المرّة السوداء الموائع الطبيعية التي يشتمل عليها البدن • ومعجم البستاني قد يدعو رطوبات البدن بالأخلاط ولكنه لا يطلق كلمة الأخلاط على رطوبات العين •

وجاء في معجم دورلند المصطلح ocular humor ، وقد جعلت ترجمته في بعض المعجمات الطبية الحديثة ذات اللغتين خلط العين • وكان يتمنى كاتب هذه السطور أن تُجعل ترجمة هذا المصطلح رطوبة العين لا خلط العين ، أي إنه كان يتمنى لو حافظ الكتّاب المحدثون على المصطلح القديم

رطوبة العين وهي الترجمة العربية التي ذكرها حنين بن إسحق للمصطلح اليوناني الأصلي في كتاب العشر مقالات في العين وأعاد ذكرها بعده ابن سينا في كتاب القانون وابن زهر في كتاب التيسير •

مما تقدم نستخلص منه حقيقة هامة وهي أن الكلمة humor اللاتينية عنت في الأصل الرطوبة ثم استعملت للدلالة على أخلاط البدن • وعندما استعملت للدلالة على الاجسام المائعة وشبه المائعة التي تتركب منها العين فإن بعض الكتّاب المحدثين أهملوا المصطلح رطوبة العين الذي ترجم في الأصل عن اليونانية hygron وقالوا خلط العين على اعتبار أن كل ما أطلق عليه الكلمة humon من الأجسام التي يحتويها البدن يصح أن يسمى بالخلط ولو كان من أجزاء العين التي سبق أن سميت بالرطوبات • والحقيقة الثانية التي تستخلص من ذلك أن ورود أسماء أجزاء العين على النحو الذي ذكره حنين بن اسحق وابن سينا وابن زهر ، وفي كتب الطب المتأخرة نظير تذكرة الأنطاكي وفي كتب اللغة نظير كشاف التهانوي ، يدل على مدى اشتهار هذه الأسماء وبقائها مقبولة لدى الكتاب المتأخرين حتى القرن التاسع عشر أي الى الزمن الذي استحدثت فيه المعاجم ذات اللغتين، فعدل إذ ذاك بعض الأسماء العربية لا لأجزاء العين فحسب بل لأعضاء الجسم كافة وجعل موافقاً للأسماء اللاتينية التي جرى نقلها من لاتينية العصور الوسطى[٩] في الحقبة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن السادس عشر • ومما لاريب فيه أن ذلك لم يتيسر للعلماء واللغويين إلا بعد أن نبّه علماء التشريح الغربيون الى الأخطاء التشريحية القديمة التي ما برحت مقبولة في أوروبا حتى القرن السادس عشر •

بيّنا فيما تقدم التطور الذي طرأ على الأصل اليوناني للكلمة

« رطوبة » فاستبدل منه كلمة لاتينية لها المعنى نفسه ، وكيف أن ذلك نتج عنه إعراض الكثيرين مـن الكتاب العرب عن استعمال الكلمـة رطوبة واستعمالهم للكلمة خلط بدلا منها • وسندرس فيما يلي التطور اللغوي الذي طرأ على أسماء رطوبات العين متبعين نفس المنهاج الذي اتبعناه في دراسة التطور الذي طرأ على الكلمة رطوبة • أما طبقات العين الستّ التي ذكرها حنين بن إسحق في كتاب المقالات العشر فسنفرد لها مقالاً خاصاً لوصف التطور اللغوي الذي طـرأ على أسمائها الموضوعة في الأصـل باللغة اليونانية •

رطوبات العين :

١ ـ الرطوبة الجليدية :

الرطوبة الجليدية عند حنين وابن سينا وابن زهر هي ما يعرف في علم التشريح الحديث بالعدسة أو العدسة البلورية (انظر الحاشية رقم ٥) وإنما أطلق عليها هذا الاسم الحديث بعد أن عرف مشرحو القرن السادس عشر في أوروبا أنها جسم هلامي محاط بمحفظة وله شكل حبة العدس • وسأستشهد فيما يلي ببعض النصوص العربية والاجنبية التي ورد فيها اسم هذه الرطوبة مورداً إياها بحسب تسلسلها التاريخي لأبين التطور الذي طرأ على المصطلح اليوناني المترجم الى العربية بقولهم الرطوبة الجليدية والمبدل منه بعد انتقاله الى أوروبا الغربية اسم لاتيني يعني العدسة أو العدسة البلورية •

وقد قال حنين بن إسحق في كتاب العشر مقالات في العين (ص٧٣): « نجد العين أنها مركبة من أجزاء كثيرة مختلفة وليس بجميع أجزائها يكون

البصر بل بالرطوبة الشبيهة بالجليد المسماة باليونانية (قريسطا لونيداس) أي الجليدية » .

وقال ابن سينا في القانون (الكتاب الثالث ص ٣٣٣) : « الرطوبات التي في الحدقة أوسطها الجليدية وهي رطوبة صافية كالبرد والجليد مستديرة ينقص تفرطحها من قدامها استدارتها » .

وقال ابن زهر في كتاب التيسير (الورقة ١٧/و من نسخة باريس): « وللعين رطوبات أشرفها الجليدية وهي الآلة للإبصار . وهي بين رطوبتين فمن جهة القحف الرطوبة الزجاجية ومما يلي الهواء الرطوبة البيضية ».

وقال داود الانطاكي في التذكرة (٣ : ٢٢٠) : « العَشَا وضعف البصر هو من الامراض العارضة لجملة العين . وقد يكون عن فساد بعض أجزاء العين . وعلامات الكائن عن البيضية رؤية السواد قدامها وصفاره حال النظر الى فوق ، وعلامات الكائن عن الجليدية الظلمة وقتاً والصفاء آخر ».

إلا أن بعض المؤلفات الطبية العربية التي وضعت في القرن الماضي تعرض عن استعمال المصطلح الرطوبة الجليدية أو الجليدية وتشير اليها تارة باسم العدسية أي الشبيهة بالعدسة وتارة باسم البلورية أي الشبيهة بالبلور . فقد جاء في كتاب المصباح لجورج بوست (ص ٣٩١) ما يلي : « غير أنه اذا خيف فساد العين به أو بقيت العدسية غير مذوبة يجب إجراء عملية لإزالتها . ويختلف العمل حسب كون الكتركتا رخوة أو ذات نواة صلبة وقشرة رخوة ، أو حسب كون جميع البلورية مظلمة أو الظلمة منحصرة في جزء منها » . وقد قال بوست في فاتحة كتابه أن ما جاء فيه له

ما يشبهه في المؤلفات الاجنبية ، وأخصها الانكليزية ، التي كان يستعين بها في تأليف كتابه • وعليه فليس ببعيد أن تكون الكلمتان العدسية والبلورية اللتان ذكرهما مترجمتين عن الانكليزية lens[١٠] أي العدسة وعن crystalline lens أي العدسة البلورية •

ويقول مايرهوف في ترجمته الانكليزية لكتاب المقالات العشر (ص ١٨٩) : « الرطوبة الجليدية يقابلها بالانكليزية ice-like humour وتعني الرطوبة الشبيهة بالجليد ، وهي في علم التشريح الحديث crystalline lens أي العدسة البلورية • وهي باليونانية krystalloeidés hygron • أي الرطوبة الشبيهة بالجليد أو البلور • تتركب الكلمة الاولى من اسم هذه الرطوبة من krystallos اليونانية أي جليد أو بلور eidosأي شكل وشبه • وأما الكلمة الثانية من الاسم فتعني الرطوبة وقد سبق ذكرها • ومع أن الاسم الرطوبةأبدل منه البعض الكلمة خلطاً على ما سبق فان الاسم الجليدية جاء ذكره في بعض المعاجم الطبية الحديثة ذات اللغتين • فقد جاء في معجم شرف أن crystalline humor هو الرطوبة الجليدية • إلا أن المعجم الموحد ، وهو أحدث المعاجم الطبية ذات اللغتين ، قال انه الخلط البلوري وهو في هذا القول يترجم الاسم الانكليزي حرفيا الى اللغة العربية •

وجاء في معجم دورلند الطبي أن crystalline humor أي الرطوبة الجليدية أو الخلط البلوري هو باللاتينية humor cristallinus أو هو العدسة البلورية crystalline lens المسماة أيضا باللاتينية lens crystallina • وينص هذا المعجم أيضا على أن الرطوبة الجليدية أو العدسة البلورية سميت في مجموعة الاسماء التشريحية الحديثة lens

أي العدسة • وعرفت العدسة في هذا المعجم بأنها الجسم الشفاف المزدوج التحدب الواقع في العين بين الحجرة الخلفية والجسم الزجاجي • وهي تشكل قسماً من الجهاز الكاسر للنور في العين •

أما التغير الذي لحق الاسم الرطوبة الجليدية على ما جاء في معجم دورلند فسببه أن اسم هذه الرطوبة لدى انتقاله الى أوروبا ترجم الى اللاتينية بقولهم humor crystallinus أي الخلط أو الرطوبة البلورية • ويرجح أن ذلك كان في القرن التاسع الميلادي ، وهو العصر الذي بدأت فيه الترجمة اللاتينية للعلوم اليونانية والعربية في غربي أوروبا وخاصة بواسطة الرهبان الذين كانوا يعرفون بالمدرسيين Scholastics • وبعد أن بين علماء التشريح في أواخر القرن الخامس عشر أو أوائل السادس عشر أن ما يسمى بالرطوبة الجليدية ليس بالجسم المائع وانما هو جسم هلامي شفاف عدسي الشكل فإنهم أطلقوا على هذه الرطوبة الاسم lens crystallina أي العدسة البلورية وهو الاسم اللاتيني الذي ترجم الى الانكليزية بقولهم crystalline lens • ونظراً لموافقة الاسم الانكليزي للشكل التشريحي والتركيب النسيجي لهذا الجزء من العين فقد شاع استعماله ولا يزال يستعمل الى الآن سواء أكان ذلك في المعجمات الطبية أم في المؤلفات الخاصة بتشريح العين وأمراضها • غير أن لجنة المصطلحات التشريحية الدولية التي سبق الالماح اليها (انظر الحاشية رقم ١٠) رأت في سنة ١٩٦١ أن تسقط الصفة البلورية عن الاسم مكتفية بالكلمة lens أي العدسة لإطلاقها على هذا الجسم الشفاف العدسي الشكل الذي يقع في القسم الامامي من العين • وهو الاسم التشريحي الذي تذكره المعجمات والمؤلفات كما أنها لاتزال تذكر الاسم crystalline lens •

أما بشأن الزمن الـــذي يظن أن المؤلفين استعملوا فيـــه لأول مــرة المصطلح الخلط البلوري (أو الرطوبة البلورية) فقد كان في أواخر القرن الرابع عشر وقد ذكرت فيما تقدم انه جـــاء في معجم أكسفورد تحـــت اللفظة crystalline ان المؤلف تريفيزا Trevisa ذكر في كتابه التشـــريح (ص ١٠٩ سنة ١٣٩٨) ما يلي : (إن الخلط الزلالي في العين (أي الرطوبة البيضية عند حنين بن اسحق) أرطب من الخلط البلوري crystalline humor

أما الزمن الذي يظن أن المؤلفين استعملوا فيه لأول مرة المصطلح العدسة البلورية ، فإنه على ما يظهر تأخر حتى القرن الثامن عشر • وجاء في معجـــم أكسفورد أن المؤلف Adams ذكر في كتابه الفلسفة (م٢ ص٢٦٥ سنة ١٧٩٤) ما يلي : « أما مقر هذا الاضطراب (الكتركتا) فهو في العدسة البلـــورية crystallin lens ».

وخلاصة ما تقدم أن رطوبات العين الثلاث القديمة عادت بعد أن تحول اسم الرطوبة الجليدية الى العدسة البلورية أو العدسة فحسب ، رطوبتين اثنتين هما الرطوبة الزجاجية (أو الجسم الزجاجي) والرطوبة البيضيـــة التي تحولت فيمابعد الى ماسمي بالرطوبة المائية (أو الخلط المائي) • وسأصف فيما يلي مراحل التغير الذي طرأ على هذه الأسماء متبعاً في ذلك نفس المنهاج الذي سلكته في وصف التغير الذي طرأ على اسم الرطوبة الجليدية •

٢ ــ الرطوبة الزجاجيـــة :

هذه الرطوبة هي بين رطوبات العين الوحيدة التي لم يطرأ عليها أي تغير ، فهي لاتزال منذ القرن التاسع تسمى بالرطوبة الزجاجية ، أو الخلط الزجاجي (الجسم الزجاجي) • وقد قال حنين بن اسحق في كتابه العشر مقالات في العين (ص ٧٤) عن هذه الرطوبة : « وهذه الرطوبة أعنـــي

الجليدية بين رطوبتين واحدة من خلفها شبيهة بالزجاج الذائب المسماة باليونانية (ايا لويذاس) أي الزجاجية وأخرى من قدامها شبيهة ببياض البيض وتسمى باليونانية (او ويذاس) أي البيضية » • أما هذه الرطوبة الجليدية التي ذكرها حنين فقد تقدم القول أنها أصبحت اليوم تسمى بالعدسة البلورية أو العدسة • وأما الرطوبة البيضية التي ذكرها فقد تحولت الى الرطوبة المائية أو الخلط المائي الذي سيجيء وصفة فيما بعد •

وذكر ابن سينا في القانون (٣ : ٣٣٣) هده الرطوبة بقوله : « ثم إن طرف العصبة يحوي على الزجاجية والجليدية الى الحد الذي بين الجليدية والبيضية » • وقد أراد ابن سينا بقوله طرف العصبة الطبقة الشبكية التي تنبسط على الطبقة المشيمية الواقعة تحتها • وقال انها تبلغ ملتقى الجليدية بالبيضية ، وهو على حق في ذلك لأنهم وان كانوا يظنون قديماً أن الجليدية أي العدسة تقع في منتصف العين فان المعروف الآن أن العدسة تقع في مقدمة العين وان الشبكية تحيط بالجسم الزجاجي أي الرطوبة الزجاجية ثم تمتد متجاوزة ما يعرف بالافواه المشرشرة الى أن تنتهي في منطقة الجسم الهدبي والقزحية •

وقال ابن زهر في كتاب التيسير (الورقة ١٧/و من نسخة باريس): « والجليدية بين رطوبتين فمن جهة القحف الرطوبة الزجاجية ومما يلي الهواء الرطوبة البيضية » • وأراد بقوله جهة القحف عظم الوقب في قعر العين وأراد بقوله مما يلي الهواء جهة خارج العين •

ويتبين لدى مراجعة تذكرة الانطاكي (ص ٢١٣) أنه لا يذكر الرطوبة الزجاجية كما يذكر الاجزاء الأخرى من العين ، لأن التذكرة ليست كتابا في التشريح وانما هي كتاب في المداواة فحسب ، والمداواة التي كان يقول

بها الانطاكي لاتشمل الرطوبة الزجاجية لأنه على ما يبدو كان يعتقد أن الزجاجية لاتصاب بأية علة من علل العين •

وجاء ذكر الزجاجية في المصباح الوضاح لبوست (ص ٣٩٧) وذلك في قوله : « يحصل نزف دموي في الزجاجية من انشقاق بعض أوعيةالزوائد الهدبية المشيمية وإذ ذاك يمزق الدم الشبكية وينسكب في الزجاجية »• وكما أن بوست في مواضع أخرى من كتابه يقول العدسية بجعل الصفة قائمة مقام الموصوف فإنه هنا يقول الزجاجية ولا يقول الرطوبة الزجاجية•

وقال مايرهوف في ترجمة المقالات العشر (ص ١٨٨) : « الرطوبة الزجاجيـة يقابلها بالانكليـزية vitreous humor أو vitreous body أي الجسم الزجاجي وهي باليونانية hyaloeides hygron أي الرطوبة الشبيهة بالزجاج » • وتتركب الكلمة الأولى من اسم هذه الرطوبة من hyalos أي زجاج و eidos أي شكل • وأما الكلمة الثانية من الاسم اليوناني فقد تقدم أنها تعني الرطوبة •

ويتبين لدى مراجعة معجم وبستر أن الكلمة vitreous الانكليزية هي من اللاتينية القديمة vitreus أي زجاجي وهذه من vitrum أي زجاج • ويتبين من ذلك أيضا أن الاسم اليوناني الذي ترجم عنه المصطلح العربي الرطوبة الزجاجية استعملت في نقله الى اللغة اللاتينية كلمتان لاتينيتان لهما نفس معنى الكلمتين في الاسم اليوناني الاصلي •

وجاء في معجم دورلند أن vitreous humor أي الرطوبة الزجاجية أو الخلط الزجاجي هي في التسمية التشريحية الحديثة (N A) humor vitreus وعرفها هذا المعجم بقوله : « هي المادة السيالة الشبيهة بالرطوبة المائيـة

والمحتواة في خلال سدى الجسم الزجاجي .» وقال هذا المعجم أيضا إن vitreous humor تسمى أيضا vitreous body أي الجسم الزجاجي . وهو في التسمية اللاتينية الحديثة (N A) corpus vitreum أي الجسم الزجاجي ، وهو كما عرفه هذا المعجم أيضا المادة الهلامية الشفافة التي تملأ قسم المقلة بين العدسة والشبكية .

أما بشأن الزمن الذي يظن أن المؤلفين استعملوا فيه لاول مرة مصطلح الخلط الزجاجي (الرطوبة الزجاجية) vitreous humor، فقد جاء في معجم أكسفورد تحت اللفظة vitreous أنه كان في النصف الثاني من القرن السابع عشر فإن المؤلف Boyle ذكر في كتابه « تجارب في الفلسفة » (م١ ص٩٦ سنة ١٦٦٣) ماترجمته : « قد تصاب أعيننا بالجمود وذلك لدى تحول الخلط الزجاجي الى أغشية شفافة متعددة » .

ومع أن الاسم اليوناني للرطوبة الزجاجية أهمل حين نقله الى اللاتينية فاستبدلت منه كلمتان لاتينيتان لهما نفس المعنى فإن الأصل اليوناني لكلمة الرطوبة وهو hygron والكلمة الزجاجية وهو hyalos، استمر استعمال كل منهما في اللغات الاوروبية كصيغة تركيبية أو سابقة تبنى منها المصطلحات الطبية والعلمية . وفي معجم دورلند نحو ١٠ كلمات تتركب أوائلها من الكلمة hygron أي رطوبة ، ونحو ٣٥ كلمة تتركب أوائلها من كلمة hyalos أي زجاج .

أما المصطلح الجسم الزجاجي vitreous body ، فليس ثمة من دليل على الوقت الذي استعمل فيه لتسمية الرطوبة الزجاجية . حتى ان معجم أكسفورد الموسوعي ليس فيه ما يدل على الزمن الذي استعمل فيه الكتاب الغربيون هذا المصطلح لأول مرة لتسمية الرطوبة الزجاجية . إلا

أن هذا المعجم ذكر تحت الكلمة body ان من المعاني العامة لهذه الكلمة هو الكمية الملززة من الشيء أو كتلته وحجمه • وقالوا ان الزمن التقريبي لاستعمال الكلمة بهذا المعنى لأول مرة كان في أواسط القرن السابع عشر، وأورد على ذلك بعض الشواهد • ولكن أكثر هذه الشواهد وضوحا كان ماجاء في مجلة المدينة والريف (ص١٦٢سنة١٧٧٢) وهو التالي: « مساحة body كبرى من الارض تمتد ثلاثين ميلا نحو منشيء النهر • » وقد أورد هذا المعجم شاهدا آخر يعود تاريخ كتابته الى القرن التاسع عشر وهو ما قاله المؤلف هتون Hutton في كتابه « مقرر في الرياضيات » (ج٢ ص ١٣٩ سنة ١٨٢٨) وهو : الجسم body هو الكتلة أو الكمية في أية مادة •

٣ ـ الرطوبة البيضية :

كانت هذه الرطوبة تعد الرطوبة الثالثة بين رطوبات العين ولكن بعد أن تحول الاسم الرطوبةالجليدية الىما يعرف الآن بالعدسةالبلورية أو العدسة فإنها أصبحت الرطوبة الثانية وعادت مع الرطوبة الزجاجية التي تقدم وصفها الرطوبتين الوحيدتين في العين • وهذه الرطوبة هي أحد أجزاء العين التي تغير اسمها العربي بعد أن تغير الاسم اليوناني حين نقله الى اللاتينية ، فقد سميت في زمن حنين بن اسحق أي في القرن التاسع الميلادي بالرطوبة البيضية ترجمة عن الاسم اليوناني القديم ، وإنما سميت كذلك لأنهم ظنوا قديماً أنها شبيهة ببياض البيض ، ولكن بعد أن عرف المشرحون في غربي أوروبا أن قوامها أقرب الى الماء منه الى زلال البيض فقد سميت بالرطوبة المائية أو الخلط المائي •

وقد قال حنين في كتابه العشر مقالات (ص ٧٤) : « وهذه الرطوبة

أعني الجليدية بين رطوبتين واحدة من خلفها شبيهة بالزجاج الذائب المسماة باليونانية (ايالويذاس) أي الزجاجية وأخرى من قدامها شبيهة ببياض البيض وتسدى باليونانية (اوويذاس) أي البيضية » •

وذكر ابن سينا في كتابه القانون (٣ : ٣٣٣) الرطوبة البيضية حيث قال : « ثم إن طرف العصبة يحوي على الزجاجية والجليدية الى الحد الذي بين الجليدية والبيضية » • فهو اذن يردد الأسماء القديمة التي وضعت قبله في زمن حنين بن إسحق •

وقال ابن زهر في كتاب التيسير (الورقة ١٧/و من نسخة باريس): « وللعين رطوبات أشرفها الجليدية وهي الآلة للإبصار ، وهي بين رطوبتين فمن جهة القحف الرطوبة الزجاجية وهي للجليدية كالغذاء لموافقتها لذلك، ومما يلي الهواء الرطوبة البيضية وهي تندي الجليدية وتحيط بها وتحفظها » • فابن زهر كابن سينا يردد نفس الأسماء التشريحية التي وضعت قبل زمانه وبقيت شائعة الاستعمال الى أن وقف علماء التشريح اللاتين على التركيب الحقيقي للعين وعلى الوظائف الحقيقية لمختلف أجزائها ، فأبدل إذ ذاك هؤلاء العلماء الاسم اليوناني بالاسم اللاتيني الذي ترجم فيما بعد الى العربية بقولهم الرطوبة المائية أو الخلط المائي •

وجاءت الرطوبة البيضية في تذكرة داود الانطاكي وذلك في قوله (٣ : ٢٢٢) : « نزول الماء في العين هو رطوبة تنحدر من بين البيضية وصفاق القرنية فتسد ثقب العنبية وتمنع البصر • وأسبابه من خارج نحو ضربة وحمل ثقيل ومن داخل امتلاء » • وبما أن الانطاكي كان من أهل القرن السادس عشر الميلادي فيستدل من كلامه المذكور آنفاً أن الاسم

الرطوبة البيضية كان لايزال شائع الاستعمال في زمانه ولم يبدل بعد باسم الرطوبة المائيـة •

ولعل أقدم ما لدينا من المراجع العربية التي جاء فيها اسم الرطوبة المائية بدلا من الرطوبة البيضية هو كتاب المصباح الوضاح لبوست الاميركي وهو من أهل القرن التاسع عشر • ومن نصوص هذا الكتاب التي جاء فيها اسم الرطوبة المائية قوله (ص ٣٩٦) : « وعند تمام الشق تهبط القزحية الى الأمام وتنبثق بين شفتيه غالباً لضغط الرطوبة المائية في الغرفة الخلفية • واذا لم يحصل ذلك يدخل جفت في الجرح وتقبض القزحية وتقطع » •

وقال ماكس مايرهوف في الترجمة الانكليزية لكتاب العشر مقالات في العين (ص١٨٨): « الرطوبة البيضية هي بالانكليزية albuminoid humour أي الرطوبة الشبيهة بالزلال • وهي أيضاً aqueous humour أي الرطوبة المائية • وهي باليونانية ooeides hygron أي الرطوبة الشبيهة بالبيض •» وتتركب الكلمة الأولى من اسم هذه الرطوبة من الكلمة اليونانية oon أي بيضة و eidos أي شكل وشبه ، فمعناها شبيه بالبيض • وأما الكلمة الثانية اليونانية من الاسم فمعناها رطوبة ، وقد تقدم ذكرها •

وذكر معجم دورلند أن الرطوبة المائية هي بالانكليزية aqueeous humor وهي في التسمية اللاتينية الحديثة humor aquosus (N A) • وعرّفها بقوله : « هي المائع الذي يتكون في الحجرتين الأمامية والخلفية من العين ويمر من العين الى الدم • ويعتبر هذا المائع لمف العين وان كان تركيبه يختلف عن لمف البدن »• أما الكلمة humor في الاسم اللاتيني فقد مرّ معنا أنها لاتينية وتعني الرطوبة • وأما الصفة aquosus فهي من

م (٥)

aqueous في لاتينية العصور الوسطى(M L) وهذه من اللاتينية القديمة aqua (L) أي الماء •

ومع أن اسم الرطوبة البيضية تحول الى الرطوبة المائية على نحو ما تقدم ذكره فإن معجم شرف الطبي خلافاً لما هو متبع في المعاجم الطبية الاجنبية أورد الاسم العربي الجديد وأتبعه بالاسم القديم فقال إن aqueous hamor هي الرطوبة المائية في العين أو الرطوبة البيضية • أما الترجمة العربية لمعجم كلارفيل الفرنسي ومعجم حتي الطبي فقد أسقط منهما اسم الرطوبة البيضية واعتيض عنه باسم الخلط المائي أو رطوبة العين المائية (humeur aqueuse بالفرنسية و aqueous humor بالانكليزية) • أما المعجم الطبي الموحد فإنه لايذكر الكلمة رطوبة البتة فيقتصر على القول إنaqueous humor هو الخلط المائي •

ولم يرد في معجم دورلند مايدل على أن هذه الرطوبة كانت تسمى بالبيضية أو الشبيهة بالبيض أو بالزلالية أو الشبيهة بالزلال ، إلا أن معجم أكسفورد الذي ينحو في تأليفه منحى الاستشهاد بالنصوص القديمة الدالة على الزمن الذي يظن أن اللفظة استعملت فيه لأول مرة ، جاء فيه أن الاصل اليوناني لاسم الرطوبة البيضية قبل تحوله الى اسم الرطوبة المائية ، ترجم أولا الى اللاتينية بما معناه الخلط الزلالي ، والزلال هو بياض البيض ، يدل على ذلك النص التالي الذي جاء في هذا المعجم تحت الكلمة crystallin وهو : « قال المؤلف تريفيزا Trevisa في كتابه التشريح (ص ١٠٩ سنة ١٣٩٨) أن الخلط الزلالي humor albugines في العين أرطب من الخلط البلوري (أي العدسة البلورية) •

وفي معجم أكسفورد أن المصطلح الخلط المائي ، يظن أن المؤلفين

استعملوه لأول مرة منذ القرن السابع عشر ، فقد جاء في هذا المعجم تحت اللفظة aqueous أن المؤلف Harle قال في كتابه « الأجوبة » (ص ٢ سنة ١٦٤٣) ما يلي : « إنها (أي العين) ترى كل شيء ملوناً لأن اضطــراب الخلط المائي aqueous humor يسبب لها ذلك .

حواشي المقــال :

(١) هو أبو زيد حنين بن اسحق العبادي (١٩٤ـ٢٦٤ هـ/٨٠٩ـ٨٧٧ م) الطبيب العربي والمترجم والمؤلف ويسميه الفرنج Johannitius . ولد بالحيرة في زمن الامين وتوفي في بغداد في زمن المعتمد . ولاّه المامون على بيت الحكمة الذي انشاه في بغداد لترجمته كتب الطــب والفلسفة والعلوم فترجم عشرات الكتب من اليونانية والسريانية وغيرهما الى العربية فضلا عما ألّفه من الكتب بالعربية والسريانية وما اشــرف على ترجمته وتصحيحه من الكتب التي كــان يترجمها تلامذته . ومن أشهر كتبه كتاب العشر مقالات في العين وقد حقق هذا الكتاب المستشرق الالماني ماكس مايرهوف Max Meyerhof ونشــره مذيلا بترجمة انكليزية عنــوانها The Book of the Ten Treatises on the Eye (القاهرة ١٩٢٨) .

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ـ٤٢٨ هـ/٩٨٠ـ١٠٣٧ م) الطبيب العالم والفيلســوف الشاعر الملقــب بالشيخ الرئيس ويسميه الفرنــج Avicenna . ولد في قرية أفشنة من أعمال بخارى وتوفي في همذان . صنف أكثر من مئة كتاب اشهرها كتاب القانون في الطب . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية بعنوان Canon Madicinae فبقي كتابا معولا عليه في تعليم الطب ومزاولته نحو ستة قرون . وقد طبع الأصل العربي للقانون للمرة الاولى سنة ١٤٧٦ ثم طبع للمرة الثانية في روما سنة ١٥٩٣ .

(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن زهر (٤٦٤ـ٥٥٧ هـ/١٠٧٢ـ١١٦٢م) الطبيب العربي الاندلسي الذي يسميه الفرنج Avenzoar . ولد في بنيافلور قرب اشبيلية ، وتوفي ودفن في اشبيلية . وكان أبو مروان اشهر أطباء زمانه حتى قيل أنه كان في عصره أعظم طبيب في العالمين الاسلامي والمسيحي . له في الطب نحو عشرة كتب فقد معظمها وأكبرها كتــاب التيسير في المداواة والتدبير . ترجم هذا الكتاب الى العبرية سنة ١٢٨٠ م والى اللاتينية سنة ١٤٨٠ م بعنوان Adjumentum de Medela et Regimine . وقد طبعت الترجمة اللاتينية عدة مرات وبقيت كتابا تعليميا في مدارس الطب بأوروبا الغربية حتى القرن السابععشر.

(٤) هو داود بن عمر الانطاكي (٠٠٠ـ١٠٠٨ هـ/٠٠٠ـ١٥٩٩ م) ، الطبيب الضرير . انتهت اليه رئاسة الاطباء في زمانه . ولد في انطاكية وتوفي في مكة . حفظ القرآن وتبحر في المنطق والرياضيات ودرس اللغة اليونانية فاحكمها . وكان قوي البديهة واسع الحفظ للفلسفة وأصناف العلوم.من تصانيفه الكثيرة تذكرة أولي الالباب والجامعللعجبالعجاب وهي ثلاثة أجزاء فيالطبأكمل تأليف الجزء الثالث منها احد تلامذته بعد وفاته وتعرف بتذكرة داود . طبعت في القاهرة سنــة ١٢٨١ هـ : وله نزهة الاذهان في اصلاح الابدان والفية في الطب وغير ذلك .

(٥) ينص علم التشريح الحديث على أن في العين رطوبتين اثنتين هما :
الرطوبة الزجاجية او الجسم الزجاجي vitreous body - vitreous humor والرطوبة المائية aqueous humor . ويميل بعض الكتاب المحدثين الى تسمية رطوبة العين بالخلط فيقول ان في العين خلطين هما الخلط الزجاجي والخلط المائي . وأما الرطوبة الجليدية crystalline humor التي ذكرها حنين بن اسحق وابن سينا وابن زهر وسواهم من المتقدمين والمتاخرين فهي جزء العين الذي يعرف الآن بالعدسة البلورية crytalline lens أو بالعدسة lens .

أما طبقات العين فهي أساسا ثلاث طبقات الطبقة الشبكية retina والطبقة الصلبة sclera وبينهما الطبقة الوعائية vascular tunic او العنبية uvea التي تتألف بخاصة من الطبقة المشيمية choroid وتنتهي في الامام في مستوى ملتقى العدسة بالجسم الهدبي ciliary body والقزحية iris . اما الطبقة القرنية cornea فهي امتداد الطبقة الصلبة ويتألف منها القطب الامامي للمقلة eyeball وأما الطبقة الملتحمة أو المنضمة conjunctiva فليست من الطبقات الثلاث الاساسية التي تغلف المقلة ، وهي تبطن الجفنين ثم تنطوي على المقلة وتمتد قليلا الى ان تنتهي عند ملتقى الصلبة بالقرنية limbus .

(٦) هو محمد بن علي بن محمد الفاروقي الحنفي التهانوي (٠٠٠ـ بعد ١١٥٨هـ/٠٠٠ ـ ١٧٤٥ م) . لغوي وباحث هندي . من آثاره كشاف اصطلاحات الفنون في مجلدين ، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ ، وطبع في كلكتا سنة ١٨٦٢م . وله سبق الغايات في نسق الآيات وغير ذلك.

(٧) هو المعلم بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد البستاني (١٢٣٤ـ١٣٠٠هـ/ ١٨١٩ـ١٨٨٣ م) . ولد في قرية الدبيّة من اقليم الخروب في لبنان وتوفي في بيروت . وهو عالم علامة لغوي صحفي كان يحسن الى جانب العربية اللغة السريانية والايطالية واللاتينية والعبرية واليونانية . من آثاره معجم محيط المحيط في مجلدين طبع في بيروت سنة ١٨٧٠ م ومعجم قطر المحيط في مجلدين ، وهو مختصر معجم محيط المحيط ، ودائرة المعارف أكمل منها ستة مجلدات وأصدر أبناؤه بعده خمسة مجلدات أخرى ثم توقف العمل قبل اتمام المجلد الثاني عشر . وله غير ذلك مؤلفات مختلفة . وأصدر ثلاث صحف هي نفير سورية والجنان والجنة وكلها تدل على ماكان عليه من العبقرية وسعة الاطلاع .

(٨) هو جورج ألفريد بوست (١٢٥٤ـ١٣٢٧هـ / ١٨٣٨ـ١٩٠٩ م) طبيب وجراح أمريكي . ولد في نيويورك وتوفي في بيروت . تعلم الطب في جامعة نيويورك ودرس اللاهوت ورحل الى سورية سنة ١٢٨٠ هـ فسكن طرابلس الشام وتعلم العربية فأتقنها ، ولما أنشئت الكلية السورية الانجيلية (الآن الجامعة الاميركية في بيروت) سنة ١٨٦٦ م انتقل الى بيروت وعلّم في مدرستها الطبية الطب والجراحة احدى وأربعين سنة . من تصانيفه العربية المصباح الوضاح في صناعة الجراح ، طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ، وكان يدرس في المدرسة المذكورة حينما كان الطب يدرس فيها باللغة العربية . وله كتاب الاقرباذين في المواد الطبية وكتاب في نبات سورية وفلسطين ومصر ، وفهرس الكتاب المقدس وغير ذلك من الكتب العلمية واللاهوتية .

(٩) يؤخذ من معجم وبستر أن المصطلحات المقبولة لدى الهيئات العلمية يجمعها ما يعرف باللاتينية الحديثة New Latin (يرمز إليها بالحرفين NL) وهي اللغة التي استعملت

الفاظها منذ القرن السادس عشر في التسمية العلمية وفي التصنيف البيولوجي . وقد اعتبرت هذه الالفاظ مصطلحات علمية لدى نقلها الى اللاتينية الحديثة اقتباسا من لاتينية العصور الوسطى Medieval Latin (يرمز إليها بالحرفين ML) وهي اللغة التي درج استعمالها في الطقوس الدينية الكاثوليكية وفي مختلف الاغراض الادبية طوال القرون الوسطى (من سنة ٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ م) . ومن ألفاظ هذه اللغة ما اخذ من اللاتينية المتاخرة Late Latin (يرمز إليها بالحرفين L L) وهي اللغة التي كانت تستعمل منذ القرن الثالث حتى القرن السادس . ومن الفاظ هذه الحقبة ما هو مأخوذ من اللاتينية القديمة Latin (يرمز إليها بالحرف (L)) وهي اللغة التي كانت شائعة الاستعمال قبل القرن الثالث .

(١٠) عنت الكلمة lens اللاتينية في الاصل نبات العدس وحبه . وسمي هذا الجسم الجامد الشفاف في العين بالعدسة لشبهه بحبة العدس . ومن الكلمة اللاتينية اخذت الكلمة الانكليزية lentil والفرنسية lentille اللتان تعنيان نبات العدس أو حبته . ويتبين لدى مراجعة معجم وبستر ان الكلمة lens التي تعني العدس هي من ألفاظ اللاتينية القديمة (L) المنقولة الى اللاتينية الحديثة (NL) . وقولنا هذا يعني أن الكلمة lens حين نقلها الى اللاتينية الحديثة أصبحت مصطلحا علميا يطلق على هذا الجزء من أجزاء العين الذي هو العدسة البلورية . وقد سبقت الاشارة الى أن اللاتينية الحديثة بحسب ما عرفت في معجم وبستر هي التي جرى استعمالها بخاصة في التسمية العلمية والتصنيف البيولوجي بعد العصور الوسطى أي منذ أوائل القرن السادس عشر .

وقد سميت هذه المجموعة باللاتينية Nomina Anatomica أي الاسماء التشريحية (يرمز إليها بالحرفين (N A)) وهي مجموعة الالفاظ التي أقرتها لجنة المصطلحات المنبثقة عن المؤتمر الدولي السابع للمشرحين المنعقد في نيويورك سنة ١٩٦١ . فاذا ورد في معجم دورلند أو في أي معجم طبي آخر المصطلح التشريحي وتلاه الحرفان (N A) لعرف أنه أحد الاسماء التشريحية الرسمية التي تعترف بها اللجنة المذكورة . وعليه فان كل ماورد في هذا المقال من الاسماء التشريحية يكون من الاسماء المقبولة دوليا اذا تلاه الحرفان NA .

الدكتور ميشيل خوري

نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب *
بالمقدمة الخلدونية

الاستاذ محمد المنوني

يذكر كثيراً ــ أن الاهتمام بالمقدمة الخلدونية في البلاد العربية لم يبدأ إلا من أواخر القرن التاسع عشر .

وهدف هذا البحث إبراز جملة من المؤلفين العرب قبل الفترة المشار لها ، وجميعهم عرفوا المقدمة ، وتأثروا بطائفة من أفكارها ، وبينهم من ناقش بعض مسائلها ، حيث تشهد بهذا وذاك مؤلفات مدونة بالعربية ، بدأت في الظهور بعد ابن خلدون بزمن يسير ، ثم تتابع تأليفها ــ عبر الفترات التالية ــ حتى بداية القرن التاسع عشر .

يضاف لهؤلاء واقع توالي انتساخ المقدمة بالمشرق والمغرب ، انطلاقا من عصر المؤلف فما بعده ، ومن الواضح أن كثرة المنتسخات تعبّر عن وفرة القراء .

وثالثا : ظاهرة محافظة زمرة من أعلام العرب على سند رواية « العبر » وضمنه المقدمة : شيخا عن شيخ حتى تلميذ المؤلف ، حتى ابن خلدون نفسه .

---

* كتب هذا البحث برسم ندوة ابن خلدون ، التي نظمتها كلية الآداب المغربية بالرباط من ١٤ الى ١٧ فبراير ١٩٧٩ .

فهذه الظواهر ــ مجتمعة ومتفرقة ــ تدل على اهتمام عربي بالمقدمة ، تسلسلت ملامحه عبر الأجيال التالية .

* * *

وإلى هنا تتبين من هذا العرض أن البحث الذي نقدمه يتدرج في ثلاث نقط :

ــ مؤلفون ــ لكتب بالعربية ــ تأثروا بالمقدمة .

ــ وفرة مخطوطات المقدمة المكتوبة عبر العصور .

ــ الحفاظ على سند روايتها الى مؤلفها .

* * *

وبالنسبة الى النقطة الأولى : نشير ــ في البداية ــ الى أن اتصال المعنيين بالامر بآراء ابن خلدون جاء من ثلاث جهات :

من محاوراته لبعض معاصريه .

ومن منهجيته الفلسفية في دروسه .

وثالثا ــ وهو الكثير ــ عن طريق المقدمة .

ويمكن أن يصنف في القسم الأول صديق لابن خلدون اشتهر بابن السكاك ويلقب بأبي يحيى ، وسيرد اسمه كاملا من بعد ، غير أنه يشار ــ هنا ــ الى أنه لم يرد بترجمته ولا بترجمة ابن خلدون ، أن هذا الأخير كان أستاذاً لصديقه المغربي ، مما يرجح أن تأثره بالأفكار الخلدونية ــ وهو ماسنتبينه وشيكاً ــ بدأ عن طريق المذاكرة والمحاورة ، قبل أن يأتي من جهة المقدمة .

وفي هذا الاتجاه نشير الى قصة طريفة تشف عما كان من الاتصال بين ابن خلدون وابن السكاك ، الى حد أن يسمرا ــ معاً ــ في بيت صديق

ثالث من أعلام المغرب الأوسط ، فقد بات الاثنان في ضيافة محمد بن أحمد ابن علي الشريف التلمساني ، وفي الليلة ذاتها ازداد عند المضيف مولود ، فرغب كل من الضيفين أن يكون الوليد يحمل اسمه ، فسماه والده بعبد الرحمن على خاطر ابن خلدون ، وكنّاه بأبي يحيى مراعاة لعاطفة ابن السكاك[1] ، واستفاد « البحث » من هذه القصة مقدار الاتصال الذي كان بين الاثنين ، حتى أفضى الى تأثر أحدهما بالآخر .

* * *

ومن رفيق ابن خلدون ننتقل الى الآخذين عنه ، فمن القاهرة : تلميذه الذي تفانى في الإشادة بتفكير أستاذه : ابن المقريزي : أحمد بن علي بن عبد القادر المحيوي ، المتوفى عام ٨٤٥/١٤٤١[2] .

ثم ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المتوفى عام ٨٥٢/١٤٤٩[3] ، وإليه يرجع السند المشرقي للمقدمة والتاريخ .

ومن تونس : البسيلي : أحمد بن محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٨٣٠/١٤٢٧[4] .

ومن تلمسان : ابن مرزوق الحفيد : محمد بن أحمد بن محمد العجيسي ، المتوفى عام ٨٤٢/١٤٣٨[5] ، وإليه ينتهي السند المغربي للمقدمة والتاريخ .

---

(١) « نيل الابتهاج » المنشور بهامش الديباج ، مطبعة المعاهد بمصر ، ص : ١٧٠ و ٢٨٤ ، مع « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان »، المطبعة الثعالبية بالجزائر . ص : ١٢٧ ، عند ترجمة أبي يحيى عبد الرحمن : الوليد المنوه به ، ولوالده ترجمة موسعة في نيل الابتهاج ص : ٢٥٥ ـ ٢٦٤ .

(٢) ترجمته ومصادرها في معجم المؤلفين ٢/١١ـ١٢ .

(٣) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ٢/٢٠ـ٢٢ .

(٤) ترجمته في « نيل الابتهاج » ، ص : ٧٧ ـ ٧٨ ، وتاريخ وفاته من « كشف الظنون » .

(٥) ترجمته ومصادرها عند الزركلي في « الأعلام » ٦/٢٢٨ .

ومن غرناطة : المجاري : محمد بن محمد بن علي ، المتوفى عام ٨٦٢/١٤٥٨[٦] .

وقد أجازه ابن خلدون بتاريخه[٧] وضمنه مقدمته ، وهو أجاز ـ بالاجازة العامة ـ لمحمد بن محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي ثم الغرناطي[٨] ، وهذا أحد شيوخ محمد بن الأزرق[٩] الغرناطي مؤلف «بدائع السلك في طبائع الملك» .

على أن السفير الدائم بين ابن خلدون وقرائه هو المقدمة نفسها،وفي هذا الصدد نعرض تنويهين اثنين ، صدر أحدهما من المشرق على لسان ابن المقريزي : « مقدمته لم يعمل مثلها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود، وتنبيء عن أصل كل موجود[١٠]... » .

أما التنويه الثاني فجاء من الغرب الاسلامي على لسان مختصر الإحاطة لابن الخطيب : أبي جعفر أحمد البقني الغرناطي من أهل المائة الهجرية التاسعة ، وهو يقول عن تاريخ ابن خلدون والقصد الى المقدمة : « اخترع فيه مذهبا عجيبا،وطريقا مبتدعا،من الحديث على العلوم ، وتنقيح

(٦) له ترجمة عند الوادي آشي : أحمد بن علي البلوي في « ثبته » المخطوط بالاسكوريال رقم : ١٧٢٥ : لوحة ١١ـ١٢ ، وأكثرها مقتبس من فهرس المجاري آتي الذكر وشيكا .

(٧) فهرس المجاري عند ترجمة ابن خلدون ، حيث يعرف منه مخطوطان : بالخزانة الملكية رقم : ٢/١٥٧٨ ، مع نسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس .

(٨) «ثبت» الوادي آشي عند لوحة ١٠ .

(٩) نيل الابتهاج ، ص : ٣١٤ .

(١٠) « الضوء اللامع » ١٤٧/٤ .

الفهوم ، وما يعرض في الانسان من الأغراض الذاتية والخيالات والحلوم[١١] » .

ويستد الإكبار للمقدمة الى عصر المؤرخ المصري : عبد الرحمن بن الحسن الجبرتي القاهري ، المتوفى عام١٢٣٧/١٨٢٢[١٢] ، وهو يقول عنها في مدخل « عجائب الآثار » : « من اطلع عليها رأى بحراً متلاطما بالعلوم، مشحونا بنفائس جواهر المنطوق والمفهوم[١٣] » .

* * *

والآن بعد هذا المدخل نعرض نماذج من المؤلفين الذين تأثروا بأفكار المقدمة أو اقتبسوا منها ، وعددهم ١١ اسماً :

١ ــ أبو يحيى ابن السكاك : محمد بن أبي غالب بن أحمد المكناسي القبيل ، ثم العياضي ، الفاسي الدار ، المتوفى عام ٨١٨/١٤١٥ــ١٤١٦[١٤]، وظهر تأثره بالفلسفة الخلدونية في ثلاثة من مؤلفاته :

الأول : كتاب « نصح ملوك الاسلام » المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وهو ينثر به هذه الفقرة :

« ... غير أن العقلاء وأهل التجربة الصحيحة والفراسة الصادقة ، قالوا : إن الدول اذا تهممت بالطرف والذخائر ، وقصرت هممها على الحلي والحلل ، وثياب الديباج المذهبة ، وستور الحرير والفرش الهائلة ، والمباني المشيدة : دل ذلك على تحلل تركيبها ، واضمحلال ضخامتها ، وفناء رونقها وحسنها ، ونقصان كمالها ، وآل أمرها للدثور والدمار » .

---

(١١) « نيل الابتهاج » ص : ١٦٩ .

(١٢) ترجمته عند الزركلي في « الآعلام » ٧٥/٤ .

(١٣) « عجائب الآثار » الطبعة المصرية الاولى ٦/١ .

(١٤) ترجمته في « سلوة الانفاس » ط.ف ١٤٤/٢ــ١٤٥ .

وهنا يعقب المؤلف بالوجه الثاني لعرضه قائلا : « وإذا صحب دولة الاقتصاد في الانفاق ، والتقلل من المؤن ، والعدل في الرعية ، واختيار الجند وانتقائهم ، والاستغناء فيهم بقليل نفاع ، عن كثير عظيم المؤونة ، قليل المنفعة ، ورأس الأمر حسن العقد مع الله تعالى ، وصفاء السريرة ، وخلوص النية والقصد ، ومراعاة وجه الكريم في إحياء سنن حبيبه ، وإماتة البدع ـ كان لها من الظهور والشماخة وبعد الصيت ما لا يفي بوصفه الدواوين ، واعتبرْ ذلك بأوائل ملوك لَمتونة والموحدين : كانوا على سبيل من الاقتصاد غريب ، فتوفرت الجباية ، ودخلت الأقطار في ملكهم ، فجاهدوا وخلدوا المآثر والمفاخر ، بخلاف أواخرهم : اشتغلوا باقتناء الذخائر ، وأهملوا ما تقدم ، حتى قـيّض لهم من أزالها من أيديهم .

فَلْيعتبر العاقل في ذلك ، وليتبصر في المبادي والخواتم ، فخذ تجربة صحيحة فيما ذكرناه لاتكاد أن تتخلف ، ومن كان طُلَعَة لكتب التواريخ وجد مصداق ما ذكرناه في طيّها[١٥] » .

هذه فقرة ابن السكاك ، وهو يتلاقى ، في القسم الاول منها ، مع موضوع أسباب انحطاط الدول ، وقد ورد في « المقدمة » عند الفصل الثالث من الكتاب الأول[١٦] ، مع التمهيد له بالفصلين الحادي عشر[١٧] والثاني عشر[١٨] ، حيث جاءت ـ ثلاثتها بالتتابع ـ هكذا :

فصل في أن من طبيعة الملك الترف .

---

(١٥) « نصح ملوك الاسلام » ، ط.ف : ١١ـ١٢ .

(١٦) « المقدمة » ص : ١٤٥ـ١٤٧ .

(١٧) «المقدمة» ص:١٤٥ .

(١٨) «المقدمة» ص:١٤٥ .

فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون .

فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك : من الانفراد بالمجد ، وحصول الترف والدعة ، أقبلت الدولة على الهرم .

وفي القسم الثاني من الفقرة التي نحللها يقول ابن السكاك : « واذا صحب دولة الاقتصاد في الإنفاق الى آخر كلامه ، فيتلاقى ــ الى حد ــ مع ما يقوله ابن خلدون عن تطور الدولة وحياتها : عند الفصل الذي يقرر أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للاشخاص[19] » .

وابن السكاك يعلل النتائج الوخيمة للترف ، بعكسها ، وهي النتائج الحميدة للاقتصاد ، فعلل قضية اجتماعية بأخرى ، نظير ما انتهجه ابن خلدون عند الفصل الذي يذكر أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة ، ثم يقول : « وبعكس هذا أيضا ــ الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها ...[20] » .

وبعد « نصح ملوك الاسلام » ، ننتقل الى موضوع ثان للمؤلف ذاته ، ويحمل اسم « الأساليب » ، حيث لا يزال مخطوطا بالاسكوريال رقم ٣٨٤ ، ويرد به أثناء الأسلوب الثالث :

« ... إن سنة الله جرت باحتياج هذا الآدمي الى ضروريات لايقوم وجوده إلا بها ، وناط بها مؤلمات ، وأفقره الى أسباب ، اقتضت حكمته خلف السلامة من تلك الآلام عند تلك الأسباب لا بها ... » .

فيتوافق ابن السكاك ــ في هذه الفقرة ــ مع المبدأ الخلدوني في

(١٩) « المقدمة » ص : ١٤٧ ــ ١٤٩ .

(٢٠) « المصدر نفسه » ص : ١٤٢ ــ ١٤٣ .

ضرورة الاجتماع البشري ، للتعاون من أجل الحصول على الحاجيات الضرورية ، وأيضاً : لدفع عدوان الحيوانات العجم ، وقد توسع ابن خلدون في توضيح ذلك عند المقدمة الأولى من الفصل الأول من الكتاب الأول[٢١]، غير أن مؤلف « الأساليب » يجتزي بعرض الفكرة دون أن يتدخل في شرح العاملين المشار إليهما •

ويعود ابن السكاك الى المبدأ ذاته في تعبير مغاير ، كتبه في طالعة رسالته ــ التي لاتزال بدورها مخطوطة[٢٢] ــ بعنوان « استخراج كنز الملوك والوزراء والحجاب ••• » :

« وبعد : فلما كان الانسان في هذه الدار الدنيوية ، في غاية الاضطرار الى ضروريات لايتم وجوده إلا بها ، وفي نهاية الاحتياج الى استدفاع أضداد وأغيار لا يستمر كونه إلا بفقدها ••• » •

وهكذا يتكرر تأثر المفكر المغربي ــ ثلاث مرات ــ بالمبادىء الخلدونية ، في فقرات تأتي ــ عرضاً ــ أثناء موضوعات لا مسيس لها بفلسفة التاريخ ، ومن هنا يتبين أن ابن السكاك أفاد من صداقته لواضع هذا العلم ، وأنه لو تصدى للتأليف في هذا الاتجاه ، لعزز المقدمة بكتاب مشرّف •

٢ ــ بعد هذا ننتقل الى ابن المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي القاهري سالف الذكر ، وهو مؤلف رسالة باسم « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وفيها يذهب مذهب أستاذه في الشرح والتعليل ، وذلك ما يجليه

---

(٢١) ص : ٣٥ـ٣٦ •

(٢٢) تعددت نسخها ، ومنها واحدة خ٠ع٠ك ٩٠ ، وأخرى : خ٠ع٠د٠ ٩٥٢ •

المحققان للرسالة[٢٣] هكذا :

« والواقع أن المقريزي قد شابه ــ بهذا الكتيب ــ أستاذه ابن خلدون في المقدمة ، فكلاهما كتب في صميم النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، ما عدا أن كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » قاصر على مصر الاسلامية ، و « المقدمة » شاملة للعالم الاسلامي بوجه عام .

بل إن أوجه الشبه بين الكتابين ــ والقياس مع الفارق في الحجم ــ تتعدى هذا الى طريقة العرض في كل منهما ، فكلا المؤرخين يبـدأ كل فصل من فصول كتابه بمخاطبة القارىء والدعاء له .

ثم يعرض لحقائق موضوع الفصل في أسلوب علمي موجز ، تغلب عليه الصبغة الفلسفية ، وتتخلله الاستشهادات التاريخية ، ثم يختم الفصل بآية أو آيتين من القرآن ،أو ببيت من الشعر يناسب المقام » .

٣ ــ السيتاني : يعقوب بن موسى بن يعقوب نزيل فاس ، والمتوفى أواسط المائة الهجرية التاسعة[٢٤] أواسط ق ١٥ .

وقد كتب شرحاً للأرجوزة التلمسانية في مادة المواريث[٢٥] ، وفي أوائل مؤلفه هذا ساق الحديث النبوي الذي يقـول « الفرائض ثلث العلم » وروي « نصف العلم » ، فيحمله الكافة على « علم الفرائض » :

(٢٣) الاستاذان : محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين محمد الشيال ، وقد قاما على نشر الرسالة في مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، حيث وردت الفقرة المعنية في كلمة التصدير ، ص د .

(٢٤) انظر عن مصادر ترجمته محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » ، مجلة « الثقافة المغربية » بالعدد ٥ ، ص : ١٣٢ : عند التعليق رقم ١١ .

(٢٥) لايزال مخطوطا ، انظر عن نسخه المعروفة : المصدر الاخير ، ص : ١٣٢ــ١٣٣ عند التعليق رقم : ١٢ .

فرائض المواريث ، بينما يفسره ابن خلدون بالفرائض التكليفية[٢٦] ، غير أن الفقيه المغربي يصحح تفسير الجمهور ، وينتقد تفسير ابن خلدون الذي أبهم اسمه وعبر عنه ببعض المتأخرين •

ولحسن الحظ ينبغ مؤلف مغربي جليل هو : أبو علي بن رحال المعداني ، المتوفى عام ١١٤٠/١٧٢٧ ، فينتصر للتفسير الخلدوني ويصححه، ويبطل ما ذهب اليه السيتاني[٢٧] •

٤ ــ ابن الأزرق : محمد بن علي بن محمد الأصبحي المالقي ثم الغرناطي ، المتوفى ــ بالقدس ــ عام ١٤٩١/٨٩٦ ، وقد اشتهر بكتابه « بدائع السلك في طبائع الملك » ، وهو يشف عن دراسة عميقة للمقدمة، أفضت بالمؤلف الى محاذاتها بكتابه هذا ، فيلخص أفكارها ويوضحها ، ويعدّلها ــ أحياناً ــ وينقدها ، فضلا عن إضافات جديدة وموضوعية •

وقد نُشر « بدائع السلك » ــ وشيكاً ــ في طبعتين : بتونس والعراق ، مع تصديرهما ــ معا ــ بترجمة المؤلف •

٥ ــ السخاوي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد القاهري ، المتوفى عام ١٤٩٧/٩٠٢[٢٨] ، والقصد ــ هنا ــ الى كتابه : الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ • ، حيث يتأثر ــ قليلا بتفكير ابن خلدون ، فينوه عند مدخل الكتاب بمزايا التاريخ ، ويعدد من بينها ما يذكر فيه من أسباب

(٢٦) « المقدمة » المطبعة البهية بمصر ، ص : ٣٩٤ ــ ٣٩٥ ، وهذه الطبعة هي التي سنعتمدها في الاحالات الآتية •

(٢٧) شرح المختصر الخليلي لأبي علي بن رحال ، مخطوط خ•م ٨٦٥٠ ، ج ٢٠ عند أوائل باب الفرائض ، وانظر عن ترجمة مؤلفه « نشر المثاني »، ط•ف ٢٣٤/٢ •

(٢٨) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ١٠/١٥٠ــ١٥١ •

مبادىء الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، والأحوال التي يتكرر مثلها وأشباهها ــ أبداً ــ في العالم[٢٩] .

٦ ــ المقري : أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني ، المتوفى عـام ١٠٤١/١٦٣٢[٣٠] ، وذكره في هذا العرض ، للتساؤل عن مدى واقعية ما ينسبه له حاجي خليفة[٣١] من تأليف شرح على « المقدمة » ؟

٧ ــ حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله القسطنطيني التركي ، الملقب بكاتب جلبي ، والمتوفى عام ١٠٦٧ / ١٦٥٧[٣٢] ، مؤلف « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، وهو منشور ، وفي مواضع من مقدمتـه يقتبس ــ بوضوح ــ من ابن خلدون في الأفكار ، وأيضـا في صياغات العناوين ، وفي جل التعابير الشارحة ، وللتوضيح تثبت مقارنة بين المداخل الرئيسية المعنية بالنسبة لكل من كشف الظنون والمقدمة حسب العرض التـالي :

كشف الظنون	المقـدمة
إن العلم طبيعي للبشر وانه محتاج إليـه[٣٣] .	إن العلـم والتعليـم طبيعـي في العمران البشري[٣٤]
إن العلوم المتداولة في الأمصار على	إن العلوم التي يخوض فيها البشر

---

(٢٩) الاعلان بالتوبيخ ، المنشور ضمن مدونة « علم التاريخ عند المسلمين » نشر مكتبة المثنى ببغداد ، ص : ٤٠٠ .

(٣٠) ترجمته ومصادرها في معجم المؤلفين ٧٨/٢ .

(٣١) « كشف الظنون » نشر مكتبة المثنى ببغداد ، ع١١٢٤ ، وهـذه الطبعة هي التـي تعتمدها الاحات التالية .

(٣٢) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ٢٦٢/١٢-٢٦٣ .

(٣٣) ع ٢٤ .

(٣٤) ص ٣٧٥ .

كشف الظنون	المقـــدمة
صنفين : صنف طبيعي للانسـان يهتدي إليه بفكره ، وهي العلوم الحكمية ، وصنف نقلي[٣٥] ...	ويتداولونها في الأمصار ــ تحصيلا وتعليما ــ هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي[٣٦] ...
إن حملة العلم في الاســلام أكثرهم العجم[٣٧] .	إن حملة العلم في الاســلام أكثرهم العجم[٣٨]
إن العلم من جملة الصنائع[٣٩]	إن التعليـم للعلـم مـن جملـة الصنائع[٤٠]
إن الرحلة في الطلب مفيدة[٤١]	إن الرحلة في طلب العلوم ولقـاء المشيخة مزيد كمال في التعلم[٤٢]
وأما كثرة المصنفات في العلوم ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، فهي عائقة عن التحصيل[٤٣] .	إن كثرة التآليف في العلوم عائقةعن التحصيل[٤٤]
وأما كثرة الاختصارات في العلوم فإنها مخلة بالتعليم[٤٥] .	إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم[٤٦]

(٣٥) ع ٣٩
(٣٧) ع ٤٠
(٣٩) ع ٤١
(٤١) ع ٤٢
(٤٣) ع ٤٤
(٤٥) ع ٤٤

(٣٦) ص ٣٧٩
(٣٨) ص ٤٩٩
(٤٠) ص ٣٧٥
(٤٢) ص ٤٩٧
(٤٤) ص ٤٨١
(٤٦) ص ٤٩٠

٨ ــ وبعد حاجي خليفة يستمر التأثير الخلدوني ــ بارزاً ــ لدى بعض المؤلفين المغاربة ، انطلاقا من أبي زيد الفاسي : عبد الرحمن بن عبد القادر الفهري ، المتوفى عام ١٠٩٦/١٦٨٥[٤٧]، ومن بين أوضاعه نشير الى الأرجوزة المطولة بعنوان « نظم الأقنوم في مبادىء العلوم » ، ولا تزال مخطوطة في نسخ معدودة ، من بينها نسخة خ٠ع٠ك ١٥[٤٨] ٠

وفي باب علم النسب تقتبس المنظومة قاعدة ابن خلدون في نقــد الأنساب ، وهو يقرر أن يعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء ، فمــا وافق ذلك فهو صحيح ، وما خالفــه ــ بالنقصان أو الزيادة ــ يبحث في شأنه ، مع العلم بأن ذلك القانون أغلبي[٤٩] ٠

٩ ــ أبو علي اليوسي : الحسن بن مسعود المتــوفى عام ١١٠٢/ ١٦٩٠[٥٠] ، وقد تأثر بابن خلدون في ثلاثة من أوضاعه ، وجاء ذلك في أساليب لا تتقيد بتعابير المقدمة ، فدلل على تصور عميق للأفكار التــي يقتبس منها ٠

وأول مؤلفات اليوسي هو كتاب « المحاضرات » الذي أعيد نشره باعتناء دار المغرب ، وقد ورد به أثناء كلام :

« ٠٠٠ وسبب ذلك أن الانسان انما احتــاج الى التمدن للقيــام بالمتاجر والحرف وسائر الاسباب التي ينتظم بها أمر المعاش والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية ، ولا يتأتى ذلك ــ عادة ــ إلا بكثرة الناس ،

(٤٧) ترجمته ومصادرها في « سلوة الانفاس » ١/٣١٤ــ٣١٦ ٠

(٤٨) يوجد تحليل لأرجوزة الاقنوم عند الكتاني في « التراتيب الادارية » ٢/١٩٥ــ١٩٩ ٠

(٤٩) « المقدمة » ص ١٤٩ ٠

(٥٠) له ترجمة موسعة مزودة بالمصادر في كتاب « الزاوية الدلائية » للدكتور محمد حجي ، ص ٩٧ ــ ١٠٨ ٠

لتحصل عمارة الاسواق ، ويحصل من كل حرفة وصناعة وسبب وعمل ، عارف أو آكثر يقوم بها ، ولا يكون ذلك ــ عادة ــ من عشيرة واحدة ، بل ولا من قبيلة وعمارة ، بل من أخلاط شتى ، وأفواج جمة...(٥١)».

ويتضح من هذه الفقرة أن كاتبها متأثر بقاعدة ضرورة الاجتماع للإنسان ، حيث يتوسع ابن خلدون في شرحها عند المقدمة الأولى من الفصل الأول من الكتاب الأول(٥٢) .

والى هذا نشير الى « الرسالة اليوسية الكبرى » حيث لا تزال مخطوطة(٥٣) ، وفيها يتأثر صاحبها بفصل « المقدمة » الذي يقرر قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران(٥٤) ، وهكذا يقول ابن خلدون:

« إن المصر الكثير العمران يكثر ترفه ، وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف ، وتُعتاد تلك الحاجات لما يدعو اليها فتنقلب ضرورات ...» ثم يذكر البدوي قائلا : « .. والبدوي لم يكن دخله كثيراً ... فيتعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير ، لغلاء مرافقه ، وعزة حاجاته ، وهو في بدوه يسد خلته بأقل الأعمال ، لأنه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه ، فلا يضطر الى المال ، وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من أهل البادية ، فسريعا ما يظهر عجزه ... »

ويبدو تأثر اليوسي بالمقدمة ، حين يتحدث في رسالته عن الحياة بالمدينة : « ... فإن كل شيء بالشراء ، حتى الماء الذي هو أسهل الاشياء لا بد له من نفقة فيه ... فما بالك بما فوق الماء » .

---

(٥١) « المحاضرات » نشر دار المغرب ص ١٨ .
(٥٢) « المقدمة » ص ٣٥ .
(٥٣) خ. ع ، ج ٨٤٩ : أول مجموع .
(٥٤) المقدمة ص ٣١٨-٣١٩ .

ثم يذكر الشهوات والاتساع فيها ويقول : « وإنّا كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا يعيشـون بما وجدوا قانعـين به ... فلما دخلنا الحاضرة ظهرت الشهوات ، ونظر النسـاء الى النساء ، والصبيان الـى الصبيان ، والرجال الى الرجال ، فطلبوا الاتساع كما اتسعوا ، وابتلينا كما ابتلوا » .

والآن : ينتهي بنا المطاف الى فهرس اليوسـي ، وهو ـ بدوره ـ لا يزال مخطـوطاً[٥٥] ، وفيه يتجـاوب المؤلف مع الفصل الأخير مـن « المقدمة » الذي يبتدىء هكذا : « اعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة : سواء كانت عربية أو عجمية ، وقد كان في الفرس شعراء ، وفي يونان كذلك[٥٦] .. » .

بينما يولد اليوسي هذه الفكرة ويقول في مقدمة الفهرس : « ...فقد بلونا لغة العجم ولا سيما لغة البربر التي نتقنها ، فوجدناها مشتملة على جميع مافي لغة العرب من المقاصد والمعاني ، وما فيها من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وإيجاز وإطناب ، وإطلاق وحصر ، وحقيقة ومجاز ، وكناية وتعريض ، وغير ذلك ، حتى إنه لايكاد يوجد بين اللغتين فرق إلا في مجرد العبـارات ، وخصت العربية بالفصـاحة والسلاسة وبعـض الأساليب الحسان ... » .

١٠ ـ القادري : عبد السلام بن الطيب بن محمد الحسني الفاسي ، المتوفى عام ١٦٩٨/١١١٠[٥٧]،وقد عرض في رسالته : «العرف العاطر ..»

---

(٥٥) خ.ع ، ك ١٢٣٤ : سادس مجموع .

(٥٦) « المقدمة » ص ٥٣٢ـ٥٣٣ .

(٥٧) ترجمته في « سلوة الانفاس » ٣٤٨/٢ـ٣٥٠ .

الى قاعدة ابن خلدون ، التي تعد لكل مائة من السنين ثلاثة آباء ، ثم عقب عليها بأن مراد مؤلف المقدمة أن ينفد مجموع عدد الآباء في مجموع عدد السنين ، بحساب ثلاث لكل مائة تقديرا ، وإن كان لكل مائة منها في الخارج اثنان وللأخرى أربعة مثلا ، فيحسب للألف سنة ثلاثين ، وذلك الموافق لجري العادة[٥٨] ...

١١ ــ أبو الربيع الحوات : سليمان بن محمد بن عبد الله الحسني العلمي الموسوي ، الشفشاوني نزيل فاس ، والمتوفى ــ بها ــ عام ١٨١٦/١٢٣١[٥٩] .

وقد أفاد من ابن خلدون في كتاب « الروضة المقصودة » ... « والاشارة ــ هنا ــ الى الباب الثالث منها ، لما استطرد به ذكر العلوم التي كانت متدارسة في عصره ، فيقتبس المؤلف من عروض المقدمة في مباحث أصناف العلوم[٦٠] غير انه يضيف لها زيادات يصل بها ــ أحيانا ــ حلقات سير تلك العلوم الى عصره .

وفي الباب ذاته يُشيد المؤلف المنوه به بالمنهج الخلدوني الذي يوصي بالتدرج في التعليم : مادة فمادة ، فلا ينتقل المتعلم من واحدة حتى يتقن الأولى ، تفادياً من وقوع التخليط على التلميذ اذا ألقي إليه علمان معاً ، فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما[٦١] ...

(٥٨) نقل ذلك أبو الربيع الحوات في كتابه : « السر الظاهر ... » ط·ف ص ١ من الملزمة ١٥ ، مع محمد الطالب ابن الحاج : في أواخر كتابه : « نظم الدر واللآل ... » ، مخطوط خاص .

(٥٩) ترجمته في « سلوة الانفاس » ٣/١١٦-١١٩ .

(٦٠) « المقدمة » حيث تبتدىء هذه المباحث بها من ص ٣٧٩ .

(٦١) « المقدمة » ص ٤٩١-٤٩٢ .

وبعد هذا ينقل أبو الربيع الحوات فقرة المقدمة عن صناعة الحساب: «ومن أحسن التعليم عندهم الابتداءُ بها ، لأنها معارف متضحة ، وبراهينها منتظمة ، فينشأ عنها ــ في الغالب ــ عقل مضيء درب على الصواب[٦٢]» •

ونقف ــ الآن ــ عند أبي الربيع الحوات علماً بأن تاريخ وفاته يوافق عام ١٨١٦ ، وهي الفترة الأخيرة التي كان العرب يستقلون فيها بالتعريف بأفكار ابن خلدون انطلاقا من عصر المؤلف •

وبعد الفترة ذاتها خلال القرن التاسع عشر ، بدأت أوربا تساهم ــ بجدية ــ في هذا الاتجاه نشراً وترجمة ودراسة ونقداً ، فدخل الاشتغال بالمقدمة في طور جديد بالنسبة لقطاعي الشرق والغرب ، وذلك ما طرح على هذه الدراسة أن تنتهي عند القرن التاسع عشر •

غير أننا سنستخلص من العروض السابقة أحد عشر اسماً تبتدىء من عصر المؤلف ، وتستوعب خمسة عشر مؤلفاً تأثرت أو اقتبست من ابـن خلدون ، وبينها من ينتقد بعــض أفكار المقدمة ، وهــي حصيلة تسعف بالتدليل على أسبقية مساهمة عربية للتعريف بالعلم الجديد ، وفي الوقت نفسه تأتي المساهمة المنوه بها في مواجهة التهمة التي تردد أن الاهتمـام بالمقدمة في البلاد العربية لم يبدأ إلا من أواخر القرن التاسع عشر •

* * *

والآن نبرز طرازاً آخر من رعاية العرب للمقدمة ، وذلك ما يعبر عنه استمرار نسخ من هذه المدونة مكتوبة بخطوط مشرقية أو مغربية ، حيث تحتضنها خزائن الكتب بالشرق والغرب ، في أصول صحيحة ، وفروع

(٦٢) « المصدر » ص ٤٢١ •

مقابلة ، ومن نماذج ذلك :

ـ النسخة التي صححها المؤلف بنفسه ، وكتب على كل صفحة منها مايفيد ذلك ، وهي في خزانة عاطف أفندي بالأستانة ، ومنها مصورة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة[٦٣] .

ثانيا ـ المخطوطة التونسية ، وهي بأول النسخة التي أهداها المؤلف الى السلطان بتونس أبي العباس الحفصي عام ٧٨٤/١٣٨٢ .
وقد صارت الى مكتبة ليدن ، وكانت هي موضوع محاضرة الأستاذ الدكتور مبارك رجاله .

ثالثا : المخطوطة المعروفة بالظاهري ، وهي واقعة بأول النسخة التي قدمها المؤلف للسلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٧ وتحفظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٨٦٣ .

رابعا : نسخة مكتبة أيا صوفيا بالأستانة رقم : ٣٢٠٠ ، وكانت نسخة خاصة للمؤلف[٦٤] .

ومن نماذج النسخ الفرعية :

٥ ـ نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، حيث يحتمل أنها قوبلت على نسخة بخط المؤلف ، وهي تحمل رقم ٤٧٢٩[٦٥] .

٦ ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث بالأستانة ، وهي بأول النسخة التي

(٦٣) « استخدام المصادر وطرق البحث » تأليف الدكتور علي ابراهيم حسن ، ط . مكتبة النهضة المصرية ، ص : ١٦٤ـ١٦٥ .
(٦٤) « التعريف بابن خلدون ... » تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ص يع .
(٦٥) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : جزء التاريخ وملحقاته ص : ٢ .

تحمل رقم ٣٠٤٢ ، وتاريخ كتابة المقدمة يرجع الى القرن التاسع هـ[٦٦] .

٧ ــ نسخة دار الكتب الظاهرية ، وتتوافق مع النسخة التي نشرها كاترمير في باريس[٦٧] .

٨ ــ مخطوطة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، وهي بأول التاريخ ، حيث يستوعبه ــ كاملا ــ مجلدان بخط مغربي كتبه عبد الله ابن محمد الغماري سنة ١١٣٧ هـ : رقم ١ ش .

٩ ــ مخطوطة نفس الدار رقم ٦٥ م ، وتقع أول التاريخ[٦٨] ، كما تشتمل على صيغة إهداء المؤلف للسلطان المريني أبي فارس عبد العــزيز الثاني عام ١٤٩٣/٧٩٩ .

١٠ ــ نسخة الجزائر بخط مغربي عام ١٠٦٧ هـ ، وكانت في مكتبة متحف الجزائر ، ثم صارت الى دار الكتب الوطنية بباريس ، حيث تحمل رقم : ٥١٣٦[٦٩] .

١١ ــ نسخة تونس ، بخط تونسي عام ١٢٢٨ هـ ، وهي بدار الكتب الوطنية التونسية تحت رقم : ٦٢١٦[٧٠] .

١٢ ــ نسخة خزانة القرويين بفاس رقم ١٢٢٠ .

١٣ ــ نسخة مكتبة ابن يوسف بمراكش رقم : ٤١٨ .

١٤ ــ نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم : ق ٣٠١ ، وهي في جزأين بخط شرقي عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وخال ــ أيضاً ــ من

(٦٦) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية ، جزء التاريخ : القسم الاول ص : ١٧٩ .

(٦٧) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : جزء التاريخ وملحقاته ص : ١ـ٢ .

(٦٨) فهرس دار الكتب المصرية ٥/٢٦١ .

(٦٩) Biblio theque Nationale E. Blochet. p. 67.

(٧٠) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ، تاليف عبد الحفيظ منصور ص ٤٠١ .

صيغة الإهداء في افتتاحيته ، وعلى كل من الجزأين خط الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر بتملكه •

وبالخزانة الملكية خمس نسخ توجت ــ جميعها ــ بصيغة الإهداء لأبي فارس المريني عبد العزيز الثاني ، مما يرجح أن خمستها متفرعة عن النسخة الفاسية ، وكلها مكتوبة بخط مغربي خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وتتابع عرضها تبعا للنسخ السابقة :

١٥ ــ يرتقي خطها الى العصر السعدي ، ماعدا بعض أوراق عوضت بخط مغاير ، وبأولها وهوامشها خط السلطان السعدي : زيدان بن أحمد المنصور ، وببعض هوامشها ــ أيضا ــ خط المؤرخ المغربي أبي القاسم الزياني ، وخط الأمير الحسين بن السلطان العلوي محمد الثالث ، وسواهم ، وهي تحمل بهذه الخزانة رقم ١٥٥٢ •

١٦ ــ يرجع خطها الى المائة الهجرية الحادية عشرة تقريبا ورقمها ١٧٧٨ •

١٧ ــ بهوامشها بعض التعليقات بتصحيح نظريات ابن خلدون ، وعصر خطها كالسابقة تقريبا ، وهي تحمل رقم : ٨٥٠٠ •

١٨ ــ مهمشة ــ أيضا بتوقيفات وقليل من الانتقادات على المؤلف ، وخطها ينتسب الى المائة الحادية عشرة تقريبا ، وهي تقع أول نسخة التاريخ تحت رقم : ٨٨٩٢ •

١٩ ــ الجزء الأول من المقدمة : الى أن ينتهي آخر الفصل الثالث من الكتاب الاول ، ناسخه غير مذكور ، وبواسطة المقارنة يتبين أنه محمد الطيب بن عبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الحسني قيم خزانة

جامع الرصيف بفاس أواسط المائة الهجرية الثالثة عشرة ، أما رقم الجزء فهو ١٤٢٩ ز .

وستكون هذه النسـخة آخر تسعة عشر نموذجا مـن مخطوطات المقدمة[٧١] ، حيث تعبر عن مدى رعاية العرب لتراث ابن خلدون ، بدءاً من عصره حتى بدايات القرن التاسع عشر الذي ينتهي عنده هذا العرض.

بعد هذا ننتقل الى طراز ثالث من التفات العرب لمدونة العلم الجديد، ويمثل ذلك ــ في هذه المرة ــ اهتمام أفراد من الدارسين بالمحافظة على تسلسل رواية العبر ومعه المقدمة ، حتى ينتهي السند ــ شيخاً عن شيخ ــ الى المؤلف ، وقد سار ذلك في اتجاهين اثنين : سند مشرقي ، وسند مغربي.

وقد ساق محمد البصري الرواية المشرقية من طريق محمد بن الطيب الشرقي ثم الفاسي : الى أن انتهى لشيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، عن ابن حجر العسقلاني القاهري ، عن المؤلف ابن خلدون [٧٢].

ثم كان ممن حافظ على السند المغربي محمد بن محمد بن سليمان الروداني ، حيـث انتهى به الى ابـن مرزوق الحفيـد التلمساني عن المؤلـف[٧٣] .

(٧١) يضاف لهذه النماذج نسخ « المقدمة » المخطوطة في خزائن أوربا : بألمانيا والنمسا وهولاندا والروسيا وانكلترا وايطاليا ...

ومن الواضح أن هذه المنتسخات كتبت في البلاد العربية : بالمشـرق أو المغـرب قبل أن تنتقل الى أوربا .

(٧٢) محمد البصري في فهرسه : « اتحاف أهل الهداية ... » مخطوط خ.م ز ١٢٥٢ ، ص ٣١٠ ، وقد جعل عنوان السند « تآليف ابن خلدون » غير أنه لما ترجمه عقب السند لم يذكر من مؤلفاته سوى التاريخ ، فدل ذلك على أنه انما يعني « العبر » .

(٧٣) محمد بن محمد بن سلمان الروداني في فهرسه : « صـلة الخلـف ... » مخطوط خ.ع.ح ، ص : ٧٤ .

ثم ذكر هذا السند يحيى الجراري ، وساقه من طريق محمد بن قاسم القصار ، عن عبد الواحد الونشريسي ، وهما ــ معا ــ فاسيان ، عن محمد بن العباس التلمساني ، عن ابن مرزوق الحفيد ، عن ابن خلدون[(٧٤)] .

ختاماً : نستخلص من هذه العروض أن المقدمة الخلدونية عرفت اهتماما ــ عربيا ــ بقراءتها ودراسة طائفة من أفكارها ، بدءاً من مطالع القرن الخامس عشر م ، ثم استمر ذلك عبر الأجيال التالية .

غير أن فضل أوربا كان في دراسة علم ابن خلدون بمنهجية جديدة ، تجاوبا مع ما وصل اليه الغرب في ظل القرن التاسع عشر .

الرباط « المغرب » **محمد المنوني**

توضيح :

١ ــ الاختصارات التي استخدمت في التعاليق هي :

ط.ف. : طبع فاس .

خ.ع.د. : قسم حرف الدال من الخزانة العامة بالرباط .

خ.ع.ك. : قسم حرف الكاف من نفس الخزانة .

خ.ع.ح. : قسم حرف الحاء من نفس الخزانة .

خ.م. : الخزانة الملكية .

خ.م.ز. : قسم المجموعة الزيدانية من نفس الخزانة .

٢ ــ المصادر والمراجع : تذكر وضعيتها عند أول إشارة ولا يتكرر ذلك في الإحالات التالية .

(٧٤) يحيى بن عبد الله الجراري في فهرسه : « ضوء المصباح » مخطوط خ.م ٤٢٧٥ .

الرصافي مؤرخاً

مع نظرة خاصة لتأريخه للسيرة النبوية

الدكتور صفاء خلوصي

قد يستغرب الانسان لأول وهلة عندما يعلم أن الصفة الغالبة على الشاعر معروف الرصافي أنه كان مؤرخاً أكثر من أي شيء آخر ، فقد طغى التاريخ على كل جوانب حياته وعلى أكثر ما كتب من شعر ونثر ، وفيما تبقى من آثاره أرخ للحقبة التي عاش فيها ؛ ففي القسم الموسوم «بالتاريخيات» من ديوانه[1] خمسمائة بيت ونيف ، وهي مستهلة بقصيدته « ضلال التاريخ »[2] التي بوسعنا أن نعدها مقدمة لدراساته التاريخية الشعرية والنثرية جميعا ، وفيها يشك في صحة التاريخ وصدق تحرّيه . وضمت في هذه المجموعة قصائده : « جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي » (١٥٤ بيتاً) و « الحرب في البحر أو وقعة توشيما بين الروس واليابان » (٤٠ بيتا) و « هولاكو والمستعصم » (٦٧ بيتا) وفيها يتهم الوزير العلقمي بالخيانة لسيده الخليفة ، ويذكر أن « الطوسي » هو الذي أفتى بقتله ؛ و « أبو دلامة والمستقبل » (٦٦ بيتا) وفيها يبدو الرصافي أكبر مناصر للسلم ضد الحرب ودُعاتِها ، و « أطلال العلم أو المدرسة

---

(١) ديوان الرصافي بجزأين ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٩٥٧ .

(٢) ج ٢ ص ٣٥٦ـ٣٥٨ وعدة أبيات القصدة ٤٠ بيتا ويبدو أنه أسقط منها بعض أبيات لانه ورد في موضعين من القصيدة عبارة : « ومنها » .

النظامية في بغداد » (٢٢ بيتا) و « في سلانيك »(٦١ بيتا) وتدور حــول زحف جيش سلانيك بقيادة محمود شوكت باشا الذي أصبح فيما بعد الصدر الاعظــم أو رئيس الوزراء للدولة العثمانية بعد أن قمع حــركة ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد الثاني ، ويبدو أن الرصافي كان برفقة الجيش الزاحف بدليل قوله :

أتينــا دار قسطنطينَ صُبحاً وقد فُتحت لهم فتحاً مبينا

ثم إنه كان صديقا لمحمود شوكت باشا ولأخيه حكمت سليمان الذي أصبح فيما بعد أحد رؤساء الوزارات العراقية ، في الفترة المعروفة بانقلاب بكر صدقي العسكري (١٩٣٦ ـــ ١٩٣٧) .

وهناك قصيدته « وقفة عند يلدز » (٤٧ بيتاً) وفيها نقد لعبد الحميد وحكمه ، وعلى غرارها « تموز الحرية » (٢٦ بيتاً) ، وتختم المجمــوعة بقصيدة « المجلس العمومي » (٣٥ بيتاً) وعين القلادة فيها قوله :

قد أصبح الأمر شورى بيننا فبهِ على الرعيــة لا يستأثر الملــك

وهو ما كان يؤمــن به الرصافي فقد كان ديموقراطياً شورويا محباً للحرية . وقد أخطأ جامعو الديوان حين أدرجوا مقطوعة «يوم العروس»[٣] في هذه المجموعة لأنها قيلت في الأمير عبد الإله يوم دخل الانكليز العراق على أثر انهيار حركة أيار (مايو) ١٩٤١ التي قام بها رشيد عالي الكيلاني، واذا صحَّ أن تُدخل هذه المقطوعة في « التاريخيات » على أساس أنها جزء من تاريخ العراق الحديث وجــب علينا أن ندخل مجمــوعة من مراثيه وأماديحه وما أدرج «في باب السياسيات» في « قسم التاريخيات » فمن

(٣) ج ٢ ص ٣٩٢ .

ذلك مثلا مراثيه لعبد المحسن السعدون[٤] : « ميتة البطل الأكبر »[٥] ورثاؤه للملك حسين بن علي[٦] وفيصل الاول[٧] ومعظم « سياسياته » من نحو « ما هكذا »[٨] و «في ليلة نابغية»[٩] و«عند سياحة السلطان»[١٠] وحتى بعض ما أدرج في باب « الحريقيات »[١١] و « الحربيات »[١٢].

وأرّخ الرصافي للطبقة المظلومة المحرومة في قصائده « أم اليتيم »[١٣] و « السجن في بغداد »[١٤] و « المطلقة »[١٥] و « اليتيم في العيد »[١٦].

وأرّخ للسياسة العراقية في قصائده المعارضة لنظام الحكم يومذاك، وفي محاضر جلسات المجلس النيابي يوم كان نائباً لثماني سنوات ، وكان قد أرّخ للحكم العثماني ـ كما أسلفنا ـ في أواخر أيام الامبراطورية .

وعندما ارتأى لنفسه النفي الاختياري في الفلّوجة أصبح مؤرخاً من مؤرخي السيرة النبـوية إذ عكف على وضـع كتابه : « الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس » . وقد كان الرصافي على مذهب المتصوفة، لذلك فإن الكتاب لايخلو من شطحات صـوفية ، ومهما اختلفنا معه في

---

(٤) كان من أخص أصدقائه وأحبهم اليه وهو الذي حاول المصالحة بينه وبين الملك فيصل .
(٥) ج ٢ ص ٣١٨ـ٣١٩ و ٣٢٠ ـ ٣٢٣ و « ذكرى فتى السعدون » ج ٢ ص ٣٢٤ـ٣٢٦ .
(٦) ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٧) ج ٢ ص ٣٣٤ .
(٨) ج ٢ ص ٤٠٢ـ٤٠٥ .
(٩) ج ٢ ص ٤٠٥ـ٤٠٧ .
(١٠) ج ٢ ص ٤١١ـ٤١٣ .
(١١) ج ١ ص ٢٨٨ـ٢٩٣ .
(١٢) ج ٢ ص ٤٧٨ـ٤٩٧ .
(١٣) ج ١ ص ٣٩ .
(١٤) ج ١ ص ٤٢ .
(١٥) ج ١ ص ٥٤ .
(١٦) ج ١ ص ٥٨ .

الرأي حول نقاط معينة فإن الكتاب حري بالدراسة وابداء الرأي والنقد فيه ، فليس ثمة انسان مهما كان عظيماً يعلو فوق النقد أو يسمو عليه .

لقد تمكنتُ من الحصول على نسخة « ميكروفيلم » كاملة لهـذا الكتاب وقضيت نحواً من ستة أشهر في دراسته بمكتبة المتحف البريطاني بلندن سنة ١٩٧٢ ودونتُ بعض الملاحظات والتعليقات على هوامش هذا الكتاب الذي طال حوله الجدل .

ولستُ ممن يؤمنون باخفاء الأمور لمجرد إشاعات قد تكون حقيقية أو باطلة ، بل إنني أحب الصراحة ، ولاسيما في القضايا العلمية الاكاديمية والبحث في مخطوطة الرصافي هذه واحدة منها .

ليس من ينكر أن الرصافي كان ينزع نزعة صوفية ، وينحو منحى يسميه هو أو سواه « حراً » ، وأياً كان الأمر فإن الرصافي في هذا الكتاب لم يخل في طريقة بحثه كما قلنا من شطحات صوفية ، اذا جاز التعبير ، بل إنه يبدأ الكتاب بداية صوفية إذ يقول : « بسم الحقيقة المطلقة اللانهائية، حامداً لها ومصلياً ومسلماً عليها » .

يقع المخطوط في ١٣١٥ صفحة بحجم كراريس تمارين الطلبة الاعتيادية، والحق أنه دوّن في هذه الكراريس ووزع البحـث على ثلاثة وأربعين قسماً ، والنسخة التي بين يدينا هي نسخة المرحوم كامل الجادرجي منقولة عن النسخة الاصلية التي أودعها المؤلف في حينه عند صديقه محمـود السنوي ، وأكبر الظن أن السنوي أحـرق نسخته بعـد وفاة الرصافي ، ربما لأنه لم تعجبه النزعة الصوفية في البحث ، مع أن الرصافي نشأ ليكون متصوفاً على يد العلامة محمود شكري الآلوسي ، وكان يومئذ يعـرف

بمعروف بن عبد الغني ، فلقبه « بالرصافي » ليكون صنـوا للمتصوف المشهور « معروف الكرخي » •

ومع أنني لا أذهب مع الرصافي في بعض ما ذهب اليه ولي اعتراضات على أسلوب بحثه ، فإن انطباعي الرئيسي عنه أنه لا يؤمن بالتاريخ بصورة عامة ، كما أسلفت ، لذلك جعل عنوان مقدمة المخطوط : « للحقيقة لا للتاريخ » وقد كان ، كما قلنا في مستهل بحثنا ، قد أفصح عن هذا الرأي في شعره فنثر ما كان قد نظمه ، بل تراجع في شعره ونثره عن بعض ما كان يؤمن به من صحة التاريخ وصدقه يوم قال :

وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب ليجعله أحدوثة كلُّ مخبرِ

وعذره في ذلك أن « الايام تنضج المرء بحوادثها فيستحيل من حال الى حال ، وينتقل من طور الى طور ، وكذلك فعلت بي الايام ، حتى أصبحتُ لا أقيم للتاريخ وزناً ، ولا أحسب له حساباً ، لأني رأيته بيت الكذب ، ومُناخ الضلال ، ومستجمع أهواء الناس • اذا نظرت فيه كنت كأني منه في كثيب من فيض رمال الاباطيل قد تغلغلت فيها ذرات ضئيلة من شذور الحقيقة ، فيتعذر أو يتعسر على المرء أن يستخلص من طين أباطيله ذرات شذور الحقيقة » •

لقد هاجم الرصافي التاريخ والمؤرخين ، بما فيهم هو نفسه ، ومن ساواك بنفسه ما ظلمك ، لأن التاريخ لا يخلو من نزعات ذاتية وأغراض فردية ، وتوهم مقصود أو غير مقصود لأشياء غير موجودة ، وفي هـذا يقول في قصيدته « ضلال التاريخ » :

وما كتب التاريخ في كل ماروت لقـــرّائها إلا حديـث ملفّقُ
نظرنا لأمـر الحاضـرين فرابنـا فكيف بأمـر الغابرين نصـدق ؟

وما صدقتنا في الحقــائق أعــين" فكيف إذن فيهن يصدقُ مهرق[١٧]
وهل قد خصصنا دون من كان قبلنا بخبث السجايا ، شدَّ ما نتحمَّق!

فالرصافي اذن يحاول أن يتحرى الحقيقة ، ولا يزعُمُ أنه مفلح" في التوصل إليها ، فقد يكون كل ما يذكره في كتابه أوهاماً مجددة ، لذلك يسبق القارىء الى هذه الناحية فيقول :

« فإن قلت أيها القارىء الكريم : من يضمن لك أنك تُرضي الحقيقة، وهل رضاها عنك فيما كتبتَهُ هنــا إلا دعوى مجــددة لا تقوم إلا فيما تزعمه أنت ؟ قلت : كفى بحرية الفكر ضامناً الى رضاها ، وما عليَّ في نجاح هذه الدعوى مني وهدفها إلا أن أفكر حراً وأكتب حراً ، فإن أحبَّتْ ما أردته لها فقد أرضيتُها ، وإن أخطأتُ فلي ما يعذرني عندها من أنني لا أقصد إلا رضاها ، ولا أنحاز إلا الى جانبها ، ولا أتحرى إلا الوصول إليها ، واذا كنتُ لا أتبع هوى النفس فيما أكتب عنها ، فما أنا بمسؤول عما لا طاقة لي به منها » .

وهو لا يبالي بسخط الناس ورضاهم ما دام لا يبغي فيما يكتبه غير رضى الحقيقة ، ويدعم قوله هذا ببيت من ديوانه :

لعمرك إنَّ الحــرَّ لا يتقيَّــدُ ألا فليقل ما شاءَ فيَّ المفنِّد[١٨]

وإنه مستعد لتحمل الأذى في سبيل الحقيقة مادام حياً ، وإن كان ميتاً فلا يناله « من سبابهم ضير ، كما لاينالهم منه خير ، فإن سبَّ الميت

(١٧) جاء في هامش الديوان ص ٣٥٧ هـ ٢ : « المهرق نوع خاص من الصحف كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .

(١٨) الديوان : ٧٤/١ .

لا يؤذي الحيّ ، ولايضر الميت ، كما قال محمد بن عبد الله عظيم عظماء البشــر » •

هذا ما جاء على لسان الرصافي بالضبط في المقــدمة التي كتبها في الفلّوجة يوم ٥ تموز (يوليه) سنة ١٩٣٣ فهــو يؤمن مخلصاً أن محمداً ﷺ كان عظيم عظماء البشر •

وهو يعتقد أن من أعظم معجزات الرسول ﷺ أن العرب « قــد دوّخوا البلاد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب في مدة لا تزيد على ثلاثين سنة » ثم يرفع عقيرته قائلا : « انظر الى هذه النهضــة وآثارها الباهرة ، فإنها معجزة المعجزات التي لم يسبق لها نظير في البشر ، منــذ عُرِف التاريخ الى يومنا هذا •

والغاية التي يرمي إليها محمد ﷺ إحــداث نهضة عربية دينيــة اجتماعية سياسية ، تكون عربية المبتدأ عالمية المنتهى ، أي يقوم بها العرب في بدء الامر » •

وقد تكررت هذه العبارات في المخطوطة أكثر من مرة ، ويبدو أن الظاهرة الإعجازية قد تحققت الى حد بعيد في التاريخ ، ثم ركدت ، وهاهي ذي اليوم تبتعث من جديد ، ولعلها في هذه المرة ستعم البسيطة أجمــع ويكون العرب قادة الدنيا وزعماءها الموجّهين •

وقد كان بودنا لو أن الرصافي أتيحت له الفرصة فأعاد النظر في كتابه هذا الذي كان هدفه الاول والاخير في حيــاته وقد استغرق تأليفه عدة سنوات من العزلة والانفراد ، فهو مؤلف على الطريقة الجاحظية من حيث الاستطرادات والجمــل الاعتراضية والملاحظات والتنبيهــات والمسائل والملاحق الخ •••

فقد كان بوسعه أن يتبع الطريقة العصرية في التأليف فيضع ما لم يكن من صلب النص في حواش وهوامش ، وملاحق في آخر الكتاب ، وقد لاحظنا أنه اذا ماطال الاستطراد عنده غيَّر الموضوع موقَّتاً ليعود إليه فيما بعد ، تحت عنوان (تكملة) .

ولم يذكر الرصافي ثبتاً بالمصادر والمراجع ، مع أننا أحصينا في ثنايا الكتاب ما لايقل عن خمسة وثلاثين مصدراً من دون أن يذكر تاريخ طبعها أو مكانه ، وهي حسب ترتيب ذكرها في المخطوط كما يلي :

(١) سيرة ابن هشام .
(٢) السيرة الحلبية .
(٣) معجم البلدان لياقوت .
(٤) الحافظ ابن حجر : « لذة العيش في طرق حديث : الأئمة من قريش » .
(٥) ابن القيِّم : « زاد المعاد » .
(٦) سيرة الحافظ الدمياطي .
(٧) الزمخشري : « الكشَّاف في تفسير القرآن » .
(٨) الحاكم : « المستدرك » .
(٩) ابن عساكر : « تاريخ دمشق » .
(١٠) المقريزي : « الإمتاع » .
(١١) ابن الصبَّاغ « الفصول المهمة » .
(١٢) الطبراني :
(ا) المعجم الكبير .
(ب) المعجم الاوسط .

(١٣) سيرة مغلطاي بن قليج[١٩] .
(١٤) ابن عبد البر[٢٠] : « الاستيعاب في معرفة الاصحاب » .
(١٥) الفخر الرازي « كتاب الإشارات » .
(١٦) الشافعي : « الأم » .
(١٧) جلال السيوطي :

(ا) الخصائص الصغرى
(ب) كتاب من غيَّر رسول الله اسمه
(جـ) الجامع الصغير
(د) الإتقان في علوم القرآن
(هـ) تاريخ الخلفاء
(و) الدر المنثور

(١٨) صحيح البخاري[٢١] .
(١٩) سُنَن الترمذي[٢٢] .

(١٩) هو علاء الدين مغلطاي (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) محدث ومؤرخ ونسابة تركي الاصل مصري المنشأ . من تآليفه « الاشارة أو السيرة النبوية » وهو الكتاب الذي استعان به الرصافي في تأليفه و « الواضح المبين في من استشهد من المحبين » .

(٢٠) يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) فقيه مالكي ولد في قرطبة وتوفي في شاطبة . برع في الحديث والرواية حتى عـرف بحافظ المغـرب . كان أعلم محـدثي زمانه في أسماء الصـحابة .

(٢١) محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري (١٩٤-٢٥٦ هـ) .. محدث وحافظ وفقيه ومؤرخ ومن كتبه الجامع الكبير والمسند الكبير والتاريخ في تراجم رجال الاسناد والحديث والجامع الصحيح الذي شرحه العسقلاني .

(٢٢) أبو عيسى محمد بن عيسى احد أصحاب السنن (٨١٥-٨٩٢ م) ولد ضريرا بترمذ قرب بلخ . أهم مؤلفاته : (العلل) و (السنن) في الحديث ، ويمكن تسميته بالجامع .

(٢٠) سنن النسائي[٢٣] .
(٢١) عبد الوهاب الشعراني[٢٤] (ويعرف بالشعراوي أيضا) :
« تفسير القرآن » .
(٢٢) النجار : « الخلفاء الراشدون »[٢٥] .
(٢٣) أحمد بن زيني دحلان[٢٦] : « السيرة الدحلانية » .
(٢٤) ابن الجوزي (من دون ذكر عنوان الكتاب)[٢٧] .
(٢٥) أبو العلاء المعري :
(ا) اللزوميات .
(ب) الفصول والغايات : ج ١ .
(٢٦) الجاحظ : « البيان والتبيين » .
(٢٧) تفسير عبد الرزاق[٢٨] .

وأضاف الرصافي الى مصادره التاريخية والدينية والادبية مصادر

(٢٣) أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (٨٣٠ـ٩١٥ م) احد أصحاب كتب الحديث الستة ولد بنسا بخراسان . اهم كتبه (السنن) وهو مقسم موضوعيا الى ٥١ قسما اختصره في (المجتبى) وشرحه السيوطي .

(٢٤) ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م وقف جهده على التصوف ، وله « الجواهر والدرر الكبرى » و « لواقح الانوار في طبقات السادة الاخيار » .

(٢٥) محب الدين بن النجار (١١٨٢ـ١٢٤٥ م) مؤرخ حافظ للحديث ، ولد في بغداد وتوفي فيها . درس على ابن الجوزي وقام بالتدريس في النظامية وله (ذيل تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي و (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) .

(٢٦) احمد بن زيني دحلان (١٨١٦ـ١٨٨٦ م) فقيه ومؤرخ وكان مفتي الشافعية وشيخ العلماء ، مولده في مكة ومثواه في المدينة ، اهم مؤلفاته في التاريخ : « الدول الاسلامية بالجداول المرضية » .

(٢٧) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : فقيه حنبلي ألف في التاريخ والحديث . أهم كتبه : « المنتظم وملتقط الملتزم » .

(٢٨) لعله عبد الرزاق (كمال الدين بن اسحق السمرقندي) ١٤١٣ـ١٤٨٢ م ولد في هراة . مؤرخ ايراني وله« مطلع السعدين ومجمع البحرين » وفيه الاخبار المسلسلة من ١٣١٧ الى ١٤٧١ آخذا من مصادر مفقودة .

أخرى في اللغة والعروض ، ويبدو أن أحبَّها إليه كتاب سيبويه ، واعتمد على ذاكرته في بعض القضايا ، وترك أخرى معترفاً بالتقصير لقلة ما كان لديه من مصادر في الفلوجة[٢٩] .

وهناك مصادر شفهية أو أشخاص تباحث معهم في أجزاء من الكتاب وأورد آراءهم ، وهم أربعة أشخاص نوردهم حســب ترتيب ذكرهم في الكتـــاب :

(١) خليل طوطح[٣٠] الذي كان مديراً لمدرسة المعلمين في القــدس حيث قام الرصافي بأعباء تدريس الادب العربي في طريق عودته من الآستانة الى بغداد سنة ١٩٢١ وخليل طوطح من أسرة فلســطينية وقد تثقف في الولايات المتحدة الاميركية .

وقد تبينا فيما جاء في حديثه عن خليل طوطح أن فكرة تأليف الكتاب عنَّت له سنة ١٩٢٢ ولو أنه لم يستطع النهوض بأعبائها إلا بعد احدى عشرة سنةً ، ويبدو أن السيرة النبوية شغلت ذهنه منذ حداثة سنِّه ولم تبارح مخيلته طَوال حياته ، ومع أنه لم يغيِّر في الكتاب شيئاً خلال الاثنتي عشرة سنة التي أعقبــت الفراغ من وضـــع الكتاب باستثناء أسطر أو صفحات حشيت هنا وهناك في فترات متباينة ، فقد تعمـــد ترك فراغات لهذا الغـــرض .

(٢) الدكتـــور زكي مبارك[٣١] وقد قابله في الفلوجه عنـــدما كان الدكتور أستاذاً بدار المعلمين ببغداد ، ودارت مناقشات حامية بينه وبين

---

(٢٩) المخطوطة : ص ٩ اذ يعتذر بقوله : « أنا اليوم عند كتابة هذا في منزل من الفلوجة منقطع عن وسائل البحث والتنقيب ، ليس لدي من الكتب ما ارجع اليه » .

(٣٠) نفسها : ص ٦٩ .

(٣١) نفسها : ص ٢٦٩ .

الرصافي حول محتويات الكتاب ، ولا سيما فيما يتعلق باطلاع الرسول الكريم (ص) على ثقافة عصره •

(٣) حسن فهمي المدفعي[٣٢] الذي قدّم له بعض المعلومات عــن اليهود السامريين وطقوسهم الدينية حصل عليها عنــدما كان ضابطاً في المدفعية العثمانية بنابلس أثناء الحرب العالمية الاولى •

(٤) نخلة زريق[٣٣] : كان زميلاً للرصافي في الكلية العربية بالقدس حيث قارن فكرة صلب المسيح في الاسلام والمسيحية •

وفي الكتاب نزعة روائية جدلية ونقد لبعض المصــادر ، ولاسيما كتاب « الفصول والغايات » للمعري ، إذ أكد أن المعري أخفق في محاولته محاكاة القرآن ، كما أخفق شوقي في محاكاة ميمية البوصيري أي نهج البردة ، فقصيدة شوقي غير طبيعية ، كما أن لشوقي نفسه قصائد ليس بوسع البوصيري محاكاتها ولا بمقدوره أن يحلم بالوصول الى مستواها؛ ويشك الرصافي ، مع ذلك ، أن يكون المعري حاول محاكاة القرآن[٣٤] •

ورغم أن مؤلفنا ينتقد الحسن البصري فإنه يمتدح سعيد بن المسيب لأنه كان واسع التفكير •

وينتقد كتاب الدكتور حسين هيكل في الســيرة النبوية لأنه ، على رأي الرصافي ، لم يأت بجديد •

وإني أتفق مع الرصافي تمام الاتفاق في أننا لا نستطيع اليوم في العالم

(٣٢) نفسها : ص ٦٧٣ •

(٣٣) نفسها : ص ١٠٣٩ •

(٣٤) نفسها : ص ٩٠٤ •

العربي أن نكتـــب بالحرية التي كان يكتـــب بها أجـــدادنا في القرون الوسطى[٣٥] •

وينتقد الرصافي كتاب «الكشاف» للزمخشري وكذلك كتاب الباقلاني الموسوم بإعجاز القرآن ، ولم ينج المعتزلة و لا الخليفة المأمون من نقدات الرصافي ، بل انه ليضع المأمون على قائمة الشخصيات التاريخية التـــي حاسبها ووجه إليها نقداته اللاذعة ، كما أنه أنحى باللائمة على ابن هشام لاختصاره سيرة ابن اسحق •

وعالج المؤلف في كتابه هـــذا أسلوب القـــرآن[٣٦] ، فنثر القرآن في رأيه شيء خاص لا هو بالنثر ولا الشعر ، وهو مصيب في رأيه هذا •

وخلاصة الكتاب أن محمداً (ص) اندمج في الكون اندماجاً كلـّياً حتى صار جزءاً منه ، وهذا جوهر فكرة وحدة الوجود عند المتصوفة من أمثال الرصافي •

لقد استطاع محمد (ص) أن يتحرر من فرديته ومن جزئيته ويكوّن كلاً كاملاً مع الكون أجمع ، فما كان يصدر من فمه في ساعات اندماجه الكلي بالكون هو كلام الله ؛ ولم ينكـــر الرصافي ــ وحاشاه أن يفعل ذلك ــ أن محمداً (ص) كان رسولاً يوحى إليه ، ولا جحد رسالته كما يزعم بعض الزاعمين من الذين لم يتعمقوا في دراسة المخطوطة حق الدراسة•

والأفضل لمن يقرأ المخطوط أن يقرأه مرتين كما فعلـــت أنا ، أو أن يقرأ القسم الثاني قبل الأول ليتبين ما يرمي اليه المؤلف وإلا أساء فهـــم الكتاب القائم على فكرة وحدة الوجود Monism •

---

(٣٥) نفسها : ص ٨٩٩ •

(٣٦) نفسها : ص ٨٣١ـ٨٣٣ •

وربما عجز الرصافي في مستهل بحثه عن التعبير عن قصده ، ولكنه بلغ ما يريد على مراحل ولا سيما عندما وصل الى ختام الكتاب ، وفي هذا مصداق لما جاء في ديوانه :

ففي النفس ما أعيا العبارة كشفُه وقصَّر عن تبيانه النظم والنثرُ
وما كل مشعور به في نفوسنا قدير على تبيانه المنطق الحرُّ
ويارُبَّ معنى دقَّ حتى تخاوصت إليه من الألفاظ أعينُها الخُزْرُ

وإليك رأي الرصافي الصريح في الرسول الكريم (ص) بالحرف الواحد :

« محمد ــ أعظم رجل عرفه التاريخ • أحدث في البشر أعظم انقلاب عام في الدين والسياسة والاجتماع ؛ وقد أوجد هذا الانقلاب بواسطة نهضة عربية المبتدا عالمية المنتهى[٣٧] بدلت مجرى الحياة الانسانية وحولتها الى ما هو أعلى مما كانت عليه قبلها ، حتى إن آثارها في قليل من الزمن عمَّت الشرق والغرب ؛ ولم تزل آثارها باقية الى يومنا هذا وستبقى الى ما شاء الله •

إن تلك الشخصية العظمى التي يمثلها شخص محمد بن عبد الله في بني آدم قد اجتمع فيها من عناصر الكمال البشري ما لم يعرف التاريخ اجتماعه في أحد قبله : عزم لايرده رادّ ، وتفكير عميق الغور ، بعيد المرمى ، وخيال واسع قويّ يكاد يعادل الحقيقة بقوته ، وطموح الى العلا لا يعلو عليه طموح •

هذه هي العناصر الاصلية التي تتكون منها شخصية محمد (ص)

(٣٧) المخطوطة : ص ٩٧٥ •

أضف الى ذلك ما أوتيه من غزارة عقل وثقوب ذكاء[٣٨] » .

ورجل هذا رأيه في محمد (ص) خليق بالتقدير حتـى وإن حاول أن يسلك سبيل وحدة الوجود لفهم ما أغلق عليه فهمه ، مادام بقي مسلماً حتى أخريات أيامه عندما كتب وصيته قائلا :

« أنا والله الحمد مسلم مؤمن بالله ورسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا أرائي فيه ولا أداجي » .

ووقّع الوصية على الوجه التالي :

معروف الرصافي
المؤمن بالله وحده لا شريك له

لذلك ينبغي لنا حين نقرأ كتاب « الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس » أن نضع وصيته ، وهي آخر ما كتبه ، نُصبَ أعيننا ، ثم نقرأ الجزء الاخير من الكتاب قبل أن نشرع بمستهَله ، فقد يكون الرجل ، لعمق الفكرة التي كانت تجول في خلده عاجزاً بادىء ذي بدء عن التعبير الذي توصل اليه في النهاية .

ويبدو موقفه رائعاً حين يدحض كون « الفصول والغايات » للمعري مما يمكن أن يذكر على صعيد واحد مع القرآن الكريم فيقول : « وهذا المعري قيل إنه عارض القرآن في كتابه المسمى بالفصول والغايات (وقد طبع حديثاً في مصر جزء من هذا الكتاب) ،فلما اطلعتُ عليه قلت :

وأين الثريّا من يد المتناول ؟

(٣٨) وجاء في (ص ٢١ـ٢٢) من المخطوط ما يلي : « اذا نظرنا الى محمد (ص) بمنظار ما هو مأثور في كتب السير رأيناه في الذروة العليا من مقام الايثاريين ووجدناه قد ترفع بنفسه عن حطام الدنيا وزخرفها الفاني واحتقر الماديات كلها ونظر اليها نظر المقت والازدراء » هـ .

وقبل كل شيء إن أسلوب المعري في كتابه هذا أسلوب عام مبتذل وأسلوب القرآن أسلوب خاص مبتكر ، وكيف يعارض القرآن بكتاب جل ما فيه أن كاتبه جمع في عباراته شيأ من غريب اللغة وطرفاً من أخبار العرب ومن اشتهر منهم بما يزين أو يشين ، وما اشتهر من خيولهم ونوقهم وشيئاً من أقوال النحاة ومصطلحاتهم في الشعر وأوزانه وقوافيه، الى غير ذلك من الامور التي يجدها في الكتب من أرادها على وجه أوسع وأنفع مما جاء به المعري في (الفصول والغايات) •

نعم ! إن المعري في كل ما قاله في كتابه هـذا يرمي الى تنـزيه الله وتقديسه وبيان ما له من عظمة وجبروت وما له من رحمة واسعة وغفران، وما له من قدرة عظيمة لا يعجزها المحال ولا تؤودها الثقال ، ولكنه يأتيك بهذا في مواضيع لا تناسبه ولا تلائمه ، وإليك فصلاً منه قاله في سعة رحمة الله وعفوه وغفرانه :

(لا آيس من رحمة الله ولو نظمتُ ذنوباً مثل الجبال سوءاً كأنهن نبات جميز ووضعتهن في عنقي الضعيفة كما ينظم صغار اللؤلؤ فيما طال من العقود ، ولو بنيتُ بيتاً من الجرائم أسود كبيت الشعر يلحق بأعنان السماء ويستقل عموده كاستقلال عمود الوضح ويمتد إطنابه في السهل والجبل كامتداد حبال الشمس لهدَمَهُ عفوُ الله حتى لا يوجد له ظل من غير لباث) •

فأين هذا مما جاء في القرآن من قوله : « قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله • إن الله يغفر الذنوب جميعاً • إنه هو الغفور الرحيم » •

فالمعري مسفٌ في كثير من كلامه الذي ضمنه هذا الكتاب ، وليس

هو كذلك في (لزومياته) التي كتبها بعد هذا الكتاب ، فإنك تراه محلقاً في تفكيره الى ذرى لا يصل اليها إلا الأفذاذ من المفكرين ؛ وإني أستبعد كل الاستبعاد أن يكون المعري قصد بكتابه هذا معارضة القرآن » •

وقد يدور بخلد بعضنا أن الرصافي ربما كان متأثراً في كتابه هــذا بالآراء التجديدية « لحزب الاتحاد والترقي » فهل كان الرصـــافي منتمياً الى هذا الحزب أسوة بكثيرين من أصـــدقائه في الآستانة ، وهـــل كان ماسونياً على غرار محمد عبده وجمال الدين الافغاني لأن صديقه حكمت سليمان ـــ على ما أيّد لي القاضـــي لويد[٣٩] Judge Lloyd الذي مارس القضاء في العراق أيام الانتداب البريطاني ، كان ماسونياً بل إن فريقاً من كبار قادة حزب الاتحاد والترقي كانوا من الماسونيين •

لقد كان الرصافي متحرراً ومجدداً في آرائه السياسية والاجتماعية والدينية وأحكامه التاريخية ، ولربما أيّد الاتحاديين في بعـــض آرائهم التجديدية ، ولكنه لم ينتم إليهم ، ولا انضم الى الماسونية لأنني لم أجد في دراساتي كلها ما يؤيد ذلك ، ثم أليس هو القائل :

للانكليز مطامع ببلادكم لاتنتهي إلا بأن تتبلشفوا

فالكتاب الذي بين أيدينا لم يقع تحت طائلة أي تأثير سوى التأثير التصوفي والتفكير الفردي الحر البحت •

وعندما قابلنا النشرة الانتقادية ، التي وزعها الشريف حسين بن علي

(٣٩) رأيته في لندن سنة ١٩٦٧ وكنت يومها ابحث في « دائرة الوثائق العامة » فأيّد لي هذه الحقيقة ، ولا أدري مدى صحتها ، وانا أنقلها هنا بتحفظ لتكـون موضع دراسة الباحثين من بعدي ، ولا أستطيع الجزم بها لان حكمت سليمان اشتهر بميوله الاشتراكية وعرف بها ، ولو أن ملكة بريطانيا بعثت ببرقية تعزية بوفاته باعتبارها رئيسة المحفل الماسوني البريطاني •

بتاريخ ٢٥ شعبان ١٣٣٤ هـ[٤٠] على المسلمين كافة والتي آخذ فيها الاتحاديين على أمور خرقوا فيها التعاليم الاسلامية لم نجد شيئاً من ذلك في مخطوطة الرصافي . ولعله من المفيد أن نقتطف أجزاء من تلك النشرة التاريخية ليتيسر لنا تفهم هذه الناحية :

« كل يعلم بأن أول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وأمرائهم أمراء مكة المكرمة رغبة منهم في جمع كلمة المسلمين وتحكيماً لصالح جامعتهم لتمسك سلاطينها من آل عثمان العظام طاب ثراهم وجعل دار الخلد مثواهم بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وتفانيهم في إنفاذ أحكامها ، ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة لا يزالون[٤١] الأمراء محافظين عليها فإني حملت بالعرب على العرب في سنة ألف وثلاثمائة وثمانية[٤٢] وعشرين لفك حصار أبها ومحافظة شرف الدولة بذاتي وفي السنة التي عقبتها جرت عين هذه الحركة بالعرب على العرب تحت قيادة أحد أبنائي كما تشهد به الحالة الحاضرة الى أن نشأت في الدولة جمعية الاتحاد وتوصلت الى قبض إدارتها وكافة شؤونها ، مما كانت نتيجته انتقاصها من من الممالك ما قوض عظمتها ... وبخوضهم لها غمرات الحروب الحاضرة وإيقافهم بها اليوم موقف الهلكة ... كل هذا لمحض غايات معلومة ... تفطر قلوب مسلمي المعمورة ... فقد وصفت أحد[٤٣] صحفهم الموسومة بالاجتهاد الصادرة في دار السلطنة السنية سيرة صلوات الله عليه وسلامه

---

(٤٠) النسخة الاصلية محفوظة في أرشيفات معهد الدراسات الشرقية لجامعة درهام ، رقم ٤٥ (H 129 Box 101/17/4 AR)

(٤١) كذا في النص الاصلي والاصح « لايزال » تحاشيا للغة « اكلوني البراغيث ».

(٤٢) كذا في الاصل والصواب « ثمان » .

(٤٣) كذا في الاصل والصواب « احدى » .

بشرّ السير نسأل الله العافية ، وهذا بمرأى ومسمع مـن وزير الدولة الأعظم وشيخ إسلامها وسائر علمائها ووزرائها وأعيان رجالها » .

فهل جاء كتاب الرصافي ياترى ردّ فعل لهذا الوضع المؤسف ؟ ولكنه مما لاشك فيه أنه هو الذي أيقظ فيه فكرة تأليف كتاب فيالسيرةالنبوية .

وتمضي النشرة لتقول : « وشفعت هذه الخطوة بلغو(٤٤) قوله تعالى: « للذكر مثل حظ الأنثيين » فساوتهما في المـيراث(٤٥) وعززتهما بالطامة الكبرى وهي هدم أحد أركان الاسلام ... وهو صوم رمضان ، بالأمر بفطره على الجندي المقيم بالمدينة المنورة أو مكة المكرمة أو الشام مثلا بدعوى أن زميله الجندي الآخر يقاتل الروس ... لكن قد ظهر الخفـا وانكشف الغطا بأن الدولة أصبحت في يد أنور باشا وجمال باشا وطلعة بك يحكمون فيها بما يشـاؤون ويفعلون بها ما يريدون وأبسط دليل على صحة هذا ما ورد أخيراً لقاضي محكمة مكة الشرعية بأن يحكم بالشهادة التي تحررت في محكمته وبين يديه ولا يلتفت للشهادة التي يكتبها المسلمون فيما بينهم غير مبالين بما في آية البقرة » .

ورغم أن طلعت بك (أو طلعت باشا فيما بعد) كان أحـد تلامذة الرصافي في الآستانة فلا نعتقد أنه فعل ذلك بتأثير الرصافي أو أن الرصافي استوحى منه شيئاً من هذا القبيل إذ أننا لا نجد إشارة الى ذلك في الكتاب الذي بين أيدينا .

ومع أن الكتاب ليس النص الاصلي فأنا لا أشـك في أنه مطـابق

(٤٤) يقصد الغاء .

(٤٥) قام عبد الكريم قاسم بهذه الخطـوة في العراق سنـة ١٩٦١ فجاءت حكومة حـزب البعث فابطلتهـا .

للاصل إذ وجدتُ في ورقة ملحقة بالنسخة المصورة من دون أي رقم ، وبخط الرصافي ، من غير توقيعه ما يلي :

« تمام مقابلتي مع السيد ناظم حميد لثمان بقين من رجب الفرد سنة ستين وثلثمائة وألف يقابلها في التأريخ الميلادي منتصف شهر آب[٤٦] من سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وألف وذلك ببغداد في بيت السيد كامل الجادرجي » • هـ •

ولا يخلو الكتاب من بعض نقاط ضعف فمن ذلك مثلا أنه ينقل فقرات طوالاً من كتب السيرة ، على نحو ما فعل في بيعة العقبة الأولى والثانية[٤٧] وكان أحيانا يلخص فيقول مثلاً : « هذا ما لخصناه من ابن القيّم في زاد المعاد »[٤٨]•

ومع أنه يخرج أحياناً عن موضوع « السيرة النبوية » الشريفة ، فإن استطراداته الطريفة تلقي أضواء على جوانب من حياته ومشاعره التي لانعرف عنها شيئاً من دون قراءة هذا المخطوط قراءة إمعان وتدبر ، كما أنها تبين سعة اطلاعه ، فمن ذلك مثلاً قوله :

(١) تصفق العرب اذا تعجبوا من أمر واستفظعوه ، لا للاستحسان كما عند أمم الغرب (ص ٤٨٥)•

(٢) إن المسبية إذا سبيت حلّ وطؤها لسابيها بعد استبرائها (أي بعد الحيضة الاولى) وان كانت مزوجة (وهذا قول الشافعي) (ص٤٤٣)•

(٤٦) أي اغسطس •
(٤٧) الصفحات ٣٤٢ـ٣٥١ •
(٤٨) ص ٤٣١ •

(٣) مخيريق يهودي أسلم وقاتل مع رسول الله (ص) فقتل وأوصى بماله لمحمد ، وهو أول وقف في الاسلام (ص ٤٩٩) •

(٤) لولا التشيع لكانت إيران اليوم عربية[٤٩] •

(٥) لولا الفتوح ماكنا اليوم من أهل هذه البلاد (ص٣٤٧) •

(٦) أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نُهي عنه في نيف وسبعين آية قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصـرهم لقدير » (ص ٣٦١) مما يدل على أن الاسلام ونبيه محمداً كانا أميَل للسلام والمهادنة منهما للحرب والقتال •

(٧) إن العباس كان مسلماً من أول الأمر وانه كان يكتم إسلامه • (ص ٣٥٥) « وهي نظرية للرصافي لو قيض للدهر أن يتقدم به فيجاهـر بها أمام العباسيين لنال بها أرفع مكانة » •

(٨) صغر النوى يدل على تمر يثرب (ص ٤٦٥) •

(٩) كانت له (ص) سبعة أفراس وستـة بغال وحماران ومن إبل الركوب ثلاثة وفرس يقال له المرتجز سمّي لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر (ص ٥٠٧)•

(١٠) كان محمد (ص) يصلي بين الحجر الاسود والركن اليماني فيكون وجهه الى الشام وتكون الكعبة بينه وبين الشام فكأنه جمع بين القبلتين : الكعبة وبيت المقدس (ص ٤٢٢) •

---

(٤٩) لا يمكننـا أن نوافق الرصافي على هذا الرأي لان ايران استردت شخصيتها القومية قبل أن يعلن الشاه اسماعيل الصفوي تشيعها ، ولم تعد عربية عندما حاول نادر شاه في النصف الاول من القرن الثامن عشر رفع الفوارق المذهبية وتقريبها من المذهب السني وكان هذا سببا من أسباب الثورات التي قامت بوجهه وانتهت باغتياله •

(١١) كان اذا صلى يكثر من النظر الى السماء (ص ٤٢٨).

(١٢) رايته سوداء ولواؤه أبيض (ص ٤٥٨).

(١٣) إن مسيلمة [الكذاب] مهما كان فسلاً من الفسول فهو خير من طليحة الأسدي والأسود العنسي وسجاح(ص ٩٠٤) .

(١٤) انتصار محمـــد (ص) في بدر جدير بأن يعد من المعجزات (ص ٧٧٩).

(١٥) التاريخ مظلم في مسألة أبوة ابراهيم للعدنانية إذ ليس فيه بصيص نور يهتدي به الباحث الى الحقيقة (ص ٧٣٣) .

(١٦) عقد محمـــد (ص) لعبـــد الله بن جحش راية وسماه أمير المؤمنين (ص ٧٣٧) ولعله أول من سمّي بذلك .

(١٧) الزمخشري في نَصَبٍ من التفنن ... حتى انك لتـــرقّ له حين تراه يجهد نفسه تخيّلاً وينهك فكره إبعاداً في توجيه الفواصل ، خصوصاً في تقدير المحذوفات وتصوير المقدرات (ص ٨٤٩) .

(١٨) الفواصل هي قوام أسلوب القرآن (ص ٨٥٠) .

(١٩) أسماء السور ليست توقيفية أي ليست بتوقيف من النبي (ص) (ص ٨٥١) فسورة النمل كان يجب أن تسمى بسورة سليمان والبقـــرة بسورة الكرسي والنور بسورة الآداب الاجتماعية (ص ٨٥٢).

(٢٠) فواتح السّور : إن السّـــوَر التي افتتحت بهذه الحـــروف ٢٩ سورة بعدد حروف المعجم ولكن لم يذكر غير ١٤ منها (ص ٨٥٧) وهي الكاثرةلا المكثورة أي هي التي يكثر ورودها في اللغة (ص٨٥٨) .

وقد أورد المرحوم كامل الجادرجي إيضاحاً عن النسخة الاصلية لكتاب (الشخصية المحمدية) جاء فيه :

« كنتُ أسمع أن الاستاذ معروف الرصافي ألـّف كتاباً عن شخصية محمد (ص) ... فرغبتُ في الاطلاع عليه ، وبقيت أسعى لتحقيق تلك الرغبة ، غير أني لم أوفق ، رغم المواعيد التي وعدني بها أصدقائي الذين كانوا يتصلون بالأستاذ الرصافي وهو في مســكنه في الفلوجة ـ إذ إن الأستاذ الرصافي كان اعتزل بغداد واتخذ الفلوجة مسكناً منذ مدة تزيد على السبع سنوات ـ فقررت أن أذهب بنفسي الى الفلوجة ، وأرجـو الأستاذ إعارتي الكتاب لقراءته ، فذهبتُ وقابلت الأستاذ هناك يوم ٢٧ مارت [مارس] ١٩٤١ ولما اطلعت على فهرس الكتاب أعجبتني مواضيعه فاستأذنت الأستاذ استنساخه ، فأذن لي بذلك ، وأعطاني قسماً من أجزائه وعقيب عودتي الى بغداد باشرت بتأريخ ١ـ مارت [مارس] ١٩٤١ باستنساخه فصادف بعد ذلك أن وقعت الحرب بين الحكومة العراقية والحـكومة البريطانيـة في أوائل مايس [مايو] ١٩٤١ فاضطُرَّ الأســتاذ الى ترك الفلوجـة وإيداع كتبه ـ وبضمنها الأجـزاء الباقية مـن الكتاب ـ الى شخص يأتمنه خارج بغداد ، فسبَّب ذلك فترة في الاستنساخ ، غير أن الأستاذ ، بعد أن عاد الى بغداد واستقر فيها ، واستعاد الاجزاء الباقية ؛ أودعها إليَّ جميعاً للاحتفاظ بها كأمانة والاستمرار في الاستنساخ ، وحينئذ عدت فباشرت بنسخه كلما سنحت لي الفرصة حتى انتهيت منه بتاريخ ٣١ آب [أغسطس] ١٩٤١ ، وعلى هذا قد استغرق نسخ الكتاب خمسة أشهر . وقد رأيتُ من المستحسن أن أشير في هذه النسخة الى رقم الجزء الاصلي

حيث يبدأ فوضعت رقمه بالخط الاحمر عند بداية كل جـزء من أجزاء النسخة الاصلية ، كما يلاحظ القارىء ٠

إن النسخة التي نقلت عنها هذا الكتاب هي نسخة المؤلف وقـد كتبت بخطه ــ كما قلتُ آنفاً ــ ورسـم الخط جليٌ واضح لا يخامر القارىء الشك في قراءة كل كلمة من كلماتها ، والكتاب الأصلي يحتوي على ١٣١٥ صفحة بـ ٤٣ جزءاً ٠ أما هذه النسخة فقد احتوت على ١١٥٤ صفحة بسبعة أجزاء ، لم يحتو الجزء السابع منها إلا على ٧٤ صفحة ، بينما كل جزء من الاجزاء الاخرى احتوى على ١٨٠ صفحة ٠

وقد علمت أنه لاتوجد نسخة كاملة منقولة عن الأصل غيرهذه حتى الآن، إذ حاول عدد غير قليل من معارف المؤلف أن يستنسخوا الكتاب فباشروا به ، غير أنهم لم يكملوه ٠ هذا ماعدا نسخة السيد مصطفى علي التـي استنسخها بخطه ، وقد سألتُه عنها ، فأخبرني بأنه وإن اعتنى باستنساخها وقابلها مع المؤلّف ولكنه أضاف أن النسخة لم تكمل بعدُ، إذ ينقصها شيء قليل من آخر الكتاب ؛ والحق يجب أن يقال إن هذه النسخة (وإن لم أكن اطلعت عليها) يقتضي أن تُعدّ نسخة صحيحة ــ إن لم تكن أصح نسخة ــ بالنظر الى أن السيد مصطفى علي من أخصّ أصدقاء المؤلّف ، ومـن المعجبين بشعره وأدبه ، وهو يعد من المتضلعين في اللغة العربية ، فمـن المستبعد أن تصدر منه أغلاط لغوية وغيرها في أثناء النقل » ٠

بغداد في ٣١ آب [أغسطس] ١٩٤١ التوقيع : كامل الجادرجي

كل هذا دليل على أن النسخة التي بين أيدينا يمكن الركون إليها الى حد بعيد ، وقد تعمدنا نقل ذلك بالحرف الواحد ليعلم القارىء بوجود أكثر من نسخة للمخطوط ٠

ومن الطريف أن نضيف هنا ما ذكره الرصافي عن الطريقة العلميـــة التي اتبعها في تأليفه إذ اعتمد على الأحاديث والاخبار في كتب الحديـــث والسيَر باحثاً بين ذراتها ــ كما يقول هو ــ عن الشذور الذهبية بنوع من التنقية ، وذلك بأن نضعها في غربال منسوج من القرآن ومن المعقول، ونغربلها ، فما بقي في الغربال أخذناه . وما سقط منه تركناه ونبذناه ، وإلا بقينا هكذا مشتتين حيارى ، مختلفين في ديننا ، متأخرين في دنيانا ، وأنا على يقين من أننا اذا غربلنا هذه الكتب بمثل هذا الغربال لم يبق لنا منها إلا شيء قليل ، أو كما قال شاعر البشر أبو العلاء المعرّي :

لو غُربِلَ الناسُ كيما يُعدَموا سقطاً   لما تحصَّلَ شيءٌ في الغرابيل

ولم يكن الرصافي مؤرِّخاً فحسب ، بل ناقداً لما يؤرِّخ ويكتب ، فقد نقد العديد من المصادر التي جانبت الصـــواب أو اندفعـــت وراء الخرافات والأضاليل ، ووضع تحت مجهر الحق والانصاف العديد مـــن الشخصيات المحدثة والقديمة ووفاها حقها ، وهو في نقده النثري أكثـــر اعتدالا وأميل الى الروح الأكاديمية منه في نقده الشعري وهجائه أو حتى في شعره التاريخي .

وهو على العموم أشبه ما يكون في تجريحه ولذعاته الشعرية بالشاعر الانكليزي سوينبرن Swinburne (١٨٣٧ــ١٩٠٩)(٥٠) الذي عاصره

(٥٠) راجع ديوانه Swinburne's Collected Poetical Works, 2, Vols., London, William Heinemann LTD, 1927
انظر بصورة خاصة هجاءه لقيصر روسيا ، ج ٢ ص ١٢٠٤ــ١٢٠٧ وقارنه بهجاء الرصافي لعبدالحميد الثاني في قصائده « في سلانيك » ج ٢ ص ٣٨٢ و « وقفة عند يلدز » ج ٢ ص ٣٨٥و « تموز الحرية » ج ٢ ص ٣٨٨ .

لفترة من حياته وهجا قيصر روسيا وملك بروسيا وألهب ظهـر البرلمان الانكليزي بسياط نقده ، وكلاهما كان أمير شعراء عصره وإن لم يـُعتـَرَف لهما بالإمارة ، وإنّما قدّم عليهما من هم أقل شأناً وأضأل مكانة منهما ، وكان كلاهما متحمّساً للروح القومية فقد تحمّس سوينبرن للدعوة الوطنية التي دعا إليها ماتسيني(٥١) وكلاهما كان مؤرخاً شعرياً للفترة التي عاصرها ولكن الرصافي فاق سوينبرن بتأريخه لفترات سبقت زمانه ، وقد كان الرصافي أعف لساناً في الهجاء من سوينبرن الذي لم يتورع أحيانا من استعمال التعابير المقذعة والالفاظ البذيئة .

اكسفورد : صفاء خلوصي

الاستاذ المتمرّس بجامعة بغداد

ورئيس المجلس الاسلامي التربوي في المملكة المتحدة

---

(٥١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٤٢ (القاهرة ، ١٩٦٥).

التعريف والنقد

اســـتدراكات على مقال
أحكام ترجمة القرآن وتاريخها

الأستاذ محمد حميد الله

صدر في الجزء الثالث من المجلد الرابع والخمسين (شعبان ١٣٩٩ هـ) من مجلتكم الغراء مقال في أحكام ترجمة القـرآن وتاريخها • وأستأذن بتقديم بعض الملاحظات :

١) قال في ص ٦٣٥ « ولكن لم يترجمه أحد من المسلمين حتى العهد الاخير » • ــ ألفت نظركم الى « البيان والتبيين » للجاحـظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) أن موسى بن سيَّـار الاسواري كان يفسّر القـرآن لطلابه بالعربية وبالفارسية • والى « عجائب الهند والصين » لبزرك بن شهريار (ص ٢ ــ ٣) أنه ترجم القرآن الكامل حوالي سنة ٢٧٠ هـ الى إحدى لغات شمال الهند (كأنها الملتانية أو السندية) • أما الترجمة الفارسية من عصر السامانيين (سنة ٣٤٥ هـ) فهي موجودة ومطبوعة • وترجمة فارسية أخرى من نفس العهـد ، وترجمتان تركيتان إحداهما بالتركية الشرقية والاخرى بالتركية الغربية موجـودة في المخطوطات • وكذلك ترجمـة سورابادي من أواسط القرن الرابع للهجرة بالفارسية • أما التراجم من القرن الخامس وما بعده خاصة بالفارسية فكثيرة •

٢) ص ٦٣٨ ، نقل حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن «النهاية والدراية » • ولايوجد مثل هذا الكتاب • وهو متابعة لسهو المرحوم فريد وجدي في كتابه « الادلة العلمية على جواز ترجمـة معاني القـرآن الى

اللغات الاجنبية » ، ص ٨٥ ؛ بينما الصحيح : « النهاية حاشية الهداية لتاج الشريعة وهي مطبوعة في الهند على الاقل • وفيها هذا الاقتباس •

٣) ورد على نفس الصفحة هذه الرواية ، قال : لا يثبت التاريخ وجود مسلمين في بلاد فارس أقاموا الصلاة في حياة الرسول وقبل الفتح الاسلامي » • ــ ولكن الرواية لم تذكر «بلاد فارس» • أما قوم من الفرس، فيوجد عدد يعتد به بين الصحابة فكانوا كثيرين في اليمن والبحرين (أي القطيف الحالي ، بينما جزيرة البحرين الحالية كانت تسمى حينئذ أ'وال)، وعمان وسائر بلاد العرب الشرقية •

٤) ص ٦٥٤ : « من لغات الهند بالأوردية والهندوستانية » • ــ هما نفس اللغة وتكتب بالاحرف العربية ، بينما « هندي » لغة أخرى وتكتب بالاحرف السنسكريتية • وفيهما توجد تراجم القرآن •

٥) نفس الصفحة « لغة تامل (سيلان) » ــ إن تامل هي لغة تامل ناد ، مقاطعة في الهند الجنوبية وعاصمتها بلدة مَدراس • يتكلم بهذه اللغة بعض المسلمين في سيلان ، لأنهم هاجروا الى هناك من الهند ، أما لغة سيلان فهي سنهالية وفيها أيضا ترجمة القرآن الكريم ، وصدر الى الآن الثلثان منها فيما أعرف •

٦) في الصفحة نفسها « لغة الملايو طبعت في كليكوت » ــ إن كاليكت عاصمة مقاطعة في الهند يتكلم بها الناس لغة ملايالم • وهي غير ملايو التي تتكلم لغة ليشيا (ملايا سابقا) •

٧) ص ٦٥٩ « لا نعرف لماذا قدّم علماء الازهر ترجمة القرآن الى لغات أوروبية على ترجمته الى لغات إسلامية على قلة الحاجة اليها ، وشدتها

الى الثانية » ـ ألا يجب تبليغ الاسلام الى غير المسلمين من أوروبا مع تقدمهم في الثقافة والتأثير في السياسة العالمية ؟

٨) ص ٦٦٠ « لماذا أحجم العرب حيث أقدم غيرهم من المسلمين عن ترجمة القرآن » ـ في رأيي الحقير : مادام الاصل بالعربية ، لم يحتج العرب المسلمون الى الترجمة بل الى التفسير فحسب . بينما غير العرب من المسلمين احتاجوا الى كليهما الى الترجمة اللفظية والتفسير . ومن يتضلّع بالترجمة الى لغة أعجمية إلاّ أهل تلك اللغة ، خاصة من يتعلم اللغة العربية ؟ فهو أقدر على تلك اللغة بالنسبة الى عربي تعلم تلك اللغة ، وقليل ماهم . وأدّى اخوانا من غير العرب فرض الكفاية فجزاهم الله خيراً .

إن جواز قراءة ترجمة القرآن في الصلاة وفي حرمة ذلك ، بحث فيه السلف ، أما حرمة ترجمة القرآن للدرس والاستفادة فلم يقل به أحد من السلف ، فترجموا من غير نكير الى القرن الماضي . وسبب ذلك فيما يظهر هو أن نصارى أوروبا لما فتحوا بلاد المسلمين واستعمروها وأرادوا تنصير المسلمين ، أغلقوا أولا مدارس تعليم اللغة العربية (كما وقع مثلا في الجزائر) ثم خافوا وجود القرآن حتى في الترجمة فاحتالوا فقال أحد منهم لمسلم ساذج : « القرآن معجزة حقيقة ، لايمكن ترجمته » . فسرّ المسلم المغفل وظن : الفضل ما شهدت به الأعداء ، فبدأ ينشر هذا « الاكتشاف » وبعد قليل صار « لايمكن » « لايجوز » . لم أجد أثراًلهذه المناقشة قبل القرن الماضي . وذكرها في كتب المبشرين النصارى ومجلاتهم أكثر بكثير بالنسبة الى كتب المسلمين . ولكن سها هؤلاء المبشرون وظنوا أن القرآن العربي لن يترجمه إلا عربي ولذلك بثوا هذه الدسيسة في بلاد العرب

وعاصمة الخلافة العثمانية ، ولم يسمع بالبحث مسلمو إيران والهند وأفغانستان وملايا وأندونيسيا وغير ذلك • بينما المترجم الى لغة أعجمية لايكون عادة إلا صاحب تلك اللغة ، خاصة من تعلم العربية فصار قادراً على اللغتين لغة الاصل وما يترجم القرآن اليها •

والله أعلم •

باريس : **محمد حميد الله**

ســـلطات الحـكم
POUVOIRS
عن دار نشر PUF

الدكتور حكمت هاشم

بهذا العنوان تصدر في باريز كل ثلاثة أشهر ــ ومنذ بضع سنين ــ إضمامة من الدراسات الدستورية والسياسية لها موضوع متجانس وكتّاب متعدّدون . وهذه الإضمامة قد تتخذ هيئة المجلة أو هيئة الكتاب . على نحو ذلك ، ظهر حتى الآن من تلك الدراسات التي يدعمها المركز القومي للبحوث في فرنسا بضع عشرة كرّاسة أُفردت آحادها لموضوعات هامة في ميادين جليلة الشأن مثل : البرلمان الاوروبي ، الجمهورية الخامسة ، الاتحاد السوفييتي ، النظام التمثيلي ، الجيسكاردية الخ ...

وقد جاءت الكراسة الثانية عشرة التي بين يدينا (وهي تدخل في نحو مائتي صفحة) مخصصة في قسمها الاعظم للانظمة الاسلامية ، انطلاقاً من أن المجتمعات السياسية الحاضرة في العالم الاسلامي لابد مــن أن تأتي مطبوعة بطابع الاسلام ، وعلى اعتبار أن هذا الاسلام انما هو دين يشد أوصالها ، ونسغ حي ما فتئت تلك المجتمعات تغتذي به طَوال أربعة عشر قرناً من تاريخها المستمر . وبما أن الوحي المنزل على الرسول العربي يتناول كل صغيرة وكل كبيرة في حيــاة الفرد والجمــاعة ، وليس لامرىء مسلم أن يزيد فيه أو أن ينقص ، فقــد أصبح لامناص للأوروبيين من السعي للكشف عن قضايا أساسية في النظام الاسلامي . فمثلا ماهي مبادىء تنظيم السلطة ؟ علامَ تقوم العلاقات بين الحاكم والمحكوم ؟ ما أهداف المجتمع بالصورة التي رســمها القرآن الكريم ؟ كيف تتجلى تلك الاهداف في

العالم الاسلامي على اختلاف دوله ؟ وهل هي مؤهّلة له أن يواجه المستقبل فيمثل الدور الذي يطمح اليه في عالمنا الحاضر ؟.

أما الباحثون الذين جرت أقلامهم في الميادين المشار اليها ، وحاولوا الاجابة عن بعض التساؤلات السابقة فمنهم العرب المسلمون ، ومنهم الغربيون (من القارتين الاوروبية والامريكية) ومن الفئة الاولى اختصاصيون أفاضل مثل الحقوقي التونسي الاستاذ إياد بن عاشور الذي قام بدراسة « بنية التفكير السياسي الاسلامي المدرسي » والدكتور غسان سلامة (من مديري البحث في معهد التنمية العربي ببيروت) الذي عرض بالوصف لواقع « الاسلام في العربية السعودية » والاستاذ سي ناصر بكلية الحقوق والعلوم الاجتماعية بالدار البيضاء الذي حاول استنباط « عناصر لتحليل الفكرة الاسلامية الحاضرة » وغيرهم .. ومن الفئة الثانية أعلام مذكورة مشهورة عرفها الاستشراق الحديث مثل فانسان مونتيل الذي عالج مسألة « الاقليات الاسلامية والسلطة » ، وماكسيم رودنسون الذي حاول الاجابة بحذر عن المسألة الشائكة : « الاسلام عاملُ حِفاظ (على القديم) أم عامل تقدم ؟ » . وبيير روندو الذي وصف « الاحزاب في العالم الاسلامي » ووليم زارتمان الذي درس « السلطة والدولة في الاسلام » الى آخرين أفاضل يضيق المقام عن استقصاء أسمائهم والتعريف بأبحاثهم[1] .

ليس من شأننا ولا من الميسور لنا في الإطار الضيق لهذا التعليق

---

(١) نظن انه لا بد من الوقوف طويلا عند موضوعات في غاية الاهمية كاحداث ايران والمذهب الشيعي ، وكالاسلام والدولة في السنغال ، والنزعة العلمانية في الجزائر ، واحوال الاسلام في أندونيسيا مما يستحق المزيد من العناية والتأمل .

تلخيص السجل الضخم الذي انطوى على آراء المشاركين في هذه الدراسات الغنية بالفائدة • ولكن ما يجدر اثباته في هذه الاسطر الموجزة ، انما هو التنبيه الى علو مستوى النظرات الذي رقيت اليه تلك الآراء ، وان كان لابد من الاشارة الى بعض الاستدراكات والملاحظات والتمنيات •

لاشك أن الميادين التي « غطتّها » الابحاث ذات شأن ممتاز من وجهتي النظر التاريخية والقانونية • فالنظام الاسلامي على الشكل المطبق في المملكة السعودية أو على النحو المتصوّر في إيران أو بالطريقة الممارسة في الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية يثير تطلعات الغربيين وأولاعهم لاعتبارات استراتيجية واقتصادية بالدرجة الاولى • بيد أن مما لا يجوز أن يُنسى أن هناك قطاعات عريضة من العالم الاسلامي فيها أنظمة حكم « إسلامية » مهما يكن التقويم الملحق بتلك الصفة لأنظمتهم• وهي ، على هذا الاعتبار ، تستحق العناية والدرس • فمصر ، والسودان ، ودول شمالي افريقية الاسلامية ، ودول الشرق العربي ، وتركيا ، وباكستان ، وأفغانستان لها أنظمة سياسية مطبوعة — على تنوعها — بطابع الاسلام الى أبعد حد • وهي تشكل واقعا « سوسيولوجيا » لاينقص في منزلته عن المنزلة المولاة للواقع الذي تُسلَّط عليه الانوار في الوقت الحاضر• هذا من جهة • ومن جهة أخرى ، لا جدال في أن في تاريخ الدولة الاسلامية تصوراً « كلاسيكياً » للفكر السياسي (الفارابي ، الماوردي ، الغزالي ، ابن تيمية ، ابن قيم الجوزية الخ •••) ولكنّ الى جانب ذلك حركات إصلاحية وتصورات مجددة كثيرة ليست دون تلك في الشأن (محمد عبده ، جمال الدين الافغاني ، شكيب أرسلان ، جمال الدين القاسمي ، مصطفى عبد الرازق الخ ••) بل لعل تلك التصورات هي ما

يكمن بالفعل وراء الانبعاث الدافق الذي يُصدّع أُطُر دول العالم الثالث في الوقت الحاضر ، ويزلزل أركان المسرح السياسي العالمي بأسره • ونعتقد أنه يجدر أن يكون لقطاعات الرأي هذه وما يتصل بها من تيارات فكرية مشتقة نصيب من الرصد والمعاينة والتحليل ، حتى تكتسب الصورة وضوحها الكامل وأبعادها المتّسقة في أعين الناظرين •

باريس : **د• حكمت هاشم**

استدراكات على المعلمي
في كتاب الإكمـال

الاستاذة سكينة الشهابي

يعتبر كتاب « الإكمال » لابن ماكولا[1] من أحسن الكتـب التي ألّفت في موضوع المتشابه في أسماء الرجال وأنسابهم ، إن لم نقل إنه أفضل هذه الكتب جميعاً . والذي زاد في قيمته ، وجعل المراجع يفضله على كل ما ألّف في موضوعه تلك الطبعة العلمية المحققة التي حظي بها على يدي عالم جليل ، إمام في علم الحديث ، بصـير بمعرفة الرجال وأنسابهم وألقابهم ، ذلك المحقق العالم هو المرحوم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني[2] ، غفر الله له وأسكنه فسيح جنانه .

ويبدو أن حاجتـي المستمرة الى كتاب الإكمال جعلتني أقف على هفوات صغيرة سها عنها الرجل الكبير ، أو زلت بها قلمه ، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على أن الكمال لله وحده .

وإنني أقدمها ــ على ضآلتها ــ للقراء ، واعدةً أن أضيف إليها في المستقبل ما يهديني الله إلى صوابه .

* * *

في جـ ١ ص ٢٧١ ، قال : « عبد الله بن بُسر الجراني »

(١) هو علي بن هبة الله بن علي ، ابو نصر بن ماكولا . من احفاد ابي دلف العجلي . ولد سنة ٤٢١ ، وقتل سنة ٤٨٦ . انظر سير اعلام النبلاء ٢٧٨/١١ ووفيات الاعيان ٣٠٥/٣

(٢) أمضى المعلمي حياته في خدمة الحديث والتراث . فقد عمل بدائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد مصححا كتب الحديث والتاريخ زهاء ربع قرن . وعاد الى مكة سنة ١٣٧١ فعين أمينا لمكتبة الحرم المكي ، وفي مكة فارق الحياة سنة ١٩٦٦ م . من أشهر الكتب التي حققها كتـاب الاكمال لابن ماكولا . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ٤٢ : ٥٧٤ ومجلة العرب ٢٤٥/١ .

وأقول : هو تصحيف صوابه : « الحُبْراني » نسـبة الى حُبْران ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس من اليمن •

انظر : الأنساب واللباب « الحبراني » ، والتـاريخ الكبير ٥/٤٨ ، والجرح والتعديل جـ٢ ق٢/١٢ ، والتهذيب ٥/١٥٩ ، والتقريب ١٩٤ •

في جـ ١ ص ٢٩١ قال : « سليمان بن بشير • كوفي ، حدث عن سعيد ابن جبير • روى عن يزيد بن عتاب ، وروى عن يزيد عون بن سلام » • وفي ص ٢٢٧ من الجزء ذاته ترجم الأمير لـ « بُريد بن عتاب ــ بالبـاء المضمومة ــ وقال : روى عنه عون بن سلام • ولا شـك أن « يزيد » تصحيف ناسخ لم ينبه عليه المعلمي ، غفر الله له •

في جـ ١ ص ٢٩٩ قال : « وسماه البارودي والحسنوي بشراً » •

وأقول : الصواب : « بشيراً » ، كما في تلخيص المتشابه للخطيب ل ٦١ ب ، لأن بشير بن مسلم ، أبو مسلم التنوخي ممن اختلف في ضم بائه وفتحها ، والبارودي والحسنوي قالا بفتح الباء والباقون قالوا بضمها•

في جـ ١ ص ٣١٦ س ٤ ما نصه : « يروي عن خليد وشجاع بن جون الغفاري »، وفي حاشية الصفحة قال المعلمي : « نص : ابني » ، وواضح من تعليقه هذا أنه لم يعرف أن شجاعاً وخليداً أخوان ، رويا عن أبي ذر • والصواب ما ورد في تلخيص المتشابه ل ١٠٩ : « يروي عن خليد وشجاع ابني جون الغفاري » ، وقال الخطيب في الصفحة ذاتها : « ••• ناسليمان ابن يسار الغفاري ، ناشجاع بن جون الغفاري وخليد بن جون الغفاري سمعا أبا ذر » •

في جـ ١ ص ٥٥٠ قال في ترجمة أحمد بن نابت أبي عمر التغلبي :

« روى عن عبد الله بن يحيى بن يحيى عن أبيه موطأ مالك بن أنس » • والصواب : عُبيد الله ، فهو عُبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير ، أبو مروان الليثي الأندلسي ، مسند قرطبة ، روى عن والده الإمام يحيى الموطأ ، توفي سنة ٢٩٨

مترجم في سير أعلام النبلاء مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ٩/١٢٩ • وانظر اسمه على الصواب في مشتبه النسبة والمشتبه والتبصير•

في جـ ٢ ص ١٥٠ قال في ترجمة محمد بن خباب : « شيخ يروى عن محمد بن سعد التغلبي » ، والصواب محمد بن أسعد التغلبي • فنص العبارة في تلخيص المتشابه ل ٩٦ ب : « شيخ يروي عن محمد بن أسعد التغلبي » ، ثم أورد الخطيب الطريق التي جاءت فيها رواية محمد بن خباب عنه وروايته عن زهير بن معاوية •

انظر ترجمة محمد بن أسعد المذكور في التهذيب ٩/٤٦ ، والتقريب ٣١٣ ، وذكر ابن حجر روايته عن زهير بن معاوية ، وأنه كوفي •

في جـ ٤ ص ٣٣١ قال : « الحسين بن أبي العوام ، يروي عن محمد ابن سليم أبي زيد الهمداني الناعطي الكوفي • وأقول : في تلخيص المتشابه: الحسن بن أبي العوام يروى عن محمد بن سليم • وانظر الجرح والتعديل جـ ١ ق٢/٣٢ ، والمغني ١/١٦٤ ، ولسان الميزان ٢/٢٤٢

في جـ ٢ ص ٣٥٦ س ٦ قال في نسب إبراهيم بن عقيل بن جيش : « المكبري » • وأقول : هو تحريف •

صوابه « الكُبْري » ، بضم وسكون الموحدة •

انظر التبصير ١٢٠٥ ، والمشتبه ٣٣٦ ، والتاج : « كبر » •

في جـ ٥ ص ١٧٠ س ١٥ قال : « حزم بن عمران القطعي » ، وأقول: الصواب:«حزم بن مهران»ترجمه الأمير في ٢/٤٤٧ . وانظر تلخيص المتشابه ل ٢٧ ب .

في جـ ٥ ص ١٧٠ حاشية(١) استدرك على ابن ماكولا فقال : «وعبد الله بن صُبيح ، خال ابن اسحاق » وأقول : ان ابن ماكولا لم يذكره لأن صاده بالفتح . فهو « صَبيح » كما في تلخيص المتشابه ل ١٥

في جـ٦ ص ٥٥ قال في ترجمة محمد بن عَبيدة : « روى عن الهيثم ابن عدي » . وأقول : الصواب الهيثم بن معاوية كما في الحلية ٣/٤٥ ، وتلخيص المتشابه ل ٤٠ . والهيثم بن معاوية له ذكر أيضا في العبر ١/١٩١ في خبر الريوندية ، وهم فرقة تقول بتناسخ الارواح وتعتقد أن الهيثم بن معاوية جبريل .

في جـ ٦ ص ٥٥ س ١٣ قال : « عفيرة العابدة » ، والصواب : غفيرة ــ بالغين والفاء والراء ــ بنت واقد . متعبدة بالبصرة ، ترجم لها ابن ماكولا في حرف الغين .

انظر الإكمال جـ ٧ ص ٢٩ وتلخيص المتشابه ل ٤١

في جـ ٦ ص ٢١١ هامش ٨ قال في التعليق على عصبة بن هصيص من قضاعة : « فلم يذكر ــ أي ابن حبيب ــ هذا الذي في قضاعة ألبتة » . وأقول : لقد ذكره في باب أمية وأمة ص ٣٣

في جـ ٦ ص ٢٣٥ س ١ والحاشية وهم المعلمي فظن « أبا جَناب » كنية سهل بن عقيل الأنصاري المصري ، وقاده هذا الوهم الى تعليق لايتفق والحقيقة بشيء ، فقال معلقاً على هذه الكنية : « أبو جناب كذا في الأصل

و « هـ » وفي « جا » أبو حباب ، وهو أشبه لأن الرجل أنصاري والمعروف فيهم اسم حباب » وأقول : **الحقيقة أن أبا جناب هذا هو يحيى بن أبي حية** الكلبي الكوفي ممن روى عن محمد بن عقيل بن أبي طالب .

انظر تلخيص المتشابه ل ٤٤ ، والتهذيب ١١/٢٠١ ، والتقريب ٣٩٠ .

في جـ ٦ ص ٢٣٩ س٩ قال : « حبيش » . والصواب : جيش ، أوله جيم مفتوحة وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها . انظر الإكمال ٢/٣٥٦ .

وبعد ، أرجو أن يكون في هذه الاستدراكات بعض الفائدة للعاملين بالتراث ، وأن ترضى عنها روح المعلمي . والله ولي التوفيق .

دمشق : **سكينة الشهابي**

الأدب المغــربي من خلال ظواهره وقضاياه
للدكتور عباس الجراري

الأستاذ نزار أباظة

كتاب يقع في ٢٨٨ صفحة من القطع المتوسط صدر في طبعته الاولى (مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء) أوائل سنة ١٩٧٩ وذكـر المؤلف أنه ستصدر له أجزاء أخرى .

يتناول هذا الكتاب جوانب من تاريخ الادب في المغرب العربي ، من خلال بعض الظواهر والقضايا الادبية . وهو مجموعة مقالات نشرت غالبا في المجلات الدورية المغربية ، ينتظمها نسق واحـد يجعلها سلسلة مـن الموضوعات التي تتجه للحديث عن الأدب المغربي.والدكتور عباس الجراري مؤلف الكتاب أستاذ مادة الادب المغربي في جامعة محمد الخامس بالرباط.

يحاول الكتاب منذ بدايته أن يبرز الشخصية المغربية متميزة ، ويرغب لها في إظهار هذا التميز الواضح بجزئيّاته وخصائصه ، على أنه يؤكد ، في الوقت ذاته ، انتماء البربر للشعب العربي في أصلهم ويردهم الى الجزيرة العربية التي خرجوا منهاراداً على المستشرقين الذين يريدون اثبات مايدعو لبتّ الأصول القديمة . ويستشهد المؤلف لهذا بالأصول اللغوية التي تؤكد على أصالة الشعب العربي المغربي وارتباطه بالعروبة .

ومن خلال إبرازه لهذه الشخصية المغربية كان يريد الاهتمام بأدب الاقاليم المختلفة في المغرب الاقصى ، حتى يتم بعدئذ استكمال الصورة العامة على نحو واضح ، ويصرح بأنه يؤمن بالإقليمية مرحلةً لجمع شتات

الادب العربي في مختلف أجزاء الوطن العربي ، ثم يؤكد بأن شاعر المغرب لا يمكن إلا أن يكون عربيا •

ولعل ارادته لتمييز هذه الشخصية دعته الى أن يعتب على الكتّاب والدارسين والناقدين الذين أهملوا في دراساتهم المغرب ولم يلتفتوا اليه فخلت كتب تاريخ الادب العربي من الحديث عن المغرب ، ولم ينس في هذا المضمار الإشارة الى الكتب المدرسية التي تربط الادب بالسياسة في قطر معيّن وبظروف معينة ، ولم يُعْفِ من عتبه هذا المغاربة أنفسهم وهم الذين غمطوا حق ذاتهم ووقفوا متفرجين فلم يشاركوا في القضايا الادبية مثلما شارك غيرهم من المشارقة كأصحاب حركة الديوان مثلاً بل وقفوا متفرجين يهللون لهؤلاء ويصفقون لأولئك ••

وأثار الكتاب عدة قضايا ذات شأن منها قضية عصر الانحطاط ، فلم يسلّم الكاتب بوجود عصر انحطاط في الادب ، ورأى أنه لو سلّم جدلا مع المشارقة فإنّ هذا لاينطبق على المغرب ، لأن المغرب كان يعيش في ذلك الوقت الذي يسمونه انحطاطاً ــ عصراً مزدهراً أنجب لنا ابن خلدون وابن الخطيب وابن تومرت وسواهم •

ومن هذه القضايا أيضا ما يتعلق بالشعر المعاصر عند الشباب ، فيجد أن هؤلاء يعانون من القلق والاضطراب وذلك بسبب الحاجة الى التعبير عن التحولات الكبيرة التي يعيشها المجتمع من جهة ، وبسبب ضعف الاداة الفنية من جهة أخرى •

واذا رجعنا الى بحثه الذي خصصه للكلام عن بداية الادب وانتشار اللغة العربية نراه يُرجع بداية الأدب الى القرن الرابع ، وقبل ذلك لم يكن

هناك ما يدل على وجود أدب عربي في المغرب سوى خطبة طارق بن زياد التي فصّل فيها الحديث وأورد الحجج والبراهين من طرفين : منكرٍ لها ومؤيد مثبت لصحتها •

وفي الكتاب اهتمام بالأزجال والشعر الملحون والتراث الشعبي وإصرار على ذلك لأن هذا الفن يعطي جانباً من الصورة المتكاملة •

وحينما ينظر المؤلف الى الادب المغربي يراه قسمين ، الاول : إنتاج غير مغربي ولكنه قيل في المغرب ، والثاني : انتاج مغربي ولكنه قليل ويتصل بالصراع السياسي والمذهبي •

وربما يحسن أن نقول هنا أيضا: إنه كان يعدّ بعض الشعراء في المشرق مغاربة كالبوصيري الشاعر المشهور الذي ولد في مصر وبها نشأ وتربى ولكن هذا كان في سياق الكلام •

ومن اللطيف الممتع في الكتاب قصة الملك المعتمد بن عبّاد الشاعر أتى بها وببعض من قصص ملوك الطوائف وأورد أشعاراً مؤثرة لهذا الملك الاسير في معرض الدفاع عن المرابطين الذين رُموا بتهديم الشعر والاساءة اليه فردّ عنهم التهمة وأوضح أن الشعر في زمنهم درج كشأنه، فلم تقم دونه الموانع ولكنه لم تكتنفه المظاهر والمواسم والاحتفالات •

وبعد فالاستاذ المؤلف يدعو في المقدمة الى استكمال الدراسات المغربية واحياء المكتبة المغربية التراثية والحفاظ عليها من الاهمال والتشويه •

دمشق : **نزار أباظه**

تعليقات على كتاب المصون في الادب
مؤلفه أبو أحمد العسكري المتوفى ٣٨٢ هـ
محققه عبد السلام محمد هارون ـ الكويت ١٩٦٠

الأستاذ عبد الإله نبهان

كتاب المصون في الأدب كتاب لطيف ، وقد خصّه بالتصدير الدكتور صلاح الدين المنجد وقال فيه : « هو كتاب نادر في نقد الشعر ، لم يعرفه أحد قبل اليوم ، ولم ينوّه به الأدباء والدارسون المحدثون » وفعلاً فقد عدت الى عدّة كتب أرّخت النقد العربي وعرّفت بكتبه ودرستها ، فلم أجد فيها ذكراً لكتاب المصون أو بحثاً يدور حوله[1] ، مع أن أحدها نقل عنه مرة[2] غير أنه لم يخصه بوقفةٍ ولا بلمحة عابرة . وعلى كل حال فإن مادة المصون ـ أو قسماً منها ـ قد انسربت الى كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري والى ديوان المعاني له أيضاً . وقد اعتنى بتحقيق الكتاب على نسخة فريدة المحقق الكبير الاستاذ عبد السلام محمد هارون ، فتتبع أشعاره في دواوين أصحابها أو غيرها من المظان ، كما ترجم لبعض أعلام الكتاب وشرح بعض الالفاظ . وكنت عند قراءتي الكتاب قد تريثت في بعض المواضع لأعود إليها متعقباً وأرجع البصر فيها بين آونة وأخرى ، فتجمّع لديّ من هذه المراجعات تعليقات شتى تتصل بنسبة بعض الابيات الى أصحابها ومنها مايتصل باختلاف الرواية ، ومنها ما يتصل بالإحالة

(١) انظر : تاريخ النقد العربي لطه ابراهيم وتاريخ النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام وتاريخ النقد الادبي عند العرب للدكتور احسان عباس والنقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور .

(٢) الحركة النقدية في القديم للدكتور محمود الربداوي : ٦٢ .

الى مراجعَ فات المحقق الرجوع إليها ، فرأيت تنسيقها وتقديمها الى مَن يهمُّهم أمرُ كتب التراث وتصحيحها وتوثيقها ، والله من وراء القصد •

● في ص ٩ وردت أربعة أبيات لابن الرومي على السـين • وهي في ديوانه ٣ : ١١٧٥ « طبعة الدكتور حسين نصّار ــ الهيئة العامة ــ وهي الطبعة المعتمدة في المراجعة في هذا المقال » • والبيت الثاني منها :

تصبو الكؤوس الى مراشفهِ وتهشُّ في يده الى الجسّ

قلت : ورواية الديوان : الى الحبس • وفي زهر الآداب ٢ : ١١٥ طبعة د• زكي مبارك : « وتضجّ في يده من الحبس » • وعلّق محقـق الديوان بقوله : في المنصف : « نحن في يده » وأظن « نحن » مصحفة عن « وتحنّ » بالتاء •

● في ص ١٠ ورد الخبر التالي :

« قال أبو أحمد : وحدثني جماعة من أصحابنا عن أحمد بن يحيى البلاذريّ قال : قرأت على ابن الأعرابي شعر الأعشى : فلما بلغت قوله :

لا تشكّى إلي من ألم النّسـ ع ولا من حفىً ولا من كلال

« نقبَ الخفِّ للسُّرى » •••

قال ابن الأعـرابي : نقب الخفّ للسُّرى • فقلت : أصلحك الله ، إن تضمين بيتين عيبٌ في الشعر شديد ، أفيضمّن الأعشـى مع حِذْقه وتقدمه ثلاثة أبيات فيقول :

لا تشكّى إليّ مـن ألم النّسـ عِ ولا من حفىً ولا من كـلال
نقبَ الخفِّ للسُّرى وترى الأنـ ساع من حلّ ساعة وارتحال

أثَّـرت في جناجـنٍ كإران الـ ـمَيْتِ عُولين فوقَ عوجٍ طوالِ

فقال ابن الأعرابي : أنت شاعر" ؟ فقلت : شاعر" كاتب " . فقال : منها علمتَ ، اروِهِ كما رويت : « نقبَ الخفُّ للسُّرى » .

قلت : إن رواية الديـوان الذي بين أيدينا موافقة لما ذكره ابـن الأعرابي ، ففي الديوان المنشور بشرح الدكتور محمد محمد حسين ص ٧ وردت الأبيات بترتيب مغاير لما ذكره البلاذري ههنا ، وتسلسلت الرواية في الديوان على النحو التالي :

رقم البيت في القصيدة :

٣٤ : نَقَبَ الخُفُّ ....

٣٥ : أثَّرت في جناجنٍ ...

٣٦ : لا تشكّى إليّ ...

والأبيات من قصيدة الأعشى المعروفة :

ما بكاءُ الكبيرِ بالأطـلال وسؤالي فهل تردُّ سؤالي

● في ص ١٢ : أنشدنا أحمد بن يحيى :

الشـعر لـبُّ المرء يعرضـه وتراه مثلَ مواقعِ النَّبْـلِ
منـه المقصِّـر عـن رميتـه ونوافذٌ يذهبن بالخَصْلِ

قال المحقق: الشعر لمعقّر بن حمار البارقيّ كما في الحيوان ٣:٦١ــ٦٢ وفيه « والقول مثل مواقع » .

قلت : ذكر المرزباني البيتين في معجم الشعراء ٣٤٠ « طبعة عبـد الستار فراج » على أنهما للمتوكل الليثي برواية أبي تمام . وقال المرزباني: وأظنها تروى لغيره . ودوّن محقق معجم الشعراء في الهامش العبـارة

التالية : « في الهامش : أبا عبيد الله اترك الظن وتجنبـه فإنهما يُرويان لغيره » • ورواية المرزباني للشطر الاخير : « ونواقرٌ يذهبــن بالخَصْل » والخصل : الغلبة في النضال • وقد ورد البيتان مرويين للمتوكل الليثي في الاغاني ١٢ : ١٦٠ طبع دار الكتب ، وفي الموشّــح للمرزباني : ٣٥٧ بتحقيق محمد علي البجاوي سنة ١٩٦٥ دار نهضة مصر • وقد ذكرهمـا الدكتور يحيى الجبوري في شعر المتوكل الليثي في القسم الثالث : ما ينسب للمتوكل ولغيره من الشعراء ص ٢٧٧ وقال في تعليقه عليهما : البيتـان للمتوكل في الاغاني ٢ : ١٦٠ ط الدار و ١١ : ٣٧ ط ساسي ، وفي السمط، البكري ١ : ٢٥٢ ، والموشح ٣٥٧ • ومعجم الشعراء ٤٠٩ ـــ ٤١٠ وقال : (وله في رواية الصولي ويروى لغيره) والآداب : لابن شمس الخلافة • أما في الحيوان ٣:١٨ و ٦٢ فينسبان لمعقّر بن حمار البارقي •

● في ص ١٤ أنشد صاحب المصون أربعة أبيات لأبي أحمد يحيى بن علي المعروف بابن المنجم أولها :

اعرفِ الشعر قبــل تعرضه   وادر ما وكدُه وما سـببه

قلت : نصّ المحقق في فهرس الكتاب ص ٢٦٤ على أن الابيــات من المنسرح ، وانتقل هذا الغلط الى كتابه الآخر معجم شواهد العربية : ٥١:١ والابيات من الخفيف الضرب الثاني والعروض الثانية المحذوفة •

وقد أصاب الخبن عروضه وأتى ضربه مماثلا لعروضه : « انظر كتاب الكافي للتبريزي بتحقيق الحسّاني حسن عبد الله : ١١١ » • وقد علّق المحقق على البيت الثاني :

وأعاريضـُه التــي أخذت   من أساليبه ، وما شـُعـَبه

بقوله : كذا ورد البيت مبتوراً .

قلت : والبيت صحيح ليس مبتوراً ولا ناقصا .

● في ص ١٦ آنشد المؤلف أربعة أبيات للخُريسي .

قلت : والابيات من قصيدة له في ديوانه ص ٤٠ القصيدة : ٢٩ وعدتها اثنان وعشرون بيتاً وقد خُرِّجت من قِبل محققي الديوان الأستاذ علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد . والقصيدة في رثاء خريم بن عمارة الناعم المري بن أبي الهيذام . وانظر أيضا نهاية الأرب ١٨١:٥ .

● في ص ١٧ .. وقال غيره :

أرادوا ليخفوا قبرَه عن عدوِّه فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

قال المحقق : ديوان المعاني ١٧٥:٢ ــ الأغاني ١٥:١٣ . وقد جعل المحقق في الفهرس ص ٢٧٠ البيت مجهول القائل وكذلك في معجم شواهد العربية ١٧٥:١ .

قلت : البيت ذُكِر في الاغاني ٣٠٤:١٩ «طبع الهيئة المصرية» منسوباً لمسلم بن الوليد كما نسبه إليه الثعالبي في خاص الخاص ص ١١٤ والإعجاز والايجاز : ١٧١ ، والمرزباني في معجم الشعراء : ٢٧٧ ، وابن نباتة في مطلع الفوائد ومجمع الفرائد : ٣٢٧ «طبع مجمع اللغة العربية بدمشق» وعبدالرحيم العباسي في معاهد التنصيص ١٠:٢ « طبعة المطبعة البهية المصرية ١٣٠٤هـ » وقد ذكر هذا البيت في كتاب الاربعة في أخبار الشعراء لأبي هفان الذي نُشرت بقاياه في مجلة المورد مجموعةً من عدد من المصادر بفضل الاستاذ هلال ناجي [انظر المجلد الثامن ــ العدد ٣ ص ٢٠٤] ونسبه مع بيتين سبقاه الى دريد بن الصمَّة نقلا عن مخطوطة حليــة المحاضرة الورقة

٧٤ • قلت : ولم أر نسبة هذا البيت لابن الصمّة فيما رجعت اليه إلاّ في هذا الموضـــع •

● في ص ١٨ ورد بيتان لامرىء القيس من الطويل :

فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نصفُه ... وشجّ بماء غير طرق ولا كدرْ

بماء سحاب زلّ عن صخرة الى [كذا] ... بطن أخرى طيب طعمه خَصِرْ

قلت : في ديوانه ص ١١١ روي في عجز البيت الاول : « وشجَّت » لأن الضمير يعود على السبيئة المذكورة في بيت سابق • أما البيت الثاني فعجزه مكسور الوزن برواية المصون ورواية البيت في الديوان :

بماء سحاب زلّ عن متن صخرة ... الى بطن أخرى طيِّبٍ ماؤها خَصِرِ

● في ص ١٩ ورد ما يلي :

قيل : فما أحسن ما قيل في السحاب ؟ قال [أي أبو عمرو بن العلاء]: قول أوس :

دانٍ مسفّ فُوَيق الارض هيدبه ... يكاد يدفعه مَنْ قـام بالرّاحِ

فَمَنْ بنجوته كمـن بعَقْوته ... والمستكنّ كمن يمشي بقِرواحِ

يقشِر جلد الحصى أجشّ مبتركاً ... كأنّه فاحص" أو لاعـب" داحِ

قال المحقق : « ديوان أوس بن حجر » • فقط •

قلت : الابيات في ديوان أوس ص ١٥ــ١٦ طبعة دار صادر ــ بيروت غير متتالية تتاليها في المصون • فالاول في المصون هو البيت الخامس عشر من القصيدة في الديوان • والثاني في المصون هو الحادي والعشرون في القصيدة • والثالث في المصون هو العشرون من القصيدة • وهذه الابيات

من قصيدة أبياتها سبعة وعشرون بيتاً في ديوان أوس • وهذه القصيدة مما اختلف في نسبته فابن سلاّم الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء: ٧٦ـ٧٧ « طبعة دار المعارف بمصر » أنشد بيتين هما الاول والثاني من أبيات « المصون » ونسبهما الى عبيد بن الابرص روايةً عن يونس بن حبيب • وقال ابن سلاّم فجعلهما يونس لعبيد وعلى ذلك كان إجماعنا ، فلمّا قدِم المفضّل صرفها الى أوس بن حجر • وقد وردت القصيدة في ديوان عبيد بن الابرص ص ٣٣ ـ رقم ١١ • تحقيق الدكتور حسين نصار وقد قدّم لها بقوله : « هذه قصيدة مشهورة ، كثر النزاع والاضطراب فيها ، فالأصمعي وبعض الكوفيين ينسبونها الى أوس بن حجر ، وآخرون ينسبونها الى عبيد ، وطبعت في ديواني الشاعرين » • وقد ذكر ابن الشجري في حماسته طبعة وزارة الثقافة بدمشق ٢:٦٦٩ـ٧٧٠ أبياتا من هذه القصيدة ونسبها الى عبيد بن الابرص : أما المعري الذي أنشد قسماً من القصيدة في رسالة الغفران : ٢٧٦ الطبعة الخامسة فلم يقطع بنسبتها وانما قال ص ٢٧٤ ••• أسمِعانا شيئاً من القصيدة الحائية التي تُروى لـ « عبيد » مرة ولـ « أوس » أخرى •••

وقد أثبت الاستاذ هارون في معجم شواهد العربية نسبة الابيات الى أوس • انظر المعجم المذكور ١:٨٨ •

● في ص ٢٠ ورد قول زيد الخيل :

وخيبة من يخيب على غنيٍّ وباهلة بن أعصُرَ والرِّباب

وقد تركه المحقق غفلا بلا إحالة ولا تعليق •

قلت : البيت في أخبار زيد الخيل في الاغاني ١٧:٢٥٧ طبعة الهيئة

المصرية وروايته :

وخيبة من يخيب على غنيٍّ وباهلة بن أعصـر والكلاب

وفي الشعر والشعراء « ط • لايدن ١٩٠٢ م » :

فخيبة مـن يغـير على غنيٍّ وباهلة بـن أعصـر والركاب
وأدى الغنم مـن أدّى قشيراً ومن كانت له أسـرى كـلاب

وأظن « الركاب » مصحفة عن الرّباب أو الكلاب • أما في الإصابة ٣:٣٥ طبع الخانجي فقد ذكر البيت محرفاً على النحو التالي :

وحبيبة من يحب على حين وباهلة بن يعصر والركاب

● في ص ٢٠ ورد أربعة أبيات لجرير لم يحل المحقق فيها الى ديوانه• فالاول ص ٧٥ طبعة الصاوي • والثاني والثالث ص ١٦٥ والرابع ص ٢٨١ والحماسة الشجرية ١:٤٤٦ ويلي ذلك ص ٢١ قول المؤلف : وأفحشُ بيت قالته العرب قوله :

قوم اذا طرق الأضياف دارهم قالوا لأمهم بولي على النـار

قلت : الضمير في « قوله » يعود الى جرير كما يقتضي سياق الكلام، وهذا ما فهمه المحقق نفسه ، لأنه في فهرس الكتاب ص ٢٧٠ ذكـر أن البيت لجرير • غير أنه في معجم شواهد العربية ١:١٨١ صحح النسبة ، ونسب البيت لصاحبه وهو الاخطل • والبيت في ديوان الاخطل : ٢٢٥ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت • ورواية البيت فيه :

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النـار

والبيت أيضا بهذه الرواية في نقائض جرير والأخطل لأبي تمام : ١٣٥

طبعة دار المشرق بيروت • وانظر أيضا أمالي المرتضى ٣:١١٤ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ مصر • ونهاية الأرب ٣:٢٧٦ وديوان المعاني١:١٧٥ •

● في ص ٢١ ورد ما يلي :

وقال عبد الملك بن مروان : أهجى بيت :

فإن تصبك من الأيام جائحة لم أبك منك على دنيا ولادين

قلت : لم يعلّق المحقق على الخبر ولا على البيت ، وفي فهرس الكتاب ص ٢٧٧ نسب البيت لذي الإصبع العدواني الشاعر الجاهلي • أما في معجم شواهد العربية ١:٤٠٤ فقد جعل البيت مجهول القائل • وقد ورد البيت في الاغاني ١٥:١٥١ طبع دار الكتب ، وعلّق عليه محقق الدار بقوله : البيت لذي الإصبع • مما اضطرني لمراجعة قصيدة ذي الإصبع في رواياتها كافة فلم أقع فيها على هذا البيت الذي يخلو من رائحة الجاهلية • ولدى مراجعة كتاب العقد لابن عبد ربه ٥:٢٩٦ طبعة أحمد أمين وجدت النص التالـي :

قال عبد الملك بن مروان : ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجي به ابن الزبير وهو : « وأنشد البيت » • وفي نسخة أخرى من نسخ العقد : « ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير » • انظـر العقد : الموضع السابق والحاشية عليه • وانظر هذا الكلام في العقد ٣:١٣٢ طبعة مصر ١٣٠٢ هـ • ولم اطمئن الى عبارة العقد هذه وذكرت الأمر لأستاذي الجليل العلامة أحمد راتب النفاخ فرجّح أن تكون صحة العبارة في العقد: ما هُجي أحد بمثل بيت هجي به ابن الزبير • أما فيما يتعلق بنسبة البيت فقد أرشدني الى كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي [الجزء

السابع تحقيق الدكتورة وداد القاضي ، نشر الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨] وناولنيه فنسخت منه ما يلي ص١٧٧ ، ١٧٨ :

« كان عبد الله بن الزبير اذا صعِد المنبر حمد الله وأثنى عليه وخطب الناس وأخذ في سورة الأنعام وقال : « إنما يكفيني من الدنيا اليسير ، إنما بطني شبر » فلما مات أصابوا في خزانته خمسة آلاف طيلسان • فقال فيه الشاعر :

لو كان بطنُكَ شبراً قد شبعتَ وقد ... أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين
لكنّ بطنَكَ باعٌ ليس يشبعه ... خرْجُ العراق ولا مال الدهاقينِ
مازال في سورة الأنعام يدرسها ... حتى فؤادي مثل الخزّ في اللّين
إمّا تصبك من الايام جائحةٌ ... لم نبك منك على دنيا ولا دينِ

قال أبو حيّان :

هذا من غرائب مايروى ، وهو كالسر من أسرار الخلق ، ولئن كان حقاً فما ينقضي العجب من قوم هذا حديثهم وذاك كلامهم • »

قالت المحققة الدكتورة وداد القاضي :

« الخبر والشعر في أنساب الأشراف ٤/٢:٢٧ • وعيون الاخبار ٢:٣١ وانظر مروج الذهب ١٧٥ والخزانة ٢:٩٢ والميداني ١:٧٥ • وقد اختلف في اسم الشاعر فهو أبو حرّة في الأنساب وأبو وجزة في العيون • وهو السائب ابن فروخ أبو العباس الأعمى في الاغاني » •

قلت : ولم أجد البيت في الأغاني منسوباً الى أبي العباس الأعمى ، وإنما وجدته في الجزء ١٥:١٥١ طبعة الدار بغير نسبة ، وقد أنشده عبدالله ابن صفوان لما دخل على عبد الله بن الزبير بمكة •

فالبيت إذاً إسلامي وليس لذي الإصبع كما نص الأستاذ هارون في فهرس الكتاب وكما نص محقق الأغاني •

● في ص ٢١ قال المؤلف : وأهجى بيت في الاسلام :

قبحت مناظرُه فحين خبرته   قبحت مناظره لقبح المخبر

قلت : أهمل المحقق التعليق على البيت كما أنه في فهرس الكتاب ص ٢٧٠ أهمل النص على نسبته وكذلك فعل في معجم شواهد العربية ١٨٨:١ • والبيت مشهور متداول في كتب الأدب • قال صاحب الأغاني ٣٤:١٩ طبع الهيئة المصرية :

وهجا [أي مسلم بن الوليد] رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال :

قبحت مناظره فحين خبرته   حَسُنت مناظره لقبح المخبر

ورواية الشطر الثاني كما في الاغاني : « حسُنت » وهي الرواية الأجود التي تتناولها كتب الأدب • ولم أر — فيما رجعت إليه — من روى « قبحت » إلا العسكري في المصون • ومن المصادر التي ورد فيها هذا البيت منسوباً الى مسلم بن الوليد : أمالي اليزيدي : ١٣٥ — عيون الأخبار ٣٦:٤ — التمثيل والمحاضرة : ٤٥٦ — خاص الخاص : ١١٤ — نهاية الأرب ٢٧٨:٣ • معاهد التنصيص ١٠:٢ — مطلع الفوائد ومجمع الفرائد : ٣٥٣ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق • وفي ديوان المعاني ١٨٢:١ غير منسوب • وقد ورد أيضا في الإعجاز والإيجاز للثعالبي : ١٧١ « المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧ » برواية « حبست مناظرهم » وشرحها المعلق على الكتاب بقوله : خفيت • قلت : وهذه رواية فاسدة والأمر فيه تصحيف واضح • وهذا البيت ورد مفرداً في ذيل ديوانه ص ٣٢١ وفيه إحالات الى عدد من المصادر

الأخرى • انظر ديوان صريع الغواني بتحقيـــق المرحوم الدكتور سامي الدهان « دار المعارف بمصر » •

● في ص ٢٢ ورد بيت لأبي الطَّمَحان القيني :

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوههم — دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبُه

سكت عنه المحقق ثم علّق عليه في ص ٥٨ من المصون عند وروده مرة ثانية • ويمكننا أن نضيف الى مراجعه : كتاب الأغاني ١٣:٩ طبعة دار الكتب • ونهاية الأرب ٣:١٨٣ •

● في ص ٢٢ : وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قالته العرب قول أوس بن مغراء في سعيد بن العاص :

ما بلغتْ كفُّ امرىءٍ متنـاول — من المجد إلاّ والذي نِلْتَ أطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحةً — وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

قال المحقق : في ديوان المعـاني ١:٢٧ إن الشعر للخنساء أخت بني الشريد تقوله في أخيها صخر •

قلت : وفي ص ٦٣ من كتاب المصون نفسه ورد البيتـان منسوبين للخنساء وهما في ديوانها ص ١٠٧ طبعة دار صادر • وفي ص ٦٥ في طبعة دار التراث ــ بيروت من قصيدة أولها :

أمن حَدَثِ الأيّام عينُك تهمل — تبكّي على صخر وفي الدهر مذهل

وورد بيتا المصون منسوبين لها في الوساطة للجرجاني : ١٩١ طبعة عيسى الحلبي ١٣٨٦ هـ • وكذلك في العقد ٢:٢٣ طبعة مصر ١٣٠٢ هـ • وقد نسب الاستاذ هارون البيت الأول الى أوس بن مغراء في معجم شواهد

العربية ١:٢٧٩ وأحال فيه الى ديوان الخنساء ؟ وهو في العادة لايذكر في معجمه إلا قافية البيت الأول لذلك يعد الثاني ملحقاً بسابقه • ومن الجدير بالذكر أن البيت الاول ورد في المصون وقد أصابه الثرم « مابلغت » فبدأ البيت بـ « عولُ = فَعْلُ » ورواية الديوان : « فما بلغت » •

● في ص ٢٤ــ٢٥ : وأحسن ما قيل في زمامٍ قوله :

تنازع مثنى حضرميٌّ كأنَّه   حبُابُ نقاً يتلوه مرتحلٌ يرمي

قال المحقق : وكذا أنشده ابن قتيبة في المعاني الكبير •

قلت : والبيت في كتاب التشبيهات لابن أبي عون : ٦٥ غير منسوب• وفي لسان العرب وتاج العروس ، مادة : حبب : قال أبو عبيد : وإنما قيل الحباب اسم شيطان لأن الحية يقال لها شيطان قال :

تلاعب مثنى حضرميٌّ كأنَّه   تَعمُّج شيطانٍ بذي خِرْوَع قفرِ

وفي التاج : تمعّج •

وقد ورد البيت غير منسوب في ديوان المعاني ٢:١١٩ والرواية فيه :

يعالج مثنى حضرميٍّ كأنــه   حبُاب نقاً يتلوه مرتجلٌ يرمي

● في ص ٢٥ : قال جرير : وددت أني قلت بيتي مزاحم العقيلي ولم أقل شيئاً من الشعر •• وأنشد البيتين ••

قلت : وقد ورد الخبر مع البيتين مفصلا في الأغاني ١٩ : ٩٧ــ٩٨ مع خلاف في رواية بعض الكلمات :

● في ص ٢٧ ورد قول الشاعر :

نظرت إليهــا والثريا كأنهــا   قلادةُ سلك سُلَّ منها نظامها

قال المحقق : ديوان المعاني ١:٣٣٣ •

قلت : ورواية البيت في ديوان المعاني ١:٣٣٣ :

سرينا بليل والنُّجـومُ كأنَّها قلادةُ درٍّ سُلَّ عنها نِظامها

ورواية التشبيهات : ٤

اذا ما بلغتُ والثُّـريا كأنها قلادة درّ سلَّ عنها نظـامها

● في ص ٣٨ ورد بيت لابن الرومي :

طيِّبٌ ريقـه اذا ذقـت فـاه والثريا لجانب الغـرب قرطُ

قلت ورواية البيت في التشبيهات : ص ٥

قد ترشَّفتُ ريقَه بعد وهنٍ والثريا بالجانـب الغرب قرْطُ

ورواية الديوان ١٤٣١:٤ موافقة لما في المصون • والشطر الثاني في الديوان : بالجانب الغرب •

● في ص ٢٩ أنشد بيت ابن المعتز :

فناولنيهـا والثُّريا كأنها جنىنرجسحيّا الندامىبهالساقي

قلت : ورواية ابن أبي عون في التشبيهات ص ٦ « حبا الندامى » بالبـــاء •

● في ص ٣٥ ورد قول أبي نواس :

ياقمراً للنصف من شهره أبدى ضياء لثمانٍ بقـين

سكت عنه المحقق •

قلت : ليس البيت في ديوان أبي نواس المنشـور بعناية أحمد عبد المجيد الغزالي في مصر ولكنه مذكور في كتاب سرقات أبي نواس لمهلهل ابن يموت ص ١٠٠ وفي كتاب التشبيهات ص ٩٢ • وفي الشعر والشعراء ص ٢٢٨ــ٧٠٠ طبعة دار الثقافة ــ بيروت ، وقد أحال السيد محمد عبد المعين خان محقق التشبيهات الى شعر أبي نواس الذي جمعـه حمزة بن الحسين الاصفهاني في المخطوط المحفوظ في مكتب وزارة الهند تحـت رقم ٣٨٦٧٥ •

● ص ٤٢ ورد بيتان لابن الرومي في وصف غروب الشمس •

قلت : وهما في ديوانه ١٤١٨:٤ مع خلاف في رواية بعض الألفاظ • فالبيت الأول في المصون يبتدىء بقوله : كأن حنوٌ • وفي الديوان : كأن خبوء • وفي الثاني عبارة : مَنٌ أجفانها ، وفي الديوان: مسٌ أجفانها •

● في ص٤٦ وردت ثلاثة أبيات لابن الرومي فيوصف غروب الشمس•

قلت : والابيات من قصيدة طويلة في ديوانه ، أبياتُها بيت ومائـةُ بيت والقصيدة قالها الشاعر في الطرد • انظر ديوانه ١٤٧٣:٤ وما بعدها •

● في صفحة ٤٦ وردت أبيات لابن المعتز في وصف الجرجس • ولم يذكر المحقق شيئاً عن الجرجس •

قلت : الجِرْجس : ذكره الجوهري في الصحاح ٩١٠:٢ وقال : لغة في القِرقِس ، وهو البعوض الصغار • وهـذا هو المراد منه في أبيـات ابن المعتـز •

● في ص ٥٣ •• وقال غيره :

يأتيك في جُبَّـة مُخرَّقةٍ   أطولُ أعمـار مثلها يـومُ

وطيلسان كالالآل يلبسه على قسيصٍ كأنَّهُ غيمُ

قلت : البيتان في كتاب التشبيهات : ٢٤٠ وقد نسبهما ابن أبي عون الى الحمدويّ وعلّق محقق التشبيهات بقوله : وقيل : إنه الحمدونيّ .

● في ص ٥٤ : قال الحكمي [أبو نواس] يصف سفينة :

بُنيَت على قَدرٍ فلاءم بينهـا طبقان من قيرٍ ومـن ألواحِ
فكأنَّها والماءُ ينطـح صدرها والخيزرانةُ في يَـدِ الملاّحِ
جَوْنٌ من العِقبان تبتدر الدجى تهوي بصوتٍ واصطفاق جناح

لم يعلّق المحقق على هذه الأبيات .

قلت : الأبيات ليست في ديوان أبي نواس . وقد أنشدها المبرّد في الكامل ٣:١٤٣ طبعة أبي الفضـل ابراهيم بالرواية نفسـها التي ذكرها العسكري ، باستثناء كلمة « تهوي » في البيت الثالث فقد وردت في الكامل: يهوي . والبيتان الثاني والثالث في الحماسة الشجرية ٢:٩١٤ وفي نضرة الإغريض: ١٨٠ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق. وفي التشبيهات ٣٦٠ حيث سُبِقا ببيتين هما :

يامَـن تأهَّـب مزمعاً بـرواحِ متأمِّماً بغداد غـير مُلاحـي(١)
في بطـن جاريةٍ كفتـك بسيرها رفلان كـلّ شنـاحة وشناحِ(٢)

● في ص ٦١ : ومن عجيب التشبيه قوله :

لعينك يوم البين أسرعُ واكفاً من الغُصن المطور وهو مروح(٣).

(١) ضبطها في التشبيهات : مِلاح . ولم اقف لها على وجه .
(٢) الشناحيُّ : نعت ينعت به الجمل في تمام خلقه .
(٣) مروح : أصابته الريح .

أحال المحقق الى الكامل ٥٠٩ . وجعل البيت في فهرس الكتاب ص ٢٦٦ مجهول القائل وكذلك في معجم شواهد العربية : ١:٨٥ .

قلت : والبيت في الكامل ٣:١٣٤ طبعة أبي الفضل غير منسوب . وقد أنشده القالي في الأمالي ١:٧٠ ونسبه الى أبي حيّة النميري.وروايته: لَعيناك . وذُكر البيت أيضا في شعر أبي حيّة المجموع ص ١٣٠ طبعة وزارة الثقافة بدمشق . وهو هناك البيت السابع عشر من قصيدة بلغت أربعة وعشرين بيتاً أولها :

ألا ياغراب البين فيم تصيحُ　　　فصوتك مشنوءٌ إليّ قبيحُ

● في ص ٦١-٦٢ : أنشد العسكري مقطوعة من خمسة أبيات لأعرابي ولم يعلق المحقق ولم يشر الى مصدر من المصادر .

قلت : ينظر الشعر وخبره أيضاً في ديوان المعاني ١:٢٥ وزهر الآداب ٢:١٠١ ونهاية الأرب ٣:١٨٥ .

● في ص ٦٢ : ورد قول على لسان الأخطل لعبد الملك بن مروان... ولقد قلتُ [أي الأخطل] فيك بيتين ما هما بدون قولها [أي قول الخنساء] فقال : هاتِ . فأنشأ يقول :

إذا متّ ماتَ الجودُ وانقطع الندى　　　من الناس إلا من قليلٍ مصرّدِ
وردّت أكفُّ السائلين وأمسكوا　　　من الدين والدنيا بخلفٍ مجدّد

لم يعلق المحقق على هذا الخبر .

قلت : ذكر المبرد البيتين في التعازي والمراثي : ٢٢٤ « طبع مجمع اللغةالعربيةبدمشق» على لسانامرأة منأهل معاوية بن أبي سفيانتمثلتبهما

عند وفاته • وقد ذكر الخبر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ٢٧:١ موافقاً لما ورد في المصون وكذلك الأمر في أمالي المرتضى ١١٣:٣ •

وورد البيتان في تاريخ الطبري ٣٢٧:٥ « طبعة دار المعارف بمصر » منسوبين للأشهب بن رُميلة النهشلي يمدح القُباع ، وذكر أن معاوية بن أبي سفيان تمثّل بهما في مرضه الذي توفي به • ومن الجدير بالذكر أن البيتين لم يذكرا في ديوان الأخطل « طبعة الصالحاني » وإنما أثبتا بملحق الديوان : ٣٨١ نقلا عن ديوان المعاني •

● في ص ٦٧ : ••• تبعه سلْمٌ الخاسرُ فقال :

وأنــت كالدَّهــر مبثوثاً حبائلهُ   والدهر لا ملجأٌ منـــه ولا هرب

ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفُه   في كل ناحيـــة ما فاتك الطلـــبُ

قال المحقق : في ديوان المعاني : ٢١:١ إن الشعر للأخطل ولم أجده في ديوان الأخطل •

قلت : هذه الابيات من الابيات السائرة والمتداولة في كتب الأدب وكلها تنسبها لسلم الخاسر • انظر الأغاني ٢٧٥:١٩ • أخبار أبي تمـــام للصولي : ١٩،٢٠ • التمثيل والمحاضرة : ٧٧ • الإعجاز والإيجاز : ١٦٥ • نهاية الأرب ٧٨:٣ــ١٨٢ • وكتاب : شعراء عباسيون لغرونباوم : ٩٣ ودار مكتبة الحياة ـــ بيروت •

● في ص ٦٩ قال العسكري : قول سلم « وأنت كالدهر » مأخوذٌ من قول الاخطل :

وإن أمـــيرَ المؤمنـــين وفعلَه   لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقد أحال المحقق الى ديوان المعاني ٢١:١ ولم يحل الى ديوان الأخطل • وفي معجم شواهد العربية ١٤٩:١ثبّت نسبة البيت للأخطل مكتفياً بالاحالة الى المصون وديوان المعاني وقال : وليس « أي البيت » في ديوانه •

قلت : نسب الصولي في كتابه أخبار أبي تمام ص ٢١ــ٢٢ هذا البيت الى الأخطل إلا أن الآمدي في المؤتلف والمختلف : ٢٠٧ «طبعة فرّاج» أنشده مسبوقاً ببيت آخر وبخبر ومنسوباً الى شمعلة بن فائد التغلبي ، ويعرّف به بأنه كان عظيم القدر في البادية أيام هشام بن عبد الملك • وقد ذكر الخبرَ نفسَه وأنشد البيتين لشمعلة بن فائد ، جعفرُ بنُ محمدٍ بنِ جعفر الطيالسي من أدباء القرن الرابع الهجري في كتابه : المكاثرة عند المذاكرة ص ٧ « نشره محققاً محمد بن تاويت الطنجي » • كما أن المبرد ذكر البيت في الكامل ١٥٨:٣ منسوباً الى شمعل ــ بغير هاء ــ • وذكر البيت القاضي الجرجاني في الوساطة : ٢٩٣ منسوباً الى شمعلة • أما أبو العلاء المعري فإنه أنشد البيت في رسالة الغفران : ٤٢٧ ط : ٥ وقال : « مثل البيت المنسوب الى الاخطل وذكره حبيب بن أوس لشمعلة التغلبي» وعلقت الدكتورة بنت الشاطىء على قول المعري بقولها : « في الحماسة• وكذلك رواه أبو الفرج والآمدي لشمعلة التغلبي » وقد بحثت في كتب أبي تمام المعروفة « الحماسة » « الوحشيات » « نقائض جرير والأخطل » فلم أقع على البيت ، واسم شمعلة بن فائد لم يذكر في فهرس الأعلام في الحماسة وإنما ذكر شمعلة بن الأخضر ، فماذا أرادت الدكتورة بقولها : في الحماسة ؟!!

● في ص ٨٠ : ••• قال أنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا

محمد بن يزيد المبرد :

وليلـــة واكفٍ فتقــتْ هموماً أكابدُها الى الصبح الفتيق
حمى فيها الكرى عينيَّ بيتٌ كأنَّ سماءَه عـــينٌ المشوقِ
تجمَّعت السحائب وهو بيتٌ وأجْلَت وهو قارعة الطـــريق
ترقُّ قلــوب جـــير تنا علينـــا اذا نظـــروا الى الغيم الرقيقِ

قلت : وردت هذه الأبيات وقد اختلفت روايتها في كتاب التشبيهات ص ٣٧٩ منسوبة لأبي علي البصير وهذه روايتها :

وليلة عارضٍ لا نومَ فيهـــــا أرقت بها الى الصبح الفتيـــقِ
حماني النومَ فيها سقف بيتٍ كأن ســـماءه عينُ المَشـــوقِ
تواصلت السحائب وهو بيـــتٌ وصدَّت وهو قارعة الطـــريق
تفيض عيونُ جيرتنـــا علينـــا اذا نظروا الى الغيـــم الرقيقِ

● في ص ٨٢ ورد البيت :

سيـكفيك ألاّ يرحل الصيف ــ بالصاد ــ ٠٠٠

قلت : وفي اللسان : الضيف ــ بالضاد ــ ٠

● في ص ٨٥ ٠٠٠ قال ذو الرمّة :

وأرمي الى الأرض التي من ورائكم لترجعنـــي يوماً إليـــك الرواجع

قال المحقق : « ديوان ذي الرمة » فقط ولم يحدد الصفحة ولا رقم القصيدة ٠

قلت : هذا البيت رواه أبو علي القالي في أماليه ٢:٣١٦ من قصيدة طويلة لقيس بن ذريح ٢:٣١٤ ومابعدها ٠ ورواية البيت في الأمالي :

وأعمِد للأرض التي من ورائكم ليرجعني يوماً عليك الرواجع

وكذلك رواه أبو الفرج في الأغاني ٩:٢١٨ منسوباً لقيس بن ذريح. والرواية فيه :

وأعمِد للأرض التي لا أريدها   لترجعني يوماً إليك الرواجع

وانظر أيضا كتاب قيس ولبنى شعر ودراسة ص : ١٠٦ للدكتور حسين نصار . ولم أقف على البيت في ديوان ذي الرمة الذي نشره مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبي صالح ، وطبعة المجمع من أوثق طبعات الديوان فيما أعلم ، ولكني وجدته برواية مطابقة لرواية الأغاني في ديوان ذي الرمة الذي نشره المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٩٦٤ ص ٤٢٧ . وأظن أن روايتي أبي الفرج وأبي علي أوثق من رواية الديوان المذكور من حيث نسبة البيت الى قيس بن ذريح . وقد ثبّت الاستاذ هارون نسبة البيت الى ذي الرمة في معجم شواهد العربية ١ : ٢٢٠ محيلاً الى المصون : ٨٥ والى ديوان ذي الرمة ٣٣٧ طبعة كمبردج ١٩١٩ .

● في ص ٩٠ ... وسئل أبو العباس ثعلب عن قول الشاعر :

دعاني دعوةً والخيل تردي   فما أدري أباسمي أم كناني

أهمل المحقق التعليق على البيت وجعله في فهرس الكتاب ص ٢٧٨ مجهول القائل كما فعل ذلك في معجم شواهد العربية ١:٤٠٧ .

قلت : هذا البيت مطلع مقطوعة أوردها المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٤١ « طبعة فراج » في ترجمته لابن الغريزة النهشلي واسمه كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة بن صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة. وهو مخضرم بقي الى أيام الحجاج بن يوسف . وذكر له المرزباني أبياتاً

رثى فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه • ثم قال : وخرج الى خراسانوقال:

دعاني دعوةً والخيل تردي ••• الخ •

وأنشد له المرزباني خمسة أبيات •

● في ص ١٠٣ أنشد المؤلف أبياتاً لأمية بن الأسكر ولم يعلق على اسم الشاعر ولا على الأبيات •

قلت : ذكر أبو علي القالي في الأمالي ١٠٨:٣ أن أمية بن الأسكر كان شيخاً كبيراً أيام عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » • وقال أبو الفرج في الأغاني ٩:٢١ : شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مذكورة مأثورة • وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ١٣٨:١ « طبعة كتاب الشعب » باسم ابن الأشكر ــ بالشين ــ وقال : « في الإصابة : الأسكر وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة وفي الجمهرة بالمهملة » وفي الاشتقاق : ١٧٣ : أمية ابن حُرْثان بن الأسكر • وقد ذكرت الأبيات التي رواها العسكري في المصون في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي : ٢٩٦ غير منسوبة • وهي في ديوان أبي الأسود الدؤلي ص ٧٩ طبعة الشيخ محمد حسن آل ياسين ١٣٨٤ هـ بغداد • ورُوي أن أمية قال هذه الابيات في الجاهلية كما ذكر ابن الشجري في حماسته ٢٦١:١ ــ٢٦٢ • وأنشد الابيات صاحب العقد ونسبها الى أمية ٢ : ٣٢٧ طبعة ١٣٠٢ هـ • وقد وهم محقق الصداقة والصديق في تعليقه على الابيات بأنها في أمالي القالي ١٠٩:٣ لأن أبا علي لم يروها في أماليه •

● في ص ١٠٨ ورد قول عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن يقتدي

لم يعلق عليه المحقق •

قلت : وهذا البيت ورد في ديوان طرفة في صلة الديوان ، في قسم شعره الذي لم يروه الأصمعي: ١٥١ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق. وأنشده ابن قتيبة في عيون الاخبار ٣: ٧٩ لعدي بن زيد ، ورجح محقق العيون أنه لعدي وذكر أن البيت ورد في قصيدة عدي التي أولها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وهي مذكورة بتمامها في جمهرة أشعار العرب ص ١٧٩ طبعة دار صادر وانظر تعليق محقق ديوان طرفة ١٥١ كما أن التوحيدي صرح بنسبة البيت الى عدي في الصداقة والصديق : ٧٣ وكذلك المرزباني في معجم الشعراء : ٨٢ والثعالبي في التمثيل والمحاضرة : ٥٢ .

● في ص ١١٢ ورد البيت :

قد رأيناك فما أعجبتنا وخبرناك فلم نرض الخبر

قال المحقق : البيت لعائشة بنت طلحة ، انظر الأغاني ١٠ : ٥٤ـ٥٥ .
قلت : ورواية البيت في الاغاني ١١: ١٨٤ ــ ١٨٥ طبع دار الكتب :

قد رأيناك لم تَحْلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

● في ص ١١٣ وردت أبيات لأبي نواس علق عليها المحقق بقوله : في الديوان : ٩٦ .

قلت : هي في الديوان : ٤٦٣ طبعة الغزالي . والمحقق يميل الى طبعة العمومية .

● في ص ١٢٩ ... أنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا المغيرة لبعض اللصوص :

وركبٍ بأبصار الكواكب أبصروا ضلال المهارى فاهتدوا بالكواكب

يكونون إشراق المشارق مـرّةً وأخرى اذا آبوا غروب المغارب

من هاهنا أخذ أبو تمام :

ألا انهم لُبْسُ الحمائل والسُّرى فلو عُقدوا كانوا ليان المناكب

قلت : إن تأمل البيت المنسوب لأبي تمام وتأمل ما سبقه يفضي الى أنه متمم للبيتين السابقين وليس مأخوذاً منهما • والبيت ليس في ديوان أبي تمام ولا في أخباره ولا في الموازنة ولا في كتاب هبة الايام •• والبيتان الأول والثاني في الرسالة الموضحة للحاتمي : ١٦٢ •

وقد رجَّحت أن يكون نص كتاب المصـون قد حرّف على أيدي النسّاخ وأظن أن أصل النص كما يلي : •• أنشدنا المغيرة لبعض اللصوص:

وركب بأبصار الكواكب أبصروا ضلال المهارى فاهتدوا بالكواكب

يكونون إشـراق المشارق مـرةً وأخرى اذا آبوا غروب المغارب

ألا انهم لُبْسُ الحمائل والسُّرى فلو عُقدوا كانوا ليـان المناكب

ومن هاهنا أخذ أبو تمام قوله :

يصرّف مسـراها جُذيل مشارقٍ اذا آبه همٌّ عُـذَيقُ مغـاربِ

ديوانه ١:٢٠٢ بشرح التبريزي •

أو قوله :

كأن لـه دَيْناً على كل مَشـرقٍ من الأرض أو ثاراً لدى كل مغرب

الموازنة ١ : ٩١ •

وقارن بالموازنة ١:٩١ « طبعة دار المعارف بمصر » وبالرسالة الموضحة ١٦٢ـ١٦٣ « طبعة الدكتور محمد يوسف نجم » •

● في ص ١٥١ : أنشد المؤلف بيتين لابن الرومي ثانيهما :

وكيف بقاء النفس فيها وإنما •••••

قلت : رواية الديوان ١:١٣٠ المقطوعة ٨٤ :

وكيف بقاء الناس •••

● في ص ١٥٧ : ذكر بيت نصيب :

هو البدر والناس الكواكب حوله وهل يشبه البدرَ المضيءَ الكواكبُ

أحال المحقق الى ديوان المعاني ١:١٧ •

قلت : والبيت في الاغاني ١ : ٣٣٧ • ورواية عجز البيت فيه :

••• ولاتشبه البدرَ المضيء الكواكبُ

والبيت من قصيدة في مدح سليمان بن عبد الملك •

● في ص ١٥٩ ذكر ثلاثة أبيات لديك الجن الحمصي أولهما وثانيهما:

قامت مذكرة وقام مؤنثاً فتنازعا المهجات باللحظين

صبّا عليّ الكأس إن هلالنا قد صبَّ نعمته على الثقلينِ

قلت : والبيتان في حماسة الظرفاء للزوزني ٩٢:٢ وروايتهما :

قامت مذكرة وقام مؤنثاً فتناهبا الأرواح باللحظينِ

اصبب علينا الراح إنّ هلالنا قد صبّ نقمته على الثقلين

● في ص ١٥٩ ـ ١٦٠ قال أعرابي •• وأنشد اثني عشر بيتاً من قصيدة أولها :

ألا يابيت بالعلياء بيت ولولا حب أهلك ما أتيت

قال المحقق : سبق في ص ٨٦ والقصيـدة لعمرو بن قعاس « أو قنعاس » المرادي كما في الخزانة ١:٤٥٩ـ٤٦٠ .

قلت : هذه أبيات من قصيدة بلغت أبياتها في منتهى الطلب ثمانية وعشرين بيتا وقد نشرها الدكتور حاتم الضامن في مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن العدد الثالث، ص٢٧٤، وألحق بها في الحاشية ثلاثة أبيات نقلاً عن الطرائف الادبية التي نقلت عن معجم البلدان . كما أن الأخفش الأصغر ذكر خمسة عشر بيتا منها في كتاب الاختيارين وقال : أنشدها الأصمعي . انظر الاختيارين ص ٢١١ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق. وانظر الطرائف الأدبية : ٧٢ وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١:٥٢٦ بتحقيق الدكتور محمد على سلطاني طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق. وشرح شواهد المغني ١/٢٠١٥ طبعة لجنة التراث العربي وشرح أبيات مغني اللبيب ٢:٩٧ مكتبة دار البيان بدمشق .

وقد أنشد المبرد في الكامل ١:١٥٤ بيتا واحدا من هذه القصيدة ونسبه الى الغساني وهو :

إذا ما فاتني لحـم غريـض ضربت ذراع بكري فاشتويت

وعلق محقق الكامل : زيادات : هو السموءل .

قلت : إن نسبة هذا البيت للسموءل في بعض النسخ أو زياداتها سببه الخلط بين قصيـدة عمرو بن قعاس هـذه وبين قصيدة للسموءل أنشدها الأصمعي في الأصمعيات ورقمها هناك:٢٣ . وليس منها هذا البيت.

● في ص ٢١٠ ورد البيت :

لايكثرون وإن طالت حياتهم ولا تبيد مخازيهم اذا بادوا

قلت : البيت في زهر الآداب ٢:١٣٢ وفيه : لايكبرون ...

وفي ديوان المعاني ١:٧٧ :

لايكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فأرة غرقوا

● في ص ٢١٢ : ... وقال سهل بن هارون لرجل عزّاه :

« إنه لن تبعد مصيبةٌ أن تحل محل نعمة اذا سلّم لأمر الله فيها ولن تبعد نعمة أن تحل محلّ مصيبة اذا ضيع شكر الله عليها » .

أخذ أبو تمام معنى هذا فقال :

حتى كأن عدوّهم من صبرهم وجلالهم حسب المصيبة أنعما

وقد أثبت المحقق نسبة البيت الى أبي تمام في فهرس الكتاب ص٢٧٦ وفعل ذلك في معجم شواهد العربية ١ : ٣٣٦ وقال في المعجم : وليس في ديوانه .

قلت : نعم ليس البيت في ديوانه ، كما أنه ليس له . وإنما ذكر هذا البيت في مقطوعة رواها أبو تمام في كتابه « الوحشيات » ص ١٣٢ طبعة دار المعارف بمصر القصيدة : ٢١١ ونسبها للجرنفش ــ بالجيم ــ الطائي . والأبيات :

لله درُّ بني خُلَيف مَعْشراً أيُّ امرىء فُجعوا به ، ولربما

فجعوا بذي الحسب القليل فأصبحوا لا مُبلسين ولا ضعافاً وجّما

قوم اذا الحدثُ الجليلُ أصابهم شدّوا دوابرَ بَيضهم فاستحكما

حتى كأن عدوَّهم ممّا يرى من صبرهم حسب المصيبة أنعُما

وقد أنشد الآمدي هذه الابيات في المؤتلف والمختلف ص ٩٩ طبعة فراج منسوبة الى الجرنفش . وسماه ابن دريد في الاشتقاق : ٣٩٠ طبعة هارون الجرنفس ــ بالسين ــ وكذلك فعل العسكري في شرح ما يقع فيه التصحيف ٣٨١ طبعة مصر .

إن تصحيح نسبة هذا البيت تعكس ما ادعاه صاحب المصون من سرقة أبي تمام لمعنى سهل بن هارون وتجعل سهل بن هارون آخذاً المعنى من الجرنفش •

● في ص ٣١٨ : ذكر بيت لابن الرومي :

كانت لياليه كلها سحراً   وكان أيامهـــن كالبكـــر

قلت : والبيت من قصيدة طويلة في وصف بستان • وهذا البيت هو الثاني بعد المائة من القصيدة ذات الرقم ٦٨٧ انظر ديوانه ٣: ٩٢١ •

* * *

هذه هي جملة المواضـــع التي اهتديت الى التعليق عليها ، وهناك مواضع أخر في الكتاب لم أوفّق الى توفيتها حقها من التتبع والتعليق • ولابد من الاشارة أخيراً أن السيد المحقق قد أهمل الأعلام إهمالا لايجوز مثله في كتاب له طبيعة كتاب المصون ، فنحن لم نعرف من هو فكيهـــة الفزاري ص ٨٦ ولا من هو جرثومة[1] الشاعر ص ٦٤ ولا من هو هذا (الأخثى؟)[2] الذي أثبت اسمه في فهرس الأعلام ص ١٦٠ وقل مثل ذلك في عشرات الأعلام الذين أهملهم مع أنهم ليسوا من الظهور وبُعد الصيت بحيث لا يخفى أمرهم على القارىء ، زد على ذلك إهمال شـــرح الغريب الوارد في الشعر • وختاماً يمكنني القول إن عمل المحقق في كتاب المصون اتّسم بالسرعة فوقع فيما لابد لكل عمل سريع أن يقع به ، وآمل أن تسهم تعليقاتي هذه مع ماينضاف إليها في استكمال العمل في الكتاب والله المستعان•

حمص **عبد الإله نبهان**

(١) ورد ذكر الشاعر جرثومة العنزي الجلاّني في الاغاني ٢٢ : ٣٢٩ طبع الهيئة المصرية العامة •

(٢) أظن الكلمة مصحفة ولم أهتد الى وجه الصواب فيها فهل هي : الاخفش ؟!

آراء وأنباء

فقيـد المجمـع
المرحوم شفيق جبـري
١٨٩٨ ـ ١٩٨٠



فقد مجمع اللغة العربية عضواً كريماً من قدامى أعضائه الأوائل هو المرحوم الأستاذ شفيق جبري •

وشارك في نعيه للرأي العام العربي والأوساط العربيــة المجمعيــة والعلمية كل من وزارة التعليم العالي ومجمع اللغة العربية ووزارة الثقافة والارشاد القومي وأسرة التعليم في جامعة دمشق واتحاد الكتاب العرب.

وشيع جثمانه يوم الأربعاء السادس من ربيع الأول ١٤٠٠ هـ (٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠) وتقبلت هذه الهيئات التعزية به في يومي الســبت والاحد (٢٦ و ٢٧ كانون الثاني) في مبنى جامعة دمشق .

وكان المرحوم جبري قد انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في الجلسة المنعقدة بتاريخ الاول من تشرين الاول عام ١٩٢٦ .

ومضى يعمل للمجمع والعربية وأدبها ولغتها خلال ما يزيد على نصف القرن في دأب واخلاص وفي نمط ينفرد بالجدة والطرافة وأغنى مجلة المجمع بالكثير من شعره والكثير من مقالاته وشارك في عدد من المحاضرات العامة التي كان المجمع درج على الدعوة اليها في العقود السابقة .

وشغل المرحوم الاستاذ جبري عددا من المناصب الادارية في وزارات مختلفة ثم بعض المناصب الرفيعــة في وزارة المعارف حيناً من الزمن ثم انصرف الى التعليم الجامعي في مدرسة الآداب العليا التي أنشئت عام ١٩٢٩ في الجامعة السورية ، وكان كذلك وكيلاً لها . وقد ألغى الفرنسيون هذه المدرسة سنة ١٩٣٤ فبقي بلا عمل « ينصرف الى مطالعاته الخاصة وينشر المقالات والقصائد في بعض الصحف والمجلات منها مجلة المجمع في دمشق ومجلة الثقافة في مصر »[1] .

وفي عهود الاستقلال حين اتجهت الجهود الى استكمال فروع الجامعة

---

(١) من ترجمة حياته بقلمه في « اضبارته الخاصة في مجمع اللغة العربية » .

السورية (جامعة دمشق) عين الأستاذ جبري عميداً لكلية الآداب فكان أول عميد لها ، وجدد انتخابه أربع مرات منذ عام ١٩٤٨ ، حتى اذا بلغ الستين عام ١٩٥٨ أحيل الى التقاعد . وعين عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ومضى يتابع دراساته ومطالعاته ويستجيب لبعض الدعوات الثقافية لزيارة البلاد العربية والاجنبية .

وقد أقام اتحاد الكتاب العرب بالاتفاق مع مجمع اللغة العربية وجامعة دمشق حفلاً تأبينياً للفقيد في أحد مدرجات كلية الآداب تكلم فيه الأساتذة ونشرت كلماتهم في مجلة الموقف الأدبي عدد ١٠٩ .

وكذلك أقام النادي العربي حفلة في ذكراه الاربعين (٢ شباط ١٩٨٠) تحدث فيه الدكتور شكري فيصل عن التجربة الشعرية عند جبري . وستفرد مجلة الموقف الادبي حيزاً من عددها الأخير ١١٠ (حزيران ١٩٨٠) لبعض المقالات التي تدرس جوانب مختلفة من أدب الفقيد .

وقد كان من أوائل الكتب التي نشرها الاستاذ الفقيد كتاباه : المتنبي : مالىء الدنيا وشاغل الناس « دمشق ١٩٣٠ » . والجاحظ : معلم العقل والادب « دمشق ١٩٣٢ » وهما تضمان محاضراته التي ألقاها على طلبة مدرسة الأدب العليا في تلك السنوات ثم تتالت مؤلفاته على النحو التالي :

ـ كتاب العناصر النفسية في سياسة العرب « سلسلة اقرأ ـ دار المعارف » القاهرة ١٩٤٥ .

ـ كتاب بين البحر والصحراء « سلسلة اقرأ ـ دار المعارف » القاهرة ١٩٤٦ .

ــ كتاب دراسة الأغاني «محاضراته في جامعة دمشق» دمشق١٩٥١ •

ــ كتاب أبو الفرج الاصفهاني ــ بيروت ١٩٥٦ •

ــ كتاب محمد كرد علي « محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية » ــ القاهرة ١٩٥٧ •

وكان من آخر ما طبع له كتاباه اللذان عرض فيهما لتجربته الشعرية والنثرية وهما :

ــ أنا والشعر ــ القاهرة ١٩٥٥ •

ــ أنا والنثر ــ القاهرة ١٩٦٠ •

وكان ألقاهما على شكل محاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية « جامعة الدول العربية » في القاهرة •

وصدر له في دمشق آخر الأمر ١٩٦٢ كتاب أرض السحر وهو رحلة الى الولايات المتحدة •

وقد كان الفقيد على أهبة نشر ديوانه باسم « نواح العندليب » جمع فيه شعره وأعدّه للطباعة ولكن الأجل عاجله • وتتطلع مؤسسات علمية مختلفة في دمشق لاصداره وفاء بحق الفقيد •

ومقالاته في مجلات الوطن العربي وفي بعض صحف دمشق ، فوق أن تحصر • وحسبنا أن نذكر هنا مقالاته اللغوية التي نشرها في مجلة المجمع تحت عناوين : بقايا الفصاح ، حياة الألفاظ ، وعناوين أخرى غيرها •

وللأستاذ جبري مشاركات في عديد من المؤتمرات ومحاضرات في عديد من الجامعات ومواقف شعرية بارزة في مهرجانات أدبية وسياسية تذكر له دائماً بالكثير من التقدير والاعجاب •

هذا الى عنايته بأدب الرحلات يدل على ذلك بعض كتبه ، ما نشر منها مثل أرض السحر وما لم ينشر مثل « على صخور صقلية » وهو رحلة الى أوربا .

ولاشك أن تجميع آثار الفقيد وطبعها كلها طبعة موحدة ، ما كان نشر منها وما لم ينشر ، هو بعض حق الفقيد على الوطن الذي أحبّه ونظم فيه أجمل الشعر وأعذبه ويأتي في مقـدمة ذلك ديوانه أولاً ثم كتابه عن أحمد فارس الشدياق جبّار القرن التاسع عشر « أصوله الأولى محاضرات في الجامعة السورية » . ويشير الاستاذ جبري في ترجمته الخاصة التي كتبها بخطّه الى كتاب يسميه «أفكاري» ، وهو ، فيما أقدر من تعريفه القصير به ، جملة مقالات ومحاضرات متفرقة أراد أن يضمها في كتاب واحد .

* * *

والمجمع الذي آدته فداحة الخسارة يسأل الله للفقيد الرحمة وأن يثيبه عن العربية وأهلها خير ما يثيب عاملا عن عمله . ويشكر الذين شاركوا في التعزية به من أصدقاء وإخوان في دمشق وفي البلاد العربية والمجامع الـزميلة .

شكري فيصل

قرارات وتوصيات
ندوة تأليف كتب تعليم اللغة العربية
للناطقين باللغات الاخرى
٤ ـ ٧ مارس ١٩٨٠

نظم مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوة حول « تأليف كتب تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى » وذلك أيام ١٦ـ١٩ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ هـ الموافق لـ ٤ـ٧ مارس (آذار) ١٩٨٠ بمدينة الرباط •

وقد شارك في هذه الندوة عدد وافر من الخبراء والباحثين العرب الممثلين لجامعات ومؤسسات عربية وإسلامية وكذلك لمعهد ـ غوته ـ الالماني والمجلس الثقافي البريطاني ••

وبحث المشاركون الموضوعات التالية خلال خمس جلسات متتابعة وهي:

١ ـ منهج الكتاب المدرسي •
٢ ـ المفردات •
٣ ـ التراكيب اللغوية •
٤ ـ التمارين اللغوية •
٥ ـ الصور •
٦ ـ المعجم •

وقد أكد جميع الحاضرين على الاهمية البالغة التي أصبحت تحتلها اللغة العربية في العالم وفي أبرز المؤسسات الدولية نتيجة دور العرب والمسلمين وتأثيرهم الفعال في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية

والثقافية ، إن هذه المكانة المتزايدة لتفرض على العرب واجبات عديدة قصد دعم الحضارة العربية الاسلامية ، ونشر قيمها الروحية والفكرية السامية ، والتعريف أكثر فأكثر بما في تراثنا الضخم من مضامين انسانية نبيلة يبدو الانسان المعاصر في أشد الحاجة إليها • وفي مقدمة هذه الواجبات العناية باللغة العربية من حيث نشرها وتعليمها لغير الناطقين بها سواء في البلدان الاسلامية أو في بقية أنحاء العالم • ويقتضي ذلك العمل على تحديد المناهج وتحديث الاساليب التعليمية والاستفادة بمختلف الوسائل الجديدة مما يجعل اللغة العربية مرتبطة وثيق الارتباط بأصالتها القومية وفي الوقت نفسه حية معاصرة وعالمية •

ولما للكتاب المدرسي من أهمية أساسية في هذا المجال خصصت له هذه الندوة وأولاه الباحثون والخبـــراء المشاركون فيها العناية الكاملة فتناولوا بالنقاش جميع الجوانب التي تتعلق به وقدموا فيها الدراسات المتنوعة والتحاليل المتكاملة •

وقد أسفرت الندوة عن مجموعة من التوصيات تلخص فيما يلي :

١ ـ توصيات عامة :

لقد لاحظ المشاركون في الندوة أهمية الجهود التي بذلت والخطوات التي قطعت في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها • ويبدو ذلك في ماتقوم به المعاهد العليا والجامعات العربية من عمل في ميدان تأليف الكتب وتطوير الأساليب التعليمية واعداد وتدريب المدرسين المختصين وكذلك في ما يبذله بعض الباحثين في هذا المجال •

إلا أن هذه الجهود تحتاج الى مزيد من التنسيق فيما بينها ومزيد من الإحكام والضبط ولذلك توصي الندوة بـ :

١ ــ مطالبة الدول العربية بأن تولي موضوع تعليم العربية لغير الناطقين بها الاهتمام الكافي والعناية المناسبة • وأن تعمل على انشاء المدارس العربية في البلدان غير العربية والاكثار من المنح لطلاب اللغة العربية من تلك البلدان •

٢ ــ مطالبة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالمزيد من إحكام التنسيق في هذا المجال وذلك بـ :

أ ــ إعداد وتشجيع ندوات دورية للخبراء العرب لبحث موضوعات مختصة وقضايا دقيقة محددة •

ب ــ تنظيم ندوات دورية لمديري المعاهد المختصة بتعليم العربية وحضارتها قصد متابعة التجارب وتبادل المعلومات في هذا المجال •

جـ ــ إصدار مجلة متخصصة تعنى بميدان تعليم العربية لغير الناطقين بها من الناحيتين النظرية والتطبيقية •

د ــ تشجيع التبادل بين المعاهد المختصة والخبراء المعنيين سواء في مجال البحوث والدراسات أو في مختلف ميادين التدريس •

ــ توصي الندوة معاهد تدريب المعلمين وكليات التربية بإدخال مادة طرق تدريس العربية لغير الناطقين بها ضمن مناهجها للمساعدة على نشر تعليم اللغة العربية على أسس سليمة •

٢ ــ منهج الكتاب المدرسي : توصي الندوة بـ :

ــ ضرورة تحديد الهدف من الكتاب المدرسي واعتبار نوعية الدارسين ودرجاتهم •

ــ العناية بالمهارات اللغوية المختلفة بصورة متوازنة •

ـ تحديد مقاييس الاختيار في ضبط المادة اللغوية سواء في مستوى المفردات أو في مستوى التراكيب •

ـ اعتماد اللغة العربية الفصحى أساساً لاختيار وتقديم المادة اللغوية•

ـ تقديم المادة اللغوية بطريقة متدرجة من حيث نوعها وصياغتها وشـيوعها •

ـ تقديم المواقف التي لها صلة بالثقافة العربية الاسلامية وبالحياة المعاصـرة •

ـ تلقين القواعد النحوية والصرفية بطريقة وظيفية تطبيقية لايستعمل الجانب النظري إلا في المراحل المتقدمة •

ـ الاهتمام بالحوار وخاصة في المراحل التدريسية الأولى قصـد تنمية ملكة التعبير •

ـ تشكيل المفردات في المراحل الاولى من الكتاب المدرسي ، والتخلص من ذلك بصورة تدريجية •

ـ إخراج الكتاب المدرسي على صورة جيـدة وجذابة من ناحيـة الشكل وتقديم المحتوى •

٣ ـ المفردات والتراكيب : توصي الندوة ب :

١ ـ اختيار المفردات والتراكيب حسب شيوعها وشيوع دلالاتها •

٢ ـ التدرج في تقديم المفردات وذلك بالانطلاق مما هو محسوس الى ما هو مجرد •

٣ ـ استعمال المفردات حسب عدد محدد وبصورة متدرجة •

٤ ـ الاستفادة من المفردات المشـتركة بين اللغة العربية ولغـات الدارسين (نعني خاصة اللغات المستعملة في البلدان الاسلامية) •

٥ ـ استعمال المفردات المحددة في تراكيب متنوعة •

٦ ـ اعتماد التكرار أسلوباً في تعليم المفردات والتراكيب مع تغيير المواقف بالنسبة الى هذه الأخيرة •

٧ ـ استعمال المفردات الجديدة في تراكيب مألوفة والمفردات المألوفة في تراكيب جديدة •

٤ ـ التمارين : توصي الندوة ب :

١ ـ ضرورة تنويع التمارين حسب المراحل •

٢ ـ الاستفادة من مختلف الاساليب المستعملة حديثا في تعليم اللغات مثل الأسلوب النمطي والتواصلي •

٣ ـ التركيز على إفهام القواعد اللغوية وترسيخها في أذهان الدارسين باعتماد الطريقة التطبيقية •

٥ ـ الصور ـ توصي الندوة ب :

١ ـ استخدام الوسائل السمعية والبصرية المرافقة للكتاب المدرسي بصورة مكثفة وبطريقة مدروسة •

٢ ـ الاستفادة من الصور في تنمية مختلف المهارات اللغوية •

٣ ـ التركيز على الصور والاشرطة المسجلة باعتبارها من أيسر الوسائل المستعملة في المراكز التي لا تتوفر فيها الامكانات المادية والفنية اللازمة •

٤ ـ حث المعاهد التربوية والفنية على اجراء بحوث تساعد على تكوين رسامين تربويين •

٥ ـ انشاء بنك مركزي للصور والتسجيلات والافلام الوثائقية

الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تشرف عليه المنظمة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم باقتناء ما يتوفر لدى المعاهد القائمة •

٦ ـ المعجـــم : توصي الندوة ب :

١ ــ أن يشمل الكتاب المدرسي مسردا للمفردات المستعملة فيه •

٢ ــ أن يشمل الكتاب فهرسا للمفردات والتراكيب والموضوعات الواردة فيه •

٣ ــ وضع معجم عربي ــ عربي للمتعلمين غير العرب يشمل المفردات المستعملة في تراكيب متنوعة •

٤ ــ إعداد معاجم ثنائية اللغة تجمع بين العربية واللغات الاخرى المستعملة في البلدان الاسلامية •

٧ ـ البحوث والدراسات : توصي الندوة ب :

١ ــ القيام بكشف كامل للكتب المؤلفة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ودراستها دراسة نقدية تتناول المنهج والمحتوى •

٢ ــ إعداد دراسة تحدد عدد المفردات الجديدة التي ينبغي تقديمها حسب الدروس وحسب المراحل •

٣ ــ القيام بدراسة تحدد المفردات الاساسية ومدى شيوعها ودلالاتها المختلفة مع الاستفادة بما أعدته المراكز المختصة من رصيد لغوي •

٤ ــ القيام بدراسة تحدد التراكيب المستعملة وأنواعها ومدى شيوعها •

٥ ــ القيام بدراسات تقابلية بين اللغة العربية وبين لغات المتعلمــين تتناول مستوى الاصوات والمفردات والتراكيب •

٦ ــ اعداد كتب للأطفال العرب الموجودين في المهجر وللأطفال غير العــرب •

٧ ـ تأليف كتاب يتضمن نصوصا عن الحضارة الاسلامية والعادات العربيـــة والنشاطات الاقتصادية القائمة •

٨ ـ اعداد كتب مبسطة ومتدرجة لمطالعة تستمد مادتها من الحياة والحضارة العربية الاسلامية•

٩ ـ حث المؤسسات التعليمية العربية المختصة على التشجيع على اعداد كتب لتعليم العربية لغير الناطقين بها • والقيام بالبحوث اللازمة في هذا المجال •

١٠ ـ إعداد كتاب يساعد المعلم على حذق الاساليب التدريسية •

١١ ـ نشر أشغال هذه الندوة وما توصلت اليه من نتائج وتمكين المهتمين بتعليم العربية لغير الناطقين بها من ذلك حتى تشمل الفائدة أكبر عدد ممكن من الباحثين والمدرسين •

توصيـــة خاصـــة :

ـ مطالبة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالمزيد من العناية بتعليم ونشر اللغة العربية واعطائه ما يستحق مـــن الدعم المادي والادبي سواء بصورة مباشرة أو عن طريق المؤسسات التابعة لها وخاصة منها المعهد الدولي بالخرطوم •

مجلس تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

وقد أفاد مديرو المعاهد والمراكز والشعب والاقسام المختصة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من التقائهم في هذه الندوة فدعوا الى تنسيق جهودهم عن طريق إقامة مجلس وقدموا تصورهم لدواعيه وأهدافه وتشكيله وطلبوا واقترحوا أن يكون الاجتماع الاول له في تشرين الاول ١٩٨٠ في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقدموا اقتراحات بموضوعات هذا الاجتماع •

مسابقة مجمع اللغة العربية في القاهرة
في مجال إحياء التراث لعام ١٩٨٠ م

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة سنوية قيمتها ٥٠٠ (خمسمائة جنيه) تمنح لأجود ما يقدم اليه من التراث العربي الذي ينشر لأول مرة محققاً تحقيقا منهجيا في اللغة العربية بالشروط الآتية :

١ ــ أن يكون العمل المقدم في متن اللغة العربية أو في أحد علومها، أو في نص من نصوصها الادبية (شعراً أو نثراً).

٢ ــ تعد النصوص من التراث العربي اذا كانت مؤلفة باللغة العربية قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

٣ ــ أن يكون المقدم عملا كاملا (لايقل عن خمس وعشرين ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة) .

٤ ــ أن يكون العمل المحقق مما لم يسبق نشره أو تحقيقه.

٥ ــ ألاّ يكون من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٦ ــ ألاّ يكون قد مضى على نشره أكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر في ذلك تاريخ آخر جزء (إن كان ذا أجزاء) .

٧ ــ ألاّ يكون قد نال جائزة ما ــ من المجمع أو من غيره من الجهات والهيئات الاخرى .

٨ ــ يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر ، كما يجوز

أن يشارك المحقق ـ أو المحققين ـ مراجع أو أكثر،وفي حالة تعدّد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوي •

٩ ـ يستوي في التقدم الى هذه الجائزة المصريون وغيرهم من المشتغلين بتحقيق التراث العربي في البلاد العربية والاسلامية وكذلك المستشرقون من غير العرب والمسلمين •

١٠ ـ يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الاستاذ الدكتور الامين العام للمجمع وليس له الحق في استردادها•

آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣٠ من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨٠ م •

مجمع اللغة العربية

الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث

المراقبة العامة لاحياء التراث

٢٦ ش الدكتور طه حسين بالجيزة

القاهرة

المسابقة الجديدة لمكتب تنسيق التعريب « الرباط »
في مجال اللغة العربية وآدابها

جاءنا من مكتب تنسيق التعريب ما يلي :

دأب مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي على تنظيم مسابقات علمية وثقافية في موضوعات تتعلق باختصاصه ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية تتفضل بتمويل إجراء هذه المسابقة .

ونظراً للاقبال الكبير والنجاح الباهر الذي وجدته هذه المسابقات لدى كافة المثقفين والباحثين في العالمين العربي والاسلامي ، فقد قرر المكتب الاستمرار في تنظيم مثل هذه المسابقات العلمية الهادفة ، خدمة للثقافة العربية والدين الاسلامي الحنيف .

وهكذا فإن المكتب عازم على تنظيم مسابقة أخرى ، تفضلت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بالجماهيرية العربية الليبية بتمويلها بمبلغ ٤٠٠٠ دولار أمريكي أي ما يعادل تقريبا ١٨٠٠٠ درهم مغربي وذلك لتغطية الجوائز الاربع التي ستمنح للابحاث الفائزة ، وستكون وفقا لرغبة اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية التي اتفق المكتب معها على تخصيص هذه المسابقة لموضوع يتطرق لمجال اللغة العربية والقرآن الكريم ، وذلك بتناول أحد الموضوعات التالية :

١ ــ مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق نشره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة (تحقيق ودراسة) .

٢ ــ دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن الموسيقى في القرآن الكريم ــ مصادرها وإعجازها .

٣ ـ دراسة لغوية (لم يسبق نشرها) عن علاقة القراءات القرآنية برسم الخط العربي •

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة ما يلي :

أ ـ أن لاتقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة (١٥٠) صفحة من الحجم المتوسط •

ب ـ يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بين المشتركين بالتساوي •

جـ ـ يرسل البحث (في نسختين) الى مقر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ١٠ ـ زنقة أنجولا ـ ص•ب ـ ٢٩ ـ الرباط ـ المملكة المغربيـــة •

د ـ تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية •

هـ ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من فاتح ماي ١٩٨٠ الى نهاية أبريل ١٩٨١ •

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الاول من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ التراث السرياني المنقول في العصور الحديثة الى اللغة العربية	كوركيس عوّاد	بغداد ١٩٧٨
ـ ديارات بغداد القديمة	كوركيس عوّاد	بغداد ١٩٧٧
ـ رائد الدراسة عن المتنبي	كوركيس عوّاد وميخائيل عوّاد	بغداد ١٩٧٩
ـ سيبويه إمام النحاة	كوركيس عوّاد	بغداد ١٩٧٨
ـ ألوان وألحان (شعر)	زكي قنصل	بونس آيرس ١٩٧٨
ـ الأتلنتيد (مسرحية شعرية)	عدنان مردم بك	بيروت ١٩٨٠
ـ رحلتان الى لبنان	عبد الغني النابلسي ورمضان موسى العطيفي	بيروت ١٩٧٩
ـ رسائل الخليل	خليل مردم بك	بيروت ١٩٧٩
ـ شهادات ماسونية	حسين عمر حمادة	بيروت ١٩٨٠
ـ المراسم في الفقه الإمامي	حمزة الديلمي	بيروت ١٩٨٠
ـ النسل والعناية به (الجزء الأول)	عمر رضا كحالة	بيروت ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ محاضرات ومناقشات الملتقى التاسع للفكر الاسلامي (١ـ٤)	وزارة الشؤون الدينية في الجزائر	تلمسان ١٩٧٥
ـ الحدائق الغنّاء في أخبار النساء	المالقي	تونس ١٩٧٨
ـ المعرّب الصوتي عند العلماء المغاربة	ابراهيم بن مراد	تونس ١٩٧٨
ـ أبحاث المؤتمر السنوي الثاني	الجمعية السورية لتاريخ العلوم	حلب ١٩٧٩
ـ أحاديث عن الادب المغربي	عبد الله كنّون	الدار البيضاء ١٩٧٨
ـ ثقافة الصحراء	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٨
ـ النضال في الشعر العربي بالمغرب	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٨
ـ الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه (الجزء الاول)	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٩
ـ أسبوع العلم السابع عشر (١ ـ ٥)	المجلس الاعلى للعلوم	دمشق ١٩٧٨
ـ المؤتمر العام الثاني عشر لاتحاد الكتاب العرب ومهرجان الشعر الرابع عشر	اتحاد الكتاب العرب	دمشق ١٩٧٩
ـ ابن عساكر (محاضرات المهرجان)	المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية	دمشق ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مبادىء الطب الباطني (المجلد الاول)	هاريسون	دمشق ١٩٧٨
ـ معالجة الامراض الباطنة	ن. كوستريني ـ و. تومسون	دمشق ١٩٧٩
ـ ميكي ومجوهرات الملكة	والت ديزني ترجمة حياة سليمان	دمشق ١٩٧٩
ـ البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر	د. محمد السيد غلاب د. حسن صالح د. محمود شاكر	الرياض ١٩٧٩
ـ التجديدات التربوية	د. عزت جرادات	عمان ١٩٧٩
ـ التربية في الاردن	د. عزت جرادات	عمان ١٩٧٩
ـ الوافي بالوفيات (الجزء الثاني عشر)	صلاح الدين الصفدي	عمان ١٩٧٩
ـ الاربعين الطبية	الحافظ محمد بن يوسف البرزالي	فضالة ١٩٧٩
ـ معجم مصطلحات الملحون الفنيـة	د. عباس الجراري	فضالة ١٩٧٨
ـ اجتماع خبراء ومسؤولين عن تقنيات التعليم لدراسة استخدام التلفزيون في التعليم	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ التقرير النهائي عن تجربة تيسير الكتابة العربية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ برنامج التعليم البيئي (الطاقة)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ برنامج التعليم البيئي (المصادر الطبيعية)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ برنامج التعليم البيئي (وطني)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ بريطانيا والخليج (١ـ٢)	جون كيلي	القاهرة ١٩٧٩
ـ البوسعيديون حكام زنجبار (العدد الثالث)	عبد الله الفارسي	القاهرة ١٩٧٩
ـ حلقة التكامل بين أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٩
ـ دليل استخدام المرجع البيئي في مراحل التعليم	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ دور التعليم الزراعي في التنمية الريفية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٩
ـ قضية التخطيط الاعلامي في الوطن العربي	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٨٠
ـ المصنف (١ ـ ٢)	أحمد بن عبدالله الكندي	القاهرة ١٩٧٩
ـ نشرة الايداع (١ ـ ٢)	دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة	القاهرة ١٩٧٧
ـ نشرة الايداع (١ ـ ٢)		القاهرة ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ تاج العروس (الجزء ١٨)	المرتضى الزبيدي	الكويت ١٩٧٩
ـ حياة لثريو دي تورمس	ترجمه عن الاسبانية: عبد الرحمن بدوي	مدريد ١٩٧٩
ـ ابن زيدون	د. محمود صبح	مدريد ١٩٧٩
ـ مختارات من الشعر الاسباني (العدد الرابع)	د. محمود صبح ترجمة وتعليق	مدريد ١٩٧٩
ـ المقتبس (الجزء الخامس)	ابن حيان	مدريد ١٩٧٩
ـ لينين وحل المسألة القومية في الاتحاد السوفييتي	غيليلوف	موسكو ١٩٧٨
ـ الوسيلة الى نيل الفضيلة	الطوسي	النجف ١٩٧٩

تصويبات

وقعت سهوا بعض أخطاء في مقال ذيل ديوان الطرماح للاستاذ محمد يحيى زين الدين المنشور في الجزء الاول من المجلد الخامس والخمسين ، ننبه إليها فيما يلي :

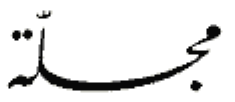
ص	س	الصواب
١٨٩	١٧	فعزماً فقدماً ...
١٩٠	١٨	نطافاً ...
١٩١	٢٠	مُوقَّفَةٍ ...
١٩٣	٩ ومابعده	سقط مصدر البيت (لحرات المجب) وهو معجم البلدان ...

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والخمسين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



شعبان ١٤٠٠ هـ
تموز (يوليو) ١٩٨٠ م

في ساحة الدار المكشوفة جالسين حول البركة ، إني لا أنسى وجه شوقي ومحمـــد عبد الوهاب يغني ، لا أنسى ورد هذا الخد من شدة الطرب ، وقد عمل شوقي قصيدته المشهورة في دمشق : قم ناج جلق ••• وألقاها عنه في المجمع العلمي المرحوم نجيب الريس صاحب جريدة القبس •

قدم شوقي دمشق والروح الوطنية في أهل دمشق وفي بلاد سورية كلها تلتهب التهاب النار ، لقد تغنى شوقي ببني أمية ومدحهم المدح اللائق بهم حتى سميت قصيدته في حينها : الأموية ، فقد كان لها الاثر البالغ في النفوس وعلى الرغم من هذا كله لم يتخل شوقي في قصيدته عن روحه الغالبة عليه ، فإذا هو يقول في بعضها :

والحور في دمر أو حول هامتها　　حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة　　الساق كاسية والنحــر عريان

لم ينس شوقي في قصـــيدته منظر الحور ومنظر الســيقان ومنظر الولدان كما أنــه لم ينس جلابيب الراقصات وكســوة السيقان وعري النحور • هذا ما رآه شوقي في متنزهات دمشق الشهيرة : الربوة ودمر والهامة لا يخرج إليها أهل دمشق إلا لينسوا فيها متاعب الحياة وليتنعموا فيها براحةالبال وطمأنينة النفس،لايذكرون فيها الحور والسيقان والراقصات والنحور ولاتخطر على بال واحد منهم،هذه المشاهد في متنزهاتدمشق خلقت لتدخل على قلوبهم لذة الهدوء والراحة • أما شوقي فما خطر بباله شيء من مثل هذه اللذة في هذه المتنزهات ، خطر بباله ما ألفه في مقتبل عمره من مسرات الحياة وأظن أن قليلا منا من يعرف ألفته بهذه المسراتولاسيما وهو في باريس يدرس فيها ، ولا حاجة بنا الى ذكر شيء من هذه المسرات مما رواه في بعض أحاديثه المرحوم الامير شكيب أرسلان لما قدم باريس

وزار شوقي في فندقه . ولم يتخل شوقي عن هذه الروح في قصيدته في زحلة في أبياته المشهورة التي يغنيها محمد عبد الوهاب : يا جارة الوادي . وما أظن أن أحداً يجهلها ويجهل ماتضمنته هذه الابيات من الشيء الذي أشرت إليه ، أي من مسرات الحياة .

ولنرجع الى الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وأعني به المتنبي، إنّا نعلم أين نشأ أبو الطيب ، إنه ابن البيد والقفار فمن أفق البادية درج خياله وفي البادية نشأ هذا الجبار فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، فقد ألِف إبل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وجيادها وسيوفها وقناها على نحو ما فصّلت هذا كله في كتابي « المتنبي » ولست في حاجة الى هذا التفصيل في هذا المقطع من هذا المقال فحسبي أن أقول انه ابن البادية ، لم يَخْفَ عليه أمر من أمورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج إليها ابن البادية في وصف الإبل والخيل والسلاح وضروب ذلك .

ولقد قوّت فيه هذه النزعة مصاحبته لسيف الدولة في بعض الحروب ، فكأن الدنيا كلها في نظره حروب تلمع فيها السيوف والرماح وتتلاحم فيها الجيوش والفرسان ، وتكثر فيها الهزائم ، الى غير ذلك مما يستفيض في الحروب حتى إن صور هذه الحروب قد تعود الى ذهنه في بعض غزله وفي بعض مراثيه . ولم تفارقه هذه الصور في مجامع أطواره سواء أكان في مصر أم عاد الى العراق أم خرج الى بلاد فارس . وقد يرقّ غزله بعض الشيء ثم يعود الى شنشنته ، الى لغة الحروب وأدواتها فهو كما قال فيه الشريف الرضي : قائد عسكر . وقد يلخص لنا هذا الوصف الوجيز سرّ كل ما نشاهده في بعض شعره من صور الحروب ، فحياته كلها مظلمة الجوانب مثل ظلام الحروب ليس فيها شيء من بشاشة الدنيا

وابتسام الايام ، وقد ظهر عبوس هذه الدنيا وجهامة هذه الايام في بعض نظراته الفلسفية ، وهذا موضوع اذا أردت التبسط فيه امتد بي نفس الكلام ولكني ألخصه في الاستشهاد ببعض أبيات من شعره تدلنا الدلالة الواضحة على روحـه الغارقة في رؤية الدماء والحروب وأدوات هـذه الحروب الكريهة .

قدم طبرية فمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي وتعرض لوصـف البحيرة في مديحه فقال :

والموج مثل الفحول مزبدة تهـدر فيها وما بها قَطَم

أفلا نجد الغرابة في هذا الوصف ؟

كثير منا زاروا طبـرية على ما أظن وكثـير منا تمتعوا في هدوئها وسكينتها وشعروا فيها براحة النفس وهدوء البال ، وما أظن أن واحداً منهم خطر بباله وهو على ضفاف البحيرة هدير الفحول أو مرّت بذهنه صور الفرسان والحروب وما يجري فيها من هازم ومهزوم ، فإذا ذهبنا الى طبرية في بعض الفصول من فصول السنة فإنما نذهب إليها لنتحلل من تعب الجسم والروح ولننعم براحة هذا الجسم وهذه الروح ، وكنت أتنزه على ضفاف البحيرة ماشياً ساعتين فلا يخطر ببالي شيء من متاعب الحياة، هذا ما كانت توحيه إليّ والى كثير من الناس بحيرة طبرية ، أما أبو الطيّب المتنبي فلم يستطع أن يتخلى وهو على شاطىء البحيرة من روحه المتعلقة بروح الحروب .

ولقد زار طبرية في عصرنا الحديث كتّاب من كتّاب فرنسة الكبار وهم : « أناتول فرانس » و « لوتي » و « بارس » .

زارها لوتي على ما أذكر ولكنه لم ير فيها ما رآه المتنبي ، لم ير فيها صورة الدماء ولم يسمع فيها هدير الفحول ولا وقعت عينه على الفرسان ولا مرّ بجيش فيه هازم ومهزوم . ولكن ماذا رأى فيها ؟ إنه تذكر السيد المسيح وهو مع تلاميذه يلقي عليهم روح المحبة والسلام . فإذا غلبت على أبي الطيب المتنبي روح الحروب في بحيرة طبرية فقد غلبت على « لوتي » روح السلم في كتابه وليس من الضروري أن يكون شاعراً فإن الروح تغلب على الشاعر والكاتب .

فاذا قلت ان لكل شاعر روحاً خاصة به تغلب عليه في كل مشهد من المشاهد ولا يستطيع التخلص منها في أي موضوع من موضوعاته فإني لا أبالغ في قولي على ما أعتقد .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

— ٤٥ —

الدكتور حسني سبح

13055 Synchysis, synchisis — تَمَيُّع الجِسم الزُّجاجِي ١٣٠٥٥
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سُيُولة الجِسْم الزُّجاجي

13056 Synclitisme — تَوازِي السُّطُوح ١٣٠٥٦
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : التَّزَامُل، وجاء في التعريف : إنْطِباق مِحْوَر الجزء الناتىء من الحَمِيل على مِحْوَر الحَوْض

13057 Syncope — غَشْي ١٣٠٥٧
وأقر مجمع اللغــة العربية في القاهرة : غَشَيان ــ غَشْية وجاء في التعريف : فقدان الوَعْي تماماً لمدة أطول من الإغْماء

13058 Syncytium — طَبَقَةُ الهَيولى المُحَبَّبَة ١٣٠٥٨
وأقر مجمع اللغه العربية في القاهرة : مَخْلاة (بفتح

الميمم) وجاء في التعريف : سيتوبلازم متعدد النوى •
ولم يظهر إلي مدلول المَخْلاة التي أقرها مجمع اللغة
العربية • وتدل اللفظة على جِبْلة مُتَعَدِّدة النوى
ناجمة عن التِحام عدة خلايا[١] وأرجح تسميتها
مُجَمَّع أو جَمَّاع جِبْلات متعدد النوى

13059 Syndesmose ارتِباطُ العِظَام ١٣٠٥٩

وأرجح إرْتِباطٌ عَظْمِي لِيفِي أو تَمَفْصُل لِيفي

13059 (1) Syndrome d'anurie traumatique
(chez les accidentés de l'écrasement)

١٣٠٥٩ تَنَاذُر زُرام رَضّي (في المَدْعُوسين)

(١) وأقر مجمع اللغة العربية ترجمة (syndrome)
بمتلازمة وهي جملة أعراض متلازمة • لذا أرجح :
متلازمة زَرَم[٢] البول أو انْقِطاعه الرَضّي في
المَدْعُوسين وأذِيَّة الدَعْس ، مُتَلازِمَة
الدَعْس وكُلاءُ الوَحْدة الكُلْوية السفليَّة ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

13059 (2) syndrome d'habitude تَنَاذُر العَادة ١٣٠٥٩

(٢) وأفضل مُتَلازِمَة الاِعْتِياد

13061 syndrome de Lhermitte, lésion de la région dorsale des pédoncules cérébraux
(troubles moteurs et hallucinations conscientes)

---

(١) لفظة (Syncytium) في معجم درلند الطبي.

(٢) الصفحة ٧٤٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) crush injurny, crush syndrome, lower nephron nephrosis.

١٣٠٦١ تنـاذر لرميت ، آفة النّاحيَـة الظّهـرية للسُّوَيْقات الدّماغيّة (اضْطِرابات حرَكيّة وأهلاس مُدْرَكَة)
وأفضل مُتَلازِمَة لَرْميت،آفة النّاحيةالظّهريّة لِلسُّوَيْقتَين الدّماغيّتَين (اضْطِرابات حَرَكيّة وأهلاس مُدْرَكَة) ومُتَلازِمَة ماك ألْبين ، وداء الجُمْلَة الهرَميّة وخارج الهرَميّة المُشْتَرَك ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١) .

13062 syndrome (maladie) de Ménière
vertige labyrinthique, vertige auriculaire,
surdité apoplectiforme, oticodinie.

١٣٠٦٢ تَناذُر (داء) مَنْيير ، دُوار تيهي دوار أذني، صَمَم سَكْتي الشكل .
وأفضل متلازمـة (داء) مَنْيير ، الدُّوَار التيهي ، دُوَار مَنْيير،الصَمَم السَّكْتِي الشّكلوالخَطْف الأُذُني ترجمة لـ (oticondinie) وقد أهملته اللجنة

13066 Synostose, soudure des os de crâne

١٣٠٦٦ التصاق عظام الجمجمة

---

(١) (Lhemitte's and McAlpine's syndrome,)
(combined pyramidal and extra - pyramidal system disease)

(٢) في لسان العرب : الخَطْف الاستِلاب وقيل الخَطف الاخذ في سرعة وإستلاب .
أقول وهي الترجمة الحرفية للفظة المذكورة .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: قُسُوط عَظْمي
وجاء في التعريف : وفيه يَتَّحد عظمان مُتَجاوِران
بِمادّة عَظْمِيّة . وأفضل قَسَط[1] عِظَام
الجُمْجُمَة والتِحام عِظامِ الجُمجُمَة

13067 Synovial, le مُتَعَلِّق بِرُطُوبَة المَفْصِل ١٣٠٦٧

13068 Synovie رُطُوبَة المَفْصِل ، غِشاء مَصْلي ١٣٠٦٨

139069 Synovite إلْتِهابُ الغِشَاء المَصْلي ١٣٠٦٩

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الطب الباطني ترجمة (synovia) بالسائل المُزلق ـ سينوفيا ، وجاء في التعريف : وهو سائل لزج في تجاويف المفاصل يسهل حركتها ، وفي مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها : الغشاء الزلالي (للمفاصل). وأرجح الزليل أو الغشاء الزّليلي في اللفظة الاولى والتِهاب الزّلِيلي في الثانية

13070 Synovite crépitante, aï douloureux, ténosite ou ténalgie crépitante, ténosynovite aiguëe sèche

١٣٠٧٠ إلْتِهابُ الغِشَاء المَصْلي المُفَرقِع الآه المؤلم : إلْتِهابُ الغَمْد أو ألَم الغَمْد المُفَرْقِع ، التهاب الغَمْد والغِشاء المَصْلي الحادّ الجَافّ

---

(١) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح إلتهاب الزليلي المُفرقع ، إلتهاب غمد الوتر المُفرقع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

13071 synovite fongueuse

١٣٠٧١ إلتهاب الغشاء المصلي الكمئي
وأفضل التهاب الزليل الكمئي

13072 Syphilide

١٣٠٧٢ أفرنجيّة

13073 syphilide bulleuse

١٣٠٧٣ أفرنجيّة فقاعيّة

13074 syphilide érythémateuse, roséole syphilitique

١٣٠٧٤ أفرنجيّة حمامويّة ، وردية أفرنجيّة •
وأرجح طفح أفرنجي في اللفظة الأولى،وطفح" أفرنجي فقاعي في الثانيـة وطفح أفرنجـي حمامَوي وطفح وردي أفرنجي في الثالثة •

13075 syphilide opaline

١٣٠٧٥ أفرنجيّة لبنيّة اللّون

13076 syphilide papuleuse, plaque muqueuse papuleuse syphilitique

١٣٠٧٥ أفرنجيّة حطاطيّة ، لوحة مخاطيّة حطاطيّة أفرنجيّة
وأرجح طفح أفرنجي على هيئـة الحليب في اللفظة الأولى وطفح أفرنجي حطاطي في الثانية

13077 syphilide pigmentaire

١٣٠٧٧ أفرنجيّة صباغيّة

---

(١) (tendosynovitis crepitans, tendovaginitis crepitans)

١٣٠٧٨ أفرَنْجيَّة سِلِّيَّة 13078 syphilide tuberculeuse

١٣٠٧٩ أفرَنْجيَّة قَرْحِيَّة 13079 syphilide ulcéreuse

وأفضل طَفَح أفرَنْجِي في اللفظة الأولى وطَفَح أفرَنْجِي دَرَنِي في الثانيـة وطَفَح أفرَنْجِي قَرْحِي في الثالثة

13081 syphilis, vérole, mal napolitain

١٣٠٨١ دَاءٌ أفرنجِي ، دَاء نابُولي

وأقر مجمع اللغة العربية في مصطلحات علم الامراض ومتفرقاتها البَجَـل (الزُهري) (داء الزهري كما يسمى في البادية) ، وفي مصطلحات علم الطب الباطني وفي الهامش (السفليس) وجاء في الشرح : مَرَض تناسلي يحدث فيـه كثير من التغيرات النسيجيـة والاصـابات الجلـدية . والذي أراه أن ترجمـة (syphilis) بالأفرنجي أو بالدّاء الأفرنجي صحيحة واصطلح عليها في القديم : فقد جاء في تَذْكِرة داوُد الأنطاكي[١] ذكر الحَب الأفْرنجي مع وصفه الجَمْرة قائلا : والحَب الأفرنجي المعروف في مصر بالمبارك[٢] وأعاد ذكـره عند وصفه (نـار فارسي) قائلاً : (ويقـارب الحب الأفرنجي ، ويعـرف في مصـر بالمبـارك تفاؤلاً وعنـد بعض العرب والحجـاز

(١) تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب تاليف داود بن عمر الانطاكي . الجزء الثاني : مادتا الجمرة ونار فارسي .

(٢) أذكر أن اسم حب المبارك كان شائعا في سورية أيضا قبل الحرب العالمية الاولى .

بالشَّجَر ، وهو مرض عُرف ، من أهل إفرنجة أولاً وتناقل عن قريب بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة وتزايد حتى كثر . فلنبسط الكلام عليه لعموم البلوى به تبرعاً لله عز وجل ، فنقول : هو مرض يعدي بمجرد العشرة وأسرع ما يفعل ذلك بالجماع الخ) ومما ذكره في علاج الحَب الافرنجي : (ومما ينفع عنه طبيخ العذبة مع السنا،وأما مايستعمل من مزائر البقر فخطر وكذا أكل الزئبق المعمول بدقيق الحنطة الخ) .

وعليه فإن لفظة الزهري والمرض الزهري والامراض الزهرية منسوبة الى الزُّهَرة (إلهة الحب في أساطير الغرب) وهي مخصصة لـ (maladies vénériennes) وتشمل الداء الأفرنجي وداء السَّيَلان والقرحة اللينة، وأما البجل فهو شبيه بالافرنجي وعامله المرض قريب من عامل الداء الافرنجي .

13083 syphilis quaternaire accidents parasyphilitiques, parasyphilis

١٣٠٨٣ أفْرَنْجِي رَابِعِي ، عَوارِض ماوراء الأفرنجي

وأفضل أَفْرَنْجِي رابعي أو رُباعِي ، عَوارض الأفْرَنجي البعيدة ، الأفرنجي البعيد

13086 syphilitique

١٣٠٨٦ مُصاب بالأفْرَنجي ، مَزهُور

وأفضل مُصاب بالأَفْرنجي ولا أرى لفظة مزهور تعني ذلك[1]

(١) في لسان العرب : زَهَر السراجُ يَزْهر زُهورا وازدهَر تلألأ وكذلك الوجه والقمر والنَّجم ، الى أن قال المَزهور من أَزْهره الله كما يقال مجنون من اجنَّه .

13089 Syphilophobie
١٣٠٨٩ خَوْف مِنَ الأفْرَنجي
وأرجح رُهَاب الأَفْرَنْجي

13090 Syringomyélie, gliomatose médullaire
١٣٠٩٠ تَكَهُّف النُّخاع ، دَاءُ النُّخاع الدِبْقي
وأرجح الدُّباق النُّخاعي في اللفظة الثانية

13091 Systématique, systématisé
١٣٠٩١ مِنهاجي ، رَتيب ، مُنظَّم
وأفضل مَنْهَجي ، مُنَسَّق ، مُرَتَّب

13092 Système circulatoire
١٣٠٩٢ جُمْلَة دَوَرانيَّة
والجِهاز الدَّوراني أو جِهاز الدَّوران والجُمْلَة الوعائيَّة الدَّموية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

13093 système dispersé, de dispersion colloïdale
١٣٠٩٣ جُمْلَة مُبَعْثَرَة ، جُمْلَة تَبَعْثُر شَبْغَري
جُمْلَة مُبَعْثَرة أو مشتتة ، نِظامُ تَبعْثُر الغَرَوانيَّات

13094 systéme grand sympathique
١٣٠٩٤ جُمْلَة الوِدّي الكَبير
والجُمْلَة العَصَبِيَّة الوِدّيَّة ، الجُمْلَة الصَدْرِيَّةُ القَطَنيَّة كما جاء في الترجمةالانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

(١) (blood - vascular system)
(٢) sympathetic nervous system, thoracolumbar system

13097 systéme pileux

١٣٠٩٧ جُمْلَة" شَعْرِيَّة
وأفضل مَجْموع الأشْعار أو الجِلْد المُشعَّر تاركاً
شَعْرِيَّة ترجمة لـ (capilaire) شأن ما فعلته اللجنة
(اللفظة ٢١٠٨) وكما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الاصلي(١)

13098 système ou apparil porte

١٣٠٩٨ جُمْلَة أو جِهاز الباب
وأفضل الجُمْلة البَابِيَّة أو الجِهاز البَابي

T

13103 Tabacosis (pneumoconiose par la poudre de tabac).

١٣١٠٣ إلْتِهابُ الرِّئَة التَّبْغِي (الناشيء من إسْتِنْشاق
مسحوق التَّبْغ)
والصحيح تَباغ الرِّئة (تَغَبُّر الرِّئة(٢) الناجم عن
استنشاق غُبار التبغ)

13104 Tabagisme, nicotinisme

١٣١٠٤ تَبَغِيَّة (إنْسِمام بِالتَّبْغ) إنسمام بالتبْغين
وأفضل الانْسِمام بالتَبْغ ، الا نْسِمام بالنيكوتين ،
التَبْغِيَّة ، النِّيكوتينِيَّة

13120 tache miroitante d'antimoine

١٣١٢٠ بُقْعَة الإثْمِد المُتَرَأرِئة اللاَّمِعَة

---

(٢) (hairness, hair covering)

(٣) الصفحة ٢٢٨ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (antimony)
بأنتيمون • وأفضِّل بُقْعَةَ الأنتيمون اللاّمعة
والمرآة الأنْتيمونيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي[1] وسبق للجنة أن ترجمت
(nystagmus) برأرأة (اللفظة ٩٢٧٥)

13121 tache miroitante d'arsenic

١٣١٢١ بُقْعَةُ الزَّرْنيخ المُتَرَأرِأة اللاّمِعة
وأفضل المِرآة الأَرسِنيقيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2]

13126 Tachycardie

١٣١٢٦ خَفْقَة (إسْراع القَلْب)
وأفضل تَسَرُّع القَلب تاركاً خَفْقَة وخَفَقان ترجمة لِ (palpitation)

13127 tachycardie orthostatique

١٣١٢٧ خَفْقَة إنْتِصابِيَّة (إسْراع القَلْب الانتِصابي)

13128 tachycardie paroxystique

١٣١٢٨ خَفْقَة إشْتِداديَّة (إسْراع القلب الاشْتِدادي)
وأفضِّل تَسَرُّع القَلْب الانْتِصابِي في الأولى وتَسَرُّع القَلْب الاشتِدادي في الثانية

13129 Tachypnée

١٣١٢٩ إسْراع التَّنَفُّس
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة

(١) (antimony miror)
(٢) (arsenic miror)

بالبُهْر[١] وأرجح تَسَرُّع النَّفَس

١٣١٣٥ أَلَمُ العُرْقُوب 13135 Talalgie, pternalgie

والصحيح أَلَم الكَاحِل ، أَلَم العَقِب

١٣١٣٧ عُرْقُوب 13137 Talon

والصحيح العَقِب[٢]

١٣١٤٠ طَبْل مُقَطِّع 13140 tambour manipulateur

وأفضل طَبْل مُتَلَقٍّ،كما جاء في الترجمةالانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

13145 tampon

١٣١٤٥ سِدادَة ، صِمَام

وأرجح سِطام ، مسد ، حَشْوَة ، نَشْفَة[٤] .

وسبق للجنة أن ترجمت (bouchon) بسدادة (اللفظة ١٧٦٢) و (embolie) بسدة وصِمامة (اللفظة ٤٧٨٢)

١٣١٤٧ قَطِيلَةٌ غَزِّي 13147 tampon de gaze

وقطِيلة شاش[٥]

١٣١٤٨ دَكٌّ 13148 Tamponnement

(١) في لسان العرب : البُهْر إنقطاع النَفَس من الاعياء ، والبَهر تتابع النَفَس من الاعياء .

(٢) في لسان العرب : العُرقوب ، العَصَب الغليظ المُتوتّر فوق عَقِب الانسان .

(٣) (receiving tambour)

(٤) في لسان العرب : النَشْفة الصوفة التي يُنَشَّف بها الماء .

(٥) الصفحة ٨٤٦ من المجلد الاربعين من هذه المجلة .

وأرجّح سَطْم ، ضَغْط ، كَبْس [١]

١٣١٤٩ دَكٌّ ، وَقْي — 13149 Tamponner

وأفضل سَطَم ، كَبَس ، نَشَف ، ضَغَط

١٣١٥٣ نُعَرَةٌ ، قَمْعَةٌ — 13153 Taon

وأرجح الاقتصار على نُعَرَة باعتبار جنس هذا الذباب هو الناقل لبعض الطفيليات [٢]

١٣١٥٧ مَفِيض ، مَوْزون فارغاً ، مُسْتَغْيَر — 13157 taré, ée

١٣١٥٨ غَيْض ، نَقِضه وَزْن الإناء فارغاً — 13158 tare

وأفضل ذو عاهَة ، فاسد في اللفظة الاولى ، وعاهَة وخلَل في اللفظة الثانية،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٣]

١٣١٥٩ غَيْضٌ وِراثِي — 13159 tare héréditaire

وأفضل عاهَة مَوْرُوثَة

١٣١٦٥ طَرْطَرات ، دُرْدِيّات — 13165 Tartrate

وأفضل طَرْطُرات

١٣١٧٠ قَلَح ، طَرَامة — 13170 tratre dentaire

وأفضل ، قَلَح ،حُصَيّات سِنّيّة ، كما جاء في

---

(١) لفظة (tamponade) في معجم درلند الطبي .

(٢) في لسان العرب : الدكّ هَدْمُ الجبل والحائط ونحوهما .

(٣) (Tabanus) في معجم درلند الطبي

(٤) (taint, defect, infirmity)

الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١]

13173 Taux, niveau, rapport

١٣١٧٣ سَوِيَّة ، مُسْتَوى ، نِسْبَة
وأفضل سِعْر ، ثَمَن ، مُسْتَوى ، نِسْبَة

13174 taux (d'un corps dans un liquide, titre)

١٣١٧٤ عِيار ، قِيمَة ، مَبْلَغ
(جِسْم في سَائِل)
وأفضل مِقْدار ، نِسْبَة ، عِيار

13175 taux d'agglutination

١٣١٧٥ عِيارُ التَّراصّ
وأفضل نِسْبَة التَّراصّ

13177 taux de prothrombine

١٣١٧٧ مبلغ طليعة الترومبين
وأفضل نِسْبَة البرُوترُمبين

13178 taux supra-limitaire

١٣١٧٨ عِيار فَوق الحَدّ
نِسْبَة فوق الحَد ، مُستَوى فَوْق العَتَبَة ،
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٢]

13179 Taxis, tropisme

١٣١٧٩ إتِّجاه ، إنْحِياز
وأرجح إنْتِظام[٣] ، تَوَجُّه إنْحِياز ، تاركاً
إتِّجاه[٤] ترجمة لِ (destination)

---

(١) (dental tarter, dental calculus)

(٢) (supralimital rate, suprathreshold level)

(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٢٦٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

13180 Technique

١٣١٨٠ إصْطِلاح طَرِيقة العَمل ، خِطّة عَمَلِيّة
وأقرّ مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة
بالصّنْعَة[١] والشائع تعريبها بتِقْنِيّة

13183 technique de Burri à l'encre de Chine

١٣١٨٣ طَرِيقة عَمَل بُرّي بالحِبْر الصّيني
(جراثيم)
وأفضل تَقْنِيّة أو صِنْعَة بُرّي بالحِبْر الصّيني
(جُرثُوميات) وطَريقة الحِبْر الهِنْدِي والتّلْوين
السالب كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي[٢]

13184 tégument (en direction du) ١٣١٨٤ الغِطَاء (باتّجاه)
وأفضَل نَحْوَ الجِلْد خارِجِيّاً كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣] .

13188 teigne microspirique, tandante,
teigne à petites spores de
Gruby - Sabouraud, microsporie

١٣١٨٨ سَعْفَة جازّة دَقِيقَة البُزُور
سَعْفَة غروبي ــ سابورو
بِبْزَيْرات دَقِيقَة ، داءُ الدّقِيقَة البُزور

---

(١) وجاء تعريفها في لمعجم الوسيط : الطريقة الخاصة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني.

(٢) (Indian ink method, negative staining)

(٣) (dermead, towords the skin)

وأفضل سَعْفَة جَازَّة دَقِيقَة الأبْواغ[١] سَعْفَة غُروبي سَابُورو بأبواغٍ دَقيقَة ، دَاءُ الأبْواغ الدَّقِيقَة .

١٣١٩٠ لَوْن (الوَجْه) 13190 Teint (du visage)

والصحيح مَلامِح[٢] (الوَجْـه) تاركاً لَوْن تَرجمة لِـ (couleur)

١٣١٩٤ دِماغٌ اِنْتِهائي 13194 Télencéphale, cerveau terminal

وأفضل الدِّمَاغ النِّهائي

١٣١٩٥ تَصْوير اِشْعاعي عَنْ بُعْد 13195 Téléradiographie

وأفضل التَّصوير الشُّعاعي البَعِيد[٣]

١٣١٩٦ أَرْضي 13196 Tellurique

أرَضي تَلُّوري أو تَلُّوريومي نِسبَة الى عُنْصُر تَلُّوريوم أيضاً[٤] .

13198 Tempérament, constitution morale

١٣١٩٨ مِزاج ، جِبْلَة

---

(١) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

واقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (microspore) بالبوغ الصغير وجاء في التعريف : وحدة تناسلية لا جنسية وهي عادة في التريدات التّبالية الابـواغ كما انه أقـر ترجمة (microsporangium) بحافظة الابواغ الدَّقيقة أيضاً .

(٢) في لسان العرب : وملامح الانسان ما بدا من محاسن وجهه ومساويه .

(٣) الصفحة ٧٢٩ من المجلد الثاني والخمسين من هذه المجلة .

(٤) لفظة (telluric) في معجم درلند الطبي .

وأفضل مِزاج ، شِيمَة[١] وسبق لجِبْلة أن قُبِلَت ترجمته لِ (protoplasme) [٢]

١٣٢٠٧ حَرارَة المُحيط 13207 température ambiante

وأفضل حَرارة المَكان أو الحَرارَة الخَارجيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣] ولأن المُحيط قد يعني غير ذلك .

١٣٢١١ حَرارَة دُونَ النِّظامية 13211 température subnormale

وأفضل حَرارة دون الطَّبيعية أو دُونَ السَّوِيَّة ، تاركاً نِظامي ونِظاميَّة ترجمة لِ (régulier) و (régulière)

١٣٢١٧ زَمَنُ الجَلْسة 13217 temps de pose

والصحيح مُدَّةُ التَّعْرِيض (للنور) وكما جاء في جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤]

١٣٢١٨ زَمَنُ طَلِيعة التِّرومبين 13218 temps de prothrompine

وأفضل زَمَن البُروتِرومبين [٥]

(للبحث صلة)

---

(١) في لسان العرب : الشِّيمَة الخُلُق ، والشِّيمة الطَّبيعة وتَشَيَّم اباه اشبهه في شِيمته .

(٢) الصفحة ٤٧١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (external temperature)

(٤) (exposure time)

(٥) انظر الصفحة ٤٤٨ .

حروف الجرّ

الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

ليس شيء أولى بالتدبر ، وأحق بطول الدربة والدراية ، من استعمال حروف الجر . إذ لا يكفيك للتثبت في صحة اختيار الحرف ، لتصريف الفعل في معنى من معانيه ، أن تعود الى المعاجم وحدَها ، بل لا يجزيك حيناً أن تقف ، في كتب النحو ، على ما يطرد فيه استعمال كل حرف ، أو يغنيك أن تطلع على مايتصل بذلك من علوم اللغة غير النحو ، أو تضرب بسهم في تصفح كتب الادب نثره وشعره . ذلك أنه لا بد ، لإحكام استعمال هذه الحروف ، من أن تعلق من كل ذلك بسبب وتحظى بطائل ، ويكون لك فيه قدم ومنه حظ . فيتحصل بمطالعتك هذه ومدارستك ، ما يبصّرك بتصريف هذه الحروف وإجرائها في مجاريها ، ويفقهك فيما يكون لها من شأن في تحديد معاني الافعال ، ومن أثر في تغيير دلالاتها . فيتسنى بهذا تمييز صحيح القول من فاسده ، واستبانة جيده من رديئه .

ومهما اتسع القول في هذا الباب وتشعبت مسالكه وتباينت وجوهه، فإن ثمة ضوابط يُسترشد بها ، ومعالم يستهدى بضوئها . وسأذكر من ذلك ما يسهّل سبيل الحكم فيه ويوطىء أسبابه فيكون زماماً لما يراد من أشباهه وعياراً لما قد يتعذر طلبه منه أو يشتد إدراكه .

(١)

فمدار الامر قبل كل شيء أن الفعل إذا عُدّي في المعاجم بحرف ، فليس يلزم من هذا ألاّ يتعدى بسواه اذا اقتضى معناه ذلك . فقد حكى الإمام السيوطي في الاشباه والنظائر (٣/١٧٦) عن أبي نزار قوله (إن الفعل قد يتعدّى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل . لأن هذه المعاني كامنة في الفعل ، وانما يثيرها ويُظهرها حروف الجر) ، وأردف : (وذلك أنك إذا قلت خرجت فأردت أن تبين ابتداءَ خروجِك ، قلت خرجت من الدار . فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك ، قلت خرجت على الدابة . فإن أردت المجاوزة للمكان قلت خرجت عن الدار . وإن أردت الصحبة قلت خرجت بسلاحي .. فقد وضح بهذا أنه ليس يلزم في كل فعل ألاّ يتعدى إلا بحرف واحد).

فأنت ترى أن الإمام قد عمد الى تصريف الفعل في وجهاته بحروف اطّرد تصريفه فيها . وقد فعلتُ نحواً من هذا في كتابي (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) الصادر عام ١٩٣٩ م ، حين مضيت في تصريف (أجاب) بعدة من الحروف لابراز وجهة الفعل مع كل حرف ، فقلت : (أجبت في الكتاب ، وبالكتاب ، وأجبت عنك ، وعلى ورقة بيضاء ، ولأمر مهم ، وعن الاسئلة من أولها الى آخرها) ، كل ذلك على جهة القياس والاطراد .

فيستبين بذلك أنه لابد في اختيار الجار من أن تأخذ فيه بالسماع والقياس . ويرد النصّ بالسماع في المعاجم ، وهي لاتجاوزه عادة ولا تعدوه . ويعرف القياس في كتب النحو والأمهات اللغوية فيفصّل فيها وجوه تصريف هذه الحروف في وجهاتها المطّردة . فإذا نُصّ في المعجم

على استعمال حرف مع فعل من الافعال أُخذ به للافصاح عن الدلالة المعينة للفعل باستعماله . ولا يمنع هذا أن يصرّف الفعل في وجوه أخرى باستخدام حروف اطرد جريانها قياساً في وُجُهاتٍ مُحدّدة . وقد يتفق لك استعمال فعل بحرف سماعي وآخر قياسي لقصدين متماثلين .

وقد مثّلت لذلك بأن قولك (أعاون على انشاء المعمل ، وأساعد على ادارة شؤونه) مثلا ، على التعدية السماعية ، لا يمنع من قولك على القياس : (أعاون في إنشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) . ذلك أن (في) تستعمل مع ظرف حقيقي كالدار والبيت والمسجد ، كما تستعمل مع ما يتصوّر أو يقدّر له حيّز من ظرف تقديري أو مجازي . قال الإمام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني): « إعلم أن ــ في ــ حرف جارّ لما بعده . ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازاً . فالحقيقة نحو جعلت المتاع في الوعاء ، ومنه قوله تعالى : أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ــ البقرة / ٣٩ . والمجاز كقولك دخلت في الامر وتكلمت في شأن حاجتك . ومنه قوله تعالى : ادخلوا في السِّلم كافة ــ البقرة / ٢٠٨ ، وقوله تعالى : وتنازعتم في الامر ــ الانفال / ٤٣) .

فـ (في) في قولك (أعاون في انشاء المعمل ، وأساعد في إدارة شؤونه) للظرّفية المجازية أوالتقديرية . فـ (المعاونة) انما تأتّت في (الانشاء) و(المساعدة) انما جرت في (الادارة) . أما المعاون عليه هاهنا والمساعد عليه فهو (الصعوبة) التي قدر أنها تعترض الانشاء وتعوق الادارة عادة. وقد استغنيعن ذكر (على) بذكر (في) لظهور الغرض بهذه . وقد يكون التقدير في ذلك (أعاون على تذليل الصعوبة في انشاء المعمل ، وأساعد على تيسير الامر في ادارة شؤونه) فإذا حذف ما أمكن الاستغناء عن

ذكره ، صح قولك (أعاون في انشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) واستقام .

وقد استظهرنا فيما ذهبنا اليه بقوله تعالى : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ـ الانفال / ٧٢) فإنه على الظرفية المجازية أو التقديرية . ولايخفى أن المستنصر عليه هاهنا أعداء الدين ، وقد حذف لظهور الغرض بما ذكر . وقد جاء على أصل التعدية السماعية قول الرسول ﷺ « اللهم أعنّي على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بتقواي » والمستعانُ عليه ، في الحق ، كل ما ينأى بك عن الدين أو يصرفك عن الآخرة .

وقد استشهدنا بالحديث (كلُّ سُلامى عليه صَدَقة ، كل يوم يُعين الرجل في دابّته ، يحامله عليها ويرفع عليها متاعَه ، صدقة) . ففي شرح صحيح البخاري للعدوي أن (قوله يحامله .. أي يساعده في الركوب) ، وبالحديث (كلوا وأطعموا وادّخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جَهْد ، فأردتُ أن تُعينوا فيها) . فقد ذكر أن الضمير في (فيها) عائد الى المشقة المفهومة من الجهد ، فيكون تقدير الكلام (فأردت أن تُعينوا الفقراء في المشقة) .

ومن ذلك قول عليّ رضي الله عنه (فمن صَدّق بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاعانة بالله ، في نيل المحبوب ودفع المكروه) .

وفي شرح الحماسة للمرزوقي (١١٧٤) : (واستعن بالصبر في كل ما تزاوله وتراوده) . ومن هذا القبيل ماجاء في كليلة ودمنة (في باب بعثة برزويه) : « وإنه محتاج الى معاونتهم في ذلك / ٣٦ » . ونظيره ما جاء في زهر الآداب وثمر الالباب (٤٥/٢) : « واعتذر إليه في مدحه لغيره »،

والاصل (من مدحه لغيره) • وما جاء في كتاب حجج النبوة للجاحظ (وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء /١٣٨)، والاصل (وإن كان يرى أنه حاسد على شيء ، فهو يرى أنه محسود على شيء)، وقوله (وأن مناكحهم مقصورة فيهم ••/١٤٢) والاصل (مقصورة عليهم) •

فإذا عرفتَ هذا فلا بدع اذا استسرفتَ أن يمنع الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) قول القائل (يعاونهم في إنشائها ويساعدهم في ادارة شؤونها) ، قال (وتعدية هذين الفعلين بـ ـــ في ـــ خطأ صوابه بعلى)• والصحيح ما ذكرناه وفصّلنا القول فيه • فإن استعمال ـــ في ـــ قد أغنى عن استعمال ـــ على ـــ واستقام بها التعبير •

قال قيس بن الحطيم الأوسي :

وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر زهيرٌ فأدّى نعمة وأفاءها

فقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٨٦) : (ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنة ••) • وليست ـــ في ـــ هاهنا بدلا من ـــ على ـــ وإنما هي قد أغنت مُغناها •

ثم أنكرنا أن يعيب داغر استعمال ـــ في ـــ في قول القائل (ويبذل عنايته في طبعها) ويوجب استعمال الباء • ونحن لانعارض تعدية العناية بالباء لكنّا نعتقد صحة قول القائل (في طبعها) على الظرفية المجازية ، والتقدير (يبذل في طبعها عنايته) على حدّ قول الحريري في مقدمة مقاماته (وبذلت في مطاوعته جُهد المستطيع) •

وقد أنكر الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ،

على ماجاء في كتاب أغلاط اللغويين القدماء للكرملي ، ما أنكرناه ، لكنه قال : (فقال الناقد : صوابها على إنشائها ، لأنه لم يرَ تعدية عاون في المعاجم اللغوية ، وهي غير مستوفاة البحث ، ولا مستقصاة التحري) •

فقلنا في الجواب عنه : (لا وجه ثمة لما عاب به الدكتور جواد معاجم اللغة فيما ذكر ،لان المعاجم لم تؤلَّف لتبسط القول في القياس المنقاد ، وانما قامت لتنصّ على السماع ، بل على ما لا يتأتّى الاهتداء اليه بالقياس ، قبل كل شيء • وقد تشير الى القياس وتمثل له لاستبانة وجه من الوجوه، أو التنبيه على ما يقع فيه اللبس أو الخفاء فتكشف عنه • لكنها لاتعاب ولا تُنتَقص ، بالقصور عن الاستيفاء اذا أغفلت أن تستوعي التمثيل للقياس الظاهر في الاصل • وانما يؤخذ القياس المطّرد ويُعرف مسراه بالاطلاع على ما قرره النحاة في أسفارهم بالبحث والاستقراء)•

هذا واذا أردت الاحتكام الى المعجم في قول القائل (يعاونهم في انشائها) لتكون على يقين من صحته وثقة من سداده ، فليس لك الاّ أن تطلب فيه حرف (في) • قال الجوهري في صحاحه : (في : حرف خافض، وهو الوعاء والظرف ، وما قدّر تقدير الوعاء • تقول الماء في الإناء وزيد في الدار ، والشك في الخبر) • فـ ـ في ـ في قوله (الشكّ في الخبر) على الظرفية المجازية أو التقديرية ، وهو كقولك (المعاونة في إنشائها) •

(٢)

وقد يتعاقب (في) و (على) على الموضع الواحد ، فلا يعني هذا أنهما بمعنى ، إذ يكون كلٌّ على ماهو قياسه • فأنت تقول (في الغالب وعلى الغالب) و (في الجملة وعلى الجملة) ، و (في الاقل وعلى الاقل) و (في الندرة وعلى الندرة) •••

فأما استعمالك (في) فإنه هاهنا على الظرفية المجازية أو التقديرية. فالاصل ، كما مر بنا ، أن تدخل (في) على ماهو ظرف حقيقي ، لكن العرب أدخلتها أيضا ، على كل ما تصوّرت له حيِّزاً فأنزلته منزلة الظرف الحقيقي . قالوا (نظرت في الامر) و (فكرت في المسألة) و (أعنته في مسعاه) . وهم حين قالوا (في الجملة) مثلا قدروا الحيِّز في هذا ، كما قدّروه في (الاقل) و (الندرة) وهكذا ...

أما قولهم (على الجملة) مثلا فيعني أن الكلام قد بُني َ على هذا الاعتبار ، ونحو ذلك قولهم (على الاقل) و (على الندرة) وهكذا ..

وغريب ، على هذا ، أن يردّ الدكتور مصطفى جواد قول القائل : (على الاقل وعلى الاعم وعلى الغالب) ويجعل صوابه (في الاقل وفي الاعم وفي الغالب) . وقد استظهر ببعض ما جرت به أقلام الأئمة في استعمال (في) في هذا الموضع . وكأن استعمال هذا الحرف في هذا المقام، مانع من إعمال آخر في مثل موضعه بتقدير آخر .

وأورد الاستاذ جواد من كلام الأئمة قول الرضيّ (يكون المقتضي أمراً خفياً معنوياً ، وما يقوم به المقتضي أمراً جلياً في الاغلب) . وعلّق عليه فقال : (فهذا النحوي الكبير قد اتبع الفصحاء في هذه العبارة) ، وأردف: (ونيابةُ حروف الجرّ بعضها عن بعض نادرة وليست قياسية) . والجواب عن ذلك أن نيابة حرف عن حرف انما تكون اذا استعمل الحرف في موضع ليس من مواضعه المطردة في الاصل ، لانه موضع عرف به حرف آخر . والبصريون على تأويل ذلك وحمله على الشذوذ . فقد جاء في الهمع (٢/٣٥) : (عُلم مما حُكيَ عن البصريين في هذه الاحرف من الاقتصار على معنى واحد لكل حرف ، أن مذهبهم أن أحرف الجرّ لاينوب بعضها

عن بعض بقياس . كما أن أحرف الجزم كذلك . وما أوهم ذلك فإما مؤول تأويلا يقبله اللفظ ، أو على تضمين الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف أو على النيابة شذوذاً ...) . وليس ما نحن فيــه ، على كل حال ، من قبيل نيابة حرف عن حرف . وكل ما في المسألة أن الرضيّ قد أجرى (في) فيما وضعت له قياساً .فقوله (في الاغلب) على تقدير (في الامر أو الحكم الاغلب).و(في)هاهنا للظرفية المجازية أو التقديرية . وقد كان له أن يأتي بـ (على) فيما وضعت له اطراداً أيضاً ، ولكن على تقدير آخر ، فيقول (على الاغلب) أي (مبنياً على الامر أو الحكم الاغلب) أو (مترتباً على ذلك) أو (محمولا عليه) . وكلٌّ على بابه . فانظر الى قول الرضي نفسه في شرح الشافية (١/١٨١) : (وكذا المال المنتفع به على الاغلب) . وإلاّ فأي دليل للاستاذ على المنع ، وكيف يستجيز القطع في هذا بلا حجة ، والجزم بلا بيّنة .

وانظر الى ماجاء في مقدّمة مختار الصحاح للامام أبي بكر الرازي (وأما الاسماء فإنا ضبطنا كل اسم يشتبه ، على الاعم والاغلب) . وهذا موضع (على) في أصل الوضع .

وكما تقول (على الغالب) فقد يتفق أن تصرّح بالاصل فتقول (حملا على الغالــب) أو (بناء على الغالب) . قال صاحــب الكليات أبو البقاء (١٦٣) : « والغاية تدخل في حكم ما قبلها مع حتى ، دون الجار ، حملاً على الغالب » . وقال (٩٨) : « وقولهم بناء على كذا ... أي لأجل البناء أو بانياً أو يبنى بناء ... » .

وأنت تقول (على الاكثر) كما تقول (على الاغلب) . قال الرضي

نفسه في شرح الشافية (١/١٣٦) : « وجاء وَزَعَ يَزِعُ بالكسر على الاكثــر » •

وتقول (على الجملة) أيضاً ، كما تقول (في الجملة) ، فانظر الى قول ابن جنــي في الخصائص (٢/٣٩٠) : « فعلى الجملة فكلما ازداد الجزءان اتصالا ، قوي قبح الفصل بينهما » وقــوله أيضاً (١/٢٣٦) : « وعلى الجملة فقد كثر منهم تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت إضافته الى مؤنث » • وانظر أخيراً الى ما جاء في أساس البلاغة (وإني لألقاه في الندرة وعلى الندرة أو النَّدَرى)•

هــذا وقد عاب الدكتــور جواد على المفَسِّرين أنَّهم أهملــوا بيــان الفرق بــين وجهَي الاستعمال في إثْبــات (في) وإسقاطها في قوله تعــالى (فادخلي في عبــادي وادخلي جنَّتي ــ الفجــر / ٢٩) ، وقال : (فالزمخشري على ولعه بالكتب النحوية والبلاغية لم يقل في تفسير ذلك الا" : فادخلي في عبادي ، في جملة عبادي الصالحين •• وادخلي جنتي معهم ، فهو لم يتعرّض لاختلاف الوجهين • وأهمل ذلك ابن خالويه في إعراب ثلاثين ســورة / ١٨٦) ، وأردف قائلا « والوجه عنــدي أنه لما استعمل ــ ادخلي ــ للظرف المكاني ، وهو الجنة نصبه على الاتساع • ولما استعمل لغير الظرف وهو ــ عبادي ــ جيء بحرف الجر » •

أقول إن الأستاذ جواداً لم يزد على ما قاله الأئمة وفصّلوه شيئاً • ولو أردنا أن نبسط القول فيما ذكروه ونزيد في إيضاحه لقلنا إن (دخل) إما أن يُستعمل مع ظرف حقيقي كالجنة والدار والبيت والمسجد والمكان ، وإما أن يستعمل مع مايتصوّر أو يقدّر له حيِّز من ظرف تقديري أو مجازي كالأمر والرحمة والعباد •• من غير الأمكنة • فإذا كان الاول جاز

حذف الجار ، أو اتفق الثاني امتنــع الحذف . وقد اجتمعا في قوله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) . فقد أثبتت (في) قبل عبادي إذ قدر حيِّز (لجملة العباد الصالحين) على الظرفية التقديرية أو المجازية . وهذا ما حمل الزمخشري أن يقدر في كشافه (مضافاً) فيقول (في جملة عبادي الصالحين) قصد تصوير هذا الحيز . وهكذا فعل الرضي في شرح الكافية (٣٢٧/٢) اذ قال : (أي حاصلة في زمرة عبادي) . وقد أسقطت (في) قبل (جنتي) في الآية ، لأن الجنة ظرف من الامكنة تحقيقاً . وانما قيل إن حذف الجار فيه على الاتساع لأنه ظرف مختص[1] . ولو كان ظرفاً مبهماً لكان الحذف فيه على القياس كقولك : دخلت أرضَ الشام .

ومما جاء على الظرفية التقديرية أو المجازية فوجب فيه إثبات الجار، قوله تعالى (وأدخلناه في رحمتنـــا / الانبياء ٧٥) . قال ابن جنـــي في الخصائص (٤٤٢/٢) : « كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسماً هو الرحمـــة » ثم قال « إذ صُيِّر الى حيز ما يُشاهد ويُلمس ويُعاين » أي اعتدّ لفظ (الرحمة) ظرفاً كما لو أن له حيزاً يُشاهد ويُلمس ويُعاين .

وهكذا قولك (دخلت في الامر) فإنه على الظرفيـــة التقـــديرية أو المجازية . ولا بد فيه من إثبات الجار . قال المرزوقي في شرح الحماســـة (١١٢١) : « وفي أنهم يقولون دخلت في الامر فيتعدّى بفي لاغير » ، أي أي لابد من تعديته بـ (في) ، ولا مساغ هنا لحذفها البتة .

أما قولك (دخلت الدار أو البيت أو المسجد) فهو على الظرفيـــة الحقيقية لانها أمكنة ، ولذا جاز فيها حذف الجار ، لكن الحذف فيهـــا

(١) الاصل فيه دخول الجار . قال ابن سيده في المخصص (٧٠/١٤) : « الا ان يجيء في شيء من ذلك اتساع فيكون الحرف معه ـ أي مع الظرف المختص ـ محذوفا كما حكاه سيبويه» .

اتساع ، لأن (الدار والبيت والمسجد) ظروف مختصة • قال ابن جني في الخصائص حول قولك (دخلت داراً ــ ٢/٤٤٤) « ولا مجاز في هذه المفعولات » أي أنها ظروف حقيقية فهي أمكنة ، وأردف : (ولكن في الافعال الداخلة اليها مجاز) ، وهذا ما أوجب أن يكون الحذف فيها على الاتساع مجازاً •

وقد اختلف العلماء في مفعول (دخل) هاهنا ، أمنصوب هو على الظرفية تشبيهاً للظرف المختص بالظرف المبهم ، أم على إسقاط الجار اتساعاً ؟ قال سيبويه وبعض المحققين بالرأي الاول (الهمع ١/٢٠٠) وذهب ابن هشام في المغني الى الثاني (٢/١٣٧) فقال : « وإنما يكون ظرفاً مكانياً مبهماً » وأردف « والصواب أن هذه المواقع ــ أي الدار والمسجد •• ــ على إسقاط الجار توسعاً » • وارتأى آخرون غير هذا وذاك •

أما مالم يكن مكاناً البتة فلا سبيل فيه الى إسقاط الجار • قال الرضي (٢/٢٧٠) : « فإن كان تعدّيه بنفسه قليلاً نحو : أقسمت بالله ، أو مختصاً بنوع من المفاعيل كاختصاص دخلت بالتعدي الى الامكنة • وأما غيرها فـ ــ بفي ــ نحو دخلت في الامر) • أي أن دخلت انما تختص في تعديها المباشر بالامكنة • فاذا كانت مبهمة كان النصب قياساً ، أو مختصة كان على غير قياس • وأما في غير الامكنة فلا بد من (في) • وهذا ما أتى به الاستاذ جواد حين قال : (ولما استعمل لغير الظرف••جيء بحرف الجر)!

ودعا الدكتور جواد ، حين اعتقد أنه اهتدى الى ما لم يسبق إليه ، الى دراسة القرآن دراسة لغوية ودراسة نحوية عوداً على بدء (ففي ذلك نعش العربية من كبوتها ••) أقول ان الدعوة الى هذا أمر حق • اذ

يستصبح بتدبر القرآن واستبطان نصوصه في الكشف عما أعضل فهمه أو تخريجه من مسائل النحو واللغة وفي تصحيحه وتثقيفه ، وهو جدير بالاهتمام خليق بالعناية . لكن الوقوف على ما انتهى اليه السابقون من ذلك والتروئة فيه والغوص عليه ، أمر لابد أن يتقدّم هذه الدراسة ويوطىء لها .

(٣)

وقد يتعاقب (على) و (الباء) على الموضع الواحد ، فيبقى كل منهما على بابه وقياسه . وقد يكون أحدهما في نحو دلالة الآخر ، أو يفيد معنى غير معنى صاحبه. فأنت تقول (جزيته على فعله،وجازيته عليه،وكافأته عليه، وعاقبته عليه ، وعذبته عليه ، وآخذته عليه ، وحاسبته عليه وأثبته عليه) كما تقول : (جزيته بفعله ، وجازيته به ، وكافأته به ، وعاقبته به ، وعذبته به، وآخذته به ، وحاسبته به وأثبَتْه به) . وليس استعمال هذه الافعال بعلى ، مانعاً من تصرّفها بالباء بحال من الاحوال .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه (الاخطاء الشائعة) : «ويقولون آخذه على ذنبه ، والصواب آخذه بذنبه مؤاخذة وعاقبه عليه . جاء في الآية / ٢٢٥ / من سورة البقرة : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . وقد جاء الفعل : آخذه بكذا ، وبمعنى عاقبه على كذا ، سبع مرات أخرى في القرآن الكريم » .

وفحوى كلام الاستاذ أنه اذا تعدّى الفعل في التنزيل بحرف في وجهة ما ، امتنع تصرّفه بحرف آخر في نحو وجهته ، وقال في معجمه : « ويقولون آخذه على ذنبه والصواب آخذه بذنبه مؤاخذة : عاقبه

عليه) وليس القول ما قال • والصحيح أن نستهدي آي التنزيل لنقطع بصحة نهج جاء على مثالها في التعبير ، وليس سديداً أن نستنصحها لنمنع بها مثالا جاء على غير نهجها ، ما اتّفق له وجه من العربية وسبيل قاصد من سبلها • وليس بحث القرآن عن عدد المواضع التي أتى الفعل فيها بالباء بشيء قل أو كثر •

فهذا (جزى) و (جازى) • قال صاحب المصباح (جزاه الله خيراً أي قضاه وأثابه عليه •• وجازيته بذنبه : عاقبته عليه) • وفي الحديث: (الصوم لي وأنا أجزي به) • وفي مفردات الراغب : (ويقال جزيته بكذا وجازيته) • وقال ابن القوطية (جزيتك جزاء كافأتك بفعلك من خير أو شر) • وقال الجوهري في صحاحه (جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى) وفي التنزيل (وجزاهم بما صبروا جنة ــ ١٢) و (جزيناهم ببغيهم ــ الانعام / ١٤٦) و (جزيناهم بما كفروا ــ سبأ/ ١٧) • ولم يتعدّ (جزى وجازى) في التنزيل بهذا المعنى بغير الباء • فهل يلزم من تعديهما في هذه النصوص جميعا ، بالباء ، على هذا النحو ، أن يمتنع تعديهما بسواه ، ليؤدّيا ما كانا يؤدّيانه بالباء أو نحواً منه ؟

فانظر الى ماجاء في (باب السائح والصائغ) من كتاب كليلة ودمنة: (نجزيك بما أسديت الينا من المعروف / ٢٧٣) • وما جاء في (باب بعثة برزويه) : (لنجزيه على ماكان منه /٤٤) و (فإنه سيجزى على خلابته ومكره / ٤٥) ، وماجاء في (باب القرد والغيلم) : (أجازيك على إحسانك / ١٩٦) •

وقال ابن الاثير في النهاية حول الحديث(الصوم لي وأنا أجزي به):

(لِمَ خصّ الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل ،٠٠ وتولّى الجزاء عليه بنفسه) ٠ فدلّ هذا أن تعدّي (جزى وجازى) بالباء لم يمنع من تعديهما بعلى ٠

وهذا (كافأ) فانظر الى ماجاء في كتاب الحجاب للجاحظ :

وحقي أن تكافيني مزيداً   بشكري إذ به نزل الكتاب

وماجاء في باب السائح والصائغ من كليلة ودمنة / ٢٧٣ / : (لعلي أكافئك بما صنعت إلي من معروف) ٠ وما جاء في موضع آخر منه / ٢٧٢ / (فيقوم بشكر ذلك ويكافىء عليه أحسن المكافأة) ٠ وفي الصحاح (وكافأته على ماكان منه مكافأة وكفاء جازيته) ٠ وفي أساس البلاغة (وكافأته بصنعه جازيته) ٠ فكشف هذا بأن تعدّي (كافأ) بالباء لم يحل دون تعدّيه بـ (على) ولا منع منه ٠

وهذا (عاقب) فقد قال الجوهري في الصّحاح (وقد عاقبه بذنبه) وجاء في اللسان (وفي الحديث من أصاب من ذلك شيئاً أُخذ به، يقال أُخذ فلان بذنبه أي حُبس وجُوزي عليه ، وعوقب به) ٠ وهو كلام ابن الاثير في النهاية٠ فاستبان أنك اذا أردت الكشف عن سبب العقاب عدّيته بالباء ٠ وانظر الى ماجاء في المصباح (وجازيته بذنبه عاقبته عليه) ٠ وماجاء في نهج البلاغة (٢/٥٦) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم ، التي عليها يثيب ويعاقب) ، وفي كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) للجاحظ : (ومن لم يزل يعفو عن العمد ، كيف يعاقب على السهو) ، وفي احدى رسائله الخاصة (فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علته / ٣١٥) ، تجد أن قولك (عاقبته على ذنبه) صحيح، وفي نحو قولك (عاقبته بذنبه) ٠

أما استعمال (الباء) مع الفعل في قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين / النحل ١٢٦)•
وقوله عز وجل (ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغي عليه ، لينصرنه الله ، إن الله لعفوٌ غفورـــ الحج/٦٠)،فليس لكشف سبب العقاب، وإنما لإظهار طريقة العقاب وحدّه• فليس لمن عذّب على نحو أن يقتصّ على نحو يتجاوز به حدّ ما عذّب • فمن عَذّب بمثل ما عُذِّب ، ثم بُغي عليه بالعودة الى تعذيبه لينصرنّه الله قال البيضاوي (وفيه دليـــل على أنّ للمقتص أن يماثل الجاني ، وليس له أن يجاوزه • وحثّ على العفـــو تعريضاً بقوله : وإن عاقبتم ، وتصريحاً على الوجه الآكد بقوله : ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)•

أما (المؤاخذة) فالقياس جواز تعديته بعلى كما عُدّي بالباء • فانظر الى كلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حَليم ـــ البقرة/٢٢٥) ، قال:(حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ،تربصاًللتوبة) فعدّى (المؤاخذة) بعلى • ونظير هذا قوله في تفسير قوله عز وجل (قال لا تؤاخذْني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسراً ـــ الكهف/ ٧٤) ، قال : (لا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة ، والمؤاخذة على المنسي فإنه يقال رهقه اذا غشيه ، وأرهقه إياه) ، فعدّاه بعلى أيضاً • وهو يعلم حق العلم أن تعديته قد أتت بالباء حيثما اتفق في الآي •

وهذا (حاسب) فقد جاء في التنزيل (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله ـــ البقرة / ٢٨٥) فعدّي الفعل بالباء • وجاء في نهج البلاغة (١/١٠٤) : (فما أخذوه منها لها ـــ أي ما أخذوه

من الدنيا لأجلها ــ أُخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وماأخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه) . وجاء فيه (١/١٥٦) : (لها مرتهنون وعليها محاسبون) فوُصل الفعل بعلى ولم يوصل بالباء .

وهذا (أثاب) ، قال تعالى (فأثابهم الله بما قالوا ــ المائدة / ٨٨). وفي نهج البلاغة (٢/٥٦) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ، ولها يرضى ويسخط ... أن يخرج من الدنيا لاقياً ربّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ..). فثَبَت أنك تقول (أثَبْته بكذا) و (أثَبْته عليه) .

والذي يتبين بما بسطنا ويتضح بما فصّلنا ، أنّ قولك (آخذته على ذنبه) كقولك (آخذته بذنبه) ، صحيح ، مستقيم ، لاسبيل عليه لآخذ ، خلافاً لما ذهب اليه الاستاذ العدناني . ولكن ما موضع الباء هاهنا ، وما موضع (على) ؟

أقول إن (للباء) في هذا الموضع دلالتين : الاولى أنها للسبب ، فإذا قلت (آخذته بذنبه) كان معناه (آخذته بسبب ذنبه) . قال ابن هشام في المغني : (الرابع السببية نحو إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ــ البقرة / ٥٤ ، فكلاً أخذنا بذنبه ــ العنكبوت / ٤٠) . الثاني : أنها للمقابلة ، وهو الارجح ، قال ابن هشام في المغني : (الثامن المقابلة ، وهي الداخلة على الاعواض ، نحو اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضعف وقولهم : هذا بذاك ، ومنه : ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ...).

أقول انما استؤديت (المؤاخذة) بتعديتها بالباء هاهنا معنى المجازاة مقابلة ومكافأة . وعندي أن آي التنزيل على ذلك . فقولك (آخذته بما فعل) انما يعني أنك آخذته مؤاخذة تقابل ما فعل . وفي هذه المقابلة

معنى المناسبة أو المكافأة • فقولك كافأته على مافعل معناه جازيته • قال الجوهري في الصحاح (وكافأته على ما كان منه مكافأة وكفاء جازيته)• لكن قولك كافأته بما فعل تعني الى ذلك شيئا آخر • قال الزمخشري في الاساس : (كافأته بصنعه جازيته جزاء مكافئاً لما صنع) • وفي نهج البلاغة (٢/٣٥) : (ولاتخاطبنا بذنوبنا) • قال الشارح : (لاتخاطبنا أي لاتدعنّا باسم المذنبين ، ولا تجعل فعلك مناسبا لأعمالنا) •

أما (على) في قولك (آخذته على مافعل) فإنه للسبب•وهو نظير قولك (حاسبته عليه،وعاقبته عليه،وجازيته عليه،ووبختّه عليه،ولمته عليه •••) بل هو كقولك (عذّبته عليه) أيضا • فإذا كان قد جاء في التنزيل (فلم يعذبكم بذنوبكم ـ المائدة / ٢٠) فإن استعمالك (على) مع الفعل قد جاء على قياس أيضا • ففي نهج البلاغة (٢/٣٢) : (ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذّب عليه) •

وخلاصة القول أن النصّ على تعدية (المؤاخذة) بالباء ، لم يمنع من تعديته بعلى كما رأيت • فلا وجه للنأي عنه أو الاعتراض عليه البتة •

(٤)

وقد يتعاقب (على) و (اللام) على موضع ، فتقع (على) موقعها سماعاً ويتفق أن تأتي (اللام) في معنى (على) أو مايخالف معناها ، على وجه من القياس •

قال الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) : (ويقولون هذا مما يؤسف له ، وهو شائع كل الشيوع ، فيعدّون ـأسفـ باللام ، ولم يسمع تعديته عن العرب إلا بعلى) • وقال الدكتور مصطفى جواد في

كتابه (دراسات في فلسفة النحو ..) : « فإنه يقال أسف على الانسان وعلى الشيء ، لا أسف لهما » . وخالفهما الاستاذ محمد العدناني في كتابه (معجم الاخطاء الشائعة) فأتى بما يشهد بتعدية الأئمة للفعل باللام ، كقول أبي عليّ القالي في نوادره : (فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه) .

والصحيح أنه اذا عُدّي (حزن وأسف ..) بعلى سماعاً ، وأنت تقصد أن تذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف بسبب فقده أو فوته ، فإن لك أن تعدل الى نهج آخر تقول به على القياس والاطّراد : (حزنت لفقد فلان وأسفت لفراقه) أي من أجل ذلك . قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٨) : « لا آسف لما أرى من الحرمان أسَفَ من يَبكي ويُبكي غيره » ، وقال : « الصدر من البيت تحسّر لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته » ، وقال (٨٨٦) : « وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده ؛ وانما يريد الحزن لسلامة الواتر » .

وقال مهيار ، وقد استشهد بقوله المعجم الكبير ، على تعدية (أسف) باللام :

أسفت لحلم كان لي يوم بارق فأخرجه جهل الصبابة من يدي

ومعناه أن الشاعر قد تحسّر من أجل حلم كان له ثم خرج من يده ، فبات يتلهف لفقده . وفي محاضرات الادباء (٣/٣٨) :

اذا أبصروا حالي ولم يأسفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

أوليس عجباً أن يلحّنوا قول القائل (أسف له) ، وهو القياس

المنقاد في استعمال اللام ، وأن يحتاج هذا الى دليل يسدده وشاهد يثبته؟ وانما نذكر الدليل للانس به ، لا لدعم القياس وتصويبه .

وأنت تقول على الاصل (بكيت عليه) ، لكنك تقول على القياس (بكيت له) . قال العباس بن الاحنف :

فما بكيت ليوم منك أسخطني إلا بكيت عليه بعدما ذهبا

وقال النابغة :

ألا أيها الباكي لأحداث دهره تحملْ على ما يحدث الدهرُ فاصبر
فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكرِ

وأنت تقول (صبرت على البلاء واصطبرت) ولكنك تقول أيضاً (صبرت لما أصابني منه واصطبرت) . وعليه قول النابغة كما رأيت (فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً) . وقالت امرأة من بني عامر :

سيتركها قوم ويَصلى بحرّها بنو نسوة للثكل مصطبرات

قال المرزوقي في شرح الحماسة (٧٤٩) : (وقد تعوّد الثكلَ أمهاتُهم ، فلا يجزعن لقتلهم ، وألف الأيْمَة نساؤهم فلا يحزنّ لموتهم ، ومعنى للثكل : من أجله) ، وأردف : (وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على فاعلمه) .

هذا وقد يكون للام هاهنا شأن آخر . قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته ــ مريم / ٦٥) : (خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه ... أي لما عرفت ربّك فإنه لاينبغي له أن ينساك ... فأقبل على عبادته واصطبر عليها) فأوقع اللام موقع على ، كما فعل المرزوقي . على أنه أردف : (وإنما عُدّي باللام لتضمنه معنى الثبات

للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق ، كقولك للمحارب : اصطبر لقرنك) • وعندي أن لا بأس بحمل هذا المعنى على التضمين • ذلك أن للصبر وجهين ، فهو احتمال للشدة من أذى أو حرمان أو حبس ، وهو مثابرة على هذا الاحتمال دون جزع أيضا • فاذا شئت الالحاح فيه على هذا ، ضمّنت (صبر) معنى (ثبت) فقلت : صبرت لقرني ، أي صبرت على الشدة ثابتاً لقرني) • قال أبو حيان في البحر المحيط حول قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) : (وعدّى فاصطبر باللام على سبيل التضمين، أي ثبت بالصبر لعبادته لان العبادة تورد شدائد فاثبت لها ، وأصله التعدية بعلى ، كقوله تعالى : واصطبر عليها) •

وفي (صبر له) قول أبي تمام :

أتصبر للبلوى عـزاء وحسبة فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم

وما جاء في نهج البلاغة (٩٠/٣٠) : (وأنصفوا الناس من أنفسكم ، واصبـروا لحوائجهم ، فإنكم خزان الرعيّة) ، وفي محاضـرات الادباء (٢٣٩/٢) : (المتحمّل للشدائد ، الصابر لها) •

على أنه اذا كانت تعدية (حزن) و (أسف) باللام تؤدّي مؤدّى تعديتهما بعلى اذا ذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف لفقده أو فوته ، كقول المرزوقي (٩٨٩) : (ولا شيء من أعلاق المنى يحزن له اذا أُفيت)، فليس الحال كذلك اذا ذكر الانسان الذي كان مصدر الحزن وموضع الاسف • فقولك (حزنت على الرجل) شيء ، و (حزنت له) شيء آخر • فـ (حزنت لفلان) بمعنى رققت له وعطفت ، وهو غير حزنت عليه • فانظر الى ماحكاه الراغب في المحاضرات (٥٠٨/٤) (ولما مات ذر بن عمر بن ذر ، قام أبوه على قبره فقال : يا ذر شَغَلَنا الحزن لك ، عن الحزن

عليك ، فليت شعري ما الذي قلت ، وما الذي قيل لك ؟ اللهم انك قد ألزمته طاعتك وطاعتي ، فإني قد وهبت له ما قصّر فيه من حقي ، فهب لي ما قصّـر فيـه من طاعتك . اللهم ماوعدتني من الاجر على مصيبتي به فقد وهبته له فهب لي من فضلك) . فكأن حزنك على الرجل توجّع عليه وجزع ، فهو انفعال ليس غير ، أما حزنك له فهو رثاء لحاله وعطف عليه واهتمام بأمره ومصيره ، فهو انفعال وفعل . وقد جاء في الاساس (هؤلاء حزاتنك أي أهلك الذين تتحزن لهم وتهتم بأمورهم) ، وتحزّن في الاصل ، صار حزينا .

أقول وليس كذلك (حزنت لفقده ، وعلى فقده) فإن اللام هنا في موضع على كما قال المرزوقي في شرح الحماسة .

وفي اللغة (أسيَ عليه اذا حزن) . قال الفيومي (وأسـيَ أسىً من باب حزنَ فهو أسيءّ مثل حزين) . وفي الصحاح : (وأسِيَ على مصيبته بالكسر يأسى أسىً أي حزن.وقد أسيت لفلان أي حزنت له)فأنت تقول (أسيت عليه كحزنت) ، لكنك تقول (أسيت للرجل اذا حزنت له أي أي رققت له فشغلت بأمره) . فانظر الى ما حكاه الراغب في المحاضرات (٥١٦/٤) : قال الموسوي :

يموت قوم ولا يأسى لهم أحدٌ وواحـدٌ موته هـمٌّ لأقوام

أو ليس فحواه : يموت قوم فلا يهتمّ لموتهم أحد ، ويموت فرد فيهتم به أقوام) .

وهذا (جزع) ، فإنك لاتكاد تظفر بنص معجمي يبين عما يصرّف به من الحروف . وغالب ما نصّوا عليه أن الجزع نقيض الصبر . ولكن

اذا تعرفت معناه دلتك على أنه الحزن والخوف كما في النهاية • أو هو الحزن يصرف الانسان عما هو مصدره ويقطعه عنه ، كما في المفردات• وفي المصباح (جزع الرجل اذا ضعفت منّته ــ أي قوته ــ عن حمل ما نزل به) وهو نص العباب • وفي اللسان (الجزوع ضـد الصبور على الشر ، والجزع نقيض الصبر) • وعلى هذا تقول : جزعت على فلان اذا حزنت • ففي محاضرات الادباء (٥١٢/٤) : (وقد توفي له أخٌ فاشتدّ جزعه عليه) • وقال الشاعر (٥١٧/٤) :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

وتقول جزعت على ما أصابني • ففي المحاضرات (٥٠٤/٤) : (إن كنت جازعاً لما أُفلت منك ، فاجزع على مالم يصل إليك) وفي شرح الحماسة قال المرزوقي (٨٥٨) : (تبرّؤ من الجزع على الرزء) •

وتقول جزعت لما حدث ، كما مر بك في قوله (ان كنت جازعاً لما أفلت منك) • وقد قال الشاعر (٣٣٥/٣):

جزعت للشيب لمّا حلّ أوّله فجاءني حادث أنساني الجزعا

ولكن ، ما الذي يعنيه قولك (جزعت لفلان) أفيعني (جزعت على فلان) ؟ الذي أراه أن اللام ليست هاهنا في منزلة على ، فقولك جزعت له مؤداه رققت له وتوجّعت اهتماماً بأمره ومبالاة له ، كقولك (حزنت له) • فانظر الى قول قراد بن سلْمِيّ بن ربيعة :

أولئك لو جزعت لهم لكانوا أعز عليّ من أهلي ومالي

والمعنى على ما ذكره ابن جني في التنبيه : (لو جزعت لهم لكنت معـذوراً في ذلك لانهم أعـز عليّ من أهلي ومالي) • وقال أبو علي

المرزوقي في شرح الحماسة (١٠٠٤) : (لو أعطيت الجزعَ حكمه لكان حالي حينئذ بخلاف حالي الساعة ، ولكان لي عذر في ذلك ، لأنهم أعز علي من أهلي ومالي ..) . وقد يُسأل المرء عن الجزع لمن فَقَدَ فيظهر العذر منه ، اذ لايعقل أن يجزع أو يحزن إلا لعزيز . ولا يسأل عن الجزع على من فقد ، أياً كان الذي فقد . وثمة (شجِيَ) كحزن وزناً ومعنى . ففي المصباح (شجي الرجلُ يشجى شجى من باب تعب حزن ، فهو شجٍ بالنقص ، وربما قيل على قلة شجيٌّ بالتثقيل ، كما قيل حَزِن وحزين). وتقول تشاجيت . ففي أساس البلاغة (وتشاجت فلانة على زوجها : تحازنت عليه) . وانظر الى قول أبي تمام :

لاتشجينَّ لها فإن بكاءها ضَحِكٌ وإن بكاءك استغرام

فـ (شجي له) قد جاء بمعنى (حزن له) .. وفي قول الشاعر (لاتشجينَّ لها) معنى (لا تبالينَّ بها) !

ويبدو الفارق جلياً بين (غضبتُ على فلان) و (غضبتُ له) . فغضبتُ عليه معناه سخطتُ ، أمَّا غضبتَ له فمؤداه أنك غضبت من أجله ، فاذا غضبت لرجل فقد اهتممت به وانتصرت له وكان غضبك على من أسخطه . وقيل (غضب به) بمعناه اذا كان المغضوب له ميتاً ، والباء هنا للسبب كما جاء في (الجنَى الداني للمرادي) وقد جاء في أساس البلاغة (وللشماخ :

وقد أتاني بأن قد كنت تغضبُ لي ووقعة منك حقٌّ غير إبراقِ
فسرَّني ذاك حتى كدتُ مِن فرحٍ أساور الطود أو أرمي بأرواق[1])

(١) رمى بأرواقه على الدابة أي ركبها وعلاها .

وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣٦) : (وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف الى حال التبيُّن ، كما غضبت له) . وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي قول قراد ابن عباد (٦٧٠) :

اذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارسُ إن قيل اركبوا الموت يركبوا
ولم يَحْبُه بالنصر قومٌ أعـزّةٌ مقاحيم في الامـر الذي يتهيَّـبُ
تهضَّمه أدنى العـداة ولـم يزلْ وإن كان عِضّاً بالظـلامة يُضرب

أي اذا غضب المرء ولم ينتصر له فوارسُ يطلبون الموتَ وأعـزةٌ مقاديمُ لا يخشَون الصعبَ، ظلمه أدنى العداة ، ولو كان أهلا للقتال.

ومما جاء فيه استعمال اللام نقيض استعمال على (بخّر) بالتضعيف. قال الزمخشري في أساس البلاغة (ويقال بخّرت لنا : طيبت ، وبخّرت علينا نتّنت ، وأرادت أن تبخِّر لنا فبخّرت علينا) وكأن الاول من رائحة البخور ، والثاني من (البَخَر) بالتحريك وهو الرائحة النتنة الخارجة من الفم . ففي المصباح : (بَخَرَ الفمُ بَخَراً من باب تعب أنتنت ريحه) . ومثله (تعصَّبت له) و (تعصَّبت عليه).

هذا وقد قالوا (لامهُ على فعله) فاستعملوا فيه (على). كذا نصّ المعاجم قال صاحب المصباح (لامه لوماً من باب قال عذله فهو ملوم على النقص). ولم يمنع هذا أن تستعمل فيه (اللام) فتقول : (لمته لما أقدم عليه) . واللام فيه للتعليل ، ومؤدّاه لمته من أجل ذلك . ففي اللسان (يكرم إكراماً يلام من أجله) وفي التاج (يكرم إكراماً يلام لأجله) . ولا سند لما أنكره الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته من قول القائل (لمته لما فعل). فأنت تقول: علامَ

لمته ، ولِمَ لمته ، وفيم لمته ، وبم لمته ؟ كل ذلك صحيح • وقد يكون (الملوم له) غير (الملوم عليه) ، كقولك (لمته على فعلته لقبحها وفحشها) و (لمتك على ما كان لما قد يجر عليك من العار فيغضّ من مكانتك ويضع من قدرك) • وقد تغني اللام فيما سلف مغنى على ، لو قلت : (لمتك لقبح مافعلت) و (لمتك لما قد تجرّه فعلتك من العار •••) •

وأنت تقول (استحق فلان على فعلته اللوم والعذل) ، لكنك تقول: (استحق فلان لفَعْلته ، اللومَ والعذلَ) • قال المرزوقي (٧٦٦): (فعدّت امرأته تلك الفعلة منه ، وما اتفق عليه ، سفهاً وذنباً ، يستحق لهما اللوم، فطفقت باكرة عليه تعجّزه وتؤنبه) •

❋ ❋ ❋

ولنعد الى ماكنا بسبيله من تعدية (أسف) • فاذا قلت (أسفت من حسدك إياي) ، أفكنت ترجو أن تنصّ معاجمنا على (أسف منه) لترتاح الى سداده وتسكن الى صوابه ؟ فقد جاء في محاضرات الادباء (٤/٣٩٤) قول الشاعر :

وقد يأسف المرء من فوت ما لعلّ السلامة من فوته

وقول الشاعر (٤/٤٩٩) :

فلا تجزعن من موته وهو ناشيء ولاينكرنّ هذاكمن جرّب الدهرا
فكل طويل المجد يقصر عمره كذاك سباع الطير أقصرها عمرا

وقول الشاعر (٣/٢٨٧) :

لاتجزعنّ من الهزال فطالما ذُبِح السمين وعُوفي المهزول

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٩٦١) :

بكت دارهم من فقدهم فتهللت دموعي فأيّ الجازعين ألومُ

وجاء فيه قول أبي الطمحان القيني :

وقبل غد يا لهف نفسي على غد   اذا راح أصحابي ولست برائحِ

قال المرزوقي (١٢٦٦) : (يُروى يالهف نفسي من غدٍ .. وهو أتلهف من غد) . و (من) في كل ذلك (للتعليل) كما هو شأنها . قال صاحب المغني (٢/١٤) في معاني (من) : (الرابع التعليل) . ومما مثل له قول الفرزدق في مدح علي بن الحسين بن عليّ كرّم الله وجوههم :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته   فلا يكلَّم إلا حين يبتسم

ومثال آخر : تقول على الاصل (حسدت فلانا على نعمته وفضله) ولكنك تقول الى ذلك (حسدت فلانا لنعمته وفضله) . فقد جاء في محاضرات الادباء قول الشاعر :

لاينزع الله عنهم ماله حسدوا

أي ما حسدوا من أجله أو بسببه ، وهو ما حُسدوا عليه .. وفي المحاضرات (المحسود لفضله) أي من أجل فضله ، وهو المحسود عليه .

هذا وأنت تقول (جزع فيه وبه) كما تقول (صبر فيه وبه) . قال المتنبي :

أجد الحزن فيك حفظاً وعقلا   وأراه في الخلق وعراً وجهلا

وجاء في شرح ديوان المتنبي المنسوب لأبي البقاء العكبري (٣/١٢٤): (قال الواحدي المراد بالعقل الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل انما يحزن بالميت اعتباراً به ، وعلماً أنه عن قريب يتبعه . وحُزنُ غير العاقل انما يكون خوفا من الموت ، وهو جهل لانه ميت لا محالة وإن حَزن) . وقال أبو

البقاء : (والمعنى إنما تحزن على من تُصاب به ممن أحبَّك ، حفظاً لذمتهم ورعاية لخدمتهم وانصافاً وعقلا ووفاء وكرماً ، وأراه في غيرك خوفاً وجزعاً وجهلا) . ومما جاء في تعدية (جزع وحزن) ، قول المرزوقي (٨٠٤) : (وإنهاء مايقاسونه من الجزع فيهم) وقوله : (أو أحـزن في إثر فائت أو أجزع بتولي مُدبر) . وقوله :(وقوله أولئك لو جزعت لهم لكانوا ... إقرار بأنه لم يوفِّ الجزع فيهم حقه) .

وحكى الراغب في المحاضرات (٤/٥٠٧) عن خالد بن صفوان قوله (صبرك في مصيبتك أحمدُ من جزعك ، وجزعك في مصيبة أخيك أحمدُ من صبرك) .

وقال المرزوقي (٨١٧) : (فيشقى بالجزع له وفيه) .

ولك أن تقول (حزنت إثر فائت) كما تقول : (في إثر فائت) لانه على الظرفية ، قال شاعر من كلب : فآليت آسى بعدهم إثرَ هالك .

قال المرزوقي (١٠٧٦) : (وقوله فآليت آسى بعدهم يريد حلفت لا آسى بعدهم في إثر هالك ، فحذف لا،ولم يَخَف التباسه بالواجب[1] .. والمعنى أن خوفي كان فيهم ، وإذ قد أصبت بهم فإني لا أجزع لفائت .. وقوله اثرَ هالك .. انتصب على الظرف) . وانظر الى قـول هشام بن عقبة العدوي :

فلم تُنسني أوفى المصيباتُ بعده ولكن نَكْءَ القرح بالقرح أوجع

قال المرزوقي (٧٩٥) : (ونبَّه بهذا الكلام على أن الجزع بأوفى ، لمْ يُزل ما تعقبّه من المصيبات ، ولكنه زاده اشتداداً) ، وأردف : (فالهلع بموت أوفى وقد أُمِـدَّ بمصاب آخر يكون أتمّ وأكمل) .

---

(١) الواجب خلاف المنفي .

ويتحصل من كل ذلك أنك تقول أسفت على فلان اذا حزنت عليه أو غضبت ، وأسفت على أمر أو شيء اذا تلهّفت أو تحسرت أو ندمت عليه • وأسفت لفلان اذا حزنت له أو غضبت،وأسفت لأمر اذا أسفت لأجله،وأسفت مما جرى أي بسببه •

هذا وغريب ألاّ يعرض أحد من النقاد للفرق بين قولك (أسفت للرجل) و (أسفت عليه) بعد أن ثبت له صحة القولين على وجه من الوجوه، وغريب ،الى هذا، أن يقول الاستاذ العدناني:(وانفرد المعجم الوسيط بقوله: أسف له تألّم ونَدِم،دون أن يذكر المعجم أن مجمع القاهرة وافق على ذلك•• ثم أصدر المجمع نفسه الجزء الاول من المعجم الكبير وقال فيه : أسف له أسفا وأسافة تألم وندم واستشهد بقول مهيار : أسفت لحلمٍ ••، ونحن لانستطيع الاعتماد على قول شاعر الحمامة :

فيا عجبا من آسف لامرىء ثوى وما هو للمقتول ظلماً بآسف

لان الضرورة الشعرية قد تكون السبب في الاتيان باللام بعد آسف ، بدلا من على، ولكنا نعتمد على قول المعجم الكبير وأبي علي القالي)•

ذلك أن الجواب عما جاء من وجهين • الاول أن في نص المعجم الكبير (أسف له : تألم وندم) إجمالا يوجب اللبس • وهو معجم حديث أحق بالتبيين وأخلق بالتوضيح • فإذا قلت (أسف للرجل : تألم) فهو سائغ : أو قلت : (أسف لما فرط منه : ندم) فهو صحيح أيضا • أما الجمع بينهما في إجمال قوله (أسف له : تألم وندم) ففيه نظر • اذ لايصح أن يكون أسفك لرجل ، أو لفقد شيء ، ندماً •

والثاني : أن قولك : (أسف له) عربي فصيح على كل حال • وليس هو في حاجة الى مجمع يُقرّ صوابه ويؤكّد صحته • ولسنا نفتقر في مثل

هذا الى التوقف لاتباع المسموع ،فاستعمال (اللام) فيه قياس منقاد لاشأن فيه للسماع كما أسلفنا • فأسفت له كتأسفت له وحزنت له وغضبت وجزعت له وأسيت له وصبرت له واصطبرت له وتوجعت له •• كله جائز، جار على القياس • وليس في سكوت معاجمنا عنه ، على ما ألفته ودرجت عليه ، إغفال أو إهمال • بل الاغفال أن يقال (أسفت للرجل وعليه) ولا يشار الى فرق ما بينهما ، كما أوضحناه • وقد أردف الاستاذ العدناني : (ونعتمد أيضا على رأي ابن جنّي الذي أفرد بحثاً رائعا في الخصائص عن استعمال الحروف بعضها مكان بعض • ويجيز لنا أن نقول : أسف عليه وأسف له ، راجع مادتي ، لايخفى على القراء ، وأعتقد ، في هذا المعجم)•

أقول لا أظن بين قولنا (أسفت عليه وأسفت له) وما عقده ابن جني من الكلام على استعمال الحروف بعضها مكان بعض في الخصائص (٢/٣٠٦ ــ٣١٥) نسباً أو صلة أو لحمة • فالباب الذي جاء به ابن جني وبسط القول فيه قد قصره على ما أسموه بحمل الكلام على المعنى أو التضمين • وليس ما أتينا به هاهنا ، في شيء من هذا القبيل • ذلك أن كلامنا في صحة (أسف له) وفي معناه ، اجراء لما عليه (اللام) في كتب النحو ، وانفاذ لما خُصَّت به ووُضعت له باستقراء كلام العرب ، على ما هو مفصَّل في المظان •

(٥)

ويتعاقب (على) و (اللام) فيكون لكل وجهته ودلالته • تقول حفظت الشيء له وحفظته عليه • أما الاول فمعناه أنك أثبتّ الشيء له وأبقيته على حاله • وأما الثاني فعلى معنى أمسكته وأبقيته عليه بالتفقد والحراسة والتعهد والرعاية، دون أذى من تلف أو هلاك أو فوت أو ضياع • فاذا

أردت أن تذكر ما يمكن أن يفسد عليك هذا الحفظ عدّيت بـ (عن) فقلت حفظته عن الابتذال ، متى كنت تحاول أن تبعده عنه . قال صاحب المصباح (صنته عن الابتذال) ، وقال المرزوقي (٥٣٧) : (وحفظتها عن التبذل). ولك أن تحلّ (من) محل (عن) ، متى كنت تبغي أن تقي الشيء من أذى أو تمنعه من شر ، على حد قوله تعالى : (وحفظناها مـن كل شيطان ـ الحجر / ١٧) .

وغريب ، على هذا ، أن يمنع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) : (حفظ له الشيء) ويوجب مكانه (حفظ عليه الشيء) . وقد عاب على الشيخ رؤوف جمال الدين قوله (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) ، فقال : (والفصيح بل الصواب محفوظة على المؤلف . يقال حفظ فلان عليه الشيء حفظاً ، فالشيء محفوظ عليه) . واستظهر بكثير من كلام الأئمة شعراً ونثراً .

وأنت تعلم أنه اذا ثبت لك بالبيّنة المقنعة صواب قولك (حفظ عليه الشيءَ) فكنت منه على بيّنة ، فقد تتناصر الادلة الواضحة أيضا على سداد قولك (حفظ له الشيءَ)فتكون منه على يقين جازم ، ولكل وجهة ودلالة . ولايمنع ثبات الاول واستفاضته ، جودة الثاني واستقامته . فقولك (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) معناه أن حقوق الطبع ثابتة له . فالحفظ جارٍ في ثبات الشيء وإثباته . قال أبو حيان التوحيدي في مقابساته (الحفظ ثبات صور المعقولات والمحسوسات في النفس) ، وقال الجرجاني في تعريفاته : (الحفظ ضبط الصور المدركة) .

قال صاحب اللسان : (ويقال استحفظت فلاناً مالا اذا سألته أن يحفظه لك) . وجاء في نهج البلاغة (١١/٣) : (واحفظ لله ما استحفظك من حقه

فيهم ، واجعل له قسماً من بيت مالك) • فاتفقت تعدية (حفظ) فيهما باللام• وقال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٥٧) : (وحفظ لها وعليها مياهها وبلادها ومراعيها ، فعدّى باللام وعلى ، ودلّ بهذا أن لكل وجهته ودلالته • وقال مسكين الدارميّ على ما حكاه صاحب المحاضرات (٣/٢٣٢) :

فإني سأ ُخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

واستعمال اللام في كل ذلك قياس منقاد لا حاجة به الى حجة من سماع أو دليل من نص • قال الشيخ نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس (ومـُودِع بالضم اسم فاعل من أودعه الشيء جعله عنده وديعة يحفظه له) ، أفكنت تحتاج الى سماع يقرّ قولك (حفظت له الوديعة)، أو اجتهاد يسيغ لك ماينتجه القياس ؟ أفليس من القياس أن تقول حين تحفظ شيئاً من أجل صاحبك (حفظت له الشيء) ؟ وانظر الى قول ابن الاثير في النهاية (يريد أن القراءة التي تجهر بها •• يكتبها الملكان ، واذا قرأتها في نفسك لم يكتباها ، والله يحفظها لك ولا ينساها ، ليجازيك عليها) • وقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى (فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله ــ المائدة/٣٣) : (فسهّله له ووسّعه ، من طاع له الموقع اذا اتسع •••، وله ، لزيادة الربط ، كقولك : حفظت لزيد ماله) !

ومن العجب أن يُقر جواد استعمال (اللام) مع (حفظ) في صورة مجازية واحدة ، وينكر ماعداها ، فقد ارتضى قول القائل (أحسنتُ الى فلان فحفظ لي ذلك) أي ذَكَرَه • أفليس هذا مبنياً على معنى الاثبات والضبط للفعل أصلا • تقول (حفظت لك العهد) اذا أثبته بالبرّ والوفاء• قال صاحب المفردات : (الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما

يؤدي اليه الفهم ، وتارة لضبط النفس ، ويضاده النسيان • وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال : حفظت كذا حفظاً ثم يستعمل في كل تفقد وتعهّد ورعاية) • فما بال الاستاذ يسيغ هذا الذي ذكره من حفظ الصنيع لفاعله ، وينكر حفظ الحق لصاحبه ؟ والذي يحدث اليقين بما قلناه أن استعمال اللام في ذلك مقيس مطرد • وإنما نسوق الشاهد ونبتغي الدليل ليسلكنا الى القناعة والارتياح •

أما قولك (حفظت عليه الشيء) فيعني أنك أمسكت الشيء وحبسته وأبقيته دون فوت أو ضياع أو هلاك ، وهذا يؤدّيك أن تأخذه بالتفقد والحراسة والتعهّد والرعاية • ففي اللسان (وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعْملون من خير أو شر) أي أمسكه عن الضياع والنسيان فأحصاه ، عليهم • قال صاحب اللسان : (الحفظة الذين يحفظون الاعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة) •

ومن شواهد الاستاذ جواد ماجاء في نهج البلاغة(٣/٢١٧): (وسأله رجل أن يعرّف الايمان ، فقال عليه السلام : اذا كان الغد فَأْتِني حتى أخبرك على أسماع الناس — فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإن الكلام كالشاردة ينقفها هذا — أي يصيبها — ويُخطئها هذا) • وهو على المعنى الذي ذكرناه ، فإذا حضر الناس مقالة علي — ع — في تعريف الايمان ، أمسكوها أن تضيع أو تذهب على السائل ، فذكروها له اذا نسيها أو أخطأها • ومن ذلك قول زين العابدين علي بن الحسين —ع—: (اللهم احفظ عليّ سمعي وبصري الى انتهاء أجلي) أي أبقهما عليّ وأمسكهما عن الذهاب • ومنه ماجاء في الحديث (مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك) فإنه على

معنى أنا أمسك عليك صلاة الفجر من أن تفوت •

هذا وقد جاء في نهج البلاغة (١/١١٧) : (حافظاً على عهدك ماضياً على انفاذ أمرك) فدلّ هذا على جواز قولك (حفظت على الشيء) اذا حافظت عليه ، ولم أره في معجم •

وجاء في التنزيل (وربُّك على كل شيء حفيظ ــ سبأ / ٢١) ، فقال الزمخشري في تفسيره : (مُحافظٌ عليه ، فعيل ومفاعل متآخيان) ، فهو لم يحمل الآية على قولهم (حفظ على الشيء) ، بل قدّر حفيظاً الدالّ على كثرة الحفظ ، لانه فعيل للمبالغة من فعل متعدّ ، كمحافظ الدالّ على موالاة الحفظ والمواظبة عليه ، فتآخيا ، فجاء حفيظ على الشيء كمحافظ عليه • وهكذا جعل (حسيباً) في قوله تعالى (إن الله كان على كل شيء حسيباً ــ النساء / ٨٥) على تقدير : يحاسبكم على كل شيء • وفعيل هنا إما لايقاع الحدث صيغة مبالغة ، وإما للثبوت قد أشرب معنى الصفة المشبَّهة • وجاء في اللسان : (يقال فلان حفيظنا عليكم ، وحافظنا) فيكون الحفيظ هاهنا مبالغة أنزلت منزلة الصفة المشبهة على جهة الثبوت ، و (عليكم) متعلق بمستقر محذوف • وعلى ذلك قوله تعالى (الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل ــ الشورى/٦)•وهكذا جاء (حافظ) في قوله تعالى (وإنّ عليكم لحافظين ــ الانفطار / ١٠) ، فإنه على معنى : ان عليهم من يحفظ أعمالهم ، كما جاء في البحر المحيط• وجاء (حافظه) كـ (حفظه) أيضا • قال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٨٥) : « فلم يراعوا ذمة ولم يحافظوا حرمة » ، وقال (٧٤٠) : « واذا حافظنا الحقوق وراعينا الوسائل » ، ولم أره في معجم • وقد ذهب

الشنتمري في (حافظه) الى أنه على حذف الجار ، على ما جاء في شرح شواهد الكتاب (١/٩٧) •

* * *

ونحو من ذلك قولك (وفّرت له الشيء بالتشديد اذا أتممته ولم تنقصه ، فتوفر هو اذا تحصَّل دون نقص) وهو كقولك (وفرته بالتخفيف ، اذا أكملته ولم تنقصه ، فاتّفر هو أوفر) •

فمن النقاد من قصر (توفر) على صورة مجازية واحدة جاء بها الصحاح والتهذيب واللسان والمصباح والتاج والاساس • قال الزمخشري: (ومن المجاز ••• توفر على صاحبه اذا رعى حرماته ، وتوفّر على كذا كان مصروف الهمة اليه) ، فوقفوا عند هذا النص ، ولم يجاوزوه، فأنكروا ماعداه ، كما فعل الاستاذ أسعد داغر في تذكرة الكاتب ، والاستاذ محمد العدناني في معجمه • قال العدناني : (ويقولون توفر الذكاء والاجتهاد، والصواب وفر أو توافر أي كثر ، لأن معنى توفر عليه رعى حرماته وبرّه وصرف همّته إليه ، مجاز) •

وقد أثبت الدكتور مصطفى جواد في كتابيه (دراسات في النحو والصرف ••) و (قل ولا تقل) : (توفر) كـ (وفر) لازما • وذكر في شواهده قول بشّار فيما حكاه صاحب الاغاني (٢/١٤٥) : (إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل ، بما ينظر اليه من الاشياء ، فيتوفر حسّه) • وقول المرتضى في أماليه (١/٥٦) : (فيتوفر اللّبن على الحلب) • وكلاهما شاهد بصحة (توفّر الشيء) اذا وفر وتجمّع • وينزع منزع هذا قول أبي حيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر ١/١٧٠) : (يقال من أكثر الخيرَ سار به ذكره وتوفر عليه أجره) ،وقول

أبي علي المرزوقي في شرح الحماسة (٧٩٠) : (توفَّرت عليه الرحمة) وقوله (وإن العناية متوفرة من جهتهم) .

واذا استسرفتَ مقالة داغر والعدناني في إنكار (توفر الشيء) فلا تملك الا استغراب مقالة جواد في إثبات (توفر عليه الشيء) دون (توفَّر له الشيء) كما فعل في (حفظ) !

فقد اقتصرت المعاجم على القول (توفَّر على صاحبه اذا رعى حرماته ...) لكنها ذكرت أنه مجاز . ولكل مجاز أصل فاذا التمست هذا الاصل استبان أنهم يقولون (وفَّرني فلان على كذا) اذا وفَّر عليه جهده توفيراً ، فصرف همته اليه . قال المرزوقي (١٣٢٠): (ولم توفِّروني على ما أهمّ به) . فاذا قلت (توفرت على صاحبي) عنيت أنك وفَّرت نفسك على ما تستقيم به أموره . وهذا ما قصدت اليه المعاجم حين تناقلت نصها (ومن المجاز : توفر على صاحبه .. وتوفَّر على الشيء ..) . وهكذا جعلوا (التوفّر) بالمجاز مرادفاً للعناية بالامر والانصراف اليه، والاهتمام بالانسان وتفقده وحسن رعايته ، كما أورده المرزوقي في غير موضع من كلامه ، كقوله (لحسن توفرنا عليه واحتفالنا بسوق الخير اليه / ١٢١) ، وقوله (وإن التوفر على الضيف وإكرامه .. من الخصال المحمودة / ٧٠٠) .

أما مقالة جواد في إثبات (توفر عليه) وإنكاره (توفَّر له) فقول مدفوع ، لا يقوم عليه دليل ، ولا يتجه فيه عذر . فليست شواهده في صحة (توفر عليه) وإن كثرت وتعددت وتناصرت ، سنداً له أو ظهيراً في حظر (توفر له) وهو القياس المنقاد ، لا ينكسر ولا ينتقض . فإذا جئت بقول صاحب المصباح (وفَّرت له الطعام توفيراً) أفلا تقول في إثره

(فتوفر له الطعام) • فانظر الى قول أبي حيَّان التوحيدي في مقابساته (٢٣٨) : (ولهذا لاتتوفر القوتان للانسان الواحد) ، وقول المرزوقي (١٥٠٧) : (خبِّروني أي العادتين أقرب الى الكرم وأجرى في وفاء الشيم ، أعادة من يستنزل الاضياف عن أموالهم وينقص ما توفَّر لهم، أم عادة من يزيدهم ويثمِّر حظوظهم ؟) •

ومن أعمل الفكر اتضح له فارق التعدية بين الحرفين • فاذا قلت (توفَّر له المال) فقد أردت تجمعه في يديه وصيرورته الى ملكه وحوزته، واذا قلت(توفَّر عليه المالُ)فقد لحظت الى تجمع المال ضفوَّه وسبوغه عليه•

هذا وقد اتفق (توفَّر) في كلام المرزوقي بمعنى ، لم أرَ به نصاً• فقد قال(٢١٨) : (قضيته الدينَ فاقتضاه أي قبله وتوفَّره) فجاء توفره متعدياً كاستوفاه واستوفره ، وقد أورده،كما رأيت،موردالنص•

(٦)

وتتعاقب (الى) واللام على الموضع ، وكل على ما هو له • وليس استعمال أحدهما بمانع من استعمال صاحبه ، فأنت تقول (أرسلته اليه وله ، ودفعته اليه وله ••) وهكذا • قال العدناني في معجمه (ويقولون أرسل له مالاً ، والصواب : أرسل إليه مالاً ، وجاء في الآية ــ ٧٣ ــ من سورة المائدة : وأرسلنا اليهم رسلاً) وليس في استدلاله حجة قاطعة أو بيِّنة ملزمة !

فـ (الى) لانتهاء الغاية ، واللام للاختصاص • وكل فعل احتاج في تصرفه الى هذين واتسعت دلالته لهما ، صحَّ أن يوصل بهما • فاذا قلت (أرسلت المال اليه) فقد قصدت الافصاح عمن كان الارسال منتهياً اليه • ومتى قلت (أرسلت له مالا) فأنت تروم أن تبين عمن كان الارسال له

دون سواه ، وذلك على حدّ قول القائل (أدوم لك ما تدوم لي) كما مثّلوا لمعنى اللام فيما مثّلوا . هذا هو الاصل . وقد يكون المرسل لـه هو المرسل إليـه كأنْ تقول (كَتَب فلانٌ إليَّ في حاجةٍ ، فأرسلت له المال لتداركها) ، فيُغْني قولك (له) مُغْنى قولك (إليه) ولو تغايرا في الاصل ، وقد يكون المرسل له غير المرسل اليه ، فتقول : (أرسلت لإخوتي المال ، الى مصرف البلدة) فقد أرسلت بالمال (الى مصرف البلدة) ، ولكن (لإخوتك) دون سواهم .

واذا كان قد جاء في التنزيل (وأرسلنا اليهم رسلاً ـ المائدة/٧٣) وهو ما استظهر به العدناني ، ومثله كثير ، فقد جاء فيه أيضاً (أرسلنا للناس رسولاً ـ النساء ٧٨) . وقد أوّله المفسرون على وجهين : الاول تعليق الجار والمجرور بالفعل ونصب ـ رسولاً ـ على الحالية . والثاني تعليقهما بالحال نفسها . قال الامام العكبري في إعرابه (وللنّاس تتعلق بأرسلنا ، ويجوز أن يكون حالا من رسول) . فهم لم يستبعدوا تعلق (للناس) بـ (أرسلنا) . وصح بهذا تعدية (أرسل) باللام . وبعث، في هذا ، كأرسل . قال تعالى (إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا مَلَكاً نقاتلْ في سبيل الله ـ البقرة / ٢٤٦) . وقال عز وجلّ (قال لهم نبيُّهم ان الله قد بعث لكم طالوت مَلَكاً / ٢٤٧) . وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣١) : (ثم بعثت للرجل بألف دينار) . وقال الفرزدق :

بعثت له دهماءَ ليست بلقحة تدرّ اذا ما هبَّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) :(ليست بلقحة أي ليست هي بناقة وانما هي قِدرٌ تدرّ مَرَقَها عقيم الرياح بالنحس ، ويعني بها الدبّور لأنها لا تُلقح) .

وقال صاحب الكليات أبو البقاء في الفرق بين ارسال الرسل وبعثهم (وفي إرسال الرسول تكليف دون بعثه) ، وأردف : (وكفاك شاهدا قوله عليه الصلاة والسلام : بعثت الى الناس عامة ، لا مُرسلا اليهم كافة ، لأن تبليغ الرسالة الى أطراف العالم من أصناف الامم خارج عن الوسع) • وقال : (قال الله تعالى أرسلناك للناس ولم يقل الى الناس) • وفحوى هذا أن الرسول قد بعث الى الناس جميعاً ، لكنه لم يرسل اليهم كافة ، أي لم يكلَّف تبليغ الرسالة اليهم جميعاً ، على أنه أرسل للناس أي للعالمين جميعا ، لا لقوم دون آخر • وفي هذا تفريق بين استعمال الارسال باللام و الى ، وتوثيق لاستعماله بهما جميعا •

وقد استدرك أبو البقاء فقال (وأما قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً ، فهو باعتبار تضمين البعث) • قال الامام البيضاوي في تفسير الآية (الاعراف / ٥٧) : (الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً الى كافة الثقلين ، وسائر الرسل الى أقوامهم) وقد تعاقب (الارسال) و (البعث) على معنى في موضع آخر من التنزيل • قال أبو البقاء (وما أرسلنا في قرية ، وكذلك أرسلنا في أمّة ، لِما أن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للارسال • وعلى هذا جاء بعث في قوله تعالى : ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ــ الفرقان / ٥١) •

وأنت تقول (دفعت اليه المال) ، اذ جاء في التنزيل (فادفعوا إليهم أموالهم) و (فاذا دفعتم إليهم أموالهم ــ النساء / ٥) • لكنك تقول كذلك (دفعت له المال) • ففي محاضرات الادباء للإمام الراغب (ادفع لي ثمن الاغنام التي ابتعتها مني ٢٣١)•

وتقول (أَسلَتُ إليه الماءَ) و (أَسلَته له) • ففي نهج البلاغة

(٢/١٧٩) : (فانظروا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت اهم جداول نعيمها) ، فقد رام الاشارة الى أن الاسالة انما كانت لهم •

وتقول (صرف فلان الى كذا) ، لكنك تقول (صرفته لكذا) • ففي نهج البلاغة (٣/٥٤) : (وأوتيت خيراً منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك) ، لا لما هو شر لك •

وتقول (أطلقت إليك هذا) ، ولك أن تقول (أطلقته لك) • ففي نهج البلاغة (٣/٣٨) : (وهذه حجتي الى غيرك قصدها • ولكن أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها) •

وتقول (صاروا الى كذا) أي آلوا اليه ، لكنك تقول (صار المال لك) اذا امتلكته • ففي نهج البلاغة : (وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقوم آخرين) • وعلى هذا قول أبي الابيض العبسي :

وذي أمل يرجو تراثي وإن ما   يصير له مني غداً لقليل

قال صاحب الكليات أبو البقاء حول تعدية (هدى) : (ثم ان فعل الهداية متى عُدّي بإلى تضمن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية ، ومتى عدّي باللام تضمّن التخصيص بالشيء المطلوب ،فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعين) • ومن ثمّ أوضح بعض الأئمة أن الهداية إنما تكون للدين والإيمان والتي هي أقوم ، لأنها هي الغرض والهدف والغاية القصوى التي تتوخى على وجه التخصيص والتعيين ، وتكون الى الطريق والى الصراط لأنهما السبيل التي يتوجه إليها في طلب تلك الغاية المرتجاة •

على أن هناك قياساً آخر لاينكسر:ذلك أنه كلما أردت أن تذكر سبب

وقوع الفعل وعلته كان لك أن تعديه الى السبب والعلّة باللام ، ولو كانت تعديته في الاصل بـ (الى) • فأنت تقول (قدت فلانا الى السوق) ، ولكنك تقول (قدته لابتياع الثياب) ،على حـد" ما أتى به الراغب في محاضـرات الادباء (٢٢١) ، قال : (لما رأت زوجها يُقاد للقتل ••) •

وتقول (ساقني الى النار) ، لكنك تعد"يه باللام ، على غرار قول الحريري في مقاماته (١٩) : (ساقني لوصاله) • وكذا القول في (أرسل)، ففي نهج البلاغة (وأرسله لإنفاذ أمره) •

وقد عرض الاستاذ محمد العدناني لهذا فذهب فيه مذهباً آخر • قال : (ويخطّئون من يقول دعاه للنزول ، ويقولون ان الصواب هو : دعاه الى النزول ، اعتماداً على ماجاء في الآية ــ ٤٦ ــ من سورة الاحزاب: داعياً الى الله بإذنه ، واعتماداً على ماجاء في الحديث : لو دُعيت الى ما دعي اليه يوسف عليه السلام لأجبت،يريد حين دُعي للخروج من الحبس)، وأردف قائلا : (هذا هو رأي المعاجم • أما النحاة فإنهم استشهدوا بقوله: تعالى في الآية ــ ٥ ــ من سورة الزلزال : فان ربك أوحى لها ، أي أوحى إليها • ومع أن الفعل ــ أوحى ــ جاء ماضياً أو مضارعاً / ٦٥ / مرة ، متلواً بحرف الجر ــ الى ــ ولم يأت باللام الا" مرة واحدة) • أقول لا شأن للمعاجم ، فيما أجمعت كتب النحو على القطع به • فقولك (دعاه للنزول) صحيح مستقيم ، واللام فيه للتعليل • والاستاذ قد حكى كلام ابن الاثير في تفسير الحديث ، ولم يعلق على موضع ماجاء فيه•قال ابن الاثير في النهاية : (يريد حين دُعي للخروج من الحبس) • وفي قوله (دُعـي للخروج) تعدية للفعل باللام ، واللام فيه للتعليل • فصحة قولك (دعاه للنزول) كصحة قول ابن الاثير (دُعي للخروج) ، وماجاء في نهج البلاغة

(دُعوا للجهاد) . ولا مكان لنقل المعاجم فيما نحن بسبيله . بل لا وجه لقياس (دعاه للنزول) بقوله تعالى (داعياً الى الله بإذنه) أو بقوله (بأنّ ربك أوحى لها) أو بالحديث (لو دعيت الى ما دُعيَ اليه يوسف عليه السلام لأجبت) ، بل لا صلة له بنيابة حرف مناب حرف .

وقد ختم الاستاذ العدناني كلامه فقال : (وأنا أوثر مع ذلك كله وضع حروف الجرّ ، كما وردت في المعاجم ، مراعاة للدقة ، دون أن أخطّىء من ينيب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى) . أقول متى كانت تعدية الفعل قياسا رُدّت الى أصول النحو ، فإذا تعلقت بالسماع عُزيت الى نص المعاجم . ولا قياس في نيابة حرف مناب حرف ، ولو لم يلتبس معناه . هذا هو الاصل . وقد جاء في حاشية الصبان (٣/٣٧) : (إعلم أن مذهب البصريين أن حروف الجر لاينوب بعضها عن بعض قياساً ، كما لاتنوب حروف الجزم والنصب عن بعض . وما أوهم ذلك محمول على نحو تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، أو على شذوذ النيابة) . فاستعمال اللام في (دُعي للخروج) و (دُعوا للجهاد) و (دعاه للنزول) قياس لا شأن فيه للسماع ، ولو صحّ في مكانها وأغنى مُغناها (الى) ، فكل على بابه وتقديره .

فانظر الى قول أبي الحسن الشهير بالقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة / ٣٤٦) : (ودعا لكذا أي من أجله . فقال أبو الطيب يقال دعا للقتال وللخير والشر ولما به ، أي اليه ومن أجله . قال طَرَفة :

إن أُدعَ للجلّى أكن من حماتها وإن يأتك الاعداء بالجهد أجهد)

فقد فسّر (دعا له) بـ (دعا من أجله) ، ثم قال : (أي اليه ومن أجله) . فشاكل بينهما . وعندي أنه فعل ذلك لان أحدهما يغني عن الآخر

فأنت إن دعوت فلانا الى القتال فإنما تدعوه ليقاتل ، فاذا دعوته الى الجهاد فانما تدعوه ليجاهد أيضا . لذلك سدّ أحدهما مسدّ الآخر فناب قولُك دعوته الى الجهاد والقتال مناب قولك دعوته للجهاد والقتال ، وصحّ العكس .

أما قول الشاعر (وإن أدعَ للجلّى) أي للامر العظيم فإنه يماثل على حد ماذكرنا (وان أدعَ الى الجُلّى) ذلك أن من يدعى لأمر أو يرغب أن يدعى له ، فإنما يُدعى ليتخذ له من الامر موقعاً وبه شأنا . وكذلك من يدعى الى الامر،فانما يُدعى اليه توقعاً لهذا،وإلا ففيم كانت دعوته اليه أو رغبته في ذلك ؟ قال الجوهري بعد أن أورد بيت طرفة ، وقال آخر:

وإن دعوت الى جُلّى ومكرمةٍ قوماً كراماً مــن الاقوام فادعينا

وقد جاء في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ــ الانفال/٢٤). فمن الأئمة من علّق (لما يحييكم) باستجيبوا ، ومنهم من علقه بدعاكم. قال أبو حيان في البحر المحيط (والظاهر تعلــق ــ لما ــ بقوله دعاكم . فاذا صحّ هذا كان موضع اللام فيه كموضعها في (إن أُدعَ للجُلّى) وقد استشهد به أبو حيان كما مثل بقول القائل (دعوت لما نابني مسوّراً). هذا وقد ذهب بعض الأئمة بعدما رأيت من تماثل (الى) و (اللام) وتقاربهما فيما يؤديانه وإغناء أحدهما عن الآخر ، الى تعاقب الحرفين على معنى . فقال الزمخشري في الكشاف حول تفسير قوله تعالى (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ــ المؤمن / ٤١) : (يقال دعاه الى كذا، ودعاه له ، كما تقول هداه الى الطريق وهداه له) .

وقال أبو حيان في البحر المحيط حول تفسير قوله تعالى (يا أيهــا

الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ـ الانفال/٢٤)
(ودعا يتعدّى باللّام •• وقيل اللام بمعنى الى) • وقال صاحب المصباح
(عاد الى كذا ، وعاد له أيضاً) ولم يفرق • وجاء في تفسير القرطبي حول
قوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا ـ المجادلة / ٣) : (وقال الاخفش لمّا
قالوا والى ما قالوا واحد ، واللام والى يتعاقبان ، قال الحمد لله الذي
هدانا لهذا ، وقال : فاهدوهم الى صراط الجحيم ، وقال : بأن ربك أوحى
لها ، وقال : وأوحي الى نوح) • وجاء في اللسان حول قوله تعالى (ثم
يعودون لما قالوا) : (قال الفراء يصلح فيها في العربية ثم يعودون الى
ماقالوا) • وفي الكشاف (أوحى لها بمعنى أوحى اليها) • وفي اللسان
(قال الزجّاج في قوله تعالى : قل الله يهدي للحق ، يقال هديت للحق
وهديت الى الحق بمعنى واحد ••) وليس هذا وحسب بل استرسل
بعضهم فاعتقد أن تعاقب هذين الحرفين قياس • قال الامام أحمد بن عبد
النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني) : (الموضع
الخامس أن تكون ـ أي اللام ـ بمعنى الى ، وذلك قياس • لان الى
يقرب معناها من اللام وكذلك لفظها • ألا ترى الى قوله تعالى : وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا ـ الاعراف /٤٣ ـ وهدى يتعدّى بإلى ،
كماقال: وهديناهم الى صراطمستقيم ـ الانعام / ٨٧ • فالهداية في المعنى
أوصلت المهديّ الى الصراط المستقيم • والوصلة موجودة في معنى ـ
الى واللام • وهي موجودة فيهما حيثما كانا ، وإن كان بينهما فرق من
حيث إن ـ الى ـ لانتهاء الغاية ، واللام عارية عنها • فاللام أقرب الحروف
لفظاً ومعنى الى ـ الى ـ من غيرها • فلذلك قلنا ان دخول كل واحدة
منهما في موضع الأخرى • ألا ترى الى قوله تعالى : فادفعوا اليهم أموالهم

ـ النساء / ٦ ، وادفعوا لهم : يتقاربان • فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز ، كما ذكر • ومنه قوله تعالى : وأوحى ربك الى النحل ـ النحل / ٦٨ ـ وقال في موضع آخر : بأن ربك أوحى لها ـ الزلزال/٥)•

أقول الاصل هو التفريق في الاداء بين اللام والى • واذا كان بعض الأئمة قد قال بتعاقبهما حينا ، كما فعل الاخفش والزجاج والزمخشري وأبو حيان ، أو ذهب الى تعاقبهما قياساً ، كما فعل الامام المالقي ، فذلك لتقاربهما وتماثلهما في كثير من المواضع •

وقد رأيت كيف يستدرك المالقي فيقول : (وإن كان بينهما فرق من حيث ان ـ الى ـ لانتهاء الغاية واللام عارية عنها) ، ويردف (فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز) • وأنت تعلم أن إغناء أحد الحرفين عن الآخر ، لايعني أنهما على معنى • فجواز تعدية الفعل بالحرفين شيء واتفاق معناه فيهما شيء آخر • وليس صحيحاً أن هذا الاغناء جائز في كل موضع، فاذا قلنا مثلا : جلست للاستراحة ، فهل يصح أن تقول في معناه : جلست الى الاستراحة ؟ والغالب فيما تراوح فيه الحرفان على موضع أن تقوم اللام محل الى دون العكس •ولا ننس ما قاله أبو البقاء في الكليات (ثم ان فعل الهداية ، متى عُدِّيَ باللام تضمَّن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية • ومتى عُدّيَ باللام تضمَّن التخصيص بالشيء المطلوب) • وأكد هذا ، الامام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ، قل الله يهدي للحق ـ يونس / ٣٥)• قال البيضاوي (وهَدى كما يُعدّى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء ، يُعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية ، وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ، ولذا عُدّي بها ما أسند الى الله تعالى) • والموضع الذي

عـُدّيت فيه الهداية باللام في التنزيل ، هو ما صحّ أن يكون المهدي اليه غاية الهداية حقاً ، كالإيمان ، والتي هي أقوم ، ونور الله ، والحق • وانظر الى ما جاء في الصحاح • قال الجوهري : (الهـُدى : الرشاد والدلالة، يؤنّث ويذكر • يقال : هداه الله للدين هـُدى) فعدّاه الى الدين باللام • ثم قال (وهديته الطريق والبيت هداية أي عرّفته ، هذه لغة أهل الحجاز• وغيرهم يقول : هديته الى الطريق والى الدار ، حكاها الاخفش) • فكلما عـدّى المتكلّم الهـداية باللام فقـدْ أشارَ أن المهـديّ اليه هو غاية الهداية • هذا ولم أقع على من فرّق بين (أوحى اليه) و (أوحى له) في التنزيل • لكن الذي رأيت أن (أوحى) لم تتعـد باللام الاّ في موضع واحد • قال تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها • وأخرجت الارض أثقالها • وقال الانسان مالها • يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ــ الزلزال) أوليس يستفاد أن (الايحاء) هاهنا انما كان للارض على وجه التعيين والتخصيص • فالارض تحدّث أخبارها لإيحاء ربك لها ، أو تحدث أخبارها بتحديثها بأن ربك أوحى لها ، أو تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها ــ على البدل ــ كما فصّل الزمخشري في شرح معنى الآية•

وأحسن ما يُختم به مانحن بسبيله ما قاله أبو البقاء الكفـوي في كلياته : (الفعل المتعدّي بالحروف المتعددة ، لابدّ أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر • وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف • فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق ، نحو : رغبت فيه وعنه، وعدلت اليه وعنه ، وملت اليه وعنه ، وسعيت اليه وبه • وان تقاربت معاني الادوات عسر الفرق نحو : قصدت اليه ولـه ، وهديت الى كذا ولكذا • فالنحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ، وأما فقهاء أهـل

العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره ، فينظرون الى الحرف وما يستدعي من الافعال • وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه) • وأبو البقاء من تعلم ، تبسطاً في العربية واستبحاراً ، وإيغالا في البحث وسعة اطلاع •

(٧)

ولابد هنا من التنبيه على موضع يتصل بما نحن بسبيله • فقد منع الاستاذ العدناني (أرسلت له المال) وجعل صوابه (أرسلت اليه المال)• وقد علمت أنْ لا وجه لمنع تعدية (أرسل) باللام ، وأنه اذا ثبت مجيء النص بتعدية الفعل بحرف ، فلا يلزم منه ألاّ يتعدى بسواه •لكنه يُخشى أن يشهد العدناني بصحة (أرسل اليه المال) هاهنا ، ويعودعنْ هذا كما يبدو ، فيأباه وينكره في موضع آخر • قال العدناني في (بعثهُ وبعثَ به / ٣٩) : (أما اذا كان المرسل شيئا ، فإن الفعل يعدّى اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو برسالة ، لأن الاشياء لا تذهب وحدها بل تذهب مع شخص آخر) قال هذا !! واستظهر بقول صاحب اللسان (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) •

فاذا كان (أرسل) في هذا كـ (بعث) وصحّ ماذهب اليه ، فكيف يسوغ أن يقول (أرسلت اليه المال) ؟ أوليس ينبغي أن يجعل في مكانه (أرسلت اليه بالمال) بإدخال الباء على المفعول ، مادام (المال) مما لايذهب وحده ، على حدّ تعليله ؟

على أن الذي أوجبه العدناني في ادخال الباء على مفعول (بعث) متى كان شيئاً ، غير واجب • وقد اتسع القول في هذا عند الأئمة واتسعت

وجوهه • فالعدناني ليس أول من ذهب هذا المذهب • فقد سبق اليه الحريري في (درّة الغواص) ، فقال : (ويقولون بعثت بغلام وأرسلت اليه هدية فيخطئون ، لان العرب تقول فيما يتصرف بعثته وأرسلته ، وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به) • وقد حذا حذو الحريري صاحب الكليات أبو البقاء •

وأول من أخذ بهذا ونبّه عليه من المتأخرين الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضّياء وجاراه فيه وحاكاه الاب أنستاس ماري الكرملي والشيخ ابراهيم المنذر • وقصد قصدهما الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولا تقل) • وكلهم عاب قول القائل (بعثت أو أرسلت هدية) وأوجب دخول الباء على ما لايتأتى أن يرسل أو يبعث بنفسه •

وميّز صاحب المصباح فأوجب دخول الباء على ما لا ينبعث بنفسه في (بعث) فقال : (وكل شيء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدّى اليه بالباء فيقال بعث به) • وأجاز في (أرسل) تعدية الفعل بنفسه فيما يتصرف أو لا يتصرف بنفسه فقال : (وتراسل القوم أرسل بعضهم الى بعض رسولا أو رسالة) ! ولعل العدناني رام انتحاء هذا المذهب في التفريق بين الفعلين ، فأوجب دخول الباء في مفعول بعث دون أرسل فيما لا يتصرّف بنفسه ؟ لأن ظاهر كلامه مقصور على (بعث) • ولو أنه استعمل ــ الارسال ــ في تعبيره اذ قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يعدّى إليه بالباء) •

وعرض لهذا الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه (نظرات في اللغة والادب) فخالف الحريري وعارض من تابعه وأوضح المقصود يقول ابن منظور (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) ،

فقال : (فالمبعوث به مع غيره شخصا كان أو شيئا تلزمه الباء تقول بعثت إليك بولدي اذا أرسلته مع غيره ، كما تقول بعثت اليك بكتابي • وذلك أن بعث تقتضي مبعوثاً ، فإن كان مرسلا وحده عدّيت الفعلَ اليه بنفسه • وان كان مرسلاً به مع غيره عديته اليه بالباء ، لافرق أن يكون المبعوث شخصا أو شيئا كما رأيت) • وكلامه هذا في معنى قول ابن برّي • قال الخفاجي في الرد على الحريري : (مازعمه الحريري مسنوعاً صرّح ابن جني بجوازه في شرح ديوان المتنبي •• وقال ابن برّي : بعث يقتضي مبعوثاً ومبعوثاً به متصرفا كان أو لا • تقول بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء • وكذا أرسلت يقتضي مرسلا ومرسلا به ، متصرفاً كان أو غير متصرف ، فلا إنكار لما أنكره المصنف) • وقصد بالمصنف الحريري • هذا وقد أضفتُ في قول ابن برّي ـ ومبعوثاً به بعد كلمة ـ مبعوثاً ـ لأن سياق الكلام يقتضيه والمثال يشهد به ، وقد سقط في الأصل •

فابن برّي يرى أن الذي أوجب الباء هاهنا أن الغلام أو الكتاب قد صاحب زيداً ، أو صاحبه زيد •• ، فلهذا لزمه الباء • فالمرسل أو المبعوث متى كان وحده جاز أن يكون مما يتصرّف أو لا يتصرف • فاذا كان الاول لم تدخله الباء ، تقول : بعثت زيداً أو أرسلته •أو كان الثاني جاز دخولها ، تقول : بعثت بالهدية أو أرسلت بها ، وصح عدم دخولها ، تقول : بعثت الهدية أو أرسلتها • أما دخول الباء فعلى تقدير المصاحبة ، وأما اسقاطها فعلى انزال غير المتصرف منزلة المتصرف مجازاً ولو بدا لشيوعه كالاصل ، ذلك أن الاصل أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه •

أما اذا اجتمع في البعث مبعوث ومبعوث به صريحان،واتفق في الارسال

مرسل ومرسل به ، فلا بد أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه ، أما المبعوث به أو المرسل به فيحتمل الامرين،ولا بدّ أن تلحقه الباء فيهما. تقول بعثت زيدا أو أرسلته بغلامي ، وبعثت زيداً أو أرسلته بالهدية .

ولكن ما موقع النصوص مما ذكرنا وبيَّنا ، وما الذي جرت به أقلام الفصحاء ؟

جاء في القاموس (بعثه أرسله) وفي الاساس (بعثه لكذا فانبعث له) وفي مختار الصحاح (بعثه وابتعثه : أرسله فانبعث) ، وليس في واحد منها فرق بين متصرف بنفسه وغير متصرف . وانظر الى قول ابن القوطية في كتابه (الافعال) : (أرسلت الرسول والوصية بعثتهما) وهو صريح بأن المرسل أو المبعوث وحده أياً كان لاتلزمه الباء .

وقال الفرزدق :

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدرّ اذا ماهبَّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) : (بعثت له دهماء يعني بها قِدْراً ... وليست بلقحة أي ليست بناقة) . فعدّى الفعل بنفسه الى الدهماء ، وقد عنى بها القِدر التي لا تتصرف .

وقال المتنبي في بيت له :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام

وقد جعله صاحب الوساطة من مختار شعره ، ولم يعبه عائب أو ينعاه عليه ناعٍ . وقد عيب من أبيات المتنبي :

فآجرك الإله على قليل بعثت الى المسيح به طبيبا

ذلك لإدخال الباء على ضمير المبعوث وحده ، وهو متصرف بنفسه ،

وهذا غير جائز وقيل في الاعتذار له أن المبعوث قد اعتدّ من الهدايا فجاز لهذا دخول الباء ، ويشهد له ما بعده :

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها أديبا

وفي محاضرات الادباء ، قال ابن قيس (٣/١٧٩) :

ولما أبى أرسلت فضلة ثوبه إليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

ومن كلام الفصحاء قول ابن جني في مقدمة كتابه (المحتسب) : (كتابك المنزّل على لسان أمينك ، المرسل الى جنان صفيّك خاتم الرسل) فقد قال (كتابك المنزل .. المرسل ..) ولم يقل (المرسل به) .

وجاء في محاضرات الادباء (٤/٧١٨) : (قال ميمون بن مهران : ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به ، فبعث الي سبعة آلاف دينار ، وقال: ادّخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ، مادمت حيا) .

وفي كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحق الحصري القيرواني (٢/١٣٢) : (قال أحمد بن يوسف : وقد بعثت الى أمير المؤمنين طبقَ جَزْع فيه ميل ، فلما قرأ المأمون الرقعة قال : أجاءت هدية أحمد بن يوسف ؟) .

وقد رأيت أن ما أتينا به من النصوص والنقول يقوّي في النفس ما ذهبنا اليه ، ولكن ما القصد بما يتصرف بنفسه وما لايتصرف ؟

قد أراد بعض النقاد بـ (المتصرف بنفسه) أنه الشخص ، و (غير المتصرف) أنه الشيء ، كما فعل العدناني حين قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يتعدّي اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو رسالة ، لأن الاشياء لاتذهب وحدها ..) . وذهب جواد الى نحو من هذا بقوله (ولا

تقل بعثت اليه كتابا وبعثت اليه هدية لأن الكتاب لاينبعثأي لايسير بنفسه) •

والذي يتبين بالاستقراء أن المتصرّف بنفسه هو ما لايستعان في بعثه أو ارساله الى سواه،ليصحبه أو يأتي به،وغير المتصرّف ماليس كذلك•وقد يعتدّ ما يتصرف بنفسه في موضع غير متصرف في موضع آخر ، وقد يكون العكس أيضا • فأنت تقول أرسلت الجند بالخيل المحمّلة الى القلعة ، كما تقول أرسلت الخيل بالاسلحة الى المعركة • وتقول أرسلت غلامي بالفرس ، وأرسلت أخي بغلامي •

وفي محاضرات الادباء للراغب (٦٩٩) : (قال عديّ قلتُ يا رسول الله أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به ••) فلم يحتج في تعدية الفعل الى الباء ، لان المفعول يتصرف بنفسه وتقول : أرسلتِ الشمسُ ضوءَها وبعثت أشعتها ، ولاحاجة بمفعول الفعل في الاصل الى الباء إذ ليس يُفتقر الى من يصحب الضوء في ارساله أو مايرافق الاشعةفيبعثها•قال الشاعر يصف ابنة العنب كما جاء في زهر الآداب للقيرواني (٢٠٩) :

ظلّت تسامرنا وقد بعثت ضوءاً يلاحظنا بلا ذهب

وقد فسّر الآلوسي في كتابه كشف الطرّة عن الغرة كلام ابن برّي، فارقاً بين المرسل والمبعوث ، إذ أوجب الباء في المبعوث اذا لم يتصرّف بنفسه ولم يوجبه في المرسل ، واستدلّ بقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح ـ الاعراف / ٥٦) • والجواب عن ذلك من جهتين ، الاولى أن ابن برّي لم يوجب الباء الاّ فيما كان في ارساله مرسل ومرسل به ، وليس في الآية مرسل ومرسل به ، والثاني أن الرياح مما يتصرف بنفسه ولو كان شيئاً ، خلافا لما ذهب اليه • وقد جاءت الآية على الاصل ، ومثلها كثير •

ستقول وما حاجتنا الى ميز غير المتصرف بنفسه من المتصرّف اذا كان يمكن انزال الاول منزلة الثاني . أقول لابد من الميز فيما كان فيه مبعوث ومبعوث به ليكون الاول هو المتصرّف بنفسه ، أما مالم يكن فيه الا مبعوث فإنك تتبين المتصرف لتسقط عنه الباء ما لم يكن داع الى اعتداده بخلاف ذلك ، فإذا أسقطتها عن غير المتصرف حملاً له على المتصرف مجازاً كقولك بعثت الهدية أو أرسلتها ، فقد أوحيت أن لاحاجة بك الى ذكر من صاحب المبعوث أو التذكير به .

والعجب ممن أوجب الباء فيما لايتصرف ، كقولك (أرسلت كتابي) بحجة أنه (لايذهب وحده أو لايسير بنفسه) ! وليت شعري ألم يقل الفصحاء (وافاني كتابك) و (وَرَدَتْ عليَّ رسالتك) و (جاءتني موعظتك) ، فلم لم يستغرب ذلك منهم ولم يستندر ؟ وما بال البحتري يتصوّر أن يسعى المنبر الى صاحبه ، وهو شيء لا يسير ولا يتحرك دون محرك ، فلا ينعى عليه ذلك حين يقول :

ولو ان مشتاقاً تكلّف فوق ما — في وسعه لسعى اليك المنبر

وقد جاء في نهج البلاغة (٣/٨) (أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ورسالة محبّرة) أفليس هذا كله من المجاز والصورة واحدة ؟ فما بالهم خصوا المنع بـ (أرسل) و (بعث) ؟

(٨)

وقد يعتمد بعض النقاد في التخطئة دليلا لايمت الى أصل لغوي ، وان بدا حجّة معقولة . فالمدار في الحكم ، هاهنا ، على ماجرت عليه اللغة من طرائق ، وما ألفته من سنن ، وعرفت به من خصائص وسمات ، لا على

ما يمليه منطق التعليل العقلي • قال صاحب الكليات أبو البقاء (٤٢٩) : (الاحكام اللغوية لا يمكن اثباتها بمجرد المناسبات العقلية القياسية ، بل لا بدّ أن تكون معتبرة في الاستعمالات اللغوية) •

من ذلك ماذكره الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولاتقل) ، اذ منع قول القائل (تسلل اليها) واعتلّ لذلك فقال : (وذلك لان التسلل هو خروج وتقصٍّ وتخلّص من زحام أو غمار أو جمع ، وليس هو بدخول • فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سرّاً ••• هو التوغل والوغول والايغال) •

أقول غريب حقاً منع تعدية (تسلل) بـ (الى) ! فاذا كان (التسلل) خروجاً على حدّ قول الاستاذ ، أولست تقول (خرجت الى السوق) ؟ فما وجه المنع اذاً وما بينته ؟

وانظر الى (صبأ)مثلا • قال صاحب المصباح (وصبأ من دين الى دين يصبأ مهموز بفتحتين ، خرج فهو صابىء) • فالصبوء هاهنا خروج، لكنه خروج من دين ودخول في دين آخر • قال الدكتور جواد (التسلل خروج وتقصٍّ •••) والتقصي هو التباعد ، ونحوه كـ (الانفصال) و (المباينة) • فانظر الى ماجاء في محاضرات الادباء (٣/٢١١) : (وكتب الصابىء عن عز الدولة الى أبي تغلب وقد نقل ابنته اليه : قد وجّهت الوديعة ، وانما نُقلت من وطن الى سكن ، ومن مغرس الى مغرس ، ومن مأوى عزّ وانعطاف الى مأوى برٍّ وإلطاف ••) ، وأردف : (وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جني قلبي حصلت لديك ، ولا ضياع على من تضمنّه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك) • أفرأيت كيف عدّى الانفصال بـ (الى) وهو مباينة كالتسلل ؟

فقد ثبت بذلك أن قولك (تسلل اليه) صحيح مستقيم . ولكن ما معناه على وجه التحقيق ؟

قال ابن منظور (الانسلال المضي والخروج من مضيق أو زحام ، وانسلّ وتسلل انطلق في استخفاء) . فـ (الانسلال والتسلل) افلات وانطلاق في استخفاء ، أو في انسياب لا يُشعر به ، كما هو فعل الجندي الهارب من معسكره أو السجين الفارّ من محبسه . فاذا مضى الجندي أو السجين فبلغَ غايته ومأمنه ، وانتهى الى ملاذه ومفزعه فقد ذهب الاستخفاء وحلّ محله ظهور ومجاهرة . فقولك (تسلل جنود العدو إلينا) صحيح لكن فحواه أنهم أفلتوا من معسكرهم في استخفاء ولحقوا بنا . وقد يكون لحاقهم هذا لمظاهرتنا على من كانوا في معسكرهم ، خلافا لما يفهمه الكتاب منه . فانظر الى ما جاء في نهج البلاغة (٣/١٤٤) : (أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قِبَلك يتسلّلون الى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عَدَدهم ، ويذهب عنك من مددهِم ... وقد عرَفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه ، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة ، فهربوا الى الأثَرة ، فبعداً لهم وسُحْقاً) . وهذا صريح باستعمال (تسلل اليه) ولكن بمعنى (هرب اليه) .

قال الاستاذ جواد (فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سراً .. هو التوغل والوغول والايغال) . وليس هذا بالوجه . والذي أراه أن يُستعمل (اندس) مكان (تسلل) فيقال (المندسون) لا (المتسللون) . فانظر الى ما جاء في شرح الحماسة للمرزوقي (٤٤٤) : (وجهوا فارساً ليندسّ في أثناء خيلنا ويعرف سرّنا وعلننا ، ويقف على عددنا وعُدّتنا) . وهذا ما عناه الكتاب باستعمالهم (تسلل) . أما

(وغل) فقد قال صاحب المصباح (وغل .. توارى بشجر ونحوه فهو واغل . قال السرقسطي : وغل في الشيء .. دخل ، .. دخل بغير إذن) أما أوغل فمعناه أمعن وأسرع . ومن ثمّ كان (اندسّ) أليق بالمعنى .

ونحو من (تسلل اليه) ، (تسرّب اليه) فقد اعتده الدكتور مصطفى جواد خطأ ، وجعل صوابه (تسرّب فيه) . وقَصد قصده الاستاذ محمد العدناني فقال : (ويقولون تسرّب الى المكان والصواب تسرّب في المكان أي دخله خفية ، هذا هو رأي المحكم واللسان والتاج ، ومثله انسرب الثعلب في جحره) وتابع قوله (أما سَرّب اليه فيعني أرسل اليه) . وعلى ذلك قول الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته ، والاستاذ أحمد العوامري في مجلة المجمع القاهري .

أقول السروب والانسراب والتسرّب جري ومضي وذهاب ، لكنه جري في رفق وتلطّف ، وذهاب في سروح . فاذا ضاق المجرى كان التسرب انسياباً في تدافع ، وفي غير ملامسة تعوق المتسرب أو تشعر به . ومن ذلك سرّبه اذا أرسله وأطلقه في تتابع .

فاذا كان انطلاق السارب أو المتسرب من محبس ، كان السروب أو التسرب على معنى الخروج ، أو كان الانسراب والتسرّب في مدخل أو جحر أو بيت ، كان على معنى الدخول ، ففي الصحاح(والسَرَب أيضا بيت في الارض تقول : انسرب الوحش في سَرَبه وانسرب الثعلب في جحره وتسرب أي دخل) ، أو كان السَرَب أو السروب أو الانسراب في الارض أو الطريق ، كان على معنى الذهاب والمضي .قال الراغب في مفرداته (السرب الذهاب في حدور) وقال ابن القوطية (وسَرَب في الارض سروباً ذهب ، والابل سرحت نهاراً) . وفي الكامل للمبرد (يقال خلّ سَرْبه أي طريقه

حتى يذهب حيث يشاء ، ويقال ذلك للابل لانها تنسرب في الطرقات) • وفي الاساس (سَرَب في الارض سروباً مضى فيها وهو يسرب النهار كله في حوائجه) • وفي اللسان (سربوا فيها ــ أي الطريق ــ : تتابعوا) •

فليس (الدخول) إذاً ، وقد فسّر به (التسرّب والانسراب) في موضع من القول ، أصلا في معنى الفعل يعتمد في تقرير تعديته ، وانما الاصل سواه كما ذكرنا • فقولك (انسرب الوحش في جحره) انما يعني مضيّ الوحش في وكره ، في رفق وتدافع كما تنساب الحية في مسربها أو جحرها • قال الراغب (وانسربت الحية في جحرها) • وفي اللسان (ومسارب الحيّات مواضع آثارها اذا انسابت في الارض على بطونها) • وقال المرزوقي يصف مشي امرأة (هي تنساب أي تتدافع في مشيها تدافع الحية، فهي في انسيابها تتجافى عن الارض جُهدها) •

وانظر الى ماجاء في المقاييس لأحمد بن فارس عن أصل معنى (سرب)، قال : (السين والراء والباء أصل مطرّد ، وهو يدلّ على الاتساع والذهاب في الارض • من ذلك السِّرب والسُّربة ، وهي القطيعُ من الظّباء والشاء لانه ينسرب في الارض راعيا) ، وقال : (وقال أبو زيد يقال خلّ سَربه أي طريقه يذهب حيث شاء ، وقالوا سِرب بالكسر •• وقال : يعني الطريق ، ويقال : انسرب الوحشي في سَربه) • فقد رأيت كيف جعل الاصل في معنى الفعل هو الذهاب ، وردّ كل مصارف الفعل اليه ، ولم يستثن قولهم ــ انسرب الوحشي في سَرْبه ــ بل لم يذكر مع الذهاب أصلا آخر كما اعتاد ذلك فيما لايمكن أن ترد دلالاته الى أصل واحد • ومنه (التسريب) ، قال صاحب الاساس (ومن المجاز سرّبت اليه الاشياء : أعطيته اياها واحداً بعد واحد) أي في تتابع • وانظر الى ماقاله

الراغب في مفرداته (السَرَب الذهاب في حدور،والسَرَب المكان المنحدر، قال : فاتّخذ سبيله في البحر سَرَبا ـ الكهف ـ وسروبا ، نحو مرمراً ومروراً ، وانسرب انسرابا كذلك لكن سَرَب يقال على صدور الفعل من فاعله ، وانسرب على تصور الانفعال منه ، وسَرَب الدمع ، سال ، وانسربت الحيّة في جحرها ، وسرب الماء ••) ، فقد ردّ قولهم (انسربت الحية في جحرها) الى الاصل الواحد ، ولم يعدل به الى سـواه ، كما فعل النقّاد •

فاذا ثبت هذا واطمأنّ وكان التسرب والانسراب في الاصل جرياً وذهابا ومضياً ،كان تعديهما بـ (في) يعني تعيين موضع حدوث الفعل ، وتعدّيهما بـ (الى) يعني الدلالة على موضع انتهائه وبلوغ غايتـه • والاّ فكيف تمتنع تعدية (تسرب) بإلى وهو يقع موقع الجري والذهاب ويجوز مجازهما ؟ فقولك (تسربت أموال الخزانة الى الجيـوب) اذا تتابعت،و (الاخبار الى العدو) اذا انتهى بعضها اثر بعض ، صحيح مستقيم، لا سبيل عليه لعائب •

ونظير (تسرّب) : (انساب) • فاذا قلت (انسابت الحية في جوف فلانٍ) فمؤدّاه أنها دخلت ومضت ، قال صاحب النهاية (إن رجلا شرب من سقاء فانسابت في بطنه حيّة •• أي دخلت وجرت مع جريان الماء ، يقال : ساب الماء وانساب اذا جرى) •

وكذلك (دبّ) فأنت تقول (دبّ في جوفه) اذا أردت دخوله • قال المرزوقي (دبّ في مسامه وموالجه ــ أي الهوى) • وقالَ الزمخشري في الاساس (ومن المجاز دبّ الشراب في عروقه) • أما اذا قلت (دبّ اليه) فأنت تروم التوجه والانتهاء كما أردت من تسرّب اليه • قال ابن القوطية

(دبّ النحل دبيباً ، والقوم الى العدو مَشَوا مشياً رفيقاً ، والشراب في الجسد كذلك) . فعدّى (دب) بإلى ، كما عُدّى بفي ، وكل على بابه .

وهكذا (تغلغل) . ففي الصحاح (تغلغل الماء في الشجر اذا تخللها) . لكنك تقول (تغلغلت الى كل غامض فجلوته) . قال الجاحظ في بعض رسائله (والتغلغل الى دقائق الصواب) ، وقال صاحب الوساطة : (أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه وتغلغل اليه مستنبطه / ٣٠٨) وقال المرزوقي في مقدمة شرح الحماسة (متوصل الى الظفر بمطلوبه ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى) .

فاستقر بذلك أنه لايغنيك في تعدية فعل أن تقف على نصّ قد اتفق لك في تعديه فتلزمه وتعجل به ، بل لابد من تدبر أصل معناه والكشف عن وجوه تصرّفه ، على ما تتسع له دلالته .

(٩)

وهذا موضع آخر لاستعمال حرف من حروف الجر ، قد نسب الى الوهم ، على حين اتفق منه في كلام الفصحاء ونصوص المعاجم ما يشهد بصحته ويقر بسداده ، بل جاء منه في آي التنزيل ماينفي عنه شبهة الخطأ وينأى به عن الردّ والانكار .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه : (ويقولون فلّ من حدّ السيف أي ثلمه ، والصواب فلّ حده يفلّه فلاً أو فلّله ، أما فلّ القوم فمعناه هزمهم) .

وواضح أن الاستاذ انما اعتمد نص المعاجم ، وقد جعلت تعدية

(فلّ) بنفسه . ففي الصحاح (يقال فلّه فانفلّ اذا كسره فانكسر) . وفي الاساس (فلّ منه شيء اذا انكسر) .

لكن العرب قد أجازت ادخال (من) في هذا الموطن ، وجرت عليه . ففي الاساس (كسرت خصمي فانكسر ، وكسرت من سَوْرته) . وفيه (اغضض من صوتك : اخفض منه ... وغضّ من لجام فرسك أي صوّبه وطأمنه لتنقص من غربه) .

وفي المصباح (غضّ الرجل صوته وطرفه ، ومن طرفه ومن صوته ... خفّض) .

وفي نجعة الرائد لابراهيم اليازجي (كسر من غلوائه وكف من غربه) ، والغرب الحد .

وفي الفاخر لابن عاصم ، حول قول العرب (فتّ في عضديه) : (العضد القوة ، والفت الكسر من قولهم فتَتّ الشيءَ اذا كسرته صغاراً ، ومعنى – في – من ، والمعنى كسر من عضديه أي من قوته) . وفي الالفاظ الكتابية للهمذاني (ونهنه من غربك أي كفكف من حدّتك) ، وفيه (أخمل فلان فلاناً وأوضعه ، وخفض من حاله) .

وفي المقابسات لأبي حيان التوحيدي (٣٧) : (كفكف من غربك ونهنه من سربك) .

وفي نهج البلاغة (١/٧٤) : « قد طامن من شخصه – أي خفض – وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه وزخرف من نفسه » . وفيه أيضاً (٢/٦٤) « وانهما لايقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق » . وفي شرح الحماسة للمرزوقي (٩٢٥) : « سكّن من جأشي وأزال قلقي » . وفيه

(١١٦٨) : « فلا جرم أن كفّ من شأو شرّه وغرب عداوته » •

فتبين بما تقدم أنك تقول :(كسرته وكسرت منه وغضضته وغضضت منه وخفضته وخفضت منه وكففته وكففت منه وفتته وفتت منه ••) كما تقول : (طأمنته وطأمنت منه وقاربته وقاربت منه وقرّبته وقربت منه وسكنته وسكنت منه ••) ، فما الذي أجاز دخول (من) على مفعولات هذه الافعال ، وما الذي يعنيه دخولها في هذا الموضع ؟

ذهب فريق الى زيادة (من) هاهنا ، ومنهم الاخفش • وذهب آخرون الى أصالتها ومنهم سيبويه ، ذلك أنه اشترط للقول بالزيادة أن يتقدّم (مِن) نفيٌ أو نهي أو استفهام • وقد تابع المفسرون سيبويه كما فعل الزمخشري وأبو السعود وغيرهما • واشترط صاحب المغني للزيادة ثلاثة شروط الاول ما ذكرناه ، والثاني تنكير مجرورها ، والثالث كونه فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ ، وقال بزيادتها في المنصوب والمرفوع جميعا •

فاذا أخذنا بمقالة سيبويه وهو لايجيز زيادة (مـن) في الكلام الموجب ، وعليه كثرة النحاة والمفسرين ، كانت (من) في الامثلة المتقدمة (تبعيضية) والمفعول محذوف تقديره (شيئاً) • ففي التنزيل (يكفر عنكم من سيئاتكم ـ البقرة/٢٧١) و (يغفر لكم من ذنوبكم ـ الاحقاف/٣١ ، ونوح / ٤) • والمعنى يكفر شيئا من سيئاتكم ، ويغفر شيئا من ذنوبكم • قال أبو حيان في البجر المحيط (٢ / ٣٢٦) في الآية الاولى (مِـن ، في قوله : مـن سيئاتكم للتبعيض ، لانّ الصدقةَ لا تكفّـر جميـعَ السيّئات) ، وقال (٨ / ٦٨) في الآيةِ الثـانية : (مـن ، للتبعيض لانّه لا يغفـر بالايمانِ ذنوبَ المظـالم) • وقد أيّـدَ الرضـيّ في شرح الكافية (٢/٣٢٣) أن ـ من ـ في هذه الآية للتبعيض اعتماداً

على المعنى ، وفصَّل ذلك تفصيلا ، كما شرحه صاحب الكليات أبو البقاء فاستوفى شرحه . فقد آثر النحاة والمفسّرون القــول بأصالة (من) هاهنا ، اذ جعلوا معوّل الحكم في المسألة على المعنى . قال الامام الانباري في كتابه أسرار العربية (٢٦٠) : (فأما قوله تعالى : ويكفر عنكم مــن سيئاتكم ، فـ ــ من ــ فيه للتبعيض لا زائدة ، لانه من الذنوب ما لايُكفر بابداء الصدقات ، أو اخفائها واتيانها للفقراء ، وهي مظالم العباد . أما قوله تعالى : يغضوا من أبصارهم ، فـ ــ من ــ فيه أيضا للتبعيض لانهم أُمروا أن يغضوا أبصارهم عما حُرِّم عليهم ، لا عما أحلّ لهم ، فدلّ على أنها للتبعيض وليست زائدة) .

ويستقيم على هذا ما أوردناه من الامثلة جميعا على تقدير حذف المفعول . تقول فللت من حد السيف ، أي فللت مــن غَربه وكففت ، وكسرت من سورته اذا خفضت شيئاً من غلوائه ونهنهت . والذي يتحصل من هذا كله أن قولك (فلّ من حد السيف) صحيح فصيح ، لا محلّ فيــه لتخطئة .

هذا وتدخل من (التبعيضية) هذه ، على ما حقّه الرفع ، كما دخلت على ما وجب نصبه . وقد مثّلوا لذلك بقوله تعالى (ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي بعض نبأ المرسلين أو بعض من نبــأ المرسلين ، فالفاعل هو المحــذوف .

ولكن اذا اشترط للقول بزيادة ــ من ــ أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام فهل يجب للقول بأصالتها أن يكون الكلام موجباً ؟ أجاز ابــن مالك الطائي في كتابه (شواهد التوضيح) القول بزيادة ــ من ــ في حديث عائشة (فإذا بقي من قراءته نحوا من كذا) على تقدير (فاذا بقي

قراءته نحوا) برفع (قراءته) على الفاعلية ، ذاهبا فيه مذهب الاخفش • لكنه رجّح القول بأصالتها على تقدير (فاذا بقي باقٍ من قراءته نحوا) وقال : (وهذا الحذف كثير قبل ــ من ــ لدلالتها على التبعيض) ، وذكر (أن تقدير الفاعل المحذوف باسم فاعل الفعل ، أولى من تقدير غيره لدلالة الفعل عليه معنى ولفظاً) ، وجعل التعويل في كل ذلك على المعنى•

بقي أن نشير الى أن فيما مرّ بنا من قول ابن عاصم حول (فتّ في عضدي) مايدعو الى النظر • ذلك أنه جعل ــ في ــ هنا في موضع ــ من• فإذا علمنا أن العرب تقول (فلان يفت في عضد فلان ، ويقدح في ساقه) كما جاء في اللسان ، وتدبّرنا المشاكلة بين (فتّ فيه) و (قدح فيه) ، كان لنا في المسألة رأي آخر • فقد استعمل العرب أفعالا متعدّية أرادوا بها مجرّد وقوع حدثها فلم تحتج الى مفعول يذكر أو يقدّر • اذ جاء في التنزيل (وأصلح لي في ذريتي ــ الاحقاف / ١٥) • قال صاحب الكشاف : (كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي ••) ، وقال البيضاوي في تفسير الآية (اجعل الصلاح سارياً في ذريتي ، راسخا فيهم ، نحو قوله:

وان تعتذر بالمحل عن ذي جذوعها الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي)

وقد أنزلت هذه الافعال منزلة الافعال القاصرة ، فذهب صاحب المغني (٢/١٢٣) الى أنها على تضمين المتعدي معنى فعل لازم ، فخرّج (أصلح) على تضمينه معنى (بارك) ، و (جرح) على تضمينه معنى (عثا أو فسد) • وأشار الى ذلك صاحب الكليات (٣٢٥) •

فأنت تقول اذاً (أصلح لي في كذا) أي اجعل لي الصلاح فيه • و (الحزن يحزّ في كذا) أي يجعل الجرح فيه • كما تقول (يفت هذا الامر في عضدي) يجعل الفتّ أو الكسر فيه ، و (يقدح في ساقة) أي

يجعل القدح فيها • وفي اللسان (وقدح الدود في الاسنان والشجر قدحاً ، وهو تأكل يقع فيه) •

وفي الحديث (والإثم حزاز القلب) قال صاحب الصحاح (الحزاز ما حزّ في القلب • وكل شيء حكّ في صدرك فقد حزّ)• قال صاحب النهاية (تحزّ فيها أي تؤثر ، كما يؤثر الحزّ في الشيء) • وفي الاساس : (زاده الله مالاً ، وزاد في ماله)• فاذا قلت (يفتّ من عضدي) كانت ـ من ـ على التبعيض ، أي يفت شيئا من عضدي ، وهو غير (يفت في عضدي) لان هـذابمعنى يجعل الفت في عضدي • وقد جاء في التنزيل (ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ـ الشورى / ٢٠) ، فاستعملت (في) مع زاد دون (من)• وقد فرّق الزمخشري بين (نزد له في حرثه) • و (نؤته منها) فقال : (وفرّق بين عمليْ العاملين بأن من عمل للآخرة وُفق في عمله وضوعفت حسناته • ومن كان عمله للدنيا أُعطي شيئاً منه ، لا مايريده ويبتغيه)• فلم ير في (نزد له في حرثه) تبعيضاً كما رآه في (نؤته منها) • وهذا يعني أن (نزد له في حرثه) غير (نزد له من حرثه) لو قيل ، لأن هذا على التبعيض خلافا للاول •

(١٠)

ومما عاب الاستاذ محمد العدناني في معجمه ، وهو صحيح لاسبيل عليه لآخذ ، (زاد عنه) قال العدناني (ويقولون زاد عنه في الكرم والصواب زاد عليه) • وقد استظهر بقول ذي الاصبع العدواني :

وأنتمُ معشر زَيْدٌ على مائــةٍ فأجمعوا أمركم طرّاً فكيدوني

أقول ان (زاد) يتعدّى تعدّي (فضل) بعن وعلى • فان قصدت به المجاوزة وبيان الفرق بين أمرين أو مقدارين ، استعملت (عن) • كأن تقول (زاد المال عن حاجتي) أي جاوز الحاجة ففضل عنها وبقيت منه بقية • كما تقول (مالُ فلان يفضل عن حاجتــه) • قال الزمخشري في الاساس (ومال فلان فاضل كثير ، يفضل عن القوت) ، وقال : (وأخذ حقه واستفضل ألفاً ، اذا أخذه فاضلا عن حقه) • فذكر في الاول أن ثمة فضلا بين ما يملكه فلان وما يحتاج اليه للانفاق على قوته • وأشار في الثاني أن هناك فرقاً بين ما أخذه وما يستحق • قـال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (وحتى يقضوا على حدّ الضـارّ والنافع ، ويعرفوا فضل ما بيْن الدّاءوالدواء ، والاغذية والسموم) • فالفضل هاهنا الفرق واستعمال (عن) فيما سلف انما هو للمجاوزة على حدّ قول النحاة •

هذا وأما اذا قصدت الى بيان ما يفوق به شيء شيئاً آخر ، استعملتَ (على) لانها للاستعلاء • تقول (ثروة خالد زائدة على ثروة أخيه) أي تفوقها وتفضل عليها • ففي نهج البـلاغة (٣/١٤٣) : (فان طاعة الله فاضلة على ما سواها) • قال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (لأن العبد اذا فضلت طبائعه وشهواته على عقله وأوامر رأيه ، أُلفي بصيراً بالرشد ، غير قادر عليه) •

هذا هو الاصل في تعدية (زاد) و (فضل) بعــن وعلى • وقـد يتماثل المعنيان في كل منهما اذا عدّيته بالحرفين ، فيقع (زاد عنه) موقع (زاد عليه) ، وينزل (فضل عنه) منزلة (فضل عليه) •

قال صاحب الكليات أبو البقاء في تعدية (زاد) : (الزيادة هي أن ينضم الى ما عليه الشيءُ في نفسه ، شيء آخر ••• والزيادة تلزم وقد

تتعدى بعن كما تتعـدّى بعلى ، لان نقص يتعـدّى به ، أي بعن ، وهو نظيره) .

فالذي أراده أبو البقاء أن (زاد عنه) صحيح حملا على (نقص عنه) لانه نظيره . ولكن ما الذي عناه بهذا ؟ فاذا قصد الى أن (نقص عنه) هو الاصل ، وأن (زاد عنه) هو الفرع المبنيّ عليه ، فالرأي غير هذا ، ولاستعمال كل منهما بعن ، أصل معروف . فالنصّ على أن (عن) انما هو للمجاوزة . قال صاحب الهمع (عن للمجاوزة وهي الاصل . لهذا عدّي بها صدّ وأعرض وأضرب وانحرف وعدل ونهى ...) . ولكن ما وجه هذه المجاوزة ؟ فأنت اذا تجاوزت بالحَدَث شيئاً استعملت (عن) كما تقول خرجت عنه ، فاذا جاوزك الشيء فقصرت دونه ، استعملت (عن) أيضاً . وإلا ففيم استعمالك (عن) في قولك (عجز عنه وضعف عنه وقعد عنه وأبطأ عنه وكسل عنه ووَنى عنه ..) ؟

ففي اللسان (قال النحويون : عن : ساكنة النون حرف وضع لمعنى ماعداك وتراخى عنك) . وهذا صريح باستعمال (عن) فيما تجاوزت بالحدث عن أمر ، وما قصرت به عنه أيضا . فأنت تقول (نقص المال عن الحاجة) لانه قصَّر دون هذه الحاجة فعجز عن قضائها ، كما تقول (زاد المال عن الحاجة) لانه تجاوز ما اقتضته وعداه . وعلى هذا قول المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٧٥): (أو تزيد عن المطلوب) . وعلى ذلـك قولُ الجاحظ في كتابه في النساء) وليس كلُّ حب يسمَّى عشقا ، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار ... والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصاداً) .

وغريب على هذا تخريج (عن) في قول الشاعر :

أواسي سراة الحيّ حيث لقيتهم فلا تكُ عن حمل الرّباعة وانيا

على أنه (للظرفية) حملا على قوله تعالى (ولاتنيا في ذكري — طه / ٤٢) • قال صاحب الهمع : (ورُدّ بأن تعدية ونى بعن معروف ، وفرق بين ونى عنه وونى فيه بأن معنى الاول جاوزه ولم يدخل فيه ، والثاني دخل فيه وفتر) • فتعدّي (ونى) بعن معروف كما ذكر صاحب الهمع ، لانه كضعف عن وقصر عن • قال الزمخشري في الاساس (وقد ونى في الامر ضعف وفتر ، ولاتنيا في ذكري ، وفلان لايني ولا يونـي ولايتوانى : لا يقصّر ••) وقد استشهد الزمخشري بقول ابن مقبل :

مرَتْه الصّبا بالغور غورِ تهامة فلما ونَتْ عنه بشفعين أمطرا

يقول ان الريح استدرّت السحاب فلما ضعفت عنه بشفعين ،وهو اسم موضع ، أمطر •

وجاء في الاشباه والنظائر للسيوطي (٣/١٩٤) قول ابن هشام صاحب المغني ، في تأويل قول القائل (فلان لايملك درهماً فضلا عـن دينار) : (قال ابن هشام : اعلم أنه يقال فضل عنه وفضل عليه ، بمعنى زاد •• وانما القيد قوله فضلا عن دينار ، والكلام لم يسبق لنفي ملك الزائد عن الدينار) ، وقال : (أخبرتك بهذا بزيادة عن الإخبار عن دينار)، وقال : (استفهمت عنه زيادة عن دينار) ، فعدّى (زاد) بعن ، كمـا عدّاه كثير من الأئمة قبله كالمرزوقي • وجاء في شرح ديباجة القاموس لنصر الهوريني (.ولعل المصنف لم يطلع عليه ، وإلا لزاد عنه / ١٦) ، بل اتفق (زاد عنه) في الشعر القديم أيضا ، فانظر الى هذا البيت وقد نسبه الامام التبريزي في ديوان الحماسة الى قبيصة بن النصراني • قال قبيصة الجرمي :

يزيد نبالة عـن كل شـيء ونافلة وبعض القوم دونُ

قال المرزوقي في شرح الديوان (٦٢٦) : (نبالة مصـدر نبل ، والنافلة الفضل ... يقول : ومع اجتماع هذه الخصال : فيه سَرو° ونبل وحميَّة وعز ، فيفضل على كل نبيل ، ويعلو على كل ذي شأن نبيه ، وبعض القوم ساقط قاصر ، متأخر ناقص) . فانظر اليه كيف فسَّريزيد نبالة عن كل شيءٍ فقال(يفضل على كل نبل ويعلو على كل ذي شأن نبيه) ، فماثل بين زاد عنه وزاد عليه ، وهو ما أراده الشاعر .

فتبين بهذا ان استشهاد الاستاذ العدناني بقول ذي الإصبع العدواني (زيد على مائة) ، وقد أورده الزمخشري في الاساس لاستعمال ــ زيد على ــ في البيت بمعنى يزيدون ، لايمنع من تعدية الفعل بـ (عن) كما يتعدّى بـ (على) . والزيد مصدر كالزيادة .

هذا وقد ابتغينا بما قدّمنا وبسطنا القول فيه أن نذكي البصر على تصريف حروف الجر ، ونُحدّ النظر الى ما قد يقـع منها مواقعه ، وما يُعدل به عن منازله ومواضعه . ولم تشغلنا ، فيما انتحينا ،روعـة اللفظ فتسبق بنا الى إغفال المعنى . ونرجو أن نكون قد قرّبنا العبارة في هذا الباب وجمعنا المتفرّق وأحسنا التأدية .

ولو شئنا أن نمضي في الكلام فنتقصـى البحث في ذلك ونشبعه ونؤكده ، لكان لنا فيه مجال واسع ومذهب فسيح . لكـن غاية قولنا ومدار أمرنا أن ندلّ بما ذكرنا على الطريقةونقف بالقـارىء على المنهج ، ليجعل مما مثّلنا عيارا لما يرد عليه من هذا ، فيأتي كل مسألة من وجهها ويتلمّسها من مأتاها .

صلاح الدين الزعبلاوي

فوائد من معجم شيوخ الطبراني

الاستاذ مطاع الطرابيشي

معاجم الشيوخ لون من ألوان التصنيف عند المحدّثين ، يمثّل ثمرةً من ثمرات الرحلة في طلب الحديث . ولاريب في أن هذه الكتب ـ الى جانب فوائدها الحديثية الأصيلة ـ تشتمل على فوائد أخرى قيّمة ، إذ هي مصدر عظيم الشأن في البلدانيات ، ونظرةٌ لامحةٌ في معجم ياقوت الحموي تفي بالبيان والبرهان . وهي في الوقت نفسه مجالٌ رحيب لرصد الحياة الثقافية والنشاط العلمي في العصر الذي تنتمي اليه .

أما الطبراني المعنيّ بالعنوان فهو المحدّث المعمَّر صاحب الرحلة الواسعة ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الطَبَراني ، نسبة الى طبرية ، مدينة مُشرفة على البحيرة المنسوبة اليها في فلسطين . وُلد في طبرية أو عكّاء عام ستين ومائتين للهجرة ، وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة للهجرة .

ولقد كانت المعاجم الثلاثة أجلّ أعمال الطبراني ، فاشتُهر بها وعُرفت به ، فما يكاد يُذكر اسمه إلا مقروناً بها . إنها « المعجم الكبير » في أسماء الصحابة وتراجمهم ومارووه عن رسول الله ﷺ ، و« المعجم الاوسط » جمع فيه فرائد الاحاديث التي رواها عن شيوخه ، و « المعجم الصغير » في أسماء شيوخه . وقد رتّب معاجمه الثلاثة على حروف المعجم في أوائل الاسماء .

وهذا البحث يدور حول المعجم الصغير بخاصةٍ ، لقد اشتُهر بهذا

الاسم نظراً للطافة حجمه بالقياس الى المُعْجَمَيْن الآخرَيْن ؛ لكن اسمه الحقيقي هو معجم شيوخ الطبراني ، وبه ذُكر في ثَبَت الكُتب التي وردَ بها الخطيب البغدادي دمشق[1] ، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (٨/٢٠٠) ، والذهبي في تاريخ الاسلام (ل : ٦٥ / أ)[2] ، والصفدي في الوافي (مج ٨/ل ١٦٢)[3] .

أما تاريخ تأليفه فيرجع ـ فيما ظهر من البحث في تراجم رواته الأوّلين ـ الى الفترة الأخيرة من حياة مصنّفه ؛ فالراوية المشهور لهذا الكتاب وهو (أبو بكر بن رِيْذَه) مولود في سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة[4] ، ولا يصح سماعه للكتاب قبل بلوغه خمس سنوات على الاقل ، ومعنى ذلك أن تاريخ تأليف الكتاب يجب أن يكون في العشر الاواخر من حياة الطبراني .

هذا الكتاب يُعَدّ بحق في طليعة معاجم الشيوخ المعروفة . صحيح أنه سبقه في هذا المضمار مشيخات عدة : لابراهيم بن طَهْمان (ت ١٦٣) ويعقوب بن سفيان الفَسَوي (ت ٢٧٧) ، وأبي عبد الرحمن النَّسائي (ت ٣٠٣) ، وأبي يَعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ، وأبي القاسم البَغَوي (ت٣١٧) ، ومحمد بن مخلد الدُوري (ت ٣٣١) ، وأبي العباس بن عُقْدة (ت ٣٣٢) ، وأبي سعيد بن الاعرابي (ت ٣٤٠) ، وعبد الصمد الطَّسْتي

(١) انظر الجزء في « تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من الكتب المصنفة » من مخطوطات المكتبة الظاهرية (ق : ٢٩ / أ)

(٢) مصورة المجمع بدمشق .

(٣) مصورة المجمع بدمشق .

(٤) العبر ١٩٣/٣

(ت ٣٤٦) وإبراهيم بن محمد الاصبهاني (ت ٣٥٣)[١] . لكنَّ الملاحَظ أن بعض تلك المشيخات لم يكن من صنع مَن نُسب اليه ، وإنّما قام بها عنه بعض تلامذته . كما أن بعضها الآخر ليس فيه استقصاء أو ترتيب . يضاف الى ذلك أن طائفة من هذه الكتب قد غدا الآن مفقوداً .

إنما الجدير بالتسجيل أن جُلّ أولئك الذين تقدّموا الطبراني في صنع المشيخات كانوا من شيوخ الطبراني نفسه ، كالنّسائي وأبي يَعلى والبَغَوي وابن عُقْدة وابن الاعرابي ، ويبدو مـن المقارنة بين معجمي أبي سـعيد بن الأعرابي وأبي القاسم الطبراني أن هذا الاخير اقتفى أثر شيخه في صنيعه ، لكن عمله امتاز بإضافة تحسينات غير قليلة على عمل شيـخه .

كما تبدو لنا قيمة هذا الكتاب في كثرة نُسَخه المخطوطة المتناثرة في أرجاء المكتبات العالمية ، مما يدل على سعة انتشاره في الأزمنة الماضية ، فقد استقرت نُسخه في مكتبات القسطنطينية والهند والإسكوريال والمتحف البريطاني والازهر والمدينة المنورة[٢] .

ومع ذلك لم يكن حظّه هذا الكتاب من الطباعة حسناً ، فقد طُبع مرتين : في دلهي سنة (١٣١١ هـ) ثم في القاهرة سنة (١٣٨٨ هـ) ، ومن المؤسف أن كلتا الطبعتين لم تتوفر لها شروط النشر العلمي ، فظهرت تفيض بالخطأ والتصحيف ، ولولا خشية الإطالة لعرضتُ نماذج من أخطائهما ، وما أكثـرها .

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة (ط. الثالثة ، ص : ١٣٥ ــ ١٣٨) ، وبحوث في تاريخ السنّة المشرفة (ص : ١٥٠ ــ ١٥١) ، وفهرس الاستاذ ناصر الدين الالباني (ص: ٣٧٤،٢٥،٤)

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٤٨٦

قدّم الطبراني لمعجمه هذا بقوله : « هذا كتاب فوائد مشايخي الذين كتبتُ عنهم بالأمصار ، خرّجتُ عن كل واحد منهم حديثاً واحداً ، وجعلتُ أسماءهم على حروف المعجم » [١] .

قلت : ولكنه ، فيما يظهر ، لم يلتزم هذه القاعدة التزاماً دقيقاً ، ذلك لأن عدد شيوخه المذكورين في الكتاب بلغ ألفاً ومائة وخمسين شيخاً ، على حين بلغ عدد الاحاديث التي أخرجها ألفاً ومائتين وتسعة أحاديث [٢] .

* * *

١ ـ منهج البحث :

يمتاز هذا الكتاب بأنه يُقدم معلوماتٍ قيّمةً عن رحلة الطبراني الواسعة ، وعن توزّع مشيخته في الامصار ، فهو بذلك يُمكّن من استنتاج تصورات صحيحة عن مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الاسلامي آنذاكَ ، وعن مدى نشاط كل منها .

على أن تحديدات الطبراني جاءت متفاوتة : تارة يذكر مكان سماعه من الشيخ وزمانه ، وتارة يكتفي بذكر مكان السماع فحسب ، وأحياناً يقتصر على ذكر نسبة الشيخ الى بلده أو قريته ، وقد يذكر اسم الشيخ مجرّداً من أي تحديد .

وبناء على ذلك ، فقد قمتُ بجرد كل قسمٍ على حدة ، ثم رتّبتُ الاقسام الثلاثة الاولى في قوائم موزعة على الأقطار ، وذكرتُ بجانب اسم

---

(١) المعجم الصغير ١/٧

(٢) وقعت للسابقين بعض أوهام في هذا المجال ، فظن بعضهم أن جملة أحاديثه ألف وخمسمائة حديث ، وظن آخرون أن عدد شيوخه ألف شيخ ، وكل ذلك رجم بالغيب . (انظر الرسالة المستطرفة ١٣٦)

البلدة أو القرية عدد الشيوخ الذين سـمع منهم فيها أو انتسبوا اليها . وبذلك أمكنَ التعرُّف الى مسار رحلته مُحـدَّداً بالزمان والمكان ، كما أمكنَ تصنيف مشيخته على المدن ثم على الاقطار ، ومـن ثَمَّ الكشفُ عن ملامح الخارطة الثقافية للعالم الاسلامي في الربع الاخير من القـرن الثالث الهجري،وذلك بتحديد المراكز العلمية العاملة فيه آنذاك،واستخراج نسبة مشاركة كل قطر في القيمة الإجمالية لمشيخة الطبراني[1] .

ولقد قاد البحث في هذا المجال الى نتائج محدَّدة ، استدعت توسيع نطاق العمل ، بمقابلة الاحصاءات ونتائجها بإحصاءات أخرى في مصادر مماثلة ، لاستكمال الصورة من جهة ، وللتحقق من صحة النتائج المستفادة من جهة ثانية .

لذلك قمتُ بمراجعة فهارس «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت٢٣٠)، فأحصيتُ عدد الصحابة في كل قطـر واستخرجتُ نِسَبَ توزُّعهم في الامصار ، ثم قمتُ بإحصاء عدد التابعين من بعدهم واستخرجتُ نِسَبَ توزُّعهم كذلك ، ثم صنعتُ الإحصاء نفسه للفقهاء والمحدِّثين اعتباراً من ظهور بغداد سنة (١٤٥) وحتى آخر الطبقات حوالي سنة (٢٣٠) ، فكانت النتائج هنا مؤدِّية الى النتائج هناك ومؤيِّدة لها في الوقت نفسه ، وبذلك أمكن تعميم النتائج على القرون الثلاثة الاولى معا .

وقد كنتُ هممتُ أن أجري الاحصاء نفسه في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت ٥٧١) ، لكنَّ ذلك يتطلَّب جولاتٍ مماثلة في مشيخَتَيْ

---

(١) كان اعتمادي في العمل على النسختين المطبوعتين للتحقق ، لكني وجدت لدى المقابلة بينهما أنهما متفقتان في الغالبية العظمى من الاخطاء ، فاكتفيت لذلك بالاحالة الى الطبعة الثانية.

أبي سعد السمعاني (ت ٥٦٢) وأبي طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦) لتتبّع الحياة الثقافية في القرن السادس الهجري بصورة شاملة ؛ ممّا رجّح إرجاء هذا العمل الى بحث مفرد لذلك • على أن اطلاعي على جملة المدن التي ذكرها الحافظ السِّلَفي في « الاربعين البلدانية »[1] له ؛ أوحى إليّ بأنّ المعالم الاساسية للخارطة التي أظهرتها مشيخة الطبراني لم تتغيَّر كثيراً في القرون الثلاثة التالية •

هذا ولم يخلُ البحث من بعض المصاعب : منها أن الطبراني أهملَ ذكر تواريخ سماعه في المراحل الاخيرة من رحلته ؛ فَغَمَضَتْ تلك الفترة علينا ؛ وبخاصةٍ (المرحلة الايرانية) • كما بدا أن بعض التواريخ المذكورة في المعجم موضع نظر ، مع أنها مُثبتة بالارقام والحروف معاً في كلتا النسختين ؛ فقد ظهر خطأ بعضها واضطراب بعضها الآخر • ولقد أصبتُ في كتاب أبي نُعيم في « ذكر أخبار أصبهان » بعض الفوائد في الكشف عن أحوال مشيخة الطبراني في أصبهان ، كما ظهر أن بعض أولئك المجاهيل الذين ذكرتُهم آنفا كانوا من أهل أصبهان • أما الارقام المضطربة فقد خصصتُها بدرسٍ مُفصَّل •

وعلى ذلك فسيأتي البحث على النسق التالي : رحلة الطبراني ، معالجة المشكلات والارقام ، تَوزُّع المشيخة ودلالاته • وسأُثبِت بآخر البحث قوائم في بيان توزع المشيخة ، وفهارس طبقات ابن سعد • ولستُ أزعم ــ بعد كل الحذر الذي أخذتُ به نفسي خلال هذا العمل ــ أن ماوصلتُ

(١) اسمها الكامل : « كتاب الاربعين المستغنى بتعيين مافيه عن المُعين » ، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية ، برقم (مجموع ٧٦ : ق ٦ــ٢١) • وقد خرَّجَ فيها الحافظ السِّلَفي أربعين حديثا عن أربعين شيخا بأربعين مدينة ، من المدن التي زارها خلال رحلته •

اليه هو القول الفصل في هذا المجال . وإنما هو الرؤيةُ المتأنّية في حدود ما استشرفتُ من آفاق ، وأسأل الله التوفيق .

* * *

٢ ــ رحلة الطبراني :

بدأت رحلة الطبراني من طبرية في سنة (٢٧٤) ، حيث صحبه أبوه فزار به القدس[١] . وامتدت رحلته في أرجاء فلسطين أربع سنوات : من سنة (٢٧٤) الى سنة (٢٧٧) ، زار خلالها حواضر العلم في بلده .

ثم رحل في السنتين التاليتين : (٢٧٨ ــ ٢٧٩) في سائر بلاد الشام ، فزار مدناً وقرى عدة في الداخل والساحل ، وفي الجزيرة ومنطقة الثغور المتاخمة للروم في الشمال .

ثم نزل جنوباً فكان في مصر سنة (٢٨٠) ، فبقي فيها نحواً من ثلاث سنوات . ثم غادرها الى الحجاز ، فكان في مكة والمدينة في سنة (٢٨٣)، وربما سافر من (قُلْزُم) القريبة من مدينة السويس حالياً ، الى (أيلة)، ومنها الى (جُدّة) ، فمكّة . والظاهر أنه حجّ في ذلك العام .

ثم تابع الرحلة في العام التالي قاصداً اليمن ، فكان في صنعاء سنة (٢٨٤) ، وزار شِبام وزَبيد والكدراء . ويبدو أنه عاد راجعاً الى مصر إذ سَجّل وجوده فيها ثانيةً في سنة (٢٨٥) .

ثم ارتحل الى العراق ، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ، من سنة (٢٨٦) الى سنة (٢٨٨) ، وطاف في تلك الاثناء مدن العراق والاهواز ، وقد كانت أكثر المراكز الثقافية تألّقاً في العالم الاسلامي .

---

(١) أما ماذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء من ان أول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين فهو وهم ، كشف عنه البحث في معجم شيوخ الطبراني .

ثم واصل الرحلة الى المشرق ، فزار أرّجان وشيراز ، وكان في أصبهان سنة (٢٩٠) ، وما لبث أن خرج منها ، ثم عاد اليها ثانية بعد بضع سنوات ليستقرّ فيها بصورة دائمة .

* * *

٣ ـ مشكلات وأرقام :

كان ذلك هو الوجهَ المنَسَّق الواضح من رحلة الطبراني ، وبقيت مشكلاتٌ مطروحة للبحث ، قد لا نملك حتى الآن جوابا حاسما لبعضها، من ذلك هذا السؤال :

● متى كان تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان ؟

توزعتِ الاجابةَ عن هذا السؤال أقوالٌ شتّى ، وهذا بيانها :

١ ـ ذكر الطبراني في معجم شيوخه سماعَيْن له في أصبهان : الأول سنة (٢٩٠) ، والثاني سنة (٢٩٥)[١]

٢ ـ وذكر تلميذه أبو نُعيم أن شيخه الطبراني « قدم أصبهان سنة تسعين ومائتين،فخرج منها ثم قدمها ثانياً فأقام بها محدِّثاً ستين سنة»[٢] ومعنى ذلك أن قدمته الثانية كانت على رأس الثلاثمائة ، لأنه توفي سنة سنة ستين وثلاثمائة ، كما هو معروف .

٣ ـ ونقل أبو زكريا بن مَنْده عن إبراهيم بن يحيى بن مَنْدَه ما يفيد بأن القدمة الثانية كانت في سنة أربع وثلاثمائة . ثم نقل عن أبي بكر بن مردويه أنها كانت في سنة عشرٍ أو احدى عشرة وثلاثمائة[٣] .

(١) المعجم الصغير ١/٦٤ ، ٢/٥١

(٢) ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٥

(٣) جزء في مناقب الطبراني ، لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده (ق:٣/أ-ب).

٤ ــ على حين ذكر ياقوت أن الطبراني قدم أصبهان في سنة تسعين، فأقام بها سبعين سنة حتى مات[١] •

قلت :

ان ما ذكره ياقوت خطأ صريح ، لأن دخول الطبراني أصبهان مرتين أمر محقّق • أما التاريخ الثاني المذكور في المعجم الصغير فقد ظهر خطؤه لأسباب سأبيّنها في فقرة تالية •

وتبقى بعد ذلك الارقام التاليـة : « ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١١ » مرشّحة لتحديد تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان • والظاهر أن الصواب في الرقم الثاني منها ، أي أن عودته كانت في سنة (٣٠٤) وذلك لسببين :

الاول: هو أن هذا التاريخ موافق لبحثنا التالي عن مدة رحلته الكاملة•

والثاني : أنه أثر عن رجل رافق الطبراني في أصبهان في المرتين •

«قال إبراهيم بن يحيى بن منده[٢]: قدم أبو القاسم الطبراني أصبهان أول كرّة ، فكنت أماشيه يوماً فسألته عن سنّه فأخبرني به • ثم غاب وعاد في القدمة الثانية بعد أربع عشرة سنة ، فكنتُ أماشيه يوما الى المدينة فسألته في « ميدان فاخر » عن مولده فقال : أبا إسحق ، أخذتَ في مثل هذا ! فقلتُ : أيش عملتُ ؟ فقال : أليس قد سألتني عن مولدي في تلك السنة في قدمتي الاولى بباب دار محمد بن مقرّن فأخبرتك به ؟! »

قلتُ : فإذا كانت قدمته الاولى في سنة (٢٩٠) فذلك يعني أن قدمته الثانية كانت في سنة (٣٠٤) كما ذكرنا آنفاً • ويبرز هنا سؤال كبير : تُراه

---

(١) معجم البلدان « طبرية »

(٢) مناقب الطبراني (ق: ٣/أ)

أين قضى هذه المدة الطويلة بين القَدْمَتَيْن ؟ أرجعَ الى العراق أم تجوّل في المشرق ؟ هذا ما لم نستطع معرفته بعد •

● السؤال التالي هو : كم كانت مدة رحلته ؟

اختلفت تقديرات المؤرخين في هذا الامر اختلافا بيّنا ، فهي عند ابن خلّكان ــ وتابَعَه القنّوجي وبروكلمن ــ ثلاث وثلاثون سنة ، وعند الذهبي ست عشرة سنة(١) •

أما القول الفصل في هذه المسألة فقد جاء على لسان الطبراني نفسه ؛ إذ سئل عن كثرة حديثه فقال : « كنت أنام على البواري ثلاثين سنة »(٢)

والبواري : جمع بُوريّ ؛ وهو الحصير المنسوج من القصب ، وقد عنى به حُصُر المساجد التي كان ينام عليها أثناء رحلته ، والظاهر أن طلبة العلم كانوا ينزلون المساجد خلال أسفارهم واغترابهم عن أوطانهم(٣)

وبما أنه قد ثبت لدينا من معجم شيوخ الطبراني أن بداية رحلته كانت في سنة (٢٧٤) ، فذلك يعني أن تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان بقصد الاقامة والاستقرار كان في سنة (٣٠٤) كما مرّ بنا آنفاً •

وهنا لابدّ من التمييز بين مدة رحلته ومدة سماعه ؛ لأن سماعه للحديث سابقٌ على رحلته ، ومتأخر عنها أيضاً ، فقد ذكر الطبراني في معجمه أسماء شيوخٍ سمع منهم بأصبهان بعد استقراره بمدة •

المهم اذن هو البحث عن بداية سماعه : لقد طلب الطبراني العلم

(١) انظر : وفيات الاعيان ٤٠٧/٢ ، وأبجد العلوم ٨٢٧/٣،وتاريخ بروكلمن (النسخةالمعربة) ٢٢٤/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٣/١٠

(٢) مناقب الطبراني (ق : ٤/أ) ، وعنه سير أعلام النبلاء ١٧٤/١٠

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ص : ٣)

بعناية أبيه في وقت مبكر من حياته ، وأول خير وصلنا بهذا الصدد يرجع الى سنة (٢٧٣) حين سمع بطبرية من هاشم بن مَرْثَد الطبراني[١] وله من العمر اذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

ويبدو أن الذهبي اعتبر هـذا التاريخ بداية لسماعه الحديث[٢] ، وتابَعَه في ذلك الصفدي[٣] وابن شاكر الكتبي[٤] وزادا : « من دُحَيْم لما قدم طبرية » .

والحق أن ما ذهب اليه الذهبي فيه نظر ، اذ لا يصح استنتاجه من هذا الخبر ؛ لأنه تاريخ أحد السماعات العشرة في طبرية التي كشف عنها المعجم ، ولم يُصرّح الطبراني فيه بما قاله الذهبي فيما بعد . ثم إن سماع الصغار كان مألوفاً آنذاك ومعتمداً لديهم منذ بلوغ الطفل الخامسة من عمره . هذا وقد كان أبوه اعتنى به منذ صغره ، ورافقه بعدُ في رحلته ، ولعل فؤاد سزكين كان أقرب الى الصواب حين جعل بدء دراسته للحديث في العاشرة من عمره ، أي في سنة (٢٧٠)[٥]

أما زعمُ سماعه من دُحَيْم فهو وهمٌ نشأ من الخطأ في فهم عبارة الذهبي في تاريخ الاسلام ، اذ قال : « سمَّعه أبوه ورحل به ، لانه كان له مأسَّة بالحديث قد سَمع من دُحَيْم لما قدم عليهم طبرية »[٦] ، فالاب هو الذي سمع من دُحَيْم ، أما الابن فلم يسمع منه ؛ لأن دُحَيْماً توفي سنة

(١) المعجم الصغير ١٢٦/٢
(٢) سير اعلام النبلاء (١٧٣/١٠) وتاريخ الاسلام (٦٤/١)
(٣) الوافي بالوفيات ١٦٢/٨
(٤) عيون التواريخ ١٤٢/١٢
(٥) تاريخ التراث العربي ٤٨٤
(٦) تاريخ الاسلام ٦٤/١

(٢٤٥)[1] أي قبل ولادة أبي القاسم بخمس عشرة سنة .

● السؤال الاخير هو : الى أين انتهت رحلاته في الاقطار ؟

للإجابة عن هذا السؤال يحسن فرز كل جهةٍ على حدة :

١ ـ ففي الشمال : في منطقة الثغور التي كانت خـط التماسّ بين العرب والروم في شمال بلاد الشام ، نستطيع أن نتصور خطّاً وهمياً يصل ـ من الشرق الى الغرب ـ ما بين : نصيبين ، ورأس العين ، وحَرّان ، والمَصيصة ، وأَذَنَة ، وطَرَسُوس . فهذا الخط هو الغاية القصوى لرحلته في الشمال كما يظهر من معجم شيوخه .

٢ ـ أما في الغرب : فقد ذكر الطبراني في المعجم سماعاً له من (أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي)[2] . لكن ابن عساكر ، وعنه ياقوت ـ فيما يظهر ـ حَرّفا العبارة فقالا : « سمع ببرقة أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرقي »[3] .

ثم نقل ياقوت في موضع آخر من معجمه ، عن المؤرخ المصري ابن يونس ، أنه : « ذكر أحمد بن عبد الله في البرقيين ، وذكر أخاه محمداً في المصريين ، وقال : انه كان يتّجر هو واخوته الى برقة فعُرف بالبَرقي ، وهو من أهل مصر »[4] .

قلت : ويبدو الاضطراب واضحا في نقول ياقوت . ثم ان الطبراني لم يسمع من أحمد البرقي هذا ، وانما سمع من أخيه عبد الرحيم ووهمَ في تسميته ، وذلك وهمٌ مشهور عنه[5] .

---

(١) العبـر ١/٤٤٥

(٢) المعجم الصغير ١/٤٨

(٣) تاريخ مدينة دمشق (نسخة ب : مج ١١/ل٤٤٧) ، ومعجم البلدان « طبرية »

(٤) معجم البلدان « برقة »

(٥) سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ١٧٥/ب)

وكذلك نرى أن الطبراني لم يتجاوز مصر الى جهة الغرب البتة • وليس لدينا ــ بهذه المناسبة ــ مايثبت نزوله جنوباً الى صعيد مصر •

٣ ــ أما في المشرق : فالظاهر أن رحلة الطبراني في ايران قد وقفت عند الخط الواصل مابين أصفهان شمالا وشيراز جنوبا ، وإن كان هناك احتمال قوي تشير اليه مشيخته، وهو أنه ربما بلغ الريّ شمالا ، ونيسابور شرقاً ؛ والله أعلم •

* * *

وبعد ؛ فقد وجدتُ في المعجم أرقاماً تدعو الى الريب ، طرحتْ بوجودها سؤالاً غريبا : ترى هل هي سهو من الطبراني لم تسعفه ذاكرته بصوابه ، أو تصحيف من عمل الناسخين أو الطابعين ؟! لقد اعتمدتُ في بحثي النسختين المطبوعتين ، وتبيَّن أنهما تجتمعان على الخطأ الواحد مع أن الارقام مؤيَّدة فيهما بالحروف ، ولم أتمكَّن بعدُ من الاطلاع على الاصول المخطوطة للمعجم الصغير ، ويغلب على ظنّي ــ والاسباب سأذكرها ــ أن بعض تلك الاخطاء يرجع الى ذاكرة الطبرني نفسه ، وإن كان من الثابت أن في المطبوعتين تصحيفاتٍ كثيرة من عمل الناشرين •

الرقم الاول : في سماعه من محمد بن أسد بن يزيد الاصبهاني ، بمدينة أصبهان سنة (٢٩٥)[١]

هذا الرقم لا يصحّ ؛ لأن الرجل توفي قبل سنتين من التاريخ المذكور ؛ فقد :

ا ــ ترجمه أبو نعيم الاصبهاني وقال : « كان من المعمَّرين ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين » • ثم روى الحديث المذكور في (المعجم

(١) المعجم الصغير ٥١/٢ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٨٨

الصغير) عن شيخه الطبراني،عنه•لكن من غير ذكر للتاريخ المشار إليه[١]

ب ــ وذكره أبو الشيخ الاصبهاني ــ وهو من طبقة الطبراني ــ فقال : « كنتُ أصير إليه مع والدي قاصداً للدعاء ، وكان من المعمَّرين ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين »[٢]

ج ــ ثم أرَّخ الذهبي في « العبر » وفاة هذا الرجل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين[٣]•

فهذا الاجماع ينفي صحة الرقم المذكور أولا ، ولعل صوابه : سنة تسعين ومائتين •

الرقم الثاني : في حديثه عن عبدان بن محمد المروزي ، سمعه منه بمكة سنة (٢٨٧)[٤]

ومن الغريب أن هذا الحديث نقله الذهبي في ترجمة عبدان بن محمد في « سير أعلام النبلاء » ونقل معه الرقم نفسه ، وأضاف : « لقيه الطبراني في الحج »[٥]

هذا الرقم محلّ نظر ؛ لأنه يُصادم أرقاماً أخرى بيَّنتْ أنه كان في تلك السنة ببغداد ، وأن تاريخ وجوده بمكة يرجع الى سنة (٢٨٣) • تُراه حجّ ثانية في ذلك العام ورجع من فوره الى بغداد ، أم أن في الرقم خطأ ، والصواب (٢٨٣) ؟ الله أعلم •

---

(١) ذكر اخبار اصبهان ٢/ ٢٣٢

(٢) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الاصبهاني « نسخة الظاهرية » : ٢٣٨

(٣) العبر ٢/ ٩٦

(٤) المعجم الصغير ١/ ٢٣٤ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٣٥

(٥) سير أعلام النبلاء « مصورة المجمع بدمشق » : مج ٩ / ل ١٤١

الرقم الثالث : في سماعه من إبراهيم بن سُويد الشِّبامي ، بمدينة شِبام باليمن ، سنة (٢٨٢)[١] .

هذا الرقم لايمكن الاطمئنان الى صحته ؛ لأنه يستلزم أن يكون الطبراني غادر مصر الى اليمن سنة (٢٨٢) ، ثم انتقل الى مكة والمدينة سنة (٢٨٣) ، ثم عاد ثانية الى صنعاء سنة (٢٨٤) ، ثم رجع الى مصر سنة (٢٨٥) ، وذلك مُستبعد في تلك الظروف .

وزاد الامرَ تعقيداً أن البيهقي ذكر في (السنن الكبرى ١٠/٢٢٨) أن الطبراني سمع من الرجل المذكور في شِبام باليمن سنة (٢٧٨) وهو رقم غير صحيح أيضا ، لأنه كان في تلك السنة بالشام ، لم يخرج منها بعدُ .

ومن دلائل التحريف في هذا الرقم ، أنه ورد قبله بصفحة واحدة حديث سمعه الطبراني بصنعاء سنة (٢٨٤)[٢] . والغالب على ظني أن الحديث الذي سمعه بشِبام ــ وهي قريبة من صنعاء ــ كان في السنة نفسها أيضا ، والله أعلم .

الرقم الرابع : في حديثه عن إبراهيم بن اسماعيل الرَقّي سنة (٢٩٩)[٣] ، وهو خطأ ثانٍ ورد في صفحة واحدة مع الخطأ السابق ، وقد جاء مقترنا بجملةٍ محرّفة لايستبين معناها ، مما يؤكد احتمال الخطأ[٤] .

هذا الحديث سمعه الطبراني من رجل من أهل الرقّة ، ومن الثابت لدينا أنه كان في الشام سنة (٢٧٩) ، وعلى ذلك يكون الرقم المذكور أولا

---

(١) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٢) المعجم الصغير ١/٧٨
(٣) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٤) وانظر لسان الميزان ١/٤٠٥ ، ففيه السند نفسه وقد خلا من الجملة المحرّفة.

تصحيفاً لهذا الرقم ، وصواب العبارة فيما أرى هو : « حدثنا بها سنة تسع وسبعين ومائتين » ، والله أعلم .

* * *

٤ ـ توزّع مشيخة الطبراني على الامصار

أثبتُّ توزّع شيوخه بصورة مفصّلة في قوائم ملحقة بآخر البحث، وأكتفي الآن بعرض الخلاصة التالية :

ا ـ عدد الشيوخ :

١ ـ العراق ٤٢١ شيخاً
٢ ـ الشام ٢٣٦شيخاً (منهم ٥٧ في فلسطين)
٣ ـ إيران ٢٢٣ شيخاً (منهم ٦٧ في الاهواز)
٤ ـ مصر ١٢٢ شيخاً
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٣ شيخاً
المجموع ١٠٤٥ شيخاً*

ب ـ نِسب توزّعهم :

١ ـ العراق ٤٠٪
٢ ـ الشام ٥ر٢٢٪
٣ ـ إيران ٥ر٢١٪
٤ ـ مصر ١٢٪
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٪

* ويبقى بعد ذلك (١٠٥) من الشيوخ لم يذكر الطبراني مكان لقائه بهم ، أو نسبتهم الى بلد من البلدان .

ج ــ توزّع المراكز الثقافية :

١ ــ الشام ٤٧ (منها ١٥ في فلسطين)
٢ ــ ايران ٢٨ (منها ٨ في الاهواز)
٣ ــ العـراق ١٤
٤ ــ الحجاز واليمن ١١
٥ ــ مصـر ٩

المجموع ١٠٩**

* * *

النتائج المستفادة

أولا ــ الصورة العامة

تقدمت العراق سائر الاقطار العربية والاسلامية ، ثم تلتها الشام وإيران ، وهذه الاقطار الثلاثة كان لها الحظ الأوفى في الحركة العلمية في ذلك العصر ، إذ حازت ثمانين ونيّفاً بالمئة من كامل عدد الشيوخ ، ومن مجموع المراكز الثقافية .

أما مصر والحجاز واليمن فقد كان نصيبها متواضعاً بالقياس الى الزمرة الاولى ، بل إن الحجاز واليمن أصبحتا في الدَّرْك الادنى من السلّم الثقافي ، وغاب المغرب العربي فلم تظهر له مشاركة في هذا المجال .

هذه الخارطة الثقافية للعالم العربي الاسلامي ليست ــ كما يبدو ــ وليدة مشيخة الطبراني ، ولا هي مقصورة على الربع الاخير من القرن الثالث الهجري ، بل إن ملامحها العامة بدأت في الظهور قبل أكثر مـن قرنين ، وازدادت وضوحاً مع ظهور بغداد سنة (١٤٥) ، فقد كان توزّع

** يمثل هذا الرقم مجموع المدن والقرى المذكورة في معجم شيوخ الطبراني .

الصحابة في الامصار ، ثم التابعين من بعدهم ، ثم الفقهاء والمحدثين الى سنة (٢٣٠) ؛ كان توزّع أولئك وهؤلاء يُشير بصورة واضحة الى أسبقية العراق في كل الفترات .

ثم إن خطوطها العريضة ستترك آثاراً قوية على الخوارط اللاحقة حتى أواخر القرن السادس الهجري ؛ كما مرّ بنا في أوائل هذا البحث[1] .

* * *

ثانيـا ـ الكشف التفصيلي :

(العـــراق)

نالت العراق حصة الاسد في مشيخة الطبراني ؛ إذ انتسب إليهـا (٤٠٪) من كامل مشيخته . كما بلغ عدد المدن والقـرى التي تردّد ذكرها في هذا المجال (١٤) مدينة وقرية .

ولابدّ ـ بهذه المناسبة ـ من الاشارة الى أن « إقليم الأهواز » في إيران هو في واقع الامر امتداد للعراق ؛ فكلّ الظواهر تدل على أن المناخ الثقافي السائد في الاهواز بخاصة إنما كان جزءاً من المناخ الثقافي السائد في العراق بعامة . وعلى ذلك فلو أضفنا مشيخة هذا الإقليم الى مشيخة العراق فإن النسبة ترتفع فتبلغ (٤٧٪) وعدد المراكز الثقـافية يصبح (٢٢) مركزاً .

فهذه الوفرة الغنيّة في عدد العلماء والمحدّثين ، الى جانب الكثافة الظاهرة في المراكز الثقافية ، أعطت للعراق الأسبقية المطلقة على سائر أقطار

(١) وبهذه المناسبة أود التنبيه ثانية الى ارتباط هذه النتائج بمصادرها ، ويبقى المجال رحبا لكل بحث جديد نابع من مصادر جديدة .

العالم العربي الاسلامي ؛ فكانت قطبَ الرحى ومنبع التوهّج الثقافي في قلب الدولة الاسلامية الواسعة الارجاء .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٥٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار أقاموا في العراق ، ثم ارتفع الرقم من بعدُ فبلغت نسـبة التابعين المقيمين في العراق (٥٦٪) مـن التابعين المذكورين في الطبقات ، ثم ذهب الرقم صعُداً في الحقبة التالية فبلغت نسبة المحدّثين والفقهاء (٦٦٪) من مجموع عددهم في الاقطار .

فليس عجيباً اذن أن تفوز العراق بقصـب السبق في المجال العلمي طوال القرون الثلاثة الاولى ، بل لقد دام هذا التفوق حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦) للهجرة ، وبذلك كانت العراق مركز العلم وحاضرة الثقافة في العصور الذهبية الزاهية بمجد العرب والاسلام .

● بغـداد :

أما بغداد فقد كانت بحق عاصمة الحضارة والعلم ؛ كما صورتها لنا الارقام المستخرجة من معجم شيوخ الطبراني ، إذ بلغ عدد المشيخة فيها رقماً لم تُقاربه ؛ بَلْهَ أن تبلغه ، مدينة أخرى ، لكن نموها العلمي كان كان فيما يبدو أحياناً على حساب المدينتين العظيمتين : البصرة والكوفة .

● الكوفة والبصرة :

كان عدد الصحابة الذين نزلوا هاتين المدينتين ـ وقد بُنيتا في وقتٍ متقارب ؛ في السنة السابعة عشرة للهجرة[1] ـ متساوياً . ثم مالبثت الكوفة أن تقدمت على البصرة تقدماً عظيماً في عهد التابعين[2] ، ولعل ذلك

---

(١) بلدان الخلافة الشرقية : ٦٤ ، ١٠١

(٢) الكوفة ٦١٧ تابعيا ، البصرة ٢٨٠ تابعيا

راجع الى ازدهار سياسي واجتماعي نالته الكوفة في تلك الحقبة من الزمن[١] • ثم بدأت الكوفة بالتراجع ، وبخاصة منذ ظهور بغداد •

على أننا نلحظ في مشيخة الطبراني تفوقاً ـ بالمقابل ـ للبصرة على الكوفة[٢] ، بحيث غدا الفارق كبيراً بين التوءمين • ويبدو أن الكوفة كانت تتراجع باستمرار ؛ فقد أفاد وصف الإصطخري لها ـ في المئة الرابعة للهجرة ـ أنها دون البصرة في الاتساع والشأن • ثم في سنة (٥٨٠) ذكر ابن جُبير أنه « لا سور لها ؛ فقد استولى الخراب على أكثرها[٣] »

● واسط :

وتأتي في طليعة المراكز العلمية البارزة في العراق خاصة والعالم الاسلامي عامةً ؛ إذ احتلّت المركز السادس في سلّم المدن المذكورة في مشيخة الطبراني •

ثم تتوالى مراكز الإشعاع الثقافي في العراق على النسق التالي : (الموصل ، الأبلّة ، الانبار) •

* * *

(الشام)

إن الخارطة الثقافية لبلاد الشام ـ كما بدت من خلال مشيخة الطبراني ـ لاتمتاز بالكثافة والتركيز ، بل بالامتداد والانسياح • فبلاد الشام لم تحوِ مركزاً ضخماً تكثّف فيه النشاط العلمي واكتظّ بالعلماء

(١) كانت الكوفة أول عاصمة لبني العباس ، وفيها تمت البيعة لأبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ

(٢) البصرة ١٠٢ من الشيوخ ، الكوفة ٤٧ شيخا

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ١٠١ـ١٠٢

من كل لون ، وإنما ضمَّت مراكز عدة في الداخل والساحل ، وفي الجنوب والوسط وأقصى الشمال ، تلك المنطقة التي كانت تسمى الثغور ، حيث اتخذ الصحابة ومَن جاء بعدهم مراكز علمية وحربية بآن واحد ، يقيمون فيها مرابطين في سبيل الله .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٢٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار استقروا في بلاد الشام خاصة ، ثم تدنَّت النسبة في عهد التابعين فغدت تقـارب (٨٪) ، ثم عادت الى الارتقاء في مشيخة الطبراني فبلغت (٢٢٫٥٪) أي في المرتبة الثانية بعد العراق[1] .

---

(١) كنت قد ميزت ـ اثناء فهرستي لطبقات ابن سعد ـ مابين فترتين في عهد التابعين ومن تلاهم : الاولى قبل ظهور بغداد سنة (١٤٥ هـ) ، والثانية بعد ظهورها وحتى آخـر الطبقات التي ذكرها ابن سعد . واضطررت هنا لادماج الفترتين معا ، نظرا لتشابه أحوالهما بحيث أصبح عهد التابعين المذكور أعلاه يغطي ـ على وجه التقريب ـ مابين سنتي (٨٠ ـ ٢٢٥ هـ) . ولا بد من التنبيه كذلك الى أن مشيخة الطبراني في بلاد الشام قد عاصرت الفترة الواقعة مابين سنتي (٢٧٣ ـ ٢٨٠ هـ) .

على أن الارقام التي استنتجتها الدكتورة ملكة أبيض من « تاريخ ابن عساكر » قد سارت في اتجاه آخر ، اذ بيَّنت « أن عدد العلماء ازداد ازديادا واضحا في القرن الثاني ، ولكنـه ما لبث أن تناقص في القرن الثالث * » .

ومن المتوقع أن يكون ما ذكره ابن عساكر عن علماء الشام أوفى مما ذكره ابن سعد ، وهو ما يدعو الى التريث في اطلاق الاحكام ، لكن تفسير الدكتورة أبيض للارقام لديها قد جاء مضطربا بشكل ملحوظ ، اذ قالت : « وقد حصدت الشام في القرن الثاني ثمار الجهود التي بذلها الخلفـاء الراشدون والأمويون . وبعد انتقال مركز الدولة الاسلامية الى العراق في خلافة العباسيين بدأت الفعاليات الثقافية والتربوية تتراجع في الشام ، وتجلى ذلك في القرن الثالث بصورة خاصة » .

قلت : إذا كان التراجع قـد بدأ بعـد انتقال مركز الدولة الاسلامية إلى العراق سـنة (١٣٢ هـ) أما كانت تظهر بعض آثاره ، على الأقل ، خلال الثلثين الباقيين من القرن الثاني ؟ ثم كيف تجلت آثاره في القرن الثالث بصورة خاصة ، على حين أثبتت مشيخة الطبراني أن الشام كانت في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث في مرتبة متقدمة تلي العراق مباشرة ؟!

أعود فأقول : إن التريث في إطلاق الأحكام في هذا المجال واجب محتم ، وبخاصة اذا عرفنا أن ابن عساكر نفسه قد صرح في مقدمة كتابه الكبير بقوله : « ومع ذلك فمن ذكـرت أقل ممن أهملت ** » .

=

ولعل أول ما يلفت الانتباه في مشيخة الطبراني في بلاد الشام ظاهرة تتصل بالحديث عن الطبراني وصلته بموطنه الاصلي ؛ تلك هي أن عدد المدن والقرى التي زارها الطبراني في الشام أو انتسب اليها علماء شاميون قد بلغ رقماً قياسياً بالنسبة الى سائر الاقطار[١] ، والحق أن المتتبّع لمشيخة الطبراني يشعر بأن المصنّف كان مدفوعا برغبة قوية الى التنويه بذكر وطنه ومشيخته في وطنه ، فهو قد حدّد سماعاته في أنحاء فلسطين ثم في أرجاء الشام تحديداً دقيقاً يشمل الزمان والمكان بحيث أطلعنا بشكل جليّ ومنسّق على تنقلاته بين المراكز الثقافية المتعددة في بلاد الشام ، على حين ضنّ بالتحديد نفسه على الاقطار الاخرى ، فبدت المراحل الاخيرة من رحلته غامضة يصعب التعرف اليها • ولقد كان الطبراني ، وهو يصنف معجم شيوخه ، قريب العهد من مشيخته في إيران ، ذلك القطر الذي استقرّ فيه ستين عاما من حياته أو تزيد ، ومع ذلك فقد سكتت عن بيان أي شيء يتصل بسماعاته تلك ، حتى اضطررنا للاستعانة بكتاب أبي نُعيم الاصبهاني في « ذكر أخبار أصبهان » للتعرف الى بعض مشيخة الطبراني هناك •

وخلاصة القول : لقد قدّم لنا الطبراني في معجم شيوخه صورةً مشرقة لبلاد الشام وحركتها الثقافية في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري ، بشكل لا يُنافسه فيه مصدر آخر فيما نعتقد •

= * (انظر الصفحة ٧٢٨ من الكتاب الذي ضم البحوث الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ، وأصدرته وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ، عام ١٩٧٩ م)

** تاريخ مدينة دمشق ج١ / ص ٥

(١) ٤٧ مدينة وقرية ، منها ١٥ في فلسطين ، و٣٢ في سائر بلاد الشام •

● دمشـق :

ساوت دمشق الكوفة في عدد الشيوخ ، فاحتلتا المرتبة الثالثة في مشيخة الطبراني ، بعد بغداد والبصرة[١] . كما يلاحظ أنه استقر في دمشق وحدها (٢٦٪) من مجموع المشيخة في بلاد الشام[٢] . وهذا مايسنحها رتبة متقدمة في الشام خاصة ، والعالم الاسلامي عامة .

ثم تتوالى المراكز الثقافية في بلاد الشام حسب الترتيب التالي : « حمص ، الرملة ، المصيصة ، أنطاكية ، حلب ، الرقة ، طبرية ، صور ، حران ، طرسوس ، عكا ، غزة ، عسقلان » . ولقد تمثلت هذه المدن مشاعل نور على خارطة الشام الثقافية في ذلك العصر .

* * *

(إيـران)[٣]

في الفترة الاولى من التاريخ الاسلامي لم يكن لإيران حظ في الثقافة الاسلامية،ففي طبقات ابن سعد ذكر لستة من الصحابة استقروا في خراسان ، أي بنسبة (١٪) من مجموع الصحابة الذين تفرقوا في الاقطار . وكذلك كان الشأن في عهد التابعين ، إذ لم تزد النسبة على ماذكرنا آنفاً .

(١) اما اصبهان فقد تبين أن مشيخة الطبراني فيها موزعة على أكثر من طبقة ، بسبب طول أقامته فيها ، ولذلك فلا مجال للمقارنة بينها وبين غيرها من المدن المذكورة في المعجم .

(٢) وأما ما ذكرته الدكتورة ملكة أبيض عن احصاءاتها التي بينت « أن مدينة دمشق استقطبت أكثر من نصف علماء الشام خلال القرون الثلاثة » فيصح اعتباره دليلا على ما أهمله ابن عساكر من الشيوخ خارج دمشق ، وقد كان متوقعا أن يصرف جل اهتمامه الى دمشق بخاصة ، في كتاب عنوانه : « تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الأماثل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها » . (انظر الصفحة ٧٣١ من الكتاب المذكور في الحاشية الاولى من الصفحة السابقة)

(٣) استنفدت هذا العنوان من كتاب لسترونج « بلدان الخلافة الشرقية » اذ كان شاملا معظم البلدان الوارد ذكرها في معجم شيوخ الطبراني ، مما له صلة بتلك الجهات .

لكن مع بداية العصر العباسي وظهور بغداد طرأ تحسّن ملموس في وضع ذلك القطر ، فقد ارتفع عدد العلماء وتعدّدت المراكز الثقافية ، فذُكِر في الطبقات ثلاثة وخمسون محدّثاً وفقيها موزّعين على خراسان والريّ وهَمَذان وقُم ، أي بنسبة (٦٪) من مجموعهم في الامصار ، وبذلك غدت ايران في المرتبة التالية للشام مباشرةً .

ثم ارتفت الارقام صُعُداً في مطلع القرن الرابع الهجري ، ففي مشيخة الطبراني ذكْرٌ لِ (٢٢٣) شيخاً في ايران وحدها ، أي أنها فازت بنسبة (٢١٫٥٪) من كامل مشيخة الطبراني ، وبذلك أصبحت في طليعة الاقطار المشاركة في صنع الثقافة الاسلامية بعد العراق والشام .

والظاهر أن هذه الحركة العلمية النشيطة التي بدأت هناك في الشطر الثاني من القرن الثاني ، وتوطّدت أركانها في القرن الثالث ، الظاهر أنها استمرت ثلاثة قرون أخرى ، إذ نلاحظ في مشيخة أبي سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ)[١] ، وكذلك في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)[٢]، أن ايران كانت في مقدمة الاقطار العربية والاسلامية ، في علوم الحديث بخاصة . بل تبيّن من دراسة « الاربعين البلدانية » لأبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦ هـ)[٣] أن نسبة المدن الايرانية في تلك الاربعين قد بلغت (٥٧٪)[٤]

(١) نشر في العراق نسخة مختصرة منها باسم « التحبير في المعجم الكبير » ، وهي في الحقيقة تهذيب للتحبير . انظر مجلة المجمع بدمشق : (مج ٤٨/ ج ٢ / ص ٣٧١ – ٣٨٠ ، ومج ٥٥/ج١/ ص ١٤٩ – ١٥١) .

(٢) مصورة في المجمع بدمشق .

(٣) نسخة الظاهرية (مجموع ٧٦/ق : ٦ – ٢١)

(٤) هذه النتائج أيدتها الارقام التي ذكرها ناجي معروف رحمه الله في كتابه « عروبة العلماء

وبهذه المناسبة لا مناص من الاشارة الى ظاهرتين كبيرتين في تاريخ ايران الثقافي :

الأولى ــ هي أن الأهواز امتداد للعراق من الناحية الثقافية :

ظهر ذلك في مشيخة الطبراني بشكل واضح ؛ فالكثافة في المراكز العلمية والكثرة في عدد العلماء في هذه المنطقة ، كلّ ذلك يُلحقها بالعراق وبمناخها الثقافي • ففي الاهواز (٦٧) شيخا موزعين على ثماني مدن ، على حين بلغ عددهم في سائر المدن في ايران (٣٦) فحسب ، أي حوالي النصف ممّن كانوا في الاهواز وحدها • ومن الطريف أن تاريخ وجود الطبراني في الاهواز كان مُلابساً لتاريخ اقامته في بغداد سنة (٢٨٨ هـ)•

والثانية ــ هي استعراب ايران في العصر العباسي :

قد يكون في هذا العنوان بعض الغلوّ أو المجازفة ؛ لكني اخترته للتنبيه الى مبلغ تغلغل العربية في ايران في تلك الحقبة من الزمان •

يظهر للمتأمّل في حركة الفتح الاسلامي في المشرق أنها كانت مُرافقة بتيار من الهجرة العربية ؛ تمثّل في موجات متتالية تصدر من قلب الجزيرة العربية وأطرافها باتجاه الشمال • وقد كانت البصرة والكوفة بمثابة رأس جسر في ذلك التحرك الحربي ؛ تتوقّف عنده القبائل العربية من مُضر وتميم والأزد وعبد القيس زمناً ، ثم تتابع المسير الى خطوط القتال في المشرق ، وهذه بعض أمثلة :

=

المنسوبين الى البلاد الاعجمية ــ في خراسان ، (ط سنة ١٩٧٦ م) اذ ذكر في الصفحة (٤٧٧) أن مجموع العلماء في نيسابور والري قد بلغ اوجه في القرون : الثالث والرابع والخامس والسادس من الهجرة •

في السنة التاسعة عشرة للهجرة نزل عثمان أو الحكم بن أبي العاص «تَوَّج» من أرض فارس ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم[(١)] •

وفي سنة (٥١ هـ) ولّى زيادُ بن أبي سفيان الربيعَ بن زياد الحارثي خراسان ، وحَوَّلَ معه من أهل المصرَيْن ــ البصرة والكوفة ــ زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم[(٢)] •

وفي سنة (١١٢ هـ) استعمل هشامُ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن المرّي على خراسان ؛ فأمدَّه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من أهل البصرة،وبعبد الرحمن بن نُعيم في عشرة آلاف رجلٍ من أهل الكوفة[(٣)] •

فهذه الهجرة العربية من جانب ، ودخول الايرانيين في دين الله أفواجاً من جانب آخر ، أثمرا في منتصف القرن الثاني للهجرة سبوغ صبغة عربية على تلك الاصقاع • ويبدو أن تلك الصبغة ازدادت عمقاً ووضوحاً في القرنين الثالث والرابع ؛ بحيث أصبحت العربية لغة الثقافة والعلم ، بل لعلها غدت لغة التخاطب في أيام الطبراني ؛ الذي عاش الشطر الاول من القرن الرابع في أصبهان ولم يُحسن من اللغة الفارسية إلاّ ثلاث كلمات •

قال يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه في الجزء الذي جمعه في مناقب الطبراني : « سمعتُ مشايخنا رحمة الله عليهم يقولون : سمعنا ممَّن نثق به ونعتمد عليه أن أبا القاسم الطبراني رحمه الله لم يُحسن من كلام

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ط بريل ١٨٦٦ م) : ص ٣٨٦
(٢) المصدر السابق : ص ٤١٠
(٣) المصدر السابق : ص ٤٢٩

الفارسية إلا ثلاثة أشياء ... » ثم ذكر ثلاث كلمات فارسية[١].

ويظهر أن ذلك الوجه العربي للثقافة في ايران قد ظلّ مُشرقاً هنالك حتى القرن السادس الهجري ، ثم كانت فتنة الغُزّ ونكبة المغول وتدمير تيمورلنك ضرباتٍ متلاحقة دَكّت صرح الحضارة في تلك البلاد وأذهبت ريح العربية في الوقت نفسه[٢] .

● أصـــبهان :

كانت أصبهان في مطلع القرن الرابع الهجري مركـزاً ثقافياً كبيراً بالمشرق ، دَلّ على ذلك عدد الشيوخ الاصبهانيين المذكورين في معجم شيوخ الطبراني ؛ وهو (١٢٠) شيخاً . ولقد أخَلّ ـ رحمه الله ـ بذكر تواريخ سماعاته في أصبهان ، فأورثَنا بذلك غموضاً حالَ دون معرفة تلك المرحلة الهامة من مراحل حياته العلمية الخِصبة . على أن كتاب تلميذه أبي نُعَيم « في ذكر أخبار أصبهان » سدّ بعض الثغرات ممّا أخَلّ به شيخه ، ولقد تبيّن من المقـارنة بين الكتابين أن المعجم المذكور أصلٌ من أصول كتاب أبي نُعيم ، إذ تَجَمَّع لديّ من البحث فيهما أســماء (١١٢) شــيخاً ذُكروا في كلا الكتابين ؛ وقد توزّعوا بالشكل التالي :

٧٦ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني ومصادر أخـرى .

١٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني فحسب.

---

(١) الورقة ١٣/أ

(٢) انظر عروبة العلماء في المشرق الاسلامي (ط ١٩٧٤ م) : ٧٨/١

٢٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من مصادر أخرى •

ثم تبيَّن من دراسة تواريخ وفيات هؤلاء الشيوخ أن ثمانيةً وخمسين منهم تُوفوا بين سنتي (٢٩٠ و ٣١٠) أي أنهم أبناء طبقة واحدة • فهذا الرقم الكبير دليل نشاط علميّ عظيم نافست أصبهانُ به دمشقَ وغيرها من أمَّهات المدن العربية فغدت مركز إشعاع ثقافي وهَّاج •

ولانعلم مدة هذا الازدهار الذي عاشته أصبهان ، لكننا نعتقد أنه دام أمداً بعيداً ؛ فقد تردّد ذكرها كثيراً في القرن السادس ، في مشيختي السمعاني وابن عساكر •

وبعد أصبهان تأتي سبعٌ وعشرون مدينة وقرية ايرانية شاركت في مشيخة الطبراني ؛ كان أبرزها على التوالي : تُسْتَر ، عسكر مُكرم، الأهواز ، جُنديسابور ، شيراز ، الريّ ، رامَهُرْمُز ، نيسابور ، عبادان •••

* * *

(مصـر)

بلغ عدد الشيوخ المصريين المذكورين في المعجم (١٢٢) رجلاً ، أي ما يعادل (١٢٪) من المشيخة ، وهو مايجعل مصر في عداد الاقطار التي تأتي في الدرجة الثانية في المجال الثقافي في ذلك العصر •

والظاهر أن هذا الدور الثانوي كان ملازماً لمصر فيما سبق ؛ فقد كانت حصَّة مصر من الصحابة والتابعين والمحدِّثين المذكورين في طبقات ابن سعد ضئيلة ؛ تتراوح بين خمسة واثنين وثلاثة بالمئة من المجموع لكل فئة •

وأول ما يلفت الانتباه في الخارطة الثقافية لهذا القطر هـو كثافة العلماء المذكورين تحت اسم «مصر» ممّا يثير هذا التساؤل : ما المقصود بكلمة مصر ، القطر أم العاصمة ؟

لقد مرّ بنا في طبقات ابن سعد ذكرٌ لمصر فحسب ، أما معجم شيوخ الطبراني ففيه ذكرٌ لمصر ، ودمياط ، وتنّيس ، والجيزة ، وقلْزُم ، ودَميرَة ، والقنطرة ، وإخميم ، ممّا يوحي بأن المقصود بمصر بلدٌ بعينه ، وهو العاصمة .

يؤيّد هذا الاستنتاج أن أبا طاهر السِّلَفي نزيل الاسكندرية ، الذي أقام بها ستّين سنة (ت ٥٧٦) ، ذكرَ في « الاربعين البلدانية »[١] نه مصر والاسكندرية باعتبارهما مدينتين من المدن التي زارها ، وانتخب من مسموعاته فيها أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة ، ومن الواضح أنه قصد بمصر مدينة القاهرة .

فاذا ما صحّ أن المقصود بمصر في مشيخة الطبراني عاصمة مصر ، فذلك يعني أنها كانت مركزا ثقافيا عظيما يُعد في طليعة المراكز الثقافية في العالم الاسلامي ، كما يعني في الوقت نفسه أن الخارطة الثقافية للقطر المصري تمتـاز بكثافة النشاط العلمي في العاصمة وضـموره في سائر الاطراف[٢] .

بقي أن نشير الى أن مصر كانت منـذ العصور الاسلامية الاولى قاعدة المغرب العربيّ ، إذ تتّجه اليها وفود طلبة العلم من المغاربة ، وفي

(١) انظر التعليق الثالث بحاشية الصفحة ٥٤٢ .

(٢) اجتمع ١٠٤ من الشيوخ في العاصمة ، وتفرق ١٨ منهم في بقية الاطراف .

معجم شيوخ الطبراني بعض أصداء من ذلك . وقد ازداد مركزها هذا رسوخاً مع فشوّ التعريب في أقطار المغرب ، حتى جمع الحافظ السِّلفي في القرن السادس معجماً هو من أجلّ كتبه وأنفسها ، واسمه « معجم السفر» ذكر فيه تراجم الشيوخ الوافدين على مصر من المغرب والاندلس .

وإذا ما أضفنا الى ذلك ما حَلّ بالمشرق الاسلامي والعراق بخاصة من دمار ، بأيدي التتار الذين اجتاحوا كالسيل الجارف معالم الحضارة من تلك الديار ، تبيَّن أن مصر كانت المؤهَّل الوحيد لاستقطاب النشاط العلمي واستئناف البناء الحضاري في العالم العربي بدءاً من تاريخ سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ)

* * *

(الحجاز واليمن)

وهما آخر حبات العنقود في منظومة النشاط الثقافي في أواخر القرن الثالث الهجري ، إذ بلغت حصيلة رصيديهما معاً (٤٪) من مجموع شيوخ الطبراني .

ويُشير توزُّع المشيخة فيهما الى أن عدد الشيوخ في اليمن يقارب عددهم في الحجاز ، وأن عدد المدن والقرى اليمنية المذكورة في المعجم يعدل ضعفي تلك التي في الحجاز ، مما يكشف عن حركة علمية أصيلة متغلغلة في شعاب اليمن ، رغم قلّة الكثافة العددية في الشيوخ .

ولقد أبانت طبقاتُ ابن سعد ـ مع النقص الواضح في بعض الطبقات ـ عن تفوّق الجزيرة العربية بعامّة والحرَمَيْن الشريفين بخاصة في عهد الصحابة والتابعين . إلا أن التراجع بدأ فيما يظهر اعتباراً

من النصف الثاني من القرن الثاني ؛ فقد سجّلت النسبة انخفاضاً واضحاً في عدد الفقهاء والمحدّثين ، وهو ما انتهى في أواخر القـرن الثالث الى التدنّي الذي كشفت عنه مشيخة الطبراني .

وأخيراً قد يثب على لسان الباحث ـ وهو يتأمّل تنقّل الطبراني فيما بين مصر والحجاز واليمن ـ هذا السؤال : تُرى ؛ هل سلك الطبراني سبيل البحر في الرحلة من اليمن الى مصر أو بالعكس ؟ إنه لو صحّ مثل هذا الفرض لكان مفتاح بحثٍ طريف في الصلات ما بين القطرين الشقيقين في تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي .

* * *

٥ ـ الملحقـات

● توزّع مشيخة الطبراني في الامصار :

١ ـ مشيخته في فلسطين*

ا ـ سمع في :	عددالشيوخ
١ ـ طبرية : سنة ٢٧٣ ثم ٢٧٧	١٠
٢ ـ بيت المقدس : سنة ٢٧٤	٤
٣ ـ رَمادة الرملة : سنة ٢٧٤	١
٤ ـ عكا : سنة ٢٧٥	٥
٥ ـ قيسارية : سنة ٢٧٥	٢
ب ـ وسمع في :	
٦ ـ الرّملة	١٨

* القوائم مرتبة على نسق موافق لرحلة الطبراني .

	عدد الشيوخ
٧ ــ غـزّة	٥
٨ ــ يافا	١
٩ ــ أرسُوف (على الساحل ، بين قيسارية ويافا)	١
١٠ ــ سِجِلّين (من قرى عسقلان)*	١
١١ــ عجّس (من قرى عسقلان)	١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

١٢ ــ عَسْقلان	٥
١٣ ــ حَنْدُرة (من قرى عسقلان)	١
١٤ ــ عَيْنُون (من قرى بيت المقدس)	١
١٥ ــ أيْلَة (على البحر الاحمر)	١

المجموع ٥٧ شيخاً

٢ ــ مشيخته في سائر بلاد الشام

ا ــ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ــ دمشق : سنة ٢٧٨ ثم ٢٧٩	٤٧
٢ ــ حمص : سنة ٢٧٨	٢١
٣ ــ حلب : سنة ٢٧٨	١٤
٤ ــ أنطاكية : سنة ٢٧٨	١٥
٥ ــ المصيصة : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	١٦
٦ ــ طَرَسُوس : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	٥

* كذا بكسر الجيم وتشديد اللام ــ في المعجم الصغير والانساب واللباب وتاج العروس . وضبطها ياقوت في معجم البلدان : « سحلين » بالحاء المهملة الساكنة .

	عددالشيوخ
٧ ــ سنجار : سنة ٢٧٨ (في الجزيرة)	١
٨ ــ جبلة : سنة ٢٧٩ (في الساحل)	٤

ب ــ وسمع في :

٩ ــ الرقّة	١١
١٠ــ حرّان (شمال الرقة)	٦
١١ــ الرافقة (متصلة بالرقة)	٢
١٢ــ نصيبين	٣
١٣ــ منبج (شمال حلب)	٢
١٤ــ كفر بيّا (بإزاء المصيصة)	١
١٥ ــ شَيْزَر (بين حماة والمعرّة)	٢
١٦ ــ عِرْقَة (شرقي طرابلس)	١
١٧ــ بعلبك	٣
١٨ــ طَرَطوس	١
١٩ــ جُونيــة	١
٢٠ــ صُــور	٦
٢١ــ صَيْــدا	١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

٢٢ ــ بيروت	٤
٢٣ ــ اللاذقيــة	٢
٢٤ــ أذَنَــة (قرب المصيصة)	٢

	عددالشيوخ
٢٥ـ مَلاطية (في أعالي الفرات)	١
٢٦ـ رأس العين } في الجزيرة	١
٢٧ـ بالــس } في الجزيرة	١
٢٨ جبيل (شرقي بيروت)	١
٢٩ـ عــم (قرية بين حلب وأنطاكية)	١
٣٠ـ مَشْغْرا (من قرى البقــاع)	١
٣١ـ فَــوْز (من قرى حمص)	١
٣٢ـ حصن مقدية (قرب درعا)	١
	المجموع ١٧٩ شيخاً

٣ ـ مشيخته في مصر

	عددالشيوخ
ا ــ سمع في :	
١ ــ مصر : سنة ٢٨٠ ثم ٢٨٥	١٠٤
ب ــ وسمع في :	
٢ ــ دمياط	٤
٣ ــ تَنّيس	٤
٤ ــ الجــيزة	٣
٥ ــ قُلْزُم (قرب السويس)	٣
٦ ــ دَمِيْرة (قرب دمياط)	١
ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٧ ــ القنطرة	١

٨ ــ إخميم (بالصعيد)	١
٩ ــ بــرقة	١
	المجموع ١٢٢ شيخاً

٤ ـ مشيخته في الحجاز واليمن

ا ــ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ــ مكة : سنة ٢٨٣ ثم سنة ٢٨٧*	١٥
٢ ــ المدينة : سنة ٢٨٣	٦
٣ ــ صنعاء : سنة ٢٨٤	١٣
٤ ــ شِبام : سنة ٢٨٢* (قرب صنعاء)	١
ب ــ وسمع في :	
٥ ــ جُــدّة	١
٦ ــ زَبيــد (باليمن)	٢
٧ ــ الكدراء (باليمن)	١
ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٨ ــ مَعــين	١
٩ ــ جَنَــد	١
١٠ ــ دَبَــر	١
١١ ــ عــدن	١
	المجموع ٤٣ شيخاً

* هذه الارقام محل نظر ، انظر ص : ٥٣٢ ـ ٥٣٣

٥ ـ مشيخته في العراق

	عددالشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ بغداد : سنة ٢٨٦* ثم ٢٨٧ ثم ٢٨٨	١٩٩
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ البصرة	١٠٢
٣ ـ الكوفة	٤٧
٤ ـ واسط	٣٠
٥ ـ الأُبُلَّة	١٠
٦ ـ الانبار	٨
٧ ـ سُرَّ من رأى	٤
٨ ـ بَلَد (شمال الموصل)	٢
٩ ـ قصر ابن هُبيرة (بجوار بغداد)	٢
١٠ ـ الحديثة	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١١ ـ الموصل	١٢
١٢ ـ المدائن	٢
١٣ ـ بابَسير (من قرى واسط)	١
١٤ ـ عُكبرا	١
	المجموع ٤٢١ شيخاً

* استفدتُ هذا الرقم من كتاب « تسمية من يُروى عنه من أولاد العشرة » لعلي بن المديني (نسخة الظاهرية ـ ق : ٦٩/ب) ، ثم ثبت لدي بمقارنة ما في المعجم للصغير (٢/٤٨) مع ما ذكره ابو نُعَيم في اخبار أصبهان (٢/٢٢٧)

٦ ـ مشيخته في ايران والمشرق

		عددالشيوخ
ا ـ سمع في :		
١ ـ عسكر مُكرم : سنة ٢٨٨*		١٤
٢ ـ أصبهان : سنة ٢٩٠ ثم ٢٩٥**		١٢٠
ب ـ وسمع في :		
٣ ـ جنديسابور	في الاهواز	٨
٤ ـ عبادان	في الاهواز	٤
٥ ـ شيراز (عاصمة فارس)		٨
٦ ـ أرّجان		٢
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :		
٧ ـ تُسْتَر		٢٤
٨ ـ الأهواز	في الأهواز	١١
٩ ـ رامَهُرْمُز	في الأهواز	٤
١٠ ـ مَنُّوث	في الأهواز	١
١١ ـ إيذج		١
١٢ ـ فارس	في فارس	١
١٣ ـ فسا	في فارس	١
١٤ ـ تَوَّز	في فارس	١
١٥ ـ إصطخر	في فارس	١

* هذا الرقم من سير أعلام النبلاء : مج ١٠/ل ١٧٤

** هذا الرقم محل نظر ، انظر (ص ٥٣١)

		عددالشيوخ
١٦ ــ كيش (جزيرة بين عمان وفارس)		٢
١٧ ــ الـري	في الجبال	٥
١٨ ــ الباطرقان	في الجبال	١
١٩ ــ أسفيذن	في الجبال	١
٢٠ ــ الدينور	في الجبال	١
٢١ ــ برديج	في الجبال	١
٢٢ ــ نيسابور	في خراسان	٣
٢٣ ــ مــرو	في خراسان	٢
٢٤ ــ بَلْــخ	في خراسان	٢
٢٥ ــ فِرياب	في خراسان	١
٢٦ ــ نَســـا	في خراسان	١
٢٧ ــ بَغْشــور	في خراسان	١
٢٨ ــ سِجستان		١

المجموع ٢٢٣شيخاً

* * *

● توزّع الصحابة والتابعين والمحدّثين في الامصار
مستخرج من فهارس طبقات ابن سعد (الاجزاء : ٥ و ٦ و ٧)

أ ـ توزع الصحابة :

في المدن والاقاليم

١ ـ الكوفة	١٥٠
٢ ـ البصرة	١٥٠
٣ ـ الشام	١١٤
٤ ـ مكة والطائف	٨٧
٥ ـ مصر	٣٢
٦ ـ اليمن	٢٧
٧ ـ البحرين	٢٥
٨ ـ اليمامة	٦
٩ ـ خراسان	٦
١٠ـ الجزيرة	٥
١١ـ المدائن	٢
المجموع	٦٠٤

في الاقطار

١ ـ العراق	٣٠٢
٢ ـ الحجاز واليمن والبحرين	١٤٥
٣ ـ الشام والجزيرة	١١٩
٤ ـ مصر	٠٣٢
٥ ـ خراسان	٠٠٦
المجموع	٦٠٤

كشف بالنّسب*

١ ـ العراق	٪٥٠
٢ ـ الحجاز واليمن والبحرين**	٪٢٤
٣ ـ الشام والجزيرة	٪٢٠
٤ ـ مصر	٪٥
٥ ـ خراسان	٪١

---

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

** هذه النسبة تمثل الصحابة الذين توزعوا في أنحاء الجزيرة العربية ، باستثناء المدينة المنورة .

ب ـ توزع التابعين قبل ظهور بغداد :

في المدن والاقاليم

١ ـ الكوفة	٦١٧
٢ ـ المدينة المنورة*	٤٠٥
٣ ـ البصرة	٢٨٠
٤ ـ مكة والطائف	١١٠
٥ ـ الشام	٩٩
٦ ـ مصر	٢٦
٧ ـ اليمن	٢٠
٨ ـ الجزيرة	١٥
٩ ـ خراسان	١٤
١٠ـ واسط	٧
١١ـ اليمامة	٦
١٢ـ المدائن	٥
١٣ـ أيلة	٢
١٤ـ تونس	١
المجموع	١٦٠٧

في الاقطار

١ ـ العراق	٩٠٩
٢ ـ الحجاز واليمن	٥٤١
٣ ـ الشام والجزيرة	١١٤
٤ ـ مصر	٠٢٨
٥ ـ خراسان	٠١٤
٦ ـ تونس	٠٠١
المجموع	١٦٠٧

كشف بالنسب**

١ ـ العراق	٥٦٪
٢ ـ الحجاز واليمن	٣٤٪
٣ ـ الشام	٧٪
٤ ـ مصر	٢٪
٥ ـ خراسان	١٪

* سقط من المطبوعة : الطبقتان الرابعة والخامسة من طبقات المدنيين ، انظر طبقات ابن سعد ٤٠٨/٥ ـ ٤٠٩

** النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

ج ـ توزع الفقهاء والمحدثين : من ظهور بغداد سنة ١٤٥ هـ وحتى سنة ٢٣٠ هـ:

في المدن والاقاليم

١ ــ الكوفة	٢٣٧
٢ ــ بغداد	١٦٥
٣ ــ البصـرة	١٥٢
٤ ــ المدينـــة	٠٧٤
٥ ــ مكــة	٠٤٢
٦ ــ خراســان	٠٤٢
٧ ــ الشــام	٠٣٩
٨ ــ الجــزيرة	٠٢٤
٩ ــ واســط	٠٢٣
١٠ــ مصــر	٠٢٢
١١ــ الثغور الشامية	٠١٩
١٢ــ اليمــن	٠١٤
١٣ــ الري وهَمَذان وقم	٠١١
١٤ــ اليمــامة	٧
١٥ــ أيلـــة	٧
١٦ــ المدائـــن	٤
١٧ــ الانبــار	٣
١٨ــ الاندلس	١
المجموع	٨٨٦

في الاقطار

١ ــ العراق	٥٨٤
٢ ــ الحجاز واليمن	١٣٧
٣ ــ الشـــام	٠٨٢
٤ ــ ايــران	٠٥٣
٥ ــ مصــر	٠٢٩
٦ ــ الاندلس	٠٠١
المجموع	٨٨٦

كشف بالنِّسَب*

١ ــ العــراق	٦٦٪
٢ ــ الحجاز واليمن	١٦٪
٣ ــ الشام	٩٪
٤ ــ ايــران	٦٪
٥ ــ مصــر	٣٪

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

التعريف والنقد

مجلتــان تاريخيتان

الدكتور شاكر الفحام

— ١ —

في غمرات الصراع الدولي الراهن ، لعله لم تعان أمّــة من الامم ما عانته وتعانيه الامة العربية من وطأة الاستعمار والامبريالية والصهيونية. لقد بدأت الامة العربية صراعها الدامي العنيف مع الاستعمار الغربي في التاريخ المعاصر منذ أن قام بعدوانه السافر الغادر على بلاد الجزائر واحتلها عام ١٨٣٠ (١٢٤٦ هـ)[١] . ثم امتد الصراع امتــداد هذا الاستعمار الغربي الذي ألقى بظله الثقيل البغيض على البقاع العربية قطراً فقطراً، يستغلها ويستنزف ثرواتها ، حتى كاد يشمل الارض العربية كلها. وناضل العرب النضال الطويل المرير ، وطرقوا بأيديهم المضرجة أبواب الحــرية مائة عام أو تزيد ، وظفروا بعد التضحيات الجسام بالاستقلال : رفعــت سورية العربية رايته الاولى حين جلا المستعمر الغاصب عــن أرضها في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦ م ، ولم يستطع الاستعمار وقف اندفاع أخواتها العربيات التي تسعّرت أرضها ناراً عليه ، وانسحب من الارض العربية ، مكرها ، مغلوبا على أمره .

وراع الاستعمار الذي مزق شمل الامــة العربية دهراً ، وعاث في

(١) كانت طلائع هذا التعدي الاستعماري على البلاد العربية في التاريخ المعاصر قد أطلت برؤوسها البشعة يوم جاس نابليون بجيوشه ديار مصر والشام ، وفي ركابه أدلاء الصهيونية ، فارتد على عقبيه مذموما مدحورا .

أرضها فساداً ، ونهب خيراتها ، وأثار كل النزعات الضـالة ، والنزوات المنحرفة ، والاهواء الشريرة ، أن يشهد مولد الفتوة العربية من جديد ، تنفتح للحياة الحـرة الكريمة ، وتجاهد التفرقة والتجزئة لترسي أسس الوحدة ، وتعمل ليل نهار جادّة نشيطة لتقضي على التخلف والجمود ، وتسعى يحدوها المثلُ الاعلى لبناء الحضارة العربية الحديثة ، وملءُ عينيها وفيض قلبها التفاؤلُ والامل ، يقترنان بالعزم والتصميم في ارادتها . واندفعت الامبريالية المذعورة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، لتنزل بالامة العربية ضربتها القاصمة، تريد لها ألا تنهض بعدها . وتعاونت الاطراف الحاقدة ، وتكالبت على الامة العربية ، لايصدّها رادع من خلق ، ولا وازع من ضمير ، ولا مسكة من شرف ، حتى أقامت دولة العـدوان الشريرة العنصرية في قلب الوطن العربي ، تمزقه وتنهكه وتشرد أبناءه ، وتحول دون وحدته وتقدمه وعودته الى ساحة الحضارة الانسانية . لقد كان همّ الاستعمار والامبريالية الاول هو ألا يسمحا للعرب بالتحرر والوحدة ، وأن يعوقا ، بمختلف الوسائل والاساليب ، كل خطوة عربية نحوهما . يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت١٣٣٥ هـ/١٩١٦ـ١٩١٧م) في كتابه: (حليـة البشر) ، وهو يتحدث عن أعمال محمـد علي باشا والي مصر واصلاحاته وهزيمته الدولة العثمانية : « فنشأ في مصر جيل جديد ، وعصر جديد ، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة ، فافتتح النوبة وسنار ، واستولى على الشام والحجاز .. بل امتدّ بالاستيلاء الى قرب الآستانة في الاناطولي ، ... فتعصب الانكليز الى الدولة [العثمانية] في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من انشاء دولة اسـلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر ، ... فلذلك حاربته انكلترا مع

الدولة العثمانية التي هي اذ ذاك على ضعف شديد ••• فقهروا محمد علي، ولكن لاتمام مقاصد انكلترا لم تسمح للدولة [العثمانية] بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا ، فكان الاوفق لها ابقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كلٌّ من الجهتين ••• »[١] •

بهذه الكلمات القليلة المعبرة رسم الشيخ البيطار أفاعيل الاستعمار الحاقد على الامة العربية ، وكشف عن مطامعه وغاياته منذ مطالع النهضة العربية • وهاهي ذي الامة العربية اليوم تستقبل القرن الخامس عشر الهجري،وهي تواجه أقسى مرحلة تمرُّ بها في تاريخها ، قد أنشب الاستعمار الظالم ، وفي طليعته الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية ، مخالبه في جسدها ، يريد أن يمزقها أشلاء ، وداس بقدميه كل القيم الروحية والمبادىء الخلقية ، وتنكر لحقوق الانسان أبشع تنكر ، فعمل وساعد على طرد شعب فلسطين العربي من أرضه ، وسلبه وطنه ليحل محله غرباء معتدون أتوا من أقاصي البلاد ، لا يربطهم غير الحقد والجشع ، يتابعون العدوان والسلب، ولا يلقون غير التشجيع والتعزيز والعون من الاستعمار •

ان هذا الموقف الموجع الفاجع الذي فرضته الامبريالية الامريكية والصهيونية على الامة العربية تريد أن تذلها وتسكتها لن يطول أمده ، أمام ارادة الجماهير العربية المتحفزة لحريتها ووحدتها ، المندفعة أبدا تناضل في كل ميدان وساحة : تحارب التخلف وما يجرُّ اليه ، وتحثُّ على التقدم وما يتطلبه ، تدعو العلماء أن يتبتلوا في محاريب العلم والتكنولوجيا ليضعوا ثمرات بحوثهم في خدمة المجتمع العربي وتطوره ، تهيب بذوي الاقلام ورجال الفكر أن يقفوا نفوسهم وطاقاتهم لحشد قوى الامة ،

(١) حلية البشر ٣ : ١٢٤١ ـ ١٢٤٢ •

ولخدمة أهدافها ، تنادي رجال الحرب أن يعدوا العدة للدفاع عن الوطن، والذود عن الحمى ، شعارها : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) . انها تريد أن تخوض معركتها الضارية مع الاستعمار بكل وجوهها ومتعدد مناحيها[1] ، قد جندت لها كل أسلحتها ، كل ما قدرت عليه وأطاقته ، واجتثت من طريقها كل المثبطات والمعوقات التي زرعها الاستعمار والتخلف. وسيكون حليفاً قوياً لها في معركتها الكبرى الحق ومنطق التاريخ يؤيدانها في مطالبها ، ويستجيبان لها في نضالها العادل المرير . لقد دنت ساعة الخلاص ، وأذن شروق الفجر ، والويل لمن يحاول وقف مسيرة الشعوب نحو حريتها ، وحقها في الحياة والكرامة .

ـ ٢ ـ

من هذا المنطلق أتطلع الى مظاهر النشاط الثقافي العربي ، وبهذا المنطلق أرصده وأتتبعه . أرفض كل ما لا يندرج في مضمونه أو يخالف عن غايته وهدفه ، وأتقبل بالرضا والارتياح كل ما يعمل على ترسيخ الاصالة العربية والهوية القومية ، ويشق طريق التقدم ، ويهيىء النفس العربية للتفتح والابداع ، ويغذي روح النضال والتفاؤل لتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الحر الموحد .

ـ وفي هذا الاطار نتابع الحركة الفكرية الثقافية التي تدعو الى اعادة كتابة التاريخ العربي كتابة منهجية ناقدة ، تستوحي المبادىء والنظريات

(١) اذا كانت المعركة العربية الاولى مع الاستعمار والامبريالية فيالتاريخ المعاصر قد بدات عام ١٨٣٠ م باحتلال المستعمر الفرنسي أرض الجزائر لتنتهي في عام ١٩٦٧ م بطرد المستعمر الانكليزي من اليمن الجنوبي ، فان معركة العرب الثانية مع الامبريالية والصهيونية تدور رحاها على أرض فلسطين الطاهرة ، وسيواصل العرب كفاحهم في سبيل حريتهم واستخلاص أرضهم حتى يتحقق النصر وتندحر الامبريالية والصهيونية . وان للباطل جولة ثم يضمحل .

التي أفضت اليها التجربة التاريخية العالمية ، حصيلة هذا التطور الانساني العظيم في الفكر والفلسفة وصناعة التاريخ ، ويتوافر لأصحابها كل الصفات والشروط ، وتتهيأ لهم كل الوسائل والادوات التي يطالب بها (النقد التاريخي) مما يتيح لنا معرفة الماضي العربي معرفة صحيحة صادقة ، تنفي كل ما سطّر حول تاريخنا من الزيف والتحريف ، وتزيح كل ما علق به من الخرافة والاباطيل ، وتنفذ الى الخفي المستسر الذي كان المحرك الفعال في الاحداث والوقائع ، تكشف عنه وتحدد دوره ، بدل الانخداع بالمظاهر الطافية على السطح •

ــ وأعرض هنا لمجلتين تاريخيتين هما أحدث ما صدر في هذا الباب :

أما المجلة الاولى فهي مجلة البحوث التاريخية التي يصدرها مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي • اطلعتُ على أعدادها الثلاثة الاولى (وهي عددا عام ١٩٧٩ ، والعدد الاول لعام ١٩٨٠) ، واذا كان الحافز المباشر لانشاء مركز البحوث والدراسات واصدار مجلته التاريخية انما هو قلة الكتب المؤلفة في تاريخ ليبيا ، وكثرة التحريف والخطأ في المؤلَّف منها (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٩ــ١٢) فإن المجلة قد خرجت منذ عددها الاول على هذا الاطار الضيق ، ودعت دعوة صريحة الى أن تلتقي على صفحاتها « أقلام المختصين في مغرب الوطن العربي ومشرقه ، وغيرهم من أجانب ، المهتمين بالدراسات التاريخية العربية الاسلامية والعالمية ، لنعمل جميعا بأمانة ومنهجية على خدمة البحث العلمي، وترقية الدراسات التاريخية» (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٧ ، ٨) •

لقد أرادت المجلة أن يعالج المختصون على صفحاتها موضوعات التاريخ العربي بنظرة جديدة ، هدفها البحث عن الحقيقة التاريخية ، مما

يهيىء للمشاركة الجادة في اعادة كتابة التاريخ العربي « على أسس علمية ومنهجية سليمة » ، ويجنبنا الاخطاء التي ارتكبها المؤرخون الغربيون ومن سار على دربهم بحق تاريخنا عمدا وبغير عمد . وفي مقالة : (لمــاذا كتابة التاريخ ؟) أبان الدكتور محمد الطاهر الجراري المحاولات الانسانية في كتابة التاريخ ، والمراحل التي مرت بها ، والتجارب التي عاناها المؤرخون والمفكرون في سبيل الوصول الى الحقيقــة التاريخية (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٨٣ ــ ٨٦) .

ونظراً لقيام مركز البحوث في ليبيــا فقد كانت أكثر موضــوعات العددين الاول والثاني مستمدة من التاريخ الليبي مثل : منظمة «تشكيلاتي مخصوصة » السرية ودورها في الجهاد الليبي ، حملة رمضان باي على غدامس ، حركة الترجمة في ليبيا ، الطريق من طرابلس الى فزان ، روفلس وليبيا (مترجمة) ، الوثائق العثمانية كمصــدر لتاريخ ليبيا الحديث ، منطلقات نظرية في منهجية التاريخ الليبي ، آفاق جديدة حول كتابة التاريخ الليبي . وقام الى جانبها بحوث من مثل : جبل طارق ، نحو مفهوم للحضارة الاسلامية ، وهو أمر قد نبهت اليه المجلة في افتتاحية العدد الاول ، فقد ذكرت أن « معظم مادة هذا العدد ان لم تكن كلها تتعلق بتاريخ ليبيا »، وبعد أن بينت مردّ ذلك أهابت بكل « البحاثة والدارسين في تاريخ الشمال الافريقي والعربي خاصة والاسلامي والعالمي عامة » أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم ، لان المجلة قد فتحت صفحاتها لهم جميعا مرحبة . ثم بدا شيء من التوازن في مقالات العدد الاول من المجلة لعام ١٩٨٠ ، فظهرت فيه مقالات مثل : امارة عربية أندلسية في جزيرة اقريطش ، الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، الصلات التاريخيــة

والحضارية للعرب قبل الاسلام ، مما كشف عن وجه المجلة العربي ، وأبان ملامحه جلية واضحة . وعززت مقالة : حول تحرير التاريخ من الفكـر الاستعماري (المجلة ، ع ٢ ، س ١ : ٥١ـ٦٣) الفكرة التي تنادي بها المجلة بشواهد جديدة بغية العمل على انتزاع الفكر الاستعماري المترسب في ثقافتنا وقيمنا ...

وتمشياً مع هدف المجلة ، وتحقيقاً لغايتها التي رمت اليها في كتابة التاريخ العربي كتابة علمية نقدية ، فقد أوضحت المجلة في صدر عدديهـا (الثاني لعام ١٩٧٩ ، والاول لعام ١٩٨٠) أنماط البحوث التي تؤثر نشرها، وتفضلها على ماسواها . وأفردت المجلة في صفحاتها بابا لمراجعات الكتب التاريخية الصادرة حديثـا وتقويمها ، مثل كتـاب لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا في أثناء العهد الايطالي،كتاب خلاصة النازلة التونسية، تاريخ المغرب ــ محاولة في التركيب ، المشرق العربي والغرب .

ــ اننا مـع المجلة في خطتها التي أعلنتها في تقـدير آراء الآخرين واحترامها ، وفي اعتمادها الحوار العلمي الهادىء ، في جو من النزاهة والصراحة ، لمناقشة وجهات النظر ، وتلاقيها ، وعرفان بعضها بعضا (المجلة، ع ١ ، س ١ : ٧) ، فهذا النهـج هو وحده الكفيل بنتاج فكـري خصب يدنو بالمجلة من الهدف،ويضمن لها النجاح في تأدية رسالتها التي نصبت نفسـها لها .

ــ واننا نؤيد المجلة في دعوتها الرامية الى كتابة التاريخ العربي بنظرة جديدة تنشد الحقيقة ، وترمي الى تنقية تاريخنا مما علق به من مفتريات كاذبة ، أو ما خالطه من خرافات ومزاعم باطلة ، وتجنبنا المزالق التي زلت

بها أقدام مؤرخين باحثين سابقين ضلوا عن الطريق ، اذ تعمدوا تشويه وجه الحق ، أو غُـمَّ عليهم تبينه .

ويقتضيني القول أن أشير هنا الى أن هذا النهج العلمي القومي الذي التزمت به المجلة دقيق ، بالغ الصعوبة ، يتطلب كثيرا من الحيطة والروية والاناة . فقد تجمح بعض الاقلام وهي تعالج موضوعا يتناول قطرا من أقطار العروبة ، فتنغمس في موضوعها انغماسا تغيب معه عنها صـورة الوحدة العربية التي يندرج القطر حضاريا وثقافيا في منظومتها ، وتتناسى التفاعل الحي المتبادل بين هذه الاقطار العربية ، فاذا هي تنزلق في الاقليمية البغيضة التي تخالف عن حقيقة مسيرة التاريخ العربي ، ولا تتفق مع هدف المجلة . دع عنك تلك الاقلام التي لاتؤمن بوحدة العروبة مكابرة وانكاراً، ولا تستمد من هذا المداد فيما تسطره من صفحات . فمن الخير أن تدقق المجلة كل التدقيق حتى لا نقرأ كلاما بعيدا شديد البعد عـن الحقيقة التاريخية ، ويضاد مقاصد المجلة والغايات التي تروم بلوغها .

كذلك فان هذا الموقف الناقد الذي تقفه المجلة من المؤلفات المسطورة في التاريخ العربي ، وما شابها من الاهواء التي انحرفت بها عن الجادة ، ودعوتها الى اعادة النظر لكتابة التاريخ العـربي كتابة تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتستمد مادتها من الوثائق والنصوص الاصيلة الاساسية قد يؤدي ببعض الباحثين أن ينقلب عملهم من بحث عن الحقيقة ومعرفة الماضي كما وقع ، بقوته وضـعفه ، بابداعه وعقمه ، الى محاولة لتمجيد الماضي والدفاع عن كل ما فيه ، واختيار النصوص والوثائق التي تساند مثل هذا الاتجاه المتعصب ، ذي الافق الضيق ، المجانب للنظرة العلمية . انه حقا موقف مثل حد السيف دقةً وصعوبةً ، يتطلب ما يتطلب من الجهد

والمثابرة والمتابعة والحوار والمراجعة لنظل معصمين بسُكّان السفينة[١] لانفارقه ، ماضين على الجادة •

هل يحسن أن أتحدث عن الحلة القشيبة التي ظهرت بها المجلة ، وأن تعاوناً وثيقاً قد تمّ بين مركز الدراسات والبحوث وجامعة حلب التي تولت طباعة أعداد المجلة الثلاثة ، فأحسنت طباعتها واخراجها • لقد نوّهت المجلة بهذا التعاون المثمر الخير الذي نرجو أن يؤتي أكله أضعافا مضاعفة (المجلة، عدد حزيران ١٩٧٩ : ٥ ، عدد كانون الثاني ١٩٨٠ : ١٦١) •

لانملك الا أن نرى في الاعداد الثلاثة من مجلة البحوث التاريخيـة باكورة طيبة لجنى نرجو أن يوافينا وخياره فيه ، وأن تمضي المجلة في طريقها القاصد الى هدفها ، تحدوها الرغبة في المشاركة بكتابة التاريخ العـربي كتابة تجلو صورته بكل قسماتها وسماتها ، تتلألأ بنور الصدق والحق •

– ٣ –

أما المجلة التاريخية الثانية فهي مجلة (دراســات تاريخية) ، وهي مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العـرب بجامعة دمشق • وهي لجنة هدفها الاول أن يكتب تاريخ العرب في موسوعة كتابة منهجية ناقدة ، ولعله يحسن أن نوطّئ للحديث عن هذه المجلة وخطتها ونهجها بكلمة قصيرة نوجز بها الوقائع التي أفضت لصدورها •

ـ بدأت القصة بدأها المنطقي ، فتاريخ العرب لم يكتب على حقيقته حتى اليوم • لقد استطاع المؤرخون الغربيون ذوو النزعة الاستعمارية ،

(١) سكّان السفينة : الخشبة التي تعدّل بها السفينة في سيرها •

وأضرابهم ممن لاذ بهم وسلك مسلكهم ، أن يشوهوا صورة التاريخ العربي ، وأن ينفثوا من سمومهم وأكاذيبهم ما يرضي مطامعهم الجشعة ، ويلبي مآربهم الاستعمارية الخبيثة . كان كل عربي يمضه الالم وهو يقرأ ما لفقه الغربيون الاستعماريون ومن مشى في آثارهم ، وينتظر القلم الحر الذي ينشد الصدق ، ويستوحي في كتابته المنهج التاريخي الناقد ، ويصور الماضي بملامحه وقسماته دون تزيد أو تحريف . كذلك فقد عانى التاريخ العربي ماعانى من ذوي النزعات الاقليمية ، والنظرات السياسية الضيقة المتعصبة،ومن التقليديين المحافظين وأصحاب الثقافات المحدودة الذين لم يخالطوا روح العصر ، ولم تمسهم ثقافته إلا مساً رفيقاً لا يجاوز السطح . لقد أخطؤوا جميعا ، وحرّفوا وجانبوا الحق ، وأرهقوا التاريخ ، استجابة لنزعاتهم الخاصة وأهوائهم ، ونظراتهم السياسية والعقائدية . ولا ينكر منكر مالتلك البقية الباقية من المؤرخين العرب ومن الاجانب المنصفين الذين عالجوا التاريخ العربي بروح ناقدة نزيهة ، تبغي الحقيقة ، وتعتمد في بحوثها النظرة التاريخية المنهجية ، وتتثبَّت من النصوص والوثائق التي تستمد منها أحكامها . ولم يكن بد من مبادرة علمية تضم كل هذه الجهود العربية ، وتنسق بينها لتعمل جميعاً وفق خطة مرسومة مدروسة ، للنهوض بهذه المهمة الكبيرة ، مهمة كتابة التاريخ العربي في موسوعة تستجيب لهذه الرغبة العميقة في معرفة الماضي المعرفة الصحيحة ، وابراز الجانب الحضاري الذي طال تناسيه ، وفي تبين التيارات الاساسية التي حركت أحداثه ، والاسباب العميقة التي تفسر وقائعه ومساقاته في نهضاته الحضارية وابداعه وفيضه ، وفي تصديه وتوقفه وعقمه . وبدأت اجتماعات متتالية في دمشق ، ضمت حلقاتها المؤرخين والمفكرين القوميين والباحثين ، وكانت مشاركات

جادة خصبة منتجة بلغت ذروتها وأوجها في عام ١٩٧٦ ، وقد لقيت هذه المبادرة العلمية التشجيع والتأييد من القيادة السياسية ومن جميع المؤسسات الثقافية والعلمية في القطر العربي السوري •

واتنهت الاجتماعات الى تشكيل لجنة تحضيرية قامت بتلخيص النظرات التي أثارتها المناقشات الخصبة الجادة ، ودلت على الخطوط الاساسية لمراحل التاريخ العربي ، وعرضت بإيجاز للمنطلقات ومبادىء العمل ، ثم ضمت ذلك كله في كراس أصدرته بعنوان (مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ــ دمشق ١٩٧٦) ، ووزعته على المهتمين والمعنيين بالفكرة في مختلف الاقطار العربية ليكون ورقة العمل ، ومنطلق المناقشة في ندوة موسعة يدعى اليها المؤرخون والباحثون العرب ، يغنون في اجتماعهم وحوارهم متضمن المشروع ، ويستكملون جوانبه النظرية والعملية • وجرت اتصالات ومشاورات مع المؤرخين والمفكرين العرب ، وانعقدت الندوة بدمشق في (٢٠ــ٢٢) كانون الاول ١٩٧٧ ، وحضرها علماء مختصون من مختلف الاقطار العربية، ونوقش المشروع المطروح مناقشة مستفيضة أغنته وأضافت اليه اضافات قيّمة • وكان لتبادل وجهات النظر وتقليب الآراء أثره الواضح في الصيغة التي انتهى اليها المشروع المقترح • ورأت اللجنة التحضيرية أن النتائج التي أسفرت عنها المناقشة لها شأنها وأثرها في تحديد النهج الذي سيعتمد لكتابة التاريخ ، واستشفاف خطوطه الكبرى ومنطلقاته • وكان من أبرز توصيات الندوة « اصدار مجلة (دراسات تاريخية) تكون محكاً للافكار ، وميداناً لعرض الآراء الجديدة كيما يثبت الصحيح منها بعد مناقشته » • واستجابت جامعة دمشق ، ووكلت الى لجنة كتابة تاريخ العرب بالجامعة مهمة اصدار المجلة •

ــ كان أول أعمال لجنة الاشراف على المجلة أن أصدرت عددا تمهيديا من المجلة عام ١٩٧٩ ، يتضمن : مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ، الذي أعدته اللجنة التحضيرية (ص : ٦ــ٣٦) ، ويتلوه أعمال ندوة كانون الاول ١٩٧٧ ، وتشمل المناقشة العامة التي شارك فيها جميع المنتدين (ص : ٣٧ ــ ٤٣) ، ثم ما قامت به اللجان الاربع المنبثقة عن الندوة (ص : ٤٤ ــ ٧٠) • وكان صدور هذا العدد التمهيدي ضروريا للتعريف بهذا المشروع الهام ، واطلاع المؤرخين الباحثين والجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي على مناقشات الندوة ، وما انتهت اليه من توصيات ومقترحات ، تفتح الآفاق لعمل علمي وقومي له شأنه وأهميته وضرورته في الحيـاة الثقافية العربية ، وفي احلال التاريخ العربي مكانته التي هو جدير بها في تاريخ الانسانية •

وصدر بعد ذلك عددا آذار وحزيران ١٩٨٠ ، ولم تكن الغاية من اصدار مجلة (دراسات تاريخية) أن تضاف مجلة تاريخية جديدة الى عداد المجلات التاريخية العربية الاخرى • كان من الواضح البيّن ، وهدف المجلة مستمد من توصيات الندوة ومحدد بها ، أن غايتها الاساسية هي أن تمهد وتوطىء وتخلق الظروف الملائمة لتيسير كتابة التاريخ العربي ، هي أن تلتقي على صـفحاتها أقلام الباحثين والدارسين مـن المؤرخين والمفكرين ، يتعارفون ويتلاقون حول فكرة من أعز الافكار على نفوسنا، وألصقها بقلوبنا ، يناقشونها ، ويقلبون جوانبها ، وينيرون بآرائهم طريق المجلة ، ويساعدون في طي المراحل الممهدة لبلوغ الهدف المرتجى • وحرصاً من المجلة على تحقيق غرضها ، والوصـول الى مقاصدها فقد رغبت الى المؤرخين والمؤلفين أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم التي تندرج في هـذا

الاتجاه الذي تدعو اليه وتعمل له ، وهو اتجاه ذو ثلاث شعب :

١ ــ أن يتناول البحث أو الدراسة فكرة كتابة التاريخ العربي في موسوعة واحدة ، تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتكشف عن صورة الماضي بكل سماتها وقسماتها • أوليس من الخير كل الخير أن يتاح للاقلام جميعا مناقشة هذه الفكرة : هدفاً ومبادىء عمل ، مناقشة تغنيها وتكشف عن خصوبتها ، وتوسع من جوانبها ، وأن تعرض بالتالي لهذه الآراء والانظار التي طرحتها ندوة دمشق تتعمقها ، وتقلب وجوهها لتصل الى مقطع الحق فيها •

٢ ــ أن يعالج الباحث أمر دعوة المؤرخين القادرين الكفاة ، والمؤسسات الجامعية والعلمية لتعاون يضمهم ويجمع بينهم ، ويضع الخطط الكفيلة بالافادة من قدراتهم ليتوزعوا هذا العمل العظيم ، وينهضوا بهذه المهمة ، مهمة التأليف والكتابة والمراجعة ، وفق منهج مدروس ، يضمن التنسيق في الجهود ، والدقة في العمل ، والانجاز في المهل المحددة•والمجلة ترحب بكل مقترح في هذا المضمار يساعد على السير خطوة الى الامام ، ويهيىء الوسائل الكفيلة بانفاذ الخطة أو التعجيل بانفاذها ، حتى تستقيم لها الطريقة المثلى في هذا العمل البنّاء •

٣ ــ أن يقدم الناقد الباحث موضوعا جديدا أصيلا ينسجم مع هدف المجلة ، أو يثير حوارا في موضوعات التاريخ العربي • ان كل بحث في هذا المنحى انما هو امتحان وسبر للمنهج المعتمد المرتقب ، ويرتفع بمستوى الكتابة التاريخية ، ويغني مضمونها •

لقد آثرت مجلة (دراسات تاريخية) أن تفتح صفحاتها لهذا النمط

من الكتابة بشعبه الثلاث،وغايتها من وراء ذلك أن تتعارف الآراء وتتلاقح الافكار ، وتتلاقى وجهات النظر ، وتنضم الجهود الى الجهود في طـريق واحدة بدل التبدد والتشتت ، ليبدأ بعد ذلك المرحلة الجادة الاساسية وهو كتابة التاريخ العربي كتابة « تفصح عن معنى الوجود العربي ، ونمائه في التاريخ » ، وتصور الماضي الصورة الحية الصحيحة الصادقة التي تحرره من أثقاله ، وتعين الاجيال العربية على الثقة بنفسها وبأمتها وبقدرتها على التقدم والإبداع •

لقد حملت المجلة أمرا عظيما ، واضطلعت بمهمة كبيرة ، هي التمهيد وتيسير السبل لتعاون بين المؤرخين ورجال الفكر وثيق ، ينهض بكتابة التاريخ العربي في موسوعة جامعة • واننا لنرجو لها السداد فيما قصدت له وانتحته ، وأن نشهد مولد الملحمة الكبرى في حياتنا الثقافية ، ونطالع تاريخنا بماضيه الحافل ، وحاضره ، يمهدان لمستقبل هذه الامة العربية العريقة المستقبل الواعد ، تستأنف به المشاركة الجادة في مسيرة الحضارة الانسانية •

دمشــق **شاكر الفحام**

عَرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام

تأليف محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
وتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد
مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

ظلَّ هذا الكتاب مخطوطاً مطّرحاً على رفوف المكتبات ، يعلوه الغبار ، حتى قيض الله سبحانه له من ينفض عنه غبار القرون ، فجاء الشابان الاستاذ محمد مطيع الحافظ والاستاذ رياض عبد الحميد مراد فقاما بتحقيقه وطَبَعَهُ مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٩ .

أما هذا الكتاب فطريف في موضوعه دسم في مادته ، مؤلفه مفتي دمشق الشام في زمنه ونقيب الاشراف فيها ، صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي المتوفى في حلب سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١ م . وكان قد تولى منصب الإفتاء بدمشق الشام سنة ١١٩٢ وبقي فيه حتى وفاته . وهو بعدُ أديب شاعر كاتب من أبرز علماء عصره في بلده ، ألّف كتابه هذا بعد توليه منصب الافتاء استجابة لطلب أحد علماء عصره الشيخ محمد الدويكي ، فجمع تراجم لسبعة وثلاثين مفتياً بدمشق ، منذ اختيار أول مفتٍ لدمشق سنة ٩٢٢ هـ يوم دخلها السلطان سليم العثماني ورتب أمور الفتوى فيها الى عصر المؤلف ، الى كتب أخرى ألّفها المرادي تجدها في ثبت مؤلفاته في ترجمته الحافلة في أول الكتاب ، على رأس تلك المصنفات سلك الدرر المشهور الذي عرف به المرادي فيما بعد .

يقع كتاب (عرف البشام) في خمسة فصول ، ضم الفصل الاول مقدمات في الفتوى وآدابها ، وشمل الفصل الثاني تراجم لتسعة مفتين من القرن العاشر ، وفي الفصل الثالث تراجم لأربعة عشر مفتياً من القرن الحادي عشر ، وفي الفصل الرابع تراجم لثلاثة عشر مفتياً من القرن الثاني عشر ، وفي الفصل الخامس والاخير خص المرادي نفسه بترجمة ذاتية ملأها بالتواضع المصطنع المسهب ، وحشاها بأشعاره وذيلها بالمدائح التي قوبل بها من علماء عصره وشعرائهم يوم تسنم منصب الإفتاء ، مما يقال بكل عصر لكل مسؤول ابتغاء الحظوة عند أصحاب السلطان ، وعلى هذا يكون مجموع من ترجم لهم المرادي من المفتين من سنة ٩٢٢ هـ الى آخر القرن الثاني عشر سبعة وثلاثين مفتياً ، آخرهم المرادي نفسه •

اعتمد المحققان في اخراج هذا التراث الدمشقي النافع نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب تعود الثانية منهما للاولى لأنها فيما ظهر مبيّضة لها ، فالنسخة الأصل وقعت للمرحوم الشاعر الاستاذ خليل مردم بك الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق ــ طيب الله ثراه ــ وهي قد آلت فيما بعد الى ظاهرية دمشق ، عنها نسخ بقلمه وخطه ــ كما ذكر المحققان في المقدمة ــ الأستاذ مردم بك الجزء الاكبر من الكتاب في نسخةٍ خاصة به عليها بعض التعليقات والملاحظات ، أهداها فيما بعد ولده الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، فيما أهدى من كتب أبيه الى المجمع مشكوراً ، فاجتمعت للمحقّقيْن في الظاهرية والمجمع نسختان من الكتاب هما معتمد التحقيق والمقابلة •

هذا ، وقد ضم المحققان للكتاب ذيلين ليسا من صنع المرادي ، الاول وريقات مخطوطة في ظاهرية دمشق تضمنت تراجم شديدة الايجاز للمفتين

من بدء إحداث منصب الافتاء الى المفتي محمود حمزة ، فهي تشترك مع كتاب المرادي من أوله الى ترجمة المرادي ، ثم تنفرد عنه الى المفتي محمود حمزة المتوفى سنة ١٣٠٥ ، ويرجح أن كاتبها عاصر هذه الفترة الاخيرة أو بعضها وأخذ عمَّن سلف ، واني لأميل الى أن تكون هذه الوريقات واسمها الكامل على غلافها (رسالة فيمن تولَّى وقضى وأفتى) اختصاراً لكتاب المرادي (عرف البشام) من مطَّلع غير عالم كما يبدو ، مع اضافات من المختصِر ، وان لم يظهر على ذلك دليل . وأما الذيل الثاني فهو من صنعة الاستاذ محمد مطيع الحافظ أفادها مما نقله عن عمه المرحوم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت وهو من كبار العلماء الدمشقيين المعمَّرين، كما أفادها من دراسات له متفرقة في التاريخ وفن التراجم . وهذا الذيل استمرار لتراجم المفتين بعد الشيخ محمود حمزة الى يوم نشر الكتاب.

وقد تتوج كتاب (عرف البشام) بعد خطبة التحقيق بمقدمة مفيدة موسَّعة اشتملت على :

أولاً : ترجمة واسعة للمؤلف ولأشهر آبائه ولأسرته المرادية ، مستقاة من ترجمته الذاتية ، وممن ترجموا له ولأسرته كالبيطار والحصني والجبرتي والزركلي وأضرابهم ، وفي آخرها جدول بنسب بني المرادي ، ثم بحياته ومؤلفاته .

ثانياً : دراسة للكتاب في فصوله وتراجمه .

ثالثاً : نسخ التحقيق المعتمدة ووصفها وصفاً علمياً ووضع رموز خاصة بها .

رابعاً : منهج التحقيق .

خامساً : دراسة عن الذيلين ، ثم تأتي الرواميز .

ويقع الكتاب في نحو ثلاث مئة صفحة ونيف من صفحات القطع

العادي ماعدا المقدمات التي استغرقت من أول الكتاب زهاء عشرين صفحة •

فالكتاب قيم يؤرخ لنا الافتاء والمفتين في مدينة دمشق ذات المآثر الخالدات ، والمفاخر الباقيات ، دمشق عرين العروبة ومعقل الاسلام وفسطاط المسلمين في آخر الزمن ــ ليؤرخ لنا عرف البشام ذلك كله في زهاء أربعة قرون •

والعمل جيد ومشكور ، والجهد واضح الاثر ، ومصادر التحقيق ومراجعه كثيرة تدلّ على اطلاع واسع ، وعمق في الدرس ، وأصالة في منهج البحث،زد على ذلك حسن الاخراج والتبويب وغزارة المعلومات•

على أن الكتاب لم يخل من أخطاء مطبعية قليلة ندّت لا تخفى على القارىء استدركها المحققان في الصفحة ذات الرقم ٣١٠ من الكتاب •

وهناك ملحظ أجدني ملزماً بالاشارة اليه ذلك هو قلة شرح بعض المصطلحات العلمية كالدّوْر وبحر السلسلة وما ماثله فهذا لا يعرفه من القراء إلا المتخصصون وأشباههم •

وثمة أيضاً نوع اقتصار في الرجوع الى المراجع الرئيسية في شروح الغريب ضمن التعليق لا في التراجم ، فأشهد أنها مستوفاة في هذا المضمار بقدر واسع ، فقد اعتمد المحققان على شرح كلمتي عرف البشام على القاموس المحيط ، وكان الأليق أن يرجعا الى لسان العرب أو تاج العروس أو الصحاح للجوهري وما شابه •

أما رأيي الخاص في صنعة المرادي فهو أن أسلوب هذا الرجل قديم لزمانه طويل ممل ، فيه كثير من الحشو والإطناب ، وهو رحمه الله معذور في ذلك فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره وأن يكلمنا بلغة نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر وهو في نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري ، فهو انما يكتب بلغة ذلك العصر • ولا يد لأحد في

ذلك ولا نستطيع مخالفة أمانة النقل والتحقيق والعهدة العلمية فنذهب الى اختصار الكتاب أو تهذيبه . ولكني لو استشرت لاقترحت زيادة ذيل ثالث في آخر الكتاب يُعدُّ ملخصاً لما سبق ، ويُجعل ذيلا لكتاب المرادي، يشتمل على تراجم مختصرة وافية لكل مفتٍ أورد المرادي له ترجمة في كتابه تقع في زهاء خمسة أسطر تضم اسمه الكامل ولقبه وكنيته وولادته ونشأته وشيوخه ووظائفه ومتى تقلد الفتيا ومتى عزل منها ومتى توفي ومكان الوفاة مع ذكر مزيته العلمية ، وحذف ما سوى ذلك من الأشعار والاقوال ، فبذلك نكون قد أرحنا الباحثين من عناء الخوض في تلك التراجم التي أغرقت في الغلو والمبالغات والالقاب والنعوت والاشعار التي لاطائل تحتها ، فمن أراد من الباحثين اللب والجوهر فعليه بهذا الذيل ينقع غلته وينل بغيته ، ومن أراد أن ينقل نص كلام المرادي لغرض توثيق فعليه بالاصل فهو بين يديه ، وتُرتَّب التراجم في هذا الذيل حسب حروف المعجم، ولعل ذلك يكون في الطبعة الثانية .

وبعدُ ..

فذلك كله لا يغض من قيمة الكتاب ولا يصرف النظر عنه ، فهو كتاب قيِّم جداً ، وتحقيقه ونشره كذلك أضفيا عليه حلة سيراء موشَّاة ، فأضحى بحيث يجدر بكل من له اتصال بالبحث العلمي أن يطلع عليه نظراً لما حوى من الفوائد التي لاتكاد توجد في غيره ، لاسيما في الهوامش والذيول ، واني لا أبالغ أبداً اذا قلت ان جهد المحققين يوازي جهد المؤلف ان لم يزد عنيه والفضل للمتقدم ، فرحم الله المرادي وبارك بالاخوين اللذين نشرا علم المرادي وفضله وخصَّا دمشق بلد العلم وعش العلماء بهذه العناية والرعاية التي هي لهما أهل ، وهما أيضاً لكل مكرمة أهل .

دمشق في ١ ربيع الانور ١٤٠٠ هـ **الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور**

آراء وأنباء

حفل استقبال

الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته الاولى المنعقدة في ١٣ شوال ١٣٩٩ هـ/٤ ايلول ١٩٧٩ م (الدورة المجمعية ١٩٧٩ — ١٩٨٠ م) الاستاذ عبد الكريم زهور عدي عضواً عاملا في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الاستاذ الدكتور جميل صليبا . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ تاريخ ٢٣ المحرم ١٤٠٠ هـ / ١٢ كانون الاول ١٩٧٩ م.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم في جلسة علنية عقدها في قاعة الامير مصطفى الشهابي بدار الكتب الظاهرية يوم الخميس في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ / ٢٢ أيار ١٩٨٠ م ، حضرها نخبة طيبة من رجال الفكر والثقافة وفي طليعتهم السيد وزير التعليم العالي الدكتور أسعد عربي درقاوي . وافتتح الحفل الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع بكلمة نوه فيها بالعضو الجديد ، وأشاد بعلمه وكفايته ، مرحباً بانضمامه الى المجمعيين ، يشاركهم في مسيرتهم التي وقفوا نفوسهم لها ، ألا وهي خدمة الفصحى،والدفع عنها.ثم ألقى الاستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمته في استقبال زميله المجمعي ، وبسط أطرافاً من سيرته ومزاياه العلمية والخلقية . ثم ألقى الاستاذ عبد الكريم زهور عدي خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

كلمة الاستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم

بسم الله القائل ــ وجل من قائل ــ وهذا لسان عربي مبين

باسمه تعالى ، افتتح هذه الجلسة العلنية من جلسات مجمع اللغة العربية

سيادة الوزير ، الاساتيذ الاكارم ، سيداتي وسادتي

يعقد مجمعنا هذه الجلسة احتفاء باستقبال عضو عامل جديد هو الاستاذ عبد الكريم زهور عدي ، وقد حاز بحق وعن جدارة ثقة زملائه اعضاء المجمع بانتخابهم اياه في الجلسة النظامية التي عقدها مجمعنا لهذه الغاية ، مساء الثالث عشر من شوال عام ١٣٩٩ الموافق للرابع من ايلول عام ١٩٧٩ ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ وبتاريخ ١٢ من كانون الاول لعام ١٩٧٩ بتسميته عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية،فأهلا به وسهلا.

وبعد،فأرى لزاماً علي ، بادىء ذي بدء ، أن ارحب وأحيي باسم مجمع اللغة العربية هذا الجمع الكريم شاكراً لكل فرد من افراده الاماثل تلبية الدعوة ، وشهود هذا الحفل مع بعد الشقة وتعذر بلوغ هذا الصرح العتيد.

درج مجمعنا منذ عدة سنوات على استقبال العضو العامل الجديد في داره المعروفة وفي احدى قاعاته التي تحمل اسم مؤسسه المرحوم محمد كرد علي، إلا ان تصدع بعض جوانب القاعة وتعذر الترميم بالسرعة

اللازمة حملانا على أن نستبدل بها هذه الردهة من دار الكتب الظاهرية وهي المخصصة في الأصل لارتياد المطالعين والمستفيدين مما في خزائن الدار من نفائس وأعلاق جعلت شهرتها عالمية .

ولئن فاتنا أن يكون حفلنا هذا في كنف الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، لقد عوضنا بهذه القاعة التي تحمل اسم المرحوم الامير مصطفى الشهابي ، فالأساتيذ كرد علي وخليل مردم بك والأمير الشهابي أعلام ثلاثة أبلوا بلاءً حسناً في خدمة اللغة العربية ورفع شأنها وهم ممن يشار اليهم بالبنان في الوطن العربي الكبير من أقصاه الى أقصاه ، رحمهم الله جميعا وأحسن اليهم في الآخرة بقدر ما أحسنوا في هذه الفانية وأسكنهم فسيح جناته ، اولئك اسلافي فجئني بمثلهم .

وانها للمرة الأولى التي يقام بها مثل هذا الاحتفال في غير دار المجمع واني لوطيد الأمل بله الرجاء أن تكون المرة الأخيرة أيضاً ، بعد أن ننهي ما نحو باذلون من جهد لاتمام ردهة الاحتفال في المبنى الجديد لمجمعنا ، وقد أوشك أن يكون الانتقال اليه في المرحلة الأخيرة ، لنقيم حفل الاستقبال الآتي فيها ان شاء الله .

وبعد هذا كله ، فان الأمل معقود على الرصيف الجديد الذي انضم الى اسرة المجمع ، بأن يشتد به الأزر وأن يكون خير عون لنا في المضي قدماً فيما نذرنا له أنفسنا من خدمة اللغة الحبيبة ، لا سيما وهو يخلف في منصبه هذا ، المرحوم الدكتور جميل صليبا الذي أدى أجل الخدمة طيلة أربعة عقود ، سواء في ميادين العلم والأدب والفلسفة ، ولا يساورنا أي شك في أن لا يقل هذا الخلف عن ذاك السلف ان شاء الله .

خطاب الدكتور شاكر الفحام

في حفل استقبال الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

السيد وزير التعليم العالي
السيد الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية الموقّر
السادة الزملاء أعضاءَ مجمع الخالدين
أيها الحفل الكريم

١

ما أجملها سُنّةً متَّبعةً أن نلتقي هذا اللقاء الحميد ، يسوده الجلالُ والودُّ ، نحتفي باستقبال أخٍ كريم ، ينتظم في صفوف السادة الخالدين ، يمضي في صحابتهم ، يسيرون معاً على الجادّة ، يكشفون عن الخالد المتألق من التراث ، ويدلّون على أصول العربية المبينة ونواميسها التي حليت بها فرزقتها الأصالة والخلود ، ويمسحون عن وجهها النضير ما علق به من أوضار عصر الجمود ، ويرودون بها دروب العلم الحديث والمصطلح والمعاصرة يروضونها عليها ، وهي الطيّعةُ الذلول ، تستجيب بمرونتها وقدرتها ، لمقتضيات العصر والبيئة ، لا يتأبّى عليها شيء •

وما أسعدني اليوم أن يتاح لي أن أرحّب بالأستاذ الصديق عبد الكريم زهور عدي زميلاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية ، نتلقاه مستبشرين بمقدم فارسٍ مُعْلِم ، نجَّذته التجاربُ ، وغذّته الحكمةُ ، قد فطر على حبّ العربية التي راعت ببيانها المعجز ، وتفتح لعينيه وقلبه سِحْرُها وعبقريتها • فأكْرِمْ به عضداً يُشَدُّ به الأَزْرُ ، وركناً

شديداً يُؤْوَى اليه في الانتصار للعربية ، والذياد عنها ، ولتُخْصِبَ أرضُه المريعةُ بأطيب الأُكُلِ ، وأزكى الثمرات .

٢

ولد الأستاذ عبد الكريم زهور عدي بمدينة حماة سنة ١٩١٧ ، في بيئة محافظة ، ونشأ في أسرة عرفت بالاستقامة والصلاح والتدين والعلم ، فشبَّ على التمسُّك بفضائل قومه ، والتحلّي بآداب أهله .

بدأ دراسته الابتدائية بمدينة حماة عام ١٩٢٤ م ليتابع من بعدُ المرحلة الثانوية ، وقد حصل على البكالوريا الأولى ــ الفرع العلمي عام ١٩٣٥ م ، والتحق بعدها بحلب ، وقضى فيها سنةً نال في ختامها البكالوريا الثانية ــ قسم الرياضيات (عام ١٩٣٦ م) . وعُرف عبد الكريم طوال دراسته بالألمعية والفطنة ، وشهد له أساتذته بالتفوق والموهبة . وقد أحلَّه ماحُبِيَ به من توقدالذهن ، ورجاحةالعقل ، وحسنالسيرة مكاناً ممتازاً بين رفاقه وزملائه ، فكانوا يرجعون إليه ، لا في مسائل الدراسة فحسب ، بل في كثير مما يعرض لهم من شؤون ، يستشيرونه ، ويصدرون عن رأيه .

واختار عبد الكريم التعليم عملاً ، وقضى عامه الدراسي الأول (١٩٣٦ ــ ١٩٣٧) معلماً موقتاً في المدارس الابتدائية في بانياس فدمشق ، وهيَّأ له نجاحه في التعليم فرصة القبول للدراسة في دار المعلمين . وأمضى في الدار سنتين تخرج على اثرهما ليتولى التعليم في المدارس الابتدائية بمحافظة حماة . وأدّى عمله أحسن ما يكون الأداء : جدّاً وجهداً وبذلاً حتى سنة ١٩٤٢ م . وكان الشكر والثناء يتلقاهما خلال سنواته الثلاث ألسنةً ناطقةً بجميل ما صنع ، وشاهدَ عَدْلٍ على تقدير ما قام به .

ثم أُنْشِئت دارُ المعلمين العليا بدمشق ، وافْتُتح فيهـا فرعٌ الآداب العربية ، اختير له ، بعد مسابقة أجرتها الوزارة ، عشرةٌ من نابهي المعلمين الذين عرفوا بالتفوق والكفاية في العربية وآدابها ليتابعوا الدراسة العالية ، فكان عبد الكريم أحدهم ، وقضى في الدار سنة واحدة (١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ م) أوفد بعدها مع ثُلّةٍ من رفاقه الى كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) ، والتقينا في القاهرة • آثر أن يلتحق بقسـم الفلسفة ، وكنتُ أدرس في قسم اللغة العربية ، وعرفته من قرب ، فعرفت فيه الصديق الوفيّ ، الجادّ في عمله ، الرصين في سلوكه ، المتوقد الذكاء ، المرهف الحسّ ، النافذ البصيرة ، الواسع الثقافة ، المتعلق بوطنه وأمته أوثق تعلقٍ وأقواه ، المتشوف أبداً الى معالي الأمور • وقد حاز بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجادة (١٩٤٦ م) الاجازة في الفلسفة بتقدير ممتاز، عاد بعدها ليدرّس مواد الفلسفة في ثانوية دير الزور فثانويات حماة ، فدار المعلمات بحلب حتى عام ١٩٥٤ م •

٣

وعاش عبـد الكريم همومَ جيله وقلقَه ، ولكل جيـلٍ همومُه وقَلَقُه وقضاياه • واذا كان الجيل الذي سبقنا قد شهد غدرةَ ميسلون اللئيمة ، وفجّعه عدوانُ الاستعمار الفرنسي على بلادنا ، بكل قسـوته ورعونته وغطرسته ، وعَبَثُه بكل القيم الوطنية والإنسانية ، فإن جيلنا قد فتح عينيه على أنباء الثورة السورية ، وشهد حَمَلات التأديب الفرنسية الشرسة ، تجوس خلال الديار ، تعيث فساداً ، وتبذر شرّاً ، لا تلتـزم بشرعة ، ولا ترعوي عن ظلم وسفه ، تريد أن تقضي على الحسّ الوطني المتأجج في الصدور ، وأن تسكت صيحة الحرية ، وقد صمّمت أن تقترف

كل حماقة لتبطش بالثورة السورية الكبرى ، وبقادتها المجاهدين الصابرين في سبيل وطنهم وأمتهم • لله فرسان الصــدام الأحرار ، أتمثلهم بقاماتهم المشوقة كعوالي الرماح ، يختالون في أردية الفتوة ، قد وهبوا أنفسهم لأرضهم ووطنهم ، يقدمون ، لا يتهيبون الموت ، يذودون عن الحمى العدوء الدخيل • كنا نلتقط فُتاتاً من أنبائهم ، وأخبار بطولاتهم وتضحياتهم ، تتسقطها خلسة ، ونحن نسترق السمع الى همس الكبــار وأحاديثهم في مجالسهم • ونشأنا في جو الإرهاب والطغيان الذي فرضته فرنسا • كانت تخيم علينا الأحزان التي خلّفتها الثورة وشهداؤها ، وكان ينتفض في أعماقنا نداء الشهداء البررة أن نكون الأمنــاء على العقيدة ، الأوفيــاء لذكرى الآباء والأجداد ، نتابع الطريق لتحرير الوطن ، وتطهير الأرض من رجس المستعمر الغاصب •

وعاش جيلنا حركة عام (١٩٣٦ م) بكل ما ضمّته وانطوت عليه من أحداث ووقائع • شارك في النضال السلبي وفي التضحية أقصى المشاركة ، وتقبّل قَدَرَه بشجاعة ورضا ، ونهض بأعبائه ، لم يركن الى دَعَةٍ ، ولم يعرف هوادة في مطالبه الوطنية ، وتابع تطور ما يجري على الساحة بحيطة وحذر • كانت تلك تجربته الأولى في الحياة النضالية السياسية ، وكان في وقوف عصبة العمل القومي بمبادئها العربية ، ودعوتها القومية ، وشعارها الاخلاقي موقف المعارض للكتلة الوطنية ما فتح بصائر الجيل على أنماطٍ من التفكير السياسي والعمل القومي ، وهيأ له فرصة الاختيار • وآثر جيلنا الاختيار الصعب : التمسك بالمبادىء القومية ، ورفض المراوغات في العمل الوطني[١] •

(١) كلمتي تشير الى المبادىء القومية والشعارات الاخلاقية التي نادت بها عصبة العمل القومي ، فانارت طريقنا ، وفطرتنا على الفكر العربي لا الاقليمي ، وطبعتنا على السلوك الملتزم =

وشهدنا نشوب ثورة فلسطين الكبرى عـام ١٩٣٦ م ، وراودتنـا الأحلام أن تنضمّ الجهودُ المشتّتة في بلاد الشام لننعم جميعاً بالاستقلال والوحدة • وكنا نمدّ الطرف وراء بلاد الشام لتشمل الوحدة المنشودة الى جانب الشام بلاد العراق ، والجزيرة العربية بأكملها ، بكل دولها وإماراتها ومشيخاتها • كان ذلك ما نرنو اليه ويطمح جيلنـا الى تحقيقه • ولكن الاستعمار الظـالم لم يلبث أن كال للجماهير العربيـة الضربات القاسية القاصمة دون رحمة ، وأقام في وجوهها المتاعب والمصاعب ، ووقعت الفئة الحاكمة أسيرة مطامعها واستسلمت ، وتتالت النكبات وتهاوت الآمال : انتزعت فرنسا المستعمرة لواء الإسكندرونة الحبيب من جسد سوريـة لتقدمه رشوةً لتركيا المغتصبة ، ونكثت عهودها التي قطعتهـا في توقيع المعاهدة ومنح الاستقلال • واستطاعت انكلترا ، بتآمرٍ لئيم ، أن تسكت الثورة الفلسطينية ، وتبـددت الأماني والرؤى امـام هجمة الاستعمار والامبريالية الشرسة • وكان الجرح الذي خلفته التجربة النضالية السياسية الأولى في جيلنا عميقاً ، بعيد الغور ، نديّ الدماء • وعانى جيلنـا مرارة الخيبة ، ولكن التجربـة القاسية أكسبته الخبرة في نضـال الاستعمار ، وعرّفته بأساليبه الملتوية الماكرة ، وهيأته ليخوض معه المعركة الحاسمة •

ليس من قصدي أن أمضي في التحدث عن هموم جيلنا ، أو اعدد صفاته ، فليس هنا مكانه ، ولستُ المهيَّأ له ، ولكنها الكلمة العاجلة لا بدّ منهـا أوطّىء بها وأمهّد ، كي تتكشف لنا البواعثُ العميقة التي كانت تستأثر

=
بالعقيدة • ولا صلة لها باولئك الساسة الذين تصدوا لقيادة العصبة ، لا يجاوز ايمانهم تراقيهم ، فكانوا اسوأ مثل في التقلب والمراوغة ، قد استعبدتهم اهواؤهم ، واستبدت بهم شهواتهم ، فهووا على عتبات المطامع ، يستجدون المناصب ، لا يعصمهم خلق ، ولا يزعهم مبدأ •

بأبناء الجيل ، وتملك عليهم نفوسهم ، وتحفزهم للمشاركة الجادة في العمل السياسي الوطني مهما تكن مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . لقد عاش جيلنا هذه التجربة السياسية ، وشهد بقلبه وجوارحه كل فصولها . كان الجيل الذي شارك في نضال المستعمر وقهره حتى تحقق الجلاء ، ثم كان الجيل الذي تصدّى لمؤامرات الامبريالية وللدفاع عن مطالب الشعب في عهد الاستقلال .

٤

وخاض جيلنا معاركه مع الاستعمار ومع الفئات الحاكمة ، وعرف جيلنا الانتصار والظفر ، وعرف الهزيمة والخيبات المرة . وكانت كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ التي بيَّت لها الاستعمار والصهيونية أفدح الكوارث التي نزلت بالعرب ، تجاوزت بفظاعتها وشناعتها كل ما شهده تاريخ البشرية من كوارث الشعوب . لقد خطط الاستعمار الخبيث والصهيونية الباغية لهذه الكارثة بكل تفاصيلها ، وأخرجاها هذا الاخراج ليخزيا العرب جميعاً ، وليكتبا عليهم الذلة والخنوع الى الأبد ، (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) . ولكن الجماهير العربية التي صعقتها النكبة لم تيأس ولم تستسلم ، وعادت تتابع مسيرة النضال والتحرر ، ويأتي عام ١٩٥٤ ليسطر في أجمل صفحاته ظفر الحركة النضالية التي قادتها الجماهير العربية في سورية ، وأزاحت عن صدرها كابوس الحكم الدكتاتوري الظالم . وبدأت تجربة الحكم الشعبي تبسط سلطانها على اوسع نطاق . وخاض الأخ عبد الكريم الذي أنضجته حركة النضال العربي بلهبها المقدس لُجَّة المعترك السياسي والشعبي . ولقد دخل المعترك السياسي مزوداً بتجربته العميقة الغنية التي كانت قد كشفت

له فساد الواقع السياسي في البلاد العربية • ألم يكن قد تطوع مع المتطوعين، والتحق بجيش الانقاذ (فوج اليرموك) في أواخر عام ١٩٤٧ م ليشـارك المجاهدين شرف تحرير فلسطين من الهجمة الصهيونية • وهناك في أوار المعركة ، وعلى بطاح فلسطين الحبيبة ، ادرك عبد الكريم بفطرته السليمة ، وتجربته السياسية القومية زيف كل شيء في الحياة العربيـة السياسية ، وتبينت له ، مع رفاقـه ، خيوط المؤامرة التي كـان يمسك المستعمرون بأطرافها ليحركوا الدمى العربية ، وليضللوا الجماهير العربية عن مقصدها وهدفها ، وليقيموا دولة العدوان في قلب الوطن العربي • وبدأ المنعطف الكبير في حياة عبد الكريم القومية والسياسية وعاد ، وقد رفض واقعـه المريض الرفض البات ، واخذ يبشر بالحياة الجديدة ، حياة الثورةوالكفاح• وانتخب عبد الكريم نائباً عن حماة في تلك الفترة السياسية الخصبة مـن تاريخ سورية والبلاد العربية ، والتي بلغ فيها المدّ الشعبي أوْجَه •

سَقْياً لتلك الأيام الخالـدات في تاريخ العروبـة ، أيام الشموخ والعنفوان ، أيام تأميم قناة السويس ، واندحار العدوان الثلاثي ، وتصدي سورية للتهديد الاستعماري ، وسقوط حلف بغداد ، وبطولات الثـورة الجزائرية ، معجزة القرن في التضحية والفداء • وهل ينسى عربيٌّ على مدى الدهر تلك الأيام التي تعالت فيها موجة النضـال العربي تقـارع الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وامتـدت من المحيط الى الخليج لتتوجها الجماهير العربية الظافرة بقيام الوحدة العظيمة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ م •

في تلك الأيام (١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ م) أتيح للأستاذ عبـد الكريم أن يعمل مع اخوانه في المجلس النيابي ، وعلى النطاق الشعبي ، ليمتحنوا على

أرض الواقع المبادىء والمثل التي نادوا بها ، ودافعوا عنها ، وليستبينوا الطريق الصـالح لتطبيقها • وكانت التجربة عميقة غنيـة فتحت عيني عبد الكريم وقلبه لآفاقٍ من العمل السياسي • وهل أفضل من التمرس اليومي والمعاناة الحية معينا ومرشدا لمن رزق الفكر الحصيف ، والرؤية البصـيرة ، والإخـلاص لقضية قومـه وبلـده ؟ كـان عبـد الكريم يرى في السياسـة ما رآه مـن قبله أبو زيـد البلخي صناعـة « مـن أجلّ الصناعات قدرا ، وأعلاها خطرا ، إذ كانت صناعة بها تتهيأ عمارةُ البلاد ، وحمايةُ من فيها من العباد » • وجاهد الجهاد الأكبر ليكون عمله كفاء رأيه وقوله ، ولتأتي ممارسته طبق فكره ، في وقتٍ تباعدت فيـه مسافة الخلف بين القول والعمل • كان يريد للعمل السياسي أن يرتقي ليبلغ الكمال ، ليكون في مستوى مطامح الأمة وأشواقها ، وكأنما كان يردد لنفسه كلمات الفارابي : « المدينةُ التي يُقصد بالاجتماع فيها التعـاونُ على الأشياء التي تُنال بها السعادةُ في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة• والاجتماع الذي به يُتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل • والأمةُ التي تتعاون مدنُها كلها على ما تُنال به السعادةُ هي الأمةُ الفاضلة » •

وكان الأستاذ عبد الكريم يقدّر ما للانتصارات القوميـة من آثار بعيدة في حفز القوى النضالية الثورية على متابعة حركة التحرر ومسيرة التقدم ، فاحتفى في مقالاته بها ، وشدّد على المعاني النضالية المستخرجة منهـا • تجـدُ صدى ذلك في مثل مقـالاته : الحادث التاريخي العظيم لا تستنفد مرحلة تاريخية كل مضمونه ، ولا يحيط جيلٌ بكل معانيه ، يعني الجـلاء عن سورية • الوحـدة اول تفكيك جـدّي لاستراتيجية

الاستعمار ، يعني الوحدة بين مصر وسورية . من هذه الوحدة تبدأ حرية العرب ، .....

وبقـدر ما كان يستفزّه الفرحُ لانتصارات قومـه ، وانتصارات الانسان في ميـادين التحرر والتقدم ، كانت تؤرقـه وتستثير همومـه الامبرياليةُ المتربصة ، والصهيونيةُ الماكرة بمخططاتهما التآمريـة على الوطن العربي . كان يتخوّفُ الردة والنكسة والتخـريب والانزلاق في طريق الكوارث ودروب النكبات . ولطالما حذّر وأنذر .

والجميلُ الجميلُ أن أذكر هنا أن الأستاذ عبد الكريم الذي أراد أن يرتفع بالعمل السياسي لبلده ، قد ارتفع حقاً بصناعة الكتابة السياسية ، فاذا الناس يقرؤون أسلوباً رفيعاً من الأدب ، يعالج فيه صاحبه موضوعات السياسة ، ويبسط فيه أنظاره وآراءه ، وقد طاع له البيان ، وواته ملكة التعبير الجميل[1] .

٥

عاد عبد الكريم بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية ليدرّس في دار المعلمين بدمشق عاما (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م) ، ثم اختير مديراً لدار الكتب الظاهرية . وقـد حُبّب اليـه العمل في الظاهرية ، تحفّ بـه الكتب والمخطوطات ، فأنِس به وسكن اليه ، وبقي في الظاهرية حتى عام ١٩٦٣ . وأمكنته الفرصـة ، وهو المولع بالقراءة ، ليُرْوِيَ ظمـأه ، ويشبع نَهْمَتَه ، وأسعفه الوقتُ ليطالع فيطيل المطالعة ، فما تراه إلا والكتابُ

(١) تجد أبرز مقـالات الاستاذ عبد الكريم زهور السياسية القوميـة في صحيفة البعث (اعوام : ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ م) ، الأعداد : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ـ ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ـ ١٠٤ .

جليسه • ويحضرني هنا التشبيه الساذج لأعرابيّ وصف نفسه فقال : « كنتُ كالرملةِ لا يقطر عليها شيءٌ إلا شربته » • وقد تغريه المطالعةُ أحياناً فيَجري القلم في صفة جملةٍ من الكتب مما تصدره المطابع يعرّف بها القراء ، فاذا انت تقرأ له في مجلة المجمع كلماتٍ يتناول فيها أمثال كتب : أنا والنثر للأستاذ شفيق جبري ، وتطور الغزل للدكتور شكري فيصل ، ومقام العقل عند العرب لقدري حافظ طوقان ، والعرب والعروبة لمحمد عزة دروزة ، ودراسات في العربية وتاريخها لمحمد خضر حسين ، والقومية العربية للدكتور حازم نسيبه ، وطبقات الصوفية للسلمي ، ومناهج البحث في علم النفس ، الى أمثال لها وأشباه • ويدهشك التنوعُ في مطالعاته ، والاحاطةُ في ثقافته واهتماماته ، وقدرته في النفاذ الى جوهر موضوع كتابه يعرضه في كلمات موجزات • يطالع كتاباً عنوانه : الدكتور صلاح الدين القاسمي ــ آثاره ، ويقع فيه على مقالته التي نشرها في المقتبس يحذّر فيها من خطر الصهيونية ، وينبّه الى مكايدها ومساربها الخفية في المكر ، فيعلق على ذلك بقوله : « هذه الكلمات التي تخطّت التاريخ ما يقرب من اربعين سنة تدلل على أن العرب لم يُؤْتَوْا من سوءٍ في الفهم ، وانما من سوءٍ في الظروف ، وسوءٍ في القيادة والسياسة العملية ، وتدلّل أيضاً على الألمعية المبكرة لصلاح الدين القاسمي •••• »[1] • وتوثقت صلة الأستاذ عبد الكريم بالمجمع وأعضائه وأعماله خلال هذه الفترة ، التي لعله ما زال يراها أجمل الفترات في حياته ، يحتفظ لها في نفسه بأحلى الذكريات وأخصبها •

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، ٣٥ : ٤٩٥ ــ ٥٠١ ، ٣٦ : ١٤٦ ــ ١٥٠ ، ٣٧ : ١٣٩ ــ ١٤٠ ، ٤٩٨ ــ ٥٠١ ، ٣٩ : ١٣٨ ــ ١٤٤ ، ٤٩٤ ــ ٥٠٠ •

وضمّ الأستاذ عبد الكريم الى عمله في الظاهرية التدريسَ في قسم الفلسفة بكلية الآداب • كان يلقي على طلابه في الكلية محاضراتٍ في علم النفس ، وكان أبرز ما عُني به التحدث عن السلوكية • وقد ترك فيها أمالي لطلابه ، تقرؤها فيطالعك في سطورها عمقُ الفكرة واشراقُ الديباجة تلاقيا أحسن تلاقٍ ، مما يُفصح عن تمكّن الباحث من موضوعه ومن لغته تمكّناً يتيح له أن يعرضَ قضايا السلوكية ، ويطرح مشكلاتها على هذا النحو من البيان الرائع ، يتغلغل وراء أدقّ الفكر وأغمضها ، ليبرزها بيّنةً واضحةً قريبة المتناول ، تختال في ثوبها القشيب • إنها موهبة التعبير الجميل قد أسلست له قيادها ، طيعةً لا تتأبى عليه في مجال• ولقد استجابت له في علم النفس الاستجابة التي ارتضاها ورضي عنها • هل أسمحُ لنفسي بعرض أول نموذج صادفته وأنا أقلب صفحات الأمالي بين يديّ لأختار كلمة منها • يقول : « أن تكون السلوكيةُ حركةً امريكية ، ذلك ما يؤكده ، اذا عدمنا أدلة أخرى ، الانتشارُ الواسعُ الذي حصلت عليه في الولايات المتحدة ،•••• والاخفاقُ الذي أوشك ان يكون تاماً ، والذي مُنيت به في اوربا • فهناك لقيت القبول لما تؤكد ، وهنا لقيت الإعراض لما تنفي •

قد يكون سببُ الحماسة التي أثارتها في امريكا أن شعبها شعبٌ من غير تراث ، ولذلك تحمس لسيكولوجيا تدّعي أنها من نوع امريكي ، وأنها صناعة امريكية خالصة • ولكن نجاح السلوكية يرجع إلى أسباب أكثر عمقا • فهي ، لأنها حقاً نتاج امريكي ، ولأنها صدرت عن العقلية الامريكية ، كانت قادرةً على قضاء حاجاتٍ قائمةٍ هناك • فالشعب الامريكي ، كما هو معلوم ، شعبُ مهندسين وميكانيكيين ورجال أعمال،

يحكمون على مذهب فكري ، كما يحكمون على آلة ، بتطبيقاته في الحياة والأعمال ، بمنفعته وبمردوده ، ولذلك تجاوبت السلوكية ، سيكولوجيا الموضوع والحوادث القابلة للملاحظة والتسجيل والقيـاس والتحقيق ، سيكولوجيا التنبؤ التي توحد بين الفكر والسلوك ، وتدرس الانسان الحي في تلاؤمه مع عالم الأشياء المألوفة والأعمال وكأنه آلة من الآلات ، تجاوبت تماماً مع ما يتطلبه المزاج الامريكي ••• » ، ويمتـدُّ نَفَسُ القول على هذا النمط من التعبير ، يرضيك ويعجبك بقوته وجودة حبكه •

٦

وقعت الواقعة الفاجعة في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٦١ ، يوم استطاعت الامبريالية الامريكية الغادرة وحلفاؤها أن يفصموا الوحـدة الرائدة ، وتفرقت بالقوميين العرب المؤمنين بوحدة أمتهم السبل ، وتشعبت بهم المنازع • واذا كان لي أن أصف وقع النازلة في النفوس ، ومشـاعر الأسى والقلق واليأس التي انتابت القلوب ، واضطربت بها الجوانح فاني أجتزيء بكلماتٍ قليلة من مقال للأخ عبـد الكريم تصف حقيقة موقف جيل القوميين العرب الذين صدمتهم الردة فأذهلتهم ، وهي ، الى ذلك ، نموذج لأسلوب الكتابة السياسية الذي اصطنعه عبـد الكريم وآثره ، يروعكم باشراقه ، ووشيه ، وسلاسته • يقول (وعنوان مقاله : معركتان ، والزمن : اول ايلول ١٩٦٢) : (حين أوقظتُ بغير رفق ، وقيل لي بلهجة عجلة ، فرحة مذعورة : « قم ، اسمع ، ثورة في العراق ، انقلاب ••• هجموا على القصر الملكي ••• » ارتجفتُ مجفلا ، وهرعتُ ألقي السمع ، ونزت دموعٌ عصيّة : « دولتنا ذات الاربعين مليوناً ولدت ••• أحلام الطفولة والفتوة المهانتين المعذبتين بوجود الغاصب ، رؤى الشباب والكهولة ،

والافكار والنظريات ، والقلق على المصير ، والتصميم •• حنين أمةٍ ألف عام ، أمة مقطعة الأوصال ، منتهكة الحمى ، مسحوقة الوجود ، تتحقق••• تتحقق في هذه اللحظات ، وفي بغداد » • وضممتُ ولدي بنظرة وَجْد ، وتردد هَمْسٌ في النفس : « هذا ما فعله جيلنا ، استخرج أمتنا من تحت الركام ، ووضعها في تيـار الزمان ••• وجيلكم سيعرج بهـا ، سيبدع حضارتها » • ذلك كان يوم ١٤ تموز ، يوم بلغت موجةُ الثورة العربية في المشرق ذروتها ، ومدّها مداه • لم يعد في القلب المكتهل مكان للعاطفة ، وليس مطرحها على كل حال في مقال سياسي ، ولكنها ذكريات تلحّ عليّ ولا أستطيع لها إبعاداً ، وأنا أعيش في هذا الجو الخانق من التآمر المستهتر على وجود أمة ، على مصير أمة ، ومن التمزيق الحاقد لحقيقة هذه الأمة • لقد انتقموا منا شرّ انتقام •••• « تريدون أيها العرب أن تكون لكم دولة كبرى ؟ سنذري حطام هذه الدولة في الرياح ، وسنجعل من دولكم الصغيرة التافهة التي لم تقنعوا بها حطاماً أيضا ••• وسنردكم الى أبأس مما كنتم فيه ، وسنذلكم في الأرض حتى ما ينبض منكم عرق بشرف ، ولا يورق في خيالكم أملٌ بنجاة » • ولكن ، من هم اولئك الذين انتقموا منا ، من هذه الأمة العربية ؟••••) • وبمثل هذه الكلمات القاسية تصكّ الأسماع ، تساقط كأنها الحجارة ، مضى عبد الكريم يصف معركة الانتقام من الأمة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربيـة ، تقودها الولايات المتحـدة الامريكية والصهيونية وحلفاؤهما من أعداء العروبة ، يحملون أحقـادهم المؤرّثة ، يتميزون غيظاً ، قد بدت البغضاءُ مـن أفواههم ، وما تخفي صدورهم اكبـر ، انقضّوا بكل مكرهم وغَدْرهم ، وبكل ضراوتهم وفتكهم ليمزقوا شمل الأمة العربية ، ويطووا صفحتها الى الأبد • أتراه

كان ينظر بعين الغيب حين يقول في ختام مقاله الدامي ، وهو يصف آخر طرف من أطراف خطة التدمير الكبرى التي حاكتها الامبريالية لتحطيم الأمة العربية ، بلهجة كلها اليأس والتشاؤم : « إن هذه المعركة ، معركة الانتقام من الامة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربية التي ابتدأت ... هي جزء من خطة كبرى اخذت تبرز أطراف" منها هنا وهناك .... وطرف" آخر يطرّق له كي يبرز وهو أن يعلن عبد الناصر ، أو أي ناصر آخر يظهر في مصر ، اعتزال مصر مشاكل العرب ، واكتفاءها بنفسها ومصريتها » . لقد نجحت الامبريالية الامريكية والصهيونية حقاً في تمزيق أوصال الأمـة العربية ، وطالعتنا مأساةُ عزل مصر عن العرب بوجهها القبيح في يوم نحس مستمر . وها نحن أولاء نشهد الدرك الذي تردّى اليه حاكم مصر ، سعى في الأرض ليفسد فيها ، قد زُين له سوء عمله فرآه حسنا .

كان عبد الكريم يـدرك حق الادراك دور النظريـة في الحركات السياسية . انها وحدها التي تجنبها المغامرة والردة والتشتت . وكـان يأسى أبلغ الأسى أن لم يكن للفكر أثره الفعّال في السياسة العربيـة . كان يتمنى « أن ينطلق العمل السياسي من نظرية كاملة واضحة ، أو شبه نظرية ، وأن تكون هذه النظرية مغروزة الجذور عميقاً في الواقع ، تعبر عن قواه التي تدبّ في أحشائه ، وأن تظلّ دائماً في تفاعلٍ مع الواقع ، وأن يولّد هذا التفاعلُ الخطط السياسية المرنة حقا ، ولكن الواضحـة وغير المائعة ، وأن تُحدد هذه الخطط الأهداف القريبة مع التأكيد على صفتها الموقتة ، لتكون درجات في السلم الصاعد دائماً نحو الأهـداف النهائية ، وأن تعرف هذه الخطط القوى المتصارعـة والمترددة ، وتقلب القوى حسب تقدم الكفاح او انكفائه ، وأن تثقف قوى الشعب التقدمية

باستمرار ، وتنظمها بحزم » . ولكنه كان يصطدم دائماً بغياب النظرية في واقع السياسة العربية ، ويتساءل تساؤل الحزين : « لماذا كانت العاطفية والعفوية والارتجال والاتتهاز هي الصفات التي يمكن ان توصف بهـا الحركات السياسية السليمة ــ اقول : السليمة ــ في المشرق العربي ؟ ولماذا كان العقل والارادة والتخطيط والثورة في عالم السياسة عنـدنا غرائب كغرائب الابل مبرحة ضرباً مطرّدة ؟... هذه هي الحقيقة ، انها علقم ، ولكنها يجب ألا تلفظ ، يجب أن تتذوق حتى الثمالة ، ثم يعبر عنها بكل أساريرها القبيحة ، لتكون تجربة مثقفة هادية لهذه الأمة .... » .

لم تسكت النازلةُ عبد الكريم ، ولم يُلْجمه المصاب، فكتب مقالاتٍ ينصح فيها عن موقفه ، وينذر بالمخاطر التي تتردّى اليها سياسةُ الانفصال، تجدها منشورة في مجلة المعرفة ، وصحيفة البعث ، وكتاب : في الفكـر السياسي[1] .

٧

وسُمّي الأستاذ عبد الكريم وزيراً للاقتصاد ، في أول وزارة ألّفتها ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ . ثم آثر التفرغ للعمل العلمي ، وقام بإلقاء محاضرات في قسم الفلسفة بكلية الآداب لست سنوات (١٩٦٩ــ١٩٧٥م). وكانت محاضراته هذه المرة في الفلسفة اليونانية ، وفي التصوف الاسلامي. وعاش عبد الكريم مع المتصوفين الكبار من أمثال الحلاج وابن عربي ، واستهوته الحيـاة الصوفيـة ، وسِيَرُ المتصوفـة ، وسحرته أقوالهم ورموزهم . كان يرتدّ بالتصوف الى منابعه الأولى ، ويقف الوقفات الطوال

(١) مجلة المعرفة ــ عدد حزيران ١٩٦٢ ، صحيفة البعث (عام ١٩٦٢ م) ، الأعـداد : ٣ــ١٢ . في الفكر السياسي (دار دمشق) ، الجزء الأول ــ ١٩٦٣ م .

وهو يتقصّى حركة الزهد العربية الأولى ، ويلابس الزهاد الكبار كالحسن البصري ومحمد بن واسع ، ويستنطق أخبارهم • وراح يغري طلابه بالاطلاع على كتب القوم ، ويتأنسهم بقراءة الرسالة القشيرية وما ينحو منحاها • كان يختار لهم النصوص ويقرئهم ويفسر لهم ، يمضي بهم رويدا حتى يتألفهم ، في قراءة متأنية ناقدة ، تروضهم على فهم النص وتذوقه ، وتبين معانيه وما تومىء اليه رموزه ، مما يدنو بهم للكشف عن القيم الانسانية المستسرّة فيه • وكان لا يخليهم ، في أثناء ذلك من دراسة النص على نحو أدبي تدلّهم على مواطن الجمال ، وتنمّي فيهم الحسّ الفني • وسحره الأدبُ الصوفي حقا ، كان يرى فيه متعة فنية ، وتجربة روحية خصبة تغني قارئها ، وتطلّ به على آفاق من الوجدان والتذوق والسلوك والمجاهدة رحاب • وأخذ يبشّر ، استجابة لهذا التعلق ، بأن يُقدَّم الى الطلاب مختارات" من الأدب الصوفي الى جانب ما اعتدنا أن نقدمه لهم من مأثور الشعر ورائع النثر • واذا كانت دراسات الاستاذ عبد الكريم في المتصوفة والتصوف تنطوي على المعرفة التي تخاطب العقل فانها تمتلك ، الى ذلك ، القدرة الموحية بالتجربة الروحية العميقة التي عاشها المتصوفة ، والتصوير المؤذن بتذوق معانيهم واشاراتهم ورموزهم •

ولقد أتاحت له هذه المعاناةُ الحيةُ مع المتصوفة واقوالهم ورموزهم أن يعود الى قراءة الشعر العربي ، والشعر الجاهلي خاصة ، بتجربة روحية جديدة ، ونظرة تستشف الرموز التي تتراءى من خلال الألفاظ والصور والمعاني • وها هو ذا يتناول موضوعات وقضايا في الشعر يعالجها على نحوٍ جديد مبتكر ، لعله لم يُسْبق اليه • يقف بك أمام صورة النخلة وصورة الليل يستخرج دلالتهما الرمزية في الشعر الجاهلي • وتستأثر باهتمامه

أوصاف الحية وما أضفاه عليها الشعراء ، يستقريها بتذوق ٍ جديد يتعرف من ورائه الى ما أومأ اليه الشعراءُ الجاهليون من رمز • ونال الماءُ وقيمته الرمزية في الشعر الجاهلي من جهده ومن اهتمامه النصيب الأوفى • ومن دراساته النفسية الشائقة تلك الدراسات التي عرض فيها لعروة بن الورد ولثلاثة من الشعراء الصعاليك : الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة• وكانت دراساته الصوفية سبيله لدراسة ٍ طريفة موضوعها : صورة الرسول العربي في عقـول المسلمين • إني كلمـا حاولت أن أفسر سر ضن الأخ عبد الكريم وإقلاله في نشر دراساته ، تراءت لي حكمةُ الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري : « ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتمّ نتاجه » •

يتسم كلّ ما نشره الأستاذ عبـد الكريم بالتعمق في الدراسـة ، والاستقصاء في تتبع الفكرة ، والوضوح في العرض ، والاشراق والجزالة في التعبير • ولعل في مقالاته الأخيرة التي سطرها في عرض (أعمال سامي الدروبي في ميدان علم النفس) وفي تحليلها نموذجاً معبراً عن الطريقـة التي يصطفيها في كتابته : يتعمق الفكرة ، ويستقصي جوانبهـا متتبعاً ، ويناقش وينقد مقوما • يطل عليك وانت تقرؤه في بزة بحاث مجادل ، ونظار صبور ، وناقد ٍ لا يتعبه التنقير والتدقيق ، وكأن لسان حاله : « ما يكتب دون جهد ، يقرأ عادة دون استمتاع » • وهو الى ذلك لا تشغله معانيه عن العناية بأسلوبه ، بل لعله لا يرى لمعانيه أن تبرز الا متردية ً هـذا الثوب المتنوّق فيه • ثم اني لأستشفّ في مقالاته هذه معنى أخلاقياً تنطوي عليه• أليس فيها الوفاء كل الوفاء لصديق عزيز غادرنا أحبّ ما كان الينا[١] •

(١) مجلة المعرفة (عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م) ، الاعداد : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩

٨

أيها السادة

اننا ، ونحن نحتفي باستقبال الزميل الأستاذ عبد الكريم ، لا نملك إلا ان نذكر سلفه الراحل أستاذنا الدكتور جميل صليبا بأحسن ما يذكر به فقيد عزيز ، ونشيد بأياديه البيض على العربية وعلى الناشئة . لقد أسعدني الحظ فكنت بين تلاميذه عام (١٩٤٠ ــ ١٩٤١ م) في تجهيز دمشق الأولى ، حين آثر ، وهو المثقل بالأعباء في رئاسة التعليم الثانوي ، أن يقوم بتدريس المنطق في صف الرياضيات (البكالوريا الثانية) . كنا ننتظر بشوق وبهجة ساعتي المنطق ، وقد اختار وقت تدريسهما صباح السبت من كل اسبوع . وكنا نعجب لدقته البالغة ، يبدأ درسه في الثامنة صباحاً لا يتأخر دقيقة واحدة ، وكان درسه شائقاً ، جم الفوائد ، ولاأنسى صوته المحبَّب يتسلسل بكلماته الفصيحة المبينة في رفق وتؤدة تسلسل الماء العذب ، وتسْلمه الفكرة الى الفكرة في ربط محكم ، حتى ما تكاد تندّ عنه واحدة تتصل بموضوعه . كان يمضي في حديثه ونفوسنا متعلقة به تتابعه حتى ينهي درسه ، وقد استوفى كل عناصر بحثه ، وكأنه يقرأ خواطرنا وما يعنّ لنا من فِكَر ، فما تكاد تخطر لنا فكرة نسأل عنها بعد عرضه الممتع الواضح المحيط . لقد كان معلماً مربياً حقا ، وكان له قدرة لا تحدّ في جذب طلابه وسامعيه والاستئثار بكل انتباههم . واستطاع في كل الميادين التي عمل فيها أن يكون المجلي المبرز السبّاق . انضمّ الى حلبة الخالدين ، وآثر المجمع بحبه ، وكان له في خدمة العربية ، والإبانة عن أسرارها ودقائقها والمنافحة عنها القِدْحُ المعلّى . لقد وقف في الساحة مع زملائه ورفاقه المجمعيين ، يحمل الراية ، يتقدم بها مظفرا موفقا اربعاً

وثلاثين سنة ونيفاً (آذار ١٩٤٢ ــ تشرين الأول ١٩٧٦ م) حتى وافـــاه الأجل المحتوم ، فتلقّى منه الراية الأستاذ عبد الكريم باليمين ليمضي على السنن القاصد ، يكمل البناء الذي أرسى السابقون دعائمه ، يشارك في حمل الرسالة التي تسلمناها وائتمنا عليها . فلئن عظُم رُزْؤُنا بفقيدنا الغالي ، إن لنـــا في خلفه الأستاذ عبد الكريم الأمل الأخضر والرجـــاء الخصيب :

إذا مات منـــا سيّدٌ قام بعـــده   نظيرٌ له يُغْني غَناه ويَخْلُفُ

ايها الزميل العزيز

هنيئاً لك مكانك بيننا في رحاب المجمع ، تقف معنا بعزيمتك وهمتك، تذود عن العربية المبينة في هذه المعركة الضارية التي يشنها علينا من كـــل حَدَبٍ أعداء أمتنا الحاقدون ، يريدونها المعركـــة الحاطمة ، لا تُبقي ولا تذر ، يدمّرون فيها كل شيء . لقد عبثوا بتاريخنا ، قطّعوا أرحامنا الواشجة ، باعدوا بين أنسابنا المتشابكة ، مزّقوا وطننا ، سخروا من قيمنا ومثلنا ، أنشبوا فينا مخالبهم دون رحمة ، واستهانوا بنا بين الأمم . ثـــم زادوا فانهالوا على هذه اللغة الشريفة الكريمة ، الحِصْنِ الذي نئل اليه ونلوذ به ، في حفظ وحدتنا ، وضمّ شتاتنا ، فهاجموها يريدون أن يدكّوا بنيانها من القواعد ، قد أرّقهم وأقضّ مضاجعهم أن تظلّ ، على كثـــرة ما كادوا لها ودبّروا ، ثابتةً شامخة كالطود ، نعتصم بها ، نتفيّأ ظلالها ، فتضافروا جميعُهم ، جميع قوى الشرّ ، وأجلبوا جميعا وانقضّوا يريدون استئصال العربية من الجذور . قـــد افتنّوا في ذلك وأعـــدوا له شتى الأساليب الماكرة الخادعة . وأقسى ما في المعركة وأصعبه أن انضمّ الى

اعدائها الضالّون والمضللون من أبنائها ، وما أكثرهم ! قد زُين لهم الريُّ بماءٍ آجن .

كيف يتأتى لك أن تفسّر هذا الإعراض الأعمى ، وهذا العزوف في الجامعات العربية عن اصطناع العربية لغة علم وحضارة ، يؤثرون عليها اللغات الأجنبية . أنَسُوا أن العربية كانت لغة العلم والحضارة لجميع الشعوب التي سكنت ما بين البرانس الى أسوار الصين ، كتبوا بها مؤلفاتهم ، وتخيروها لسان محاوراتهم ومناقشاتهم وندواتهم العلمية ، بله عباداتهم ، مئات السنين ، لا يرتضون بها بديلا ؟

كيف تتقبل ، والعربية واحدة من اللغات الست التي يُسمح بالتحدث بها في المحافل الدولية ، أن يتخلّى عنها أبناؤها ليرطنوا بلغات أجنبية ، تقرباً الى أعدائهم وزلفى ، أو جهلاً بمنزلة لغتهم العظيمة بين اللغات . يا لله ! لقد أسفّوا حين طار الناس ، ورضوا بالحقير حين أبى غيرهم إلا صعوداً في المعالي .

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخلتان : الجهلُ والجبنُ

لن أمضي في تعداد وجوه المأساة ! ولكنها نفثةُ مصدور في هذه المحنة الكبرى التي يمرُّ بها شعبنا العربي الأصيل العريق ، لن تزيده إلا استبصاراً في أمره ، واستمساكاً بحقه ، وثباتا على مبادئه ، وصبرا في نضاله ، واندفاعاً في تضحيته حتى يتحقق النصر ، ويتنفس الصبح ، يشرقُ بنوره على الأرض العربية الموحدة الحرة لا غاصب فيها ولا دخيل . أما التجربة المرة التي تمتحن بها العربية ، الغريبة بين أهلها فلن يطول ليلها . ليُظلّلْنا الأملُ بأن الظلمة منجلية ، وأن اشراقة الفجر قريب ، وأنالعربية

ستعود سيرتها الأولى ، تحتل مكانتها السامية التي بلغتهــا في أمسها ، (وما ذلك على الله بعزيز) .

٩

أليس من الوفاء أن نذكر بالتجلّة والتقدير اولئك الفرسان الرواد الاوائل ، دعاهم صوتُ العربية الحبيب الى نفوسهم فلبوه ، ونهضــوا تظللهم الرايةُ العربية تخفق في سماء دمشق بعد طول غياب ، ليرسوا لهذا المجمع الخالد قواعده . هاهم أولاء أراهم يخطرون فرحين مستبشرين ، على وجوههم بسمة ، وفي قلوبهم تطلّعٌ وتشوف ، قد تلببوا واستلأموا لتعريب الألسنة والدولة ، وما أصعبها مهمة ، ولإحياء التراث واللغة ، وقد طال عليهما العهد في زوايا الاهمال والنسيان . سقى اللهُ تلك الايام ! كانت أيام العنفوان والشموخ والعزة القومية ، وكانوا ثمانية فرســان غمرتهم الحماسةُ والايمان ، فاضطلعوا بأعباء العمل العظيم الشــاق ، وما أشقّ العمل في مرحلة التأسيس ، لم ينوا ولم يفتروا ، ولم تكرثهــم العوائق والمثبطات ، وما اكثرها . ومضوا على صراط مستقيم ، ينظرون في إصلاح اللغة المتداولة ، ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية ، ويعملون على نشر آداب العربية واحياء مخطوطاتها ، وتعريب كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، يضم الى ذلك التأليف وتشجيعه ، والعناية بالآثار وجمعها خشية أن تنالها يد العفاء والبلى . ثم أصدروا مجلة المجمع يتابعون على صفحاتها الرسالة التي نيطت بهم . ولقد كان المجمعيون ، أغدق الله عليهم صَوْبَ رضوانه ، على بينة من أمرهم في عملهم ، يتأتون للامور من وجوهها ، لا تغيب عنهم صغيرة تفسد عليهم ما أخذوا بــه . انهم دعاة الإحياء والتجديد ، دعــاة البعث والمعــاصرة ، يتشوفون الى

المستقبل الوضيء دون أن يفقدوا الهوية العربية ، يريدون ان يقيموا الجسر الذي نعبر عليه حتى لا تكون هوة فاصلة بين الغابر والحاضر • هل تريد رمزاً يلخص لك طريقهم ؟ لقد اختاروا ان يجتمعوا في رحاب العادلية والظاهرية ، في هذه البقعة العزيزة الغالية ، تنطوي حناياها على تاريخ دمشق ومجد العرب ، تكر علينا أحاديثَ الماضي ، تقص علينا ما قامت به دمشق الخالدة ، وما صنعته جماهيرها ، جماهير الشام ، في ظلال نورالدين الشهيد ، وصلاح الدين الناصر ، والعادل ، والظاهر ، نهضوا في الأزمات الشداد التي تصدت فيها دمشق العروبة لمقاومة غزو أوربا ، يذودون عن الديار ، ويشيدون دور العلم ، ويكرمون العلماء ، ويصنعون المكرمات • اي تاريخ حافل يتراءى لك ، اينما تلفت لا تقع إلا على أثر يواجهك ، يروي لك أحاديث تلو احاديث ، وقصصا اثر قصص ، فانت تتنقل بين المآثر والمكارم • ولكن المجمعيين ، حرصوا الحرص كله ان يبقى المجمع وثيق الصلة بالجامعة التي تمثل كل الطموح وكل التطلع في ارساء النهضة على قواعد من العلم الحديث والثقافة المعاصرة • وتعاون المجمع والجامعة معاً على اداء الرسالة : في احياء التراث وخدمة اللغة ، وفي ترجمة العلوم الحديثة ، وفي اصطناع المصطلح • فكانت الجامعة بهمة اساتذتها الاوائل الجامعة العربية الاولى التي أعادت للغة العربية رونقها ومكانتها ، واصطنعتها لغة علم وحضارة ، لم تُشح بوجهها عنها ، على كثرة ما عانته في سبيل ذلك من مقاومة الاستعمار وتعنته • وكان مجمعنا بهمة مؤسسيه الأوائل اول المجامع في البلاد العربية ، رفعوا مناره ليكون حافظاً للعربية وردْءاً • ولقد تسلطت فكرة ارتباط المجمع بالجامعة تسلطا دعا الى ضم الجامعة والمجمع معا فترة من الزمن حرصاً على ابقاء هذا المعنى (الاحياء

والمعاصرة) حيا في النفوس ، وحماية له أن يُطمس او يتفلت على مـر الأيام[١] • وان هذه الصلة الوثيقة التي قامت آنذاك بين المجمع والجامعة عن وعي وارادة يجب ان تظل وطيدة ، حية ، ليتحقق لنا ما نريد للغتنا مـن مواكبة العلم ومعاصرة الحياة المتجددة • ورمز ثان ينبىء بهذا النهج الواعي الفطن في الاحياء ، الذي سلكه المجمعيون ، يتراءى لك في شعار المجمع • لقد اختاروا شجرة الزيتون رمزاً لمجمعنا الخالد • ألم تكن هذه الشجرة المباركة رمز بلاد الشام كما كانت النخلة رمز بلاد العراق • ما أجمـل ما اختاروا • لقد أحيوا هذا الرمز الرامز يصل الحاضر بالماضي ، وجسَّدوا كلمة الفرزدق شاعر العرب يخاطب بني امية :

فنصحي لكم قاد الهوى من بلاده الى منبت الزيتون من منبت النخلِ

تلك هي سيرة الرواد المجمعيين ، طيب الله ثراهم ، سنّوا لنا طريقـاً جَدَداً في إحياء التراث ، واصطناع العربية ، يحفظ علينا عروبتنا وتاريخنا وهويتنا ، ونمضي من بعدُ ، بقدم ثابتة ، في ثقة وطمأنينة ، الى المستقبل الذي تتشوف له ، نخوضُ اليه عباب العلم والتقانة (التكنولوجيا) ، شعارنا التقدم ، وهمنا وغايتنا اللحاق بالركب العالمي ، نسلك اليـه كل سبيل ، لنشارك في صنع الحضـارة الإنسانية ، ونستعيد مكانتنا تحت الشمس ، فعل الجدود الأكرمين • فلنقتدِ بفعالهم ،ولْنقفُ على آثارهم ، بالعمل الدائب لا يفتر ، والعزيمة الصادقة ، جمعاً بين البعث والمعاصرة ، بين

(١) تأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق (١٥ حزيران ١٩٢٣) ثم فصل المجمع لتكون له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم (١٥ آذار ١٩٢٦) ـ انظر : اعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) : ٣١ ، والتقرير الرابع بأعمال المجمع العلمي العربي : ٦ •

الإحياء والإبداع ، بين التراث وفتوحات العلم الحديث . ولتتألق العربية المبينة وضاءة ، تبسط نورها في الخافقين .

أي عواطف متداخلة ، وأي نوازع مشتبكة ، تتنازع نفسي ، تتنابني في مقامي هذا الذي أقوم به ، تطلّ عليّ رؤى المجد وطيوف العــزّ . أتراني أنسب الى التكرار والترداد وأنا أشيد بمآثر قومي العظام ، طلعوا على الدنيا شموساً مشرقات ، « سكنوا كل ذروة من أشمّ » فأفاضــوا الخير ، وعلّموا المحبة ، وعاشوا التسامح ورفعوا بنيان الحضارة العربية الزاهرة سامقاً شامخاً يتلألأ ضياؤه ، فأراحت في ظلاله شعوب وشعوب . إنها الحضارة الخيرة السخية السمحة تسع الناس جميعا ، لم تحجب نورها عن أحد ، ولا بخلت بعطاء ، ولم تحتكر معرفة ، ولم تستغل ، ولم تحتجن . هي للإنسان أنّى كان ، ينهل منها كل وارد بقدر ما يريد . حضارة غايتها الانسان ، وشعارها ودثارها العمل للرقي بقيمه ومُثُله . أتراني أنسب الى التعصب حين تفتنني مآثر قومي الخالدات ، وتبهرني صنائعهم ، وتمــلأ صدري فضائلهم ؟ لقد ساكنت قلبي هذه الصور الرائعات من البطولات والمحامد والمساعي ، شغفتني حباً ، وهي تتراءى أبداً حية ناضرة أمام عيني، أتمثلهــا ، تطالعني بمحياهــا الجميل ، تبعث في نفسي الآمــال المورقات والتفاؤل والنشوة ، وتبشرني بالمستقبل المشرق كلما ادلهمت الظلمات أمام قومي : ظلمات الفرقة والخصام والتخلف ، قد أغرقهم فيهــا الاستعمار الخبيث والامبريالية الغادرة والصهيونية الماكرة ؛ تآمرت جميعا على قومي، جثمت على صــدورهم ، لتحول بينهم وبين الوحدة والحرية والســلام والتقدم والازدهار ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن

يتم نوره) ، ويتم نعمته • كتب الله لقومي السلامة من شرورهم ، والنجاة من حبائلهم ، ومكّن لقومي في الأرض •

أتراني أنسب الى العصبية حين أجدني مفتوناً مأخوذاً بلسان قومي المعرب المبين ، أوثره ، أدين بحبه ، قد توثقت ألفتي له ، وتبينت لي أطراف من أسراره وسحره ، فراعني وتملك علي نفسي ، وضننت به على اللحن والخطأ ، ووددت لو أوتيت بيان شاعر ، وبلاغة كاتب وخطيب لأكشف عن مزاياه ، وأقف قلمي على التغني بمحاسنه واعجــازه • اني لأتطالُّ الى الآفاق أنتظر اشراقة الفجر ، يوم تعمُّ العربية المبينة وتأخذ مداها • وان مع اليوم غدا ، وان لنا الغد المشرق ان شاء الله • وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته •

خطاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

في حفل استقباله

الحمد لله والصلاة على رسول الله • وبعد

أيها السيد الرئيس والاساتذة أعضاء المجمع والسادة الحضور •

لئن كان حقاً علي أن تكون فاتحة كلامي عرفاناً بفضل الاساتذة أعضاء المجمع علي ، أن فتحوا لي أبواب هذا الحرم المقدس للغة التنزيل؛ انه حق علي أيضا أن أقدم بين يدي اعترافاً لا يرجع الى التواضع ، مجلوباً أو غير مجلوب ، بل الى الصدق أمام النفس قبل أن يكون أمام الآخرين•

أقول : لقد فوجئت حين عرض علي بعض الاصدقاء أن أوافق على ترشيحي لعضوية مجمع اللغة العربية ، إذ لم يقم في نفسي قبلها مرة أن أطمح ، بمحصولي القليل من المعرفة والاقل من علوم اللغة العربيّة ، لمثل هذا المقام ، ولاسيما اذا كان من استوى عليه قبلي بجدارة رجلاً أوتي الجزالة في العقل والجسم وفي العلم والخلق والبيان • فكان ردي الاول والسريع الاعتذار معللاً بأنني لا أحمل شهادة علمية عالية ولست في مركز علمي هام ولم يصدر عني عمل علمي مذكور • انني رجل ابتلعت خير أيامي وجهودي الرمال العاقة للسياسة في هذه البلاد التعيسة • ولكن الاصدقاء ، سامحهم الله ، أبوا علي اعتذاري • فلبثت زمناً في حيرة بين الاصدقاء وبيني : اني أعلم يقيناً أنهم ذوو ضمائر مستقيمة وعقول نزيهة، فلا بد أنهم اشتروني جملة ولم يتقروا التفاصيل • وبعد لأي ماوافقتهم ، بل قل استسلمت لمشيئتهم•وغيربعيد أن يكون من أسباب هذا الاستسلام

ذلك الغرور الخفي الغادر الذي يتسلل الى نفوس الرجال ، مهما بلغوا من التواضع ، فيتجاوز بهم مقدارهم • فاعفوا عني واصفحوا •

قد يشد من أزري ، ذلك الى عون الاساتذة الزملاء ، هذا الهـم المقيم في القلب والمتصل بهذه الامة ، التي تداعت عليها وعلى لغتها الامم كبيرها وصغيرها • والاخطر من ذلك التداعي هذا الدعاء الملح الصادر عنها : بالخوف الذي توحيه إليهم : بالموقع في الارض والمكان في التاريخ والكثرة في الانفس والثروة في الخامات والمقام الروحي عند كثير مـن الشعوب ، والطمع الذي تذكيه فيهم : بالتخاذل والضعف والتخلف والتظالم والضياع بين الفجور والقبور ؛ حتى كأن أمتنا شجرة اهترأت منها الجذور في هذا العالم المرتج بالاعاصير •

أرجو أن يكون هذا الهم لي مسعداً ، ولكنني لا أقدمه ، وما كان لي أن أقدمه ، عذراً ، فلست فذاً في حمله ، وما أنا إلا فرد من قبيل • فكم بين هذا الخلق المضطرب بين البحر والصحراء في هذه الرقعة الواسعة التي ندعوها وطن العرب ، ممن يجد العذاب في قلبه وهو يلوب في قلب هذه الفتن التي يصبح فيها العربي إنساناً ويمسي وحشاً أو عبداً أو دون ذلك أو أكثر • ان مثل هذه الهموم تُعِدُّ الانسان لأن يكون من أبناء أمته البررة أو المخلَصين أو المجاهدين ، وتلك لعمري مقامات عليا ، يشرّف الانسانَ ، أيّ انسان ، أن يزحف في عتباتها ، وقـد تعلو على مقامات العلماء ، ولكنها من عالم آخر غير عالم العلم • وطوبى لمن اتسعت نفسه للعالمـين !

وهذا البلد ، الشام ، كم في باطن أرضه وعلى وجهها بعد من شهيد في سـبيل هذه الامة واسلامها ولغتها • ولقد كان كذلك حاله منذ التقى

أبو عبيدة وخالد على مبعدة مئات قليلة من الأذرع من ههنا • فلئن كانت مدينة الرسول عاصمة دولة الاسلام ، التي تنزّل فيها ، في عهد الثلاثة : رسول الله والعمرين ، وللمرة الوحيدة في تاريخ الانسانية ، المثلُ الأعلى من ملكوته الى الارض فأصبح واقعاً ودولة بين الناس ــ لقد كانت دمشق عاصمة دولة العرب ، فأيّاً ماكان الاعتراض على بني أمية ودولتهم ، فلا جدال في أن دولتهم كانت دولة العرب الخالصة • ولكن الاسلام والعروبة، منذُ ما تنزّل على قلب الرسول العربي القرآنُ بلسان عربي مبين من لدن عليم حكيم ، قد تخالاّ خلة امتنعت معها أية عملية لفصلهما أحدهما عن الآخر ، وكل محاولة في هذا السبيل جرت انما كانت محاولة غبيّة أو خبيثة هدفها الخبيء الانتقاص منهما أو قتلهما معاً • وبعد العاصمتين لم تكن أي عاصمة أخرى للاسلام أو العروبة إلا انتقاصا على نحو وبمقدار من الاسلام والعروبة جميعاً •

وإن في التاريخ أحداثاً وظواهر هي اشارات ورموز تكشف عن أقدار المدن ، وللامصار كما للاشخاص أقدار • ففي كل مرة كان فيها الاسلام والعروبة في خطر شديد أو على شفا الهلاك،وقعت المعركة الفاصلة المنقذة على مقربة من دمشق ، مدينتنا هذه • فعلى كتفها في الجولان والجليل جرت معركتا حطين وعين جالوت • وقد تجمعت النذر الآن ، ولا أرى إرهاصات بحطين جديدة • اننا ما زلنا ، لبؤس جيلنا ، في عهود ما قبل نور الدين ، ولكن زمانها سيخيِّم ، وستقوم دمشق بدورها في تقرير المصاير •

وقد عرف العرب والمسلمون ، ملوكهم وسوقتهم ، خاصتهم وعامتهم، لهذا البلد مكانه • ففي مرتين في التاريخ ، مرة مؤكدة ومرة مقولة ،

تعلّق أملُ خليفتين بالخلاص ، حين اشتدّ التآمر واشتجرت الفتن ـ بدمشــق :

فالمتوكل (٢٠٧ ـ ٢٤٧ ، خلافته ٢٣٢ ـ ٢٤٧) الخليفة العباسي، وقد ورث عن أخيه وأبيه وعمه جملة من المشكلات كان أشدها خطراً مشكلة الجند من الاتراك وتسلّطهم على الحكم ، إذ مدّ لهم الواثق حتى كادوا يصبحون الحكومة كلها ـ[1] « جعل يجيل الآراء في استئصالهم» . فبدأ برأسهم ايتاخ فاحتال عليه فأوقع به[2] (سنة ٢٣٥) ؛ وأنشأ فرقة من الجند[3] « نحواً من اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك » ضمها الى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان . ولكنه ظل يشعر أنه مادام في سامرا فهو مقيد الحركة وتحت رحمة الجند ، فقرر نقل عاصمة ملكه الى دمشق . وفصل عن سامرا في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين ودخل دمشق في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين[4] ؛ ونزل في قصر المأمون[5] « بين داريا ودمشق ، على ساعة من المدينة ، في أعلى الارض ، وهــذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة » . ولكنه لتعسه ونكسه ، ولأســبابٍ غيرِ مقنعة يذكرها المؤرخون[6] ، وأسباب نخمّنها ولا نتأكدها ، لم يستقر في دمشق وعاد الى العراق[7] ، فبنى المتوكلية عاصمة جديدة يُذكر بها ، فلم تعصمه واغتاله فيها الجند من الاتراك[8] . فكان ، لولا الصحوة المعتضدية الاخيرة ، آخر خليفة عربي يملك ويحكم .

والخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (حكم من ١ أيلول ١٨٧٦ م ـ ٢٦ نيســان ١٩٠٩) ـ ولست في صدد تقويمه ولا تقويم المتــوكّل : شخصيتيهما وطريقتيهما في الحكم ـ حين اشتدّ تآمر رجال تركيا الفتاة المؤيدين بقادة من الجيش وبالدونمة ـ كما يؤكد بروكلمان[9] ـ أي

بالصهيونية الدولية ، وادلهمّ الجو من حوله في استانبول « سعى لأن يجعل اللغة العربية لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها » ـــ كما يذكر المستشرق كارل شولتز[١٠] ـــ ؛ ونوى ـــ كما يُروى[١١] ـــ نقل العاصمة الى دمشق . ولكنه لم ينفذ وعاجله الجند فخلعوه . فكان آخر خليفة للمسلمين ، ولا اعتبار لرشاد ووحيد الدين وعبد المجيد اذ لم يكونوا أكثر من تطبيقات لقانون القصور الذاتي .

والزهاد والمتصوفة ، اذ كانوا يصدون عن بعض بلاد الاسلام ـــ قال الكلاباذي (ـــ ٣٨٠) : سمعت كثيرا من مشايخنا يقولون : كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاث : إذا حجّ عن غيره بمال ، واذا أتى خراسان ، واذا دخل اليمن ، قالوا : من أتى خراسان لم يأته إلا للرفق وليس بها مباح فيطيب مطعمه ، وأما اليمن ففيه طرق الى الفسق كثيرة[١٢] ـــ كانت نفوسهم (الزهاد والمتصوفة) تهوي الى الشام . سأل ابراهيم بن أدهم (ـــ ١٦٢) بعد توبته بعض المشايخ عن الحلال فقالوا له : اذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام[١٣] . وقال لشقيق البلخي (ـــ ١٩٤) وقد لقيه في الشام : ماتهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام،أفر بديني من شاهق الى شاهق ومن جبل الى جبل ، فمن يراني يقول موسوس ومن يراني يقول هو حمال[١٤] . والغزالي (٤٥٠ ـــ ٥٠٥) حين أخذته الازمة الروحية حتى اعتقلت لسانه، فر بنفسه الى بلاد الشام[١٥] واعتكف مدة في المنارة الشرقية لجامع دمشق، وظل في سياحة عشر سنوات لم يكد يخرج فيها منها إلا الى الحج . وابن عربي (٥٦٠ ـــ ٦٣٨) نفذ بنفسه وصيّته الواردة في وصاياه في آخر الفتوحات المكية ، قال[١٦] : « إن قدرت أن تسكن الشام فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : عليكم بالشام فإنه خيرة الله في أرضه

وإليها يجتبي خيرته من عباده » • وهكذا نعثر عليه ابتداء من سنة ٦١٣ في حلب وفي حمص ثم يستقر في دمشق منذ سنة ٦٢٠ حتى وفاته •

تلكم أحداث ومواقف ، ولها أمثال كثيرة ، تكشـف عن الدور المقدور لهذا البلد : أرضه وشعبه في تقرير مصاير هذه الامة • وحين يكون قدر بلد مثل هذا القدر لا يخليه الله من أصحاب العزمات وممن يؤرقهم تقليب الرأي في الصورة التي يجب أن يكون بها حملُ المسئولية •

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت •• »[١٧] ، ولكن شوقي قال في أواخر الربع الاول من هذا القرن : « وعز الشرق أوله دمشق »[١٨] ؛ ولا ندري أهو إلهام من إلهامات شاعر أو نتيجة تعمق في فهم أحداث التاريخ، ولكن وقائع الازمنة الحديثة ، ما كان منها قبل هذه القولة وما كان بعدها، أتت مؤكدة لها •

فعلى أرض هذا البلد دارت معركة الوحدة العربية مرتين : مرة في عهد محمد علي (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) ، وأخرى عشناها (٢٢ شباط ١٩٥٨ ــ ٢٨ أيلول ١٩٦١) • وإني في هـذه المناسبة أدعو كل عـربي الى أن يستقري القوى الدولية : الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، الغربية والشرقية وحتى في هذا العالم البائس الذي يسمونه العالم الثالث ، ولينظر أيّهـا لم يكن عدواً لوحدة هذه الامة ــ وعندئذ يعلم معنى الامة العربية في هذا العالم ومعنى وحدتها •

وعن هذا البلد انحسرت ، في معـركة امتزج فيها دهاء السياسـة بمقاومة الشعب ، شيء خُصَّت به الشام يكاد يكون غريزة لها ــ انحسرت أول ما انحسرت جيوش الاستعمار الاوربي (١٧ نيسان ١٩٤٦) ؛ وكانت

فاتحة لكل بلاد العرب بل لكل العالم المستعمر • ولم ينس هذا البلد ، وهو في غمرة أفراحه ، أن يقول بلسان رئيسه حينذاك وهو يرفع العلم الوطني : لن يرتفع فوق هذا العلم إلا علم الوحدة العربية ــ وكان عند وعده •

وفي هذا البلد ، وقبل ربع قرن ونيف من تاريخ الجلاء هذا ، قامت أول دولة على أسس القومية العربية (٨ آذار ــ ٢٥ تموز ١٩٢٠) ــ وأقول مرة أخرى : لست في صدد تقويم الثورة العربية وقدرات قياداتها وطموحاتهم القومية والشخصية ــ • وحين أستعرض ذلك العهد الذي كان فيه فيصل في دمشق أميراً ثم ملكاً (تشرين الاول ١٩١٨ ــ تموز ١٩٢٠) ، لا أقضي العجب من نشاط رجال البلاد حينذاك وحماستهم وإيمانهم في كل الميادين وكل المستويات • وفي ذلك العهد القصير الامد في هذا البلد وللمرة الثانية في التاريخ تم تعريب الدولة •

كانت المرة الاولى زمن عبد الملك بن مروان • لقد وضع عمر سنة ١٥ ديوان الجند وكان يكتب بالعربية ؛ أو كما يقول الطبري « فرض على المسلمين الفروض ، ودوّن الدواوين ، وأعطى العطايا على السابقة في الاسلام »[١٩] • ثم زاد معاوية فجعل الدواوين خمسة : للجند والخراج والرسائل والخاتم والبريد ؛ ولكنها باستثناء ديوان الجند ، كانت تكتب بلغات البلاد المفتوحة : الرومية والفارسية والقبطية ، ويتولاها أشخاص منها دون العرب والمسلمين[٢٠] • فعمد عبد الملك ، سنة ٨١ ، الى تعريب الديوان في الشام ، وصرف سرجون بن منصور الذي كان يتولاه ، وقلّده سليمان بن سعد الخشني ، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[٢١] •

ثم كانت هذه هي المرة الثانية • فقد واجهت الحكومة العربية التي

قامت في ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ مشــكلة تعريب الدولة • اذ كان « على الحكومة السورية ــ كما يقول ساطع الحصري ــ أن •• تحوّل اللغــة الرسمية من التركيــة الى العربية في جميــع الدوائر والمدارس والدواوين• وقد تمّ ذلك بسرعة فائقة • وقد استحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين •• وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة ••• وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية »[٢٢]• وأنشأت الحكومة العربية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ « شعبة الترجمــة والتأليف » ، التي أصبحت حين ضمت إليها أمور المعارف العامة في ١٢ شباط ١٩١٩ « ديوان المعارف » • وانقسم هــذا الديوان حين اتسعت أعماله ، في ٨ حزيران ١٩١٩ الى قسمين : اختص الاول بأمور المعارف العامة ، والثاني بأمور اللغة والمكتبات والآثار ، وهذا القسم الثاني هو المجمع العلمي العربي[٢٣] ، الذي نهض منذ ذلك التاريخ بعمله الجليل ، وكان أول مجمع علمي عربي •

أيها السادة • لست غريباً عن هذا المجمع ، فقد قضيت فيه زهاء ثلاث سنوات من أوائل العقد السابع مديرا لدار الكتب الظاهرية ، أتفيأ ظلال التاريخ والكتب والهدوء ، وأستظل برعاية الرئيس الامير مصطفى الشهابي رحمه الله وشهامتــه •

أذكر أنه دعاني مرة إليه ، وكانت مجلة المعرفة الدمشقية نشرت لي مقالاً عرضت فيه رأياً مؤداه أن قادة الثورة العربية أيام الحرب العالمية الاولى ارتكبوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين حالفوا استعماراً فتياً ضد الاستعمار التركي العجوز المتهاوي ، وكان قصدي التعريض ببعض القادة العرب حينذاك إذ يرتكبون الخطيئــة نفسها حين يحالفــون الامبريالية

الامريكية ضد الاستعمار الاوربي العجوز • قال لي بعد حديث قصير: قرأت مقالك • قلت : أرجو أن تكون راضياً عنه • قال : أردت أن أناقشك في رأي عرضته فيه لأننا نعدّكم خلفاءَ لنا •• ثم ذكر لي : أن بعض رجال الثورة العربية لم تكن هذه الفكرة غائبة عنهم بل ناقشوها ، ولكنهم كانوا واقعين بين قرني الإحراج: إن مضوا مع الاتراك، فالاتراك أنفسهم واقعون تحت سلطان الالمان ، وأياً كان المنتصر من الطرفين الاوربيين فسيكون مصيرُ الاتراك والعرب جميعاً الخضوعَ لاستعمار المنتصر ، أمّا اذا تحالفوا مع الحلفاء فستكون لهم يدٌ عندهم فإذا انتصروا طالبوهم بردّ الجميل وإنفاذ الوعود • قلت ، وكنتُ صادقاً : أفدتَني شيئاً جديداً لم أكن أعلمه ، وسكتّ • كان للامير في نفسي من المهابة والإجلال ما منعني من متابعة النقـاش •

ومرة أخرى دعاني إليه ، وبحديث قد بلغ الغاية من اللطف والعطف أفهمني ، وكنت في حينها مجروحاً من نكبة الانفصال ويسـود مقالاتي المرارةُ والعنف ـ أفهمني أنني لو كفكفت شيئاً من غلوائي لأمكن تحاشي ما قد يصيبني من ضرر • قال ، وكان يعلم ما أنا فيه من ضائقة : إن هؤلاء حقودون • فأجبته بما أجبته ، فلم يزد وغيَّر الحديث • ثم علمتُ بعد زمان ومن جهات أخرى أنه طُلِبَ منه تسريحي فلم يوافق • ليرحمه الله بمقدار أنفته ومروءته وحبه لأمته •

وإني ، أيها السادة ، إذ أستعرض هذه الذكريات فليس للوفاء وحده، « وإنما لذة ذكرناها »[٢٤] • انها لذة مصفاة تلك التي نجدها حين نتأمل الخلق النبيل •

لقد تعرفت بالامير مصطفى الشهابي على ممثل ممتاز للجيل الاول

من أعضاء المجمع ، وتعرفت بالدكتور جميل صليبا على ممثل ممتاز أيضاً للجيل الثاني منهم :

كان أول معرفتي به سنة ١٩٣٦ . في تلك السنة أقيم مهرجان للمتنبي في دمشق . وأصدرت جريدة الايام الدمشقية عدداً خاصاً جمعت فيه ما قيل في المهرجان . وقرأت العدد من أول سطر فيه الى آخر سطر . وأذكر أنني أعجبت بالدراسة التي قدّمها الدكتور صليبا . لست أذكر الآن شيئا مما قرأت ولا شيئا من تلك الدراسة ، حتى عنوانها . كلّ ما أذكره أنني فضلتها في حينها على كل ما كُتِب وقيل في ذاك المهرجان ، وأنني راقني منها خاصة الروحُ القومية المنبثة فيها .

لم أكن ، لسوء حظي ، تلميذاً له . وكانت لقاءاتي له محدودة بالعدد والمدة والاحاديث التي كانت تدور فيها . لقيته بصفته رئيساً للتعليم الثانوي وعميداً لكلية التربية وفي لجنة الفلسفة وعلم الاجتماع في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . ولكنني قرأت في مطلع شبابي قراءة دراسةٍ كتاباته : من علم النفس الى دراساته التي قدّم بها للمنتخبات من فلاسفة العرب أو جمعها في كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » . وربما كانت سبباً من أسباب دعتني الى تغيير اتجاهي من الرياضة والعلوم الفيزيائية الى الفلسفة .

أنتم ترون ، أيها السادة ، أن هذه اللقاءات والقراءات جميعاً لاتسمح بمعرفة نافذة وحقيقية . فهل يحق لي اعتماداً عليها وعلى ما استقيته ، وما استوفيت ، من بعض أهله وأصدقائه وزملائه وتلاميذه ، أن أقوم شخصيته وأصدر عليها بعض الاحكام ؟ إن أولى من يقوم بهذه المهمة أصدقاؤه

الذين لازموه ملازمة طويلة وتوثقت بينهم وبينه العلاقة•ولكن اذا كان عليّ أن أحاول فإنني أقول من باب التخمين لا التأكيد :

يبدو لي أن الدكتور صليبا كان معتدل المزاج ضابطاً لأعصابه وتصرفاته وعواطفه ، عقلانيا واقعيا مجدّاً دؤوباً قادراً على التنظيم وصادقاً في أعماله • ومثل هذا الطبع لاتتحكم بمسيرة حياته النزوات والاهواء والانقلابات المفاجئة ، وانما هو التطور الهادىء تتولد المراحل فيه بعضها من بعض تولداً طبيعيا دون خلل أو انحراف أو عنف • واذا كان لابد من تقسيم حياته الى مراحل فلن تكون العمدة في هذا التقسيم على أسباب نفسية داخلية بل على أسباب خارجية • قال ابنه حبيب ، وأنصف أباه : « لقد شاءت الاقدار أن يكون مربياً فأخلص لدور المربي ، وشاءت الاقدار أن يكون مؤلفاً فأخلص لدور المؤلف والمفكر •• »[٢٥] •

ولد جميل بن حبيب صليبا في ٧ شباط سنة ١٩٠٢ في قرية القرعون من قرى البقاع ، وأسرة صليبا أسرة كبيرة في سورية ولبنان تدعى أيضا صليبة وصليبي ، ولها تاريخ قديم مطبوع في لبنان (كما يقول في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع) •

انتقلت أسرته الى دمشق سنة ١٩٠٨ • ومن هذا التاريخ تبدأ مرحلة الطلب • درس في دمشق حتى حصل على شهادة المدرسة التجهيزية العربية (١٩٢١) • ثم أوفدته وزارة المعارف الى فرنسا ، فالتحق بالصوربون (جامعة باريز) • وهناك حصل على دبلوم التربية من معهد علم النفس (١٩٢٣) ، وليسانس في الآداب (فرع الفلسفة) (١٩٢٤) ، وليسانس في الحقوق (١٩٢٦) ، وتوج دراسته بالدكتوراه في الآداب من جامعة باريز

على رسالتيه : « دراسة لما وراء الطبيعة عند ابن سينا »[٢٦] و « النظرية الاجتماعية في المعرفة »[٢٧] ٠

ويعود الى دمشق ، فتبدأ المرحلة الثانية من حياته وأدعوها مرحلة التدريس ، إذ يعين مدرساً للفلسفة في تجهيز دمشق (١٩٢٧) ٠ ولقد كان مدرسا ناجحا ٠ يصفه تلميذه حافظ الجمالي على النحو التالي : « ٠٠لاأزال أذكر تلك اللغة العربية الصافية التي يصوغ بها دروسه وكتبه ، وذلك الصوت العذب الرخيم الهادىء الرصين ، الذي يلزم الانسان بالانتباه إلزاماً ٠٠ فإذا تركت الصوت الى الموضوع ، وجدته يتسلسل نقطة بعد نقطـة ، وفكرة بعد فكرة ، لينتهي الى كلٍّ شامل تعرف أوله وآخره ، وبدايته ونهايته ، في بنية موحدة ، ذات هندسة مكتملة ٠٠[٢٨] ٠ والى هذه المرحلة يرجع كتاباه التعليميان : « علم النفس » (١٩٣٦) و«المنطق» (١٩٤٤) ، وترجع المنتخبات من نصوص الفلسفة العربية مع مقدماتها : « ابن خلدون » (١٩٣٣) ، « المنقذ من الضلال » (١٩٣٤) ، « حي بن يقظان » (١٩٣٥) ، « ابن سينا » (١٩٣٧) ، وترجع المحاضرات الست في تاريخ الفلسفة العربيّة التي جمعها في كتاب «من أفلاطون الى ابن سينا» (١٩٣٥) ٠ وما أظنني مبالغا اذا قلت : إن هذه الكتب مع كتاب الاخلاق للدكتور كامل عياد ، الذي شارك في المنتخبات ، تبدأ مرحلة الدراسات الفلسفية في بلاد الشام في العصر الحديث ٠ لأنه : اذا كان حبل الدراسات الدينية والادبية واللغوية لم ينقطع بين العصور العربية الزاهرة والعصر الحاضر ، وان تقلبت عليها السـعود والنحوس ، فإن حبـل الدراسات الفلسفية قد انقطع أو كاد خلال قرون طويلة ٠

ثم تبدأ المرحلة الثالثة ، وأسميها مرحلة الادارة ، حين يُعيَّن رئيساً

للتعليم الثانوي والفني والإكمالي (١٩٣٥) ، فمديراً لدار المعلمين(١٩٤٤)، فرئيسا للجنــة التربية والتعليم (١٩٤٥) ، فأمينـاً عاماً لوزارة المعارف (١٩٤٩) • والدكتور صليبا مؤهل للنجاح في الادارة ، للصـفات التي ذكرت ، ولما أوتيه من رصانة ووقار وقوة في الحجة ووضوح في البيان ؛ ولما أوتيه خاصةمن سعةفي الأفق ومعرفة بالرجال،من يؤتاهايعلمأن مشكلات الادارة ليست مشكلات رياضية أو منطقية لها حل واحد ويكون بأقصر الطرق ، ولكنها مشكلات معقدة لانها تتصل بالناس ، والناس مجموعات متغيرة متحركة من الوحدات ــ الافراد ، كل وحدة منها معقدة البنيان متغيرته في الزمان تمتاز من الوحدات الاخرى بل تكاد تكون غريبة عنها الغرابة كلها ؛ ولذلك كانت المشكلات الانسانية ، ومنها مشكلات الادارة، تتحرك في حيز كثير الابعاد مشتبكها والزمان ــ التاريخ بُعد" أساسـي فيها ؛ ولذا قد يكون للمشكلة أكثر من حل ، وقد يكون فيها الحل الممتنع في لحظة ممكنا في لحظة أخرى ، وقد يكون الحل الانجع في القرار السريع الحاسم كما قد يكون في الطريق الملتوي الطويل الخ •• والدكتور صليبا لم يكن قادراً على تسيير ما يوكل اليه من أجهزة وحـلّ المشكلات التي تعترضه فقط ، بل كان أيضا ادارياً مُنَظِّراً ، يفيد من ممارسته لوضع الانظمة والخطط والبرامج وحتى ما يشبه النظريات • ففي هذه المرحلة من حياته وضع كثيراً من البرامج والانظمة للتعليم ، وسـطر دراسات وتقارير عن اصلاح التعليم ، بعضها مطبوع (التقرير السنوي عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦) وبعضها محفوظ في السجلات ؛ كما عمل بالاشتراك مع ساطع الحصري على اصلاح التعليم فوضع كثيراً من قوانينه وأنظمته ولوائحه • ولقد أفاد كثيرا من تجربته في هذه المرحلة في تأليف كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » •

وفي سنة ١٩٥٠ عُيِّن عميداً لكلية التربية ، فبدأت المرحلة الرابعة من حياته ، وأسمّيها المرحلة الجامعية • وهي فعلا مرحلة جامعة :

مارس فيها الادارة : عميداً لكلية التربيـة (١٩٥٠ ــ ١٩٦٤) ، ورئيساً للجامعة بالنيابة (١٩٥٨) •

ومارس فيها التدريس والمحاضرة : ألقى محاضرات على طلاب كلية التربية في علم النفس (جمعها في « كتاب الغريزة والعادة والارادة » ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم أيضاً في التربية (جمعها في كتاب «مستقبل التربية في الشرق العربي » ــ نشر في سنة ١٩٦٢) • وألقى محاضرات على طلاب كلية الآداب في فلسفة برغسون (جمعها في كتاب «فلسفة برغسون» ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم في تاريخ الفلسفة الحديثة (جمعها في كتاب « في تاريخ الفلسفة الحديثة : بيكون ، ديكارت ، مالبرانش ، ليبنتز، اسبينوزا ، لوك » ــ مخطوط) • وألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة باريس موضوعها : الفلسفة العربية وتطورها (١٩٥٤)• كما ألقى محاضرات على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربيـة العالية التابع لجامعة الدول العربية « في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الادب الحديث » (١٩٥٨) (نشر الكتاب في السنة نفسها)• واشترك في الحلقة الدراسية التي دعت اليها الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٢ لاستعراض ما أسهم به المؤلفون العرب في الفكر الفلسفي خلال مائة السنة الاخيرة ، بدراسة مطوّلة عن « الانتاج الفلسفي خلال المائة السنة الاخيرة في العالم العربي : الفلسفة العامة وفلسفة العلوم » (نشرت الدراسة فيمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : م ٣٦ ، ج ٤ ــ م ٣٧ ، ج١)•

ومثل هذه المحاضرات ، كما هو واضح ، لاتقوم إلا على بحث طويل

وتنقير وإعمال فكر وتحليل للمعلومات وتنسيق لها وتركيب • ففي هذه المرحلة اذن برزت شخصية العالم الباحث واتحدت بشخصية المدرس والمحاضر ، كما هو المفترض والواجب في الاساتذة الجامعيين •

وفي هذه المرحلة اتسعت علاقاته الثقافية فشملت ميادين متعددة وعلى صعد سورية وعربية ودولية • فقد انتخب عضواً في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ممثلا لليونيسكو (١٩٥٥) (وكانت قد نشرت له ترجمته « مقالة الطريقة » لديكارت التي علق عليها وقدم لها بمقدمة مطولة عن ديكارت وفلسفته) • وانتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضواً عاملا فيها (١٩٥٨) • واختير عضوا في مجلس المديرين للموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩) • ومثّل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية: كمؤتمرات اليونيسكو العامة (جميل صليبا ومدني الخيمي ، « تقرير عام عن الدورة السابعة لمؤتمر اليونيسكو ، المنعقد في باريز بين ١٢ تشرين الثاني و ١١ كانون الاول سنة ١٩٥٢ ») ، ومؤتمر الادباء العرب ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ، ومؤتمر اليونيسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونيسكو ، ورأس مؤتمر اليونيسكو لتدريس العلوم الاجتماعية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ • وشارك في كثير من الحلقات والمهرجانات والندوات العربية والدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي ، وحلقة إعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ومهرجاني ابن سينا في بغداد (١٩٥٢) وفي طهران (١٩٥٤) الخ •• فأصبح الوجه الثقافي الاول لسورية عربيا ودوليا •

وفي سنة ١٩٦٤ أحيل على المعاش ، وبدأت المرحلة الخامسة والختامية

من حياته ، وأدعوها المرحلة البيروتية ؛ فقد نقل سكنه ونشاطه فيها الى بيروت ، وإن أبقى على كثير من صلاته بدمشق • وفيها لم يخالف عن طريق المدرس المحاضر العالم • فقد ندب للمحاضرة في المركز الاقليمي لليونيسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي (١٩٦٤ ـــ ١٩٧٠)• وحاضر في الجامعة اللبنانية • ودعي سنة ١٩٦٩ لإلقاء محاضرات على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية (جمعت المحاضرات في كتاب «اتجاهات النقد الحديث في سورية » ١٩٦٩) •

والطابع العام لهذه المرحلة ، وتبدأ في الحقيقة منذ سنة ١٩٦٢ ، أن جميل صليبا أراد فيها أن يقدم ، على أسلوبه أسلوب العالم الباحث لا على أسلوب الترجمة الذاتية أو المذكرات ، كشفاً شبه مستوفى عـــن حياته وأعمـــاله :

أفاد من عمله محاضراً في كلية التربية ليعطينا حصيلة جهوده في ميدان التربية : اطلاعاً وممارسة ، ادارة وتدريساً ، بكتابه « مستقبل التربية » •

وأفاد من الحلقة الدراسية ليقدم لنا خلاصة عن اطلاعاته ورأيه في انتاج معاصريه مـــن المفكرين والدارسين في ميـــدان الفلسفة بدراسته « الانتاج الفلسفي » •

وأفاد من دعوته مرتين للمحاضرة في معهـــد البحوث والدراسات العربية ليقدم لنا دراسة جامعة عن الادب والنقد الادبي في وطنه الصغير، الشام ، بكتابيه «الاتجاهات الفكرية ••» و «اتجاهات النقد الحديث••» •

وأفاد من محاضراته في الجامعة اللبنانية وبحجة تأليف كتاب حسب

المناهج اللبنانية فجمع لنا في جامع واف بحثه الطويل وتنقيبه وتأملاته في ميدان الفلسفة العربية بكتابه « تاريخ الفلسفة العربية » (١٩٧٠) •

وجمع كل جهوده في ميدان المصطلح الفلسفي في « المعجم الفلسفي » بمجلديه الضخمين •

وكأنما كان يقول : هذا أنا ، هذه حياتي ، هذه جهودي وسعيي في الارض ، خذوها •

وودع الحياة في بيروت في ١٢ تشرين الاول ، وشيع الى مثواه الاخير في دمشق في ١٦ منه سنة ١٩٧٦ • ولم يصدق أبو العلاء حين قال[٣٩] :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل نادي

نعم لا يصدق ما دمنا على هذه الارض نفكر وننظر ونسمع بأبعادها ؛ أما من بعيد بعيد وبأبعاد الملأ الاعلى فغيب من غيوب الله •

حياة حافلة بالعمل غنية بالثمار الطيبة • فلو شئت أن أدرسها دراسة تحليلية نقدية محيطة لاقتضاني هذا العمل كتاباً برأسه • فاعذروني ، أيها السادة ، اذا أنا اكتفيت ، في هذا المقام ، بوقفة سريعة عند جميل صليبا العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق :

انتخب الدكتور جميل صليبا عضواً عاملا في المجمع في الجلسة المنعقدة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وصدر المرسوم بتسميته في ٢٨ آذار من السنة نفسها • واختير عضواً في لجنته الادارية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ ، وبقي فيها حتى استقال منها في ٩ تموز سنة ١٩٦٤ ، بعد أن انتقل الى بيروت •

وكان ، كدأبه في كل عمل يوكل اليه ، يعمل بجد وانتظـــام وانتاج في جلسات الهيئة العامة واجتماعات اللجنة الادارية • وقد مثل المجمع بكفاية ولياقة في كثير من المؤتمرات ، كمؤتمر المجامع العلمية العربية ، واحتفال المجمع العلمي السوفياتي بمرور أربعين عاما على تأسيسه (١٩٥٧)، ومؤتمر المصطلحات الفلسفية الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة وانعقد بين ٣ و ٨ أيار سنة ١٩٧١الخ•

ان مثل هذه الاعمال لاتكشف عنها محاضر الجلسات أو الاجتماعات والتقارير عن المؤتمرات ، ولا يستطيع أن يقدرها قدرها إلا الذين شاركوا صاحبها في العمل • وما دمنا لم نقع على شهادات من هؤلاء ، فستظل هذه الاعمال خافية علينا • وسنجد أنفسنا ، كما في كل مرة وجدنا فيها أنفسنا في مثل هذا الموقف ، نتذكر بالخير اخباريينا القدماء وماكانوا يجمعـــون ويروون من حوادث وحكايات وأقوال ونكات ونوادر ولطائف وزلات وخطايا وأحلام وعظائم أعمال وصغائر الخ •• ويزداد تقديرنا لهم حين نطلع على نظريات التحليل النفسي وعلم الطباع •• لما توليه من أهميـــة خاصة ، في الكشف عن طباع الانسان ودوافعه الخفية ، لاحلام الليـــل والنهار ولمثل هذه الحوادث الصغيرة والهنات الهينة وأشياء من الحياة اليومية تافهة ••

فعدٍّ عما لم تحصل عليه الى ما وجدته مسجلا مسطوراً • وأعمال جميل صليبا المجمعية المكتـــوبة تتـــوزع على ثلاثة مجالات : الدراسات والتعليقات التي زود بها مجلة المجمع ، والمخطوطات التي حققها له ، والمصطلحات الفلسفية التي وضعها أو ثبتها وحدد معانيها :

الدراسات الفلسفية :

ان مجلة المجمع هي وجهه المجلو على الناس أو على خاصة منهم في مواعيد محددة ، ونبضه الذي ينبىء عن قوة الحياة فيه • ولقد ظل الدكتور صليبا يمدّ هذه المجلة باستمرار وشبه انتظام من سنة ١٩٤٤ الى وفاته ، بل الى ما بعد وفاته : فقد نشرت له المجلة في الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين سنة ١٩٧٧ دراسة بست وثلاثين صفحة عن « فكرة الخير عند الفارابي » • وقد أحصيت له في هذه السنين الثلاث والثلاثين ستة وخمسين عنوانا ، ما بين دراسة مطولة قد تمتدّ على جزأين وتتجاوز العشرين أو الثلاثين صفحة وقد تجاوزت احداها الستين ، وتعليق أو نقد قد لايتجاوز الصفحة الواحدة ، ذلك الى ما نشره من مصطلحات فلسفية • وقد انصبت معظم الدراسات الجادة على الفلسفة العربية ، وجمع أكثرها في الجزء الاول من كتاب « الدراسات الفلسفية » (١٩٦٤) •

ان الميادين التي جرى فيها الدكتور صليبا كثيرة ، ولكن الميدان المفضل لديه كان الفلسفة العربية • لقد طالت صحبته لها : بدأت حوالي منتصف العقد الثالث من هذا القرن حين كان يحضر رسالة الدكتوراه عن فلسفة ابن سينا ، ولم تنته الا قبيل وفاته حوالي منتصف العقد الثامن حين قدم لمجلة المجمع آخر ما دفع للنشر من دراسات وهي « نظرية الخير عند الفارابي » •

وكان يؤثر تسميتها بالفلسفة العربية • عرض هذا الرأي في رسالة الدكتوراه بحمية الشباب(٣٠) ، ثم بسطه في « تاريخ الفلسفة العربية » بتسامح الشيوخ(٣١) : عرض أولا حجج من يقول بتسميتها فلسفة اسلامية، وأهمها أنها « اسلامية في مشاكلها ، والظروف التي مهدت لها ، واسلامية

أيضا في غاياتها وأهدافها •• » ؛ ثم قفّى بحججه وأهمها : « ان الاسلام الذي أثر في تكوين هذه الفلسفة دين عربي وقرآنه عربي ورسوله عربي وروحه عربية » ثم « ان هذه الفلسفة مكتوبة بلغة عربية » ؛ وانتهى الى القول: «ان هذه الفلسفة كتبت باللغة العربية،ونشأت في الاسلام وترعرعت في جو"ه ، فهي اذن فلسفة عربية مطبوعة بطابع اسلامي ، أو فلسفة اسلامية مكتوبة باللغة العربية • ولا مشاحة في الاسماء •» •

وقد خص الدكتور صليبا ، ولاسيما في شبابه ، بالقسط الاكبر من جهوده التي بذلها في درس هذه الفلسفة ، فيلسـوفي المشائية في المشرق الاسلامي : الفارابي وابن سينا وخصمهما غزالي « المنقذ » و « المقاصد » و « التهافت » • ولكن مشائية ذينك الفيلسوفين لم تكن مشائية خالصة، لان أرسطو وصل اليهما محاطاً بشروح الافلاطونيين الجـدد (اسكندر الافروديسي ، ثامسطيوس ، ثاوفرسطس ، فرفوريوس الصوري ••) ، كما سلمّا بصحة نسبة كتب منحولةٍ لأرسطو ، أهمهـا كتاب الأثيولوجيا (الربوبية) وهو مقتطفات من تساعيات أفلوطين (التساعيتين الرابعـة والخامسة) ؛ بل ربما كان في فلسفتهما من أفلاطون وأفلوطين أكثر مما فيها من أرسطو • وكان ذلك واضحا للدكتور صليبا ؛ بل ان كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » لم يكن له من غرض إلا تبيان هذه الحقيقة •

غير أن هذه المشائية المهجنة ، التي تمتزج فيها عقلانية أرسـطو بروحانية أفلاطون وأفلوطين ، هي التي كانت ماثلة أمامه حين حاول ، في مقال نشرته مجلة دمشق سنة ١٩٤٠ ، أن يلقي نظرة جامعة على الفلسفة العربية ويستخلص خصائصها العامة التي جعلها أربعاً[٣٢] :

الاولى الصفة العقلية ، وهي أن النفس الانسانية لاتستطيع أن تقلب الصور

الحسية الى معقولات كلية إلا بتأثير العقل الفعال المفارق للعقل الانساني. والثانية الصفة الروحية وهي الاعتقاد بأن النفس الانسانية جوهر روحي وأنها باقية بعد الموت بقاءً كلياً أو فردياً . والثالثة هي الإيمان بوحدة المعرفة والحقيقة . والرابعة هي الميل الى التوفيق بين الآراء المتعارضة ، وبخاصة بين الحكمة والشريعة . ولكنه حين لخص هذا المقال في مقدمة « الدراسات الفلسفية » ، وكان قد توغل في دراسة الفلسفة العربية ، وجد أن عليه أن يضيف[٣٣] : « ولهذه الصفات المختلفة أقسام وفروع ليس من السهل استقصاؤها هنا ، هذا عدا صفات أخرى .. كطبيعة الرازي وإشراقية السهروردي وصوفية الغزالي ووضعية ابن خلدون وغيرها ، وهي كلها تدل على أن الفلسفة العربية معقدة العناصر ، مشتبكة الاصول والفروع ، كثيرة الغايات والمقاصد .. » .

وجاء في مقدمة « الدراسات » : « وجميع ما بينته في هذا الجزء يدور حول مسألة فلسفية واحدة ، أعني مسألة الحقيقة والعقل والمعرفة »[٣٤]. فإذا استعرضنا فصول الكتاب ، نجدها موزعة على قسمين : عالج في فصول القسم الاول الثلاثة بعض المسائل الفلسفية العامة : الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية ، معاني العقل في الفلسفة العربية ، معاني الحدس والفكر ، واتصال هذه المسائل بنظرية المعرفة واضحة . أما فصول القسم الثاني الستة وهي : فلسفة أبي الهذيل العلاف ، نظرية المعرفة عند الكندي ، نظرية الخير عند ابن سينا ، المدينة العادلة في نظر ابن سينا ، الغزالي وزعماء الفلاسفة ، حدود العقل عند الغزالي ــ فَصِلَةُ الفصلين الثاني والسادس منها بنظرية المعرفة واضحة أيضا ، وقد يمكن ببعض الجهد الامساك بمثل هذه الصلة بالنسبة للفصول الباقية . فمثلا ، في نظرية الخير عند ابن سينا

يمكن القول : ان العقل الفعال هو الذي يفيض الصور على المادة وهـــو الذي يفيض المعقولات على النفس الانسانية ، والصور والمعقولات متفقة لوحدة المصدر ، ولما كانت هذه الصور لا أجمل ولا أكمل ولا أكثر خيرية منها ، كانت معرفتها ، والمعرفة هي كمال الانسان وخيره من حيث هو كائن عاقل ، هي الخير الخالص المطلوب لذاته .

و « الدراسات » (المقالات المجموعة فيها كتبت بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٥٥) لم تخرج إلا قليلا عن حدود « مشائية المشرق » ونقدها من قِبل الغزالي (من هذا القليل مقال « فلسفة العلاف » ، ومافي شخص العلاف من غرابة في الخلق والذكاء والافكار يدعو فعلا للوقوف عنده ، وهو على كل حال أحد المعالم الرئيسة في مذهب المعتزلة وعلم الكلام بل في الفلسفة العربيـــة عامة) . فالدكتور صليبا مثلا في « معاني العقل » و « نظـــرية المعرفة عند الكندي » يمر مروراً سريعاً على مفهوم العقل عند علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وعند اخوان الصفا وعند الصوفية ، ولكنه يسير بنا مستأنياً باسطاً القول في الطريق المبتعدة عن أرسطو ومقالته بوجود عقلين: منفعل" وفاعل ، هما بمثابة المادة والصورة ، والفاعل منهما مفارق وهو في جوهره فعل محض وهو أزلي أبدي . الى مقـــالة إسكندر الافروديسي بعقول ثلاثة : عقل هيولاني وعقل بالملكة وعقل فاعل ، وهو عنده هو الله. الى مقالة الكندي وقد جعل العقول أربعة : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل ظاهر وعقل أول ، والظاهر عنده هو العقل بالفعل وقد أخرجته النفـــس فأصبح موجوداً لغيرها بالفعل ، أما الاول فهو العقـــل الذي هو بالفعل أبداً وهو مبدأ كل المعقولات وعلتها وهوهو الله . الى مقالة الفارابي بأربعة عقول أيضا : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل مستفاد وعقل فعال ، والمستفاد

هو العقــل بالفعل بعد أن تحصــل له المعقولات كلها أو جلها معقولة بالفعل ، أما العقل الفعال فيصبح عنده لأول مرة العقل العاشر أو عقل فلك القمر المهيمن على عالم الكون والفساد وواهب الصور والمعقولات جميعا. الى مقالة ابن سينا الذي زاد عقلا خامسا فأصبحت : العقــل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال ، فخص العقل بالملكة بالمعقولات الاولى وهي المقدمات التي يكون بها التصديق ، والعقل بالفعل بالمعقولات الثانية وهي العلوم المكتسبة . فإذا بدأ بنا طريقَ العودة الى مفهوم أرسطو أو ما يقرب منه عند ابن رشد ، طوى الطريق بسرعة فلم يتوقف عند ابن باجّة الذي رجع ، على ما يبدو ، الى القول بعقلين : العقل الهيولاني والعقل الفعال « الذي هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده »(٣٥) .

وكذلك كان دأبه في الفصول الاخرى . ففي « الطريقة الرمزية » وقف طويلا عند قصة سلامان وأبسال لابن سينا وقصة حي بن يقظان لابن الطفيل يعرضهما ويؤول رموزهما ، بينما لم تنل العوالم الرمزية للصوفية والفرَق الباطنية إلا التفاتة سـريعة جاءت بمناسبة تحليل « عينية ابن سينا »(٣٦) . ولم يكن حظ نظرية التأويل « الرشدية » أوفر . وفصل « معاني الحدس والفكر » يكادَ يكون وقفاً على آراء ابن سينا الواردة في كتابه « الاشارات والتنبيهات » .

يبدو لي أن جميل صليبا بدأ درس الفلسفة العربية بابن سينا ، في أواسط العقد الثاني ، ثم رجع الى أسلافه : الفارابي خاصة والكندي .. كما مضى الى ما لقيته هذه الفلسفة من نقد ورفض عند الغزالي ، ومن قبول في وجهها الإشراقي عند ابن الطفيل . ولبث طويلاً في هذه الدائرة:

يتعمق بالدراسة ويتوسع حتى كاد يحيط بفلسفتي الفارابي وابن سينا ، ولم يبرحها إلا لماماً : مرة مثلا الى ابن خلدون وأخرى الى أبي الهذيل •• ذلك حتى العقد السابع حين بدأ يوسع دائرة اهتمامه ، فشملت ابن رشد، متابـَعةً من جهة لآثار « تهافت » الغزالي في المغرب حيث ردّ ابن رشـد بـ « تهافت التهافت » ، بعد أن دمَّر الفلسفة في المشـرق كما كان يزعم المستشرقون ، ولتبين الفروق بين فلسفتي ابن سينا وابن رشد[٣٧] ، فكانت الدراسة التي أدرجها في « تاريخ الفلسفة العربية »[٣٨] ، والمقال « بين ابن سينا وابن رشد » الذي نشره في مجلة المجمع[٣٩] • ومدّ دراسته للغزالي فتجاوزت الغزالي ناقد الفلسفة الى غزالي علم الكلام والغزالي المتصوف ، كما في دراسته له في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٠] ، ومقاله « الغزالي وعلم الكلام » المنشور في مجلة المجمع[٤١] • وكذلك وسع دراسته لابن خلدون في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٢] •

ولم يخالف الدكتور صليبا عن سنة الاولين (الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة العـرب والفلاسفة الأوربيين في العصر الوسيـط) والآخرين (المستشرقين ومن نهج نهجهم من الباحثين العرب والمسلمين) في فهمهم للفلسفة العربية وتخطيطهم لحدودها : وهي أنها هذه الفلسفة الموروثة عن يونان ، وبخاصة عن أفلاطون وأرسطو ، وقد امتزجت بها أفكار مـن العقائد الشرقية وأفكار من الدين الاسلامي[٤٣] • ولم يتضح الا منذ عهد غير بعيد ، حوالي منتصف هذا القرن ، عند المستشرقين وبعض الباحثين من المسلمين ، اتجاه جديد يفهم الفلسفة العربية فهما جديدا ، يمد حدودها وتاريخها الى أبعد بكثير من الحدود والتواريخ السابقة • إذ « حيثمـا استقر المقام «بالتحقيق» الفلسفي في الاسلام ، كان التفكير عندها منصباً

على أمر أساسي هو النبوة أو الوحي النبوي ، وعلى المسائل والمواقف التفسيرية التي يتضمنها هذا الامر الاساسي ؛ وعندها تأخذ الفلسفة شكل فلسفة نبوية أو حكمة لدنّية .. وفي الاسلام خصوصاً ، يظل تاريخ الفلسفة وتاريخ الروحانية غير قابلين للانفصال »[٤٤] .

وقد وصل هذا الاتجاه الجديد الى الدكتور صليبا في المرحلة الاخيرة من حياته ، فتنبه الى « أن هنالك الى جانب الفلاسفة الذين نسجوا على منوال اليونان فلاسفة آخرين غيرهم نقدوا الفلسفة اليونانية وجاوزوا الحد الذي وقفت عنده ، وليس أدل على ذلك من اشراقية السهروردي وصوفية الغزالي وواقعية ابن خلدون ، فإن في آرائهم وآراء بعض الفرق الاسلامية ابتكارات كثيرة .»[٤٥] اننا نقع في مقدمة « الدراسات » على ما يشبه الاشارة الى أنه قام بدراسات في هذه الميادين الجديدة[٤٦] ؛ فهل عنى بها ما كتبه عن صوفية الغزالي وفلسفة ابن خلدون التاريخية والاجتماعية ؟ انني لم أعثر له على دراسة ، مثلاً ، لحكمة الإشراق عند السهروردي ، فهل هناك دراسات من هذا النوع مازالت مخطوطة ؟

الرسالة الجامعة :

قلت سابقا إن أحد مجالات نشاط الدكتور صليبا المجمعي كان تحقيق مخطوطات من التراث . فقد حقق الرسالة الجامعة ، ونشرها المجمع : الجزء الأول سنة ١٩٤٨ والجزء الثاني سنة ١٩٥١ . واعتمد في التحقيق على أربع مخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية والخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية وفي طهران وفي دار الكتب الوطنيـة في باريس . واستأنس بمخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، واطلع على مخطوطة في مكتبة أحد الأمراء في سلمية ، وهي التي نُشرت فيما بعد بعنـوان

« جامعة الجامعة » • ووصف المخطوطات الاربع ، ما عدا الباريسية منها فقد اعتمد على وصف الدكتور عادل العــوا وكذلك على نسخته التي انتسخها عنها •

وكانت طريقته في التحقيق أن يقرأ النص في مخطوطة ويقابله بما في المخطوطات الاخرى ثم يختار الاصح والاصـــدق ، ويشير الى الروايات المختلفة ، حين توجد ، في ذيل الصفحات •

وحين اصطدم بكتابات على المخطوطات تنسب الرسالة الى الحكيم المجريطي : فعلى الصفحة الاولى من مخطوطة الظاهرية تعليق « لأحــد الفضلاء » يؤكد هذه النسبة ، وعنوان المخطوطة التيمورية يقول «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطي رحمة الله عليه » ، أما مخطوطة طهران فمخرومة من أولها ، ومخطوطة باريس ليس عليها ما يشير الى مؤلفها ، ولكن البارون دوسلان في الفهرست الذي نظمه للمخطوطات العربية في دار الكتب الوطنية بباريس ينسبها للمجريطي•

وتجاوزت المسألة كتابات على مخطوطات ، فحاجي خليفة (١٠١٧ـ ١٠٦٧) يقول في « كشف الظنون » : إن هناك كتاباً اسمه رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي أولها الحمد لله الذي خلق فسوى وأنه نسخة مغايرة على نمط اخوان الصفا[٤٦] ؛ وهذا الوصف ينطبق على الرسالة الجــامعة •

والمحبي (ــ ١١١١) في « خلاصة الاثر »[٤٧] يروي عن محمد بن عبد العزيز بن حسن جان الشهير بالبهائي مفتي الديار الرومية (١٠١٠ ــ ١٠٦٤) : أنه سئل عن كتاب إخوان الصفا وحكم قراءتها فكتب : أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطي وما تحققت من هو وما أخباره •• وينقل عن ابن

حجر المكي (٩٠٩ ــ ٩٧٤) من فتاويه أنه سئل عن صاحب رسائل اخوان الصفا وما ترجمته وما حال كتابه فأجاب بقوله : ••• الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي •• وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وممن شدّد عليه ابن تيمية ولكنه يفرط في كلامه فلا تغتر بجميع ما يقول • وعلى ذلك تكون المسألة قد تجاوزت الرسالة الجامعة الى رسائل اخوان الصفا وأصبحت جميعاً من تأليف المجريطي •

أقول : حين وجد الدكتور صليبا نفسه تجاه هذه الاقوال وجد أن عليه أن يقــوم بمحاولة في تحقيــق نسبة هذه الرسالة • وهذا ما فعله في المقــدمة :

بدأ فترجم للحكيم المجريطي مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الاندلسي أبي القاسم المولود في مجريط والمتوفى فيها سنة ٣٩٨ ــ معتمداً على القاضي صاعد (ــ ٤٦٣)[٤٨] وابن بشكوال (٤٩٤ ــ ٥٧٨)[٤٩] والقفطي (ــ ٦٤٦)[٥٠] وابن أبي أصيبعة (ــ٦٦٨)[٥١] وابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨)[٥٢] والمقري (٩٨٦ ــ ١٠٤١)[٥٣] • فذكر شهاداتهم لــه بعلو الكعب في الرياضــيات والفلك والمعاملات • وأن له كتابين[٥٤] : « رتبة الحكيم » في الكيمياء و « غاية الحكيم » في السحر والطلسمات ، ليخلص الى هذا النص من « رتبة الحكيم » : « وقد قدمنا من التآليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعاباً لم يتقدمنا فيها أحــد من أهل عصرنا البتة ، وقد شاعت هــذه الرسائل فيهم •• ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم • لما دأبوا على مطالعتها •• علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم •• » • فتساءل : هل هذه الرسائل المشار إليها هي الرسالة الجامعة ؟

بدأ فأسقط قيمة الكتابات الموجودة على المخطوطات لأنها مقحمة على النصوص وليست بخطها • ثم لاحظ أن المؤرخين حتى القرن الحادي عشر ، والذين وصلت إلينا كتاباتهم ، لم ينسبوا له مثل هذه الرسالة ، وأن الاسلوب في هذه الرسالة يختلف تمام الاختلاف عن الاسلوب في « رتبة الحكيم » و « غاية الحكيم » ، فهو في هذين معقد مستغلق بينما هو في تلك يوشك أن يكون أدبيا ، ويشبه الاسلوب في رسائل إخوان الصفا ، ذلك الى أن أبواب الرسالة هي أبواب الرسائل نفسها وإن اختلفت شيئاً الفصول •

ثم إن الرسالة والرسائل في مواضع كثيرة منها يحيل كل طرف منها الى الآخـر •

فقد جاء في الرسالة الجامعة مثـلا : « •• ولذلك شرطنا في كتبنا وقدمنا في رسائلنا أنه لا يحل لأحد من أهل الاديان ، أي دين كان ، أن يتهجم على هذه الرسالة وأن ينظر فيها ويطلع عليها إلا بعدما يرتاض بقراءة ما بين يديها من الرسائل المقدمة عليها لتتهذب نفسه •• فإن قراءته للرسائل المتقدمة تكون معينة له على القراءة في هذه الرسالة »[٥٥] • وجاء فيها « فهكذا يكون لإخوان الصفاء كتاب يعرف بهم ولغة فيما بينهم لايشاركهم فيها سواهم »[٥٦] • كما جاء في رسائل إخوان الصفا مثلاً : « •• وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها ، المشتملة على حقائقها بأسرها •• والرسالة الجامعة مـن رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد »[٥٧] • وجاء فيها : « وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الإلهية وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل ، وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة »[٥٨] •

وهكذا ينتهي به التحقيق الى القول : « إما أن يكون المجريطي مؤلف الرسالة الجامعة هـذه ومؤلف رسائل اخـوان الصفا معا ، وهذا مشكوك فيه للاسباب التي قدمناها • وإما أن يكون مؤلف رسالة في هذا الموضوع ولكنها غير هذه على كل حال • والغالب على الظن أن المجريطي لم يؤلف قط رسائل اخوان الصفا ولا الرسالة الجامعة وانما نحله إياها الوراقون •• » • الى هذا الحكم ينتهي الدكتور جميل صليبا ، وهـو واضح لمن له أقل إلمام بأسلوب العلماء المتحفظ الحذر : إنه يثبت أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة واحد ، وينفي أن يكون الحكيم المجريطي ويقف ، إذ لم يشأ ، أو لم يجد المقدمة تحتمل ، أن يزج بنفسه في المشكلة الشائكة ، مشكلة من هو مؤلف أو من هم مؤلفو رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة •

فمن عجب أن يأتي من بعد ذلك من يقول : « أما رسالة الجامعة التي حققها الدكتور صليبا ونسبها للمجريطي ظلماً وعدواناً ••• ولا أدري كيف تجرأ الدكتور صليبا على نسبة هذه الرسالة الى المجريطي وهو يعلم تمام العلم بأنه لم يكتبها ولم يؤلفها ، وكل ما هنالك أنه نقلها معه من المشرق الى المغرب •• »[٥٩] •

إن الباحث عن أوليات جماعة إخوان الصفا ورسائلهم يخبط طويلاً دون أن يبلغ غاية يرضاها • انها ، الجماعة والرسائل ، ولدت في ظـلام التخفي ، أو الستر كما يقول الاسماعيلية ، ولم تبدأ بالظهور إلا بعد تغلب البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ • ونحـن مدينون لأبي حيان التوحيدي (ـ ٤١٤) في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » بأول نص يتحدث عن اخوان الصفاوالرسائل•إذ يروي[٦٠] أن الوزيرأبا عبدالله الحسين بن أحمدبن سعدان

وزير صمصام الدولة البويهي سأله عن زيد بن رفاعة ، فوصفه بالذكاء الغالب والاطلاع الواسع والتصرف في كل فن . فسأله الوزير : « فعلى هذا ما مذهبه ؟ » فأجابه :

« لا ينسب لشيء ولا يعــرف برهط .. وقد أقام بالبصرة زماناً طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ؛ منهم أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعــوفي وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم . وكانت هــذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته . وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال .

« وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة : علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرستاً ، وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس .. وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة .. قد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن تتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ... » .

وحين سأله الوزير : أفما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟ قال : .. انه هيج يوماً فاندفع فقال : « الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الاصحاء ،

والانبياء يطبون للمرضى .. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها ... غاية مدبر المريض أن ينتقل به الى الصحة .. وغاية مدبر الصحيح أن يحفظ الصحة ، واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرّغه لها .. وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى .. وقد صار مستعداً للحياة الإلهية ... فإن كسب من يبرأ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ، لأن احداهما تقليدية والاخرى برهانية .. وهذه روحانية وهذه جسمية..»

ويبدو من هذا النص أن أبا حيان قد عرف القوم وآراءهم بالعشرة والمناظرة والقراءة ، وأن رسائلهم قد وجدت طريقها الى حلقات المثقفين والخاصة في ذاك الزمان .

وعن أبي حيان ، على الاغلب ، أخذ مؤرخو الحكمة والحكماء : فالبيهقي (ــ ٥٦٥) يذكر أسماء الجماعة مع قليل من التحريف ويضيف «ألفاظ هذا الكتاب (الرسائل) للمقدسي»[٦١] . والقفطي ينقل كلام أبي حيان على غره[٦٢] . وحاجي خليفة يذكر الاسماء نفسها مع بعض التغيير . ويمضي هذا الخط الاول في نسبة الرسائل حتى مستشرقي العصر الحديث والكتاب العرب والمسلمين فيه : ينقلون ماذكر التوحيدي ، سواء أوافقوه أم خالفوه .

ولكن حاجي خليفة يفرد فقرة خاصة ثانية لرسائل يدعوها رسائل اخوان الصفا ، ويقول إنها تختلف عن الاولى وإن كانت على شاكلتها (وهي الرسالة الجامعة ــ كما ذكرنا من قبل) وينسبها للمجريطي . ومن قبله نسب ابن حجر المكي في فتاويه والبهائي مفتي الديار الرومية ــ كما نقل عنهما صاحب خلاصة الاثر ــ الرسائل كلها للمجريطي . فلا بد أن

يكون قد وقع الى كل منهم نسخة أو أكثر من الرسالة أو الرسائل منسوبة للحكيم الاندلسي ، أو نقلوا عمن وقع له مثل ذلك . يذكر بروكلمان[٦٣] أن في مكتبة الاسكوريال مخطوطة بعنوان « مختصر رسائل اخوان الصفا لمسلمة بن أحمد المجريطي » . وسواء أكانت هذه المخطوطة مختصراً حقاً للرسائل أو كانت الرسالة الجامعة ذاتها ، وسواء أختصر مسلمة الرسائل أم لم يختصرها ، فغير مستبعد أن يقع مثل هذا الوهم : فمسلمة هو الحكيم وإليه انتهت الحكمة في الاندلس ، وهو ــ أو تلميذه الكرماني على قول صاعد ــ الذي حمل معه الرسائل من المشرق ، فإذا وقعت هذه الرسائل أو مختصرها ، إن وجد ، أو الرسالة الجامعة لطلاب الحكمة في الاندلس من بعده ، وهي خلو من اسم المؤلف ، فقد يظن بعضهم ، أو يوقن ، أنها من تأليف حكيمهم . وهكذا تردّ الاندلس الى المشرق رسائله وقد وسمتها بأنها صنعة أندلسية . وقد تولى الدكتور جميل صليبا ، كما عرضنا من قبل ، تزييف هذا الخط .

وهناك أيضاً خط ثالث . فالنصوص التي كانت متداولة حتى أوائل الربع الثاني من هذا القرن ، وأكثرها نصوص سنية ، كانت تحيط إخوان الصفا باتهامات قوية في صحة الدين ، وذلك بين في نصوص التوحيدي ، أو بالصلة الوثيقة بالعقائد السرية الباطنية ، فابن تيمية[٦٤] مثلا يخلط بين اخوان الصفا وبين مختلف المذاهب الباطنية ، والبهائي المفتي يقول[٦٥] : « ... وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الاسماعيلية » . وكان يلوح في هذه النصوص دعوى إما مرفوضة أو مشكوك بها شكاً شديداً . فالقفطي يقول : « .. ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها ، وكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا هي من كلام بعض الأيمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في

اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة •• » وابن حجر المكي أجاب في فتاويه حين سئل عن صاحب رسائل إخوان الصفا[٦٦] : « نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل •• » • والنصوص القليلة غير السنية أقرت هذه الصلة • قال غلام أحمد القادياني[٦٧] (١٢٥٢ — ١٣٢٦) : « ولما خشي الإمام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية •• » •

ولكن منذ حوالي خمسين سنة أخذت تبرز الى النور نصوص كثيرة من الادبيات الاسماعيلية ، إما من قبل الباحثين من مستشرقين وشرقيين وإما من جهة الاسماعيليين أنفسهم • وفي هذه النصوص تأكيد لتلك الدعوى وتحديد ، على اختلاف ، للإمام الذي اليه يرجع تأليف الرسائل والرسالة الجامعة أو الإشراف على تأليفها •

جاء في رسالة « الأصول والأحكام » للداعي أبي المعالي حاتم بن عمران بن زهرة (٤٤٩ — ٤٩٨) : « فلما انتقل الإمام محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي ، وهو أول من ستر نفسه عن الاضداد من أهل عصره المخالفين ••• وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم •• وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الإمام •• هو عبد الله ابن ميمون •• وزعم البعض أنه عبد الله بن سعيد بن الحسين أو عبد الله ابن مبارك أو عبد الله بن حمدان • وإن هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنان وخمسون رسالة »[٦٨] •

وفي كتاب « عيون الاخبار وفنون الآثار » (السبع الرابع) للداعي

المطلق ادريس عماد الدين القرشي (ــ ٨٧٢) : « وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضى بن جعفر الصادق (ع) ظن أن أمر الله قد انقطع •• وأنه قد قطع ذرية الإمامة •• سعى في تبديل شريعة محمد ﷺ وعلى آله وتغييرها ، وأن يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين •• فحين شاع ذلك منه وظهر عنه ، وخشي الإمام عليه السلام أن يميل الناس الى مازخرف فألف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وجمع فيها من العلوم والحكم والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية •• ثم إن الإمام (ع) أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد ، لتقوم بها على المخالفين البراهين والشواهد ، فحين وقع الناس عليها ، رفعت الى المأمون بن هارون ، فعلم أنه لم يصنع شيئاً ، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لايكــون ••• »(٦٩) ؛ والإمام المقصود هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، المعروف بأحمد الوفي•

وهناك نصوص اسماعيلية أخرى ، وفي النصوص جميعاً اضطراب وبينها اختلاف •

وبعد ، ما الرأي ؟

يلاحظ الدكتور عبــد الرحمن بدوي(٧٠) أن هنــاك اختلافا بين الأســماعيلية واخوان الصفا في مسألة وجــود الموجودات عــن الله : فالإسماعيلية ، وشيخ فلاسفتهم أحمد حميد الدين الكرماني (توفي بعد سنة ٤١١) ، يرون أن وجود الموجودات عن الله لايتم بالفيض بل بالإبداع، بينما يأخذ اخوان الصفا بنظرية الفيض الافلاطونية الحديثة • ذلك الى فوارق مذهبية أخرى كثيرة • ويلاحظ أن اخوان الصفا كثيرا مايسخرون من المسبعة ، فيقولون مثلا : « وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الاشياء

السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة ، فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها ، وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات »• وينتهي الى أنه يمكن « أن نقرر بكل يقين أن اخوان الصفا ليسوا من الاسماعيلية في شيء ، بل لكل منهما مذهب مستقل مباين لمذهب الآخر » •

ولكن ملاحظات الدكتور بدوي غير كافية لنزع صفة الاسماعيلية عن إخوان الصفا • فالمذهب الاسماعيلي قد عانى منذ نشأته من اختلافات وصلت الى أصل العقيدة ، وخضع في تاريخه للكثير من التطورات • ولم يكن ذلك خافيا على الدكتور بدوي(٧١) حين تحدث عن نشأة الاسماعيلية وعن الخلاف حول الإمام ، من هو بعد جعفر الصادق ، أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل ؟ وحول الأئمة : هل تتجلى فيهم الألوهية أم لا ؟ وحين تحدث عن اسماعيلية منتصف القرن الثاني واسماعيلية منتصف القرن الثالث الخ••فاذا سلمنا للاسماعيليين بأن الرسائل ترجع الى عهد الإمام المستور أحمد الوفي (ـ٢٢٩) وأنها ألفت رداً على سياسة المأمون المذهبية والعملية، تكون قد ألّفت في أوائل القرن الثالث، ذلك بينما ترجع مؤلفات كبار مفكري الاسماعيلية الى القرن الرابع بل الى زمن متقدم في القرن الرابع• وفي أثناء ذلك اختلف الوضع بالنسبة للاسماعيلية : فقد خرجت من الستر الى الظهور ، وأصبحت قوة في المجتمع الاسلامي ، وعقيدة لدولة ، فخضعت بالتالي للضرورات التي تفرضها الدولة ، ودخلت في صراع فكري وسياسي قاس مع المذاهب الفلسفية ، وبخاصة مع المذاهب الاسلامية ، وعقيدةُ الخلق من العدم ، مثلا ، تقع في الاساس من الاسلام •

اذا كانت حجج الدكتور بدوي غير كافية ، فهل نقبل دعوى الاسماعيليين نسبة الرسائل الى الإمام أحمد ، ونرى في الجماعة التي تحدث

عنها التوحيدي جماعة اسماعيلية متخفية تولت ، أو كلفت بإشاعة الرسائل وبث ما فيها من عقائد بين العامة ، على أن لا نعني بهــذه الكلمة المعنى المتداول بل الذين أوتوا القدرة على معرفة الحقيقة الروحية وراء ظاهر الشريعة ؟ اننا في الواقع نحس نبض الاسماعيلية في الرسائل على الرغم من الحذر الشديد الذي تتخذه ، ولكننا نشتم أيضاً من النصوص الاسماعيلية التي ترجع الرسائل الى الإمام التقي روح الدعاية العقائدية والسياسية ؛ فلا المأمون التاريخي الذي نعرفه حاول أن ينقض الرسالة المحمدية ويحمل الناس على فلسفة يونان ، ولا مذهب الاعتزال الذي تبناه يحمل من الفلسفة أكثر مما تحمل الرسائل ذاتها . فهل نقول : إن الرسائل من عمل جماعة من المفكرين الاحرار تشبعوا بالفلسفة ، وبخاصة الفلسفة العرفانية التي كانت تملأ الجو الفكري في زمانهم ، فلما عثر عليها الاسماعيليون وجدوا فيها ضالتهم : أنها خير موطىء لعقائدهم وأفضـــل ما يمكن استعماله في تهيئــة أذهان أولئك المثقفين القلقين الحائرين لقبولها ، فاستولوا عليها وأحاطوها بأسطورة الميلاد تلك ؟

يرى إيڤانوف لحل هذه الصعوبة التاريخية ، ويوافقه على رأيه هنري كوربان[٧٣] ، أنه وجدت منذ عهد الإمام نواة لهذه الرسائل ما لبثت أن توسعت مع الزمن حتى أصبحت رسائل الاخوان .

وبعد هذا العرض ، غــير المستكمل على كل حال ، لايسعني إلا التوقّف بانتظار اكتشاف نصوص أخرى تميل بكفة الميزان وتفيد بعض الاطمئنــان .

كتاب الحيدة :

وحقق الدكتور صليبا «كتاب الحيدة» لعبد العزيز الكناني(ـ٢٤٠)، ونشره المجمع سنة ١٩٦٤ • وهذا الكتاب محضر لمناظرة جرت بحضرة الخليفة المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ ، خلافته : ١٩٨ ـ ٢١٨) بين مؤلفه وبين بشر المريسي (ـ ٢١٨) حول مسألة خلق القرآن • وعنوان الكتاب « الحيدة » مصدر لفعل حاد بمعنى مال وزاغ ، ويطلق في أصول المناظرة على فعل المسئول اذا هو حاد وزاغ في جوابه عن موضوع سؤال السائل الى موضوع آخر تفاديا للاحراج والتورط • وكتاب الحيدة هذا مكون من قسمين : الاول يتصل بالمناظرة وما سبقها ورافقها من ملابسات ، والثاني اعتذار للمأمون عما فرط من المؤلف إذ أملى وريقات عما جرى في المناظرة على بعض حملة المحابر فاستثار غضب المأمون • ولذلك جاء عنوانه في كشف الظنون[٧٣] « الحيدة والاعتذار » •

واتبع الدكتور صليبا في التحقيق الطريقة نفسها التي اتبعها في تحقيق الرسالة الجامعة • واعتمد على أربع مخطوطات وعلى طبعة مصرية قديمة سقيمة • ثلاث من المخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية ، والرابعة في مكتبة توبنجن في ألمانيا •

وقدم للكتاب بمقدمة ضافية • بدأها بالتعريف بالمؤلف ، بعد أن رجع الى مصادر كثيرة تزيد على العشرة ابتداء من فهرست النديم وانتهاء بأعلام الزركلي • وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي • أخذ الحديث عن عدد من الشيوخ منهم سفيان بن عيينة (١٠٧ـ ١٩٨)ولكنه كان قليل الحديث •ولزم الشافعي (١٥٠ـ٢٤٠) وصحبه في سفره الى اليمن حتى عرف به وبان أثره عليه في كتاب الحيدة في حديثه عن الخصوص

والعموم والبيان • ولما أتته الى مكة أنباء المحنة بالقول بخلق القرآن في بغداد شد الرحال اليها مصطحبا ولده ، وفي مسجدها الجامع أعلن على الملأ إنكاره لخلق القرآن ، فحمل الى عمرو بن مسعدة الذي أوصله الى مجلس المأمون ، ورتبت مناظرة بينه وبين بشر المريسي فقطعه ، على قوله• ذكر بالدمامة حتى لقب بالغول • ولكنه كان ذرب اللسان سليطه ، كما يبدو في الحيدة • وكان جريئاً ، ولولا جرأته ما ركب الصعاب وغرر بنفسه ، ولكن يبدو لي أنه في جرأته يمتزج التدين بطلب الاشتهار • في احـدى مخطوطات الظاهرية نص أقحم على الكتاب مروي بالسند نفسه الذي روي به الكتاب يقول : « جاء عبد العزيز الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في الحبس فقال : ان هذا الامر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته فاذكرني ، فبعث إليه أبو عبد الله : أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك فيكون قتلك على يدي ، ولأن أقتل أنا أحب إلي ، فانصرف بسلام » • ويرى الدكتور في هذا الخبر دليلا على جرأة عبد العزيز ، ولكنه ، ان صح ، قد لايكون أكثر من تعزية أو مجاملة ، اذ ماذا يمكن أن يكون جواب الإمام الورع إلا ما كان ؟ ثم بأي شيء يذكره وقد استقل بمناظرة سارت بذكرها الركبان في مجلس الخليفة نفسه حول المسألة التي يمتحن بها الإمام نفسها ؟

ويحشره صاحب الفهرست (ــ ٣٨٠) بين الزهاد والمتصوفة مـن طبقة الحارث ويجعل منه متكلماً مقدماً(٧٤) ، ولم يذكره ، فيما عدا النديم والاسنوي ، أحد ممن ترجم له (ووقعت لي ترجمته) بالكلام ، فلا بد أنهما غرتهما « المناظرة » • وجاء في الفهرست أيضا أن له كتبا ، لم يسمها ، في الكلام والزهد ، وكذلك لم يذكـر له مترجموه غير كتاب « الحيـدة

والاعتذار » كتاباً ، ويذكر هو في « حيدته » أن له كتابين هما : رسالة في فضل بني هاشم وكتاب السنن والاحكام •

حكم الذهبي (٦٧٣ ــ ٧٤٨) في « ميزان الاعتدال » أنه « لم يصح إسناد كتاب الحيدة اليه فانه وضع عليه »[٧٥] • ووافقه السبكي (٧٢٧ـ ٧٧١) في «طبقاته» على هذا الحكم لأن في الكتاب «أمورأمستشنعة»[٧٦] • فوجد الدكتور صليبا أن عليه أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب الى مؤلفه• فلاحظ : أولا ، أن هناك إجماعاً على أن المناظرة قد وقعت • وثانيا ، أن الذين ترجموا لعبد العزيز السابقين منهم على الذهبي والسبكي واللاحقين لم يشككوا بنسبة الكتاب اليه • وثالثا ، أن حجة « الامور المستشنعة » ليست حجة يمكن اعتمادها في التاريخ ، وهي نسبية تختلف من عصر تاريخي الى آخر • ثم لاحظ رابعاً وجود فقرة في آخر كتاب الحيدة هذا نصها : « فسُرَّ المسلمون •• وجعل الناس يجيئون إلي أفواجاً •• فقالوا : لابد أن تملي علينا ماجرى •• فتهيبت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ، فلما ألحوا علي قلت لهم : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لايكون عليَّ حجة في ذكره فرضوا بذلك ، فأمليت عليهم أوراقاً يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني••ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما قد يلحقني بعضه ، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الاوراق •• في كتاب مفرد بعد هذا •• »[٧٧] ــ فقدر أن هذه الفقرة تسمح له أن يفترض : أن أصل كتاب الحيدة هذه الوريقات العشر ، التي لقيت القبول من الناس ، فتداولتها أيدي النساخ والقراء سراً زمن المحنة ، ثم لما انكشفت في عهد المتوكل وانعكس الاتجاه اتخذت وسيلة للدعاوة : فالقادر بالله (٣٣٦ ــ ٤٢٢ وخلافته ٣٧١ ــ ٤٢٢) نظم

سنة ٤٢٠ ثلاثة مجالس جمع فيها الأشراف والقضاة والشـــهود والفقهاء والوعاظ والزهاد ، في كل مجلس منها كان يقرأ كتاب من الخليفة يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة والطعــن على المعتزلة ، وفي المجلسين الثاني والثالث حوى كتاب الخليفة الطعن على من يقول بخلق القرآن ، وتفسيقه وحكاية ما جرى بين عبد العزيز وبشر المريسي فيه ـ فالمتوقع أن تخضع أوراق الكناني ، وهــي تمر خلال العهود المتقلبة وتحــت عيون ذوي الاهواء وبين أيدي النساخ المتفاوتين في الثقافة للكثير من التحريف وأن يدس فيها الكثير من الاضافات بقصد التفصيل أو التوضيح أو التأييد بالشواهد الخ •• فتتضخم حتى تصبح كتاباً •

ولكن هذه الفقرة قد تسمح بافتراض آخر : من الواضح أنها لم تكن مما سطر في الاوراق العشر ، وأنها لم تكتب زمن المحنة ، أي ان عبد العزيز رجع ، بعد أن زال ما تخوفه على نفسه ، الى أوراقه ليشرح ما كان أوجز، ويعد بذكر مالحقه بسببها في كتاب مفرد • ذلك إلا اذا كانت الفقرة ذاتها مما أضافه النقلة ، وعندها لابد أن نواجه هذا السؤال : و « الاعتذار »؟ هل هم النقلة أيضـــا الذين وضعوه ؟ ان ما يبدو معقولا أن يكون عبــد العزيز قد نام على مجد المناظرة والاوراق العشر طول عهد المحنة ، فلمـــا جاء الفرج أعاد النظر في أوراقه ففصل ما كان أجمل وأوضح ماأبهم وأبدى ما كتم ، ثم سجل ما كان جرى في جلسة الاعتذار •• ثم جمع الكل في كتاب فكان «الحيدة والاعتذار» • ويبقى بعد كل حساب : الى أي مدى كانت ذاكرته صادقة وتعبيره مشكوماً ؟

ثم مضى الدكتور صليبا الى مسألة خلق القرآن فقال : لقد ســـبق بشراً الى هذه المقالة جهم بن صفوان ومعظم المعتزلة ، وترجع عند هؤلاء

الى مسألة نفي الصفات عن الله ، التي ترجع بدورها الى التوحيد الاصل الاول من أصولهم الخمسة[٧٩] • ثم يعرض باختصار لبعض حجج المعتزلة ولموقف أحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١) وعبد الله المأمون •

وخطورة هذه المسألة لم تأت من مقام القرآن في عقيدة المسلمين وحياتهم فقط ، ولكن من أنها أصبحت أيضا عنوانا لعقيدة جعلها المأمون عقيــدة للدولة وأراد أن يفرضها على الرعية مبتدئاً بالقضــاة والمحدثين والشهود •

ولم يكن المعتزلة الاوائل الذين قالوا بهذه المقالة « نفــي الصفات الإلهية » ، والمقالة الاخرى « خلق العباد أعمالهم » التي ترجع الى الاصل الثاني من أصولهم : العدل ، بل كان لهم أسلاف هم : معبد الجهني (قتل سنة ٨٠) وغيلان الدمشقي (قتل في خلافة هشام ٧١ــ١٢٥ وخلافته ١٠٥ ــ ١٢٥) ، في مسألة القدر ــ والجعد بن درهم (ذبحه أمير العراق خالد القسري سنة ١٢٤) وجهم بن صفوان (قتل ١٢٨) في مسألة الصفات•

بل يمضي المؤرخون المسلمون الى أبعد من الجعد وجهم فيرجعون بمسألة خلق القرآن الى اليهود • فقد نقل ابن كثير (٧٠١ ــ ٧٧٤) عن ابن عساكر (٤٩٩ ــ ٥٧١) وغيره أن[٨٠] « الجعد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم •• وأخذها لبيد عن يهودي باليمن • وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان •• »•

والمتكلمون قديماً والمستشرقون حديثا يرجعون بالمسألتين كلتيهما ، قبولا في احداهما ورداً في الاخرى ، الى النصارى ، والى يوحنا الدمشقي على الخصوص • فيوحنا كان معاصراً لأولئك الاربعة ، وجمعته مع ثلاثة

منهم دمشق ، وهو مؤلف كتاب « الإيمان الصحيح » ، وفيه عالج مسألة القدر وقال بحرية الانسان ، ورسالة « نقاش بين مسيحي ومسلم » • وفي هذه الرسالة نجد[٨١] : « اذا قال لك العربي : ما تقول في المسيح ؟ فقل له انه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم : بم سمي المسيح في القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول : كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فإن أجاب بذلك فاسأله : هل كلمـة الله وروحه مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله اذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح ، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين » •

مثل هذه المجادلة التي توقعها وحضر لها يوحنا الدمشقي كانت تقع بالتأكيد وتتكرر • وتجد انعكاساتها في أقوال المعتزلة والجاحظ (١٥٠ ــ ٢٥٥) خاصّة في « رسالة النصارى »[٨٢] حين أشار الى الكائدين للاسلام الذين يرتضون القول بنفي خلق القرآن ويرحبون بمقالة الفقهاء والمحدثين •• والمأمون في كتابه الثاني الى إسحق بن ابراهيم في بغداد من معسكره على حدود الروم حول المحنة بالقرآن يقول : « وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله •• »[٨٣]

ولم يكن الصراع مع النصرانية الوحيد الذي كان على المعتزلة أن يخوضوه ، ماداموا قد ندبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام ، بل كان عليهم أن يصارعوا كذلك المجوسية والمنانية وكل العقائد العرفانية والفلسفات اليونانية • ويبدو أن الخليفة المأمون ، وعلاقته بالاعتزال وكبار المعتزلة مثل النظام وثمامة بن أشرس وابن أبي دؤاد كانت علاقة قوية ، اعتقد أنه بعقيدة المعتزلة وبرجالاتهم يستطيع أن يدفع عن الاسلام الغوائل ويحافظ

على حقيقته ويوحد الامة بها • فبدأ بتقديم المعتزلة ووضع قوة الدولة تحت تصرفهم ، وأعلن[٨٤] سنة ٢١٢ مقالة « خلق القرآن » عنواناً لعقيدة الدولة ، وبدأ محنة الفقهاء والمحدثين •• وفي أخريات أيامه بلغ اندفاعه حد الطغيان ، وهو المشهور بحلمه وتسامحه ، ثم وصّى بها إذ حضره الموت أخاه وخليفته المعتصم ، (١٨٠ — ٢٢٧ وخلافته ٢١٨ — ٢٢٧) • وقد أخطأ المأمون وأخطأ المعتزلة في فهم حقيقة الاسلام •

إن مشكلة التنزيه والتشبيه من المشكلات الاساسية في الاسلام • ففي القرآن آيات تبلغ في التنزيه الغاية « ليس كمثله شيء »[٨٥] ، وآيات متشابهات تلقي في الروع التشبيه « الرحمن على العرش استوى »[٨٦] ، وبين هذه وتلك أسماء الله وصفاته • وكان لابد من مجموع هذه الآيات لتصح العبادة ان من حيث الامكان وان من حيث الاكتمال والامتلاء بالخشية والمحبة • فمنتهى التنزيه يقطع ما بين العبد وربه ، ويرمي به في هوة مظلمة ، إذ تمتنع عليه أية معرفة ، فلا يستطيع أن يسميه بله أن يدعوه ويناجيه • ونهاية التشبيه الحلول والتجسيد ، فيصبح الإله شيئاً من أشياء الطبيعة ، فلا يستطيع الانسان أن يعبده حق العبادة مهما بلغ من جماله أو جلاله،إذ لاعبادة روحانية إلا حين يتجاوز المعبود العابد تجاوزاً لايتصور معه أن يبلغه مهما اتسعت أوهامه ، وإلا كانت العبادة مادية تحت تصرف منافع الانسان • فالعبادة الحقة انما تقوم على هذا الجدل المستمر بين التنزيه والتشبيه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن »[٨٧] • وهذا معنى عبادة الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه »[٨٨] • ولكن الانسان كان « أكثر شيء جدلا »[٨٩] ، فهو بعقله لا بحقيقته الكلية يدفع الامور الى نهاياتها • وهكذا وجد في الاسلام من دفع التنزيه الى نهاياته وهم المعطلة،

ومن دفع التشبيه الى نهاياته وهم المشبهة والمجسمة • والمعتزلة ممن غالى في التنزيه فنفوا الصفات عن الله أياً ماكان التعبير الذي اتخذوه : عالم لا بعلم وقادر لا بقدرة أو عالم لذاته وقادر لذاته أو عالم بعلم وعلمه هو هو وقادر بقدرة وقدرته هي هو الخ •• فعطلوا صفاته وبالتالي عطلوه ، ولم يخطىء أهل السنة حين دعوهم المعطلة • وكانوا منطقيين مع أنفسهم حين نفوا عنه خلق أكساب العباد،وقالوا ان الانسان خالق أعماله ، فنفوا القدر• ولكنهم أخطؤوا حقيقة الاسلام الجدلية ، فكان لابد أن ينتهوا الى المصير التاريخي الذي انتهوا اليه •

وانتهى الدكتور صليبا الى تلخيص كتاب الحيدة • « والحيدة » كما هو مفترض تسجيل للمناظرة بين الكناني والمريسي • وقد جرى التعريف بالاول فلا بد من التعريف بالثاني :

هو[٩٠] بشر بن غياث المريسي (ــ ١١٨) ، فارسي بغدادي ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف (١١٣ ــ ١٨٢) صاحب أبي حنيفة (٨٠ــ ١٥٠) ، ثم مال الى الكلام • واتصـل بالشافعي حين قدم الى بغـداد ، ونصحه الشافعي بترك علم الكلام ، فكان جوابه : لنا نهمة فيه • وهو من المرجئة[٩١] بل رأس فرقة من المرجئة • والمرجئة فرق : فمنهم من قالوا بقول المعتزلة بالصفات وبالتالي بالقرآن ومنهم الفرقة المريسية ، ومنهم من قالوا بمقالة المجبرة الذين يرون أن الله يخلق أكساب العباد والمريسية منهم ؛ حتى أصبح بشر رأس الفرقة مهجور الصفاتية والمعتزلة ، كما يقول صاحـب « الفرق بين الفرق »[٩٢] •

وكتاب الحيدة ، اذا اطرحت منه المقدمات والتعليقات والمشاغبات والتكرار والشواهد الكثيرة بدون ضرورة والاسراف في مدح الخليفة وما

يظن أنه أقحم عليه ، قد تزيد عليه ورقات عبـد العزيز العشر الاولى •
فالمناظرة تنقسم الى قسمين : الاول حين اتفق على أن يكون القرآن والسنة الاصل الذي يرجع اليه في حال الاختلاف في الفروع ، وهو أكثر مـن تسعة أعشار المناظرة ، والثاني حين أصبح هذا الاصل النظر والقياس •

والقسم الاول يرجع الى حجتين على خلق القرآن ونقضهما : « شيئية القرآن » و « جعل القرآن » •

الحجة الاولى : القرآن بنص التنزيل شيء ، وبنصه أيضا « الله خالق كل شيء »[٩٣] ، فالقرآن مخلوق من مخلوقات الله •

الرد : القرآن شيء ، هذا صحيح ، ولكن شيء هنا لاتدل على أكثر من اثبات الوجود ونفي العدم لاعلى أنه اسم له وأنه كالاشياء • وقد أجرى الله على كلامه ما أجراه على نفسه اذ دل على نفسه أنه أكبر الاشياء بالمعنى الاول ، قال : « قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم »[٩٤]، ولكنه نفى عن نفسه المعنى الثاني « ليس كمثله شيء » • وكذلك بالنسبة الى كلامه قال : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء،قل من أنزل الكتاب الذي جاءبه موسى نوراً وهدى للناس؟»[٩٥]• فالتوراة كلام الله شيء ولكن بالمعنى الاول ، والدليل الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »[٩٦] ؛ فقول الله هنا ليس كالاشياء وغير الاشياء وخارج الاشياء وتكون الاشياء به • أما بالنسبة للآية « خالق كل شيء » ، فالله يقول : « ويحذركم الله نفسه »[٩٧] ، ولكنه يقول أيضا: « كل نفس ذائقة الموت »[٩٨] ، فهل ينطبق هـذا الحكم على نفس رب العالمين ؟ بالطبع لا ، وكذلك الخلق بالنسـبة لكلام الله فإنه لا يشمله • فالخبـر في القرآن قد يكون مخـرج لفظه عاماً ومعناه خاص ، ويتبين

الخصوص فيه إما بالاستثناء المباشر ، أو الاستثناء غير المباشر بخبر خاص يتقدمه • فالآية « كل نفس ذائقة الموت » قد خصصتها الآية « وتوكلت على الحي الذي لايموت »(٩٩) ومثلها الآية « خالق كل شيء » خصصتها الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقـول له كن فيكون » التي أخرجت قول الله من الاشيـاء •

الحجة الثانية: القرآن مخلوق بنص الآية « إنا جعلناه قرآناً عربياً »(١٠٠)، ومعنى جعلناه خلقناه •

الرد : جعل تأتي في القرآن بمعنيين : خلق ، كما هو معناها في الآية « الحمد لله الذي خلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور »(١٠١)؛ وصيَّر ، كما في الآية « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك »(١٠٢) • وجعل بمعنى خلق تكون في القول المفصل ، وهو مايستغنى به دون حاجة الى توصيل الكلمة بغيرها من الكلام • فالآية « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة »(١٠٣) من القول المفصل لأنها مستغنية بذاتها • أما جعل بمعنى صيَّر فتكون في القول الموصَّل ، والقول الموصل هو ما لايفهم المقصود منه اذا لم توصل الكلمة بغيرها من الكلام • فإبراهيم وإسماعيل حين سألا ربهما « ربنا واجعلنا(١٠٤) •• » لو سكتا عند اجعلنا لم يكـن لدعائهما معنى ، فالله قد خلقهما وانتهى الامر ، ولكن حين أضافا « مسلمين لك » اتضح المعنى وكان « صيرنا مسلمين لك » • والآية « إنا جعلناه قـرآنا عربيا » من القول الموصل ، ومعناها « صيرناه قرآناً عربياً » •

والقسم الثاني من المناظرة القائم على أصل النظر والقياس يحتوي على ثلاث حجج متهافتة كلها ، وترجع اثنتان منها الى القرآن • ولكن عبد العزيز يجب أن يفوز فعلى بشر أن يعجز عن تفنيدها !

حجة : اذا كان القرآن مخلوقاً ، فالله خلقه إما في نفسه أو في غيره أو قائماً بذاته . ويمتنع القول الاول لان الله لايكون مكانا للحوادث ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء . ويمتنع الثاني لما يترتب عليه من تساوي كلام الله مع كل كلام آخر خلقه الله في غيره من الشعر وقول الزور والكفر والفحش . والثالث يمتنع عقلا لان الكلام لا يقوم بنفسه ولا يكون إلا من متكلم .

حجة : كان الله ولا شيء معه ، ثم أحدث الاشياء بقدرته ، فإذا لم تكن قدرته متميزة من فعله ، والله ما زال قادراً ، فالله ما زال فاعلا ومحدثاً للاشياء ، فالاشياء اذن ما زالت مع الله ، وفي هذا نقض للقول الاول . أما اذا كانت القدرة غير الفعل ، فان القادر ما زال سيفعل ، وفعله بقوله كن . فأول خلق خلقه الله كان بقول قاله وارادة أرادها وقدرة قدرها ، وذلك كله متقدم قبل الخلق ، فليس هو من الخلق في شيء .

حجة : ان الله في القرآن أخبر عن خلق الانسان في ثمانية عشر موضعاً، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ، فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ثم جمع بين الانسان والقرآن في موضع واحد ، فأثبت الخلق على الانسان ولم يثبته على القرآن ، قال : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان »[١٠٥] ، فهل فرط الله في الكتاب حين لم يخبرنا عن خلق القرآن، وهو القائل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »[١٠٦] ؟

وأخيرا قد يكون هناك ما يسوّغ ذكر بعض الملاحظات حول كتاب الحيدة :

(١) ان المؤرخين يحددون فيما يتصل بمسألة خلق القرآن سنتين : سنة ٢١٢ وفيها أعلن المأمون المقالة ، وسنة ٢١٨ وفيها بلغت المحنة درجة

التنكيل ، وتسكت عما جرى في الفاصلة الزمنية بين التاريخين . ويأتي كتاب الحيدة فيملأ بعض الثغرة ويكشف بعض الكشف . فقد قدم بعض الصور عن الارهاب الفكري والمادي المخيم على بغداد . قال عبد العزيز : « وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء والمحدّثون والمذكرون والدعاؤون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما ... وكل من أظهر مخالفتهم (جماعة القائلين بخلق القرآن) وذم مذهبهم أو اتهم بذلك أحضِر ، فإن وافقهم ودخل في كفرهم .. تُرِك ، وإلا قتلوه سراً وحملوه من بلد الى بلد ، فكم من قتيل لم يُعلَم به وكم من مضروب قد ظهر أمره ... »[١٠٧] . هذا النص وأمثاله كثير قد يسمح بالقول : ان ممارسة فرض العقيدة بدأ منذ سنة ٢١٢ ، وأخذ شكلين : شكلا رسميا باستبعاد المخالفين من القضاة والشهود .. عن أعمال الدولة ، ومنع المدرسين والوعاظ من التدريس والوعظ في المساجد ؛ وشكلا آخر يبلغ فيه الارهاب درجة التنكيل والاغتيال يتولاه أمثال بشر المريسي ومحمد بن الجهم والطبقة الدنيا من المعتزلة .

(٢) ان المأمون ، على ما يظهر ، لم يأخذ الكناني مأخذ الجد بل عدّه انساناً مهووساً لا أكثر ، ولكنه أراد أن يكفه عن العامة ، فهو من جهة يعبث به عبثاً واضحاً ويغري به المريسي وابن الجهم وغيرهما ـ وتكفي للبيان الصورة التالية : « .. فوثب بشر إلي .. كالاسد الى فريسته ، فجاء فانحطّ عليّ فوضع فخذه اليسرى على فخذي اليمناء فكاد أن يحطمها ، واعتمد عليّ بقوته كلها ، فقلت له : مهلا ، فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لم يأمرك بقتلي وظلمي وانما أمرك بمناظرتي وانصافي . فصاح به المأمون : تنحّ عنه وكرر ذلك عليه مراراً .. »[١٠٨] ـ ومن جهة أخرى يربت على نفسه كي يتطامن ويستكين .

(٣) بل لم يأخذ المناظرة والمتناظرين مأخذ الجد ، بل كانت بالنسبة اليه والى حاشيته ، نوعاً من لهو الخلفاء والكبراء المترفّع وعبثهم . وكثير من حركاته الصغيرة التي كان الكناني يلتقطها بدقة وان لم يفهم معانيها ، وما سمح به من شغب بحضرته وصياح وضجيج .. تكشف عن الدور الذي أراده لهذه المناظرة . وإلا فكيف يفهم تسليمه بتفنيد الكناني لحجتي « شيئية القرآن » و «جعل القرآن» ، وقد أعادهما برسائله المشهورة[١٠٩] في محنة العلماء الأثريين ، بل لقد أصبحتا من الحجج التقليدية عند المعتزلة، وبهما واجه ابن أبي دؤاد أحمد بن حنبل بحضرة المعتصم[١١٠] .

(٤) يبدو المريسي في المناظرة قاصر الحجة قليل المهارة في الجدل قد ترك المبادرة لخصمه حتى في ميدان النظر والقياس المفترض أنه ميدانه ، وما هكذا تصوره كتب التاريخ والتراجم ، بل تعطيه دوراً كبيراً في التلبيس على المأمون وتضليله[١١١] ؛ وبرأيي أنها أعطته أكبر من حجمه ، كما أعطاه عبد العزيز أصغر من حجمه . وقد سجل المريسي أيضا المناظرة أو شيئاً عنها في آخر كتاب له دعاه « كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القرآن رداً على أهل الكفر والضلال »[١١٢] . ولو أنه بقي لرأينا المناظرة من زاوية أخرى وصورة الكناني بعيني المريسي .

(٥) يتهيأ للانسان في مواضع كثيرة من كتاب الحيدة ، على الرغم من وحدة الاسلوب ، أن هناك فقرات وجملاً وشواهد قد أدخلت على النص الاصلي ، وأحياناً يكون موضوع بتمامه قد أقحم اقحاما . وفي مثال واحد كفاية : بينا عبد العزيز يبلغ في تفنيد حجة « شيئية القرآن » النهاية أو يكاد،اذا به يطرح مسألة جديدة عن علم الله[١١٣] فيفصل القول تفصيلا، ثم يعود مرة أخرى الى موضوعه الاول ، فيتحدث حديثا مطولا عن

الخصوص والعمـوم[١١٤] • ذلك دون مناسبة واضحة بين طرفي الكلام ووسطه • هناك بالتأكيد صلة قوية بين علم الله وكلام الله وخلق القرآن لأنها جميعا ترجع الى المسألة الكبرى « صفات الله » ، ولكن الكناني لم يشعر أي اشعار بهذه الصلة ، والمريسي بدوره لم يعترض على طرح المسألة، وكان قبلها قد رفض رفضاً باتاً أن يخرج عن « خلق القرآن » الى « كلام الله » • فلن يُطرح اذن في غير مطرح الظن بأن عبد العزيز حين أعاد النظر في نصه الاول ،وكان قد اطلع على معلومات وتذكر معلومات وفطن الى أدلَّة ، رأى أنه يمكن أن يفيد منها اذا هو أضافها الى النص • وهكذا زج بمسألة العلم وربما بموضوع الخصوص والعموم الذي كان قد سمعه من الشافعي ••

(٦) وفي النهاية ، إن كتاب الحيدة ، برأيي ، ذو قيمة محدودة من حيث هو نص كلامي ، ولكنه قيم من حيث هو نص أدبي • ان التجهيزات المسرحية والاخراج وربما التمثيل كانت جميعاً جيدة ، ولكن الحوار كان ضعيفاً • فالمقدمات والحواشي والتفصيلات واللقطات الجزئية والخواتيم ••تكشف كشفاً حسناً منظراً من مناظر عبث الخلفاء الذين هم من نمط المأمون في سعة التفكير وقوة الخلق • كما تكشف عن بعض من أساليب الارهاب في صورته الملطفة • ثم انها تقدم لنا ملامح لبعض الشخصيات التي اشتركت في هذه المناظر ، كالخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة وحاجب المأمون ومحمد بن الجهم ، وتكاد تحـدد ، اذا جمعناها الـى روايات الإخباريين ، السمات الاساسية لشخصيتي الكناني والمريسي •

والغريب أن هذين الشخصين يتشابهان في ملامح كثيرة في الخلق والخلق : فكلاهما كان على قسط من الدمامة : الكناني غول ، والمريسي

«شيخ قصير دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود»[١١٥]. وكلاهما أوتي حظاً من روح الاستفزاز والعدوان ومن التحرق للظهور ولو بأساليب خارجة عن المألوف . وكلاهما من النموذج الذي يمكن أن تستلكه امتلاكاً تاماً فكرة أو اتجاه حتى تصبح هاجسه الوحيد وتقود كل تفكيره وسلوكه : فالكناني تملكه هاجس « مخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم .. »[١١٦] فقاده من مكة الى بغداد وزج به في مواجهة قوى الطغيان متعرضاً للاذى والسخرية ... والمريسي دفعته نهمته الى علم الكلام الى المخاطر . وقد تنبأ له أستاذه أبو يوسف « كأني بك قد شغلت على الناس خشبة الجسر »[١١٧] . والغريب أنهما كليهما كانت تربطهما بمحمد بن ادريس الشافعي رابطة وثيقة . ولكن أحدهما يبدو طيب السريرة طاهر النية، والآخر خبيث الطوية كثير الأذى . ولكن ، من يدري ربما كان يختلف السلوك لو اختلفت الادوار وتبادلا المكان من السلطان !

المعجم الفلسفي :

وأخيراً ، نصل الى المجال الثالث من مجالات نشاط الدكتور جميل سليبا المجمعي ، والى قمة عمله، وقد توج به حياته الفكرية ، وهو المعجم الفلسفي ، الذي أصدر مجلده الاول سنة ١٩٧١ والثاني سنة ١٩٧٢ . ويقع فيما يقرب من ١٥٠٠ صفحة ، ويحتوي على ١١٦٠ مصطلحاً فلسفياً عربياً بحذاء كل مصطلح منها مقابله باللغات الفرنسية والانجليزية واللاتينية. وقد شرح كل مصطلح مبيّناً أصله اللغوي ومعانيه في المنطق والاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وماوراء الطبيعة والدين وعلم الكلام واللاهوت .. حين توجد مثل هذه المعاني . وكان حريصا على إيراد

النصوص الفلسفية التي تبين وجوه استعمال المصطلح • كل ذلك بأوجز الكلام وأوضحه •

وهذا المعجم هو محصول حياة جادة في دراسة الفلسفة وتدريسها وتحقيق نصوصها وترجمتها والتأليف فيها مع عناية خاصة بالمصطلح • وقد بدأ بمعاناة الفلسفة العربية والتعبير عنها باللغة الفرنسية وترجمة نصوص منها اليها منذ كان يحضر رسالة الدكتوراه • ويبقى العثور على المصطلح الفرنسي المقابل للمصطلح العربي في فلسفة ابن سينا على مشقته سهلاً ، لأن فلسفة الشيخ الرئيس ترجع بصورة عامة الى الفلسفة اليونانية ، وهذه قد أشبعت درساً وثبت مصطلحها في اللغات الاوربية • ولم يكن كذلك تدريس العلوم الفلسفية الحديثة في الربع الثاني من هذا القرن ، مع الحرص الشديد ــ المعروف عن الدكتور صليبا ــ على سلامةاللغة ووضوح التعبير والبعد جهد الامكان عن تهجين الكلام ، ومع افتقاد الاسـلاف المحدثين الذين روّضوا اللغة العربية وحضروها لتلقي مثل هذه العلوم • وحين ألّف كتابه في علم النفس ألحق به فهرساً احتوى على ما يقرب من ٤٠٠ مصطلح عربي مع مقابله الفرنسي • وما زال تقلبه في الاعمال يغذي فيه هذا الميل الى وضع المصطلح وتثبيته : انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) ، والمصطلح شغل المجمع الشاغل ، وأصبح عميـداً لكلية التـربية ، فعاد لتدريـس علم النفس والتربيـة ، وألقى محاضراتٍ باللغـة العربية عن فلاسـفة غربيين ، ومحـاضرات باللغـة الفرنسية عن الفلسفة العربية ، وانتخـب ممثلاً لليونيسـكو في اللجنـة الدولية لترجمة الروائع الانسـانية ، وترجم « مقـالة الطريقـة » لديكارت ، وشارك في ترجمة كتاب « إعداد المربي » ، وسمي عضواً في لجنة المديرين للموسوعة الميسرة الخ •• وفي مجلة المجمع كانت تظهر ، على مدى تلك

السنين ، نتائج اهتمامه وعمله في هذا الميدان : ففي الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين سنة ١٩٥٣ ظهر مقال له حول « تعريب الاصطلاحات العلمية » ، ثم أخذت سلسلة « الاصطلاحات الفلسفية » تتتابع على امتداد ستة وثلاثين جزءاً ، ابتداء من الجزء الاول من المجلد الواحد والثلاثين سنة ١٩٥٦ حتى الجزء الثاني من المجلد السادس والاربعين سنة ١٩٧١ .

وقد قدم لمعجمه بمقدمة بسط فيها رأيه في وضع المصطلح وتثبيته ، وخلاصتها :

ان اللغة العربية لغة واسعة في اشتقاقاتها كثيرة المرونة غنية بألفاظها المتباينة والمتفقة والمترادفة . ومن هنا أُتيَ الكتّاب وبخاصة أرباب السّجع والبديع ، فكثيراً ما يستعملون الالفاظَ المترادفةَ والمتواطئة بعضها في مواضع بعض ، مع أن الواجب على الكاتب اذا وقع على ألفاظ مختلفة متقاربة المعاني أن يبحث عن أسباب اختلافها ، ثم يستعملها كلاً في موضعه ، مادام من حق المعنى ، كما يقول الجاحظ «أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلا ولا مفضولا ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً »(١١٨) .

والامر أصبح مشكلة جدية في زمننا هذا . فالنقلة الذين ينقلون العلوم وغيرها من اللغات الغربية الى اللغة العربية كثيرا ما يستعملون الالفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، واللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة ، بل ان الكاتب الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي ارتآها فيخالف نفسه ، ذلك الى مخالفته سواه . فإلامَ تنتهي هذه الفوضى في المصطلح ؟ لاشك الى خفاء المعاني واهتزاز حدودها واختلاطها بعضها

ببعض ، وما يتلو ذلك من ضلال القارىء ويأسه مما يقرأ أو تزينه بالكلمات الكبيرة الفارغة وتردادها دون تثبت من مدلولاتها .

« فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الالفاظ ، ولا بدّ لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية ، حتى لاتتبدل الحقائق بتبدل الالفاظ التي أفرغت بها » . وهذا العمل انما يقوم به المختصون كل في علمه ومجال اختصاصه ، « لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع الاصطلاحات ، وانما هي بمثابة عضو رئيس في جسم العلم ، ينقح ما يكشفه العلماء ويمحصه وينظمه ويثبته » . « والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد » . لقد طلب الدكتور صليبا كثيراً ، نحن أقل طموحاً منه ، نحن نكتفي بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية : تجتمع بانتظام ، وتضع خطة مشتركة ، وتوزع على المجامع الاعمال ، ثم تنظر في النتائج فتقر ما تقره وتعممه . وبذلك توفر الجهود وتوجه التوجيه الصحيح وتتوحد لا المصطلحات وحدها بل اللغة أيضا ، وعندها تتكلم جميعاً لغة عربية واحدة في هذا الوطن العربي .

ويقترح الدكتور صليبا على سبيل الاشارة لا الاحاطة ، أربع قواعد يجب اتباعها في وضع المصطلح العلمي :

الاولى : « البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته ، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد » .

الثانية : « البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ، فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الجديد » .

الثالثة : « البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي » •

الرابعة : « اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية » •

ولم يدخر الدكتور صليبا جهدا في عمله • فقد رجع في اللغة العربية الى معاجم اللغة وبخاصة قاموس الفيروزابادي ، والى معاجم الاصطلاح وبخاصة تعريفات الجرجاني وكليات أبي البقاء وكشاف التهانوي ، والى كتب الفلسفة وبخاصة مؤلفات ابن سينا والنجاة والإشارات منها خاصة• ورجع الى معاجم الاصطلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية وبخاصة معجم لالاند الذي يقول انه اقتبس منه معظم تعريفاته ، فإذا كان أي عمل مهما يبلغ من الإتقان لايمكن أن يكون نهاية المطاف ، لكنه يمكن أن يكون محطة رئيسة في طريق التطور الذي لاينتهي ؛ فمعجم الدكتور صليبا بالتأكيد أول محطة كبرى في عصرنا على طريق تثبيت المصطلح الفلسفي•

ولبيان طريقته في العمل لنأخذ مثالا مصطلح « إبداع » • واخترت هذه اللفظة لأنها مشتركة بين علوم وميادين فكرية كثيرة ، مثل : علم النفس وعلم الجمال وفلسفة الفن وما وراء الطبيعة والدين واللاهوت والنقد الفني والادبي والصناعة الخ •• ولأن لها قرابة بألفاظ كثيرة مثل : خلق اختراع ، فيض الخ ••

جاء في المعجم الفلسفي(١١٩) :

(ا) الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق •

والابداع في الفلسفة له معان :

(ب) أولا ــ تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا ، كالإبداع الفني والإبداع العلمي ، ومنه التخيل المبدع في علم النفس .

(ج) ثانياً ــ إيجاد الشيء من لاشيء ، كإبداع الباري فهو ليس تركيباً ولا تأليفاً وانما هو اخراج من العدم الى الوجود . وميزوا بينه وبين الخلق، بأن الخلق هو إيجاد شيء من شيء .

(د) ثالثا ــ ايجاد شيء غير مسبوق بالعدم، ويقابل الصنع وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال ابن سينا في الإشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط ، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » . والغرض ، كما يشرح الطوسي ، أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان لم يكن مسبوقاً بعدم . فالإبداع هو اذن أن يكون من الشيء وجود لغيره من دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان ، كالعقل الاول في فلسفة ابن سينا فهو يصدر عن واجب الوجود من دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى يقابل التكوين والإحداث ، لأن التكوين مسبوق بالمادة والإحداث مسبوق بالزمان ، وهما مترتبان على الإبداع ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين ، والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث .

(هـ) رابعا ــ الإبداع الدائم وهو، عند الفلاسفة الأصوليين (السكولائيين) والديكارتيين ، الذي يبقي به الله العالم ، وهو عين الفعل الذي يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله اذن مبدع ومبق ، لأنه اذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة. وهذا أيضاً يقابل التأليف، لأن التأليف يبقى وإن أمسك المؤلف عن تأليفه .

(و) والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لايحتاجون الى القول بالابداع •

والملاحظ أن لفظة واحدة في اللغات الغربية هي Création تقابل اللفظتين العربيتين الإبداع والخلق • وبالرجوع الى المعجم الفلسفي نجد أن لفظة خلق[١٢٠] لاتخرج عن معاني الإبداع المذكورة في الفقرات (ب ، ج ، هـ) ، ولكن هناك لفظة أخرى هي الاختراع وتقابل Invention

وفي المعجم الفلسفي[١٢١] :

(ز) الاختراع هو الانشاء والابتداع ، كإنشاء الافكار انشاءً جديداً أو تنظيم وسائل العمل تنظيماً جديداً يؤدي الى تحقيق غاية معينة• فالاختراع بهذا المعنى مقابل الاكتشاف ، لأن الاكتشاف هو الاطلاع على الاشياء الموجودة سابقا ، على حين أن الاختراع هو إيجاد أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كاختراع القصة أو الآلة أو المركبات الكيماوية الجديدة الخ ••

بعد هذا العرض يمكن التعليق بما يأتي :

(١) بالنسبة للمعنى اللغوي (الفقرة ا) ، اذا رجعنا الى القاموس واللسان والتاج نجد هذا المعنى للفظة إبداع هو المعنى المركزي لها • ففي اللسان مثلا[١٢٢] : بدع الشيء وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا ، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدِع ، وأبدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال الخ••

(٢) بالنسبة لهذه اللفظة في علم النفس وعلم الجمال والنقد الفني والادبي •• (فقرة ب) ، نجد ، بالرجوع الى معجم علم النفس[١٢٣] وموسوعة علم النفس[١٢٤] وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي[١٢٥] ،

تحت مادة : تخيل ، تفكير ابداعي ، خيال ابداعي ، شرحاً لايخرج عما جاء في المعجم الفلسفي لولا أنه أقل دقة وأكثر ألفاظاً .

(٣) واذا بحثنا تحت مادة ابداع في التعريفات[١٢٦] نجد المعاني الموجودة في (الفقرتين ج ، د) بالتمام ، وفي الكليات[١٢٧] نجد المعاني نفسها ومحاولة حسنة للتمييز بين الإبداع والاختراع والخلق والصنع والفطر والبرء والانشاء والإحداث والتكوين والجعل الخ .. وفي الكشاف[١٢٨] نجد المعنى الذي في (الفقرة د).

(٤) وفي معجم لالاند نجد تحت مادة[١٢٩] Création المعاني الموجودة في (الفقرات ب ، ج ، هـ) ، وتحت مادة[١٣٠] Invention المعنى الموجود في (الفقرة ز) .

(٥) قال فلاسفة الاسماعيلية[١٣١] بالإبداع بمعنى يتفق مع المعنى السينوي من جهة أنه وجود عن شيء غير مسبوق بالعدم ، ويختلف عنه من جهة أنه لايتم بالفيض . فقد قالوا بالتنزيه المطلق لله ، فلم ينفوا عنه التشبيه فقط بل نفوا عنه أيضا التسمية والحد والصفات والزمان والمكان، حتى الوجود الذي يدعونه أيناً . وقالوا بالعقل ووجوده عن الله بالإبداع. وهو المبدع الاول والإبداع وهو السابق وهو القلم . ووصفوه بكل صفات الإله عند أرسطو وابن سينا ؛ أي أنهم وضعوا فوقه إلهاً لا يوصف بوصف وليس هو علة الوجود ، انه هوية غامضة . والإبداع ، الذي به وجد العقل وهو هو ، ليس الفيض : « .. وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا .. فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هـو مما لا يشاركه فيه فتكون ذاته من شيئين .. » « فلما بطل أن يكون ما وجد عن

المتعالي فيضاً لم يبق إلا أن يكون ابداعاً . فهو الإبداع الذي وجوده لا من شيء والموجود الاول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الاول الذي إن طلبت احاطة بكيفية وجوده لن تنال بكونها محجوبة عن العقول بوقوعها تحتها ، وتعاليها ، أي الكيفية ، في وجودها عليها ..» .

(٦) وابن عربي[١٣٢] يقول بما يتفق مع مقالة الاسماعيلية من جهة ويختلف عنها من جهة أخرى . فهو يبلغ في التنزيه درجة ليس عليها من مزيد . فالمتعال في مرتبة الأحدية فوق الصفات وفوق المعرفة ، أما في مرتبة الواحدية فهناك تعينات أساسية أو صفات . والخلق يتمثل لابن عربي فيضاً للوجود على الاسماء والصفات ، واخراجها من حالة العدم أو حالة « الكنز المخفي » الى حالة الوجود العيني . وعلى ذلك لا يصح على وحدة الوجود المتعالية عند ابن عربي ما يمكن أن يصح على وحدة الوجود الفلسفية كما هي عند اسبينوزا من عدم الحاجة الى القول بالخلق أو الإبداع (الفقرة و) .

ويشبّه ابن عربي الخلق بصدور الاصوات عن فم الانسان ، فكما تكون الكلمات قبل النطق مختلطة ثم تصبح بنفَس الانسان متميزة ملفوظة ، كذلك يخرج « نفس الرحمن » بكرمه ورحمته الامكانيات الاصلية للوجود الى حيز الوجود . وكما يمر نفَس الانسان بدوري التقلص والتمدد يمر الكون بهاتين الحالتين . انه يفنى في كل لحظة ليخلق من جديد في اللحظة التالية دون انفصال زمني . فهو يعود الى الذات الإلهية في لحظة التقلص ويعود الى الظهور في لحظة التمدد . فالكون اذن تجلٍّ للذات الإلهية في كل لحظة دون أن تتكرر ، أو كما يقول المتصوفة « لا تكرار في التجلي » . فالقول اذن بالإبداع المستمر ليس مقصوراً على

الاصوليين والديكارتيين (الفقرة هـ) ، ولكنه بمعنى آخر وخاص قول ابن عربي ، وكذلك نجده بمعنى خاص آخر عند الأشاعرة •

وبعد ، أيها السادة ، لقد كنت دائماً أقول لنفسي ولبعض أصدقائي، ومنهم من هو الآن في هذه القاعة : ان لحسن الادارة شأنا كبيراً في الانتاج حتى •• في ميدان الفكر • فمن الناس من هو جعبة علم ، ولكنه أخرق لا يعرف كيف يتحرك بين متراكم معلوماته فلا يعرف كيف يفيد من علمه، فيبقى علمه دفين صدره إلا على قليل ممن له اتصال به وعنده الصـبر والخبرة في استخراج الكنوز ؛ ثم يموت ويدفن علمه معه • ومن الناس من لايفرط بشيء من علمه ، يعرف كيف ينظم معلوماته ويصنفها ويدخرها ليفيد منها في الوقت المناسب في بحوثه ودراساته ، لا يهدر شيئاً ممّا حصّل بل يضعه في موضعه ويخرجه للناس ؛ حتى اذا غادر هذه الحياة ، كان لكل من يريد نصيب من ميراثه ، يمد يده حين يشاء فيأخـذ فيغتني ، ويظلّ التراث سليماً لاينضب ولا ينقص • وكنت أضرب الامثـال على هذين النوعين من الناس ممن أعرف من رجال البحث العلمي والفكر ، وكان جميل صليبا واحداً من الامثال على النوع الثاني •

وقد انتبه الدكتور قسطنطين زريق الى هذه الصفة في الدكتور جميل صليبا ، ونوه بها في تأبينه له • قال : « ظل جميل صليبا طالباً للعلم ليل نهار •• ظل منكباً على التحصيل ، وعلى التزود بنتاج الفكر •• ظل يجمع وزنات المعرفة ، مضيفا الجديد منها الى القديم •• على أنه لم يدفن هذه الوزنات في الارض ولم يقفل عليها في زوايا عقله ونفسه ، بل أخرجها للملأ ووظّفها واستثمرها ، فازدادت بالعطاء وغزرت بالانفاق »[١٣٣] •

وفي الختام ، أشكر السادة الذين تكرموا بالحضور ، ومعذرة ان

كنت أطلت وما وفّيت . وأشكر الاساتذة الزملاء الذين أفاضوا علي من حسن ظنهم كرما منهم وفضلا ، حتى أولئك الذين حملوني العبء وما (أنا بالعبء .. مستقل)[١٣٤] . وأخص بالشكر السيد الرئيس الدكتور حسني سبح ، فلولا عطفه وتشجيعه ما تثبت قلبي وأقدمت . أما الدكتور شاكر الفحام ، فلا تستغربوا ، أيها السادة ، ما خلعه علي من حلة موشاة لا أعرف كيف أضعها على كتفي ، انها الصداقة التي ترجع الى مايزيد على ثلاثة عقود ونصف العقد ، انها الصداقة المعتقة ، وللمعتقات كما قد تعلمون على النفوس سلطان أي سلطان .

والسلام عليكم ورحمة الله .

المراجـع :

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، ص ٣١٣ ٠

(٢) الطبري ، دار المعارف بمصر ، ج ٩ ، ص ١٦٨ ٠

(٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٣ ٠

(٤) الطبري ، ج ٩ ، ص‌ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ٠

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ج٤ ، ص ٣٢ ٠

(٦) جـاء في الطبـري « ثم استوبأ البلد ، وذلك أن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقيل ، والريح يهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث ، وغلت فيها الاسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ٠٠ » ، ج ٩ ، ص ٢١٠ ٠

(٧) «فكان بين خروجه من العراق ورجوعه اليه ثلاثة أشهر وسبعة أيام»، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢ ٠

(٨) نظم البحتري ثلاث قصائد ذكر فيها هـذه الحادثة التاريخيـة ، الاولى مطلعها :

أبـرّ على الانـواء نائلـك الغمـر   وبنت بفخـر ما يشاكله فخـر

ومنهـا :

هنيئا لأهل الشـام أنـك سـائر   إليهم مسير القطر يتبعه القطـر

ديوان البحتري ، دار المعارف بمصر ، ص‌ص ٩٩١ـ٩٩٤ ٠

والثـانية مطلعها :

مخلـف في الـذي وعـد   سـيلَ وصـلا فلم يجـد

ومنهـا :

حبـذا العيـش في دمشـق اذا ليلهـا بـرد

والثالثة مطلعها :

العيش في ليل داريـا اذا بـردا   والراح نمـزجها بالماء من بـردى

ومنهـا :

أما دمشق فقد أبـدت محاسنها   وقـد وفى لك مطـريها بما وعدا

الديوان ، م ٢ ص‌ص ٧٠٧ ـ ٧١٠ ٠

كما رثاه بقصيدته المشهورة :

محل على القاطول أخلـق داثـره   وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

ومنهـــا :

تخفـى له مغتـاله تحـت غـرة وأولى لمـن يغتاله لو يجاهـره

الديوان ، م٢ ، ص‌ص ١٠٤٥ ـ ١٠٤٩ ٠

(٩) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، التـرجمة العربية (فارس وبعلبكي) ، ط ٥ ، ص‌ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ٠

يقول بروكلمان : « وقد تلقى المتآمرون الذين دعوا أنفسهم جمعية الاتحاد والترقي مساعدة مالية من الدونمة وهم يهود سالونيك الداخلون في الاسلام والذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية في تلك المدينة » ٠

(١٠) كارل شولتز ، اللغة العربية في أفغانستان ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، م ٣٠ ، ج ٣ ، ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٦٩ ـ وقدلنـي على هذا المرجع الاستاذ أحمد راتب النفاخ ٠

(١١) كثيرا ما ذكر ذلك ، وأمام كثيرين منهم الاستاذ النفاخ ، عمر الحكيم رحمه الله نقلا عن أبيه الذي أشرف ـ كما كان يقول ـ على البناء الذي سمي فيما بعد القشلة الحميدية ثم أصبح الجامعة السورية ، والذي ـ كما يقول ـ كان أحد التحضيرات لنقل العاصمة الى دمشق (أذكر ذلك بتحفظ)٠

(١٢) أبو بكر محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق النواوي ، مصر ، ص ١٧٥ ٠

(١٣) أبو نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ٧ ، ص ٣٦٨ ٠

(١٤) المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ٠

(١٥) المنقذ من الضلال ، تحقيق صليبا وعياد ، ص‌ص ١٠٣ـ١٠٤ ٠

(١٦) الفتوحات المكية ، م ٤ ، ص ٥٠٠ ٠

(١٧) سورة البقرة ، الآيتان ١٣٤ و ١٤١ ٠

(١٨) والبيت :

جزاكم ذو الجـلال بني دمشق وعـــز الشـرق أوله دمشـق

من قصيدته التي قالها في الثورة السورية ، ومطلعها:

سـلام مـن صـبا بـردى أرق ودمـــع لا يكفكف يا دمشـق

الشوقيات ، ج ٢ ، ص‌ص ٨٨ ـ ٩١ ٠

(١٩) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦١٤ ٠

(٢٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ط مصر ، ص ٣٨ ٠

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٤٠ ٠

(٢٢) تاريخ المجمع ، ص ٣ ـ نقلا عن الحصري ، يوم ميسلون ، ص٢٣٠

(٢٣) تاريخ المجمع العلمي العربي ، ص‌ص ٢ـ٧ ٠

(٢٤) من قصيدة للمتنبي في مدح عضد الدولة ، مطلعها :

أَوْهِ بديل مـن قولتـي واهـا لمـن نأت والبـديل ذكـراها

ومنهـا :

أبا شـجاع بفـارس عضـد الدْ دولـة فنّـا خسـرو شهنشـاهاْ

أسامياً لـم تـزده معـرفة وانمـا لـذة ذكـرناها

ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٩ ٠

(٢٥) وقائع الحفل التأبيني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيد الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا ، ص ٥٩ ٠

(٢٦) عنوان الرسالة بالفرنسية ـ

étude sur la métaphysique d' Avicenne

ويذكرها في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع بعنوان فلسفة الشيخ الرئيس » ٠ ويذكرها مصطفى عبد الرازق بعنوان « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ ٠ ويعطيهـا الدكتور ابراهيم مدكور هذا العنوان « دراسة في ميتافيزيقا ابن سينا » ، وقائع الحفل التأبيني ص ٢٢ ٠

(٢٧) عنوان الرسالة بالفرنسية

La théorie sociologique de la connaissance

ويذكرها في ترجمته الذاتية بعنوان « نظرية المعرفة على مذهب المدرسـة الاجتماعية الفرنسية » ٠ وهذا العنوان أدل على مضمون الرسالة ٠

(٢٨) وقائع الحفل التأبيني ، ص ٢٩ ٠

(٢٩« من قصيدته التي مطلعها :

غير مجد في ملتـي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

شروح سقط الزند ، القسم الثالث ، القصيدة الثالثة والاربعون ، ص‌ص ٩٧١ ـ ١٠٠٥ ٠

(٣٠) لم أستطع الحصول على رسالة الدكتوراه هذه ٠ ولكنني وقعت في كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرازق على اشارة لهذه الرسالة ، وهذه هي : « وقد رأيت للدكتور جميل صليبا ٠٠ كتابا عنوانه « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ٠٠ ناضل فيه نضالا قويا عنالفلسفة العربية ٠ ومن أمثلة نضاله فيما نحن بصدده (الخلاف في التسمية) قوله : « ان الذين يجحدون وجود فلسفة عربية يثبتون وجود فلسفة اسلامية ، بيد أن الاسلام ، برغم كل ما نفذ اليه من العناصر الاجنبية ، ظل أثـرا مـن آثار

العبقرية العربية . أما أن أكثر الفلاسفة من أصل غير عربي فلا نكران له.. نحن نتكلم عن فلسفة عربية كما نتكلم عن دين عربي . » تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ .

وبالمناسبة لقد جاريت في هذه الدراسة الدكتور صليبا في التسمية حتى لايحصل تخالف في التعبير ، على الرغم من تفضيلي التسمية الاخرى .

(٣١) صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص‌ص ١٠ و ١١ .

(٣٢) الدراسات الفلسفية ، المقدمة ، ص‌ص (د ، هـ) .

(٣٣) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (هـ) .

(٣٤) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (ج) .

(٣٥) حنا الفاخوري وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج ٢ ، ص‌ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

(٣٦) مطلع عينية ابن سينا :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهي موجودة بكاملها في : صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٧٥ .

(٣٧) واستجابة للمناهج اللبنانية ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٩

(٣٨) المرجع نفسه ، ص‌ص ٤٤٣ـ٥١٩ .

(٣٩) مجلة المجمع ، م ٥٠ ، ج ١ ، ص‌ص ٢٣ ـ ٤٥ ، سنة ١٩٧٥ .

(٤٠) تاريخ الفلسفة العربية ، ص‌ص ٣٣٣ ـ ٤٠٩ .

(٤١) مجلة المجمع ، م ٤٥ ، ج٤ ، ص‌ص ٧٤٨ ـ ٧٧٢ ، سنة ١٩٧٠ .

(٤٢) تاريخ الفلسفة العربية ، ص‌ص ٥٤٣ ـ ٦٤٤ .

(٤٣) يقول صليبا : « لاشك أن الفلسفة العربية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية ، وأن الفلاسفة العرب قد نسجوا على منوال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، وأخذوا عنهم معظم آرائهم ونظرياتهم .. الا أن التيارات الفكرية المتعددة التي جمعوا بينها في ثقافتهم جعلت فلسفتهم مشابهة لفلسفة اليونان في أصولها ومبادئها ، مباينة لها في مقاصدها وغاياتها » . ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٣ .

وهذا رأي ينصف ما يدعى بالفلسفة العربية أو الاسلامية ولكنه لا يخرج بها عن الحدود التي رسمت لها .

(٤٤) هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية) ، ص ٣٢ .

(٤٥) تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٥

(٤٦) كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٩٠٢

(٤٧) خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص‌ص ٦ـ٨ ٠

(٤٨) طبقات الامم ، تحقيق لويس شيخو ، سنة ١٩١٢ ، ص ٦٩

(٤٩) الصلة ، ص ٥٦٤

(٥٠) تاريخ الحكماء ، ص ٣٢٦

(٥١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٣٩

(٥٢) مقدمة ابن خلدون ، ط٠ المكتبة التجارية ، الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ٠

(٥٣) نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج ٣ ، ص ١٧٦

(٥٤) يذكر بروكلمان (تاريخ الادب العربي ، الترجمة العربية ـ ج ٤ ، ص‌ص ٣٢٣ و ٣٢٤) أن دوزي برهن على أن كتاب « التعليم برتبة الحكيم » أو « كنز الفضائل » منحول للمجريطي ، وكذلك قال هوليمار ، لانه نص صراحة في خطبة الكتاب أنه صنف فيما بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤٧ (أي بعد الفتنة التي أطاحت بالحكم الاموي في الاندلـس سنة ٣٩٩) ٠ وبرهن دوزي أيضـا على أن كتاب « غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم » منحول له ٠ ووافقه على رأيه هذا هنري كوربان (تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٠١) ،ويرى أنه أحد مؤلفين كبيرين من التـراث الهرمسي العربي : أولهما كتاب « سـر الخليقة » ، الذي ألفه في عهد المأمون رجل مسلم ونسبه لأبولونيوس الطواني، والثاني كتابنا هذا « غاية الحكيم » ، ويحتوي على معلومات قيمة عن الطقوس الفلكية عندالصابئـة ، وعلى تعليم مفصل لمبدأ « الطبيعة التامة » المنسـوبة لسقراط ٠ ولكن جميل صليبا (الرسالة الجامعة ، ج ١ ، ص ٤) ينقل عن كتـاب غـاية الحكـيم (غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم ، طبعة ريتر، ١٩٢٧ ، ص ١) : « وكان تأليفي لهذا الكتاب مبدأ ثلاثة وأربعين وثلثمائة عند فراغي من تنقيح كتاب رتبة الحكيم ، وأتممته في آخر عام ثمانية وأربعـين وثلثمائة » ٠ فأي التاريخين أصح ؟ وهل خضع هذان الكتابان أيضا لما يشبه الاحداث التي خضعت لها الرسالة الجامعة ؟

(٥٥) الرسالة الجامعة ، تحقيق صليبا ج ١ ، ص‌ص ١٥٢ و ١٥٣ ـ طبعة بيروت ، ص ٨٤ ٠

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢٧ ـ طبعة بيروت ، ص ٢٣٩ ٠

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، ط٠ بيروت ، ج ١ ، ص‌ص ٤٢ و ٤٣

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ٠

(٥٩) مصطفى غالب ، اخوان الصفا ، ص ٣١ ٠

(٦٠) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، صص ٣_١٧

(٦١) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، صص ٣٥ و ٣٦ .

(٦٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، صص ٨٢ ـ ٨٨

(٦٣) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٥٨

(٦٤) اقرأ فتوى ابن تيمية في : عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ج ٢ ، صص ٤٤٩ ـ ٤٥٧ .

(٦٥) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج٤ ، ص ٦ .

(٦٦) المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٨

(٦٧) مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، ص ٣٥ ـ نقلا عن رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا ، تأليف : عبد المحيي الحويزي العربي ، بومباي ١٩٢٩ .

الخلاف في أئمة عهد الستر (ما بين محمد بن اسماعيل ومحمد المهدي أول الخلفاء الفاطميين) كبير بين الاسماعيليين أنفسهم ، وما هو موجود في الوثائق الاسماعيلية السورية : عبد الله بن محمد بن اسماعيل (المعروف بأحمدالوفي)ـ أحمد بن عبدالله (المعروف بمحمدالتقي)ـ الحسين بن أحمد(المعروف بعبد الله الرضى) ـ مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، الجداول الملحقة بالكتاب .

(٦٨) جامعة الجامعة ، صص ١٦ و ١٧ .

(٦٩) عيون الاخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع ، صص ٣٦٧ ـ ٣٩٤

(٧٠) مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٣٤_٣٦

(٧١) المرجع نفسه ، ص ٨٧ ـ ٩١

(٧٢) كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢١٣

(٧٣) كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٥٥

(٧٤) الفهرست ، ط. طهران ، ص ٢٣٦

(٧٥) كتاب الحيدة ، ص ٤٩ ـ نقلا عن : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ص ١٠٦٩ .

(٧٦) المرجع نفسه ، صص ٥٠ و ٥١ ـ نقلا عن طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٦٥

(٧٧) المرجع نفسه صص ١٣٥ و ١٣٦

(٧٨) المرجع نفسه ، صص ٥٣ و ٥٤ ـ نقلا عن ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ، ص ٤١

(٧٩) لا أدري ما الذي دعا الدكتور صليبا الى دغم الاصل الثالث مـن أصول مذهب المعتزلة الخمسة : المنزلة بين المنزلتين ، بالاصل الرابع :الوعد والوعيد ، والاستبدال به المعرفة بالعقل ٠ فالاصول الخمسة هي أصـول المذهب في وجهيه الإيماني والعملي للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ٠ أمـا العقل ، بالمعنى المعتزلي أي من حيث هو عقل انساني بحت ، فهو الاساس الذي تقوم عليه الاصول الخمسة ، وبدونه لا يبقى أي معنى لها ٠

(٨٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٥٠

(٨١) تراث الاسلام ، ط٠ مصر ، ج١ ، هامش ص ٢٤٧

(٨٢) كتاب الحيدة ، المقدمة ، ص ٢٥

(٨٣) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(٨٤) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٦١٩ ـ البداية والنهاية ، ج١٠ ،ص٢٦٧

(٨٥) سورة الشورى ، الآية ١١

(٨٦) طه ، ٥ ٠

(٨٧) الحـديد ، ٣

(٨٨) البخاري ، كتاب الإيمان ، ٣٧ ـ مسلم كتاب الايمان ٥٧ الخ٠٠

(٨٩) الكهف ، ٥٤

(٩٠) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص‌ص ٥٦ ـ ٦٧

(٩١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ط٠ مصر ، ص‌ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ ـ الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج١ ، ص‌ص ٢٢٣ ـ ٢٣٢ ٠

(٩٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٥

(٩٣) الانعام ، ١٠٢

(٩٤) الانعام ، ١٩

(٩٥) الانعام ، ٩١

(٩٦) النحل ، ٤٠

(٩٧) آل عمران ، ٢٨و٣٠

(٩٨) الانبياء ، ٣٥

(٩٩) الفرقان ، ٥٨

(١٠٠) الزخرف ، ٣

(١٠١) الانعام ، ١

(١٠٢) الاسراء ١٧ و ٢٩

(١٠٣) النحل ، ٧٨

(١٠٤) البقرة ، ١٢٨

(١٠٥) الرحمن ، ١ و ٢ و ٣

(١٠٦) الانعام ، ٣٨

(١٠٧) كتاب الحيدة ، ص‌ص ٤ و ٥ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ١٨

(١٠٩) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(١١٠) ابن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص‌ص ٣١٩ـ٣٢٨

(١١١) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٢٨١

(١١٢) كتاب الحيدة ، ص ٢٠٦

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٥١ـ٦٩

(١١٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ـ٧٩

(١١٥) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦١

(١١٦) كتاب الحيدة ، ص ٤

(١١٧) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦٦

(١١٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٣

(١١٩) المعجم الفلسفي ، م ١ ص‌ص ٣١ و ٣٢

تتبيّن قيمة معجم صليبا اذا قورن ما ورد فيه حول هذا المصطلح (ابداع) والمصطلحات التي تربطها به قرابة ، بما في المعجم الفلسفي ل (وهبة ، كرم ، شلاله) ، ص ١ ص ٦ ، ص ٩١

(١٢٠) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٥٤١

(١٢١) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٤٦ و ٤٧

(١٢٢) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٦

(١٢٣) فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٥٦

(١٢٤) أسعد رزوق وعبد الله عبد الدايم ، موسوعة علم النفس ، ص٨٢

(١٢٥) عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل ص ص ١٧٩ و ١٨٠ .

(١٢٦) التعريفات ، الطبعة القديمة ، ص ٣

(١٢٧) الكليات ، طبعة وزارة الثقافة ، قسم ١ ، ص‌ص ٢١ و ٢٢

(١٢٨) كشاف اصطلاحات الفنون ، الطبعة الجديدة ، ج١ ، ص ١٩٣.

(١٢٩) معجم لالاند الفرنسي ، ص‌ص ١٩٤ و ١٩٥.

(١٣٠) المرجع نفسه ، ص ٥٤٤

(١٣١) أحمد حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص‌ص ١٢٧ــ٢٠٥ ــ عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، ص‌ص ٢١٩ ــ ٢٤٧ هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص‌ص ١٤٠ــ١٤٥

(١٣٢) ابن عربي ، فصوص الحكم ، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي ، المقدمة ص‌ص ٢٤ــ٣٥ ــ سيد حسين نصر ، ثلاثة حكمـاء مسلمين ، ص ص ١٣٨ ــ ١٤٨

(١٣٣) وقائع الحفل التأبيني ، ص ١٤

(١٣٤) على الحكاية من البيت :

خلـف العـبء علي وولى أنا بالعبء لـه مستقل

وهو البيت الثاني من القصيدة التي رثى بهـا ابن أخت تأبط شرأ خاله هذا • ويقال هي لخلف الاحمر • والمطلع :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيـلا دمـه ما يطـــل

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ، ج ٢ ، ص‌ص ١٦٠ ــ ١٦٤ •

مجمعي افتقدناه :

الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري

فقد مجمع اللغة العربية عضواً عزيزاً كان له في نفوس اخوانه التقدير الرفيع ، وكان له من خلال الاخلاص في العمل والدأب فيه منزلة ، ضمه المجمع اليه منذ سنة ١٩٧١ ، فظل طيلة هذه السنوات يعمل في صمت ويعاشر في خلق ، ويجهد في اخلاص ويقدم للمجمع خدماته وعونه •

وقد نعاه المجمع ووزارة التعليم العالي ونقابة أطباء الاسنان وجامعة دمشق ، لانه كان على صلة موصولة بكل هذه المؤسسات الثقافية ، قدم لها ما استطاع خلال حياته الحافلة •

ولد الفقيد في البترون « لبنان » سنة ١٩٠٢ ، وتوفي والده وهو في السابعة « ١٩٠٩ » ، وكانت دراسته الابتدائية في مسقط رأسه في مدرسة المرسلين الامريكان باللغات الثلاث ، العربية والانجليزية والفرنسية •

وفي سنة ١٩١٣ درس في « جبيل » في مدرسة أمريكية خاصة ، وتابع دراسته الثانوية في طرابلس الشام ١٩١٤ في مدرسة المرسلين أيضا ، ونال منها شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨ •

ثم انتسب الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت سنة ١٩١٩ «صار اسمها منذ ١٩٢١ الجامعة الامريكية » فدرس جراحة طب الاسنان ، ونال شهادة دكتور في جراحة الاسنان ، بدرجة الشرف ، سنة ١٩٢٣ •

وآثر العمل بعد ذلك في دمشق ، فانتسب سنة ١٩٢٤ الى شعبة طب الاسنان بالمعهد الطبي العربي في الجامعة السـورية « الآن : كلية طب الاسنان في جامعة دمشق » مساعد مخبر ومحاضراً ، وتدرج في مراحل التدريس فكان مدرساً سنة ١٩٢٨ فأستاذاً مساعداً سنة ١٩٤٥ ، فأستاذاً ذا كرسي سنة ١٩٤٧ ، وكان اكتسب الجنسية السورية بحكم اقامته ، في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ .

وأحيل على التقاعد بسبب بلوغه السن القانونية سنة ١٩٦٢ ، ودعي الى العراق أستاذاً في كلية الطب في جامعتها بين سنتي ١٩٦٢ــ١٩٦٤ ، فدرس مادتي ترميم الاسنان ومداواة الاسنان ، باللغة الانجليزية .

وحين عاد من العراق حرصت جامعة دمشق على الاستفادة من خبراته العلمية والعملية والتدريسية فجددت تعيينه أستاذاً فيها ، ثم أحيـل على التقاعد نهائياً سنة ١٩٧٦ .

ولم يقتصر عمله الثقافي على التدريس ، وانما جمع بين التدريس والتأليف ، فخلّف مخطوطتين : احداهما : أمراض الاسنان ، والاخـرى تشخيص أمراض الفم والاسنان .

وانصرف بحكم ما كان من عنايته باللغة العربية واتقانه الانجليزية واجادته الفرنسية ، الى الاهتمام بالمصطلحات الطبيـة ، وتوّج جهوده التأليفية في معجمه المعروف : معجم مصطلحات تعويض الاسنان ، باللغات الثلاث ، اقترن فيه كل مصطلح بشرح واف ، وطبعته نقابة أطباء الاسنان .

وتولى خلال ذلك بعض الاعمال المهنية والادارية ، فعُيِّن طبيبـاً للمستشفيات العسـكرية « ١٩٢٥ ــ ١٩٤٥ » ، واختـاره زملاؤه أطباء

الاسنان ، تقديراً لعلمه وخلقه ، نقيباً لنقابة أطبــاء الاسنان « ١٩٥٨ و ١٩٥٩ » •

وكانت فضائله العلمية والاخلاقية هي التي تقدمت به الى عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق ، فقد جاء في كتاب الترشيح الذي قدمه الزميل المرحوم الدكتور صلاح الكواكبي وثنى عليه الاستاذ الدكتور حسني سبح « •• لما يمتاز به من كفاية علمية واتقان للغة الانجليزية واجادة للفرنسية، الى قوته في لغته الام : العربية الحبيبة ، بالاضافة الى ما يتحلى به مــن طيب الأحدوثة ودماثة الاخلاق ، فهو حقيق بأن ينضم الى صرحنا العلمي عضواً عاملا مخلصاً وفياً » •

وقد اتخذ المجمع قراره بقبول هذا الترشيح في جلسته التي عقدها يوم ١٩/١١/٧٠ ، وصدر مرسوم تعيينه عضواً عاملا برقم ٣٩٣ وتاريخ ١٦/٢/١٩٧١ •

واستقبله المجمع في الحفل العلني التقليدي فتكلم الرئيس الاستاذ الدكتور حسني سبح مفتتحاً الحفل بكلمة قال فيها : « •• اختاره زملاؤه ليكون يداً معهم وعوناً لهم على تحقيق غاياتنا المقدسة في خدمة اللغة العربية الشريفة » •

وقدمه المرحوم الاستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي فتحدث عن عهده بالزميل الجديد وأشاد بفضائله « •• وهو ذو نظر وقّاد في الانتقاد ، وتواضع لا غرور ولا صلف ، وعفة لسان لا همزة ولا لمزة ، وحبٌ جمٌ واخلاص لا مواربة فيه لمن يصادقه ويصافيه » •

ثم تكلم الاستاذ الفقيد فتحدث موجزاً عن صفحات من نشأته الاولى

وعن عمله خلال أربعين عاما في جامعة دمشق « التي فتحـت لي صدرها الرحب وبسطت لي كفيها السمحتيْن » ، ثم مضى يفيض في الكلام عن سلفه الاستاذ الدكتور مرشد خاطر وعن مكانته في الجامعة والمجمع ، وعن خدماته في المؤسسات العلمية والتعليمية وعـن ريادته في التأليف الطبي والمعاجم الطبية ، وعن مقالاته في المجلة الطبية العربية ومجلة المعهد الطبي العربي وغيرهما ، وأنهى خطابه بقوله : « وأسأل الله أن يأخذ بيدي ويسدد خطاي مع زملائي أعضاء المجمع وأن يمنحني القوة لأكمل طريقي وأبلغ غايتي ، جاعلا شعار العمل والخدمة نصب عينيّ والله الهادي الى سبيل الرشـاد » .

وبين السنة التي انضم فيها الدكتور الخوري الى زملائه في المجمع وبين سنة وفاته ظلّ على صلة متصلة بالمجمع وعمل دائباً في لجانه ، وكان عضواً في لجنة لمصطلحات وفي لجنة المجلة منذ عام ١٩٧٧ . وأسهم في لجنتي الكيمياء ومعجم النبـات اللتين نظرتا في معـاجم هـاتين المادتين لمرحلة التعليم الثانوي كما كان عضواً في لجنة الاحتفال بذكرى ميلاد الاستاذ محمد كرد علي .

وعهد اليه المجمع بتمثيله في أوجه من أوجه النشاط الثقافي ، ومـن ذلك الاحتفال بذكرى ابن زهر في أسبوع العلم الثالث عشر .

وكان يحرص على أن يشارك في جلسات المجمـع ببعض البحـوث والكلمات ، فقد ألقى في جلسة ٦/٤/٧٢ كلمة عن حنين بن اسحق الطبيب والمترجم ، وفي جلسة ٥/٤/٧٣ كلمة بعنوان : الافصاح عن لفظتي الجراحة والجراح .. هذا الى كلمات أخرى نشرت في مجلة المجمع .

واتخذ في السنوات الاخيرة طريقه الى تحقيق التراث الطبي ، فعمل جاهداً على تحقيق كتاب : التيسير لابن زهر .

وتميَّز عمله كله بالدؤوب والمتابعة فقد أشرف طويلا على مجلة نقابة طب الاسنان وغذاها بالكثير من بحوثه ، وكتب في مجلة النعمة ، وحاضر في النقــابة .

لقــد كانت وفاته خسارة للعربية والعلم ، نســأل الله أن يثيبه وأن يتغمده برحمته ، وأن يعوِّض مجمعنا خيراً .

ش . ف

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ شعر بكر بن النطاح	د. حاتم الضامن	بغداد	١٩٧٥
ـ عاهات الشعراء في الجاهلية والاسلام	عدنان البلداوي	بغداد	١٩٧٧
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام (علم الحيوان)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	بغداد	١٩٧٦
(معجم مصطلحات الفيزياء)		بغداد	١٩٧٧
ـ ابن حزم الكبير	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٨٠
ـ بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٩
ـ البهائية سراب	عبد الله النوري	بيروت	١٩٧٤
ـ حقيقة الماسونية	محمد علي الزعبي	بيروت	١٩٧٤
ـ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه	د. محمد مصطفى الاعظمي	بيروت	١٩٦٨
ـ دفاعاً عن العلم، دفاعاً عن الوطن	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٧
ـ رجال وأقوال	محمد السلاح	بيروت	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ــ صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة	محمد أسد شهاب	بيروت ١٩٧٠
ــ العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة	أبو بكر محمود جومي	بيروت ١٩٧٢
ــ العقيدة الواسطية	ابن تيمية ، تحقيق : مصطفى العالم	بيروت
ــ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر	نعيم الحمصي	بيروت ١٩٨٠
ــ المؤرخ العلامة جميل بيهم	حسان حلاق	بيروت ١٩٨٠
ــ الماسونية	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت ١٩٧٨
ــ محمد بن عبد الوهاب	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت ١٩٧٢
ــ المرأة في القديم والحديث ج ٣	عمر رضا كحالة	بيروت ١٩٧٩
ــ المجاهدون في الحق : تذكارات من مالك الى السنهوري	د. صبحي محمصاني	بيروت ١٩٧٩
ــ المغامرة الاسرائيلية في أفريقيا	كامل الشريف	بيروت ١٩٧٤
ــ المقدسات الاسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة	الهيئة العربية العليا لفلسطين	بيروت ١٩٦٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ نظرات في سورة الحجرات	محمد الصواف	بيروت	١٩٧٤
ـ هذا الشعر الحديث	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٨
ـ أغاني الحياة	أبو القاسم الشابي	تونس	
ـ خلاصة تاريخ تونس	حسن حسني عبدالوهاب	تونس	١٩٧٦
ـ تنمية اللغة العربية في العصر الحديث	وزارة الشؤون الثقافية	تونس	١٩٧٨
ـ جمالية الرسم الاسلامي	ألكسندر بابا دوبولو	تونس	١٩٧٩
ـ ديوان صالح السويسي القيرواني	نجوى الكافي	تونس	١٩٧٧
ـ رسائل من السجن	أحمد الطالب الابراهيمي	تونس	١٩٧٣
ـ الرصيد اللغوي الوظيفي	اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي	تونس	١٩٧٦
ـ صراع المذاهب والعقيدة في القرآن	عبد الكريم غلاب	تونس	١٩٧٩
ـ اللغة العربية المعاصرة ج١	زكي عبدالملك، سامي هنا	تونس	١٩٧٣
ـ مباحث في علم الكلام والفلسفة	د. علي الشابي	تونس	١٩٧٣
ـ المرأة من خلال الآيات القرآنية	عصمة الدين كركرجرم	تونس	١٩٧٩
ـ الخمر بين الطب والفقه	د. محمد علي البار	جدة	
ـ مأساة كشمير المسلمة	د. احسان حقي	جدة	١٩٧٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ منهج الصحوة الاسلامية (بنوك بلا فوائد)	د. أحمد النجار	
ـ النشر في الجزائر منذ الاستقلال	عدد من الباحثين	الجزائر ١٩٨٠
ـ الفهرس المشروح للمخطوطات العربية المخزونة في مكتبة سالارجنك		
(ج١) الفلسفة والمنطق والكلام	د. محمد نظام الدين	حيدر آباد ١٩٥٧
(ج٢) القرآن وأجزاؤه	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٦٢
(ج٣) علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٧٨
ـ أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم	د. أحمد يوسف الحسن ـ مصطفى موالدي ـ سمير قمند	حلب ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠
ـ الامام سفيان الثوري	محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني	حلب ١٩٧٢
ـ الاذاعة الريفية، البنية البرامجية	ترجمة وفاء الغاوي، مراجعة سامي جانو	دمشق ١٩٧٩
ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية	زكريا الانصاري، تحقيق د. نسيب نشاوي	دمشق ١٩٨٠
ـ دمشق يا بسمة الحزن	إلفة الادلبي	دمشق ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي تضمنتها فتاوى الجمعية العمومية للقسم الاستشاري في عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٨ / ١٩٧٩
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الادارية العليا في عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٦	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٩ / ١٩٨٠
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها محكمة القضاء الاداري عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٩
ـ الشعر السياسي في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق ١٩٧٧
ـ الغزل في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق ١٩٧٦
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	دمشق ١٩٧٧
ـ هتلر والعرب المسلمون	محمد سعيد العرفي	دمشق ١٩٨٠
ـ هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل	محمد شيخاني	دمشق ١٩٧٢
ـ قائمة بمصطلحات التاريخ، الجغرافية ، الفلك ، الرياضيات، الصحة ، الفلسفة ، في التعليم العام فرنسي ــ عربي جزء ١ ــ ٦	مكتب تنسيق التعريب	الرباط

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ معاجم : الجيولوجيا ، الحيوان ، الرياضيات ، الفيزياء أو الطبيعة ، الكيمياء ، النبات انكليزي ـ فرنسي ـ عربي	مكتب تنسيق التعريب	الرباط	١٩٧١
ـ أسباب اختلاف الفقهاء	د. عبد الله بن عبد المحسن التركي	الرياض	١٩٧٧
ـ الجامع الفريد (كتب ورسائل)	محمد بن عبد الوهاب ، ابن تيمية، ابن قيِّم الجوزية	الرياض	١٩٧٧
ـ المال في الاسلام	د. محمود بابللي	الرياض	١٩٧٦
ـ هداية الناسك إلى أهم المناسك	عبد الله بن محمد بن حميد	الرياض	١٩٧٦
ـ تاريخ التربية والتعليم في الاردن ١٩٢١ ـ ١٩٧٠	قسم التوثيق التربوي	عمان	١٩٨٠
ـ التقرير الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩	وزارة التربية والتعليم	عمان	١٩٨٠
ـ الحركة الشعرية في الضفة الغربية	وزارة الثقافة والشباب	عمان	١٩٨٠
ـ أقوال المذاهب المختارة في الحج والعمرة والزيارة	ابراهيم الشورى	القاهرة	١٩٧٣
ـ تيسير تعليم اللغة العربية	اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	القاهرة	١٩٧٧

اسـم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ الخمر في الفقه الاسلامي	د. فكري أحمد عكاز	القاهرة ١٩٧٧
ـ معلمة الاسلام	أنور الجندي	القاهرة ١٩٧٧
ـ مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية ـ نظرة تاريخية وصفيـة	د. خوستيل	مدريد ١٩٧٨
ـ ترانيم العودة	فوزان الحجيلي ، ناجي عبد القادر	المدينة المنورة
ـ جرح الإباء (شعر)	أحمد فرح عقيلان	المدينة المنورة
ـ الحفل الثقافي المسرحي	نادي المدينة المنورة الادبي	المدينة المنورة
ـ شرح العقيدة الواسطية	محمد خليل هراس	المدينة المنورة
ـ شعراء من أرض عبقر	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ـ الشعر الحديث في الحجاز	عبد الرحيم أبو بكر	المدينة المنورة ١٩٧٩
ـ على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ غناء الجرح	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ـ الفيصليات	عبد الرحيم ربيع	المدينة المنورة
ـ في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ الجمهورية الاسلامية الموريتانية	محمد فال بن البناني	مكة المكرمة ١٣٩١
ـ القول المبين في رد بدع المبتدعين	عبد الله الخليفي	مكة المكرمة
ـ فلسطين أمانة في أعناق المسلمين	مؤتمر العالم الاسلامي	مكة المكرمة
ـ الشهيد أحمدو بلثو	رابطة العالم الاسلامي	مكة المكرمة ١٣٩٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ــ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله	عبد العزيز بن باز	مكة المكرمة ١٩٧٣
ــ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم	مسعود الندوي	مكة المكرمة ١٩٧٧
ــ القاديانية دراسات وتحليل	إحسان إلهي ظهير	لاهور ١٩٧٥
ــ بولنــدا : بلد وشــعب		وارسو ١٩٧٨

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والخمسين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الرابع المجلد الخامس والخمسون



ذو القعدة ١٤٠٠ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٠ م

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

— ٤٦ —

الدكتور حسني سبح

13222 Tenace — ١٣٢٢٢ عَنيد ، مَتين

13223 Tenacité — ١٣٢٢٣ عِناد ، مَتانَة

وأرجح لاصِق وثابِت في اللفظة الاولى ولُصُوقة وثَبات في الثانية(١)، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بَيْن مُصطلحات الكيمياء والصيدلة ترجمة (tenacity) باسْتِعْصاء ، وجاء في الشرح : هي مقدار قوة الشدّ اللازِمة لِكَسْر جسمٍ ما ، وتقاس بمقدار القُوَّة بالنسبة لِوحْدَة المَساحات كالدِين على السنتِمتر المُرَبَّع أو الأرطال على البُوصة .

13230 tendon d'Achille — ١٣٢٣٠ دَابِرة ، وَتَر اشِيلُوس

وافضل العُرْقوب ، الدَّابرة ، وَتَر أخيل

---

(١) لفظتا tenacious و tenacity في معجم درلند الطبي

١٣٢٣٣ مَشْدُود، مَمْتُور ومُتَوتِر — 13233 Tendu, ue

١٣٢٣٦ شَرِيطِيّة مُسَلَّحَة — 13236 ténia armé

١٣٢٣٧ شَرِيطِيَّة عَزْلاء — 13237 ténia inerme

وأقر مجمع اللغة العربيــة في القاهرة ترجمــة اللفظة الأولى وتعريبهــا بالشَرِيطِيَّة الوَحِيدَة (تِينْيا سُولِيُم) والثانية بالشَرِيطِيَّة الجَرْداء (تَينْيا سَاجِينَاتَا) والشائع تَسميتها بالدودة الوحيدة •

١٣٢٤١ وَتْد (أسنان) — 13241 Tenon (dent.)

وأفضل مُرْتَكَز[١] لأن ما يقصــد بهــا ســاق مَعْدِنِيَّة تغرز في قناة شبه مهيَّأة لها لتثبيت بديل سِنّي[٢] والوَتْد لا تَعْني ذلك[٣] •

١٣٢٤٣ الْتِهابُ الوَتَر والغَمْد[٤] — 13243 Ténosynovite

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الْتِهاب مُزلق الوَتَر ــ الْتِهاب غَمْد الوَتَر • وأفضل التهابَ زَلِيل الوَتَر[٥] أو غَمْدِه ، كما جاء في معجم درلند

(١) لفظة (pivot) في معجم مصطلحات تعويض الاسنان للدكتور ميشيل الخوري

(٢) لفظة (tenon) فيمعجم (Dictionnaire de Médecine Flammarion)

(٣) في لسان العرب : الوتد بالكسر والوتد والود ما رُزَّ في الحائط او في الارض من الخشب والجمع أوتاد ، الى أن قال : وأوتاد الفم أسنانه على التشبيه

(٤) ثمة خطأ مطبعي اذ وردت اللفظة (tenotosynovite)

(٥) الصفحة ٤٣٩ من هذا المجلد

الطبي[1] .

١٣٢٤٥ مُوَتِّر 13245 Tenseur

والصحيح مُمَدِّدَة ، شادَّة ، مُوَتِّرة ، لأن اللفظة خاصة بالعضلة[2]

١٣٢٤٦ ضَغْط ، تَوَتُّر 13246 Tension

وأفضل تَوَتُّر ، شَدّ ، جهد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3] مخصصاً ضغط ترجمة لـِ (pression) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٠٩١٣)

13249 tension électrique, voltage

١٣٢٤٩ تَوَتُّر كهرباوي ، فلْطيَّة

13250 tension électrique (d'une solution)
tension de dissolution

١٣٢٥٠ تَوَتُّر التَحْليل الكَهْرَباوي
(في محلول) توتر التحلل

وأفضل ، التَّوتُّر الكَهْربائي و ُلْطيــة في اللفظــة الأولى ، وتَوتُّر الانحلال الكهربائي (في المحلول) تَوَتُّر الاِنْحلال في الثانية

---

(١) لفظة (tenosynovitis) في معجم (Dorland's Illustrated Medieal Dictionary)

(٢) لفظة (tensor) في معجم درلند الطبي

(٣) tension , strain , tenseness

13252 tension maxima, pression systolique

١٣٢٥٢ أقصى التَّوتّر ، ضَغْط" انْقِباضي

13253 tension minima, pression diastolique

١٣٢٥٣ أدنى التَّوتّر ضَغْط" اسْتِرْخَائي

وأرجح : التَّوتّر الأقصى ، الضَغْط الاِنْقِبَاضي في اللفظة الأولى والتَّوتّر الأدنى والضَغْط الاِسْتِرْخَائي في الثانية

13254 tension moyenne ١٣٢٥٤ تَوَتّر وَسَطي ، أوسط التَّوتّر

وأفضل : التَوتّر الوَسَطي أو المُتَوسِّط

13258 tension des forces morales et physiques

١٣٢٥٨ تَوَتّر القِوى العَقليَّة والبَدَنيَّة

وأفضل الاِجْهاد النَفْساني أو فَرْط الاِجْهاد أو التَّوتّر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

13259 tension veineuse ١٣٢٥٩ تَوتّر وَريدي

والضغط الوريدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٢)

13260 Tensionnel, elle ١٣٢٦٠ تَوَتّري

نِسْبَة الى ضَغْط الدم والتَّوتّر الشِرْياني ، كما

(١) (overstraining)

(٢) (venous pressure)

جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

13266 Tératome, tumeur tératoïde وَرَم" عَجيب ١٣٢٦٦

وأفضل : وَرَم" مَسْخي ، وَرَم" مَسْخاني ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (teratoma of ovary) بِوَرَم مَسْخي بالمبيض (تراتومة المبيض) وجاء في الشرح : وَرَم فيه خَليط من أنسِجة الأعضاء المختلفة •

13269 térébenthine de Venise

تَرْبَنْتين البُنْدُقيَّة ١٣٢٦٩

وأفضل تَرْبَنْتين فينيسيا أو مَدينَة البُنْدُقيَّة، وتَرْبَنْتين أرزي أو لارِكْس[٢] كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

13270 Térébrant, ante ثاقِب ، ناقِب ١٣٢٧٠

وأفضل واخِز (للألم) وسبق للجنة ترجمت (perforant) بثاقب (اللفظة ١٠٠٣٧)

---

(١) (pertaining to the blood pressure, to the arterial tension)

(٢) جاء في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي في شرح mélèze (larex) : الثانية معربة والاسم العلمي من lar بمعنى السمين لكثرة الراتينج فيها وسمتها الارزية لقربها من شجر الارز ، ولم أرها في احراج الشام ولم يذكرها بوست ، جنس اشجار حرجية وتزيينية من الفصيلة الصنوبرية

(٣) (Venise turpentine, larch turpentine)

13271 Terme

١٣٢٧١ حَدّ ، أجَل ، مُصْطَلَح

يبدو أنه ثمة غلط مطبعي ، فقد جاءت هذه اللفظة في في المعجم الأصلي : (terme (à)) وتكون ترجمتها ، في حينه في أوانه ، أو في موعده كما جـاء في النص الانكليزي من المعجم الأصلي(١)

13272 terme de la grossesse

١٣٢٧٢ حَدّ الحَمْل

وأفضل أوان الحَبَل أو الحَمْل

13272 terme technique (1)

١٣٢٧٢ مُصْطَلَح عِلْمي

(١) وأفضـل مصطلح تِقْني أو فَنّي تاركاً علمي ترجمة لـ (scientifique)

13274 Terminal, ale

١٣٢٧٤ انْتِهائي

ونِهائي أيضاً

13276 Terne

١٣٢٧٦ كَمِد ، أدْخَن

وأرجح كَمِد ، باهِت ، بَليد

13278 Terre à infusoires, terre de diatomées

١٣٢٧٨ تُرْبة النُّقَاعِيَّات ، تُرْبة الأشْنات المُتَحَجِّرة

وفي المعجم الأصلي اضافة بعد (terre fossile) (terre à infusoires) وعليه ، تصبح ترجمة هذه

---

(١) (timely, in due time, at term)

المصطلحات تُربَة النُقاعيّات ، تُرْبَة الحَفْريّات او المُسْتَحاثات(١) وتُربةُ المَشْطُورات ، كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الشهابي

١٣٢٧٩ طَفال ، تُرابُ القَصّارين 13279 terre à foulon

وأرجح بَيْلون(٢) تُرابٌ مُنَظِّف

١٣٢٨٤ تُرابِي ، أرْضِي 13284 Terreux, euse

وبِلَوْنٍ تُرابي ، ولَوْنٍ أصفر قاتم كما جاء في

---

(١) في معجم الالفاظ الزراعية : (fossile) الفرنسية من (fossilis) اللاتينية ومعناها مايستخرج من الارض لذلك ترجمت حديثا بكلمة حَفَر والجمع أحفار وجمع الجمع أحافير . وقال مجمع مصر حفرية ج حفريات ، وقال بعضهم متحاثة ومستحاثة وكلها بمعنى ما يستخرج من الشيء المحفور .

وفي المرجع نفسه (diatomées, diatomacées)مشطورات ، وجاء في الشرح : من اليونانية بهذا المعنى، فصيلة من الأشنة السمراء (الطحلب الأسمر في مصر) فيها أجناس كثيرة وهي نباتات مجهرية وحيدات الخلية يعشن في المياه الحلوة والمالحة .

(٢) ويقابل اللفظة الفرنسية اللفظة الانكليزية (fuller's earth) وجاءت ترجمتها في معجم شرف الطبي : طفل ، بيلون ، وفي قاموس سعادة الانكليزي العربي (القاهرة ١٩١٠) « بيلون » (كذا بين هلالين) ـ تراب لتنظيف الجوخ من الزيوت (الجيولوجيا) ، طبقة من الطبقات المعروفة بالاوليط (كذا) السفلي . وقد وردت اللفظة في معجم دوزي وعرفها بانها نوع من الغضار يستعمل صابونا في الاستحمام . ويبدو انها معروفة بين الناس ايضا ويطلقونها على نوع من التراب عطري الرائحة يدلك به النساء شعرهن في الاستحمام . وما تعنيه اللفظة تراب يعرف بـ (montmarillonite) كما جاء في معجم (A. Mannuela) وتركيبه كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين (silicate hydraté naturel d'aluminium) وهو أحد أنواع الغضار (argile) وهو جوهر صابوني بلون وردي شاحب يوجد في مقاطعة فيينا (Vienne) بفرنسا .

في لسان العرب : الطَّفال والطُّفال : الطين اليابس .

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

13289 test-objet

١٣٢٨٩ مادّةُ الاخْتِبار ، مُحَضَّرُ الاِخْتبار
مادة الاختبار أو ما يختبر به

13293 testicule se trouvant dans le canal inguinal

١٣٢٩٢ خِصْيَة في القَناة الإربِيَّة
وأفضل خِصْيَةٌ مُحْتَجَزَةٌ في قَنَاة الأُربيَّة بالضم(٢) أو القَنَاة الأُربِوِيّة . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : انْحجاز الخِصْية ، وجاء في التعريف : عَدَم نُزُولِ الخِصْية الى الصَّفَن فتبقى في التَجْويف الحَوْضي أو القَناة الأرْبيّة

١٣٢٩٣ خِصْية حسَّاسَة 13293 testicule irritable
وأفضل خِصْية مُؤْلِمة(٣) أو مَضِيضَة ، مخصصاً حسَّاس وحسَّاسة ترجمة لـ (sensible)

١٣٢٩٧ تَكزُّزِي الشَّكْل 13297 tétaniforme
والصحيح كُزازِي الشكل ، كما جاء في معجم درلند الطبي(٤) .

(١) earth-coloured, sallow, earthy

(٢) في لسان العرب : الأُربية أصل الفخذ

(٣) في لفظة (testis) وقد جاء في تعريف (Cooper's irritable tests) الخصية المصابة بالعصاب أو الالم العصبي (neuralgia)

(٤) لفظتا (tetaniform) و (tetanoid) في معجم درلند (Dorland's Illustrated Medical Dictonary)

13298 Tétanique

١٣٢٩٨ كُزَازِي

ومَكْزوز أيضاً

13300 Tétanos, contraction, tétanique physiologique, contraction musculaire permanente

١٣٣٠٠ كُزاز ، تَقَلُّص" كُزازي" غَريزي

تَقَلُّص" عَضَلي" دائِم

13301 tétanos (maladie infectieuse)

١٣٣٠١ كُزاز (دَاء" خَمَجِي)

لقد جاء رسم اللفظتين بالفرنسية واحداً بينما فَرَّق الرسم بالانكليزية بأن اللفظة الأولى جاء رسمها بحرف O (tetanos) والثانية بحرف U (tetanus) في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي

وعليه ، أرى تخصيص كزَازة وكَزاز[1] للفظة الاولى وكُزاز او داء الكُزاز للثانية . وعلى ذلك تصبح ترجمة الاولى : كَزازة ، كَزاز ، تَقَلُّص كزَازي أو كَزاز فزيولوجي تَقَلُّص عَضَلي دائِم أو مُستمر ، وكُزاز (مرض انتاني) للثانية

13305 tête (petite d'une articulation)

١٣٣٠٥ رُؤَيس (مَفْصِل)

(١) في لسان العرب : الكَزازة والكَزاز اليبس والانقباض

وأرجح مُشَيْشِمَة

13310 Tête de Méduse

١٣٣١٠ رَأس رِئة البَحْر (مَدُوزَة)

والصحيح رَأس مَدُوسَة (Méduse) وهو عَلَم أسطوري اغْريقي يمثَّل برأس تُحيط به الثَّعابين[١] (ومنظره هـذا شبه بـه الدوران الجانبي في البطن والبادي في فرط التوتر البابي (hypertension portale)

13311 tête osseuse revêtue de cartilage

١٣٣١١ رَأس عَظْمي يُغطِّيه غضروف

وأرجح مُشاشة[٢] ذات غضروف أو يسترها غضروف

13312 tête en hypertension

١٣٣١٢ رأس مُتَبَسِّط ، رأس مُدَلَّى

وأفضل رَأس مُفْرِط الانبِساط ، أو بِفَرْط الانْبساط

13317 Tétrachlorure de carbone, tétrachlorométhane

١٣٣١٧ رابعُ كلورِ الفَحْم ، مَتانُ مُربَّع الكلُور

وأفضل رَابعُ كُلُور الكَرْبون[١] في اللفظة الاولى

---

(١) لفظـــة (Méduse) في معجـم كيبـــه (Quillet) الموســـوعي (Dictionnaire encyclopédique) ولفظة (tête de Méduse) في معجم مانويـلا
(A. Manuila Dictionnaire Française de et Médecine Biologie)

(٢) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الاربعين من هذه المجلة

13319 Tétravalent ١٣٣١٩ رُباعِيُّ القِيمَة ، رُباعِيُّ المُعادَل
وأفضل رُباعِيُّ التكافؤ

13320 Tétrol ١٣٣٢٠ مُرَبَّع الغَوْل
وأفضل تَتْرول تعريباً

13321 Thé contre la toux ١٣٣٢١ شايٌ مُضادٌ للسُّعال
وأفضل شايٌ صَدْري قِياساً على ما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

13322 Thécal, le ١٣٣٢٢ غِمْدي
وأرجح قِرابي أو غِلافي تاركاً (غِمْد) ترجمة لِ
(gaine)

13325 Thèque (= enveloppe)

١٣٣٢٥ صُنْدوق (= غِلاف)
وأفضل غِلاف أو قِراب

13326 Thérapeute ١٣٣٢٦ خَبيرٌ بالمُداواة
طَبيبٌ مُداوٍ وطَبيبٌ رُوحاني(٣)

13326 (1) thérapeutique (art de guérir)

١٣٣٢٦ عِلْم المُداواة (فَنُّ الشِّفاء)

---

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة
(٢) (cough powder, breast tea)
(٣) لفظة (thérapeutic) في معجم كيبه الموسوعي
Quillot Dictionnaire Encyclopédique

(١) عِلْم المُداواة (فنّ الاستشفاء)

13327 thérapeutique d'assaut, cure d'attaque, traitement d'assaut

١٣٣٢٧ مُداواةُ اقتِحام ، مُعالَجَة اقتِحام
وأفضل مُداواة ساطِيَة[١] عِلاجٌ قاهِر[٢]
مُعالجَة هُجُومية

13332 Thermalisme
١٣٣٣٢ ما يتَعلّق بالحَمّات
وأفضل مَصْلَحة الحَمّات[٣]

13333 Thermes
١٣٣٣٣ حَمّاماتٌ الحَمّات
وأفضل مؤسَّسات الحَمّات أو المِياه الطّبيِة الحارّة

13334 Thermique
١٣٣٣٤ حَروري
وحَمِّي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤]

13336 Thermo-cautère, Paquelin

١٣٣٣٦ مِيسَمٌ ناري ، مِيسَم باكلين
وأرجح مِيسَم بَكْلِن أو الكاوِياء[٥] (عِوَضاً عن المِكواة الأداة المَعْروفة) والمِكْواة أو

(١) في لسان العرب : السطو القهر بالبطش وسطا عليه وبه سطوا وسطوة صال
(٢) في لسان العرب : القهر الغلبة والاخذ من فوق
(٣) وما تعنيه اللفظة : مجموع الشؤون والوسائل الادارية والاجتماعية والطبية الخاصة للافادة من الخصائص العلاجية للمياه المعدنية (معجم فلاماريون المذكور آنفا)
(٤) (thermic, thermal)
(٥) في لسان العرب : الكاوياء ميسم يكوى به

الكاوِياء الغَلْوانِيّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

13340 Thermolyse

١٣٣٤٠ تَحَلُّل بالحَرارَة

وتَسَرُّب حَرارَة البَدَن وانْتِشارها (٢) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

13341 Thermomètre enregistreur

١٣٣٤١ مِقْياس حرارة مُسَجِّل

مُسَجِّل الحرارة الذاتي والتِلْقائي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

13344 Thèse, thèse inaugurale

١٣٣٤٤ أُطْروحَة ، أطروحَة افتِتاحِيّة

وأفضل فَرَضِيّة بادِئَة في اللفظة الثانية

13345 Thiémie (Lœper), teneur du sang en soufre

١٣٣٤٥ تَكَبْرُت الدم (لوبير) نِسْبَة كِبْريت الدم

وأفضل كِبْرِيتِيّة الدَّم (لوبر) ، مُحْتَوى الدَّم من الكِبْريت ، وكثافة كِبْريتِ الدَّم، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥)

(١) (thermocautery, galvanocautery)

(٢) معجم فلاماريون (Dictionnaire de Médecine Flammarion)

(٣) (thermolysis, decomposition by heat)

(٤) (self-enregistrating thermometer)

(٥) (thiemia, sulfur concentration in the blood)

13346 Thioacide حَمْض كِبْرِيتي ١٣٣٤٦

وأرجح تِيئو أسِيد أو كِبْرِيت" حَمْضي • فقد سبق للجنــــة أن ترجمت (acide sulfureux) بحَمْض الكِبريتي (اللفظة ٣٢٢) خشية الالتبــاس بَين اللفظتين

13349 thoracenthèse, thoracocenthèse بَزْل الصَّدر ١٣٣٤٩

وبَزْل الجَنْبة أو جَوْف الجَنْبة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

13351 Thoracoplastie تَصْنيع الصَّدر ١٣٣٥١

وأفضل رَأْب الصَّدر

13354 thorax en bateau صَدْر" مَرْكَبِي أو فُلْكي ١٣٣٥٤

13355 thorax en brèche

صَدْر" زَوْرَقي ، صَدْر" جُؤجُؤي ١٣٣٥٥

وأرجح صَدْر" زَوْرَقي في اللفظة الاولى وصَدْر" جُؤجُؤي في الثانية

13356 thorax en entonnoir

صَدْر" قِمْعي ١٣٣٥٦

وصدر الاسكاف كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

---

(١) (pleuracentesis, pleurocentesis)

(٢) (funnel chest cobbler's chest)

13357 thorax en tonneau, thorax globuleux

١٣٣٥٧ صَدْرٌ كُرَوي

وأفضل صدر بَرميلي أو على هَيْئَةِ البَرميل(١)

وصدر مُكَوَّر

13359 thrombo-angeite oblitérante, maladie de Buerger

١٣٣٥٩ الْتهاب الْعُروق الدَّقاق الخُثْري السَّادُّ ، داءُ بِرْجَه

والصحيح في اللفظة الأخيرة داء بُرْكَر ، كما يلفظ بلسان أهل بلاده

13360 thrombo-artérite ١٣٣٦٠ الْتِهابُ الشَّرايين الخُثْري

وأرجح الْتِهابُ الشَّرايين الجُلْطي أو التَجَلُّطي(٢)

13370 thrombose embolique ١٣٣٧٠ خَثَرٌ صِمامي

وأفضل تجلط صِمامي أو جُلْطَة صِماميَّة(٣)

13371 thrombose marasmique ١٣٣٧١ خَثَر تَقَحُّلي

وأفضل تجلط قَحْلي أو تَقَحُّلي(٤)

وكذلك تَجَلط في الألفاظ التالية

(١) (barrel-shaped thorax, barrel chest)

(٢) الصفحة ٥٧ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٣) الصفحة ٥٧ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٤) الصفحة ٦٦١ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٢٥٢ من المجلد السادس والاربعين من هذه المجلة

13380 Thymique (ce qui concerne le thymus)

١٣٣٨٠ تـوتي (ذو علاقة بالتـوتة) أي (الغدة السَعْتَرِيَّة)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ترجمة
(thymectomy) استئصال التوثة : وجاء في الشرح :
وهي غدة في مقدم الصدر ، وسبق لي أن رجّحْت
تعريب اللفظة[1] (بتيموس) ولم أجد معنى للتوثة
ويبدو أنها معربة عن لفظها بالانكليزية •

13381 thymique ١٣٣٨١ نَفْسي ، فِكْري (علم النَّفْس)
وأفضل نفسي ، أما الفكر فلا يدخل في هذا النطاق

13381 Thymopathie, 1) affection du thymus,
(1) 2) psychopathie, trouble de l'affectivité

١٣٣٨١ أدواء التوثة ١) آفة التوثة ٢) آفة نَفْسِيَّة ،
(١) اِضْطِراب العاطِفَة

أقول اعْتِلال التّيموس ١) عِلَّة التّيموس ٢) اعْتِلال
نَفْسي ، خَلَل او اضْطِراب عاطِفي

13381 thymopsyché, sphère sentimentale
(2)

١٣٣٨١ نَفْسِي ، كُرَة عاطِفِيَّة
(٢) وأفضل نَفْسِي ، نِطاق الشُّعُور أو دائِرة
الشُّعُور أو الوِجْدان

للبحث صلة

(١) الصفحة ٥٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

استدراك النقصان

في مقالة أسماء أعضاء الانسان

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

ـ ٦ ـ

وصل ما انقطع :

كان المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي نشر مجموعة من المقالات في مجلة المجمع بعنوان « استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان » ٠

نشر المقال الأول في الجزء الثالث من المجلد السادس والأربعين ٠

والمقال الثاني في الجزء الرابع من المجلد السادس والأربعين ٠

والمقال الثالث في الجزء الأول من المجلد السابع والأربعين ٠

والمقال الرابع في الجزء الأول من المجلد الثامن والأربعين ٠

والمقال الخامس في الجزء الرابع من المجلد الثامن والأربعين الصادر في رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق تشرين الأول ١٩٧٣ ٠

ثم توقف نشر المقالات بسبب وفاته ٠ وها نحن نتابع نشر بقية هذه المقالات بهذا المقال السادس منها ٠

١٣) عَصابِيّ

ف Névropathique

ز Nevropathic

١٤) عُصابية

ف Névropathie , névropathie

ز Nevropathy

١٥) عصبي ، ذو علاقة بالأعصاب

ف Nerveux

ز Nervous

١٦) عصبي المنشأ

ف Neurogène

ز Neurogen , neurogenous

١٧) عَصَبِيَّة

ف Névrosité

ز Nevrosity ; nevrousness

١٨) عُصَيْبات ، عُيَيْرات

ف Nervures

ز Nervimes

١٩) غِمْد عصبي

ف Nevrilème

ز Neurilemma ; nerve sheath

٢٠) قَطْع العصب

ف Neurotomie ; nevrotomie

ز Neurotomy

٢١) قوس عصبية

ف ، ز Neural

٢٢) لُحمة عصبية

ف Névroglie

ز Neuroglia

٢٣) ليفة عصبية

ف Fibre nerveuse

ز Nerve fiber

٢٤) مبحث الأعصاب

ف Neurologie , névrologie

ز Neurology

٢٥) متعلق بالألم العصبي

ف Névralgique

ز Neuralgic

٢٦) مقويات عصبية

ف Nervimes ; neurotiques

ز Nervims ; nerve tonics

٢٧) منحاز للأعصاب

ف Neurotrope

ز Neurotropic

٢٨) نَكْس عصبي

ف Neuro - récidive

ز Neurorecidive ; neurorelapse

٢٩) نهك عصبي (خَوَر)

ف Épuisement nerveux (Neurasthénie)

ز Nervous exhaustion (neurasthenia)

٣٠) وحدات عصبية شَبَكية

ف Neurones rétiniens

ز Neurons of retina

٣١) وحدة عصبية

ف ، ز Neurone

٣٢) ورم عصبي

ف Névrome

ز Neuroma

الباب الثالث

الأمراض ، الأدواء ، الآفات

١ ـ ما كان على وزن (فَعَل)

١ ـ أرق

ف Agrypnie ; insomnie

ز Sleeplessness ; insommia

٢ ـ ألم ، وجع

ف Algie

ز Algesia

٣ ـ بزخ

ف Lordose

ز Lordosis ; hollow ; saddle back

٤ ــ بخــر

ف Alliose

ز Halitosis

٥ ــ بكم ، خرس

ف Mutisme ; mutité

ز Mutism ; dumbness

٦ ــ ثفن

ف Cor ; tylosis gompheux

ز Corn ; tylosis

٧ ــ جرب

ف Gale ; psore ; scabie

ز Itch ; psora ; scabies

٨ ــ جهر ، خفش

ف Cecité diurne ; nyctalopie

ز Nyctalopia ; day blindness

٩ ــ جفف (العين)

ف Xérophtalmie

ز Xerophtalmia

١٠ ــ جلح (صَلَع)

ف Calvitie

ز Baldness

١١ ــ جله (صَلَع)
أصلع

ف Chauve
ز Bald

١٢ ــ جنف (زَوَر)

ف Scoliose
ز Scoliosis

١٣ ــ حبط

ف Météorisme ; tympanisme
ز Meteorism ; tympanism

١٤ ــ حثر

ف Blépharite
ز Blepharitis

١٥ ــ حدب

ف Syphose
ز Syphosis ; Kyphosis

١٦ ــ حرض

ف Cachexie
ز Cachexia ; Cachexy

١٧ ــ حسر

ف Myopie
ز Myopia ; near shortsightedness

١٨ ـ حصر (عمى نطقي)

ف Alexie (cécité verbale)

ز Alexia (word blindness)

١٩ ـ حفر

ف Scorbut

ز Scurvy

٢٠ ـ حقب

ف Albugo de l'ongle

ز White spot of the nail

٢١ ـ حـول

ف Strabisme ; louchement

ز Strabismus ; squint

٢٢ ـ خـدر

ف Narcose ; anesthesis

ز Narcosis ; anesthesia

٢٣ ـ خرع

ف Rachitisme

ز Rachitis ; rickets

٢٤ ـ خرف

ف Radotage

ز Foolish talk

٢٥ ــ خزب

ف œdème

ز (O) edema

٢٦ ــ خزر

ف Strabisme divergent (externe)

ز Divergent strabismus ; exotropic
divergent squint

٢٧ ــ خشم

ف Anosmie

ز Anosmia

٢٨ ــ خضر

ف Chlorose

ز Chlorosis

٢٩ ــ خــور

ف Neurasthénie

ز Neurasthenia

٣١ ــ خوص

ف Enophtalmie

ز Enophtalmos ; enophtalmus

٣٢ ــ دنف

ف Marasme ; tabescence

ز Marasmus

٣٣ ــ ذأب

ف ، ز Lupus

٣٤ ــ رَعَس (ارتعاش سنوريّ)

ف Frémissement cataire

ز Cat's purr ; purring thrill , purring tremor

٣٥ ــ رقص

ف Chorée

ز Chorea

٣٦ ــ رمـــد

ف Conjonctivite ; ophtalmie

ز Conjonctivitis ; ophtalmia

٣٧ ــ رمص ، غمص

ف Chassie

ز Gum of the eye

٣٨ ــ روح (انحراف الى الأنسي)

ف Varus (tourné en dedans)

ز Bow - begged

٣٩ ــ سفل ، جحن

ف Athrepsie

ز Athrepsia ; athrepsy

٤٠ ــ سمق

ف Hypertrophie staturale

ز Statural hypertrophy , or hyphertrophasia

٤١ ـــ سهر

ف insomnie

ز insomnia

٤٢ ـــ شبق

ف Érotisme

ز Erotism ; eroticism

٤٣ ـــ شلل

ف Paralysie

ز Paralysis ; paralys ; lamness

٤٤ ـــ صحل

ف ، ز Dissonnance

٤٥ ـــ صلع (جلح ، جله)

ف Calvitie ; chauve

ز Baldness ; bald

٤٦ ـــ صمل

ف Rigidité

ز Rigidity

٤٧ ـــ صمم

ف Surdité

ز Surdity ; deafness

٤٨ ـــ ضبع

ف œstrus ; rut

ز Estrus ; rutting

٤٩ ــ ضخم

ف Hypertrophie

ز Hypertrophy

٥٠ ــ ضجر ، قلق

ف Inquiétude

ز Restlessness

٥١ ــ ضزر

ف Trismus ; mal des mâchoires

ز Trismus ; masticatory spasm ; lockjaw

٥٢ ــ طحــل

ف Splénomégalie

ز Splenomegalia

٥٣ ــ طفس

ف Gâtisme

ز Gatism ; dotage ; senil decay

٥٤ ــ طمث

ف Ménorragie

ز Menorragia ; flooding ; profuse menstruation

٥٥ ــ عبل

ف Acromégalie

ز Acromegalia ; acromegaly

٥٦ ـــ عرج

ف Claudication ; boiterie

ز Claudication ; limp (ing)

٥٧ ـــ علم ، فلح

ف Bec - de - lièvre

ز Harelip

٥٨ ـــ عمى ، كَمَه

ف Cécité

ز Blindness

[قلت : الأكمه من يولد أعمى] وهو باللغتين

ف Aveugle

ز Purblind

[وأما الأعور] فهو باللغتين :

ف Borgne

ز One - eyed

٥٩ ـــ غطش

ف Héméralopie ; hespéranopie ; omblyopie

ز Hemeralopia ; night or moonblindness

٦٠ ـــ فحج (انحراف إلى الوحشي)

ف Valgus (devié en dehors)

ز Knock - kneed

٦١ ــ فطس

ف Nez camus

ز Pug nose ; snub nose

٦٢ ــ فند (عَتَه باسر)

ف Schizophrénie

ز Schizophrenia

٦٣ ــ فيــل

ف ، ز Éléphantiasis

٦٤ ــ قزم

ف Nanisme

ز Nanism ; dwarfiohness ; dwarfism

٦٥ ــ قفص

ف Pyrosis ; brûlure épigastrique

ز Pyrosis ; hearthburn ; brash

٦٦ ــ قعس (انحناء إلى الوراء)

ف Courbure en arrière

ز Recurvation ; bending backwards

٦٧ ــ قلح

ف Tartre dentaire

ز Dental tartar ; dental calculus

٦٨ ــ قمه ، قهم

ف Inappétance ; anorexie

ز Inappetance ; anorexia ;
lack , want or loss of appetite

٦٩ ــ كلب (خوف من الماء)

ف Maladie de chien ; râge ; hydrophobie

ز Canine of istemper ; lyssa ; hydrophobia ; rabies

٧٠ ــ كلف ، برش

ف ، ز Chloasma

١٧ ــ مرض

ف Maladie ; mal

ز Malady ; disease ; illness

٧٢ ــ نمش

ف Éphélides ; tâche de rausseur ; pétéchie

ز Frechles ; petechia

٧٣ ــ نهم

ف Intempérance

ز Immoderateness ; intemperance

٧٤ ــ وحم

ف Envie des femmes gravides
pica ; picacisme

ز Pica ; morbid ; appetite in pregnancy ;
perversion of appetite

٧٥ ــ ورم

ف Tumeur

ز Tumor ; swelling ; growth

٧٦ ــ هرض ، حصف

ف Sudamina ; miliaire

ز Sudamina ; miliaria

٢ ـ ما كان على وزن (فعال)

١ ــ أباب

ف Nostalgie

ز Nostalgia ; nostalgy

٢ ــ أطام

ف Dysurie

ز Dysuria ; difficulties on micturation

٣ ــ أكال

ف Démangeaison ; prurit

ز Itch ; itching ; pruritus

٤ ــ ألاس

ف Hallucinose

ز Hallucinosis

٥ ــ بُطان

ف Cœliakie

ز Céliac disease

٦ ــ بوال

ف Polyurie
ز Polyuria

٧ ــ ثــداء

ف Mastite ; mammite
ز Mastitis ; mammitis

٨ ــ جبــال

ف Mal des montagnes
ز Mountain disease

٩ ــ جــذام

ف Lèpre ; larderie
ز Lepra ; leprosy

١٠ ــ جفاف

ف Xérose
ز Xerosis

١١ ــ جنــاب

ف Pleurodynie
ز Pleurodynia ; pleuralia

١٢ ــ حبــاج

ف Tympanite (distension de l'abdomen)
ز Tympanitis (distension of the abdomen)

١٣ ــ حباط (تطبّل البطن)

ف Météorisme ; tympanisme ; tympanie

ز Meteorism ; tympanism ; drum belly

١٤ ــ حثار

ف Trachome

ز Trachoma

١٥ ــ حكاك

ف Prurigo

ز Prurigo ; pruriginous eruption

١٦ ــ حلاق

ف Mal de gorge

ز Sore throat

١٧ ــ حماق

ف Varicelle

ز Chickenpox ; varicella

١٨ ــ خراج

ف Abcès

ز Abcess

١٩ ــ خصاء" (كُيَيْسي")

ف Maladie kystique de testicule

ز Cysts of the testicle

٢٠ ــ خفات

ف Mort subite
ز Sudden death

٢١ ــ خمــاص

ف Mal plantaire
ز Ulcer of the foot

٢٢ ــ خنــاق

ف Angine
ز Angina ; quinsy

٢٣ ــ دراق

ف Thyroïdite
ز Thyroïditis

٢٤ ــ دغام

ف Pharyngite
ز Pharyngitis

٢٥ ــ دماع

ف Épiphora ; larmoiement
ز Epiphora ; Dacryorrhea

٢٦ ــ دماغ

ف Céphalalgie ; céphalée
ز Cephalalgia ; cephalea ; headache

٢٧ ــ دوار

ف Vertige

ز Vertigo ; giddiness

٢٨ ــ ذباج

ف Croup

ز Tru (pseudomembranous) croup

٢٩ ــ ذبال

ف Empyème

ز Empyema (of the chest)

٣٠ ــ رحـام

ف Métrite

ز Metritis

٣١ ــ رعـاف

ف Épistaxis (saignement du nez)

ز Epistaxis ; nosebleed ; bleeding from the nose

٣٢ ــ رعـام

ف Farcin ; morve

ز Farcy ; equinia

٣٣ ــ رمال

ف Lithiase

ز Lithiasis ; calculous disease

٣٤ ـ زحار

ف Dysentérie

ز Dysentery

٣٥ ـ زراق

ف Glaucome

ز Glaucoma

٣٦ ـ زرام

ف Anurie

ز Anuria ; anuresis

٣٧ ـ زكام

ف Coryza ; rhume

ز Acute coryza ; nasal catarrh

٣٨ ـ سبات

ف Léthargie

ز Lethargy

٣٩ ـ سحاف

ف Phtisie

ز Phtisis ; pulmonary tuberculosis

٤٠ ـ سداد

ف Infarctus

ز Infarct

٤١ ــ سـعار

ف Boulimie

ز Bulimy ; hyperorexia

٤٢ ــ سعال

ف Toux

ز Cough

٤٣ ــ سـلاق

ف Muguet (stomatite crémeuse)

ز Mycotic stomatitis

ـ للبحث صلة ـ **محمد صلاح الدين الكواكبي**

الجرّاح بن عبد الله الحكمي
«فاتح بلنجر[١]»
وفاتح شطر إرمينية ثانية

الاستاذ محمود شيث خطاب

نســـبه وأيامه الأولـى

هو الجرّاح بن عبـد الله الحَكَمي نسبة الى الحَكَم بن ســعد العَشيرة[٢] من مَذْحِج[٣] ، وكان الحَكَم أكبر أبناء سعد العشيرة وبه يُكنّى[٤] ، ومَذحِج من القبائل اليمنية : من كهلان بن سبأ[٥] .

والجرّاح يُكنّى : أبا عقبة ، دمشقي الاصل والمولد[٦] .

ولا ذكر في المصادر المعتمدة التي بين أيدينا لأيامه الاولى : مولده، نشأته ، تعليمه ، فقد أغفلت تلك المصادر حياته الخاصة ،واقتصر المؤرخون على ذكر حياته العامة في تولي المناصب الادارية والقيادية وجهاده .

ويبدو أنه لم يشغل نفسه بالعلوم السائدة في عصره كعلوم القـرآن

---

(١) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الابـواب ، انظر التفاصيل في معجـم البلدان (٢/٢٧٨) .

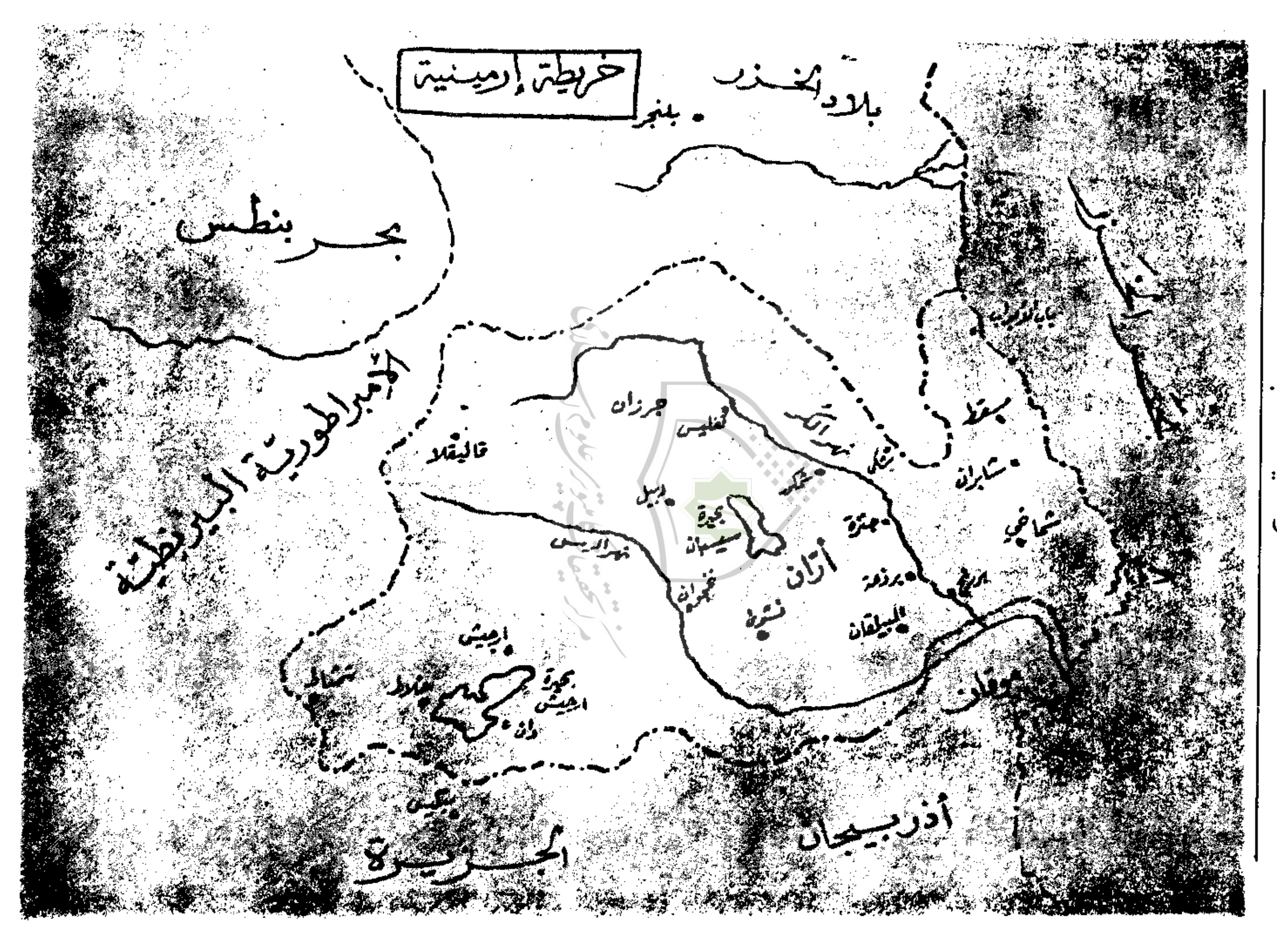
(٢) الانساب المتفقة (٤٤) .

(٣) لب الالباب في تحرير الانساب (٨٢) .

(٤) جمهرة أنساب العرب (٤٠٧) .

(٥) جمهرة انساب العرب (٤٠٧) .

(٦) الاعلام (٢/١٠٦) نقلا من : سير النبلاء ـ خ ـ المجلد الرابع ، وانظر القاموس الاسلامي (١/٥٨٨).


خريطة إرمينية
بلاد الخزر
بلنجر
بحر بنطس
الإمبراطورية البيزنطية
بحر الخزر
باب الأبواب
مسقط
شابران
شماخي
قاليقلا
جرزان
تفليس
نهر الكر
شمكور
دبيل
بحيرة سيسجان
أران
جنزة
برذعة
البيلقان
نشوى
نهر الرس
نخجوان
موقان
أرجيش
بحيرة أرجيش
خلاط
وان
بدليس
الجزيرة
أذربيجان

والحديث واللغة والتاريخ ، فسكتت عنه كتب الطبقات التي تعنى بالمحدثين والعلماء والمؤرخين ، بل شغل نفسه بالاعمال الادارية والياً ، والاعمال العسكرية جندياً وقائداً ومجاهداً ، فاهتمّ المؤرخون بأعماله العامة في الدولة الاسلامية ، ولم يهتم به غيرهم ، لانه لم يكن له أثر يُذكر في المجالات الفكرية الشائعة في أيامه .

جهـــاده

١ الفـاتح :

ا ــ في سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) ولّى يزيدُ بن عبد الملك الجرّاحَ بن عبد الله الحَكَمي إرمينية[١] . وسبب التولية ، أن المسلمين في سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١ م) دخلوا بلاد الخَزَر (القفقاس) من إرمينية وعليهم ثُبَيْت النَّهْراني[٢] ، فاجتمعت الخزر في جمع كثير ، وأعانهم الترك من مختلف أنواعهم ، فلقوا المسلمين في مكان يُعرَف بـ (مرْج الحجارة) . ونشب القتال بين الجانبين بشدة وعنف ، فقُتِل من المسلمين بشرٌ كثير[٣] ، واستولى الخزر على معسكرهم وغنموا جميع مافيه[٤] ، وذلك في شهر رمضان في عزّ موسم الشتاء من سنة ثلاث ومئة الهجرية[٥] .

وهكذا اجتمعت على المسلمين حشود الخزر الضخمة وبرد الشتاء في عنفوانه ، فأدّى ذلك الى هزيمتهم .

---

(١) ابن الاثير (٥/١١١) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٧) والعبر في خبر من غبر (١/١٢٦) تاريخ الموصل(١٧) ، وانظر فتوح البلدان للبلاذري (٢٨٩) والبداية والنهاية (٩ / ٢٣٠) .

(٢) في تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦): أن قائد المسلمين كان مَعْلق بن صفار البهراني.

(٣) في تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦) : فأصيب من المسلمين جميعا .

(٤) ابن الاثير (٥/١١٠) .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦) .


إرمينية وأذربيجان والجزيرة
تفليس
جرجستان
شروان
شماخى
برذعة
الران
البيلقان
ارمينية
موقان
أذربيجان
آمد
الموصل
باعيناثا

وأقبل المنهزمون الى الشام ، وقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثُبَيْت ، فوبَّخهم يزيد على الهزيمة ، فقال ثُبَيْت : « يا أمير المؤمنين! ماجبنتُ ولا نكبتُ عن لقاء العدو ، ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ، ولقد طاعنتُ حتى انقصف رمحي ، وضاربتُ حتى انقطع سيفي، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد »[١] .

ولما تمَّت الهزيمة على المسلمين طمع الخزر في البلاد ، فجمعوا وحشدوا ، فاستعمل يزيدُ الجرّاحَ ، وأمده بجيش كثيف ، وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء ، وقصدهم في عقر دارهم . وتسامع الخزر وحلفاؤهم بقدوم المسلمين ، فلجأوا الى مدينة (باب الابواب) . ووصل الجرّاح الى مدينة (بَرْذَعَة)[٢]فأقام بها حتى استراح هو ومن معه . وتوجه نحو الخزر ، فعبر نهر (الكُرّ)[٣] ، فسمع أن بعض مَن كان معه في جيشه من أهل الجبال (جبال القفقاس) قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجرّاح اليه ، فأمر مناديه فنادى بالناس : « إن الامير مقيمٌ ههنا عدّة أيام ، فاستكثروا من الميرة » ، فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره أن الجرّاح مقيم،ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه[٤] !

ولمّا كان الليل أمر الجرّاح بالرحيل ، فسار مُجِدّاً حتى انتهى الى مدينة (باب الابواب) ، فلم ير الخزر ، ويبدو أنهم انسحبوا بسرعة من

---

(١) ابن الاثير (٥/١١١) .

(٢) برذعة : مدينة من مدن ارمينية الاولى ، وانظر ماجاء عنها من تفاصيل في كتاب: معجم البلدان (٢/١١٩ ـ ١٢٢).

(٣) نهر الكُرّ : ينبع من كورة جرزان (جورجيا) من جبال (جلدير) ويمر بمدينة تفليس ، ويبلغ طوله نحو (٩٤٠ كم) ، وانظر ماجاء عن هذا النهر في : معجم البلدان (٧/٢٣٧ـ٢٣٨) .

(٤) ابن الاثير (٥/١١١).

المدينة الى منطقة حشودهم ، فدخل المسـلمون المدينة ، وبثّ الجرّاح سراياه على ما يجاور المدينة ، فغنموا وعادوا في الغد .

وسار الخزر وحلفاؤهم الى المسلمين بقيادة ابن ملكهم (ابن خاقان)، فالتقوا عند نهر (الرّان)[١] ، فنشب القتال الشديد بين الجانبين ، وحرّض الجرّاح أصحابه ، فظفر المسلمون بالخَزَر وهزموهم ، فطاردهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم[٢]، وفتح حصن (الحُصَيْن) سلماً ونقل أهله عنه .

وسار الجرّاح بالمسلمين الى مدينة (يَرْغوا)[٣] ، فأقام عليها ستة أيام وهو مجدّ في قتال أهلها ، فطلبوا الأمان ، فأمنهم ونقلهم منها .

وسار الجرّاح الى (بَلَنْجَر) ، وهو حصن مشهور من حصونهم، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة ، شدّوا بعضـها الى بعض وجعلوها حـول حصنهم ليحتموا بها ، وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن ، وكانت تلك العجل أشدّ شيء على المسلمين في قتالهم[٤].

وخرج رجل من المسلمين ، فقال : « مَن يَشري الله نفســه ؟ » ، فأجابته جماعة ما بلغت عِدّتهم ثلاثين رجلا ، فكسروا جفون سيوفهم ، وشدوا على العجل ، وأجلوا الرجال عنها ، وأخذوا عجلة منها .

وجدّ الخزر بقتالهم ، ورموا من النشّاب ما كان يحجب الشمس،

---

(١) نهر الران ، هو نهر (أرّان) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢١٣-٢١٤) ، ومنطقة أرّان من ارمينية الاولى.

(٢) ابن الاثير (٥/١١٢) ، وانظر العبر (١/١٢٦) .

(٣) يرغوا ، لم اجد لهذه المدينة ذكرا في معجم البلدان ، ووردت في تاريخ خليفة بن خيـاط (١/٣٣٧) : يزعوا .

(٤) ابن الاثير (٥/١١٢)

فلم يتراجع مغاوير المسلمين حتى وصلوا الى العَجَل ، وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذي يمسكها ، وجذبوها ، فانحدرت وتبعها سائر العجل ، لأن بعضها كان مشدوداً الى بعض ، وانحدر الجميع الى المسلمين[١] .

والتحم القتال واشتد ، وعظم الامر على الجميع ، حتى بلغت القلوب الحناجر ، فانهزم الخزر وحلفاؤهم ، واستولى المسلمون على الحصن عنوة ، وأصابوا جميع ما فيه غنائم للمسلمين ، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وكانت تلك المعركة في ربيع الاول[٢] من سنة أربع ومئة الهجرية[٣] .

وسار الجرّاح عن (بَلَنْجَر) بعد أن أسر أولاد صاحب (بلنجر) وأهله ، فبعث الجراح اليه وأحضره ، وردّ أمواله وأهله وحصنه وجعله عيناً للمسلمين يخبرهم بما يفعله الخزر وحلفاؤهم .

ونزل المسلمون على حصن (الوبندر)[٤] ، وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجرّاح على مالٍ يؤدونه[٥] .

وسار الجرّاح الى (وَرْثان)[٦] ، فأدركه الشتاء ، فأقام المسلمون فيها .

وكتب الجرّاح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه ، وأن أهل تلك البلاد تجمّعوا وأخذوا الطرق على المسلمين ، ويسأله المدد .

(١) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .
(٢) كان فتح بلنجر يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول ، انظر خليفة بن خياط (٣٣٧/١)
(٣) ابن الاثير (١١٢/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٣٧/١) .
(٤) وبندر : لا ذكر له في معجم البلدان .
(٥) ابن الاثير (١١٢/٥) .
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٨/١) ، وفي ابن الاثير (١١٣/٥) : انه عاد الى رستاق (ملتي) .

وعد يزيدُ الجرّاحَ أن يرسل له المدد من المقاتلين ، فأدركه الأجل قبل أن يرسل ما وعد به من المدد الى الجرّاح ، فأرسل هشام بن عبد الملك الى الجرّاح ، فأقرّه على عمله ، ووعده بإرسال المدد[١] .

ب ــ وفي سنة خمس ومئة الهجرية (٧٢٣ م) زحف الترك نحو إرمينية ، وزحف الجرّاح لصدّ زحف الترك ، فالتقى الجانبان بموضع يقال له : (الزَمّ)[٢] بين نهري : (الكُرّ) و (الرَّسّ) في إرمينية ، في شهر رمضان من هذه السنة ، وقد استمر القتال أياما ، فانهزم الترك[٣] .

والظاهر أنّ المدد الذي وعد الخليفة هشام بارساله الى إرمينية قد وصل الى الجرّاح في الوقت المناسب،فاستأنف المسلمون استعادة ماانتقض من إرمينية ، فغزا الجرّاحُ (اللّان)[٤] وهي بلاد واسعة غنيّة ، فاستعاد فتحها وفتح مدائن وحصوناً وراء (بَلَنْجَر) ، وأصاب غنائم كثيرة[٥] .

ج ــ وفي سنة ست ومئة الهجرية (٧٢٤ م) غزا الجرّاح بلاد (اللّان) فصالح أهلها وأدّوا الجزية[٦] بعد أن أوغل في بلاد الخزر ، وهو أول من قفل من باب اللّان في إرمينية[٧] .

---

(١) ابن الاثير (٥/١١٣).

(٢) الزم : بليدة على طريق جيحون من ترمذ وآمل ، انظر معجم البلدان (٤/٤٠٥) وليس هي المقصودة لبعدها عن ساحة القتال ، بل هي موضع بين نهري (الكُـرّ) و (الرَّسّ) ارمينيـة .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٩) .

(٤) اللان : بلاد واسعة في طرف ارمينية قرب مدينة (باب الابواب) وأهلها مجاورون للخزر، انظر معجم البلدان (٧/٣١٦).

(٥) ابن الاثير (٥/١٢٥) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٩) والبداية والنهاية (٩/٢٣١).

(٦) ابن الاثير (٥/١٣٤) .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢/٣٤٩) .

د ــ وفي سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥ م) عزل هشامُ بن عبد الملك الجرّاحَ عن إرمينية وأذربيجان وولاّها مَسْلمة بن عبد الملك[١] .

ولم يذكر المؤرخون سبباً لعزل الجرّاح عن إرمينية وأذربيجان ، لأن الجرّاح لم يقصّر في عمله قائداً وادارياً ، كما أن نزاهته كانت فوق الشبهات ، ويبدو أن هشام بن عبد الملك أراد أن يستفيد من كفاية أخيه القيادية في منطقة اشتدّ فيها القتال وكثرت الخسائر ، فعزل الجرّاح واستعمل أخاه .

٢ ــ الشهيد :

ا ــ في سنة احدى عشرة ومئة الهجرية (٧٢٩ م) استعمل هشام بن عبد الملك الجرّاح على إرمينية وأذربيجان ثانية ، وعزل أخاه مَسلَمة بن عبد الملك[٢] .

ودخل الجرّاح بلاد الخَزَر من ناحية (تَفْلِيس) ، واستعاد فتح مدينة من مدن الخَزَر هي مدينة (البيضاء)[٣] ثم انصرف سالما[٤] .
وجمعت الخزر جموعاً كثيرة بقيادة ابن خاقان ، فدخلوا إرمينية ، ثم سار ابن خاقان ، فحاصرَ (أرْدَبيل)[٥] .

ب ــ وفي سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٥ م) ، زحف الجرّاح

(١) ابن الاثير (١٣٧/٥) .
(٢) ابن الاثير (١٥٨/٥) وتاريخ الاسلام (٣٠٢/٤) والنجوم الزاهرة (٢٧٠/١) وابن خلدون (٢٩٩/٣) وتاريخ الموصل (٣٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٣/٢) .
(٣) البيضاء : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٣٥) .
(٤) ابن الاثير (١٥٨/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٤/٢) .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (٣٥٤/٢ ــ ٣٥٥) .

من (بَرْذَعة)[١] ، وكان الخزر والترك قد حشدوا جموعهم من ناحية (اللان) . وعسكر الجرّاح ومَن معه بمرج (أردبيل) ، وقاتل جموعَ الخزر والترك أشدَّ قتال رآه الناس ، فصبر الفريقان صبراً جميلاً[٢] .

وتكاثر الخزر والترك على المسلمين ، فاستشهد الجرّاح لثمانٍ بقين من رمضان سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ، وغلبت الخزر على (أذربيجان) وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا المدينة (المَوْصل) ، وعظم الخطب على المسلمين[٣] وتكبّدوا خسائر فادحة بالارواح والاموال.

الإنســـان

١ ـ لما بلغ هشاماً خبر الجرّاح،دعا سعيداً الحَرَشيّ[٤] فقال له: « بلغني أن الجرّاح قد انحاز عن المشركين !! » ، فقال الحَرَشيّ : « كلا يا أمير المؤمنين ! الجرّاح أعرف بالله من أن ينهزم ، ولكنه قُتِلَ ! » ، ولا عجب ، اذ كان الجرّاح خيِّراً فاضلاً من عمّال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[٥] .

٢ ـ وبرز الجرّاح لأول مرة سنة سبع وثمانين الهجرية ، إذ كان على (البصرة) خليفة للحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان على العراق والمشرق كلّه[٦] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (٣٥٥/٢) .
(٢) ابن الاثير (١٥٩/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٦/٢) .
(٣) ابن الاثير (١٥٩/٥)
(٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي.
(٥) ابن الاثير (١٥٩/٥)
(٦) الطبري (٤٣٣/٦) وابن الاثير (٥٣٠/٤).

ولايمكن أن يولّى الجرّاح مدينة البصرة ، التي كانت والكوفة في حينه أعظم مدن العراق وأوسعها وأهمها ، وكانت القاعدة الرئيسة هي والكوفة لفتوح المشرق الاسلامي ، إلا اذا كان موضع ثقة الحجّاج بخاصة والدولة بعامة ، وذا كفاية ادارية عالية .

وفي سنة تسعين الهجرية ، أصبح الجرّاح عامل البصرة للحجّاج بن يوسف الثقفي[1] ، وهكذا تقدم في سلك المناصب الادارية ، فكان قبل سنة (وكيلا) ، فأصبح بعد سنة (أصيلاً) .

واستمرّ الجراح في منصبه عاملاً على البصرة حتى سنة أربع وتسعين الهجرية[2] .

٣ ـ وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية تولّى يزيد بن المهلّب بن أبي صُفْرة خُراسان لسليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلمّا سار يزيد الى خُراسان استخلف على مدينة (واسِط) ـ وكانت يومئذ عاصمة العراق ـ الجرّاح[3] ، وهذا دليل على كفايته المتميزة في الادارة وثقة يزيد بن المهلّب به بعد الحجّاج بن يوسف الثقفي .

وفي سنة تسع وتسعين الهجرية أصبح الجرّاح عاملا على خُراسان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[4] ، وليس من السهل الحصول على ثقة عمر بن عبد العزيز ، إلا اذا كان مستحقاً لهذه الثقة ديناً وكفاية .

---

(١) الطبري (٦/٤٤٧) وابن الاثير (٤/٥٤٨)
(٢) الطبري (٦/٤٩١) .
(٣) الطبري (٦/٥٢٦) وابن الاثير (٥/٢٥) .
(٤) الطبري (٦/٥٥٤) وابن الاثير (٥/٤٤).

وأقرّ عمر بن عبد العزيز الجرّاح على خُراسان سنة مئة الهجرية[١] أيضاً في أيام القبض على يزيد بن المهلّب وحبسه [٢]، وهي أيام عصيبة بالنسبة للدولة، لأن يزيد بن المهلّب من رجالات العرب وقادتهم البارزين، ولأنه من قبيلة الأزد التي تدافع عنه حتى الموت، ولأن له شعبية طاغية في مختلف القبائل العربية الاخرى وغير العربية أيضاً وبخاصة في خُراسان بالذات.

ولكن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، عاد وعزل الجرّاح في هذه السنة عن خراسان وولاها عبد الرحمن بن نُعَيْم القُشَيْري[٣]، وكان عزل الجرّاح في شهر رمضان من هذه السنة، فكانت ولايته بخراسان سنة وخمسة أشهر: قدمها سنة تسع وتسعين الهجرية، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مئة الهجرية[٤].

وكان سبب عزل الجرّاح، أن يزيد بن المهلّب لما عُزل عن خُراسان، أرسل عامل العراق عاملاً على (جُرجان)[٥]، فأخذه جَهْمُ بن زَحْر الجُعْفي[٦]، وكان على جُرجان عاملا ليزيد بن المهلّب، وحبسه وقيّده وحبس رهطاً قدموا معه. وخرج جَهْم الى الجرّاح بخراسان، فأطلق أهل جُرجان عاملَهم، فقال الجرّاح لجَهْم: «لولا أنك ابن عمّي لم أسوّغك هذا»، فقال جَهْم: «ولولا أنك ابن عمّي لم آتِك».

---

(١) الطبري (٦/٥٢٧).

(٢) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٥٦-٥٥٨).

(٣) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الازدي، انظر تفاصيل نسبه في: جمهرة أنساب العرب (٣٧٨).

(٤) الطبري (٦/٥٥٨) وانظر ابن الاثير (٥/٥٠).

(٥) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي من خراسان، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٧٥ - ٧٩).

(٦) جهم بن زحر بن قيس: قاتل قتيبة بن مسلم الباهلي، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة أنساب العرب (٤٠٩).

وكان جَهْم سِلْفَ الجرّاح من قبل ابنتي الحُصَين بن الحارث، وأما كونه ابن عمه ، فلأن الحكم جدّ الجرّاح والجُعْفي جدّ جَهْم هما ابنا سعد العشيرة[١] .

وقال الجرّاح لجهم : « خالفتَ إمامك ، فاغزُ لعلّك تظفر فيصلح أمرك عنده » ، فوجّهه الى (الخُتَّل)[٢] ، فغنم منهم ورجع .

وأوفد الجرّاح وفداً الى عمر بن عبد العزيز مؤلّفاً من رجلين من العرب ورجل من الموالي ، فتكلّم العربيان والمولى ساكت ، فقال عمر : « ما أنت من الوفد ؟؟ » قال : « بلى ! » ، فقال : «فما يمنعك من الكلام؟»
«ماأنت من الوفد ؟؟» قال: «بلى!» ، فقال : « فما يمنعك من الكلام ؟ »
ومثلهم قد أسلموا من الذمّة يؤخذون بالخَراج ، فأميرنا عصبيّ جافٍ ، يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حَفِيّاً[٣] وأنا اليوم عصبي ، والله لرجل من قومي أحب إلي من مئة من غيرهم[٤] . وهو بَعْدُ سيف من سيوف الحجّاج ، قد عمل بالظلم والعدوان » . قال عمر : « اذن بمثلك يوفد » .

وكتب عمر بن العزيز الى الجرّاح : « انظر من صلّى قِبلك الى القِبلة فضع عنه الجِزية » ، فسارع الناس الى الاسلام . فقيل للجرّاح: إن الناس قد سارعوا الى الاسلام نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان،

---

(١) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤٠٨-٤٠٩) .

(٢) (الختل) : كورة واسعة كثيرة المدن فيما وراء النهر (نهر جيحون) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٠١) .

(٣) الحفيّ : اللطيف الرقيق ، وفي التنزيل التنزيل العزيز (انه كان بي حفيّا) .

(٤) يريد : رجل من العرب أحب اليه من مئة غير العرب.

فكتب الجرّاح بذلك الى عمر ، فأجابه عمر : « إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتنا » .

وقال عمر : « إيتوني رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان » ، فقيل له : « عليك بأبي مِجْلَز ، فكتب الى الجرّاح : أن « أقبِل واحمِل أبا مِجْلَز وخلّف على حرب خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيْم العامِريّ » .

وخطب الجرّاح قبل رحيله فقال : « يا أهل خُراسان ! جئتكم في ثيابي هذه التي عليّ ، وعلى فرسي ، لم أُصِب من مالكم إلا حلية سيفي » ، ولم يكن عنده إلاّ فرس وبغلة !

وسار عن خُراسانَ ، فلمّا قَدِم على عمر قال : « متى خرجتَ ؟ » قال« في شهر رمضان» ، قال:«صدقَ من وصفك بالجفاء! هلاّ أقمتَ حتى تفطر ثم تخرج ! » .

وكان الجرّاح قد كتب الى عمر : « إني قدمت خُراسان ، فوجدت قوماً قد أبطرتْهم الفِتنةُ ، فأحبّ الامور عليهم أن يعودوا ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفّهم إلا السيف والسّوط ، فكرهتُ الإقدامَ على ذلك إلا بإذنك » ، فكتب اليه عمر : « يا ابن أم الجرّاح ! أنت أحرص على الفتنة منهم ! لا تضربنّ مؤمناً ولا مُعاهِداً سوطاً إلا في الحق ، واحذر القصاص ، فإنّك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)[1] ... » .

وقال عمر لأبي مِجْلَز : « أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ! » ، قال : « يكافىء الأكفاء ، ويعادي الاعداء ، وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويُقدِم

(١) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ : ٤٩) .

إن وجَدَ من يساعده » ، قال : « فعبد الرحمن بن نُعَيم ؟ » ، قال : « يحبّ العافية والتأنّي ، وهو أحبّ إليّ » ، فولاّه الحرب والصلاة وولّى عبد الرحمن القُشَيْري الخراجَ ، وكتب الى أهل خراسان : « إنّي استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبدالرحمن بن عبدالله[1] على خَراجِكم » ، وكتب إليهما يأمرهما بالمعروف والإحسان[2] .

ومن الواضح أن الجرّاح كان لاغبار على تديّنه ونزاهته واستقامته، ولكنّ اجتهاده في تطبيق الاسلام يختلف عن اجتهاد عمر بن عبد العزيز، فالاول يرى أن الناس قد غيّروا مابأنفسهم فلا يستقيمون الاّ بالشدّة والعقاب ، والثاني يرى تطبيق تعاليم الاسلام نصّاً وروحاً ، فلا يعاقب المرء إلا بذنب ثبت عليه ، فاختلافهما في أسلوب تطبيق المبادىء لافي المبادىء.

إن عزل الجرّاح كان لاختلافه في الاجتهاد عن الخليفة الصالح الورع ، ولم يكن عن تقصير أو انحراف أو ريبة.

٥ ــ وتولّى الجرّاح إرمينية وأذربيجان مرتين : الاولى من سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) الى سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥ م) ، والثانية من سنة احدى عشرة ومئة الهجرية الى أن استشهد على أرض إرمينية سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) ، فسقط مضرّجاً بدمائه ولم يسقط من يده السيف .

وهكذا قضى الجرّاح زهرة حياته ادارياً وقائداً في خدمة الدولة

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : أحد بني الاعور بن قشير، انظر الطبري (٦/٥٦١)

(٢) ابن الاثير (٥/٥٠ـ٥٢) ، وانظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٥٨ـ٥٦٢) وانظر فتوح البلدان (٦٠٠) .

الاسلامية ، وأعطى من نفسه للمصلحة العامة كل شيء ، ولم يأخذ لنفسه منهـا شيئا .

٦ ـ وكانت له في إرمينية آثار ادارية لها صلة بالقضايا العسكرية ، منها كتابه في الصلح لأهل تفليس ، وهذا نصّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الجرّاح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق (مَنْجَليس)[١] من كورة (جُرْزان)[٢] ، أنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مَسْلَمة[٣] على الإقرار بصَغار الجزية، وأنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها (أوارى) و (سابينا) من رستاق منجليس،وعن طعام وديدونا من رستاق (مُحُويط) من كورة جرزان ، على أن يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كلّ سنة مئة درهم بلا ثانية ، فأنفذت لهم أمانهم وصلحهم وأمرت ألاّ يراد عليهم ، فمن قرئ عليه كتابي ، فلا يتعدّ فيهم ذلك ان شاء الله » .

٧ ـ ولما نزل الجرّاح مدينة (بَرْذعة) أيام ولايته على إرمينية، رُفع إليه اختلاف مكاييلها وموازينها ، فأقامها على العدل والوفاء ، واتّخذ مكيالاً يُدعى الجَرّاحيّ ، فأهلها يتعاملون به[٤] .

وهذه اللمحة من اهتمامه في القضايا الادارية ، التي أوردها المؤرخون

(١) منجليس : الرستاق الذي عاصمته مدينة تفليس .

(٢) جرزان : اسم جامع لناحية بإرمينية ، قصبتها تفليس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٨٣-٨٤) .

(٣) حبيب بن سلمة الفهري : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي.

(٤) فتوح البلدان (٢٨٩) .

مثالاً على اهتماماته الادارية الاخرى ، تدلّ على مبلغ حرصه على شؤون رعيته وسهره على مصالحها •

٨ ـ ومما يدلّ على شهامة الجرّاح ومروءته ، أن مَسْلَمة بن عبد الملك حَلَفَ أن يبيع ذرّية آل المهلب بعد انتصاره عليهم ومقتل يزيد بن المهلب واخوته وأولاده[١] ، فقال الجرّاح : « فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك » ، فاشتراهم بمئة ألف ، فلم يأخذ مسلمة منه الثمن ، وخلّى الجرّاح سبيلهم جميعاً[٢] •

وعهدنا بأكثر الناس ، مع المنتصر على المهزوم ، ومع أصحاب السلطان على الذين زال سلطانهم ، ومع القوي على الضعيف ، ومع الغني على الفقير ، ومع الحي على الميت ، إلاّ أصحاب المروءات الرفيعة ، وما أقلهم في كل زمان ومكان ، فهؤلاء يكونون مع (الحق) لا مع المصلحة الشخصية •

ولم يكن بمقدور كل أحد أن يُقدِم على شراء ذريّة قائد تخلّى عنه الحظ وأصبح في عِداد الاموات ، وهذا دليل على قوّة شخصية الجرّاح ومبلغ ثقة مَسلمة به ، بالاضافة الى جوده وكرمه ومروءته •

فلا عجب أن يرثيه الشعراء ، ويرثيه الخليفة هشام بن عبد الملك[٣] ، ويجزع لموته المسلمون •

وكان له عقب بوادي (إشّ)[٤] •

---

(١) انظر تفاصيل فتنة يزيد بن المهلب في الطبري (٥٧٨/٦ ـ ٦٠٤) وابن الاثير (٥٧/٥ ـ ٨٩) •

(٢) الطبري (٦٠٢/٦) وابن الاثير (٨٦/٥) •

(٣) انظر ابن الاثير (١٦٨/٥) •

(٤) إش : من قرى خوارزم ، انظر معجم البلدان (٢٥٧/١) ، وانظر جمهرة انساب العرب (٤٠٨) عن عقبه وتفاصيل نسبه •

القـــائد

في سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) ، كانت الحرب دائرة بين ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث في العراق وبين الحجّاج بن يوسف الثقفي عامل الدولة على العراقَين[١] ، واستمرت الحرب بين الجانبين مئة يوم وثلاثة أيام ، وكانت أشد كتائب ابن الاشعث قتالاً واستبسالاً هي كتيبة القرّاء المؤلفة من علماء المسلمين وقادة فكرهم : يحمل عليهم رجال الحجّاج فلا يبرحون ، وكانوا قد عرفوا بثباتهم البطولي • وخرجت كتيبة القرّاء ذات يوم من أيام القتــال كما كانوا يخرجون ، وعبّأ الحجّــاج صفوفه ، وعبّأ ابن الأشعث أصحابه ، وعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجرّاح ، فأقبلوا نحوهم فحملوا على القرّاء حملات: كل كتيبة تحمل حملة ، فلم يبرحوا وصبروا[٢] •

وكانت ثورة ابن الاشعث تهدّد مصير الدولة بأفدح الاخطار ، وكان القرّاء صلب رجال ابن الاشعث وعمودهم الفقري ، لثقـة الناس بهم ، ولأنهم كانوا يستقتلون في الحرب ويطلبون الشهادة أو النصر ويضربون أروع الامثال في الثبات لأصحاب ابن الاشعث وكان القضاء على مقاومة كتيبة القرّاء قضاءً مبرماً على ثورة ابن الاشعث ، فتولية الحَجاج للجراح على كتائب مقاومة كتيبة القرّاء ومصاولتها ، دليل على أن الحجّاج يثق بكفاية الجرّاح القيادية وشجاعته وإقدامه وأنه مسعر حرب حقا •

وفي هذه الثورة في أيام الحرب ، خرج عبد الله بن رِزام الحارثي ، فطلب المبارزة ، فخرج اليه رجل من عسكر الحجّاج ، فقتله • وفعل ذلك

(١) انظر التفاصيل في ابن الاثير (٤/٤٦١-٤٨٠) •

(٢) الطبري (٦/٣٥٠) وابن الاثير (٤/٤٧٢) •

ثلاثة أيام ، يَقتل كل من يبارزه من رجال الحجّاج ، وفي اليوم الرابع خرج ، فقال أصحاب الحجّاج : جاء لا جاء الله به ! وطلب الحارثي المبارزة، فقال الحجّاج للجرّاح : (اخرج إليه) . وخرج الجرّاح،فقال له الحارثيّ وكان له صديقا : « ويحك ياجرّاح ! ما أخرجك ! » ، فقال : « ابتليت بك » . قال : « هل لك في خير ؟ » ، قال الجرّاح : « ما هو ؟ »، قال : « أنهزم لك وترجع الى الحجّاج وقد أحسنتَ عنده وحمدك ، وأما أنا فأحتمل مقالة الناس في انهزامي حبّاً لسلامتك ، فإني لا أُحبّ قتل مثلك من قومي » ، فقال الجرّاح : « افعلْ » .

وحمل الجرّاح على الحارثي ، فاستطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجرّاح بجدٍّ يريد قتله ، فصاح للحارثي غلامه ، وكان ناحية معه ماء ليشربه ، وقال له : « ياسيّدي ! إنّ الرجل يريد قتلك » ، فعطف عليه الحارثي وضربه بعمود على رأسه فصرعه ، وقال له : « ياجرّاح ! بئس ماجزيتني ! أردتُ بك العافية وأردت قتلي ! انطلق ، فقد تركتك للقرابة والعشيرة [١] .

ومهما تكن نتيجة المبارزة ، فإن مجرد اختيار الحجّاج للجرّاح ليتولى مبارزة بطل من الابطال انتصر على أقرانه ثلاثة أيام متوالية ، يدلّ على أن الجرّاح كان بين جيش الحجّاج بطلاً متميّزاً لامعا ، خاصة وأن انتصار مبارز على قرينه ، يؤثّر في معنويات أصحاب المنتصر فيرفعها عاليا ، ويؤثّر في معنويات أعداء أصحابه فيرديها الى الحضيض ، والنصر دائماً لذوي المعنويات العالية ، والهزيمة دائماً لذوي المعنويات المنهارة .

---

(١) ابن الاثير (٤/٤٨٠) .

كما أن إيثار الحارثي للجرّاح بالنصر ، واستئثاره بالهزيمة طوعاً،في مثل تلك الظروف الحرجة،يدل على مكانة الجرّاح السامية ليس بين أصحابه فحسب ، بل بين أعدائه أيضا ، ولايكون هذا التنازل الطوعي إلا لشخصية قوية نافذة تملأ الأعين قدراً وجلالا •

وكان الجرّاح يوصَم بالجفاء ، أي انه صاحب ضبط شديد ، يسيطر على رجاله سيطرة قوية ، ومزيّة الضبط المتين احدى مزايا القائد الجيّد•

وكان يتميّز بالحرص الشديد في محاولة الحصول على المعلومات المفصّلة عن عدوّه ، وقد استطاع أن يكتشف أن بعض من كان معه في جيشه من أهل جبال القفقاس قد كاتب ملك الخزر يخبره أنّ المسلمين قد ساروا اليه ، فتظاهر الجرّاح بالبقاء في (بَرْذَعَة) ، فكتب ذلك العيَن الى ملك الخزر يخبره أن المسلمين مقيمون ، وحينذاك بادر الجرّاح بالمسير ، فرحل مسرعاً الى هدفه[1] •

والقائد الحريص على اقتناص المعلومات التفصيلية عن عدوه ، قائد يعمل في النور لا في الظلام ، لأن عملياته تكون على هدى وبصيرة ، فيتحرك وعيناه مفتوحتان ، مما ييسّر له احراز النصر •

وقد أدّى تظاهر الجرّاح بالبقاء في (بَرْذَعَة) وقتاً طويلا ، ثم رحيله السريع عنها الى هدفه ، مباغتة للعدو في الزمان ، لأن الجرّاح وصل الى هدفه في وقت لايتوقعه ذلك العدو ، والمباغتة كما هو معروف أهم مبادىء الحرب على الاطلاق•

وحين فتح الجرّاح مدينة (بَلَنْجَر) أسر أولاد صاحبها وغنم أمواله

(١) ابن الاثير (٥/١١١) •

وسيطر على حصنه ، ولكنه استدعى اليه صاحب (بلنجر) وردّ أمواله وأهله وحصنه اليه وجعله عيناً للمسلمين يخبرهم بما يفعله الخزر وحلفاؤهم[١] .

وهذا دليل آخر على حرص الجرّاح الشديد في محاولاته للحصول على المعلومات المفصّلة الدقيقة عن عدوه .

وكان الجرّاح من أولئك القادة الذين يُصرون على إحراز النصر مهما طالت المدة واشتدّت وطأة القتال وكثرت الخسائر ، ولعلّ معركة (بلنجر) خير دليل على هذا الاصرار .

فقد كان نشّاب العدو يحجب الشمس ، وكان حصن المدينة منيعاً، والتحم القتال بشدة حتى بلغت القلوب الحناجر ، دون أن يتخلّى الجرّاح عن فتح (بَلَنْجر)[٢] .

ومزيّة الحرص الشديد على إحراز النصر بأي ثمن ، من مزايا القائد المتميّز .

ولم يُنكَب جيش يقوده الجرّاح في غير ميدان القتال سواء كان ذلك في مسير الاقتراب أو في المعسكرات ، مما يدل على أنه كان يتّخذ التدابير الامنية كافة لحماية جيشه بالمقدمة والميمنة والميسرة والمؤخرة، بالاضافة الى أنه كان يتحرك وهو مفتوح العينين في النور، لأنّه يحصل على المعلومات المفصّلة الدقيقة عن العدو ، ويحول بين العدو وبين الحصول على المعلومات المفصّلة عن قواته .

(١) ابن الاثير (١١٢/٥) .
(٢) ابن الاثير (١١٢/٥) .

وكما كان يهيّئ التدابير الامنية كافة لقواته التي يقودها، كان يهيّئ التدابير الامنية كافة لنفسه ، وقد رُئيَ قد ظاهَرَ بين درعين ، فقيل له في ذلك ، فقال : « لستُ أقي بدَني وإنما أقي صبري »[١] ، يريد : انه يقي معنوياته بهذين الدرعين.

ومن المعلوم أن الذي يتخذ التدابير الامنية لنفسه وقواته ، يرفع معنوياته ومعنوياتهم مادياً ومعنوياً ، والأمن مبدأ من أهم مبادئ الحرب .

لقد كان قائداً من قادة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي كتب إليه مرة : « إنه بلغني أن رسول الله ﷺ ، كان اذا بعث جيشاً أو سَرِيَّة قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، تقاتلون مَنْ كفر بالله : لا تَغُلّوا[٢] ، ولا تَغْدِروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً) ، فاذا بعثتَ جيشاً أو سريّة ، فمُرْهم بذلك[٣] » . وكان أعرفُ بالله من أن ينهزم[٤] ، كما وصفه أحد قادة الفتح الاسلامي[٥] للخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان .

وأخيراً ضحّى الجرّاح بروحه من أجل عقيدته ، ولم يضحِّ بعقيدته من أجل روحه ، فضرّج بدمه الطاهر ثرى إرمينية ، كما ضرّج ثراها قبله وفي أيامه ومن بعده عدد كثير من قادة الفتح الاسلامي وجنوده.

لقد كان قائدا يثق به رؤساؤه ورجاله ، شجاعاً مقداما ، ذا شخصية قويّة نافذة ، يتحلّى بالضبط المتين ، ويؤدي واجبه كاملاً ويفضّله على

(١) العقد الفريد(١/١٧٨) . وعيون الاخبار (١/١٧٨) .
(٢) غلّ فلان غلولا : خان في المغنم وغيره .
(٣) العقد الفريد (١/١٢٨) .
(٤) ابن الاثير (٥/١٥٩) .
(٥) هو : سعيد بن عمرو الحَرَشي ، اقرأ سيرته في : قادة فتح المشرق الاسلامي.

العلاقات الشخصية كالقربى والصّداقة ، يأمر بالجهاد ويحث عليه ويحرّض رجاله على القتال ، حريصاً على الحصول على المعلومات الدقيقة عن عدوّه، يبذل قصارى جهده لإحراز النصر ، يطبّق مبدأ المباغتة ، ومبدأ الامن في عملياته العسكرية •

وكان فوق ذلك قائداً عقائدياً ، يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، يطلب الشهادة ويحرص على الموت حرص غيره على الحياة •

لقد كان الجرّاح قائداً متميّزاً •

الجـــرّاح في التاريخ

يذكر التاريخ للجرّاح ، أنه وطّــد أركان الامن في (خُراسان) والعراق وإرمينية • ويذكر أنه استعاد فتح شطر خراسان وشطر إرمينية وفتح فتحاً جديدا •

ويذكر له ، أنه نشر العربية لغة والاسلام ديناً في أرجاء شاسعة تمتد من خراسان الى ماوراء نهر جيحون الى إرمينية •

ويذكر له أنه كان ادارياً حازماً وقائداً متميّزاً •

ويذكر أنه كان مجاهداً صادقاً ، يسعى الى الشهادة قبل أن تسعى الشهادة إليه •

رضي الله عن القائد الفاتح ، الإداري الحازم ، الشّــهيد البطل ، الجرّاح بن عبد الله الحَـكَـمي •

بغــداد : **محمود شيث خطاب**

مِنْ مُعْجَمِ عَثَرَاتِ الْأُدَبَاءِ ★

الاستاذ محمد العدناني

الجمهورية العربية المصرية

جاء في المصباح المنير للفيومي : فإن كان في النسبة لفظ عام وخاص[1] فالوجه تقديم العام على الخاص ، فيقال : القُرَشِي الهاشمي، لأنه لو قدّم الخاص لأفاد معنى العام ، فلا يبقى له في الكلام فائدة إلا التوكيد ، وفي تقديمه يكون للتأسيس ، وهو أولى من التأكيد ، وتقديم القبيلة على البلد أكثر مناسبة ، فيقال القرشي المكي ، لأن النسبة الى الاب صفة ذاتية ، وليست كذلك النِّسبة الى البلد ، فكانَ الذاتي أَوْلى .

وهذا يجعلني أُخَطّئُ لغوياً تسميةَ القطر الشقيق بجمهورية مصر العربيـة ، بدلا من الجمهورية العربية المصرية ، لأن (العربي) عام ،

(★) هذه نموذجات أخرى من « معجم عثرات الادباء » ، انشرها في مجلتنا الرائدة ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، شاكرا للجنة المجلة تعليقاتها النفيسة على النموذجات السابقة (انظر العددالثاني من المجلدالثالث والخمسين)، والتي سوف تظهر في المعجم بعدطبعه، وراجيا أعلام الضاد تزويدي بملحوظاتهم على صفحات مجلة مجمعنا الخالد ، أو ارسالها الي بالبريد ، وعنواني: بيروت ، شارع الجامعة العربية ، بناية الاسكندراني رقم ٣ .

(١) لسنا في تعبير جمهورية مصر العربية الذي يقترح الاستاذ تغييره ، أمام نسبتين ، بل أمام نسبة واحدة هي «العربية» ، أما « مصر » فترد غير منسوبة ، هذا الى أن العلماء لا يتفقون على تقديم العام ، بل قد يقدمون الخاص لملحظ بلاغي . « لجنة المجلة »

و (المصري) خاص ، وتقديم العام على الخاص أوْلى ، كما يقول الفيومي، هذا عدا مايتطلبه التشابه اللفظي في الجمهوريات العربيات الثلاث ، التي كانت قد أقامت بينها اتّحاداً ، وهي : الجمهورية العربية السـورية ، والجمهورية العربية الليبية ، والجمهورية العربية المصرية ، للتشابهاللفظي فيالاسماء الثلاثة بيانيّاً .

وعدا هذا ، يخيَّل إلي ــ حين يقولون : جمهورية مصر العربية ــ أن هنالك جمهورية مصريَّة أخرى غير عربية ــ لاسمح الله.

لذا أقترح على مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يعمل على تصحيح هذا الخطأ اللغوي ، اذا رأى أنني مصيب في تخطئتي هذه التسمية .

جَلَسَ وَحْدَه ، جَلَسَ على وَحْدِهِ

ويقولون : جلس أحمدُ لوحدِهِ . والصواب جلس وحدَهُ :

١ ــ إمّا لأنه مفعول مطلَق للفعل : وَحَدَ الرجلُ يَحِدُ وَحْداً.

٢ ــ وإمّا لأنه حال.

٣ ــ أو لأنه منصوب على نَزْع الخافض .

وذكر الجـلال السيوطي في همـع الهوامع : « هو لازم الإفراد والتنكير ، لأنه مصدر ، وقد يُثنّى شذوذاً ، أو يُجَرُّ بعلى ، فقد سُمِعَ: جلسا على وَحْدَيْهِما ، وقلنا ذلك وَحْدَيْنا ، واقتضيتُ كلَّ درهم على وَحْدِه ، وجلس على وَحْدِه . وقد يُجَرُّ بإضافةٍ ، والمضاف هو كلمة : نسيجٍ ، أو قَريعٍ (سَيِّد أو رئيس) ، أو جُحَيْش ، أو عُيَيْر (إذا أُريدَ قلّة نظيره في الشر ، وهما مصغَّر عَيْر بمعنى : حِمار، وجحش وهو ولده) . مع إلحاق علامات التثنية والجمع بهذه الكلمات

على الأصح ، يقال : هو نسيج وَحْدِه ، وقَريعُ وحدِه ، اذا قُصِد قِلّةُ نظيره في الخير ، وأصله في الثّوب ، لأنه اذا كان رفيعا لم يُنْسَج على منواله غيرُه .. » .

وقيلَ لايتصِّل بكلمة نسيج وأخواتها العلاماتُ الدالة على التثنية والجمع ، فيُقال : هما نسيج وحدِهما ، وهُنّ نسيج وَحْدِهنّ ، وهم نسيج وَحْدِهم ، وهكذا .

وخلاصة ما قاله ابن مالك هو أن المضاف إليه بَعْدَ (وَحْد)، و(دَوَالَيْ)، و (سَعْدَيْ) وأشباهِها ، لايكونُ اسماً ظاهراً ، وإنّما يجب أن يكون ضميراً .

والبصريّون ينصِبون (وَحْدَه) على الحال ، لا على المصدر على تقدير : منفرِداً . وينصبُه يونسُ على الظّرف بإسقاط (على) .

وجعل ابنُ الأعرابي (وَحْدَهُ) اسماً مُتَمَكّناً ، فقال : جلس وحده ، وعلى وحْدِهِ ، وجلسا وحديهما ، وعلى وحديْهِما .

وحكى أبوزيد : « قلْنا هذا الامر وحْدِينا ، وقالتاه وَحْدَيْهِما » .

الاضـــداد

في اللغة العربية مئات الكلمات التي تحمل معنيين مختلفَين ، وضعها العرب القدامى ، ليدُلّوا على رحابة آفاق الضّاد ، وعلى أن مذاهبَ الكلام لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب .

وقد اهتم العرب كثيراً بتأليف الكتب في الاضداد ، فمنهم محمّد ابنُ المستنير المعروف بقُطْرُب ، والأصمعي ، والعالِمُ البصريُّ عبد الله التّوّزيُّ ، وابنُ السّكّيت ، وأبو حاتم السّجستاني ، وابن

الأنبـاري ، وأبو الطيّب اللّغـَـوي ، وابن الدهّان ، والصّاغاني • وأشهرهم ابن الانباري•

ومِمّا قاله قطرب في الاضداد : « إنّما أوقعتِ العربُ المعنيين على اللفظة الواحدة ، ليدُلّوا على اتّساعهم في كلامهم » •

وقال آخرون : « اذا وقع الحرف (الكلمة) على معنيين متضادّين، فالاصل لمعنىً واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتّساع • فمن ذلك الصَّريمُ ، يقال للّيل صريمٌ وللنهار صريم ، لأن الليل ينصرمُ من النهار، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطعُ »•

« وكذلك السُّـدْفَةُ : الظّلْمَةُ ، والسّدْفَة : الضَّـوْء ، سُمّيا بذلك لأن أصل السّدْفَة السّتْر ، فكأن النّهار اذا أقبل ستر ضوْءُهُ ظلمةَ الليلِ ، وكأن الليل اذا أقبل سترت ظلمتُهُ ضوءَ النهار• والجَلَلُ : اليسير ، والجَلَلُ : العظيمُ ، لأن اليسير قد يكون عظيماً عندما هو أيْسَرُ منهُ ، والعظيمَ قد يكون صغيراً عندما هو أعظم منه»•

« والبعض يكون بمعنى البعض والكلّ ، لأن الشيء كلّهُ قد يكون بعضاً لغيره •والظنُّ يكون بمعنى الشك والعلم ، لأن المشكوك فيـه قد يُعلَمُ » •

وفي الجزء الاول من المُزهِر للسّيوطي من صفحة ٣٨٧ الى ٤٠٢ فصل كامل ممتاز عن الاضداد ، فليرجع إليه من شاء •

وأنا أرى ألاّ نستعمل من الكلمات ، ذوات المعنَيَين المتضادّيْن، إلا مايحمل منها المعنى المألوف لدينا ، وأن ننصرف عـن استعمال تلك الكلمات ، التي نجهل معانيها المضادة ، الى غيرها • فنحن لسنا في حاجة

الى ارهاق ذاكراتنا بنقش مئات الكلمات ذوات المعاني المتضادّة فيها. وليست غايتنا في كتاباتنا وأقوالنا أن نستعمل كلماتٍ يجهل معظمُ الناس معانيها الثانية المضادّة لمعانيها الاولى التي نعرفها ، فوقتُنا غيرُ متّسع كوقْتِ أجدادنا.

وعلينا أن نكتفي بالمعنى الأكثر شيوعاً ، على أن لانخطّىء مَنْ يلجأ الى استعمال المعنى الاضعف ، أو المجهول اذا وُجِدت في الجملة قرينة تدلُّ عليه ، كقولنا : شجاني نبأُ انتصارنا على الاعداء . فهُنامعنى شجاني : أفرحني ، بينما المشهور هو استعمال هذا الفعل (شجاني) بمعنى أحزَنَني . وكقولنا للملِك : يامولاي ! (أي ياسيدي !) ، وقولنا : أمر الملِك مولاه أن يفعل كذا (أي عبدَه) .

وجاء في مقدمة « الأضداد » لابن الانباري ، وفي « المُزْهِر » للسّيوطي في باب « معرفة الاضداد » : « اذا كان اللبْسُ في متضادّيْن زائِلا عن جميع السامعين ، لم يُنْكَر وقوعُ الكلمة على معنيَيْن مختلفَين » .

وهنالك من أنكر وجود ألفاظ في اللغة العربية تدل على معنىً وضده ، كابن دُرُسْتَوَيْهِ الذي ألّف كتاباً اسمُه : إبطالُ الأضداد .

وقال ابن دُرَيد في الجمهرة : « الشّعْبُ : الاجتماع والافتراق، وليس هذا من الاضداد ، وانما هي لغة لقومٍ » . فأفاد بهذا أن شرطَ الأضداد أن يكون استعمالُ اللفظ في المعنَيَيْن في لغة واحدة.

وأحسنُ تفسير لوجود الأضداد في العربية ما جاء في الصفحة ١١ من أضداد ابن الأنباري : « اذا وقع الحرفُ على معنيَيْن متضادّيْن،

فمحال أن يكون العربيّ أوقعَهُ عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكنّ أحد المعنيين لِحَيٍّ من العرب،والمعنى الآخر لِحَيٍّ غيره. ثمّ سمع بعضُهم لغةَ بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء.

قال الاصمعيّ : دخل رجل على ملِكٍ من ملوك حِمْيَر ، وكان الملك جالساً في موضع مُشْرف ، فارتقى اليه ، فقال له الملِك : ثِبْ ، يريد: اجلس . فطفرَ وسقط واندقّت عنقُه . فقال الملِك : من دَخَل ظفارِ حَمَّرَ ، أي تكلَّمَ بلسان حِمْيَر .

وقال أبو عبيدة : «مُهرَة" شوهاء» قبيحة وجميلة . وقال أبو حاتم السّجستاني : لا أظنّهم قالوا للجميلة : شَوهاءُ إلا مخافة أن تصيبها عين ، كما قالوا للغُراب أعوَرُ لحِدَّةِ بصره.

وسُمِّيَت أمّ الخليفة المعتزّ « قبيحة » دفعاً للعَيْنِ ، لأنّها كانت رائعة الجمال .

الجَوْسَق ، الكِشْك ، الكُشْك

ويخطّئون من يُطلق على المكان الصغير يُصْنَع من الخشب ونحوه، ويُتّخذ في حمّامات الشواطىء ، كما يتّخذ مأوى للجندي ، وكذلك يتّخذ محلاًّ في مختلف الطرق لبيع الصحف والسلع الصغيرة ، اسمَ الكُشْكِ ، لأن متنَ اللغة قال في حاشية مادّة (جوسق) ، إن الكُشك هو من أقوال العامّة .

جاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، التي أقرتها لجنةُ ألفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع في جلسته الثالثة ، بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧١ ، في المادة رقم

٦٧ ، أن المؤتمر أطلق على ذلك المكان الصغير اسمَ الجوسَق أو الكشك (لم تضبط حركة الكاف الأولى) •

وكان الشيخ عبد القادر المغربي قد قال في « عَثَرات اللسان » إن الكُشكَ هو من أصل تركي ، وقد عثر هنا ، لأنه من أصل فارسي هو كوشْك ، كما جاء في اللسان ، والتاج ، والمدّ ، ومعجم فرهنك جامع فارسي — إنكليسي ، تأليف ف• ستانغس ، أو هو معرَّب كوسك كما قال محيط المحيط وأقرب الموارد ، أو معرَّب كوشَك كما قال المتنُ •

وروى المتنُ في مقدمته ، أن أحمد تيمور وضع للقصر الصغير ، في المادة رقم ٥ ، اسماً جديداً ، هو الكِشْكُ •

ووردَ الكُشْكُ (بضم الكاف الاولى) في عثَرات اللّسان والوسيط • وورد بكسرها (الكِشْك) في محيط المحيط ، وأحمد تيمور، والمتن • وقال محيط المحيط انَّه شِبْهُ رِواقٍ بارز عن مساواة بقيَّة البيت •

وليس الجَوْسَق ، الذي هو معرّب الكشك بحديث العهد في الضاد ، إذ عُرِف فيها منذ أكثر من ألف سنة ، وقد ذكره الصّحاح ، والمحكمُ ، وابن برّي ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتّاج ؛ والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقربُ الموارد ، والمتنُ وعثراتُ اللسان ، والوسيط • ويُجْمَعُ الجَوْسَقُ على جَواسِقٍ وجواسيق•

أمّا معناه فقالوا انه البيتُ أو البيت الصّغير ، والقصرُ أو القصر الصّغير ، والحِصْنُ • وقال ابنُ بَرّي : شاهِدُ الجَوسَق الحِصن قولُ النعمان من بني عديٍّ :

لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه تنادُمُنا في الجَوسقِ المتهدّمِ

وما علينا إلا أن نستعمل كلتا الكلمتين : الجَوْسَق والكُشك، والكِشك ، ما دامت جُلّ المعجمات أجازت استعمال أولاهما ، وما دام بعض المعجمات ومجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أجازوا استعمال ثانيتهما •

الجَـــــوْلان

الهَضْبَةُ ذات الحصون المنيعة المُشرفة على جزء من فلسطين الغالية المحتلة ، والتي انتصر في معركتها العربُ على جيوش اسرائيل وسلاحها الامريكي المرعب في معركة رمضان سنة ١٣٩٣ هـ (تشرين الاول ١٩٧٣) يطلقون عليها اسم الجُولان ، اعتماداً على قول « متن اللغة » • والحقيقة هي أن اسمها هو : الجَوْلان ، كما جاء في الكامل للمبرّد ، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة ، ومعجم البلدان ، والمختار ، واللسان ، والقاموس، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد •

وروى الحسن العسكريّ في « التصحيف والتحريف » قولَ النابغة الذبيانيّ :

فآبَ مُضِلّوه بعَيْنٍ جَلِيّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ

وجاء في اللّسان : « الجَوْلان جبل بالشام ، وفي التهذيب قريةٌ بالشام ، وقال ابن سِيدَه : الجَوْلانُ جبل بالشام • قال ويقالُ للجبل: حارثُ الجَوْلان ، قال النابغة الذّبياني :

بكى حارثُ الجَولان من فَقْد ربّه وحَورانُ منه خائفٌ متضائلُ

وحارثٌ قُلّةٌ من قِلاله ، والجَوْلان أرض • وقيل حارثٌ

وحورانُ جَبَلان » • وجاء في قصيدة لي قلتُها في تلك المعركة المظفرة:

وتَــدكُّ في جَوْلاننا نــيرانُها شُمَّ الحصون ، وتنثُرُ الأشلاء

. أمَّا الجَولانُ فقد ذكر القاموسُ وأقربُ الموارد أنه التُّراب • وقيل إن التراب يُسمى الجَيْلان أيضا : اللّسان ، والقاموس ، والتاج ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن •

ويُطلقون على التراب والحصى ، تَجول بهما الريح على وجـه الارض اســم (الجَوْلان) أيضا : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط •

وانفرد المتن بقوله إن الجِيلان من الحصى هو: ماأجالته الريح•

فقَصَ ، فقَسَ ، فقَشَ

ويقولون : فقّسَ الطــائرُ بيضته ، أي : كســرها ليُخْرِجَ الفرخَ ، والصَّوابُ : (ا) فقصَ الطائرُ بيضتَهُ ، ففيحديث الحديبية: «وفَقَصَ البيضةَ» • وممَّن ذكر (فَقَصَ) أيضا : اللَّيْثُ بن سعد واللّحياني ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والنهــاية ، والعُباب ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد، والمتن ، والوسيـط •

(ب) وفَقَسَها : الصّحاحُ ، والنهاية ، والمختــار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، وعبد القادر المغربي ، والوسيط •

(ج) وفَقَشَها : ابن دريد ، والصَّاغاني ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط•

ويقول المتنُ إنَّ الفعل (فَقَشَ) لغةٌ ، بينما تقول المصادر الاخرى إن معناه هو : كَسَرَ البيضةَ باليد .

ويقول اللسان ، والتاج ، وأقرب الموارد ، والمتن إن الفعل (فقص) هو أعلى الافعال الثلاثة.

وبعضُ هؤلاء كالصحاح ، يقولون إن معنى (فقس البيضةَ)هو أفسدها . والصواب : أخرجَ مافيها ، أو أفسدها كما يقول التاجُ

ولمَّا كان تشـديد الفعلِ لإفادة المبالغة (فقَّسَ مثلا) ، سماعياً لا قياسيّاً ، ولما أجمعت المعاجم على عدم ذكرِ هذا الفعل ، ولمَّا كانـت هنالك حالات لإفادة المبالغة ، أو إفادة التكثير ، كالدجاجة التي تحتضن ثلاثين أو أربعين بيضة ، ثم تَفْقِصُها لإخراج الفراخ منها ، فإن هـذا يحملني على أن أقترح على مجمع اللغة العربية بدمشق وأشقَّائه الثلاثة ، الموافقة على استعمال الافعال الثلاثة مضعَّفـة (فَقَّصَ ، وفَقَّسَ ، وفَقَّشَ) ، عندما يتطلَّب المعنى ذلك ، وإن كان الفعلُ الاخـير يعني كَسَرَ البيضةَ باليد .

أمَّا فعله فهو : فَقَصَ يفقِصُ فقْصاً ، وفَقَسَ يفقِسُ فقْساً، وفَقَشَ يفْقِشُ فَقْشاً .

فِلَسْطِينُ ، فَلَسْطِينُ : فِلَسْطُون ، فَلَسْطُون ، فِلَسْطِيٌّ ، فِلَسْطِينيٌّ

واختلفوا في حركات قلب البلاد العربية(فلسطين)،فقالوا: فِلَسطين. التَّهذيبُ ، والصِّحاحُ ، وابن الاثير في النهاية ، واللسان ، والقاموس، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد .

وقد ذكر الصّحاح (فِلَسطينَ) في ترجمة (طين) ، فانتقده ابن بَرِّي وقال : حقُّها أن تذكَرَ في فصل الفاء من باب الطّاء ، لقولهم (فِلَسْطونَ) .

وقالوا : فَلَسْطِينُ وفَلَسطونُ (معجمُ البلدان) .

وقالوا : فَلَسْطِينُ ، فِلَسطُونَ : التّهذيب ، واللّسان ، والقاموس ، والتّاج ، ومحيط المحيط ، وأقربَ الموارد .

وقالوا : فَلَسطون : القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد :

وقالَ الازهريُّ في التّهذيب إن نونَ (فلسطينَ) زائدة ، وقال غيره انّها كلمة روميّة .

والعرب في إعرابها على مذهبين ، فمنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ، ويعربها بالحروف ، فيرفعها بالواو (هذه فلسطون) ، وينصبها ويجرُّها بالياء (استعَدْنا فِلَسطينَ ، عدنا الى فِلَسطين) . ومنهم من يجعلها بمنزلة ما لا يَنصرِفُ ، فتلزمها الياءُ (فلسطينُ حبيبةُ العربِ ، زرنا فلسطينَ ، ما أجمل فلسطينَ !) .

والنسبة الى فِلَسطينَ فِلَسْطِيٌّ (أبو منصور الازهري ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، ومتن اللغة) قال الأعشى :« تَخَالُهُ فِلَسْطِيّاً اذا ذُقْتَ طَعْمَهُ ».

وقال ابنُ هَرْمَةَ القُرَشيُّ :

كأسٌ فِلَسْطِيَّةٌ مُعَتَّقَةٌ   شجَّتْ بماءٍ من مُزنة السُّبُلِ

وزادَ محيط المحيط وأقربُ الموارد نسبةً ثانية،هي فِلَسطينيّ[1] وأنا أرجو أن توافق مجامعنا على استعمالها ، لأن العالم العربي كله ، بملايينه التي ناهزت المئــة والخمسين ، لا يعرفون إلاّ النسبة الثــانية (فِلَسْطينيّ) وهي نسبة قياسية ، لا نستطيع تخطئة من يستعملها •

بيروت : محمد العدناني

(١) جاءت النسبة « فلسطيني » في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبدالملك ابن زهر الاشبيلي (٤٦٤ ـ ٥٥٧ هـ) • قال ابن زهر (الورقة ٩/و من نسخة باريس لكتاب التيسير) : « وأطعمه لب الخيــار أو لب البطيخ الفلسطيني وهو الدلاع ، وأطعمه بَقليَّة الخس وبقلية الرِّجلة» يدل ذلك على أنهم في الاندلس كانوا في القرنالسادس ينسبون الىفلسطينبقولهم « فلسطيني » •

« لجنة المجلة »

العربية الدارجة في القطر الجزائري ★

الدكتور ابراهيم السامرائي

لعل من أعظم المنجزات أو قل الامور المعجزات عملية التعريب في الجمهورية الجــزائرية ، وذلك لان العربية بعثت جديدة غضة تقف من الفرنسية موقف المقاوم العنيد . لقد مكـّــن الحكم الاستعماري الذي

(*) كان العنوان الذي وضعه الاستاذ السامرائي لمقاله هو : « العربية في القطر الجزائري » .

ثم آثرت لجنة المجلة أن تضيف اليه هذا الوصف : « العربية الدارجة » ذلك لان الكاتب الفاضل انما يسوق أمثلته كلها من هــذه العربية اليومية المستعملة عند جمهرة الناس ، على الالســنة أو على أقــلام بعــض الذين يمارسون الصحافة .

وهذه الامثلة ونظائرها مما تشترك فيه أكثر الاقطار العربية الاخرى ، كما يشير الي ذلك المقال في مواضع عدة ، ولذلك لا يمكن أن تكون سمة خاصة بالعربية في الجزائر .

ومع ذلك فقد أقرت اللجنة نشر المقال لانه لون من ألوان التنبه الـى ما يغزو العربية في هذا القطر أو ذاك من طغيان اللهجات وتسربها الى الفصحى، أو من لوثة الترجمات ، أو من تسرب الالفاظ والتعابير الاجنبية ... ولانـه يطرح موضوع المجازات الحديثة ويدفع الى التساؤل عما نرفض أو نقبل منها . ومن المؤكد أن الاستاذ السامرائي ، بما هو معروف عنه من غيرته على العربية وحبه للجزائر ، انما يسجل هذه الظواهر والاستخدامات اللغــوية تمهيدا لدراستها والعمل على تنقية العربية مما هو خاطىء منها .

أما القسم الاخير من المقال الذي يتضمن أمثلة مما احتفظت به العامية في الجزائر من الفصيح فهو أوسع من أن تكون هذه الامثلة تعريفا به ، ولا بد فيه من جمع مستوعب يتجاوز المدن الساحلية الى الداخل والى البوادي .

« لجنة المجلة »

كُتب له أن يعمر أكثر من قرن وربع من السنين المظلمة العجاف ، للفرنسية فجعلها لغة البلاد عملا وتعليماً وسائر وجوه الإعراب •

لقد انتهى ذلك العصر واضطلع أهــل البلد بمصيرهم ووجدوا أن الواجب الاول هو أن تعود الهوية العربية فكان التعريب وعادت اللغة • ومن المعلوم أن اللغة تتأثر بالبيئة ، ومن هنا تظهر اللهجات ، وذلك باتصاف كل لغة بطرائق خاصة من المشكلات الصوتية الى أخرى صرفية ثم تتجاوز ذلك الى طرائق في الاستعمال • وعلى هذا كان لدينا لهجات عربية بل قل لغات اذا ما أخذنا بما يفرضه علم اللغة الحديث•

ومن الضروري أن أشير الى أن العربية في الجزائر ومثلها الى حد ما في تونس والمغرب قد اكتسبت صفات خاصة تميزها عن العربية في سائر أقطار المشرق • على أن العربية في هذه الاقاليم المغربية تختلف من قطــر الى قطر • وهي في كل منها ذات لون خاص وان كان شيء منْ عموميــة يجمع بينها • قد تقول ان في الفصيحة العربية شيئاً من الجزائر ، ولعلي أستعمل مصطلح الجزائريين فأقول : إن فيها شيئاً من « الجزأرة » •

إن « الجزأرة » هذه من مولدات الاخوان الجزائريين فهم يستعملونها في صحفهم وكتاباتهم فيقولون :

(١) ــ جزأرة الإطارات كما قرأت ذلك في صحيفة الشعب الجزائرية في الخامس من أبريل ١٩٧٩ ، وكأنهم يقابلون بهذه « الجزأرة » ما يولده الفرنسيون مــن أسماء البلاد وأسماء الاعيــان فيقولون Arabiser و Algeriser وغيرهما أي صيَّر الشيء وجعله عربياً أو جزائرياً • ومثل هذا يقول التونسيون « تونسة الإطارات » •

وحديث « الإطارات » حديث ممتع غريب ، فهو من باب نقل المجاز من لغة الى أخرى • ان كلمة «الإطار» تقابل في الفرنسية « Le Cadre » والإطار عند الفرنسيين من الكلمات التي تستعمل على حقيقتها كما تستعمل مجازاً ، فهي على الحقيقة « الإطار » المعروف الذي تحاط به الصور والجداول ونحوها ، وهو الشكل المربع أو المستطيل المصنوع من الخشب أو غيره كما هو معروف • وهي على المجاز مجموع الأفراد فنيين وغير فنيين ، ممن يعملون في مشروع أو معمل أو ادارة حكومية أو غيرها•

غير أن «الإطار» في العربية لاينصرف إلا الى معناه الحقيقي المستخدم للصور والجداول ونحوها • وهذا يعني أن صرفه الى هذا المجاز الجديد تأثر بالفرنسية ليس غير •

ومن شيوع استعمال « الإطارات » في أقاليم الشمال الافريقي تأثر بها المشارقة فصرنا نقرؤها قليلا في صحفنا المشرقية • وكأن المشارقة قد واجهوا الكلمة في اللغات الاوربية فلم يفزعوا الى « الإطارات » بل راحوا يعربون الكلمة الاعجمية فجمعوها على « كوادر » كما في كتابات طائفة من اللبنانيين •

ومن العجيب أن المغاربة عامة يميلون الى الجمع الصحيح المؤنث أكثر من ميلهم الى الجمع المكسّر فيقولون « إطارات » ولا يقولون « أُطُر » ويقولون « دينارات » ولا يقولون « دنانير » وان تجاوز المراد القلة العددية المعروفة ، وسنرى ذلك•

(٢) ــ واقرأ في الصحيفة نفسها :

وعلى هذه القاعدة نجد شركاتنا الوطنية « الفالسة » عن قناعة منها

ومن مسؤوليها ومصالح محاسباتها « تحشم » من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس لأنها •••••

أقول : من غير شك إن أهل الصحف لا يميّزون بين « الفالسة » و « المفلسة » • ولم يعرفوا أن الفصيح المستعمل هو الرباعي « أفلس » وان الهمزة في هـــذا الرباعي تفيد السلب نظـــير « وعد » و « أوعد » و « عتب » و « أعتب » ومثل هذا كثير في العربية • وعلى هذا لا يصح أن نقول «فالسة» لعدم توفر المعنى وهو السلب أي عدم وجود«الفلوس» ومن غير شك ان الثلاثي لم يستعمل بهذا المعنى والصواب هو الرباعي « أفلس » •

ثم جاء في هذا الكلام المنقول من الصحيفة : نجد شركاتنا الوطنية الفالسة •••• « تحشم » من أن تعلن •••

أقول : ان الفعل « حشم » من الكلم العامي الدارج • وكأن صاحب المقالة في الصحيفة أراد : ان الشركات ••• تخجل من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس •

(٣) ـ ونستمر في النقل عن الصحيفة فنجد الكاتب يمضي فيقول: إن الشركات وجدت باباً جديداً يغطي هذا الافلاس •••

أقول : ان قول الكاتب : « يغطي هذا الافلاس » من الاساليـــب المترجمة التي شـــاعت في لغة الصحف ولغة أهل البحـــوث الاقتصادية والاجتماعية في كثير من البلاد العربية • وكلمة « يغطي » هذه ترجمة لكلمة Couvrir الفرنسية في تعبير الجزائريين وغيرهم من المغاربة • وقد تكون ترجمة لكلمة Cover الانكليزية في لغة المشارقة•

(٤) ـ وجاء في جريدة الشعب المؤرخة في ٧ ابريل ١٩٧٩ في رد رئيس المجلس الشعبي لبلدية قصر البخاري على رسالة مواطن قوله :

إني لم ألبّ كل طلبات سكان البلدية في العمل خاصة ذوي الاولوية من مجاهدين و « مسبّلين » وغيرهم .

أقول : إن كلمة « مُسبّلين » من المصطلح الجزائري الذي يتصل بأيام الثورة . وهي تعني جماعة خاصة ليست من المجاهدين حملة السلاح وانما تهتم بجمع المعلومات عن العدو ومعرفة وجوده والالمام بما يقوم به من أعمال وخطط ، وتسليم جميع هذه الفوائد الى العناصر الوطنية المسؤولة عن الثورة . ومن غير شك ان الكلمة ولّدت من كلمة «سبيل» لإفادة هذا المعنى الخاص .

ويحضرني في هذا الصدد ما أعرفه عن هذه الكلمة في العربية العراقية الدارجة ذلك أن طائفة كانت تحمل الماء في أوعية لتوزعه على أبناء السبيل العطاشى فكان كل أجرهم من هذا العمل أن يأتي أحد المحسنين ويهبهم مبلغاً ضئيلا من المال كفاء ما يقومون به من عمل في توزيع الماء . وفي هذه الحال ينادي حامل الماء على من « يسبّل » له أي المحسن الذي يهبه الاجر ليقوم بالعمل . كان هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة أما الآن فلم يبق شيء من هذا الرسم القديم .

(٥) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وأكّد المحافظ الوطني للحزب في تدخّله على ضرورة العمل ».

أقول : من غير شك إن تعدية الفعل « أكّد » بحرف الجر « على » من التأثر باللغة الاجنبية . وليس هذا التجاوز خاصاً بالجزائر ، فهو شيء

جارٍ في ترسل كثير ممن يكتبون في الصحف اليومية في أقاليم مختلفة •

وجاء أيضافي المنقول عن الصحيفة نفسها: « أكّد ••• في تدخّله•»

أقول : إن كلمة « التدخل » تفيد معنى الخطاب أو الخطبة • أي ان المحافظ « أكّد في خطبته أو خطابه » • وهذا من غير شك مأخوذ من Intervention • ان الكلمة الفرنسية المشـار إليها تعني « التدخل » أو «الدخول» بالمعنى الحقيقي،وهي من الفعل Intervenir أي دخل وتدخّل • غير أن الكلمة الفرنسية تعني أيضاً « الخطاب » الذي يتوجه به أحد المتكلمين في اجتماع من الاجتماعات ، فكأنه يدخل بخطابه أو يتدخل به بين جماعة المتحدثين في ذلك الاجتماع •

وهذا من باب نقل المجاز الاجنبي الى العربية التي لم تألف هذا المجاز ، ولم يرد في الاستعمال على هذا النحو •

(٦) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وسيتميّز هذا الملتقى بتقديم عدة عروض تتمحور حول التحرير والاسلام » •

أقول : لقد صاغ بل ولّد الكاتب الجزائري الفعل « تمحور » من الاسم « مِحور » أي ان العروض تدور حول حرب التحرير والاسلام•

ومن غير شك ان ما دفع الكاتب الجزائري الى هذا التوليد هو عامل الترجمة أي ان الكلمة الاجنبية قد عرفها ووجدت في معجمه فكيف يكون المقابل لها في العربية فكان الفعل « تمحور » المقابل لـ « Axer » الفرنسي • ومن الملاحظ أن الفعل الفرنسي يتعدى بـ Sur التي تترجم بـ «على» •

وهكذا كانت الاصول الاجنبية مادة كبيرة لاستعمالات عربية معاصرة.

(٧) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« أشرفت التحضيرات الجارية بولاية الاصنام لتجديد هياكل « التسيير » بالوحدات الفلاحية .... ».

أقول : إن القارىء العربي في المشرق ليقرأ طائفة من الاستعمالات العربية في الجزائر فلا يهتدي اليها إلا بعد السؤال . إن «التسيير» المثبَّت في العبارة المنقولة من الصحيفة يشير الى نوع مما يسمى بـ « التنفيذ الذاتي المباشر » وذلك أن الدولة قد تنفذ عن طريق سلطاتها التابعة لها مشروعاً خاصاً دون أن تجعله على ذمة شركة من الشركات . وعلى هذا يكون « التسيير » من الكلم الفني الجزائري.

ويتضح هذا في قولهم : « ومن بين الاجراءات التي اتخِذت في صالح القطاع الاشتراكي (المَزارع المسيَّرة ذاتياً) انطلاق حملة التطهير التي تمحورت أساساً على النقاط .... ».

(٨) ــ ونقرأ في الصحيفة نفسها :

« وقد جرت المعارك في شرق كمبالا « أين » يوجد الطريق المؤدي الى جينجا » .

أقول : لا بد أن نقف على استعمال « أين » هــذه فنشير الى أنه استعمال خاطىء وذلك لأن « أين » من أسماء الاستفهام ومن الالفاظ التي لها الصدارة في الكلام ، في حين أنها جاءت في كلام الصحيفة ظرفاً كان ينبغي أن يكون في مكانها « حيث » لإفادة المكان . وقد جاءت في حشو الجملة ، وهي استفهام ليس غير ، حقها أن تكون صدراً.

ومن غير شك ان سبب هذه التجاوزات هو أن الكاتب الجزائري وجد الظرف « Où » في الفرنسية يكون ظرفاً بمعنى حيث في حشو الجملة ويكون اسم استفهام تصدر به جملة الاستفهام فخلط بين الاثنين وجعل المقابل لهما « أين » في العربية فكان ما كان •

(٩) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« لذا فإن « الإمضاء » على معاهدة السلام •••• »•

وفيها : « وذلك شاهد على سوء نيّة «الممضين» على هذا الحلف»•

أقول : إن « الإمضاء » و « الممضين » في الصحيفة الجزائرية بمعنى ما يستعمل في الصحف المشرقية « التوقيع » و « الموقّعين » •

نعم إن هذا وذاك من الاستعمالات الحديثة وذلك لان العربية القديمة لانعرف « الإمضاء » ولا « التوقيع » بهذا المعنى • غير أني سجّلت هذه الملاحظة لأشير الى أنها استعمال جزائري •

(١٠) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« ان القرارات المتخذة « من طرف » منظمة الامم المتحدة لم براعَ فيها ••• » •

أقول : إن استعمال الجزائريين خاصة والمغاربة عامة لعبارة « من طرف » ماكان ليكون إلا مقابلا بل ترجمة للاستعمال الفرنسي« de la part »

(١١) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« استدعاء العسكريين المتربصين في أمريكا » •

أقول : لا نعرف « تربّص » و « المتربّص » بمعنى التدريب والتعلم

والمتدرّب والمتعلّم إلا في الصحافة الجزائرية التي لا بد أن تكون قد أخذتها من الاستعمال التونسي أو المغربي • ومن غير شك إن « التربّص » قد جعله التوانسة مقابلا للكلمة الفرنسية « Stage » ، والمتربّص من يؤدي هذا التدريب والامتحان • أما نحن المشارقة فنعبر عن هذا بأن « العامل » أو « الفني » يقضي « دورة تدريبية » •

(١٢) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« قررت وزارة الدفاع الامريكية استدعاء ١٨٠٠ إطار بحري وإطارات أخرى »•

أقول : رأيت أن أعود الى لفظ « الإطار » الذي أسلفت الكلام عليه وذلك لان هذا الاستعمال الاخير أفرد كلمة « إطار » ـ ولم ترد جمعاً على النحو الاول ـ لتعني Les Cadres وهذا يعني أن « الإطار » مفرداً يعني أحد العناصر الفنية التي يُحتاجُ إليها في الدائرة والمصنع أو في أي مكان آخر •

(١٣) ـ وجاء في الصحيفة نفسها : « ازدياد »•

بمزيد من الفرح والسرور ينهي فلان بن فلان الى علمكم عن «ازدياد» الطفل الوسيم « ياسين ببيت السيد والسيدة العيدي حسين •••»•

أقول : ولا تعرف العربية أن« الازدياد » يعني الولادة أو المولد أو الميلاد • ان الخبر في الصحيفة ينبىء أن فلاناً رُزِق ولداً ، أو ولدت زوجة فلان ولداً أسمته « ياسين » ، فأين « الازدياد » من الولادة ؟![1]

العلاقة بين هذا وذاك أن كلمة « Naitre » أو Naissance التي تعني ولادة ، قد تفيد الزيادة والنماء في شيء من استعمالاتها • غير

(١) يحسن أن نتذكر هنا الآية الكريمة : « وما تغيض الارحام وما تزداد » • «لجنة المجلة»

أن هذا لايسوغ أن تكون « الولادة » « ازدياداً » • إن هـذا من عبث الترجمة الرديئة •

(١٤) ــ وتقرأ كل يوم في الصحف الجزائرية أخباراً عن مصالح الإسكان وأنها معنية بتهيئة « سكنات » ملائمة لذوي الدخل المحدود •

أقول : ان « السكنات » تعني « المساكن » وان الجزائريين يستعملون الجمع المؤنّث السالم من غير حساب لما يدل عليه من أدنى العدد • وهكذا نجد دينارات ، والبناءات المدرسية وسكنات وغير هذا كثير • وقد تسمع الناس يتحدثون بعاميتهم الدارجة فيجمعون الكلمة الفرنسية جمع مؤنث فيقولون « بلاسات » ويريدون بها جمع Place أي مكان أو محل أو بقعة •

(١٥) ــ وتدخل في مخزن كبير من المخازن الكبرى في مدينةالجزائر فتقرأ في لوح معلّق :

« زوروا أشعتنا » •

أقول : لا تفهم أيها القارىء أول مرة ما المقصود بالعبارة المكتوبة في اللوح • ما المراد بـ « الأشعة » ؟ وكيف تزار هذه « الأشعة » ؟

وبعد النظر تجد أن الترجمة الفاسدة لكلمة « Rayon » الفرنسية قد أدّت الى هذه الرطانة •

ان الكلمة الفرنسية تعني « الشعاع » شعاع الشمس أو الكواكب الاخرى ، كما تعني أيضاً جزءاً أو جهة من مخزن صُفّت فيه مناضد للبضاعة ، وكل مجموعة من هذه المناضد خاصة بصنف معين منها ، ويطلق على كل مجموعة من هذه : « Rayon »

هـذا هو مجمـل الامر ، ولكن المترجم أخطأه الصـواب فأخذ كلمة شعاع مقابلا هـذه الكلمة الفرنسية وأطلقه على مجموعة المناضـد الحاملة للبضاعة في مخزنه الجزائري ، فكانت النتيجة هذا العبث الجديد.

تعـريب المحيـط

لقد أشرت الى أن الجزائريين قد حققوا معجزة كبيرة في عملية التعريب، فلم يقتصروا على التعليم وعلى الكتاب المدرسي وغيره وانما تجاوزوا ذلك الى المحيط العام . ان تعريب المحيط يعني انك لا تجد لوحاً أو لافتة في الجزائر كلها بغير العربية ، وبالعربية وحدها ، وهذا شيء كبير.

وانك لتجد أشياء جميلة كأن تقرأ لوحاً مكتوباً عليـه « حمّام ـ مِرَش » أي أن الكلمة الاخيرة تقابل « Douche » الفرنسية . وانّك تقرأ لوحاً معلقاً على دكان للحلاقة كلمة « مزيّن » . وهذه الكلمة التـي هجرها المشارقة أنسب من الحلاّق والحلاقة .

ولقد قضى تعريب المحيط على أنماط كثيرة من التعابير الاعجمية التي استبدل بها الكلم العربي الفصيح .

نعم قد تكون بعض العبارات العربية التي تنشر في المحيط غير ملائمة وذلك بسبب الترجمة الحرفية ، كأن تقرأ في مخزن ما : « آخر صرخة ». يريدون بها آخر صنف من البضاعة الجديدة وهي ترجمة لـ Dernier Cri

ومن السارّ أنك تقرأ عبارة «الأروقة الجزائرية» لتقابل Les galeries والمراد بها المخازن الكبرى للبضائع المختلفة .

نمـاذج أخـرى

اذا كنّا نقف في لغة الجزائريين على الجديد الذي يبتعد عن الفصيح

القديم[١] فلا بدّ لنا أن نستدرك فنقول إن العامية الجزائرية قد احتفظت بسواد فصيحة لانعرفها نحن المشارقة ولا نجدها إلا في بطون المعجمات.

ومن ذلك : نَوء : ويعني المطر .

عقَبة : مرتفَع .

سُوَيقة : تصغير سوق . ومن المعلوم أن هذا جار على الفصيح المشهور من أن تصغير المؤنث غير المختوم بتاء التأنيث تردّ له تاؤه في مصغَّره مثل أُذُن وأُذَينة وعَين وعُيَيْنة وكذا سوق وسويقة.

دُوَيْرة : الدار الصغيرة .

عِجار : العجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تَجلبب فوقه بجلبابها . ومثله المِعجَر .

الثنيَّة : الطريق المعطوف أو عطفة الطريق.

جِروات : جمع جرو وهو ضرب من القَرَع . جاء في كتب اللغة:

الجِروُ والجِروة الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثّاء والرمان والخيار والباذنجان .

جايحة : مايصيب الزرع من آفات أو وباء . والجائحة في فصيح

(١) يقول الجزائريون: «قارورات الغاز» للاسطوانات المعبأة بالغاز المستخدم وقودا. ومن المعلوم أن «القارورة» واحدة القوارير من الزجاج، والعرب تسمي المرأة القارورة وتكني عنها بها . وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى : « قواريرا قوارير من فضة » معناه أواني زجاج في بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن سيده : وهذا حسن .

غير أن الجزائريين استعاروا القارورة لأسطوانة الغاز ، وهو جديد قائم على التصور الخاطىء . ثم انهم جمعوها جمعا مؤنثا سالما كما هو المألوف عندهم ولم يفطنوا للجمع في الآية الكريمة .

العربية الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة•والجائحة آفة تجتاح الثمر أيضاً وهذا هو الاستعمال الجزائري •

جايح : هو السفيه عندهم ، لعلها على التشبيه بالجائحة أي النازلة والآفــة •

فايح : هو السفيه أيضاً وقد تكون من باب الاتباع : جايح فايح•

عتاد : العتاد العدّة والجمع أعتدة وعُتُد • قال الليث : والعتــاد الشيء الذي تعدّه لأمر ما وتهيّئه له • وأعتدَ الشيءَ أعدّه • قال تعالى : « وأعْتَدَتْ لهنّ مُتَّكَاً »•

ومن المفيد أن أشير الى أن « العتاد » في لغة المشارقة المعاصرة اقتصر على السلاح دون غيره في حين أن الكلمة احتفظت بمعناها الاصيل في القطر الجزائري •

عَوْد : العَوْد عند الجزائريين هو الحصان في حين أن معناه في كتب اللغة الجمل المُسِنّ وفيه بقيّة •

هيّا : بمعنى تعال • ينادي الجزائري مثلا ولده الصغير فيقول : هيّا•

خاتمــة :

هذه فوائد يسيرة تهيّأت لي خلال اقامة قصيرة في القطر الجزائري رأيت من المفيد أن أشير اليها للفائدة التاريخية في فهم واقع لغتنا المعاصرة •

بغداد ــ كلية الآداب **ابراهيم السامرائي**

الهند في الأدب العربي الحديث ★

إي· كي· أحمد كتّي

إن الصلات بين الهند والعرب تعود الى أزمنة موغلة في القدم · ولقد كانت صلات تجارية ودبلوماسية بين الشعبين منذ قديم الزمان ، بل قبل زمن التاريخ ؛ ثم جاء الاسلام فتطورت هذه الصلات وأصبحت علاقات روحية ودينية وثقافية واجتماعية وسياسية·وأما في العصر الحديث فازدادت العلاقات العربية الهندية قوة وعمقاً وتنوّعاً ، وتقوم الآن بين البلاد العربية والهند مؤاخاة وتواد وروابط وثيقة وتعاون وتظاهر في شتى المجالات ·

إن الهند وحضارتها وثقافتها كانت موضع الاعجاب والتقدير عند العرب منذ زمن قديم · وكثير من الرحالين العرب المشاهير زاروا بلاد الهند وساحوا فيها وشاهدوا فيها ما شاهدوا ، ثم دوّنوا كل ما رأوا وما سمعوا في كتبهم،فكتبوا عن مناخ الهند وطبائع أهلها وعاداتهم وتقاليدهم

(*) هذه مقالة قرأها الكاتب في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٨ في الندوة عن « عن الاتجاهات الحديثة في الادب العربي الحديث·· »

(Seminar on modern Trends in Arabic literature)

انعقدت في كلية مانباد ، مانباد ، كيرالا ، جنوب الهند من ٢٤ الى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٨ ،تحت رعاية يونيفرستي كرانتس كميشن University Gryants Commission of India

وديا ناتهم وعباداتهم ، كما وصفوا لنا أشجار الهند وثمارها وأنهارها • ومن هذه المؤلفات العربية التي مازلنا نقرؤها حتى أيامنا هذه كتب البيروني والمسعودي وابن بطوطة •

ولكن كل هذا قصة قديمة • فماذا يقول الادب العربي الحديث عن الهند ؟ هذا ما يهمنا في هذه المقالة •

على الرغم من مزيد الاتصالات التي تقوم بين الهند والاقطارالعربية لا نرى في الادب العربي الحديث مواد كثيرة تتعلق بالهند وشؤونها• وهذا يبدو غريباً ، ولكنه الحقيقة • واذا قارنّا بين ما تشتمل عليه الكتب العربية القديمة التي أشرنا اليها آنفاً من المعلومات عن الهند، وبين مايتضمن الادب العربي الحديث من الامور المتعلقة بالهند ، رأينا أن الاخير قليل جداً بالنسبة الى الاول •

وكان متوقّعاً أن توجد دراسات محققة شاملة عن الهند والمواضيع المتصلة بها ، في الادب العربي الحديث • ولكن هذا لم يحدث •

انما أريد أن الادب العربي الحديث لا يشتمل على مواد وافرة عن الهند كما ينبغي أن يكون • ولا أريد أنه خال كل الخلو من الذكر للهند والاشارات إليها • لأن هنالك في الادب العربي الحديث ذكراً للهند وإشارات اليها ومحاولات لدراسة ثقافتها وآدابها وفنونها وأحوالها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها من الامور المتصلة بالهند مما لايمكن أن يُهْمَل • وانّي أحاولُ في هذه المقالة نظرة وجيزة الى ما يقول الادب العربي الحديث عن الهند • فلنبدأ بالعلاقات بين الهند والعرب ، تمهيداً لبحثنا في نواحي الموضوع الاخرى•

العلاقات العربية الهندية

إن العلاقات العربية الهندية موضوع هام ، ليس بالنسبة لأهل الهند والعرب فقط ، بل لجميع بلاد العالم . لأن هذه العلاقات هي أكثر إيغالا في القدم من أية علاقة بين الاقطار في تاريخ العالم . وان هذه العلاقات لعبت دوراً هاماً في تكوين تاريخ البشر وأثرت في مجراه تأثيراً فعالا. ولكن هذا الموضوع ، مع أهميته الدولية لم ينل اهتماما يستحقه عند المؤلفين باللغة العربية في البلاد الهندية ولا في البلاد العربية . وقد وضعت بعض المؤلفات في هذا الموضوع مثل « أثر الاسلام في الثقافة الهندية»

(Influence of Islam on India Culture)

للدكتور تاراشاند بالانكليزية و « العلاقات العربية الهندية » (عرب - و - هندكي تعلّقات) للسيد سليمان الندوي بالأوردية . ولم يكن مثل هذه الدراسات موجوداً في اللغة العربية،الى أن ظهر فيها كتاب الدكتور سيّد مقبول أحمد « العلاقات العربية الهندية » ، كتبه أصلا باللغة الانكليزية ثم نقله الدكتور نقولا زيادة الى العربية(*). وهذا الكتاب يشتمل على دراسة شاملة عن الصلات بين الهند والبلاد العربية منذ أقدم الازمنة الى أواخر القرن الماضي ، ويتناول جميع نواحي هذه الصّلات والآثار الحميدة التي خلّفتها في الشعبين الهندي والعربي . ولكنه ، كما يعترف المؤلف نفسه،لم يتناول القرن ونصف القرن الماضيين « لأن المعلومات والمادة التي بين أيدينا كثيرة ومتنوعة الى حد أنها تحتاج الى دراسة خاصة »(١) .

(*) الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

(١) « العلاقات العربية الهندية » للسيد مقبول احمد ، ترجمة نقولا زيادة ، ص ٢٢٤ .

وهذا يعني أن الادب العربي الحديث لا يزال يعوزه دراسة عن العلاقات العربية الهندية في الزمن الحالي . فلننتظرها حتى تظهر.

وجدير بالذكر هنا محاولة محمودة للدكتور جميل أحمد من جامعة كراتشي بباكستان وهي مقالته « الصّلات اللّسانية بين الهند والعرب » نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[1] . ويتناول فيها الكاتب دراسة موجزة عن التبادل والتعاون بين الهند والبلاد العربية في مجال الثقافة العربية والاسلامية أثناء العصور المتعاقبة ، فيبحث عن تأثر كل واحد من الجانبين الهندي والعربي بالآخر ، وفتح العرب وآثاره في الثقافة العربية والاسلامية ، في الهند ، والعلماء الواردين بأرض السّند ، والعلماء من أهل السند ، ومكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي وما يليه من العصور في الهند . ولكنه في دراسته لا يتجاوز القاضي عبد المقتدر الكندي التمانيسري ثم الدهلوي (توفي ١٩٧١/١٣٨٨) . وبذلك ، فإن هذه المقالة قاصرة بالنسبة للثقافة العربية والاسلامية في الهند في العصر الحديث .

ثقافة الهند ــ شعرها وآدابها وعلومها وفنونها

فلنلتفت الآن الى الثقافة الهندية كما تنعكس في الأدب العربي الحديث .

إن ثقافة الهند ــ علومها وفنونها وآدابها وغيرها من مكوّنات الحضارة الهندية العتيقة ــ كانت دائما موضع الاعجاب والتقدير عند

(١) الجزء الرابع ، المجلد الخمسون ، شوال سنة ١٣٩٥ هـ ، تشرين الاول سنة ١٩٧٥ م ، ص ٧٧٧ـ٨٠٥ .

كـتّاب العربية منذ زمن قديم ، وكتبوا عنها كثيراً كما أشرنا اليه من قبل.

وأما في الادب العربي الحديث ، فإن أول كاتب اعتنى بهذا الموضوع بعض الاعتناء هو جرجي زيدان . وهو وإن لم يُجْرِ دراسات مستقلةعن الثقافة الهندية ، فإن تصانيفه مثل « تاريخ آداب اللغة العربية »«وتاريخ التمدن الاسلامي » تتضمّن بعض الاشياء التي تتّصل بهذا الموضوع . مثلا : حين يتكلم عن الادب العربي في العصر العباسي الاول يذكر الكتب الهندية القديمة في علم الطب وعلم النجوم وعلم الحساب وعلم الموسيقى التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية[١] . ويقول إن نحو ثلاثين كتاباً من اللغة السنسكريتية أكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب نُقلت الى العربية في هذا العهد[٢] . ونستطيع أن ندرك مدى تأثر العرب بالعلوم الهندية والآداب الهندية ممّا يقول جرجي زيدان بهذا الصّدد : « ويظهر ممّا كتبه المسلمون بعد العصر العباسي في الادب أو الطب أو الصيدلة أو السِّيَر أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية الاصل »[٣] .

والدكتور أحمد أمين ، وهو كاتب عربي عصري آخر ، تناول في كتبه الثقافة الهندية القديمة وتأثيرها العميق عند العرب ببعض التفصيل . وقد وضع فصلا مستقلا للثقافة الهنديّة والآداب الهنديّة وتأثيرها

---

(١) انظر ص ٣٣٦ و ٣٣٧ من « تاريخ آداب اللغة العربية » تأليف جرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

(٢) الكتاب نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٣) « تاريخ التمدن الاسلامي » تأليف جرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، سنة ١٩٣١ ، الجزء الثالث ، ص ١٩٨ .

عند العرب في الجزء الاول من كتابه « ضُحى الاسلام »[١] ، ويبحث في هذا الفصل عن الفلسفة الدينية ، والتعاليم الرياضية ، والقصص والحكم الادبية ، والشعائر والتقاليد الاجتماعية وغيرها من عناصر الثقافة الهندية بحثا مفصّلا ، ويبيّن كيف أثّرت هذه في آداب العرب وثقافاتهم وذابت في المملكة الاسلامية حتى صارت عنصراً هاماً من عناصر تُراث العرب العقلي •

طاغور وإقبال :

وعلى الرغم من الصّلات الزّائدة النامية بين الهند والبلاد العربية في العصر الحديث ومن الحب والاحترام اللذين يكنّهما العرب للهند ، فمن الغريب أن معرفة العرب بثقافة الهند وآدابها وفنونها الحديثة قليلة وتافهة جداً • ولكن رابيندرنات طاغور والدكتور محمد إقبال استثناء لهذا ، لأن العرب لايعرفون عن أيٍّ من رجال الهند البارزين في حقول الفن والأدب والشعر كما يعرفون عن هذين الشاعرين الكبيرين•

ويبدو أن رابيندرنات طاغور حصل على حظوة خاصة ممتازة عند العرب قبل أن يعرفوا شيئاً عن الدكتور محمد إقبال وشعره • فبذلك نرى الاستاذ الكبير أبا الحسن علي الحسني الندوي يشكو بهذه الكلمات حين يتكلّم عن دوافع تأليف كتابه « روائع إقبال » : « ••• وكان يغيظنا أن طاغور أشهر في الاقطار العربية من اقبال ، واعجاب اخواننا العرب والادباء في مصر وسورية بشعره أكثر ، وكنّا نعدّ ذلك تقصيراً منّا

(١) انظر ، ضحى الاسلام ، تاليف أحمد أمين ، الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص ٣٣٩ وما يليها •

في التعريف بشعر إقبال ...»(١) . والكتّاب المحدثون من العرب مثل الدكتور طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ معجبون بطاغور إعجاباً شديداً .

وفي رأي طه حسين ، أن شعر طاغور يتفوق على شعر شعراء العرب المحدثين الكبار مثل شوقي وحافظ ابراهيم والبارودي أو مطران لأنّ « شعر طاغور شعر انساني ، وان شعر شعرائنا شعر أشخاص وظروف . ولطاغور فلسفة كما للمعري وللمتنبي فلسفة . فأين فلسفة شوقي أو حافظ أو البارودي أو مطران ... »(٢). وحَسْبُ أهل الهند مفخرة أن الاديب العربي الكبير طه حسين يُفضّل شاعرهم المحبوب على كبار الشعراء في لغته وأمته ووطنه .

وحتى كاتب اسلامي معاصر شديد التحمّس للاسلام مثل محمد قطب لم ينجُ من التأثّر بهذا الشاعر الهندي الكبير . وفي كتابه « منهج الفن الاسلامي »(٣) يقول إن طاغور وان كان هندوكيّاً راسخ القدم في الهندوكيّة يلتقي في شعره مع منهج الاسلام الفنّي في بعض نُقاطه مثل مودّته وحبه نحو الوجود الكبير والحياة والاحياء وحبه الجميل للانسانية، ودعوته الدائمة للسماحة والخير بين الناس ، وانفلاته من ثقلة الضرورة ، وانطلاقه الى عالم الطلاقة والنور . ثم يستشهد الكاتب على هذا ببعض قصائد لطاغور منقولة الى العربية .

(١) « روائع إقبال » للسيد ابو الحسن علي الحسني الندوي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ـ ص ٨

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني عشر ـ علم الادب ٢ ـ القسم الاول . دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٤ ، ص ٤٦٤ .

(٣) « منهج الفن الاسلامي » لمحمد قطب ، دار الشروق ، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

وقد نُقلت الى العربية رائعة طاغور « كيتانجلي » . والى جانب هذا كثير من كتاباته ، نثراً وشعراً ، ترجمت الى اللغة العربية ، منها « بين الحب والعبادة» وهو ترجمة عربية لمسرحية غنائية لطاغور «شترا وارجُنا» عرّبها مهدي وكامل العبد الله[1] ، و « طاغور : مسرح وشعر » ، ترجمة يوحنا قمير[2] ، و « مختارات من طاغور » وهو ترجمة لحياة الشاعر وتعريف بأدبه[3] .

والشاعر الهندي الآخر الذي أقبل عليه العرب في العصر الحديث إقبال الود والحفاوة ، كما أشرنا اليه من قبل ، هو الدكتور محمد إقبال . ولا عجب ، فإن شعره الاسلامي الذي يمتاز « بالطموح والحب والايمان » كما يصفه السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي[4] قد سيطر على مشاعر العرب والمسلمين وأحاسيسهم . والكُتّاب العرب ، خصوصاً المسلمين منهم ، معجبون بشعره وفلسفته اعجاباً شديداً ، ويوردون أبيات شعره ومقاطيعه في كلامهم وكتاباتهم استشهاداً أو توضيحاً أو تدبيجاً لما يقولون أو يكتبون . ومحمد قطب،الكاتب الاسلامي المعاصر الذي أشرنا اليه آنفاً يثني في كتابه « منهج الفن الاسلامي » ثناء خالصاً جزيلا على إقبال ويُحلّل مزايا شعره وفلسفته في أسلوب بديع رائع .

وقد قامت ، حديثاً ، محاولات عديدة لتعريف اقبال وشعره وفلسفته للعرب . ومن أحسن هذه الدراسات عن إقبال « روائع إقبال » للسيّد أبي الحسن علي الحسَني الندوي . ولم يَنقل الاستاذ الندوي في هذا

(١) نشرة دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
(٢) نشرة دار الشروق ، بيروت ، ١٩٦٧ .
(٣) وقام الاستاذ بديع حقي بترجمات رائعة لروائع طاغور ـ « لجنة المجلة » .
(٤) « روائع إقبال » للسيد ابو الحسن علي الحسني الندوي ، ص ٦ .

الكتاب بعض أشعار إقبال فقط ، بل تناول فيه دراسة شاملة عن حياة إقبال وثقافته وشاعريته ، ومنتجاته الادبية ، والعوامل التي كونت شخصيته ونظرته الى الحضارة الغربية وتصوره عن « الانسان الكامل » .

وقد نقل الاستاذ الندوي في كتبه الاخرى مثل « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و « الطريق الى المدينة » أيضاً بعض أشعار إقبال.

ومن العرب الذين حاولوا أن يُعَرِّفوا إقبال لمواطنيهم الاستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام . وقد نقل الى العربية كثيرا من شعر إقبال ، وظهرت له عدة دواوين في هذه السلسلة . منها « رسالة المشرق »، و « ضرب الكليم » و « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » و «جاويد نامه »[1] . ولا شك أن عمل الدكتور عبد الوهاب عزام هذا مأثرة أدبية جليلة تستحق كل تقدير وثناء وشكر . ومع هذا نلاحظ هنا أن عمله في ترجمته لشعر إقبال الى العربية ليس خاليا من الضعف . وقد انتُقِد عليه أنّ ترجمته لا تعطي صورة كاملة واضحة لفكر إقبال ورسالته ولا تؤثّر في نفس القارىء كما يفعل شعر اقبال الاصلي . وسبب هذا الضعف والتعقيد في الترجمة يرجع ، في الاكثر ، الى أن عبد الوهاب عزام ترجم الشعر بالشعر ، وذلك الذي أفقد شعر إقبال قوته وانسجامه وأفقد الترجمة بهاءها وتأثيرها .

وإن عدة قصص وروايات هندية عصرية قد اتخذت سبيلها الى

---

(١) صدر عن اقبال كذلك في سورية كتاب باسم ذكرى محمد اقبال ضم الكلمات التي قيلت في حفل أقيم في ١١ حزيران ١٩٦٤ كتب مقدمته الدكتور الزميل عبد الكريم اليافي عضو مجمع اللغة العربية وبعد كلمات الدكتور اسعد النص وزير الثقافة آنذاك ، والدكتور جورج طعمه ، والاستاذة سمر العطار والشاعر عبد الرحيم الحصني ، وفي سنة تالية كتب الدكتور اليافي مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية (مج ٥٤ ج ٣) بعنوان محمد اقبال فيلسوف الذات وشاعر الفن . هذا وللدكتور احسان حقي كتابات كثيرة عن اقبال « **لجنة المجلة** »

اللغة العربية عن طريق الترجمة • ومنها « شمّين » (CHMMEEN) الرواية المليالميّة المشهورة لتكزي شيوَشَنْكَر بلاّي (Thakazhi Shivashankara Pilla) عرّبها محيي الدين الآلوائي •

دور الصحافة :

وعلينا ألاّ ننسى السعي المشكور الذي تقوم به الصحافة العربية في تعريف الثقافة الهندية للعرب وترويجها بينهم • وقصب السبق في هذا المجال لـ « صوت الشرق » ، وهي مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدر من القاهرة ، وقد دخلت في السابعة والعشرين من عمرها • ومن أهدافها تقديم ألوان الادب الهندي والفن الهندي والسينما الهندية والثقافة الهندية الى قراء العربية • وجنباً الى جنب ، تنشر الآداب والفنون والثقافة العربية • وهكذا ، تهدف الى توثيق الروابط والصداقة بين الشعبين الهندي والعربي • وقد نتج عن هذا العمل المتصل الدؤوب اعداد مجموعة من القصص الهندية صدرت لأول مرة في كتب مستقلة باللغة العربية عن « صوت الشرق » •

والمنشورة الاخرى التي تقوم بمجهودات محمودة في هذا المجال هي « ثقافة الهند » ، مجلة عربية تصدر عن « مجلس الهند للروابط الثقافية » Indian Council for Cultural Ralation بنيودلهي • وغرض هذه المجلة أن تعرّف العرب بمختلف جوانب الثقافة الهندية كالفنون والآداب والفولكلور الهندي والديانات الهندية والفلسفة الهندية والتصوف الهندي عن طريق تعريب المقالات القيّمة الاصيلة للعلماء الثقات في هذه الحقول •

سياسة الهند

ان الاحوال السياسية في الهند كانت دائما موضع الاهتمام والاعتناء عند العرب • لأن الهند والبلاد العربية جميعاً كانت تمر بنفس الادوار التاريخية حول منتصف القرن الحالي • وقضايا الشعبين ومطالبهما ومطامحهما كلها كانت متشابهة متجانسة في هذه الفترة من تاريخهما • فمن البديهي أن كل واحد من الشعبين أظهر اهتماماً بالغاً بما يحدث عند الآخر من الحوادث والتطورات •

وكان العرب ينظرون الى حركة الاستقلال الهندية بنظر الاعجاب والتقدير منذ أول عهدها • وكان العالم النابغ والمصلح الاسلامي الكبير السيد جمال الدين الافغاني (توفي ١٨٩٧ م) قد زار الهند ، وقال لأهل الهند هذه الكلمات المشهورة وهو راحل منها : « وعزّة الحق وسر العدل، او أن ملايينكم مُسِخَت ذُباباً لأخرجت الانجليز بطنينها من الهند • ولو انقلبت سلاحف وخاضت البحر الى الجزر البريطانية لجذبتها الى القاع ! »[١] •

مهاتما غاندي والعرب :

والزعيم الهندي الذي نال حظاً أوفر من تعظيم العرب وحبهم هو مهاتما غاندي • ومن أسباب حفاوته عند العرب تأييده المتصل لقضايا العرب كقضية فلسطين • وكان غاندي يكن الكثير من الاحترام لسعد زغلول باشا الزعيم الوطني المصري الكبير•

ولم يخلص الادب العربي الحديث من التأثر بعظمة غاندي وشخصيته الفذة ، فمثلا المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء قد أُعجِب بغاندي

(١) تاريخ الادب العربي لأحمد حسن الزيات ، الطبعة السادسة والعشرون ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٤٠ •

اعجاباً شديداً[١] • وعبَّر الشاعر عن تقديره له في قصيدة له عنوانها « غاندي »[٢] ، نظمها تحية لغاندي حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ في طريقه الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن لمفاوضة الحكومة البريطانية،مطلعها:

بني مصر ، ارفعوا الغار وحيّوا بطل الهند
وأدّوا واجباً واقضوا حقوق العلم الفرد

لايرى الشاعر غاندي كأحد من الزعماء السياسيين الذين نعرفهم، بل يرفعه الى درجات سامية فيضعه في زمرة الانبياء والمرسلين ، فيقول:

على إفريز راجبوتا نا[٣] تمثال من المجد
نبيٌ مثل كونفوشيو س ، أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل من المنتظَر المهدي
شبيه الرسْل بالذود عن الحق ، وفي الزهدِ

فيقول الشاعر إن تلك القوة الروحية التي جُبِل عليها غاندي لا تعطى إلا لذي حظ عظيم ، وإنما تأتي الى الانسان « بتوفيق من الله » و « تيسير من الشعب » ، فلا تحصَّل بالاسباب المادية والقوة العسكرية ولا بالمال ولا بالكدح والكد •

ولكن هبة المولى تعالى الله للعبد

وفي آخر القصيدة ينصح الشاعر غاندي ليكون على حذر ويقظة من مكر الانجليز في مفاوضاته معهم في مؤتمر المائدة المستديرة ،

---

(١) انظر تفاصيل هذا في مقالة هذا الكاتب بعنوان «أحمدشوقي وحركة الاستقلال الهندي». نشرتها « ثقافة الهند » ، مجلس الهند للروابط الثقافية ، نيودلهي ، المجلد ٢٦ ، العدد ١-٢ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٧-٤٦ •

(٢) الشوقيات ، المكتبة التجارية الكبرى ، الجزء الرابع ص ٨٣-٨٥ •

(٣) «راجبوتانا» اسم الباخرة التي اقلت غاندي من الهند الى لندن •

التي يذهب ليحضرها ، ويطلب منه أن يلاقي الانجليز ملاقاة « الند للند » ويُحبط مكايدهم :

ولاقِ العبقـــريين لقـــاء النـــدّ للنـــدّ
وقـــل هاتـــوا أفاعيـــكم أتـــى الحـــاوي من الهند

وقد ألِّف عن غاندي عدة كتب في اللغة العربية . منها : « غاندي قديس السياسة » لفؤاد محمد شبل[1] . وهذا الكتاب ، على صغر حجمه ، دراسة شاملة لجميع جوانب حياة غاندي وشخصيته وفلسفته وأفكاره . وقد مهد الكاتب كتابه بهذه الكلمات المأثورة عن غاندي :

« لا تُفادُ القوة من القدرة البدنية لكنها تنبع من الارادة ، الارادة التي لا تُقهر والتي يجب ألاّ تخشى سوى الله . إن الطاغية يتدثَّر بالقوة ويتقلَّد مظاهر المادة إلا أنه يتجرد من الطاقة الروحية ، انه ليستحيل قهر الروح واخضاعها لإرادة أي مخلوق » .

وقد نُقل كتاب غاندي في ترجمته الذاتية My Experiment with Truth الى العربية بعنوان « في سبيل الحق أو قصة حياتي » عـرَّبه الاستاذ محمد سامي عاشور .

جواهر لال نهرو أيضا حصل على حفاوة عظيمة عند العرب . وكثير من الكُتّاب العرب كطه حسين معجبون به إعجاباً شديداً[2] . وقد وُضِعت عدة كتب عربية عن حياة نهرو وأعماله ، منها كتاب نُشِر حديثا: « نهرو ـ شخصيته من كتاباته » .

---

(١) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

(٢) « العلاقات العربية الهندية » للدكتور مقبول أحمد ، تعريب نقولا زيادة ، ص٢٢٨ .

وأما أندرا غاندي رئيسة وزراء الهند ، فيبدو أنها ، ولو كانت تنزل منزلة عالية في أعين العرب مثل أبيها ، قد أُنزلت بعض الشيء من ذلك المحل الرفيع لمّا فرضت « حالة الطوارىء » على الهند ، فانتقدها جزء من الصحافة العربية انتقاداً مُراً لإعلانها لحالة الطوارىء في الهند وتصرفاتها المريبة في أثناء تلك الفترة ، ومن هذه الصحف « مجلة رابطة العالم الاسلامي » وأسبوعيتها « أخبار العالم الاسلامي » •

مولانا محمد علي :

والزعيم الهندي الآخر الذي نزل من نفوس العرب منزلة الحب والحفاوة والتقدير هو مولانا محمد علي ، وذكره أيضا أحمد شوقي في شعره[1]• ولمّا مات البطل الهندي المسلم في سنة ١٩٣١ ، رثاه بقصيدة[2] أنشدها في حفلة تأبين كبيرة أقيمت له في القاهرة ، مطلعها :

بيت على أرض الهدى وسمائه ... الحق حائطه وأس بنائه

ويشير الشاعر الى أن الفقيد دفن في بيت المقدس وفقاً لوصيته قبل موته ، فيخاطب القدس ويطلب منها أن تضم هذا الزعيم الكبير الى حضنها وتكرم مثواه لانه هو « سيف الهند » ، و « سيف الله » وبطل كبير قام بحقوق الشرق والاسلام ومصالحهما :

ياقدس،هيّىءْ من رياضك ربوة ... لنزيل تربك ، واحتفل بلقائه
هو من سيوف الله جل جلاله ... أو من سيوف الهند عند قضائه

(١) انظر تفاصيل هذا في مقالة هذا الكاتب بعنوان «احمد شوقي وحركة الاستقلال الهندي» في مجلة « ثقافة الهند » المشار اليها من قبل •

(٢) الشوقيات ، الجزء الثالث ، ص ١٢ ، ١٣ •

فتَـــحَ النبــيُّ له منـــاخ براقه ومعـــارج التَّشريف مـــن إسرائه
بطـــل حقوق الشـــرق من أحماله وقضيَّـــة الاســـلام مـــن أعبائه

ويرى الشاعر أن محمد علي ليس غريباً في القدس ، بل هـــو من أبنائه بسبب خدماته الجليلة للاسلام والمسلمين :

نم في جـــوار الله ما بِكَ غربة في ظـــل بيت أنـــت من أبنـــائه

وهذا التشريف العظيم ، أي دفنه في بيت المقدس ، استحقه الفقيد كل استحقاق لأنه ، كما يقول الشاعر ، كرّس حياته لنصرة القضايا العربية والاسلامية والجهاد في سبيلهما :

قد عشـــت تنصره وتمنـــح أهله عونا ، فكيـــف تكون من غربائه ؟

المسلمون في الهند والثقافة الاسلامية والعربية فيها

لاتزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوي في دينه غني بعلمه وبرجاله وتراثه الثقافي وهم يكونون أقلية ذات شأن وخطر في الهند تعتز بخدماتها الجليلة لوطنها منذ ألف سنة • ولكن ، من المؤســـف أن العرب وجلّهم مسلمون لا يعرفون كثيرا عن اخوانهم في بلاد الهند وتاريخهم وأحوالهم • فلذلك أصبح أدبهم الحديث ناقصاً بالنسبة لهذه الناحية •

ونذكر بهذا الصدد السعي المشكور الذي قام به المرحوم العلامة السيد عبد الحي الحسني مدير ندوة العلماء الاسبق (م ١٣٤١ هـ) وهو أبو الاستاذ الكبير أبي الحسن الندوي • فقد ألّف في تراجم أعيان الهند كتابه المشهور « نزهة الخواطر » في ثمانية مجلدات ضخمة تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفي تاريخ الهند العلمي والتعليمي « عوارف

المعارف » الذي أصدره المجمع العلمي بدمشق باسم « الثقافة الاسلامية في الهند » • ولكتب السيد عبد الحي الحسني فضل عظيم في تعريف تاريخ مسلمي الهند وأحوالهم وتراثهم الثقافي والعلمي لإخواننا العرب•

واتبع خطوات هذا الاب الجليل ابنه الألمعي النابغ الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي • ومن عادته أن ينتهز كل فرصة ، سواء كان خطبة أو كتابة ، كي يشيد بذكر مسلمي الهند وتراثهم الغني في مجالات مختلفة • وكتابه « المسلمون في الهند »[1] دراسة شاملة لتاريخ المسلمين في الهند وأحوالهم الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية •

ومن الجانب العربي ، بذل بعض الادباء والكتاب الكبار جهدهم لتعريف مسلمي الهند وأحوالهم لمواطنيهم ، ومنهم الاستاذ عبد المنعم النمر الذي ألف كتاب « الاسلام في الهند » وهو أول كتاب يصدر في الشرق العربي في هذا الموضوع ويسد عوزاً كبيراً في المكتبة العربية •

ومنهم أيضاً الاستاذ علي الطنطاوي كتب عدة مقالات عن المسلمين في الهند وتاريخهم وأحوالهم ، منها « الفردوس الاسلامي في قارة آسيا » مقالة كتبها في مجلة « المسلمون »[2] على أثر زيارته للهند ، ويستعرض فيها الكاتب تاريخ الهند الاسلامي وملوكها المسلمين خلال العصور•وفي كتاب علي الطنطاوي « رجال من التاريخ » أيضا ذكر لبعض نوابغ المسلمين في الهند •

---

(١) نشرته مكتبة دار الفتح بدمشق•

(٢) العدد الخامس من المجلد الرابع نقلا عن « مختارات من ادب العرب » للاستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، الجزء الاول ، ص ١٥٠ ومايليها ٩

والمصلحون الاجتماعيون والدينيون والتعليميون من مسلمي الهند مثل سير سيّد أحمد خان والسيد أمير علي نالوا اعتناءً عند بعض الكتّاب والادباء في الادب العربي الحديث ، مثلاً ، يبيّن جرجي زيدان في كتابه « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » خدمات سيّد أحمد خان في النهضة العلمية الاخيرة في بلاد الهند[1] . ويذكره أيضا الدكتور أحمد أمين في كتابه « زُعماء الاصلاح » .

ومن المعروف أن الأمة المسلمة في الهند لها يد بيضاء في الآداب العربية . وقد ألّف أدباؤها وعلماؤها وكُتّابها كتباً عربية لا يُحصى عددها تتناول مُختلف نواحي الآداب العربية والاسلامية . ومن بواعث الحزن والاسف أن معرفة العرب بمساهمة مسلمي الهند في الادب العربي ضئيلة . وباستثناء ما كتب المرحوم السيّد عبد الحي الحسَني ، والسيد أبو الحسن علي الحسَني الندوي ، والدكتور مقبول أحمد في مؤلفاتهم العربية عن الثقافة العربية والاسلامية في الهند واسهام مسلمي الهند في الآداب العربية ، لم تقم محاولة مذكورة لتعريف هذا الموضوع للعرب ، وأذكر هنا ، بهذه المناسبة ، مقالة قيّمة قد نُشِرَت حديثاً في مجلة مجمع اللغة العربية[2] بدمشق بعنوان « نظرة اجمالية في حركة التأليف باللغة العربية في الهند » للدكتور جميل أحمد من جامعة كراتشي . وهي محاولة طيبة مشكورة لابراز مساهمة مسلمي الهند في التأليف في اللغة العربية خلال العصور على نحو موجز .

---

(١) « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الجزء الثاني ، ص ٨٤ـ٩٣ .

(٢) الجزء الثاني ، المجلد الخمسون ، ربيع الاول ١٣٩٥ هـ ، ابريل ١٩٧٥ م .

ولا ننسى هنا الخدمات الجليلة التي تؤديها بعض المنشورات الدورية العربية التي تصدر من الهند لترويج ثقافة الهند الاسلامية والعربية ، منها « البعث الاسلامي » مجلة شـــهرية ، و « الرائد » نصف شهرية كلاهما يصدر من دار العلوم بندوة العلماء بلكهنو ، و « الداعي » نصف شهرية يصدرعن الجامعة الاسلامية دار العلوم بديوبند ، و «الدعوة» من دلهي•

وجدير بالذكر أن المسلمين في جنوب الهند لهم مساعٍ مشكورة في مجال النشاطات الدينية والادبية والثقافية والاجتماعية • ولكن ، لسوء الحظ ، لا تنال هذه النشاطات في جنوب الهند ، خصوصاً في ولاية كيرالا Kerala ، شـــهرة تستحقها • وإن معرفة العرب بنشـــاطات مسلمي الهند تقتصر على شمال الهند ، ولا تتجاوزها الى جنوبها ، وهم لايعرفون شيئاً مذكوراً عن الخدمات الجليلة التي يقوم بها مسلمو كيرالا وسائر جنوب الهند في مختلف مجالات الثقافة الاسلامية والعربية • ومن يستطيع أن يُنكِر المساعي الجليلة الضخمة التي يتولاها مسلمو كيرالا ومنظماتهم المختلفة كجمعية « تعليم المسلمين » (Muslim Educational Society) و « ندوة المجاهدين بكيرالا » ، و « الجماعة الاسلامية الهندية بكيرالا »، واتحادات معلمي اللغة العربية في الحقول الثقافية والادبية والاجتماعية والتعليمية والدينية ؟

ولابد أن ينتهي هذه الاهمال ويملأ هذا الفراغ • وإني أرجو من كتّاب العربية في الهند والبلادالعربية أنيلتفتوا بأنظارهم الى هذا الجانب المغفلو يسدوا هذا الفراغ بمجهوداتهم الأدبية •

إي• كي• أحمد كتي
محاضر في قسم اللغة العربية
جامعة كاليكوت ــ كيرالا ــ الهند

في رثاء الاستاذ شفيق جبري

بكاك المجمع اللغوي حزنا*

الشاعر رياض المعلوف

الى روح الصديق الغالي والشاعر والأديب والبحاثة الكبير المغفور له الاستاذ شفيق جبري رحمات الله عليه .

عزيزٌ أنتَ عنديَ يا شفيق ... سميٌّ أخي ، ولي أنتَ الشقيقُ !
صفاتُكَ كلُّها أدبٌ ونبلٌ ... ووجهكَ دائماً أبداً طليقُ ..
وانكَ شاعرُ الفيحاء حقاً ... وشعركَ كلهُ لَبِقٌ رشيقُ !
تزاحمتِ المعاني والقوافي ... على شعر هو البحر الدفيقُ ..
جديد الشعر ممتهن غريبٌ ... وإن الشعر أعذبه العتيقُ !.
فإن فاخرتَ صار الشعر سيفاً ... وإن غازلتَ فالغَزَلُ الرقيقُ
ونثرٌ ... مثل نثر الورد صبحاً ... على خضر الربى .. نثرٌ أنيقُ !.
تجوهرُه وتنشره كعطرٍ ... فينعش قلبنا النفح العبيقُ
تركتَ الصحب والإخوانَ ، رفقاً ... بكل أخٍ يُجلّكَ يا صديقُ !
لماذا لم تودّعهم أجبني ... وكلّهم إليكَ هو المشوقُ
فهذي آفةُ الدنيا مماتٌ ... وحلْمٌ بعده .. لا نستفيقُ !.
ومهما المرء كان طويل عمرٍ ... سيمضي .. ليس إلاّها الطريقُ
فرحلتُنا إذن لا بدّ منها ... فريقٌ راح .. يتبعهُ فريقُ ...
طَموحاً كنتَ في الدنيا كثيراً ... عليكَ القبر كم هذا يضيقُ ؟!
بكاكَ المجمعُ اللغويُّ حزناً ... على تلك الشمائلِ يا شفيقُ
فهذي دمعتي في الشعر سالت ... عليكَ .. لأنك الرجل الخلوقُ !

زحلة ـ لبنان ... رياض المعلوف

---

* كان مجمع اللغة العربية قد نعى عضوه الراحل الاستاذ شفيق جبري في عدد مضى وقد وصلتنا هاتان القصيدتان في رثاء الفقيد .

حديث مع شاعر الشام الأكبر

الشاعر عبد الرحيم الحصني

سل الشـعر أي الاوفياء ترحَّلا ... وأي زمـان بالشـآم تبـدلا
وما خطب أشيـاخ البيان كأنهم ... أحـب من الفيحاء لاقوا وأجملا
وعهدي بهم ـ يا بارك الله لحنهم ... زئـيراً بحـب الغوطتـين مرتَّلا
أحـل روابي قاسـيون شموخهم ... محـلا بحبـات القلـوب مدللا
وأين عطـاء السيف مما تنـولوا ... بألحانهم في زحمة الخطـب عزلا

* * *

تمـر ببالي الذكريات ولم تـزل ... على بعد ذاك العهـد بالمجد حفَّلا
زمان اسـتبد الغاصبون وأظلمت ... منـائر عـزٍّ كن للنصـر مشعلا
وقد غامت الانداء في صبوة الضحى ... وشب الدجى ناراً بما الغدر أشعلا
وحول بنود الثأر هبـت سواعد ... وايمانهـا كان السـلاح المفضلا
هناك القوافي الغر كانت صواعقاً ... من العزم لم تترك لذي الظلم معقلا

* * *

أعد يا شفيق الامس للبال علَّنا ... نعود فقـد بتنا عن الثأر غفَّلا
حشود بأبواب الشـآم ومثلهـا ... بلبنـان ، والاقدام ما زال مهملا
وماذا يرجّي العرب ممن أذلَّهم ... وهل يأمل الصادي من النار منهلا
علام نمنّي النفس بالوهم ، والمنى ... سوى الجد لم تبسط لمن جد مأملا
اذا لانـت الايـام للمرء مـرة ... ولم يبـق منها للمحامد منـزلا

فيابعد ما استبقى ، ويابئس ما اجتنى ويا ويح مااستوفى،وياذل مااعتلى
ترام العلى من حيث يستعذب الفدا وهيهات للإحجام أن يصحب العلى

* * *

حنانيك لا تيأس من الشعر انما أرى الشعر أدنى للرشاد وأعدلا
من القول ما ينبو عن البوح سره وحاشاك أن تنسى الخفي وتجهلا
سألتك يوماً في بلودان .. لمحة فلم ألق أوفى منك رأياً وأشملا
وكان حديث ذو شجون سمعته سقته الثمانون الخصاب فأسبلا
فيا ليت قومي يعلمون من الذي تعهد حقداً هدمهم وتكفلا

* * *

ذر الهم وامنحني من العلم نفحة ومن حق مثلي أن يلوذ ويسألا
فماذا وراء الغيب عمن نحبهم أما استوطنوا من ذروة الخلد موئلا
وما حال ـ خير الدين ـ لما التقيتما وعهدي به ان شاهد الصحب هللا
وأنور ـ هلا استنفر الشعر وانبرى يحيي بك الشعر الندي المحجلا
كأني من خلف الغيوب أراهما يمدان ورداً للشفيق ومخملا
على حين رواد البيان كأنهم سوار أحاطوا ـ بالخليل ـ تعللا
وما هو عما يسألون براغب ولا هم رأوا عن نبعه الثر معدلا
ومن سدة الابداع ينهض منشدا لقد زنت أفياء وآنست محفلا

* * *

سماحاً فقيد الفكر ماأضيق النوى بياناً ، وما أوهى اللسان المكبلا
أعرني بريقاً من سناك تر الذرى على الكبر ـ تستجد من الشعر هيكلا
فديتك مالي في البيان وللدنى اذا كان لحني من صداك مسلسلا
يتاماك في كل الصدور شوارد تشعّ إباءً للقلوب مؤثلا

خذالعهد من قلب عن العهد ماانثنى ... ولا حاد عن اكـرامه أو تحوّلا
سأبقى على الدرب الذي كان ضمّنا ... ولو كنت وحدي بالمسير موكلا
ونحن بقـايا الامس منذ اعتناقنا ... هوى الشعر لم نعرف عن الخير معزلا
حملنا هموم النـاس حباً وهمّنا ... وفاء لحب الناس ما زال مهمـلا
سقـاة ظمـاء قانعـون وحسبنا ... من العمر أن نعطي الحياة ونعملا
أرادت لنـا الايام ما لا نـريده ... فلا نحن عاتبنا ، ولا الدهر أجملا

* * *

فيا مشرق الامجـاد يا شـام انني ... بسطت شجوني تحت جنحيك مثقلا
ألامُ على حبي وأعـذل راضيا ... وحسبي عـزاً أن ألام وأعـذلا
ويا بردى الاحبـاب لا بتّ باكياً ... فكم من شـجي من نداك تعلـلا
هنا الشعر يُستوحى هنا الحب يجتنى ... هنا المجد يستسقى هنا النصر يجتلى
معاذ الهوى ما دمت بالحب عاقدا ... عليـك رجائي أن أضن وأبخـلا
ويا باني الاجيـال علمـاً نذرته ... لرد عوادي الجهـل عنهم تنفـّلا
غدا يسـأل التاريخ ما نلت منهم ... وما خلق التـاريخ إلاّ ليسـألا

* * *

حمص : عبد الرحيم الحصني

التعريف والنقد

في شعر النابغة الذبياني

الاستاذ محمد يحيى زين الدين

أصدرت دار المعارف بمصر مؤخرا ديوان النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم . ولاريب أن هذه المطبوعة أتم وأوفى من المطبوعات الاخرى اذ اعتمد المحقق على عدة نسخ خطية ، ثلاث منها بشرح الأعلم الشنتمري[1] ورابعة بشرح أبي بكر البطليوسي وأخرى بشرح ابن السكيت[2][3] إلا أن عمله هذا لم يخل من بعض المآخذ والهنات التي نعرضها فيما يلي :

---

(١) منه عبارات شتى في ديوان النابغة بشرح أبي بكر البطليوسي ـ ضمن خمسة دواوين من أشعار العرب ـ ص ٢٦/٣ ، ١/٤ ، ٢٠/٥، ٢٤ ، ١١/٦ ، ١٣/٨ ، ٢١ ، ٣/٩ ، ٢١ ، ١٦/١٢ ، ٢١ ، ٣/١٣ ، ٢٨ ، ١/١٥ ، ٣ ، ٨، ١٣ ، ١٥/١٧ ، ٣/١٨ ، ٢٤/١٩ ، ١/٢٠، ١٨/٢١ ، ١٤/٢٢ ، ٢٤ ، ٢٩/٢٣ ، ١٠/٢٤ ، ٢١/٢٥، ٢١/٢٦ ، ٢٣/٢٧ ، ٢٩ ، ٣/٢٨، ١٨ ، ٢٤ ، ٦/٣٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤، ١/٣١ ، ٦ ، ١٣ ، ٣/٣٢ ، ٢٧ ، ١/٣٣ ، ١٥/٣٤ ، ٢٤ ، ١٣/٣٥ ، ٢٩ ، ٢/٣٧ ، ١٣، ٤/٣٨ ، ١١ ، ٢٧/٣٩ ، ٢٩ ، ٣/٤٠، ١٣ ، ٢٢ ، ١٠/٤٢ ، ٢٥ ، ١/٤٣ ، ٤ ، ١٨/٤٧، ٢٠ ، ٢٦/٤٩ ، ٢٥/٥٠ ، ٨/٥١، ١/٥٢ ، ٣ ، ٢٩/٥٦ ، ١٦/٥٨ ، ٥/٦٠ ، ٢٤، ١٦/٦٢ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ١٣/٦٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ١٠/٦٨ ، ١١ ، ١٦ ، ٢٩/٧٠ ، ٢٥/٧١، ٢ / ٧٥ ، ٧ ، ٢٣ / ٧٦ ، ٢٦ ، ١/٧٧ ، ١/٧٨ ، ٣ واللسان (قعا) .

(٢) منه عبارات شتى في المصدر السابق ص ٢٨/٧ ، ٢٢/٤٠ ، ١٠/٤٢ ، ١٧/٥١ ، ٤/٥٤ ، ٢٤ ، ٢٤/٥٥ ، ٢٥/٦٧ ، واللسان (شمت)، (قمح) ، (بعد) ، (فرد) ، (سفسر) ، (ضمر) ، (خلص) ، (قضض)، (رفع) ، (طوع) ، (سجف) ، (صرف)، (أمم) ، (حكم) ، (حمم) ، (ظلم) ،(رثعن) ، (عكا) ، (مشي) ، ومعجم البلدان (أقر) ، (الجمومان) ، (حامر) ، (حدد)،(دوار) ، (عاقل) ، (الكوائل) ، والتكملة (خلص) .

(٣) كان طبع هذا الشرح منذ سنوات بتحقيق د. شكري فيصل ونشرته دار الفكر في بيروت

١ ـ تعليقات على تحقيق الديوان :

● إنه كثيراً مايغفل الاشارة الى رواية الاصول أو يتصرف فيها دون ما اشارة الى مصدر الرواية التي يأخذ بها • وقد يخطيء في نقل الروايات أو عزوها أو يأتي ببعض الاختلافات في رواية بيت واحد ويذر بعضها الآخر كالذي تراه فيما يلي :

١ ـ ق/١:٦[1] فيما عدا الأعلم « أضحت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا » • كذا ورواية التبريزي مخالفة لما ذكر المحقق وهي « أضحت ••• وأمسى ••• » •

٢ ـ ق/١ : ٣٠ ابن السكيت « زَيَّنها » • كذا وانما هي رواية البطليوسي • أما رواية ابن السكيت فهي « فَنَّقها » وهي كذلك رواية التبريزي •

٣ ـ ق/١ : ٣٨ ابن السكيت والتبريزي « بين الغِيلِ والسَّعَدِ » كذا وهي توافق رواية الاعلم فليس ثمة داع لذكرها في تحقيق رواية الديوان

٤ ـ ق/٢:٩ ابن السكيت « وقد حال هَمّ دون ذلك داخِل" » • وتمام الرواية « ••• دخول الشّغاف ••• »•

٥ ـ ق/٢:١٣ البطليوسي: ابن السكيت: «تُراسلهم عَصراً وعصراً تُراجعُ» • كذا وانما رواية البطليوسي «تُطَلّقه طَوراً وطَوراً تراجع» وهي توافق رواية الأعلم •

٦ ـ ق/٣:١٠ ابن السكيت « أبصرتَ فوقَهم » كذا وتمام الرواية « ••• ماغزا •• أبصرت فوقهم •• »•

(١) الرقم الاول للقطعة والثاني للبيت •

٧ ــ ق/٣:٢٠ ابن السكيت « تخير من أزمان » كذا وانما الرواية « تُخيّرنَ من أزمان ••• »

٨ ــ ق/٤:٤ ابن السكيت

قاد الجيوشَ من البلقاءِ ما طَعِمت   في منزل طعمَ يومٍ غير تأويب

كذا وانما الرواية : قاد الجياد ••• طعم نوم ••

٩ ــ ق/٤:٩ ابن السكيت « دعاءُ حيّ » وتتمة الرواية « إذ ينبهه •• دعاء حي ••• »

١٠ ــ ق/٦:٣ ابن السكيت « بشطيّ نخلةَ » وتمام الرواية « والبائعات بشطي ••• »

١١ ــ ق/٦:٤ ابن السكيت

غرّاء أكملُ من يمشي على قَدَمٍ   جسماً وأحسنُ من حادثتَه الكلِما

كذا وانما الرواية « حاورته ••• »

١٢ ــ ق/٦:١٥ ابن السكيت « من صوت حِرمية » • وتتمة الرواية « ••• قالت وقد رحلوا »

١٣ ــ ق/٦:١٨ ابن السكيت « تخاف الرامي اللحِما » كذا وتتمة الرواية « وانشق »

١٤ ــ ق/٦:٢٢ ابن السكيت « مقابلَ الريحِ » وتتمة الرواية « ••• وكلكلَهُ »

١٥ ــ ق/٧:١٩ ابن السكيت « وأصحَبهُ فلجا » كذا وتتمة الرواية « ••• فلا زال كعبه ••• »

١٦ ــ ق/٨:٦ ابن السكيت « اذا ما لقيتهم » كذا وتمام الرواية « ملوك وأقوام اذا ما ... »

١٧ ــ ق/٩:٨ ابن السكيت « تقيّدُ العَيرَ عن شَدٍّ وتكرار » كذا وتتمة الرواية « فموضعُ البيتِ في صَمّاء مظلمةٍ »

١٨ ــ ق/١٠:٤ ابن السكيت « أن تُقذِعوني » وتمام الرواية « ولم ... أن »

١٩ ــ ق ١٠:/٦ ابن السكيت « بساحتِهِ عوانٌ .. » كذا وتتمة الرواية « ينزل ... »

٢٠ ــ ق/١١:١٢ ابن السكيت « أولو بأس »كذا وانما الرواية « يوم الحِفاظ أولو بأس ... »

٢١ ــ ق/١٣:٢ ابن السكيت « لما تزل برحالنا »كذا وانما الرواية « برحالها »

٢٢ ــ ق/١٣:٣٤ « لم يرد في رواية ابن السكيت » . كذا وهو في رواية ابن السكيت ص ٤١ .

٢٣ ــ ق/١٣:٣٥ ابن السكيت «ويكادُ ينزِعُ جلدَهُ من مَلّةٍ..»

كذا ذكره المحقق على أنه رواية أخرى للبيت ٣٥ . وليس هذا البيت في رواية الأعلم وانما هو من زيادات ابن السكيت وموضعه بعد البيت ٣٢

٢٤ ــ ق/٢٢:٢٧ ابن السكيت « ولا تزال ريحانٌ ومسكٌ يشوبُهُ » كذا وانما الرواية « ولا زال »

٢٥ ــ ق/٢٦:١ البطليوسي وابن السكيت « ببرقة نُعميٍّ فذاتِ

الأجاول » كذا وانما رواية البطليوسي « بروضة نُعميّ ... » وهي توافق رواية الأعلم وليس ثمة داع لذكرها في تحقيق رواية الديوان .

● وقد يغفل عن ذكر الرواية في بعض الابيات على مخالفتها لرواية الاصل كالذي نلحظه في الامثلة التالية :

١/٢	أُصَيْلالا	س[1]
١/١١	سرت	ط
١/١٣	بَرِيّـات	س
١/٢١	وما أحاشي	س.ت
١/٢٨	المئةَ الأبكار	س.ت
١/٣٠	والساحبات	ت
١/٣١	تَنزِعُ	س
١/٣٢	واحكم ... سِراعٍ	س.ت
١/٣٢	احكم بحكم	ط
١/٣٥	زعمت	س
١/٣٨	تمسحها	ت.ط
١/٤٠	على كبدي	ط
١/٤١	نبئت	س
١/٤٤	اذا جاشت غَوارِبُهُ	س.ت
١/٤٤	أواذِيّهُ	س.ت.ط
١/٤٥	حُطامٌ	س.ت

(١) الرقم الاول للقطعة والثاني للبيت . أما (س) فهي رمز الى رواية ابن السكيت ،كما ترمز (ط) الى رواية البطليوسي و (ت) الى رواية التبريزي . أي ان رواية ابن السكيت للبيت الثاني من القطعة الاولى أصيلاً كي وهي تخالف بقية الاصول .

١/٤٨	لقائله	س•ت
١/٤٨	فما عرضت	ت
١/٤٩	ها إن تا •• قد تاه في البلد	س•ت
٢/١٠	والضواجع	ط
٢/٢١	حلفت ولم	ط
٢/٢٧	بقــول	س
٢/٣١	فأنت	س
٣/٦	التي عند حارِب	س
٣/٨	قد غزا •• بغسانَ غسَّانِ الملوك الأشايبِ	س
٣/٩	بنــي عمــه	س
٣/١٨	تطــير	ط
٣/٢٠	أنهــار	ط
٣/٢٦	يحبيهم	س•ط
٤/١٣	أو مـُوثَقٍ	ط
٥/١	أوابــدَ	س
٥/٣	أعلمت •• إذ جاريتني •• •• فما خططت	س
٥/٥	آلفٌ	س
٥/٦	محقبــو	س
٥/١٢	يدعو وليدُهـُمُ بها	س
٥/١٣	الضجاج	س
٥/١٤	والقومُ غاضِرَةٌ	س
٥/١٦	تحــت	س
٥/١٧	خـَرَزُ الجـَزيزِ	س

٥/١٩	جمـع	س،ط
٥/٢١	بنو ذبيـان	س
٥/٢٨	فنكحـن	س
٦/١٠	صُهباً ظِماء	س
٦/١١	أمـر	س
٦/١٥	من صَوتِ	ط
٦/١٦	إن البـين	ط
٦/١٩	أسافِلها ... مثل	س
٧/٢	مابربّها ... لم يجدن	س
٧/٣	أفعل الدهر	ط
٧/٩	أحراسـا	س
٧/١٤	يُخال	ط
٧/١٧	وقد لقيـت	س
٧/٢١	يبيـد	ط
٧/٧	في مثـل	س
٨/١٠	فإنك	س
٨/١٠	لأنك	ط
٨/١١	فلست	س
٨/١٢	غضبـانا	س
٩/٥	حلوا العَضاريط	ط
٩/١٤	قد عيَّرتني	س
١١/٢	وما نُريد	س
١١/١٢	في تجاوُلِنا	ط

١٣/١١	بين الكُمــاة	س
٣/١٢	قعودٍ على	س
٥/١٢	وهم ألحقوا	س
٧/١٢	وما أنا من سهم •• عوف بن سعد	س
٨/١٣	ولقد أصابت قلبــه	س
١٠/١٣	تزيَّن	ط
٢٥/١٣	عقــدَها	س•ط
٣٠/١٣	أخشــَم	س
٣٤/١٣	يجوز ••• يجوز	س•ط
٣٤/١٣	اذا استقى صَدراً	س
٣/١٤	بالجراجر	س
٤/١٤	نخل القرى	س
٥/١٤	من الطالبات	ط
٨/١٤	هم طرّفوا	س•ط
٢/١٥	جللهم	ط
٢/١٦	نصــرك	س
٣/١٦	عيرتني النسب الكريم ••• ظفر	س
٤/١٦	ضبَّــة	ط
٢/١٨	فإني لا ألومك في	س
٤/١٩	تَقَضَّبَ منهــا	س
٥/١٩	ولو كان	س
١/٢٠	إن يك	س
٣/٢٠	بقولك	ط

٢٠/٤	وإنك	ط
٢٠/٦	فما إن ذاك عن	س
٢١/٣	بحسبك	س
٢١/٦	ثم صـــددت	ط
٢٢/٣	وقد مر دونها	س
٢٢/١١	قيس وذهلها .. السواحلُ	س
٢٢/١٢	غالني .. لروعتها	ط
٢٢/١٦	تحُثّ	ط
٢٢/١٧	يجهلون	ط
٢٢/٢٢	منهلٌ	ط
٢٢/٢٥	وآب	س
٢٣/٤	كأن مَفيضهنّ	س
٢٣/٤	سلحت دموعي	ط
٢٣/٦	سأبديه إليــك	س
٢٣/٨	يشــفي	ط
٢٣/٩	وتعين .. ويربوع	ط
٢٣/١٩	وقد زحفوا	ط
٢٣/٢٢	رُفعــن	س
٢٤/٣	أبيــسَ	ط
٢٤/٥	تستضيءُ	س
٢٤/١٩	ويَعمِد للجليلاتِ العظامِ	س
٢٤/٢٠	في السهام	س
٢٤/٢٢	من حَرام	س

٢٤/٢٦	يقربه لهم	س
٢٥/٥	بذات المرابد	س
٢٥/٩	ويُخططن	ط
٢٦/٧	مدت	ط
٢٦/١٣	وآرام	ط
٢٦/١٤	والكواتِل	س
٢٦/٢٠	تَتَلَّع	ط
٢٦/٢١	شواذبَ ••• زال	ط
٢٦/٢٣	تنحطّ في أسلابها	ط
٢٦/٢٥	مقرّنة بالأُدمِ والعيسِ كالقطا	س
٢٦/٢٦	كلّ قَمصاء	ط
٢٦/٢٧	إضــاء"	ط
٢٦/٢٩	يسُحّان	س
٢٧/٢	فأمواه الربى	ط
٢٧/٧	كأن كساءهن	ط
٢٧/٨	حالُ أهل الدهر حالي	ط
٢٨/٨	لم تزجروا •• ولم	س
٢٨/٢	لن تزجروا ••• لودي	ط
٢٨/٣	وأبنـــاء	ط
٢٨/٨	وافـــرا	س
٢٩/١	فضّت	ط
٢٩/٤	جــرد"	ط
٢٩/٥	عقبـــا	ط

٧/٢٩	إلفها يوما وراكبها	س
٩/٢٩	لولا الإمام	ط

أو أنه يخطىء في قراءة النص أو فيما ينقله من الشروح مما أفسد الكلام وأحاله . فقد أثبت شرح البيت الثالث من القطعة ٣٣ ص ١٦٦ : « هند بنت عمرو آكل المرار الكندي » . وانما عبارة ابن السكيت « هند بنت الحارث بن عمرو ... » . ومثله أيضا ماجاء في شرح البيت الرابع من القطعة ذاتها : « يقول آباؤه منسوبون بالفضل والكرم » وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت : « يقول آباؤه مقدمون منسوبون ... » وثمة بعض الامثلة الاخرى مثل :

ص ١٥/١٧٠ « وهي تُوطَأُ وتقطعها الغنمُ بأظلافِها ».والصواب « وتقلَعُها » . ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ١٤١ .

ص ١٩/١٧٠ « ويروى : جمعوا » . وتتمة العبارة : مُشَدَّدا . المصدر السابق ١٤٢ .

ص ٢٣/١٧٠ « والرَّبذةُ التي يطلى بها البعير » كذا وتتمة العبارة « والربذة : الخِرقة التي ... » . المصدر السابق ١٤٢ .

ص ١٦/١٧٥ « مَظَنَّةٌ كلب حيث يظنّون ، يقال : موضع مظنة كلب : حيث يظنون ... » . كذا والصواب « مظنة كلب حيث يظنون يقال موضع كذا وكذا ... » المصدر السابق ١٧٣ .

ص ١٠/١٨٢ « الدعائم : الاساطين » كذا وتتمة العبارة « الاساطين والأعلام » المصدر السابق ١٨٥ .

ص ١١/٢٠٤ « ويروى نَغبَّار» ، أي : واسع » كذا وتتمة العبارة (ثم « اثنى » على الإدغام) • المصدر السابق ٢٣٨ •

ص ١٥/٢١٣ « اذا انصرف عنه بوده » • كذا والذي في الاصل « عنك » • المصدر السابق ٢٤٨ •

ص ٢١/٢١٦ « وإن عنى قرنه » • كذا والصواب « وإنما » المصدر السابق ٢٥٥ •

كما فات المحقق أن يثبت شرح البيت ١٢ من القطعة ٤١ ، وشرح البيتين ٢٢ ، ٢٦ من القطعة ٦٥ وهي على التوالي:

« أي اذا صاحت قالت : قطا قطا ، واذا دعيت قيل لها كذلك ، فما أصدقهن اذ يدعونها وأصدقها اذ تدعوهن » • المصدر السابق ١٧٧ •

« العَلَنداة والعَلاةُ : الصلبة ، شبهها بسندان الحداد • مناقلة : تضع رجليها مكان يديها•والوعث غير المستوي» • المصدر السابق ٢٣٦ •

« يروى من وحش وَجرة ، وتعشار أرض معروفة » • المصدر السابق ٢٣٦ •

٢ ـ نقد ذيل الديوان : الشعر المنحول

● تضمن ذيل الديوان طائفة من الشعر المنسوب الى النابغة مما لم يرد في النسخ المعتمدة • غير أن المحقق لم يلتزم في ترتيبها حركة الروي بدقة كما لم يذكر خلاف الرواية في تلك الابيات وما يرجح نسبتها الى النابغة أو ما يقطع بنفيها عنه • كذلك أثبت المحقق في هذا القسم عددا من

الابيات التي وردت ضمن بعض قصائد الديوان ومقطعاته كما يتضح في الامثلة التالية :

● كأنَّ مُدامةً من بيت رأسٍ يكونُ مزاجَها عسلٌ وماءُ

وليس البيت للنابغة وانما هو لحسان بن ثابت وبعده :

على أنيابها أو طعمُ غضٌّ من التفّاح هصَّرهُ اجتناءُ

ديوانه ١٧ ، واللسان (سبأ) ، (رأس) ، (جني) ، ومعجم البلدان (بيت رأس) ، والكامل ٧٣ . والرواية : خبيئة .

● سألتني عن أناسٍ هلَكوا أكلَ الدهرُ عليهم وشربْ

والبيت مغير من شعر النابغة الجعدي والرواية : شرب الدهر عليهم وأكل .

ديوان النابغة الجعدي ٩٢ ، واللسان (أكل) ، (طرب) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٨٠٧ ، والمعاني الكبير ١٢٠٨ ، وأمالي المرتضى ١/٩٦ ، والمنازل والديار ٤٦٥ ، والحماسة البصرية ١/٢٧٢ .

● بعاري النَّواهق صَلت الجبيـ ـن يستنّ كالتيس ذي الحُلَّبِ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ١٦ ، واللسان (نهق) ، والتكملة (حلب) ، والمعاني الكبير ١١٩ ، ١٥٢ . وهو في اصلاح المنطق ٣٩٩ ، والمخصص ١٣/٢٢٦ ، وتهذيب اللغة ٥/٤٠٣ دون نسبة .

●لعمري لنعم المرءُ من آل ضجعمٍ نزورُ[1] ببصرى أو ببرقةِ هارب
فتىً لم تلدهُ بنت أمّ قريبةٍ فيَضوى وقد يَضوى سليلُ الاقارب

(١) في الديوان : نزورٍ . والصواب ما اثبت .

والبيتان في معجم البلدان (برقة هارب) ، والثاني منهما في اللسان (ضوا) ، (ردد) وأساس البلاغة (ضوى) دون نسبة.

● من يطلب الدهر تدركهُ مخالبهُ — والدهر بالوترِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما من أناس ذوي مجدٍ ومكرمةٍ — إلاّ يشدّ عليهم شِدّةَ الذيبِ
حتى يبيت على عمد سَراتُهمُ — بالنافذات من النبل المصابيب
إني وجدت سهام الموت معرضةً — بكلّ حتفٍ من الآجال مكتوبِ

الابيات الاربعة للنابغة الشيباني . وهي في ديوانه ص ٧٤ ضمن قصيدة مطولة مطلعها :

بان الخليط فشطّوا بالرّعابيبِ — وهن يُؤْبَنَّ بعدالحسنِ بالطّيب

والرواية : ما .. ، هل .. أولي .. ومأثرة ، يصيب .. خيارهم .. المصائيب .. معدنها .. حتم ..

● ألاإنّمانيرانُ قيسٍ اذا شتَوْا[1] — لطارق ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحبِ

والبيت للقطامي ، ديوانه ٥٠ ، وزهر الآداب ٣/٧٢ ، والشعر والشعراء ٢/٧٢٦ ، وبهجة المجالس ١/٥٢٢ . وهو في المخصص ١١/٢٨ دون نسبة .

●فساقانِ فالحُرّانِ فالصّنع فالرجا — فجنبا حِمىً فالخانقانُ فحَبْحبُ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ٥ ، ومعجم ما استعجم ١/٤١٩ ، وهو في اللسان (حرر) دون نسبة .

● . . . . — وسُفعٌ على آسٍ ونُؤْيٌ مُعَثْلَبُ

(١) في الديوان : المصاصيب . والتصحيح من التوضيح والبيان ص ٩٦ .

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان وصدره :

فلم يبق إلاّ آلُ خَيمٍ مُنَصَّبٍ ...

وهو البيت الخامس من القطعة السادسة في ديوان النابغة (ص ٧٤ ـ مطبوعة بيروت) . وهو كذلك في الديوان ص ٢٤١ ، واللسان (خيم) ، والتاج (ألل) ، والشطر الثاني منه في اللسان (نأي) . وانظر أيضا تهذيب اللغة ٣/٣٦١ ، ٧/٦٠٨ ، ١٣/١٣٨ ، ١٥/٥٤٣ .

● أضحت يُنَفِّرُها الولدانُ من سبأ　　كأنهم تحت دَفَّيها دَحاريجُ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ٢١٧ ، وكتاب سيبويه ٢/٢٨ . وهو في اللسان (سبأ) ، والمخصص ١٧/٤٣ دون نسبة .

● واستبق وُدَّكَ للصديق ولا تكن　　قَتَباً يعضّ بغاربٍ مِلحاحا
واليأسُ ممّا فات يُعقبُ راحةً　　ولرب مَطعمةٍ تعود ذُباحا
يَعِدُ ابنَ جفنة وابن هاتك عرشه　　والحارثين بأن يزيدَ فلاحا
ولقد رأى أنّ الذي هو غالهم　　قد غال حمْيرَ قبلها الصبّاحا
والتُّبّعين وذا نواسٍ غُدوةً　　وهلا أذينةَ سالبَ الانواحا

والبيتان الاولان منها في الديوان ص ٢٠٠ ، والاول منهما في الشعر والشعراء ١/١٦١ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٨ ، وحماسة البحتري ٧٢ ، والثاني في ص ١٦٥ ، وفي أساس البلاغة (ذبح) ، وفي جمهرة الامثال ١/١٦ ، ٤٩٢ ، ٢/٢٤٩ ، والشطر الثاني منه في اللسان (ذبح) ، وتهذيب اللغة ٤/٤٧٢ دون نسبة . والبيتان الرابع والخامس في ص ٩٥ من الحماسة أيضا .

● . . . .　　وماهُريقَ على غَرِيّكَ الضَّمَدُ

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان بضم الدال ، والصواب كسرها، وصدر البيت :

فلا لعمرُ الذي قد زرتهُ حِججاً • • • • • • •

التكملة (ضمد) • وهو البيت السابع والثلاثون من القطعة الاولى في ديوان النابغة ص ١٩ ـــ مطبوعة بيروت ـــ والرواية : على الانصاب من جسد ، وكذا في اللسان (هرق) أما رواية الأعلم فهي:

فلا لعمر الذي مَسَّحتُ كعبتَهُ وماهُريقَ على الأنصاب من جسد

الديوان ص ٢٥

● متى تأته تعشو الى ضوءِ نارهِ تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ موقِدِ

والبيت للحطيئة • وهو في ديوانه ١٦١ ، واللسان (عشا) ، واصلاح المنطق ١٩٨ ، وتهذيب اللغة ٣/٥٦ •

● ياعام لا أعرفك تُنكر سُنَّةً بعد الذين تتابعوا بالمَرصَمَدِ
لو عاينتك كماتُنا بطُوالةٍ بالحَزوَرِيَّةِ أو بلابةِ ضَرغَدِ
لثويتَ في قِدٍّ هنالك موثقاً في القومِ أو لثويتَ غير موسَّدِ
ملكٌ يلاعبُ أمَّهُ وقَطينَهُ رَخوُ المفاصل أيرُهُ كالمِرودِ

الابيات الثلاثة الاولى في معجم البلدان (حرة ضرغد) ، والبيت الرابع في الاغاني ٩/١٥٨ ، والشعر والشعراء ١/١٦٥ ، وفي الاغاني : « ••• أن عبد القيس بن خفاف التميمي[1] ، ومرة بن سعد بن قريع السعدي عملا هجاء في النعمان على لسانه و[2]أنشد النعمان منه أبياتا

(١) في ديوان النابغة ص ١٧٠ : البرجي •
(٢) في الاغاني : أو

يقول فيها : ملك يلاعب ... » . وهو في الاغاني ٢١/١٣١ للمتلمس وكذا في ديوانه ١٤٧ ، وهو في ص ٥٢ ، ٥٧ من ديوان المتلمس منسوبا الى طرفة بن العبد ولكني لم أجده في ديوانه .

● فأضحت بعدما فَصلت بدارٍ شَطُونٍ لا تُعادُ ولا تعودُ

والرواية وصلت . والبيت للنابغة الشيباني ضمن قصيدة مطولة مطلعها :

أتصرمُ أم تُواصلكَ النَّجودُ وليس لها وإن وصلتكَ جُودُ

ديوانه ٣٤

● أو أضع البيت في سوداء مظلمة تُقيِّدُ العَيْرَ لايسري بها الساري

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان وهو البيت الثامن من القطعة التاسعة في الديوان ص ٧٦ . وانظر كذلك اللسان (رمح) ، (خرس) ، (وطأ).

● فلمَّا أبى أن يَنقصَ القَودُ لحمه نزعنا المَريدَ والمديدَ لِيَضمُرا

والبيت للنابغة الجعدي ، وهو في ديوانه ٤٧ ، والتكملة (مرد)، والمعاني الكبير ١٤٣ ، وتهذيب اللغة ١٤/١١٨ ، ٤٣٠ .

● ترى الرَّاغبين العاكفين ببابه على كل شيزى أُترعت بالعراعرِ
وهم ضربوا أنف الفَزاريِّ بعدما أتاهم بمعقودٍ من الامر قاهرِ
أتطمعُ في وادي القرى وجنابهِ وقد منعوا منهُ جميعَ المعاشرِ

كذا أثبتها المحقق على أنها قطعة واحدة . والبيت الاول في نضرة الإغريض ٨٩ ، وهو من أبيات القطعة ٤٠ ص ١٧٥ وبعده :

له بِفِناء البيت دهماءُ جَونةٌ تَلَقَّمُ أوصالَ الجَزورِ العُراعرِ

أما البيتان الآخران فهما من أبيات القطعة ١٤ ص ٩٨ وقبلهما :

وهم قتلوا الطائي بالحِجْرِ عَنوةً أبا جابرٍ واستنكحوا أمَّ جابرِ

معجم البلدان (القرى) .

● المرءُ يأملُ أن يعيـ ـشَ وطول عيشٍ قد يضُرُّه
تفنى بشاشتهُ ويبـ ـقى بعد حُلو العيش مُرُّه
وتخونه الايّامُ حـ ـتى لا يرى شيئاً يسرُّه
كم شامتٍ بي إنْ هلَكـ ـتُ وقائلٍ للهِ دَرُّه

والابيات للنابغة الجعدي ، وهي في ديوانه ١٩١ ، والأمالي ٢/٨، وأمالي المرتضى ١/٢٦٦ ، وحماسة البحتري ٩٥ . وهي في الوحشيات ١٥٥ ، وأمالي الزجاجي ١١١ ، وحماسة الظرفاء ٢/٥٥ دون نسبة. والابيات ١ــ٣ في ديوان أبي العتاهية ٢٠٩ . على أنها نسبت الى لبيد بن ربيعة في في بهجة المجالس ٢/٢٣٣ .

● فلو شاءَ ربي كان أيْرُ أبيكُمُ طويلا كأير الحارثِ بن سَدوسِ

والبيت للسرادق السدوسي كما في التكملة (أير) وقبله :

أغاضبةٌ عمرو بن شيبان أن رأت عَديدي الى جُرثومةٍ ودَخيسِ

وهو في اللسان (أير) ، (هنأ) ، (نطق) ، وجمهرة الامثال ٢/٢٥٤ وتهذيب اللغة ١٥/٣٢٩ دون نسبة .

● . . . . تنابلةٌ يحفرون الرساسا

كذا أثبته المحقق عن اللسان (رسس). ولكنه لم ينسب فيه الى النابغة الذبياني وانما نسب الى النابغة الجعدي وهو في ديوانه ٨٢ وصدره :

سبقتُ الى فَرَطٍ ناهلٍ . . . . . .

● اذا أنا لم أنفعْ خليلي بوده فإنّ عدوي لا يضُرُّهمُ بغضي

والبيت للنابغة الشيباني ، وهو في ديوانه ١١٧ ضمن قصيدة مطلعها:

ألا طرقتنا بالقَرينين مَوهِناً وقد حَلّ فيعينيّ من سنتي غمضي

والرواية : صديقي ... لم ...

● تَعصي الإلهَ وأنت تظهرُ حبّه هذا لعمرُكَ في المقال بديعُ
لو كنتَ تصدق وُدّه لأطعتَه انّ المحبّ لمن يُحب مُطيعُ

والبيتان لمحمود الوراق . وهما في بهجة المجالس ١ / ٣٩٥ ، والتمثيل والمحاضرة ١٢ ، والكامل ٢٢٥ ، والعقد الفريد ١٤٩/٣، وزهر الآداب ٨٩/١ ، وهما في المحاسن والاضداد ١٠٤ لذي الرمة وعنه أثبتهما المحقق في ذيل ديوانه ص ٢٣١ . وهما في المحاسن والمساوىء ٣٥٤ لاسماعيل بن القاسم . وفي بهجة المجالس : « قال محمود الوراق ، وتنسب الى الشافعي » وبعدهما :

في كلّ يوم يبتديكَ بنعمةٍ منهُ وأنت لشكرِ ذاكَ مُضيعُ

● وعُرِّيتَ من مالٍ وخيرٍ جمعته كما عُرّيت مما تُمِرّ المغازلُ

وليس البيت للنابغة وانما هو للاعشى وهو في ديوانه ١٨٥ ضمن قصيدة مطلعها :

أقيسَ بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤٌ ترجو شبابكَ وائلُ

وهما أيضا في حماسة ابن الشجري ٩٤٩/٢ ، والبديع ٧٠ ، والرواية ... من وفر ومال ...

● يميح بعود الضَّرو إغريض بغشة جلا ظَلمَهُ ما دون أن يَتَهَمَّما

والبيت في مجالس ثعلب ٢/٥٦٦ ، وهو في اللسان (ميح) دون نسبة . والرواية : تميح ، فإنه يصف امرأة تستاك بعود الضرو .

● قد خادعوا حلَماً من حرَّة خُلُق حتى تبطّنها الخدّاع ذو الحلَم

كذا أثبته المحقق والصواب : .. جلما عن .. كما في ص ١٨٥ من الديوان .

● ألمم برسم الطَّلل الأقدم بجانب السَّكران فالأيهم
دارُ فتاة كنت ألهو بها في سالف الدهر عن الأَخرم[1]

البيتان في معجم البلدان (الأيهم) .

● ولست بداخرٍ أبداً طعاماً حذارَ غدٍ لكل غد طعامُ
تمخضت المنونُ له بيومٍ أتى ولكل حاملة تمامُ

والبيتان في الديوان ص ١٠٦ ، ٢٥٠ . وأثبتهما المحقق في ذيل الديوان ص ٢٣٢ مرة أخرى . والاول منهما في سمط اللآلي ١/٩٠ ، والكامل ٩٠ ، وديوان أوس بن حجر ١١٥ ، وديوان حاتم ٣٠٤ . وفي الكامل: « ويروى للنابغة [هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه في كلمة لم يعرفها الاصمعي] ولست بداخر ... » .

والبيت الثاني في اللسان والصحاح (مخض) لعمرو بن حسان وقبله ثلاثة أبيات أخرى . وفي التكملة (مخض) : « هكذا أنشد الابيات أبو محمد السيرافي لعمرو بن حسان ويروى لسهم بن خالد بن عبد الله

(١) في الديوان : الاخدم . والتصويب من معجم البلدان واللسان

الشيباني ، ولخالد بن حق الشيباني أنشدها لهما على الشك أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في ترجمتهما على التمام وهي...» . والبيت الثاني في الاختيارين ص ١٦٥ للحارث بن مسهر الغساني ضمن أبيات كثيرة ، وهو في تهذيب الالفاظ ٣٤٦ والمجمل ١/٢٣٥ دون نسبة والرواية : أنى .

● وأعيارٍ صوادرَ عن حُماتي لبين الكَفرِ والبُرَقِ الدَّواني
ألا زَعَمت بنو عبس بأنّي ألا كَذَبوا كبير السن فاني

والاول منهما في الديوان ص ٢٥١ ، ومعجم البلدان (حماتي) . أما البيت الثاني فهو للنابغة الجعدي وهو في ديوانه ١٦٢ ، والبديع ٦٠ ، والمعمرين والوصايا ٨١

● كأنك من جمال بني أُقيش يُقعقَعُ خلف رجليه بشَنِّ

وفي الحاشية : « من زيادات ابن السكيت ، وانظر ص سبق ذكره في الديوان برواية ابن السكيت » . كذا وليس البيت من زيادات ابن السكيت وانما هو في رواية الاعلم — ص ١٢٦ من الديوان — وانظر أيضا اللسان (خدر) ، (أقش) ، (وهش)،(قعع) ، (شنن) ، (دنا) ، والمخصص ٣/٨٢ ، وتهذيب اللغة ١/٦٣ ، ٦٤ .

● وصبَّحه فلجاً فلا زال كَعبُهُ على كل من عادى من الناس عاليا

والرواية : ظاهراً ، والقافية رائية . وهو البيت التاسع عشر من القطعة السابعة في الديوان ص ٧١ وبعده :

● ورَبَّ عليه اللهُ أحسنَ صُنعهِ وكان له على البريَّة ناصرا

وهو في التكملة (صبح) دون نسبة • ولم يتنبه الصغاني الى تحريف القافية • وفي الحاشية : « اللسان : قال النابغة ، والبيت ليس في ديوانه »•

● فتى تمَّ فيه ما يسرُّ صديقَهُ على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
فتى كملت أخلاقهُ غير أنّه جوادٌ فما يبقي من المال باقيا

والبيتان للنابغة الجعدي وهما في ديوانه ١٧٣ــ١٧٤ ، والشعر والشعراء ١/٢٩٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٩٦٩ ، والاول منهما في المصون ٢٤ ، والثاني في اللسان (وحح) ، والبديع ٦٢ ، وديوان المعاني ١/٣٦ •

● ص ٨٤ تعدو الذئاب على ••• في المؤتلف والمختلف ١٨٧ للزبرقان ابن بدر ضمن أربعة أبيات •

● الابيات ٥ ، ٦ ، ٩ من القطعة ٢٩ ص ١٥٧ في ديوان أوس بن حجر ص ٣٩ •

● البيت ٤ من القطعة ٣٤ ص ١٦٧ في ديوان عبيد بن الابرص ص١٢٥ ضمن أبيات كثيرة •

● القطعة ٥٢ ص ١٨٩ في ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٣١ في ٨ أبيات•

● البيت الاول من القطعة٥٥ ص١٩٢ في اللسان (جعع) لنهيكةالفزاري•

شعر آخر منسوب للنابغة :

ويمكننا أن نضيف الى ما ذكره المحقق في ذيل الديوان من أبيات ما يلي :

ما لبثَ الفتيان أن عصفا بهم ولكل قفل يسَّرا مفتاحا[1]

* * *

● فيصيدنا العيرُ المدلُّ بشدّهِ قبل الونى والأشعبَ النبَّاحا[2]

* * *

حتى اذا عزَلَ التوائم مُقصراً ذاتَ العِشاء وأخلف الأركاحا[3]

* * *

● تسعُ البلادُ اذا أتيتكَ زائراً واذاهجرتُكَ ضاقَ عني مقعدي[4]

* * *

● وتخالها في البيت اذ فاجأتَها قد كان محجوباً سراجَ المُوقد[5]

* * *

● واذا رأيتَ رأيتَ أقمر مُشرقاً ومُركَّناً ذا زَرنبٍ كالجَلمد[6]

* * *

● طالَ الثَّواءُ على رسومِ ديار قفر أُسائلُها وما استخباري[7]

داراً تعفَّت لا أنيسَ بجوّها إلا بقايا دِمنةٍ وأَواري

فَتَفَتّت عليها فاضمحلَّ طلولها هُوجُ الرياح وديمةُ الامطار

اذ قرّبوا للبين كل عُذافرٍ رخوِ الأخادعِ مُسنِف خطَّارِ

دار" لميَّة اذ هم لك جيرة" هيهات منك منازلُ الأحوارِ

(١) حماسة البحتري ٩٥ ، وهو في اللسان (فتا) دون نسبة ، وموضعه بعد البيت الخامس من القطعة ١٣ في ذيل الديوان ص ٢٨٨ .

(٢) أساس البلاغة (نَبَحَ) .

(٣) اللسان (خلف)

(٤) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ص ٣٤ وموضعه بعد البيت ٢٧ من القطعةالاولى.

(٥) المصدر السابق ص ٣٨ وموضعه بعد البيت ١٢ من القطعة الاولى.

(٦) المصدر السابق ص ٣٩ وموضعه بعد البيت ٣٠ من القطعة الاولى .

(٧) المصدر السابق ص ٩٦ ويليها : نبئت زرعة ... وانظر الديوان ص ٢٥٨ ، ١٦٨، ٥٤ . والبيت الخامس في المنازل والديار ٨٦ ، والسادس في معجم البلدان (وبار) .

فتحمّلوا زُجَلاً كأنّ حمولهم ... دَوم ببيشةَ أو نخيلُ وَبارِ
ولقد أُسلي الهمّ حين ينوبني ... بنَجاءِ مُضطّلعِ السُّرى مَوّارِ
يستنّ في ثِني الزّمام وينتحي ... فِعلَ الخَليّةِ في الخليج الجاري

* * *

● مااضطرّك الحِرزمن ليلى الى برَدٍ ... تختارُه معقلا عن جُشّ أعيارِ (١)

* * *

● كأنّ عذيرهم بجنوبِ سِلّى ... نعامٌ قاقَ في بلدٍ قِفارِ (٢)

* * *

● فإن يك مولانا تجانفَ نَصرُه ... وأسلمنا لمُرّةَ المتظاهِرَه (٣)

* * *

● أبغي ربيعةَ إنّي لستُ ناسيَهُ ... إن الحبيب على العِلات مذكور (٤)

* * *

● وغُيّبَ فيه يوم راحوا بخيرهم ... أبو حُجُرٍ ذاك المليكُ الحُلاحل (٥)

* * *

● يهبُ الجِلّةَ الجراجر كالبسـ ... ـتان تحنو لدَردَقٍ أطفالِ (٦)

---

(١) اللسان (جشش) ، (ليل) . وهو في (سلل) دون نسبة . والصواب أنه لبدر ابن حِزّان . ديوان النابغة ص ٧٩ ، ومعجم البلدان (جش أعيار) ، (ليلى) ، (برد) .

(٢) اللسان (قوق) وفيه : « وهذا البيت نسبه ابن بري لشقيق بن جزء بن رباح الباهلي » . وهو كذلك في معجم البلدان (سلى) ضمن أربعة أبيات ، وفي (روضة ساجر) : « قال أعشى باهلة ، وقيل شقيق بن جزء الباهلي » . وهو لشقيق بن جزء في شرح أبيات سيبويه ٣٠٨/١ ، ٣١٠ . والعذير : الحال ، يريد كان حالهم في هربهم منا وفرارهم ، حال نعام يبادر في العدو وهو فزع مذعور . ويروى : غديرهم أي ماتخلف منهم . اللسان ، ومعجم البلدان(سلى) .

(٣) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ص ٢٠٩ وموضعه بعد البيت ٩ من القطعة ٢٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٥) المصدر السابق ص ١١٩ وموضعه بعد البيت ٢٦ من القطعة ٢٢ .

(٦) تهذيب الالفاظ ٤٧٨ . والصواب أنهما للاعشى . ديوانه ص ٩ واللسان (بغا) .
=

والبغـايا يركُضن أكسيـةَ الإضـ ـريجِ والشَّـرعبيَّ ذا الاذيالِ

* * *

● كأنَّ فاهـا اذا توسـن مـن طيبِ رُضابٍ وحسن مبتسَمِ (٧)
رُكِّـبَ في السَّام والزبيب أقا حيُّ كثيب ينـدى مـن الرِّهَمِ

* * *

● فلن أذكرَ النعمانَ إلا بصالح فإن لهُ عنـدي يُديًّا وأنعُما (٨)

* * *

● لليلى بشرقيِّ النجاد مساكنُ قفار تَعَفَّتْها شَمالٌ وداجنُ (٩)
شَمالٌ تجاذبها الجنوبُ بعرضِها ونزع الصَّبا مور الدَّبور يُحاتنُ
توهمت منها معهدا فعرفتُه لسبعةِ أعوام وذا العامُ ثامـنُ
• • • • • • وسُفعٍ على ما بينهنَّ حواضـنُ
أقامت على ريبِ الزمانِ وأزعجت بليلى نوىً عن دار أهلك شاطنُ
يحفّـون بسَّاما غضوبا واتّـه لراعٍ لمن سَنَّ العروجَ وخازنُ
يُقسِّم أحناءَ الأمور فهاربٌ وشاصٍ عن الحربِ العوان ودائن

=
والاول منهما في اللسان (دردق) ، (جرر) ، وتهذيب اللغة ٤١١/٩ • وهو في المخصص ٤٣/١٤ دون نسبة • والثاني في تهذيب اللغة ٢١١/٨ ، وهو في المخصص ١٤٤/٣ ، ٣٣/٤ دون نسبة • والشطر الثاني منه في تهذيب اللغة ٣٢٦/٣ •

(٧) اللسان (سوم) • والصواب أنهما للنابغة الجعدي • ديوانه ١٥١ـ١٥٢ وتهذيب الالفاظ ٦٣١ • وهما في المخصص ١٠٤/٥ دون نسبة •

(٨) اللسان (نعم) ، وهو في (زنم) لضمرة بن ضمرة النهشلي وقبله :

تركتَ بني ماماء السماء وفعلَهم وأشبهتَ تيسـا بالحجاز مُزَنَّما

كما نسب في (يدي) الى الاعشى وصححه ابن بري لضمرة بن ضمرة • وهو في المخصص ١٨٩/١٦ دون نسبة • والشطر الثاني منه في المخصص ٢٣٧/٢،واللسان (حبق) دون نسبة أيضا•

(٩) الابيات ١ ، ٣ ، ٥ في المنازل والديار ١٩٧ ، والاول منها في ذيل الديوان ٢٣٣ ، ومعجم البلدان (شرع) ، والبيت الثاني في اللسان (حتن) وتهذيب اللغة ٤٤٢/٤ ، والرابع (حضن) وتهذيب اللغة ٢١٠/٤ والسابع في (حنـا) وتهذيب اللغة ٢٥١/٥ ، والسادس في المعاني الكبير ٤٧٥ •

وكل فتـــىً بما عملـت يــداهُ   وما أجـرت عوامله رهـــين[1]

٣ ـ أخطاء في الفهارس وفهرس جديد للاماكن

● ولم تخل الفهارس التي وضعها المحقق من أخطاء غير يسيرة إما بإسقاط الأعلام وإما بإسقاط بعض مواضعها وإما بالخطأ فيها أو في ترتيبها. إذ أنه أثبت الكعبة ووجرة في حرف العين كما أثبت الملح والمطارة والنمارة والنار والنبق في حرف اللام و وعال في حرف اليـاء . كما أنه لم يلتزم الترتيب الهجائي بدقة فجاءت الرميثة قبل الردة وفرتنى بعد الفوارع واليمن قبل يثرب والملح قبل مسحلان .

كما أثبت حجر واليمامة في موضعين مختلفين ... كذلك لم يعتمد في ترتيبها نهجا معينا فوضع ذا أبان في حرف الالف وذا حسى في حـرف الذال . ثم إنه جعل طسم وجديس وحجار من أعلام الاماكن وإزاء هذا الاضطراب البالغ رأيت أن أعيد ترتيب هذا الفهرس مضيفا اليه ما فات المحقق من أسماء وأرقام:

(أبرق الحنان) ١٩٨*	(أرل)* ٦٣
(أبوى)* ١٨٨	أريك* ٣٠ ، (١٤٣) ، ٢١٩[2]
(أبـير) ١٤٣	(الأشـراج) ٢٠[3]
الأتـم* ١٣٤	إضـم[4] ٦١

(١) اللسان (مشي) وموضعه بعدالبيت ٨ من القطعة ٧٥ .

* ما قرن بنجم من أسماء الاماكن فهو مما استشهد فيه ياقوت الحموي بشعر النابغة الذبياني . أما ماوضع بين قوسين من ارقام أو أعلام فهو مما لم يذكره المحقق .

(٢) في الاصل ٢٢٠

(٣) ليس عند ياقوت الحموي

(٤) في الاصل اضـم

(١و٢و٣) ليس عند ياقوت الحموي
(٤) في الاصـل بزاحـة
(٥) نسب البيت في هذا الموضع وهما الى النابغة الشيباني ٠
(٦) في الاصل ٢٠١
(٧) في الاصل جاتـم
(٨و٩) ليس عند ياقوت الحموي
(١٠) في الاصل ١٦٧

(١) في الاصل حاصر
(٢) ليس عند ياقوت الحموي

(١) في الاصل ٢٢٢

(٢) الاصل فيه أباغ . وقد أسقط النابغة الهمزة من أوله . معجم البلدان (أباغ).

(١) في الاصل ٢١٤
(٢) ليس عند ياقوت الحموي
(٣) في الاصل ١٢٧
(٤) ليس عند ياقوت الحموي

٤ ـ أخطاء في فهرس القوافي

● ولم يخل فهرس القوافي من أخطاء متنوعة مابين تصحيف وتغيير للرواية وخطأ في الشكل أو اهمال له أو زلل في وزن الشعر وتمييز أبياته كما يتضح من الامثلة التالية :

١ ــ ص ٢٦٥ : أسائلتي سفاها وجهلا . كذا أثبته المحقق مختل الوزن والرواية : سفاهتها .

٢ ــ ص ٢٦٦ : تطاوح أمر عَنجدةَ الليالي . كذا ، والرواية : المنايا.

٣ ــ ص ٢٦٦ : عفا ذو حسى من فرتنجا .. فالقلاع . وليس البيت كما ذكر المحقق وانما هو : فرتنى .. فالتلاع .

٤ ــ ص ٢٦٧ : لاتـرهبيني بقوم وانظري نفرا . كذا ، والرواية: نفـري .

٥ ــ ص ٢٦٧ : بانت سعاد .. انصرما .. إخما . كذا أثبته المحقق وانما هو : انجذما .. إضما .

٦ ــ ص ٢٦٧ : وضنّاً بالتحية والسلام . كذا وصحته : .. الكلام .

٧ ــ ص ٢٦٧ : وقد قَلَبت عن لون أحمر قاتم .. تكد تترفَّعُ . أثبته المحقق في حرف الميم وهو البيت ٦ من القطعة ٤٥ ص ١٨٢ .

ومن أخطاء المحقق الاخرى :

غضابُ ص ٢٠٧ (من الكامل) . كذا والصواب : من الطويل.
الكواكبِ ص ٤٠ (من البسيط) . كذا والصواب : من الطويل.
المحامدِ ص ١٨٩ (من السريع) . والصواب أنها من الطويل.

صهري ص ٨٠ (من الطويل) • كذا وانما هي من الوافر •

عامرِ ص ١٥٦ كذا والصواب ١٧٥

الأعذارِ ص ١٦٧ (من السريع) كذا وانما هي من الكامل ، والابيات في ص ١٦٨ •

الدوافعُ ص ٣٠ (من البسيط) كذا وانما هي من الطويل •

وعالِ ص ١٧٧ كذا والصواب ١٤٩

فأظلما ص ١٠٤ (من الكامل) كذا وانما هي من الطويل

رهينُ ص ٢٠٥ كذا والصواب ٢١٨

ومما فات المحقق :

ثقيلا ص ٢٠٨ (من الوافر)

أورالا ص ١٨٠ (من البسيط)

أهلي ص ١٧٩ (من الطويل)

الباطلِ ص ١٩٥ (من الكامل)

والنعما ص ١٧١ (من البسيط)

منصرمِ ص ٢٠١ (من البسيط)

سنانِ ص ١٩٨ (من الكامل)

تلك هي جملة الملاحظات التي ارتأيت ذكرها ، وعسى أن يفيد منها المحقق في طبعته الثانية للديوان •

حلب : **محمد يحيى زين الدين**

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الاستاذ الدكتور حسني سبح لمجمع اللغة العربية

صدر عن السيد رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذو الرقم ١٩٥١

رئيس الجمهورية يرسم مايلي :

مادة ١ ــ يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتبارا من ١٨/٧/١٩٨٠

مادة ٣ ــ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٧/١٠/١٤٠٠ هـ
٢٧/٨/١٩٨٠ م

رئيس الجمهورية
حافظ الاسد

وكان مجلس مجمع اللغة العربية قد عقد جلسته الثانية عشرة في الدورة المجمعية ٧٩ــ٨٠ (تاريخ ١٥ شعبان ١٤٠٠ الموافق ٢٨ حزيران ١٩٨٠) إثر انتهاء المدة السابقة للرئيس في ١٧/٧/١٩٨٠ فجدّد بالاجماع وبالاقتراع السري انتخاب الرئيس لأربع سنوات أخرى ، وصدر بذلك المرسوم السابق .

ولجنة المجلة تتمنى للمجمع مزيداً من النشاط والعمل لخدمة اللغة العربية والتراث العربي في ولايته الرابعة هذه .

تعقيب صغير على مبحث

« التضمين »

الاستاذ محمد بهجة الاثري

قرأت في الجزء الاول من المجلد الخامس والخمسين من مجلة (مجمع اللغة اللغة العربية)، كتب الله لها النمو والدوام، مبحث (التضمين) النفيس، للباحث اللغوي المدقق : الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي . وهو واحد من مباحث لغوية بارعة، شرعت هذه المجلة الزهراء تنشرها له في الآونة الاخيرة. وهي شاهدة لصاحبها بفقهه في العربية، وبفضله وحسن تأتّيه في إعمال الفكر والرويّة فيما يتناوله من شؤونها باحثاً متقصّياً، وناقداً متثبتاً . ولئن عرض له وهو في ذروة الحفظ والتثبت شيء من السهو، أو من سبق القلم، وهو أمر طبيعي، إنّ ذلك ليس بالذي يغمز الفضل الذي حواه وتحلّى به، فما كتبت العصمة لإنسان غيره، فيطلب تحققها فيه، و « مَنْ له الحسْنى فقط ؟ »

لقد قرأت في هذا المبحث الممتع المفيد قول الكاتب الفاضل (٩١-٩٢) « يُقال : صبر عليه، وصبر عنه . فصبر في الاصل : حبس ... وهو متعدٍّ في الاصل، تقول : صبرت نفسي، كقولك : حبست نفسي . ففي التنزيل : « واصبر نفسك على الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي » . قال البيضاوي في تفسير الآية ٨٢ من الكهف : « واصبر نفسك : احبسها وثبّتْها » ... ومادام (صبر) يجري مجرى (حبس)، فإن تعديته بـ (على) اذا أريد به إمساك النفس على حال، أو استمساكها إزاء حال دون جبن أو فزع، ودون ضعف أو خور، وتعديته بـ (عن) اذا بُغي به حبس النفس عما تحب في ثبات، أو انصرافها دونه في تجلد، تعديته في هذا

وذاك صحيح ، قد أنزل (على) و (عن) بهما الموضع الذي ألفاه في الاصل» .

أقول : يؤخذ على هذا الكلام أنه بالقياس الى الآية الكريمة قد شيد على غير أساس قائم ، وبُنِي على التوهم والغلط . ذلك أن الآية الكريمة قد رُويت فيه هكذا : « واصبر نفسك (على) الذين يدعون ربهم .. »، وهي قراءة مخالفة للاصل القرآني المتواتر الثابت ، ونصها الصحيح هو: « واصبر نفسك (مع) الذين يدعون ربهم .. » ، لا تعرف فيها قراءةأخرى وُضِعَت فيها (على) موضع (مَعَ) . وهي الآية الثامنة والعشرون من سورة الكهف ، وليست الثانية والثمانين كما رقمت في البحث . ومن هنا بطل الاستشهاد بها على التفريق بين (صبر) معدًّى بـ (على) ، و (صبر) معدى بـ (عن) ، إذ لاوجود لأيٍّ كان من هذين الحرفين في الآية ، وانما فيها (مَعَ) وهي تفيد (المصاحبة) ، ومعنى الآية معها : « واصبر وثبِّتْ، يا (محمد) ، نفسَك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، بذكرهم ايّاه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والاعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغير ذلك ، يُريدون بفعلهم ذلك وجهه ، لايُريدون به عَرَضاً من أعراض الدنيا » على نحو ما قرر الإمام أبو جعفر الطبري في التفسير[1] .

وقال إمام المئة الثالثة عشرة شيخ مشايخنا أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي في تفسيره : (روح المعاني) : « (واصبر نفسك) ، أي : احبسها وثبّتْها ، يقال : صبرت زيداً ، أي حبسته . وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان ، أي حبسه للرمي ، واستعمال ذلك في الثبات على الامر وتحمله توسّع ، ومنه الصبر بمعناه المعروف ، ولم يجعل هذا منه لتعدّي

(١) تفسير الطبري ١٥/١٥٤ .

هذا ولزومه (مع الذين) أي : مصاحبة مع الذين (يدعون ربهم بالغداة والعشيّ) أي يعبدونه دائماً . وشاع استعمال مثل هذه العبارةللدوام»[١].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية : « أن سلمان رضي الله عنه قال : جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس ، فقالوا : يا رسول الله ! إنّك لو جلست في صدر المجلس ، ونَحَّيْتَ عنا هؤلاء وأرواحَ جِبابِهم ــ يعنون سلمانَ وأبا ذرّ وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جِبابُ الصوف لم يكن عليهم غيرها ــ جلسنا إليك ، وحادثناك ، وأخذنا عنك ! فأنزل الله تعالى : « واتْلُ ما أوحِيَ إليك من كتاب ربك ، لامبدّل لكلماته ، ولن تجد من دونه مُلْتَحَدا ، واصبر نفسك (مع) الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ــ حتى بلغ : إنّا أعْتَدْنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادقها» يتهددهم بالنار . فقام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى ، فقال : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبِرَ نفسي (مع) رجال أمتي : (معكم) المَحْيا ، و (معكم) الممات[٢] . »

وإني لأصبر نفسي مع الاستاذ الكريم في خدمة لغة كتاب الله العظيم إن شاء الله ، وإليه مني كريم المودة وأطيب التحيات.

بغداد : **محمد بهجة الاثري**

(١) روح المعاني ١٥/٢٦١ ، ط ٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ١٠/٣٩٠ .

ترجمـــة المتنبي

في تاريخ ابن عساكر

الاستاذ محمد أحمد دهمان

أصدرت وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربيـــة السورية اثر مهرجان ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادة ابن عساكر مجلداً ضخماً في (٨٤٩) صفحة ، يحوي الكثير من العلم والدراسة والتحقيق .

ويرجع الفضل في اخراج هذا المجلد الى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي عرف من يتقن مثل هذه الموضوعات ، فأعطى القوس باريها ، فكان كتاباً يفتخر به ، وقاموساً يرجع إليه .

وكان ممـــا وقع نظري عليه مقـــالة العـــالم المحقق النحرير الأستاذ كوركيس عواد فقد جاء فيها (ص : ٤٤٨) ما يلي :

(ترجمة المتنبي . استخرجها محمود محمد شاكر وحققها ونشرها في كتابه « المتنبي » [مط ، المدني ــ القاهرة ، ١٩٧٦] ص : ٣١٣ ــ ٣٣٨).

فسررت كثيرا بما أثبته الأستاذ عواد ، وابتهجت أيما ابتهاج وذلك أن ترجمة المتنبي هي من القسم الضائع من تاريخ ابن عساكر ، وقـــد كنت نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق [مجلد ٥٥ ج ١] نحو مائتي اسم سقطت من النسخ الموجودة من تاريخ ابن عساكر ومن جملتها ترجمة المتنبي ، فاستبشرت بالعثور على ترجمة المتنبي ، وقلت إن هذا سيهدينا

إلى مجلد مجهول من تاريخ ابن عساكر يحتوي ترجمة المتنبي وغيره من أسماء الأحمدين الساقطة من النسخ المخطوطة الموجودة من هذا التاريخ • ورجعت إلى كتاب « المتنبي » للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر ، فإذا هو جزءان • تجشمت قراءتهما لعلي أعثر على شيءٍ يتعلق بموضوعي، وهو موضوع تاريخ ابن عساكر ، وأخيراً وجدته يقول في صفحة مستقلة (٢ : ٣١١) : « ترجمة المتنبي » لابن عساكر ، وفي ص ٣١٣ من كتابه « المتنبي » ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذه نبذة من أخبار أبي الطيب المتنبي رحمه الله تعالى مما أورده ابن عساكر في ترجمته »

قال الشيخ الإمام الحافظ ثقة الدين[١] أبو القاسم علي بن الحسن بن الحسين الدمشقي ، ابن عساكر ، في حرف الألف •

١ ــ أحمد : هو ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمَد ، أبو الطيب الجُعفي الشاعر المشهور بالمتنبي ، قدم دمشق ومدح بها • روى عنه القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي الفقيه •

٢ ــ وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد [٤ : ١٠٢] : احمد بن الحسن بن عبد الصمد الشاعر المعروف بالمتنبي •

٣ ــ وقال الحسن المتطبب : وظفرت بمختار صغير في أخبار المتنبي ألفه [ياقوتُ] بن عبد الله الرومي الأصل البغدادي المنشأ ، الحموي

(١) ثقة الدين : لقب ابي القاسم بن عساكر ، ووقع في الكتاب : الثقة الدين ، وهو خطأ مطبعي •

المولى ، رحمه الله تعالى ، فنقلت منه ما يأتي ذكره : وهو أنه ذكر في نسب المتنبي فقال : « وقال قوم : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعفي وقال أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي : الذي أعرفه من نسب أبي الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مُرة بن عبد الجبار الجعفي » .

وحينئذ طلبت من صاحبي الذي كان يقرأ لي أن يقف وقلت له :

« إن هذا الكلام ليس كلام ابن عساكر ولا يشبهه » فالأسطر الأولى هي من تاريخ ابن عساكر بلا ريب ، وأما قوله : وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد [٤ : ١٠٢] : (أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الشاعر المعروف بالمتنبي) فليس هذا من كلام ابن عساكر ولا من أسلوبه ، لأن ابن عساكر حينما ينقل عن الخطيب البغدادي يأتي بإسناده إليه فيقول مثلاً : (أخبرنا أبو الحسن بن قبيس حدثنا ، وأبو منصور بن خيرون « أنا » أبو بكر الخطيب)[1] . وهناك مسألة ثانية هي أنه ينقل عن ياقوت الرومي وهو متوفى سنة ٦٢٦ هـ .

فقد جاء في أول صفحة ٣١٦ قال أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي .

وبعد أسطر قال : أبو عبد الله ياقوت الرومي .

وفي ص ٣١٩ قال أبو عبد الله ياقوت الرومي .

وآخر هذه الترجمة (ص : ٣٣٨) : « والحمد لله وحده ، والصلاة على أكمل خلقه محمد وعترته الطاهرين وصحبه أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين » .

وهذه العبارة تشير إلى أن ترجمة المتنبي ـــ موضوع بحثنا ـــ رسالة

(١) تاريخ ابن عساكر ج١٠ ص ٣٥ ، ٣٦ .

مستقلة مجهولة المؤلف ينقل مؤلفها عن عدد من العلماء ، منهم من هو قبل ابن عساكر ومنهم من هو بعده .

وبعد هذا كله فإن ماورد فيها ليس فيه من ترجمةابن عساكر إلا نحو خمسة أسطر من أولها وإليك بيان ذلك :

١ ــ ابتدئت هذه الترجمة بالبسملة ، والترجمة لاتبدأ بالبسملة كما في ترجمة المتنبي المنقولة من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ص٢٤٩ من كتاب « المتنبي » للأستاذ محمود محمد شاكر .

٢ ــ ختمت بهذه الجملة « والحمد لله وحده والصلاة على أكمل خلقه محمد وعترته الطاهرين وصحبه أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين » وهذه العبارة في آخرها والبسملة في أولها يشيران إلى أن هذه الترجمة هي رسالة مستقلة لاترجمة ، والتراجم لايوضع في أولها البسملة ولافي آخرها مثل هذه العبارة .

٣ ــ ذكر في هذه الترجمة أشخاص متأخرون عن ابن عساكر كياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ ، مما يدل على أن مؤلف هذه الرسالة متأخر عن ابن عساكر .

٤ ــ وان كثرة نقله عن ياقوت الرومي يدل على أن هذه النصوص منقولة من ترجمة ياقوت للمتنبي في معجم الأدباء ، وهي ناقصة من القسم المطبوع ، ووجودها هنا وكثرة نقله عن ياقوت تشير الى أنها ترجمة ياقوت ، وأنها تامة أو شبه تامة .

وأما ابن عساكر فالراجح انه تشاءم من ذكر المتنبي وذكر أعماله وأخباره التي فيها ادعاء للنبوة وتقليد للقرآن الكريم وقيامه بمخرقات يدعي

أنها معجزات • ولم يشأ ابن عساكر أن يخلي كتابه من ترجمة المتنبي ولا أن يقال إنه لم يترجمه ، فترجمه بهذه الاسطر الخمسة التي تقدمت ، ولو كان في ترجمة ابن عساكر زيادة على ما ذكر في أول ترجمته لنقلها كما نقل عن ياقوت •

ولعل أحداً من الباحثين يسأل الأستاذ محمود محمد شاكر عن مصدره الذي نقل عنه هذه الترجمة ، فيعيد تحقيقها ونشرها ، ويذكر مصدرها ، فهي قيمة ونادرة جداً ، لأنها تحوي النصوص التي ذكرها ياقوت في معجمه وهي ساقطة منه •

دمشـق : **محمد أحمد دهمان**

تعقيب

الدكتور شاكر الفحام

— ١ —

الاستاذ محمد أحمد دهمان من أجلّ علماء دمشق ، بذل من ذات نفسه ما بذل ، وضحّى ماشاء أن يضحّي ، لينير طريق المعرفة ، ويكشف عن تراث العربية الاصيل ، قد نذر نفسه للعمل الجادّ النافع ، دأب عليه في صمت وتواضع عُرف بهما ، وعزف عن البهرج الزائف ، والمظاهر الخداعة ، فلم يتطلع الى شهرة ، ولم تستهوه المناصب والالقاب • كان في دمشق خدين الشيخ راغب الطباخ في حلب ، آثرا الباقي الخالد من العمل على الفاني الزائل من عرض الدنيا •

كتب الأستاذ دهمان المقالات الطوال[١] ، وكان المبرّز السابق في ميداني التأليف والتحقيق • يذكر له من كتب التراث التي حققها :

ـ النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري (دمشق ، ١٣٤٥ هـ)•

ـ مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزي (دمشق ، ١٣٤٧ هـ)•

ـ سنن الدارمي (دمشق ، ١٣٤٩ هـ) •

---

(١) أصدر مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق طائفة من هذه المقالات مثل : قبة المسجف ، الحياة العلمية في الدولة الايوبية ، المقصورة التاجية ، جبل قاسيون ، مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ، المدرسة الظاهرية ، المدرسة العادلية الكبرى • وكان العنوان الجامع لهذه السلسلة من المقالات : النشرات الصغيرة •

ـ المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الامصار ، مع كتاب النقط ، لأبي عمرو الداني (دمشق ، ١٩٤٠ م) .

ـ مدارس دمشق ، للاربلي (دمشق ، ١٩٤٧م) .

ـ المروج الفسيحة السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية ، لمحمد ابن عيسى بن كنان (دمشق ، ١٩٤٧ م) .

ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، لمحمد بن طولون الصالحي (دمشق ، القسم الاول ١٩٤٩ م ، القسم الثاني ١٩٥٦ م) .

ـ المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر (دمشق ، ١٩٦٣ م) .

ـ إعلام الورى ، لمحمد بن طولون الصالحي (دمشق ، ١٩٦٤ م) .

ـ إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ـ الجزء الاول (دمشق ، ١٩٧٩ م) .

وله مؤلفات جليلة ، ما تزال مخطوطة ، منها : مسجد دمشق ، مدارس دمشق ، الدول الايوبية ، معجم الالفاظ التاريخية .

وعلى تعدد مناحي نشاط الأستاذ دهمان فإنه يقف في طليعة أولئك العلماء العارفين بتاريخ دمشق وخططها ، يتمثل صورتها القديمة ، ويعايش أحداثها وتاريخها ، ويقص عليك من أنباء آثارها وماضيات أيامها حديث المتقن الفطن ، الذي جهد واستقصى ، وأوعب واستوفى .

إنه ، اليوم ، يخطو في عشر التسعين[1] ، وليمدّ اللهُ في عمره السنين

(١) سألت الاستاذ دهمان عن مولده فأخبرني أنه ولد عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) . وجد ذلك بخط والده .

تلو السنين ، ولكنه السيفُ مضاءً ، يروعك بهمته ونشاطه ، وتطالعك في بردتيه عزيمةٌ لاتعرف الكلل ، وصبر لاتخالطه السآمة • يتحدث إليك عن أعماله ومؤلفاته ، وعمّا أنجزه ويزمع انجازه من مشروعات ملكت عليه نفسه ، واستأثرت بجهده واهتمامه ، فتنفذ كلماته الى قلبك بصدقها ، وتكبر فيه هذه الحماسة ، وهذا التصميم • كل ما أتمنى أن يفرد لهذا العالم الجليل شاب يقظ نشيط ، على قسط طيب من المعرفة ، يساعده في عمله ، ويأخذ عنه ، ويفيد منه ، ويتخرج به ، لنضمن لأعمال الشيخ أن ترى النور على خير ما يريده لها صاحبها دقة واتقانا •

وبعد ، فقد رأيت أن خير ما أعقب به على كلمة الاستاذ دهمان إثبات ترجمة المتنبي كما جاءت في كتاب ابن منظور الذي اختصر به تاريخ ابن عساكر • وها هي ذي[١] :

— ٢ —

المتنبي

١ — أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، أبو الطيِّب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي ، من أهل الكوفة • قدم دمشق ، ومدح بها[٢] •

٢ — قال أبو بكر الخطيب[٣] : بلغني أنه ولد بالكوفة سنة ثلاث

(١) تقع ترجمة المتنبي في أقل من أربع صفحات من مخطوطة ابن منظور التي يحتفظ مجمع اللغة العربية بدمشق بصورة لها •

(٢) آثرت أن أضع للاخبار أرقاما متسلسلة ، تنسيقا لها ، وتسهيلا للقارىء •

(٣) هذه الاخبار من رقم (٢) حتى رقم (١١) مستمدة من كتاب : تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢–١٠٥ ، وكل ماجاء في الكلام بين حاصرتين [ ] فهو مضاف من تاريخ بغداد ، ولم أستقص في ذلك فأستوعب كل زيادات تاريخ بغداد •

وثلاثمائة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الادب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس ، وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره[١] ، وعلا شعراء وقته • واتصل بالامير أبي الحسن ابن حمدان المعروف بسيف الدولة ، وانقطع اليه ، وأكثر [القول في] مديحه • ثم مضى الى مصر فمدح بها كافوراً الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم [خرج من مصر و] ورد العراق ، ودخل بغداد ، وجالس بها أهل الادب ، وقُرِئ عليه ديوانه •

٣ ــ قال أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضي قال[٢]: لما ورد المتنبي بغداد سكن في رَبَض حميد[٣] قال : فمضيت الى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئا من شعره ، فلم أصادفه ، فجلستُ أنتظره، وأبطأ عليَّ فانصرفتُ من غير أن ألقاه ، ولم أعد اليه بعد ذلك • وقد كان القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي سمع منه ديوانه ورواه عنه •

٤ ــ قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي : كان المتنبي وهو صبيٌّ ينزل في جواري بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعيدان السقّاء ، يستقي لنا ولأهل المحلة ، ونشأ هو محبّاً للعلم والادب ، وصحب الاعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً ، وقد كان تعلم الكتابة والقراءة،

---

(١) هكذا جاءت العبارة في تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ ومخطوطة ابن منظور ، ولعل الكلام يكون أكثر استقامة لو قيل : « حتى بلغ فيه الغاية التي فاق [بها] أهل عصره »•

(٢) كلمة (قال) زائدة لا حاجة اليها •

(٣) الربض : ماحول المدينة ، وقلما تخلو مدينة من ربض • ويجمع ربض على أرباض• وربض حميد ببغداد ، ينسب الى حميد بن قحطبة الطائي أحد النقباء في دولة بني العباس (لسان العرب ــ ربض ، معجم البلدان ــ الربض ، ربض حميد)•

فلزم أهل العلم والادب ، وأكثر ملازمة الوراقين ، وكان علمه من دفاترهم • حدّث ورّاق كان يجلس اليه قال : مارأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قطّ ، [فقلت له : كيف ؟ فقال:] كان عندي اليوم ، فأحضر رجلٌ كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلا ، فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعتني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه فهذا ان شاء الله يكون بعد شهر ، فقال له ابن عيدان : فإن كنتُ قد حفظتُه في هذه المدة ، فمالي عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب • قال : [فأخذت الدفتر من يده] فأقبل يتلوه الى آخره ، ثم استلبه فجعله في كمه وقام ، فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما الى ذلك سبيل ، قد وهبته لي • قال : فمنعناه منه ، وقلنا له : أنت شرطت على نفسك هـذا للغلام ، فتركه عليه •

٥ ــ وكان عيدان والد المتنبي يذكر أنه من جُعْفيّ • وكانت جدة المتنبي همدانية ، صحيحة النسب ، لاشكّ فيها ، وكانت صالحة من صلحاء النساء الكوفيات •

٦ ــ قال التنوخي : قال أبي : فاتفق مجـيء المتنبي بعد سنين الى الاهواز ، منصرفاً من فارس ، وسألته عن نسبه ، فما اعترف لي به ، وقال: أنا رجل أخبط[١] القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبتُ لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة[٢] بينها وبين القبيلة التي انتسبت[٣] اليها •

(١) خَبَطَ الليلَ ، من باب ضرب : سار فيه على غير هدى • والخَبْط : كل سير على غير هدى • قال الفرزدق :

سروا يخبطون الليـل ، وهي تلفهم على شعب الاكوار من كل جانب

(٢) الطائلة : العداوة والترة • يقال : فلان يطلب بني فلان بطائلة ، اي بوتر ، كأن له فيهم ثأرا فهو يطلبه بدم قتيله (لسان العرب ــ طول) •

(٣) في تاريخ بغداد (٤:١٠٣) : انتسبُ •

وما دمتُ غير منتسب الى أحد فأنا أسلم على جميعهم ، ويخافون لساني.

٧ ــ قال : واجتمعتُ بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن ابن أم شيبان الهاشمي الكوفيّ ، وجرى ذكر المتنبي فقال : كنتُ أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عيــدان ، يستقي على بعير له ، وكان جُعفيّاً صحيح النسب .

٨ ــ قال : وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادّعى أنّه علويٌّ حسنيٌّ ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدّعي أنه علويّ ، الى أن شهد[1] عليه بالشام بالكــذب في الدعوتين[2] ، وحبس دهــراً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب ، وأُشهِد عليه بالتوبة وأُطلق.

٩ ــ قال أبو علي بن أبي حامد : سمعتُ خَلْقاً بحلب يحكون ، وأبو الطيب [المتنبي] بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السماوة[3] ونواحيها، الى أن خرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأسره ، وشرّد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه [في السجن] دهراً طويلا ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، فسئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة ، أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ، ورجوعه الى الاسلام ، [وأنه تائب منه ولا يعاود مثله] ، وأطلقه .

١٠ ــ [قال :] وكان قد تلا على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أُنزل

---

(١) في تاريخ بغداد (٤:١٠٤) : أشهد .

(٢) جاء في كتاب المتنبي للاستاذ محمود محمد شاكر (٢:٢٥٦) : في الدعويين.

(٣) بادية السماوة : البادية التي هي بين الكوفة والشام (معجم البلدان ــ السماوة). قال أبو الطيب المتنبي (شرح العكبري ٢:١٠٨):

اذا سلك السماوةَ غيرُ هــاد   فقتــلاهم لعينيــه منــار

ويطلق عليها أيضا : بادية الشام .

عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، منها : « والنجم السيّار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سننك ، واقْفُ اثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامعٌ بك زَيْغَ مَنْ ألحد في دينه ، وضلَّ عن سبيله » • وهي طويلة •

قال : وكان المتنبي اذا شوغب في مجلس سيف الدولة ، ونحن إذ ذاك بحلب ، نذكر له هذا القرآن وأمثاله [مما كان يحكى عنه] فينكره ويجحده • قال : وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة: لولا أن الآخر جاهل لما رضي أن يدعى بالمتنبي ، لأن (متنبي) معناه كاذب ، ومن رضي أن يدعى بالكذب فهو جاهل• فقال له: أنا لست أرضى أن أُدعى بهذا ، وانما يدعوني به مَنْ يريد الغضّ مني ، ولستُ أقدر على الامتناع •

١١ ــ قال أبو علي بن [أبي] حامد : قال لي أبي ، ونحن بحلب، وقد سمع قوماً يحكون عن [أبي الطيّب] المتنبي هذه السورة [التي قدمنا ذكرها] فقال لولا جهله ، أين قوله : امضِ على سننك ، الى آخر الكلام ، من قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنّا كفيناك المستهزئين)[1] الى آخر القصة[2] • وهل تتقارب الفصاحة فيهما، أو يشتبه الكلامان ؟

١٢ ــ وعِيدان ، بكسر العين وبالياء المعجمة باثنتين من تحتها : هو

(١) سورة الحجر (١٥) / آية : ٩٤ـ٩٥ •

(٢) جاءت لفظة (القصة) في تاريخ بغداد ، ومخطوط ابن منظور • وآثر عليها الدكتور عبد الله الجبوري لفظ (السورة) • انظر كتابه : أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين (بغداد ١٩٧٧) : ١٣ •

هو والد أبي الطيّب المتنبي ، كان يُعرف بعِيدان السقّاء[١] .

١٣ ـ ولما هرب المتنبي الشاعر من مصر وصار الى الكوفة ، وقام[٢] بها ، وصار الى ابن العميد فمدحه ، فقيل إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار ، وقال له : تمضي الى عضد الدولة ، فمضى من عنده اليه فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه على أن يمضي الى الكوفة يحمل عياله، ويجيء معهم اليه ، وسار حتى وصل الى النعمانية[٣] ، بإزاء قرية يقال لها (بنورى) ، فوجد أثر خيل هناك ، فتنسم خبرها ، فاذا خيل قد كمنت له فصادفته لأنه قصدها ، وطعن طعنة نكس عن فرسه ، فلما سقط الى الى الارض نزلوا فاحتزوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ماكان معه من المال وغيره، وكان مذهبه أن يحمل مالَه معه أين توجّه ، وقتل ابنه معه ، وغلام من جملة خمسة غلمَة كانوا معه ، وان الغلام المقتول قاتل حتى قُتِل .

١٤ ـ وكان قتل المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

---

(١) ماجاء في ضبط (عيدان) لقب والد المتنبي:
ـ ضبطها بكسر العين ، ابن ماكولا في كتابه الاكمال (٦:٩٩) ، والصغاني في كتابه التكملة (عـود) .
ـ وضبطها بفتح العين ، ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان النحوي (ت ٤٥٦ هـ)، وكانعالما بالنسب ، قال : عَيْدان ، جمع عَيدانة ، وهي النخلة الطويلة ، ومن قال : عيدان، بالكسر ، فقد أخطأ . (وانظر في كتاب الاكمال ٦:٩٩ ، الحاشية ، والمنتظم لابن الجوزي ٧:٢٤، والمشتبه للذهبي ٢ : ٤٣٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١١:٢٥٦ ، وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر ٣:٩٠٥ ، والقاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه تاج العروس للزبيدي ـ مادة عود) . وقد صحفت أكثر الكتب المطبوعة لفظ (عيدان) بالياء المعجمة التحتية الى (عبدان) بالباءالموحدة.
(٢) لعلها : وأقام .
(٣) النعمانية ، بضم النون ، كأنها منسوبة الى رجل اسمه النعمان : بليدة بين واسط وبغداد ، في نصف الطريق ، على ضفة دجلة ، معدودة من أعمال الزاب الاعلى وهي قصبة (معجم البلدان ـ النعمانية) .

١٥ ـ وحُدِّثَ أنه لما نزل المنزل الذي رحل منه فقتل ، جاءه قوم خفراء فطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه ، فمنعه الشحُّ والكِبْر، وتقدموه ، فكان من أمره ماكان .

- ٣ -

مقتطفات من معجم البلدان لياقوت الحموي

عرض أستاذنا الكبير محمود محمد شاكر في كتابه القيِّم (المتنبي) لروايتي ضبط كلمة (بنورى) ، تلك القرية التي قُتِل فيها أبو الطيِّب المتنبي شاعر العرب الخالد فقال : « أما ياقوت فذكرها بالراء ، ولم يقل راء مهملة ، فأخشى أن يكون تصحيفاً في معجم البلدان . وفي معجم ياقوت فوائد فراجعها هناك »[1] .

وقد تخيَّرتُ طائفة من هذه الفوائد التي التقطتها في معجم البلدان، رأيت أن ألحقها بترجمة المتنبي التي استخرجتها من كتاب ابن منظور.

١ ـ آلس ، بكسر اللام : اسم نهر في بلاد الروم . وآلس : هو نهر سلوقية ، قريب من البحر ، بينه وبين طَرَسُوس مسيرة يوم ...و غزاه سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ... وقال أبو الطيِّب يمدح سيف الدولة[2] :

يُذري اللقانُ غباراً في مناخرها ... وفي حناجرها من آلسٍ جُرَعُ
كأنَّما تتلقاهم لتسلكهم ... فالطعنُ يفتح في الاجواف ماتسع

(١) المتنبي ، للاستاذ محمود محمد شاكر ٢:٣٥٣ .
(٢) شرح العكبري ٢:٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

وهذا من افراطات أبي الطيّب الخارجة الى المحال ، فانه يقول : ان هذه الخيل شربت من ماء آلِس ، ووصلت الى اللقان ، وبينهما مسافة بعيدة ، فدخل غبارُ اللقان في مناخرها قبل أن يصل ماء آلِس في أجوافها . ويقول في البيت الثاني : ان الطعن يفتح في الفرسان طريقاً بقدر مايسع الخيل فيسلكوه ، فيكون مسيرهم الى مواضع طعناتهم[1] .

٢ ـ لُقان ، بضم اللام ، ثم التخفيف ، وآخره نون : بلد بالروم ، وراء خرشنة بيومين . غزاه سيف الدولة ، وذكره المتنبي في قوله :

يذري اللقانُ غباراً في مناخرها وفي حناجرها من آلِسٍ جُرَعُ

وهذا البيت من اسرافات المتنبي في المبالغة ، لانه يقول : ان هذه الخيل شربت من ماء آلِس ، وهو بلد بالروم ، فلم يتعدّ حناجرها حتى أذرى اللقانُ الغبار في مناخرها ، يعني : سارت من آلِس الى اللقان في مدة

(١) جاءت الرواية في شرح العكبري (٢ : ٢٢٧) : فالطعن يفتح في الاجواف ما تسع ، مطابقة لما ورد في معجم البلدان ، وكذلك جاءت الرواية في شرح مشكل أبيات المتنبي : ١٩٨ (تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين) ، ص : ١٧٥ (تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية) . ولكن قراءة شروح البيت توجب أن تكون الرواية : ما يسعُ ، بالياء التحتية . وهي الرواية التي جاء بها ابن جني في كتابه : الفسر ، واليك ما رواه وما قاله :

كأنها تتلقاهم لتسلكهم فالطعن يفتح في الاجواف ما يَسَع

أي كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم ، فالطعن يفتح في أجوافهم ما يسع الخيل . يصف سعة الطعن وعظمه . قال قيس بن الخطيم :

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

وقال الفند الزماني [حماسة ابي تمام بشرح المرزوقي ١ : ٣٢-٣٨] :

وطعنٍ كفم الزق وهى والزق ملآنُ

أنشدنا أبو علي [الفارسي] :

وطعنةٍ كهرير الكلب ناشجة وضربةٍ مثل خط السن بالقاع

وهذا كثير في الشعر جدا .

هذا مقدارها وبينهما مسافة بعيدة[١] .

٣ ــ بَنُورَى[٢] ، بفتح الباء ، ثم الضم ، والواو ساكنة ، وراء ، وألف مقصورة : قرية قرب النعمانية بين بغداد وواسط ، وبها كان مقتل المتنبي في بعض الروايات .

٤ ــ بَيْزَع : قريـة بين دير العاقول وجَبُّل ، بهـا قُتِل أبو الطيِّب المتنبي . نقلته من خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي الشاعر .

٥ ــ تُرْبان ، بضم التاء ثم السكون : .... وتُرْبان[٣] أيضـاً في قول أبي الطيِّب المتنبي يخاطب ناقته حيث قال[٤] :

فقلت لها : أين أرضُ العراقِ فقالـت ، ونحـن بتُربانَ : ها
وهبَّتْ بِحِسْمَى هُبوب الدَّبو رِ ، مستقبلاتٍ مَهَبَّ الصَّبـا

قال شُراح ديوان المتنبي : هو موضع في العراق[٥] ، غرَّهم قوله

---

(١) يقول الواحدي : يريد : أنها شربت الماء من آلس ، وبلغت اللقان قبل أن بلعت ماشربته من آلس ، فماء هذا النهر في حلوقها ، وقد وصل الى مناخرها تراب هذا الموضع ، وبينهما بعد ومسافة (شرح العكبري ٢:٢٢٦)

(٢) هي (بنورى) عند ياقوت في معجم البلدان ، و (بنوزى) بزاي معجمة بدل الراء المهملة عند المقريزي (المتنبي للاستاذ محمود محمد شاكر ٢:٣٥٣) ، و (بيوزى) بالياء التحتية والزاي المعجمة في معجم ما استعجم للبكري ، و (بيوزاء) كجاولاء في تاج العروس للزبيدي .

(٣) للدكتور عبد الله الجبوري كتاب : أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين (بغداد ، ١٩٧٧ م) ، وهو كتاب جامع مفيد ، نقل فيه ماورد في معجم البلدان خاصا بالمتنبي (ص:٦٩٠ ــ ٧١٣) ، ولكنه أهمل الاشارة الى تربان .

(٤) شرح العكبري ١:٣٩ ، وسياق الابيات في القصيدة يدل على أن المتنبي يخاطب إبله لا ناقتـه .

(٥) قال ابن جني في الفسر : « تربان : موضع » . ولكن العكبري ينقل في شـرحه لديوان المتنبي (١:٣٩) شيئا أكثر فيقول : « قال ابن جني : قلنا للابل ونحن بهذه الارض المسماة بتربان وهي من أرض العراق ، فقالت : هاهي هذه . وهذا كله مجاز » . وفي عبارة العكبري تحريف جار على مقول القول .

(ها) للاشارة ، وليس كذلك ، فإن شعره يدل على أنه من قبل حِسْمى من جهة مصر ، وانما أراد بقوله : (ها) تقريباً للبعيد ، وهو كما يقول مَنْ بخراسان : أين مصر ؟ أي هي بعيدة ، فكأن ناقته أجابته اني بسرعتي أجعلها بمنزلة مايشار اليه • وفي أخباره أنه رحل من ماء يقال له البقع من ديار أبي بكر فصعد في النقب المعروف بتربان ، وبه ماء يعرف بعرندل، فسار يومه وبعض لياليه ، ونزل وأصبح فدخل حِسْمى • وحسمى ، فيما حكاه ابن السكيت ، بين أيلة وتيه بني اسرائيل الذي يلي أيلة • وهذا قبل أرض الشام ، فكيف يقال : انه قريب من العراق ، وبينهما مسيرة شهر وأكثر •

٦ ــ حِسْمى ، بكسر الحاء ثم السكون ، مقصور ••• وهو أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان • وأهل تبوك يرون جبل حِسْمى في غربيِّهم ، وفي شرقيِّهم شَرَوْرى ••• وحِسْمى أرض غليظة ، وماؤها كذلك ، لا خير فيها ، تنزلها [قبيلة] جذام • وقال ابن السكيت : حِسْمى لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني اسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض عذرة من ظهر حَرَّة نهيل ، فذلك كله حِسْمى• قال كثير(١) :

سيأتي أمير المؤمنين ودونه جماهيرُ حِسمى قُورُها وحُزونها
تجاوب أصدائي بكل قصيدة من الشعر مهداة لمن لا يهينها

ويقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان : حِسْمى ، فبقيت منه هذه البقية الى اليوم ، فلذلك هو أخبث ماء •

(١) مطلع قصيدة قالها كثير في مديح عبد الملك بن مروان (ديوان كثير : ٢٤١ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ــ بيروت ١٩٧١) •

وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر الى العراق قال : حسمى أرضٌ طيبة[١] تودى لبن النخلة من لبنها[٢] ، وتنبت جميع النبات ، مملوءة جبالاً في كبد السماء ، متناوحة ، مُلْس الجوانب ، اذا أراد الناظر الى قلة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة • ومنها مالا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده ، ولا يكاد القتامُ يفارقها ، ولهذا قال النابغة[٣] :

فأصبح عاقلاً بجبالِ حِسْمى دقاق الترب محتزم القَتامِ

واختلف الناس في تفسيره ولم يعلموه • ويكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين ، يعرفها من رآها من حيث يراها لانها لامثل لها في الدنيا••

٧ ـ سبعين ، بلفظ العدد : قرية بباب حلب ، كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ، وإياها عنى بقوله[٤] :

أسيرُ الى إقطاعه في ثيابه على طِرْفِه من داره بحسامه

٨ ـ صفّ : ضيعةٌ بالمعرة ، كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة، ومنها هرب الى دمشق ، ومنها الى مصر •

٩ ـ غُنْثُر ، بالضم ثم السكون وثاء مثلثة مضمومة : ••• وهو

---

(١) يقول العكبري (١:٣٩) في شرح قول المتنبي:

وهبّت بحسمى هبوب الدبو ر ، مستقبلات مهبّ الصبا

« وحسمى : موضع فيه ماء من ماء الطوفان • وكان المتنبي يصفه بالطيب ويقول : هو أطيب بلاد الله » •

(٢) لم يتضح لي معناها ، وعرض وستنفلد قراءة أخرى لها : « تؤدى لبن النخلة من لينها» (معجم البلدان ٥ : ١٥٢ ط• وستنفلد ، ليبزيغ ١٨٧٣) •

(٣) من قصيدة قالها النابغة الذبياني في مديح عمرو بن هند (ديوان النابغة الذبياني : ١٦٥ ، تحقيق الدكتور شكري فيصل) •

(٤) شرح العكبري ٤:٣ •

وادٍ بين حمص وسلمية بالشام في قول أبي الطيّب[١] :

غطا بالعنثر البيداءَ حتى تحيَّرت المتالي والعشارُ

كذا رواه ابن جني ، وغيره يرويه : بالعِثْير ، وهو الغبار[٢] .

١٠ ــ كفر رِنّس ، بكسر الراء وكسر النون وتشديدها وسين مهملة : قرية قرب الرملة ، لها ذكر في خبر المتنبي مع ابن طغج.

١١ ــ كَلْواذَى[٣] بالفتح ثم السكون والذال معجمة ، آخره ألف تكتب ياء مقصورة . وهو طسّوج قرب مدينة السلام ... وقد ذكرتها الشعراء ، ولهج كثيراً بذكرها الخلعاء ... وفي كتاب محمد بن الحسن الحاتمي الذي سمّاه : جبهة الادب[٤] ، يبتدىء فيه بالردّ على المتنبي . قال : قلت له ، يعني للمتنبي ، أخبرني عن قولك[٥] :

طلب الامارة في الثغور ونشؤه ما بين كرخايا الى كلواذا

من أين لك هذه اللغة في كلواذا ، ما أحسبك أخذتها إلا عن الملاحين. قال : وكيف ؟ قلتُ : لأنك أخطأتَ فيها خطأً تعثرتَ فيه ضالاً عن وجه الصواب . قال : ولم ؟ قلت : لأن الصواب كِلواذ ، بكسر الكاف

---

(١) شرح العكبري ٢:١٠٥

(٢) قال ابن جني في الفسر : « الغنثر : ماء هناك . لما وصل اليه وأجفلوا بين يديه ، حاز به أموالهم ... أي لما حاز اموالهم وجمعها تخيــر أصحابه خيرها ، وتركوا ماسوى ذلك ».
وجاء في شرح العكبري ٢:١٠٥ « روى الواحدي في تفسيره للديوان : تحيرت ، بالحاء المهملة. وروى أبو الفتح [ابن جني] : تخيرت ، يعني تخير أصحابه خير الاصناف التي ذكرنا ...».

(٣) لم يعرض لها الدكتور الجبوري في كتابه : أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين.

(٤) جاء النص في الرسالة الموضحة للحاتمي ، ص : ٥٦ ، واستظهر محقق الكتاب الدكتور محمد يوسف نجم في مقدمته ان هذه الرسالة تدعى أحيانا بالحاتمية ، وأخرى بجبهة الادب.

(٥) شرح العكبري ٢:٨٤ .

واسكان اللام واسقاط الياء • قال : وما الكلواذ ؟ قلت تابوت التوراة ، وبها سميت المدينة • قال: وما الدليل على هذا ؟ قلت:قول الراجز:

كأن أصوات الغبيط الساذي

زَبْرُ مهاريق على كلواذِ

والكلواذ : تابوت توراة موسى عليه السلام • وحكي في بعض الروايات : انه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ • قال : فأطرق المتنبي لايحير جوابا • ثم قال : لم يسبق إليَّ علمُ هذا ، والقول منك مقبول ، والفائدة غير مكفورة(١) •

دمشق — شاكر الفحام

(١) لعل خير ما يعلق به على هذا الاختلاق والتخرص قول الله تعالى : (سبحانك هذا بهتان عظيم) [سورة النور ـ ٢٤ ـ / آية : ١٦] افتراه الحاتمي بين يديه انحطاطا في هواه، وتعصبا على شاعر العربية الاكبر • لقد نص أهل العربية جميعا على أن الكلواذ ، بكسر الكاف والذال حرف اعراب : تابوت التوراة • وأن كَلْواذى ، بفتح الكاف وآخرها ألف مقصورة : هي الضيعة المعروفة أسفل بغداد • وهناك كلواذ بفتح الكاف : موضع من أرض همدان ، نص على ذلك اللغويون وياقوت في معجم البلدان • ولم يذكر ذاكر ما لفقه الحاتمي وادعاه :

تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عُدت ولا غَرَب

يقول ابن جني في الفسر في تفسير بيت المتنبي :

طلب الامارة في الثغور ونشؤه ما بين كرخايا الى كلواذا

« يصفه بأنه ليس ممن يصلح للامارة بالثغور ، لانه من سواد العراق • وكَلْواذى ، هذه الضيعة المعروفة ، بفتح الكاف • فأما الكلواذ ، بكسر الكاف والذال حرف الاعراب ، فتابوت التوراة • قال الراجز :

كأن آثار اللبيج الشاذي

زبر مهاريق على الكِلواذ

يقال لبج البعير : اذا ألقى نفسه من مرض أو شدة أو اعياء » •

والرجز الذي أورده ابن جني وياقوت قد اختلفت الرواية فيه ، انظر التكملة للصاغاني ولسان العرب وتاج العروس (كلذ) •

عـود الى معنـى
« تصويب الخطأ »

الاستاذ صبحي البصـام

قرأت في هذه المجلة الزهراء مقال الاستاذ اللغوي الفاضـل محمد شوقي أمين ، العضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعنوانه « تحقيق معنى التصويب »[١] ، وقد رد فيه عليَّ مقالي في هذه المجلة[٢] في تخطئتي « المعجم الوسيط » في قوله : « وصوَّب الخطأ صحَّحه » .

أمَّا مقالي ، فكنتُ ذكرتُ فيه أن قول المعجم الوسيط « وصوب الخطأ صحَّحه » خطأ ، لأن تصويبَ الخطأ معناه الحكمُ له بالصواب . ونقلتُ ما قالته معجماتُ اللغة في التصويب ، ولم يكن فيها نص يؤيِّد قول المعجم الوسيط . وأتيت بما كنتُ استطعتُ جمعه من بطون الكتب الادبية القديمة من نصوص ورد فيها التصويب ، فكانت خلواً مما يؤيِّد قول ذلك المعجم . وذكرتُ أن احلال الخطأ محلَّ الصواب كتبديل الزُّبد بالزَّبَد ، وأنه لا يجوز أن يُؤتى بلفظ دخيل ليحلَّ محل لفظ أصيل ، فيهتضم جانبه ، ويغصبَ عليه حقَّه ، ويُلبِّسَ علينا معناه . وقلت في آخر المقال : « فمن وجد نصّاً قديما من شأنه أن يعضِّد عبـارة المعجم الوسيط القائلة : وصوَّب الخطـأ صحَّحه ، فليأتنا به ، اعلاناً للحق ، وإحسانا باللغة ، وتفضـُّلا عليَّ وعلى غـيري ممن يعنيه الامر » وقـد

(١) نشر في الجزء الرابع من المجلد الرابع والخمسين .

(٢) نشر في الجزء الاول من المجلد الرابع والخمسين وعنوانه « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » .

استُحْسِن مقالي على نحو أوثر السكوت عنه(٣) •

٢ــ وأما مقال الاستاذ الفاضل محمدشوقيأمين،فأفادنا فيه، أنعبارة المعجم الوسيط صحيحة ، ولكنه لم يأتنا بشاهد من الكتب القديمة ، ولا بنص من معجمات اللغة ، وانما أحالنا على آية من القرآن المجيد ، وعلى الفرّاء وسيبويه والرضيّ وابن الحاجب ، وعلى بعض ما علق في ذهنه من أفعال ، ليبرهن على شيء كنّا قتلناه علماً قبل خمس وثلاثين سنة أو يزيد، وهو أن « فعّل » بمعنى الجعل والتصيير كثير ، نحو أَمَّرَه وأَنَّقَهُ وأهَّلَه وعَدَّلَه وفَسَّقَهُ . واستدلّ من ذلك أن « صوَّبَ الخطأ » بمعنى « صيَّره صواباً » صحيحة ، وأن تخطئتي المعجم الوسيط كانت خطأ • وهذا استدلال لا أظنّه يقع من المعنيين باللغة موقعاً ، أو يسد منهم مسدّاً • ولا أظنه مما يرتضيه من أُحِلْنا عليهم ، وهم سيبويه والفرّاء والرضيّ وابن الحاجب،لأن ما انتهى إليه أولئك العلماء وغيرهم، من أن « فعّل » بمعنى الجَعْل والتصيير كثير ، ليس معناه أنّه مطّرد • وما انتهوا اليه انما بنوه على السماع ، فلو كان الاستاذ الفاضل أتانا بشاهد قديم على « صوَّبَ الخطأ » بمعنى أصلحه أو صحّحه ، لجعلني عازفاً عن رأيي ، مُقِراً بخطئي ، لأني لست ممن يتدفق في الباطل ، أو يأبى الإنابة • على أنه يجوز أن يُقاس على « فَعَّل » بمعنى الجعل والتصيير ، أو على غيره ، في غير هذا الموضع ، كصوغ كلمة لشيء جديد، كالذي أتانا من بلاد الاعاجم من أشياء جديدة ، في مختلف العلوم

---

(٣) كان الاستاذ الفاضل اختصر مقالي وجاء في اختصاره أن من قصارى مقالي : « جريان المؤلفين على استعمال كلمة التصحيح أو الاصلاح بكثرة ، وكلمة التصويب بقلة ، وهذا الاستعمال الاخير خطأ في الدلالة على معنى الاصلاح » ، هكذا ، وهو سهو منه ، لاني قلت بعكس ذلك وهو: « على أن استعمال الاصلاح والتصحيح في أواخر الكتب المطبوعة ، كقولهم اصلاح الخطأ المطبعي أو تصحيح الخطأ المطبعي أمسى قليلا ، لانه مزحوم بقولهم : تصويب الاخطاء المطبعية »•

والصناعات والآداب والفنون . فمثلُ هذا القياس تحتاج اليه لغتنا ، وهو بركة عليها ، وإحسان اليها ، وصون لها من عُجمة الالفاظ . ثم ان الخطأ في معنى « تصويب الخطأ » قد فُرِّعت عليه فروع من الخطأ في وزانه، فإن كثيرا من الادباء الذين تعوّدوا استعمال « تصويب الخطأ » ، اقتداءً ببعض كبار الادباء،واهتداء بالمعجم الوسيط ، جعلوا يستعملون «تصويب الرأي» و « تصويب الاعتقاد » و « تصويب الكلام » ونحو ذلك بالمعنى نفسه ، أي الاصلاح أو التصحيح ، وهو خطأ فاحش ، وقد يُفضي الى فهم النصوص القديمة التي يرد فيها التصويب على نحو معكوس ،ومنها الثمانية عشر نصّاً التي أتيتُ بها في مقالي المذكـور . ان لغتنا ــ وقد أصبحت تعاني من حؤول حالها ، والتياث أمرها ، وانبهام مصيرها ــ قد يأتيها يوم ، بعد أن أَلحَمَ وأَشحَمَ الخطأ في « صــوّب الخطأ » ، يُستعمل فيه «صدّقه» بمعنى جعله صادقاً،مع أن معناها حكم له بالصدق، و « كذّبه » بمعنى جعله كاذبا ، مع أن معناها حكم عليه بالكذب ، وكلا الفعلين كثر وروده في التنزيل.ولَعَمْري ، لو كانت عبارة المعجم الوسيط التي تنكرها المعجمات القديمة والحديثة لها وجه من التخريج الصحيح ، لوجب محوها على أنها أصل يُفرّعُ عليه فروع فاسدة ، فكيف وهي خطأ فاحش ؟ ولست أدري كيف يفسّر مؤلفو المعجم الوسيط قول من يقول: هو جاهل ــ أو سكران ــ يُخطّيء الصواب ويُصوّب الخطأ؟ أعلى رأي معجمهم أم على رأي النصوص القديمة وسائر المعجمات ؟.

٣ــ ورقّ لي الاستاذ الفاضل ، لأني نهكتُ نفسي ، وأضعتُ وقتي في جمعي الثمانية عشر نصاً المذكورة ــ وقد أصبحت في دفتري الآن أربعة وعشرين ــ وكلها جاء فيها التصويب بمعنى الحكم بالصواب ، وقال وهو يعنيني : « وكيف يسوق للإثبات شواهد لاحقة للاسانيد اللغوية التي هي

مناط الإثبات ؟ » . فأقول : اني بجمعي الشواهد ، ثم نشري اياها ليقرأها أهل العلم ، كنتُ أعرف مَخطى قدمي ، ومَرْمى سهمي ، ذلك أني فعلت ما فعلت لأزيل غبار الشك الذي خلّفه المعجم الوسيط على تلك الاسانيد ، بعد أن شَذّ عنها بعبارة غير صحيحة . ثم إن هذه الشواهد نقلتنا من قول تلك الاسانيد « صوّبه » و «صوّب رأيه » الى تصويب الاعتقاد ، والكلام ، واللحن ــ الخاص بالموسيقى والغناء ، فزادت الاسانيد ايضاحاً ، وأعانت القارىء أن يستدل أن تصويب ما يصدر عن الانسان ــ ومنه الخطأ ــ معناه الحكمُ له بالصواب . وأنا كما أُقوّي أسانيد قديمة بالشواهد ، أُضعّف أسانيد قديمة غيرها ، أو أُخَطّئها بشواهد أُخَر ، كالذي فعلته في كتابي « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » ، وكالذي عقدت العزم على نشره في مجلة أو كتاب ، ما أسعفت الحال، ونفّس العمر .

٤ ــ وقال الاستاذ الفاضل وهو يعنيني : « والباحث حين يُنكر التصويب بمعنى الاصلاح والتقويم ، يضع التصحيح مكان التصويب لهذا المعنى ، فهل غاب عنه أن التصحيح نفسه لا يقتصر معناه على الاصلاح، بل يؤدي أيضاً معنى النسبة الى الصحة والحكم بها ؟ » . هكذا ، وسها عن ذكر « الإصلاح » ، مع أني ما ذكرت في مقالي المذكور الاصلاح والتصحيح معا الا قدّمت الاصلاح[٤] . فأقول : لم يغب عني ذلك ، ولكن قولنا « تصحيح الخطأ » بمعنى اصلاحه ، لا يُوقع في لبس البتّة، لانه أصل في الاستعمال ، فمن لم يرُقهُ التصحيح مع ذلك ، فله مندوحة عنه الى « الإصلاح » ، وقديما ألّف ابنُ قتيبة كتابا سمّاه « إصلاح غلط أبي عبيد ... » ولم يُسمه « تصويب غلط أبي عبيد ... » ، وعمل

(٤) ذلك في ص ١٧٣ س ٣ ، ١١ و ص ١٨١ س ١٣ ، ١٤ ، ١٥ . وص ١٨٤ س٢

أحمد بن محمد الخطّابي كتاباً ترجمه « بإصلاح الغلط » ، ولم يترجمه « بتصويب الغلط » ، وصنّف ابن السكّيت كتاباً وسَمَه « بإصلاح المنطق » ولم يَسِمْه « بتصويب المنطق » . فان كان المرامُ من السؤال التذرّعَ « بالتصحيح » الذي اتّخذ قديما معنى الحكم بالصواب ، ليُؤذَنَ لمعجم صُنع حديثا في شرح « تصويب الخطأ » خطأً ، وليُفرّع على هذا الخطأ أمثالهُ من الخطأ ، فأشك أن يقبله الأعلامُ من حُفّاظ اللغة العربية ، الناظرين لها ، المتمنين أن ينوّر الله تعالى راهنها كما نوّر ماضيها .

٥ ــ وأفاد الاستاذ الفاضل أن المعجم الوسيط لم يُغفِل معنى صوّب قوله أو فعله وهذا حق لا يُنْكَر ، ولم أنبّه عليه ، لان مرادي كان في التنبيه على الخطأ ، لذلك جعلتُ عنوان مقالي : « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » .

٦ ــ وما أظن الاستاذ الفاضل ، في اصراره على جرّ « صوّب » الى باب الافعال المتضمنة معنى الجعل والتصيير ، كان مبتغاه تغطية سهو وقع فيه مؤلفو المعجم الوسيط ، ففي وافر فضله ، وظاهر عدله ، ما يرفعه عن ذلك . ولكني أظنّ أن مبتغاه كان التعبير عن ميله الى الجمع بين القديم والجديد ، وكأني بالجديد عنده ، الخروج عما يُقال له « الجمود » ، والدخول فيما يقال له « إثراء اللغة العربية » بالاساليب والالفاظ الجديدة ، وفي كتابته ما يحقق ظنّي هذا :

أ ــ ففي مقاله الذي نحن بصدده (ص ٩٩٠) قال : « وقُصارى ما أفاض فيه الباحث ما يلي : ا ــ تخطئة المعجم الوسيط ... » الى آخر أمور خمسة عدّدها . وقوله « ما يلي » من الاساليب الجديدة في لغتنا ، وهو قريب من قولهم في الانكليزية The Following ، ويقع أحيانا في

موقعه ، ويقع أحيانا زائداً بعيدا من البلاغة ، كما في قول الاستاذ الفاضل، لأن الكلام يصحّ بحذفه ، فيقال : « وقصارى ما أفاض فيه الباحث :
أ ـ تخطئة المعجم الوسيط .. » ولم ترد « مايلي » في الكلام القديم تمهيداً لتعداد أمور[٥] . جاء في التنزيل أن الخضر عليه السلام أوّل لموسى عليه السلام ثلاثة أمور ، ومهّد لها بـ : « سأُنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » (الكهف ٧٨) . ونصحت أُمامةُ ابنةُ الحارث التغلبيّة ابنتَها عند هِدائها بعشر خلال (الفاضل في صفة الادب الكامل / ٩) مهّدت لها بقولها « واحفظي عني خِلالاً عشرا ، تكون لك رُكنا ، وذُخرا » ، وأعقب ذلك « أما الاولى والثانية ... » الى آخر الخلال العشر . وكثيراً ما يمهد للامور المراد تعدادها بـ « وهي »ونحوها ، أخص خصوصا الكلام الذي يقوله صاحبه وهو يدونه ، لا يُلقيه مشافهة.

ب ـ وقال (ص ٩٩٣) : « لاهتدى الى صواب استخدام التفعيل لمعنى الجعل » ، فاستعملَ « استخدام التفعيل » ، ولم يستعمل علماءُ اللغة « الاستخدام » في هذا الموضع ونحوه ، وانما استعملوا « الاستعمال ». قال سيبويه في الكتاب (١/ ٢٧٤) : « وحذفوا الفعل من إيّاك لكثرة استعمالهم ايّاه في الكلام». وقال في حذف الشعراء مالايُحذف (١/ ٢٦): « يشبّهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفاً » ، وقال (١/ ٢٦٩) :« ومما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل ... » . وقال أبو عثمان المازني في كتابه التصريف(المنصف ٢/ ٣٤) : « وقال في (يومٍ) كأنّه من (يُمْتُ) وان لم يُستعمل » ، وقال ابن جني في المنصف (٢/ ٢٢٧) : « ولكنه لما

(٥) قال العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله بخطأ « مايلي » هذه ، لان « ولي » عنده من الافعال التي لا تستغني عن مفعولها (فلسفة النحو والصرف / ١٣٦ و ١٣٧) . وهو قول فيه نظر .

كثر استعمال هذه الحروف ... » ثم قال « لأنّ (كان) كثر استعمالـهم إيّـــاها » .

ج ــ وفي مقال الاستاذ الفاضل[٦] الذي ناقش فيه العلاّمة محمد بهجة الاثري في رأي له ، قال « وفي مقدمتهم المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي » . ولم يرد في كلام الفصحاء « المرحوم » قبل اسم المتوفّى ، وانّما ورد في كلامهم بعد اسم المتوفّى « رحمه الله » أو « رضي الله عنه » ونحوهما . وقالت سودة بنت عمارة بن الاشتر بحضرة معاوية بيتين في الرثاء، فقال لها معاوية : ومن ذاك ؟ قالت (العقد الفريد ٢/١٠٣) : « عليّ بن أبي طالب رحمه الله » . وقالت أروى بنت عبد المطلب لمعاوية (العقد الفريد ٢/ ١٢٠) : « وكان عليّ بن أبي طالب رحمه الله بعد نبيّنا صلى الله عليه وسلم ... » . وقال معاوية لعديّ بن حاتم (تأريخ الطبري ٥/٥) : « أما والله انّك لمنَ المُجلبين على ابن عفّان رضي الله عنه » . وقال حبيبُ ابن مسلمة الفهري لعلي بن أبي طالب (الطبري ٥/٧) : « أما بعدُ ، فإن عثمان بن عفّان رضي الله عنه كان خليفـــة مهديًّا » . وأظـــن استعمال «المرحوم» قبل اســـم المتوفى جاءنا من اللغـــة الانكليزية ترجمـــةً لـ « DECEASED » ، قال جورج بيرسي باجر في معجمه :
ENGLISH - ARAB LEXICON المطبوع في ليدن سنة ١٨٨١ م في شرحه Deceased ماهذا ترجمته عن الانكليزية : « الكلام على الميت » ووضع بجانبه بالعربية « المرحوم » .

د ــ وقال الاستاذ الفاضل في المقال المذكور (ص ٣٦٧) : « جرى فيها الاشتقاق على أساس اعتبار الحروف كلها أصلية»،فاستعمل مصدر«اعتبر»

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . الجزء الثاني . المجلد الثاني والخمسون .

وعدّاه الى مفعولين ، ومُراده « اعتداد » بالدال ، من « اعتدّ » ومجرده « عَدّ » ، وكلا الفعلين يتعدى الى مفعولين • فمثال «عدّ» قول أبي دؤاد الإيادي (الشعر والشعراء ــ ليدن ١٢٢) :

لا أعدّ الإقتار عُدماً ولكن فقدُ من قد رُزئته الإعدام

وقول الاحنف بن قيس (الكامل١/٨٥): لاتزال العرب عرباً مالبست العمائم ، وتقلّدت السيوف ، ولم تَعْدُدْ الحلمَ ذلاً ، والتواهب بينها ضعةً » • ومثال « اعتدّ » ، قول الخوارزمي (رسائل الخوارزمي/٥٢): « ثم اعتدّ ذلك كله في جنب الواجب هباءً منثورا ، وقليلا محقورا »• وقول أبي اسحاق الصابي (معجم الادباء ٢/٢٤) :

فإني لأعتـدُّ المودّة منـك لي حُساماً به يقضون في الحدثان

وما جاء في « الواضح في مشكلات شعر المتنبي/٧١ » وهو : « أي اذا ضربتَ عدوّاً فصافح سيفُك هامتَه لم تعتَدِدْ ذلك نصـراً » • واتفق أن وقع التصحيف على « اعتـدّ » في بعـض الكتب المخطوطة فاستحالت « اعتبر » ، فلما طُبعت تلك الكتب أيام الافتقار الى التحقيق الدقيق ، طُبعت « اعتبر » بعوارها ، ، كالذي جاء في المستطرف من كل فنٍّ مستطرف (١/١٩٧) لبعضهم وهو :

اقرأ كتابك واعتبرهُ قريبـا فكفى بنفسك لي عليك حسيبا

ويجب أن يكون الاصل « واعتَدِدْهُ » ، وأذكر أني وجدت نحو هذا التصحيف في بعض طبعات ألف ليلة وليلة القديمة • فلما رسخ هذا الغلط في النفوس بتعاقب السنين ،أخذ بعض المحققين يرون « اعتبر » ، الذي هو تصحيف « اعتد » ، في المخطوط الذي يحققونه فيظنونه صواباً، كما جاء في كتاب « بغداد مدينة السلام » للهمداني (ص٨٤) وهو :

« واليوم الذي أُسر فيه تعتبره المجوسُ عيداً » ، والصواب تعتدّه عيداً[٧] .

وأختم مقالي قائلاً : إن دفاع الاستاذ الفاضل محمد شوقي أمين عن خطأ في المعجم الوسيط ، وإضبابَه على صحته ، واستعمالَه في الكتابة « ما يلي » و « استخدام التفعيل » و « المرحوم فلان » و «اعتبار الحروف أصليةً » ، على نحو ماتقدم ، وهو اللغوي البارع ، الذي لا يُؤتى من غُفول ، ولا يُعلَّم من جهل ، دلالة على أنه يُرخّص لنفسه في ذلك ترخيصاً ، لميله الى مزج القديم بالجديد ، على الوجه الذي بيّنتُه . وذلك يُنبىء عن سلوكه طريقاً يختلف عن طريقي ، وضربِهِ على قالب يغاير قالبي . لذلك لا أجد بي نهوضا الى مزيد من المناقشة ، لتعذر اجتماعنا على رأي فَصول ، أو اقتناعنا بحجّة تتوجه علي أو عليه . أما قول المعجم الوسيط « وصوّب الخطأ : صحّحه » ، فأَدَعُ الحكم فيه لكل قارىء يَزينه قدر من الانصاف ، وإحاطة بالعلم ، وثقابة في النظر، وتمييز بين لغة الصحافة والكتاب من الأدباء وبين الكتب اللغوية التي تؤصل الأصول وتقعّد القواعد وتحفظ على الالفاظ معانيها ومبانيها .

لنـدن : **صبحي البصـام**

(٧) كنت سألت العلامة مصفى جواد رحمه الله سنة ١٩٥٥ م إن كان رأى شاهدا ل « اعتبر » يتعدى الى مفعولين ، فقال لي : متى بدأت بالبحث عنه ؟ قلت : منذ عشر سنوات . قال : أنا أبحث عنه منذ خمس وعشرين سنة فلا أجده . ثم ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة نشر له بحثا عنوانه : « مقترحات ضرورية في قواعد اللغة العربية » ، جاء فيه أن « اعتبر » المتعدي الى مفعولين في عصرنا هذا تصحيف « اعتد » . وقال انه وجد « اعتبر » متعديا الى مفعولين في عبارة في كامل المبرد من طبعة الدلجموني وهي « واعتبرْ هذا الكلام بِحدّه رأسا في بابه » ، وقال انه لا يثق بهذا النص لاحتمال كون « اعتبر » اعتدّ . قلت : أجد أن « اعتبر » هاهنا صحيحة ، وانما جاءالغلط من « بِحدّه » لانها تصحيف « تجدْه » ، فيكون الصواب في رواية النص : « واعتبر هذا الكلام تجدْه رأسا في بابه » ، أي : انظر في هذا الكلام بتفكر تجده رأسا في بابه .

المؤتمر السنوي السادس

للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط

وقائع وهوامش

الاستاذ عبد النبي اصطيف

عقدت « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط »[1] مؤتمرها السنوي السادس في جامعة مانشستر ، بين الثامن والحادي عشر من شهر تموز ١٩٧٩ • وقد حضر المؤتمر لفيف من المهتمين بدراسات الشرق الاوسط في المملكة المتحدة وخارجها ، وممثلون عن مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية المعنية بالمنطقة •

والمؤتمر السنوي للجمعية هو مؤتمر عمل مكثف تناقش فيه جملة من القضايا التي تدور حول موضوعات محددة • وهو أبعد ما يكون عن المراسيم والاحتفالات الشعائرية • وحتى عشاء المؤتمر الرسمي ، وحفل الاستقبال الذي يسبقه ، يسودهما طابع مختلف يتسم بالجدية • فغالباً ما تدعو الجمعية باحثاً بارزاً في ميدان دراسات الشرق الاوسط ليكون ضيف الامسية ، ويتحدث فيها عن أعماله ، أو عن أبرزها ، واهتماماته ومشروعاته • وبالتالي فإن المؤتمرين يكونون على موعد مع عصارة تجربته الثقافية والعلمية في الحقل الذي يعمل فيه •

وهذا بالطبع اضافة الى ماتتيحه اللقاءات الجانبية غير الرسمية التي ترافق هذه المؤتمرات من فرصة للتعارف الشخصي بين الباحثين ، ومن مناقشات وتبادل للآراء في جو بعيد عن الرسميات ، وبالتالي عما يمكن أن يجعل المرء يتردد في الادلاء ببعض الملاحظات ، أو في إبداء بعض الآراء التي قد لا يجرؤ على الاثقال بها على الباحثين في جلسات المؤتمر الرسمية•

وقد كانت أبرز موضوعات المؤتمر ثلاثة :

١ ــ الحركات الصوفية •

٢ ــ البيبلوغرافيا الاسلامية •

٣ ــ العمارة الاسلامية •

اضافة الى جملة من الموضوعات الاخرى والندوات التي تناولت قضايا خاصة لا تدخل في اطار هذه الموضوعات ، ولكنها تتصل بدراسات المنطقة من وجوه مختلفة ، وسوف تتم الاشارة اليها فيما يتبع من سطور •

وربما كان من المفيد ، قبل الحديث عن وقائع المؤتمر ، اعطاء القارىء فكرة موجزة عن « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط » ، وعن المؤتمرات الخمسة السابقة التي عقدتها قبل الآن • ولعل في ذلك ما يلقي بعض الاضواء على جانب من وضع الدراسات العربية والاسلامية في المملكة المتحدة •

* * *

النموذج الامريكي

يستطيع المرء أن يذكر باطمئنان أن « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط » ، التي وجدت طريقها الى النور عام ١٩٧٣ ، ما هي إلا النظير البريطاني لـ « رابطة دراسات الشرق الاوسط لشمالي أميركا[٢] » التي تأسست عام ١٩٦٦ والتي كانت الغاية من انشائها النهوض بمستويات البحث والتعليم في ميدان الدراسات الشرق أوسطية وتسهيل الاتصال فيما بين الباحثين المعنيين من خلال اللقاءات والمنشورات ، ورعاية الفنون بين الاشخاص والمنظمات المهتمة بدراسة المنطقة •

أما اهتمام الرابطة الرئيسي فانه ينصب على دراسة هذه المنطقة منذ ظهور الاسلام وحتى اليوم من وجهة نظر علم الاجتماع والعلوم والمعارف الانسانية الاخرى • وأما طرق تنفيذ أهداف الرابطة فهي اصدار نشرة(٣) Bulletin دورية تغطي نشاطات الرابطة وفعاليات أعضائها وتتيح منبراً لتبادل الآراء والافكار فيما بينهم بشكل خاص وفيما بين الباحثين الشرق أوسطيين بشكل عام ، واصدار مجلة خاصة بدراسات الشرق الاوسط ـ وقد صدرت هـذه بالفعل وهي « المجلة الدوليـة لدراسات الشـرق الاوسط »(٤)ـ وتنظيم مؤتمر سنوي يشارك فيه من يرغب من الاعضاء وغيرهم ، يقدم فيه المؤتمرون حصيلة تجاربهم في ميادين البحث والتعليم، ويسهمون في التقدم بمستوى الدراسات الاستشراقية حتى تتخلص من عقابيل النظرة الاستشراقية التي سادتها منذ ظهورها في أواخر القرن الثامن عشر ، وبالطبع فإن الحديث بشكل مرض عن هذه الرابطة ونشاطاتهايتطلب بحثاً مستقلا يأمل صاحب هذه السطور أن يقوم بإعداده في المسـتقبل القريـب •

* * *

التجمعات الاستشراقية السابقة

من الجدير بالذكر أن أقدم التجمعات التي تضم المعنيين بدراسات الشرق في بريطانيا هي دون شك « الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا العظمى وأيرلندا»(٥) والتي أسسها توماس كولبروك Thomas Colebrook عام ١٨٢٣ ، والتي ما زالت على قيد الحياة تسهم بتواضع في تقدم هذه الدراسات عن طـريق نشاطات مختلفة ربما كان أبرزها مجلتها المعروفة « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا العظمى وأيرلندا(٦) •

وقد رافق التطورات الهائلة التي دخلت ميدان الدراسات الاستشراقية تطورات مماثلة في الميادين التنظيمية لتجمعات المهتمين بها • وكان من أثرها إيجاد مايسمى بـ « رابطة المستشرقين البريطانيين »[٧] عام ١٩٤٦ ، والتي كانت الغاية من انشائها تنسيق نشاطات المستشرقين البريطانيين وتطوير التعاون مع المنظمات الاخرى المعنية بشؤون الشرق في المملكة المتحدة وخارجها وذلك بغاية رفع مستوى معرفة الحضارات الشرقية ، وتنظيم مؤتمر دوري لمناقشة أمور ذات أهمية مشتركة للمستشرقين البريطانيين ؛ واصدار نشرة دورية هي : نشرة رابطة المستشرقين البريطانيين[٨] تكون سجلا سنويا للعمل الذي يقومون به في المملكة المتحدة • وقد بدأ اصدار النشرة عام ١٩٤٦ •

وفي عام ١٩٦٧ ظهر الى الوجود «مجلس مكتبة الشرق الاوسط»[٩] الذي كانت الغاية من انشائه تسهيل الخدمات المكتبية فيما بين الجامعات البريطانية التي تضم أقساما أو كليات للدراسات الشرقية •

* * *

الجمعية ومؤتمراتها السابقة

أما فكـرة تشكيل الجمعية الجديدة فقد جاءت من البروفيسور س• هـ • فيليبس C. H. Philips «مدير مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية» في جامعة لندن (وفيما بعد Sir Cyril) ، في اجتماع لرابطة المستشرقين البريطانيين عقد في بريستول في ربيع عام ١٩٦٩ • إلا أنها تعثرت فيما يبدو أو كانت بحاجة الى بعض الوقت حتى تنضج وتأخذ طريقها الى الوجود، كان أن أنشيء خلاله ما يسمى « المجلس البريطاني الوطني لدراسات الشرق الاوسط »[١٠] •

وفي الخامس والعشرين من أيار عام ١٩٧٣ ، عقد اجتماع في جامعة لندن ضم ممثلين عــن مختلف الجامعات البريطانية التي تعنى بدراسات الشرق الاوسط مع عدد كبير من المهتمين بالمنطقة من غير الجامعيين ، من الصحفيين والكتاب والباحثين ورجال الاعلام ، تم فيه تشكيل الجمعية والمصادقة على دستورها(١١) • وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه ، عقد مجلس الجمعية اجتماعه الاول في أكسفورد وجرت انتخابات فاز فيها الاستاذ ألبرت حوراني برئاسة الجمعية •

وفي شهر آذار من عام ١٩٧٤ عقد مجلس الجمعية اجتماعه الثاني في كامبريدج وكان من المهمات الملحة أمامه دراسة مسألة عقد مؤتمر سنوي من جهة ، ودراسة امكانية اصدار مجلة أو نشرة دورية تغطي نشـــاطات الجمعية • وكان أن اختيرت لانكستر لتكون مضيفة للمؤتمر السنوي الاول الذي عقد فيها في الاول والثاني من شهر تموز(١٢) • وهكذا بدأت مسيرة الجمعية بالمؤتمر السنوي من جانب وبالنشرة نصف السنوية من جانب آخـــر •

وتتالت المؤتمرات فيما بعد ، فعقد المؤتمر الثاني في كامبريدج في كلية الملك King's College بين ٣٠ حزيران و ٢ تموز ١٩٧٥(١٣) ، والثالث في درم Durham في كلية كولينغ وود بين الخامس والسابع من شـــهر تموز عام ١٩٧٦(١٤) والرابع في أكسفورد بين ٣ و ٦ تموز ١٩٧٧(١٥) ، والخامس في جامعة هل Hull بين ١٠ و ١٣ تموز ١٩٧٨(١٦) ، والسادس في مانشستر بين ٨ و ١١ من شهر تموز من هذا العام (١٩٧٩) •

وانتظم صدور الدورية وتتابعت مجلداتها حتى بلغت ستة • ولا شك أن هذه المسيرة جديرة بدراسة مفصلة آمل أن أنتهي منها في وقت قريب •

المؤتمر السادس

استغرق المؤتمر السادس أربعة أيام • وقد نوقشت فيه موضوعات مختلفة كان من أبرزها الحركات الصوفية والبيبليوغرافيا الاسلامية والعمارة الاسلامية ، اضافة الى عدد من الموضوعات الاخرى المتفرقة • وفيما يلي عرض موجز لوقائع المؤتمر ، سيكتفى فيه بالتركيز على الموضوعات التي ألقيت فيها أبحاث هامة أكثر من الامور التنظيمية التي سأتركها للدراسة الخاصة التي أعدها عن الجمعية •

* اليوم الاول ، الاحد ٨ تموز : وقد خصص لاجتماع مجلس الجمعية ونوقشت فيه جملة من الامور التنظيمية •

* اليوم الثاني ، الاثنين ٩ تموز : وقد خصص للموضوع الاول وهو « الحركات الصوفية » التي نوقشت في ثلاث جلسات كانت على الشكل التالي :

الجلسة الاولى :

١ ــ «السنوسية» ــ إمرس بيترز — Emrys Peters

٢ ــ « الشيوخ الصفويون » ــ س• مورتون — S. Morton

الجلسة الثانية :

١ ــ «الختمية في السودان» ــ أحمد الشاهي

وتلتها مناقشة موسعة ومطولة •

الجلسة الثالثة :

١ ــ «البكداشية في تركيا» ــ جون مورتون — John Morton

وقد رافق محاضرته عرض للصور الملونة بالفانوس السحري•

وقد كان من المفروض أن يلقى في الجلستين الثانية والثالثة بحثـان آخران هما :

١ ـ «النورثوز في تركيا» ـ سيريف ماردين Serif Mardin

٢ ـ «طرائق شرقي أفريقيا» ـ م. هيسكيت M. Hiskett

إلا أن الباحثين قد تخلفا فيما يبدو لظروف قاهرة.

وبعد انتهاء جلسات الحركات الصوفية عقد الاجتماع السنوي العام للجمعية ، نوقشـت فيه أمور تنظيمية تتعلق بالميزانية السنوية وموعد انعقاد المؤتمر السابع ومكانه وغير ذلك .

وفي أمسية ذلك اليوم كان عشاء المؤتمر الرسـمي . وكان ضيف الشرف المتحدث فيه البروفيسور ج. د. بيرسن J. D. Pearson أستاذ البيبليوغرافيا في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية). وقد تحدث فيه عن بداية اهتمامه بالدراسات الشرقية وعن الاسباب التي حدت به للتوجه نحو الاهتمام بالعمل البيبليوغرافي . ثم تطرق بإيجاز الى مشروعه العظيم Index Islamicus والذي كان قد بدأه عام ١٩٥٢ وما زال يتابعه حتى اليوم ، وعن الصعوبات التي يعانيها وعن مشاريعه التي ينوي تنفيذها قبل أن يتقاعد . واذا ما جاز للمرء أن يستبق الحديث عن هذا المشروع فانه يمكن أن يشير الى أن هذا المشروع هو عبارة عن فهرسة شاملة مستقصية لمقالات ما يتجاوز (٥١٠) دورية و (٧٠) مؤتمراً و(١٢٠) مجلدا تضم دراسات جمعت على شرف أحد الباحثين اثر بلوغه سناً معينة وأهديت له . ومن الجدير بالذكر أن هذه الدوريات والمجلدات تصدر بمختلف اللغات الاوربية . وعلى أي حال فإن حديثا أكثر تفصيلا عـن المشروع سيأتي عند التعرض لجلسة البيبلوغرافيا الاسلامية .

* اليوم الثالث ، الثلاثاء ١٠ تموز : وقد خصصت جلستا الصباح فيه لموضوعي الببليوغرافيا الاسلامية ، والعمارة الاسلامية ، وكرس الجزء الاول من بعد ظهيرته لندوة الخريجين في حين كان الجزء الثاني من نصيب المتحدث الضيف، البروفيسور ارغن أوزبدن Ergun Ozbudun الاستاذ في جامعة أنقرة • وقد كان هذا اليوم من أحفل أيام المؤتمر وأكثفها وأغناها مادة ، ولذلك فسوف تكون وقفتنا عنده أطول من الايام الاخرى •

جلستا الصباح :

١ً ـ الببليوغرافيا الاسلامية : وقد ترأس الجلسة دريك هبوود وشارك فيها كل من البروفيسور بيرسن وبول أوخترلوني ، وبيتر سلفليت بحديث استغرق من ٢٠ ـ ٢٥ دقيقة تلته مناقشة شارك فيها المتحدثون أنفسهم والمؤتمرون •

ا ـ ج• د• بيرسن ومشروعه العظيم Index Islamicus : وقد تحدث فيه عن هذا المشروع الهام والذي امتد عمله فيه على فترة تقارب عقوداً ثلاثة • والمشروع عبارة عن فهرسة للمقالات التي حوتها (٥١٠) دورية تصدر باللغات الاوربية وتعنى بالدراسات العربية والاسلامية ، اضافة الى جملة كبيرة من المنشورات الجماعية(حوالي ١٢٠ Festschriften (١٧) و ٧٠ مجلداً من وقائع المؤتمرات) • والعمل يغطي القرن العشرين ويبدأ بعام ١٩٠٦ وهو عام صدور مجلة Revue du mond musulman وقد صدر منه حتى الآن مجلد ضخم وأربعة ملاحق ومجلة فصلية عمرها عامان • وكان صدورها على النحو التالي :

1. Index Islamicus : 1906 - 1955, A Catalogue of Articles

on Islamic Subjects in Periodicals and other Collective Publications.

وقد صدر عام ١٩٥ وهو يغطي الفتـــرة ما بين ١٩٠٦ و ١٩٥٥ أي نصف قرن بالضبط •

2. Index Islamicus first Supplement : 1956 - 1960

وصدر عام ١٩٦٢ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ •

3. Index Islamicus, Second Supplement : 1961 - 1965.

وصدر عام ١٩٦٧ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٦١ و ١٩٦٥ •

4. Index Islamicus, Third Supplement : 1966 - 1970.

وصدر عام ١٩٧٢ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ •

5. Index Islamicus Fourth Supplement : 1971 - 1975.

وصدر عام ١٩٧٧ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٧١ و ١٩٧٥ •

وفي عام ١٩٧٧ بدأ صدور المجلة الفصلية

The Quarterly Index Islamicus

(الفهرس الاسلامي الفصلي: كتب ومقالات وبحوث راهنة عن الدراسات الاسلامية) وهي تضم الى جانب المقالات ثبتا بأهم الكتب الصادرة عن الشرق وقد صدر منها حتى الآن مجلدان اثنان والبروفسور بيرسون يود أن يمضي بها حتى عام ١٩٨٠ وهو العام الذي اختاره ليتقاعد عن العمل• وقد أشار الى رغبته في أن يعهد بمهمته هذه الى أحد المهتمين والى أنه يسعى الى تدريب أحد المفهرسين من أجل ذلك رغبة منه في متابعة اسداء هذه الخدمة الجليلة للباحثين والتي ما فتىء يقدمها بالتعاون مع زوجه منذ عام ١٩٥٢ •

وبعد ذلك أشار البروفيسور بيرسن الى بعض النقد الذي وجه الى

عمله • وقد اعترف ببعضه وتحدث عن امكانية تطوير المشروع بوضع ثبت بالمؤلفين وآخر بالموضوعات وعن إعداد فهرس بالمقالات التي سبقت عام ١٩٠٦ ، وما يمكن أن يقدم ذلك من عون للباحثين وما يوفره عليهم من وقت وجهد • وربما كان من الجدير بالذكر أن البروفيسور بيرسن بصدد إعداد فهرس شامل لـ : موسوعة الاسلام ، وذلك من أجل تسهيل الافادة منها ما أمكن •

والحقيقة أن أهمية هذا العمل لاتنبع فقط من الفائدة التي لا تقدر والتي لا يمكن للباحث أن يستغني عنها ، وانما لأنه العمل الوحيد في ميدان فهرسة الدوريات المعنية بالشرق • ولا يقدر مقدار الوقت والجهد الذي يمكن أن يوفره فهرس كهذا على الباحثين إلا من عانى مراجعة الدوريات معاناة مباشرة • ومن المؤسف أن نشير هنا الى أنه ليس ثمة من عمل مماثل في اللغة العربية* ، وأن هذا قد جعل أكثر البحوث التي تنشر عن الادب العربي الحديث تستند في مجملها الى الكتب • ولا يدري المرء ماذا يمكن أن تكون عليه صورة الادب العربي الحديث لو قدر له أن يدرس بعد مراجعة شاملة لكل ماصدر من الدوريات العربية في القرنين الاخيرين •

والحقيقة أن الاهتمام بميدان البيبلوغرافيا ما زال محدوداً في الوطن العربي • ومن المؤسف حقا أن من يقوم به لا يؤخذ مأخذ الجد ، ولا ينظر اليه بعين التقدير والتشجيع ، رغم أن عمل الفهرس أبعد ما يكون عن

* علمت من البروفيسور بيرسن والدكتور دريك هبوود أن « مجلس مكتبة الشرق الاوسط » قد اعد فهرسا شاملا لخمسين دورية عربية ، وأنه قد انتهى منه منذ عدة سنوات ، وقد اتفق مع هيئة جامعية في بيروت على طبعه واخراجه في ثلاثة مجلدات ضخمة ، ويبدو أن الحوادث المؤسفة التي مر بها القطر اللبناني الشقيق كانت وراء تأخير المشروع لهذه السنوات • والحقيقة أن مشروعا كهذا لايمكن أن يترك ، وتنبغي متابعته من أجل اصداره في أقرب وقت واتاحة الفرصة امام الباحثين لمراجعة هذه الدوريات دون كبير وقت وجهد • ولعل جهةً ما في القطر أن تتولى طباعته ونشره •

الانانية ، وهو يتطلب في الوقت نفسه صبرا ودأبا وسعة معرفة ، وحصيلته الشخصية محدودة وغير حافزة على المتابعة على الاطلاق ، ولكننا اذا ما اعتبرنا الفائدة التي يمكن أن يسديها الفهرس للباحث ، والوقت والعناء اللذين يوفرهما عليه ، فاننا نرى كم هو ضروري وأساسي وهام •

ان دعوة المؤتمر للبروفيسور بيرسن ليكون ضيفه وليتحدث عن تجربته في ميدان الفهرسة وعن مشروعه العظيم « الفهرس الاسلامي » انما يعكس التقدير الذي تلقاه الببيلوغرافيا في الغرب • وربما تساءل المرء من يذكر منا مفهرساً كأسعد يوسف داغر هذه الايام أو من يشير الى أياديه البيضاء والتي يسديها في صمت •

ب ــ بول أخترلوني و « مجلس مكتبة الشرق الاوسط » : وقد تحدث السيد أخترلوني عن هذا التجمع الذي يضم قيّمي المكتباتِ المعنية بشؤون الشرق الاوسط والدراسات العربية والاسلامية والذي ظهر عام ١٩٦٧ ، وعن نشاطاته المختلفة والتي تتوجت باصدار ثلاثة أعمال :

١ ــ الشرق الاوسط والاسلام : مدخل ببيليوغرافي:

Middle East and Islam: A Bibliographical Introduction

والذي صدر عام ١٩٧٢ ، وحرره دريك هبوود وديانا غريم ــ وود جونز• ويبدو أن طبعته قد نفدت لانه قد لبى حاجة ملحة ، ولذلك فانه ستصدر منه طبعة معدلة في نهاية هذا العام •

٢ ــ الفهرس الشامل للدوريات والصــحف العربيــة في المكتبات البريطانية :

Union Catalogue of Arabic and Newspapers in British Libraries

والذي أعده بول أخترلوني قيم مكتبة الدراسات الاسلامية في جامعة لانكستر ، وياسين الصفدي قيم القسم الشرقي في مكتبة المتحف البريطاني ونشرته Mansell عام ١٩٧٧ • ومن الجدير بالذكر أن هذا الفهرس يضم ثبتاً بما يتجاوز الالف دورية ، ويذكر اسم الدورية ، والجهة التي أصدرتها أو ما زالت تصدرها ، والمكان وتاريخ الصدور ، والمكتبات التي تملك نسخة منها مع بعض التفصيلات الاخرى الضرورية والتي تيسر على المراجع العثور على بغيته بأقل ما يملك من الوقت والجهد •

٣ ـ بيبليوغرافيا اسلامية عربية: دليل مجلس مكتبة الشرق الاوسط:

Arab Islamic Bibliograph The middle East Library Committee Guide

والذي حررته مجموعة من الباحثين وقيمي المكتبات في الجامعات البريطانية وصدر عام ١٩٧٧ • وليس هذا الكتاب إلا إعادة تحرير لكتاب ج• غابريلي «الوجيز في البيبليوغرافيا الاسلامية» والذي صدر بالايطالية عام ١٩١٦ • وهو يعتبر بحق من الاسهامات الهامة في حقل البيبليوغرافيا الاسلامية •

وقد أشار بول أوخترلوني في نهاية حديثه الى محاولة المجلس الاستفادة من الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر) في أعماله من أجل إعداد فهرس بالموضوعات ، والى عزم المجلس على اصدار دليل لأرشيفات الوثائق الرسمية باللغات الاوربية عن الشرق الاوسط والذي سينشر في العام القادم • والى ثبت الاوراق الخاصة الذي أعدته الآنسة ديانا غريم ـ وود جونز ، والذي يمكن أن يعتبر مشروعا رائداً يمكن أن يطور وينمى لتزداد الفائدة منه •

جـ ــ بيتر سلفليت وفهرس الرسائل الجامعية : وقد تحدث الدكتور سلفليت فيه عن المشروع الذي يقوم به حاليا وهو اعداد فهرس شامل بجميع رسائل الماجستير والدكتوراه المعنية بشؤون الشرق الاوسط وشمالي أفريقيا ، وهو عمل لا يشتمل على الرسائل المنجزة فقط ، بل يضم الرسائل التي ما زالت قيد الكتابة أيضا • وقد اختار عام ١٩٤٥ ليكون بداية لفهرسه ، وأشار الى أنه جمع حتى الآن ٣٠٠٠ عنوان في مختلف الموضوعات حتى الحيوان والنبات والعلوم الاخرى ، والى أنه يرغب في أن يقصرها على الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية • وقد اتفق مع الناشر على أن يصدر طبعة جديدة كل خمس سنوات ، وسوف يعمد الى حفظ الفهرس في الحاسب الالكتروني في أكسفورد بالتعاون مع السيد ألن جونز وذلك من أجل تيسير الفائدة على من يريد مراجعته وذلك بالاتصال الهاتفي به والحصول على معلومات فورية بشأن أية أطروحة من الاطروحات•

٢ً ــ العمارة الاسلامية ، وقد تحدث فيها كل من

ا) غ• غودوين G. Goodwin عن تأثير الفتح العثماني على عمارة القسطنطينية وقد ركز في حديثه بشكل خاص على تحويل كنيسة آياصوفيا الى مسجد •

ب) مايكل روجرز Micheal Rogers عن المواد المستخدمة في عمارة القسطنطينية في القرن السادس عشر وعن مصادرها ووسائل الحصول عليها •

جـ) السيد ماثيوس Mr. Mattheus عن العمارة الحديثة في الخليج العربي والمملكة العربية السعودية مع عرض للشرائح الملونة بالفانوس

السحري • ومن المعروف أن السيد ماثيوس قد قام بتصميم وتنفيذ مشروعات عديدة في مختلف مناطق الخليج العربي والمملكة العربية السعودية • وقد تحدث في محاضرته عن تجربته هناك ، وأشار الى العوامل المختلفة التي تؤثر على نوعية التصاميم الهندسية للابنية والمنشآت المختلفة في المنطقة وذكر منها جنسية المصمم ، ورغبة صاحب البناء ، والاعتبارات المالية ، وطبيعة المناخ ، ومسألة توفر المواد الاولية ، وتنافس المكاتب الهندسية وغير ذلك • وقد أبدى في النهاية أسفه لأن العمارة الحديثة في الخليج العربي والسعودية لا يغلب عليها الطابع العربي • وقال ان المرء يمكن أن يراها في أي مكان : في نيويورك أو طوكيو أو باريس أو غيرها من عواصم العالم • ثم أشار الى محاولة بعض المصممين ادخال بعض العناصر العربية كالاقواس والقباب وغيرهما في تصاميمهم ، والى اخفاقهم في ذلك لأنها تبدو مقحمة على الكثير من الابنية التي عرض شرائح ملونة عنها أثناء حديثه • ويبدو لي أن هذا مفارقة كبيرة حقاً ، وهي لا تقتصر على منطقة الخليج العربي بل تكاد تشمل جميع الاقطار العربية • وانه لمن المؤسف حقاً أن لا تحتفظ العمارة العربية الحديثة بأية صلة مهما كانت واهنة بالتراث العريق والمجيد للعمارة العربية الاسلامية ، والتي لم تترك بصماتها واضحة في كل مكان حل فيه العرب فقط ، وانما تعدت ذلك الى المناطق المجاورة •

جلستنا ما بعد الظهيرة :

١ ــ ندوة الخريجين : وألقيت فيها البحوث التالية بعد أن قسمت الجلسة الى حصتين :

أ) تاريخ مدينة ماغادور (الصويرة) المغربية : دانييل شروتر **Daniel Shroeter** من جامعة مانشستر •

ب) وجوه في أدب الحديث : عبد القادر شريف من جامعة لنـدن (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية) •

ج) علم الكلام الشيعي الوسيط : نورمان كالدر **Norman Calder** من جامعة لندن •

د) باكثير والالتزام الاسلامي في الادب العربي الحديث : محمـد توفيق من جامعة مانشستر •

وقد ألقيت جميعها في الحصة الاولى • وألقي البحثان التاليان في الحصة الثانية :

هـ) ملاحظات نحو دراسة مقارنة للنقد العربي الحديث : عبد النبي اصطيف من جامعة أكسفورد •

د) صـور المرأة في الادب التـركي الحديث : جانيـت براوننغ **Janet Browning** من جامعة درم •

٤ ـ أرغن أوزبدن **Ergun Ozbudun** وحزب تحرير الامة : وقد تحدث البروفيسور التركي أوزبدن في هذه الجلسة عن (حزب تحـرير الامة) • والاستاذ أوزبدن هو أستاذ القانون الدستوري في جامعة أنقرة ومحام وعالم وسياسي • وتناول الحديث مذاهب الحزب ونظريته وثقله السياسي في الحياة التركية وناخبيه وأماكن تجمعاتهم وطبقاتهم الاجتماعية، وقدم تحليلا جيداً للانتخابات التركية في الدورتين الاخيرتين • وكان ذلك كله ضمن سياق عام مـن التطورات السياسية التي شهدتها تركيا خلال العقد الاخير والذي كان تصوره خلفيـة تتحرك وراء مناقشته لحـزب تحرير الامة •

اليوم الرابع ، الاربعاء ١١ تموز : وقد عقدت فيه جلستان خصصت الجلسة الصباحية فيه للبيبليوغرافيا واقتصرت جلسة بعد الظهيرة على « مجلس مكتبة الشرق الاوسط »

الجلسة الصباحية : وقد ترأسها البروفيسور ل• إلويل ــ ستون **L. Elwell - Suttan** وكانت عبارة عن ندوة موسعة تمت فيها مناقشة مشكلات البيبليوغرافيا الإيرانية ، واستغرقت الصباح كله •

جلسة بعد الظهيرة : وقد اقتصرت ، كما ذكرت ، على أعضاء مجلس مكتبة الشرق الاوسط من أجل تدارس مشاريعه ونشاطاته المقبلة التي سبقت الاشارة الى بعضها • ومن الجدير بالذكر أن هذا الاجتماع هو الاجتماع السادس والعشرون للمجلس منذ تأسيسه عام ١٩٦٧ •

* * *

خـــواتيم

وبعد هذا العرض الموجز لوقائع المؤتمر يمكن للمرء أن يشير الى الملاحظات التالية :

١) رغم أن المؤتمر مؤتمر دوري يعقد سنويا إلا أنه في موضوعاته التي تم اختيارها لهذا العام كان استجابة واضحة للحاجات الملحة التي تفرضها التطورات الكبيرة التي تمر بها الدراسات الشرق ــ أوسطية في الغرب من جهة ، وللتطورات التي تشهدها هذه المنطقة من جهة أخرى • فموضوع الحركات الصوفية كان نتيجة مباشرة لما أثارته الثورة الايرانية من مناقشات في الاوساط الغربية ، وهو محاولة لفهم الحركات الاخرى التي يمكن لها اذا مادرست أن تلقي بعض الضوء على ما يجري في أجزاء من هذه المنطقة • وموضوع البيبليوغرافيا بشقيه الاسلامي والايراني

ماهو غير استجابة للصعوبات التي يمكن أن يواجهها الباحثون في هذه المنطقة ومحاولة لتوفير المادة الاساسية التي لا غنى عنها في أي بحث سليم • وأما موضوع الهندسة المعمارية الاسلامية فهو موضوع كان وما يزال يستأثر باهتمام الدارسين الاسلاميين ، ودارسي الفنون والعمارة في الغرب نظرا لما كان للعمارة الاسلامية من تأثير على تطور الهندسة المعمارية العالمية •

٢ ــ قد يتساءل المرء هل للبيبليوغرافيا هذه الاهمية حتى تخصص لها ثلاث جلسات مطولة في مؤتمرعمل استمر أربعة أيام ؟ وما هي الفائدة التي يمكن أن يقدمها للباحثين في أي حقل من حقول المعرفة ؟ وقد يستغرب من جهة أخرى أن يكون هناك بروفيسور للبيبليوغرافيا،وأن يدعى ليكون ضيف شرف في مؤتمر كهذا •

لست أريد في هذا الموضوع أن أتحدث عما وصلت اليه حال الدراسات العربية في وطننا العربي ، ولا أظن أن المقام يتسع هنا للتعرض الى الصعوبات التي تعانيها المحاولات المبذولة للنهوض بهذه الدراسات • ولكني سأكتفي بالاشارة الى سبب واحد وهو أن الدراسات العربية في مجملها تفتقر الى أمر حيوي وهام وهو الانطلاق في كل بحث أو مشكلة أو قضية من النقطة التي وصل اليها الآخرون الذين سبقوا الى معالجتها • ان أغلب الدراسات العربية التي تنشر اليوم تنطلق في كثير من الاحيان من نقطة الصفر • وقد يعزو بعضهم أسباب هذا القصور الى كاتبي هذه الدراسات والى أنهم لايعيرون ما أسهم به غيرهم ، في هذا الميدان أو ذاك ،أدنى اهتمام • وهذا بعض الحقيقة لان هؤلاء ينسون أن نقطة البدء في أي بحث هي مراجعة البيبليوغرافيا الخاصة به ، ومعرفة ما كتب عنه ، وبالتالي محاولة الاستفادة من هذا الذي كتب بعد تطويره والوصول به الى نتائج متقدمة •

ان الدراسات العربية تفتقر الى ما سماه الاستاذ يحيى حقي (بالتتابع) الذي يشير اليه في حديث نشر منذ عامين • يقول الاستاذ يحيى حقي :

« أمنيتي أن أرى في حركتنا الادبية ما أسميه بالتتابع ، أي أن تكون الافكار الجديدة مستندة ومتابعة للافكار السابقة • وهذا ما يتطلب ما أرجوه من أن يكون المفكر ملماً بكل ما سبق عن الموضوع الذي يعالجه، لأنه يخيل إليّ في بعض الاحيان حين أقرأ بحثاً صدر اليوم ، أني قد سبق لي أن قرأته ، كأننا ندور في مكان واحد لا نبرحه »[١٨] •

ان البدء بإعداد بيبلوغرافيا شاملة ومستقصية للموضوعات المختلفة التي تتصل بالثقافة العربية أمر حيوي وهام جدا اذا ما أريد للدراسات العربية أن تحقق قفزة نوعية في ميدانها • ولا شك أن التقدم الذي أحرزته الدراسات العربية في الغرب انما تحقق بتطبيق مبدأ متابعة البحث من النقطة التي انتهى الآخرون اليها ، لا من نقطة الصفر ، وأن هذه المتابعة ما كان لها أن تتم لولا وجود بيبلوغرافيا خاصة بكل موضوع •

٣ ـ لايمكن للمرء أن يغفل الفائدة الكبيرة التي يمكن أن تجنيها الجامعات والعاملون فيها من هذه المؤتمرات ، فرغم أن الدراسات العربية والاسلامية في بريطانيا لا تشغل إلا حيزًا محدودا من اهتمامات جامعاتها، ومن العملية التعليمية فيها ككل ، إلا أنها من جهة أخرى تظفر بما هي جديرة به من عناية كأي حقل من حقول المعرفة الانسانية الاخرى • ولما كان لايمكن تطوير أي فرع من فروع الدراسات الجامعية دون اتاحة الفرصة أمام العاملين في هذا الفرع للتعاون فيما بينهم ، وتبادل النتائج التي يتوصلون إليها ، فان المؤتمرات تلعب دوراً هاماً في تسهيل الاتصالات واللقاءات فيما بين هؤلاء المعنيين من أجل تبادل الخبرات والمعلومات

والفوائد ، وبغاية التنسيق بين فعالياتهم ونشاطاتهم في الجامعات المختلفة. ومن المؤسف أننا لانكاد نعير هذه الامور كبير أهمية في الاقطار العربية رغم أن فرص التعاون متيسرة وممكنة ، والحاجة الى هـذا التعاون ماسـة جـداً .

ان المؤتمر السادس للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط مؤشر واضح على ما تحظى به الدراسات العربية والاسلامية من اهتمام من جهة،وعلى الطرق المستخدمة في تطوير هذه الدراسات والرقي بمستواها من جهة أخرى . ولعل فيما تقدم من حديث عن المؤتمر ووقائعه ما يبين عن هذا الاهتمام ، وما يدفع الى الافادة من الوسائل المختلفة المستخدمة في تطويره من أجل دفع دراسات المنطقة في الوطن العربي والرقي بمستواها حتى تستطيع أن تزعم لنفسها جدارة الانتماء لعصرها .

عبد النبي اصطيف

جامعة أكسفورد

تموز١٩٧٩

هوامـــــش

(١) British Society for Middle Eastern Studies

(٢) Middle East Studies Association of North America

(٣) Middle East Studies Association Blletin

(٤) International Journal of Middle Eastern Studies

(٥) The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland .

(٦) Journal of the Royal Asiatic Society.

(٧) Association of British Orientalists

(٨) Bulletin of the Association of British Orientalists

(٩) The Middle East Library Committee

(١٠) British National Committee for Middle Eastern Studies

(١١) من أجـل الاطـلاع على دستور الجمعية انظـر النشـرة ، المجلد ١ ، ١٩٧٤ ، ص‌ص ٣٦ـ٣٨ ٠

(١٢) انظر مـن أجل وقائع المؤتمـر الاول النشرة ، المجلـد ١ ، العـدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص‌ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(١٣) انظـر وقائعـه في النشـرة ، المجلـد ٢ ، العـدد ٢ ، ١٩٧٥ ، ص‌ص ١٠٥ ـ ١٠٧ ٠

(١٤) انظـر وقائعـه في النشـرة ، المجلـد ٣ ، العـدد ٢ ، ١٩٧٦ ، ص‌ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ٠

(١٥) انظـر وقائعـه في النشـرة ، المجلـد ٤ ، العـدد ٢ ، ١٩٧٧ ، ص‌ص ٩٩ ـ ١٠١ ٠

(١٦) انظـر وقائعـه في النشـرة ، المجلـد ٥ ، العـدد ٢ ، ١٩٧٨ ، ص‌ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ٠

(١٧) هي كلمـة ألمانيـة تستخدم على نطـاق واسـع اليوم للدلالة على الكتب المؤلفة من عدة بحوث أو دراسات ألقيت في ذكرى بلوغ شخص هام سنا معينة، ثم جمعت في كتاب وأهديت له تكريما له وتقديرا لخدماته ٠

(١٨) انظـر عـاطف مصطفى : « يحيى حقي في حـديث عـن الابـداع الفني وتدهور الفكر » في الهلال ، ديسمبر ، ١٩٧١ ، ص ٦١ ٠

الشيخ طاهر الجزائري

مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته

الاستاذ علي حيدر النجاري

بعث إلينا الاستاذ علي حيدر النجاري بمقال عن العلامة الشيخ طاهر الجزائري بمناسبة ذكراه الستين أورد فيه نماذج من نثره وشعره في شبابه.

وقدم لها بالحديث عن علاقات الاخوة التي تربط بين الجزائر وبين بلاد الشام والتي تتمثل بأعداد من المهاجرين الذين نزلوا سورية قبل الاستعمار الفرنسي وبعده . وتوقف بخاصة عند الامير عبد القادر ثم أشار الى الشيخ محمد المبارك الجد ، المتوفى في العقد الاول من هذا القرن والد الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك عضو مجمع اللغة العربية (ت ١٩٤٥) وجدّ الاستاذ محمد المبارك الحفيد ، العضو العامل في مجمع اللغة .

وكان ذلك تمهيداً للحديث عن الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥١ ــ ١٩٢٠) الذي (أغنانا في ترجمته وتعداد مآثره الاخ البحاثة الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب في دراسته القيمة التي ألقاها على طلاب معهد الدراسات العربية العليا ونشرها المعهد ضمن مطبوعات سنة ١٩٧٠).

وبعد أن نوّه بفضله مستنداً الى أقوال الاستاذ كرد علي في كتابه « كنوز الاجداد » والاستاذ أنور الجندي في مقاله عن كرد علي المنشور في العدد الاول من المجلد ٥٢ من مجلة المجمع ، وإلى ما سمعه من الاستاذ المرحوم محب الدين الخطيب خلال تردده عليه أيام الطلب في القاهرة في

المكتبة السلفية بالسيدة زينب في الثلاثينيات ، ونقل بعد هذا خبراً مكتوباً عن مجلة كل شيء والعالم التي كانت تصدر في القاهرة ، نشرته في صفحة كانت تخصصها لأخبار ماقبل ربع قرن جاء فيها « ٤ مايو ١٩٠٧ قدم القاهرة حضرةالاستاذ العلامةالشيخ طاهر الجزائري إمام شيوخ سورية وأستاذ أدباء دمشق والرجل الذي وقف حياته على العلم والادب » • « كل شي والعالم • العدد ٣٣٨ وتاريخه ٣٠ أبريل ١٩٣٢ » •

بعد هذه التوطئة أورد الاستاذ النجاري ما دار بين والده الشيخ رسول النجاري وبين الشيخ طاهر من رسائل تتضمن شيئاً من الشعر وشيئاً من النثر وهي رسائل محفوظة في مخطوطة للشيخ رسول اسمها : **الجواهر** الغالية الاثمان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان •

والمخطوطة كما يبدو من عنوانها حديث عن رحلته الى الديار العثمانية وتسجيل للرسائل التي كانت تدور بينه وبين أدباء عصره خلال وجوده في الحاضرة العثمانية • ويستنتج الاستاذ النجاري من ماجريات والده في الاستانة أن ولادة الشيخ طاهر كانت على الارجح سنة ١٨٥١ وأنه حين كتب الرسالة التي سيوردها كان لم يبلغ الثلاثين ، وفي نحوٍ من ذلك كان والده فكلاهما كان لم يتجاوز طور الشباب • ثم يقول :

بعد أن أتى الوالد على رسالة الشيخ محمد المبارك وجاء في نهايتها ما نصه :

« هذا وقد ذكرت من نوع المعمّى ، في اسم أشرف مسمّى ، صلى الله عليه ، وكل محبوب لديه ، لمصادفتي يوما أخانا الشيخ طاهر أفندي متوجه الفكر الى ذلك ، فسلكت معه بلطف إيناسه هذه المسالك • »

يقول الوالد :

« أقول إنه ذكر وقتئذ بعض معميات ، ونظمهافيسلوك أبيات كالآيات، تتفتح لورود حقائقها أبواب الالباب ، وتنشرح لصدور دقائقها صدور الاحباب ، وأما حضرة الشيخ طاهر الذي نوه بجنابه المنيف ، فكره الذكي وطبعه اللطيف ، وهو مفتش المعارف في الشام ، ذات الثغر البسام ؛ وإنه لأديب تتطفل الادباء على موائد فوائده ، ونبيه تتزين النبهاء ببهاء فرائده ، اجتهد في طلب الفضائل فجمع شملها ، وترقى في العلوم وكان أحق بها وأهلها ، وأقر بفضله وعلمه كل فاضل عالم عقول ، وشهد أنه صعد الذروة في المنقول والمعقول ، وحاز قصب السبق في فنونالآداب والعلوم الرياضية، وأضحى لا يشق له غبار في مضمار الدراية والروية ، حتى قصرت عليه كل القصر ، بلاغة أهل العصر ، اذ ظهرت عرائس أفكاره من الخدور ، وبهرت كالشموس والبدور ، وكما أنه جزيل الفضل ، طيب الفرع والاصل ، يفوح من خلقه طيب العرف ، ويلوح من خُلقه ما يبهج النفس ويمتع الطرف ، وإن مزاياه لاتعد كالكواكب ، اذ تفيض بالفضل كالغمائم السواكب ، وكم له من مؤلف طريف ، ومصنف ظريف ، لم ير مثله الراؤون ، ولم يرو مثله الراوون ، جدير أن يُكتب بالمسك على الكافور ، بل بالتبر على صحائف النور ، منسوج على أبهى منوال وأحسن أسلوب ، مسبوك في قالب بديع تميل إليه القلوب ، وتلك بديعيته الغرّاء ، قرة أعين الناظرين والقراء ، بُنِيَت أبياتها ببنان اليراعة ، ورفعت قواعدها على أساس البلاغة والبراعة، وقد طوت مافي المطوّل مع ايجازها ، وحوت معاني الاعجاز بحسنحقيقتها ومجازها ، وكأنها في الإطراء والإطناب ، خيمة في رياض البلاغة ممدودة الأطناب ، وكم سمعت له من غادة بكر ، من بنات الفكر ، هام بها لُبّي ،

وصبا إليها قلبي ، وعندما تيمتني بنات أفكاره بإعراضها وصدها ، سنح لي وحَسُن عندي أن أسدّي شرك لغز لصيدها،فأتيت بهذا اللغز الباهر، باسمه الطاهر :

وحيد العصر ، ما اسم مستطاب يميل إليه كل الناس طبعا
تنزّه إذ بدا عن كل رجس وأضحى طاهراً أصلا وفرعا
تُواليه أولو الالباب طراً وأرباب النهى تهواه جمعا
له فضل جزيل ليس يحصى وأوصاف تعم الخلق نفعا
وما للناس عنه من غناء وإن لم تُلْفِه فتضيق ذرعا
غدا قطباً لمحورنا وأمسى عليه مدارنا وإليه نسعى
به رَقَت العوالم في المعالي وزادت في سماء الفضل رفعا
ولاحت كالشموس بكل حالٍ وقد سطعت بها الانوار سطعا
وحاز من المآثر منتهاها وها هو مكمل للناس شرعا
فشطر للصلاة وان تبالغ فشطر جاء للإيمان قطعا
فيا لله ما أبهى حُلاه يُشنّف وصفه الآذان سمعا
يروق محاسناً ولذا نراه بأنفُس سامعيه يجلّ وقعا
هو اسم نبيّنا المختار أحبِب بمن بين البريّة فيه يُدعى
وإن قال الاديب اسمان فيه لسيدنا الرسول فليس بِدعا
رُباعيّ الحروف وقد نراه ثلاثياً اذا أتقنْت صنعا
وذا عجب لعمري كيف يبدو لناظر شكله وتراً وشفعا
فصدراه الى النحويّ أمر وعجزاه به حيوان يرعى
وها إن بان طار بلا ارتياب فيا عجباً له قد شاق وضعا
وإن يك مفرداً يا صاح فيه نرى رهطاً له بالقلب مسعى
فجُدْ بالحلّ يا من قد رتعنا بروض رُباه بالآداب رتْعا

وبينما أنا أترقب ورود رقيم ، جواباً عن در لغزي النظيم ، واذا بكتاب كريم وارد ، ألذ للظمآن من الزلال العذب الفرات البارد ، بل أحلى من عطفة الحبيب ، وأشهى من غفلة الرقيب ، ففتحته فإذا طروسه جنة مفتحة الازهار، وسطوره جداول أنهار ، أدرجت فيه لطائف ترتاح اليها الارواح والنفوس، وأدرجت فيه دقائق تتجلى على منصة خـُطـّابها كالعروس ، وتأملته فإذا هو من البلاغة في أرفع محل ، تعقد الخناصر على فضل ناظمه وهو صاحب العقد والحل ، وهذا هو بنثره العظيم ، ودّره النظيم :

منثور رسالة الشيخ طاهر

الى الاديب الذي جعل لأهل الادب في مصره شرعة ...[١] هم في سماء البيان ... الطاهر النفس والنـّجار ، البارع الألمعي الشيخ رسول أفندي النجار .

بعد إهداء تحياتٍ رسولـُها الصـَّبا ، وواشيها زهر الربا ، تحكي في اللطافة راء قامة الحبيب اذا مالت من العجب وان جاء .. سين الطرّة اذا شوشها النسيم وان شوشت فكر الصب ، وقيدت سلاسلها واو الصدغ وإن لسع عقربه ، ولام العذار وإن اشتد ظلامه وغيهبه[٣] .

أبدي أنه قد وصلتني رسالتك[٣] التي آمن بآيتها كل أديــب نطق بالضاد ، وحمله الانصاف على أن لايكون مضاداً ، فوجدتها مع كونها من المتنع منالا من نوع السهل ، وذكرتني بأديب حمص المغرب (اشبيلية)[٤] ابن سهل[٥] ، فبادرت للجواب عليها بأبيات هي ابنة وقتها من قريحـة ناضبة ، ومهجة ناصبة ، وحملني على الاستعجال حضور امتحان المدارس، التي أصبح رسمها أخفى من الطلل الدارس .

نسيــج" وحده مــن فاق صُنعا كساني بــردة تُزري بصَـــنعا
حواشيها الرقاق حــوت طــرازاً بديعاً مُذهَباً قد راق وضْعــا
أتتنــي وهْي عامــرة المغــاني بوقت فيه أقوى الفضــل ربعــا
ومسألة الاديــب لديه عالـــت فأضحى ثُمنُــه في الناس تســعا
وصــار شــرابه فيــه ســـراباً فما يُلفى لبــلّ صــداه نقعــا
وأضــحى عــوده غرباً ضــعيفاً لعاجمــه وعهــدي كان نبعــا
ومــن يقـــرأ يتيمتــه يتيـــم يدعُّ لــدى أُهَيْل الفضل دعّا
وشــنّفت المســـامع باللآلي فأصــغت نحــوها الأدباء ســمعا
حوت لغــزاً بإسم إن يُصَحَّفْ تــراه ظاهــراً للنــاس جمعـــاً
فــدام بصحَّــةٍ مــن قد وشاه ولا زالـــت له الايــام تــرعى

حمص علي حيدر النجاري

---

(١) كان هذا الفراغ من جراء تآكل الصفحة
وقد كتب الوالد : منثور رسالة الشيخ طاهر ، على الهامش.
ونحسب أن الكلمة هي : ومنهاجا ، كما أن الفراغ الثاني : وأطلعهم ... سراجا وهاجا .

(٢) راء قامة الحبيب وسين الطرة وواو الصدغ ولام العذار تجمعها كلمة : رسول .

(٣) لم يورد الوالد منثور رسالته وكان يكتفي بذكر بعض الاجوبة .

(٤) هكذا وردت كلمة اشبيلية بين قوسين وقد استوطنها الحمصيون منذ القرن الثاني الهجري ويقول أبو البقاء الرندي في مرثيته :

فأين حمص وما تحـويه من نزه ونهرها العذب فيــاض وملآن

(٥) أبو اسحاق ابراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ ١٢٥١ م ولم يتجاوز الاربعين وقد أجمع مترجموه على القول : « وقد أسلم وحسن اسلامه » وديوانه من اوائل المطبوعات العربية في القاهرة باشراف الشيخ حسن العطار في مطلع الثلاثينيات في القرن الماضي . وقــد اشتهر بموشحه :

هل درى ظبي الحمى ان قــد حمى قلب صــب صـــده عــن مكنس
فهــــو في حــــر وخفق مثلمـــا لعبــت ريح الصبا بالقبس ... الخ

تعقيب على لفظتي

« البوش و المنـاورة »

الدكتور ف. عبد الرحيم

قال الاستاذ شفيق جبري في مقاله « بقايا الفصاح » المنشور في عدد ذي القعدة عام ١٣٩٩ من مجلة مجمع اللغة العربية ما يلي:

« والغريب في بقايا الفصاح أننا نمرّ بألفاظ نظنها في فاتحة الامر أعجمية ثم يتبين لنا بعد التدقيق أنها عربية فصيحة وإن كنا لا نجد تقارباً بين المعنيين الفصيح والعامي ... » .

ومثّل لهذه الطائفة من الالفاظ بكلمة « بوش » التي تستعمل بمعنى الفنجان الفارغ ، ثم قال : « ومن منا يظن أن هذه اللفظة عربية فصيحة وإن كان معناها العامي يختلف عن معناها الفصيح . فالبوش في اللغة لها معان كثيرة من جملتها الجماعة المختلطة أو الكثرة من الناس وغير ذلك . ولكني لم أجد لأحد هذه المعاني صلة بكلمة البوش المستعملة في المقاهي ».

أقول: ان هذا القول فيه نظر.والصواب أن كلمةالبوش بمعنىالفارغ كلمة دخيلة وأصلها bos بالتركية ومعناها الفارغ . وتطلق على الفنجان الفارغ في بعض اللهجات العربية كالسورية والحجازية ، كما تستعمل بمعنى « الكلام الفارغ » في اللهجة الحجازية وبمعنى « العمل غير الناجح » في اللهجة السورية ، وذلك على سبيل المجاز.

والجدير بالذكر أن هذه الكلمة التركية مستعملة في اللغة الانكليزية أيضاً بمعنى الكلام الفارغ وتكتب bosh ودخلت في اللغة الانكليزية عن طريق قصة موريئير Morierالمسماة « عائشة » المنشورة عام ١٨٣٤ م حيث يكثر ورود هذه الكلمة .

وجاء في « موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والاربعين » المنشور في العدد نفسه بشأن لفظ المناورة[١] أنه منقول من الكلمة الفرنسية Manoeuvre أو من الكلمة الانكليزية Maneuver[٢] .

٢ ــ ان للمناورة معنى آخر هو الدهاء فهي من مادة « نور » التي تحمل معنى الخداع والحيلة ...

أقول : ان أقرب الصيغ الاجنبية الى الصيغة العربية هي الصيغة التركية وهي Manevra والمرجح أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربية من اللغة التركية مع مادخل من تلك اللغة من المصطلحات العسكرية .

واللفظ التركي بدوره مأخوذ من الصيغة الايطالية Manovra وكل هذه الكلمات أصلها manu opera باللغة اللاتينية[٢] ومعناها الحرفي: العمل باليد ، والمراد به التصرف بلباقة ومنه تطور معنى الدهاء .. وكذلك معناها العسكري وهو تحريك الجيش والسفن الحربية ببراعة بقصد تضليل العدو .

ويتضح من هذا أن معنى الدهاء هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة ، والقول بأن المناورة بمعنى الدهاء مشتقة من مادة « نور » ليس بصحيح.

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة **ف. عبد الرحيم**

(١) هذا هو الهجاء الامريكي للكلمة . أما الانكليز فيكتبونها هكذا : Manoeuver
(٢) ان الصيغة الاسبانية لهذه الكلمة Maniobra أقرب الى الاصل اللاتيني.

غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث

فقد المجمع في ٢٥ حزيران ١٩٨٠ عضوه المراسل قداسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس.

ولد الفقيد في قرية من قرى الموصل سنة ١٩١٢ وفيها تلقى دراسته الابتدائية ثم سافر الى بيروت فتابع دراسته هناك للسريانية والعربية والانجليزية ، وأتاح له وجوده في الهند سنة ١٩٣٤ مديراً لمدرسة لاهوتية اتقان اللغتين الانجليزية والمليالم (لغة ملبار الهند) ، وتدرج في المناصب الاكليركية فكان مطرانا لبيروت ودمشق ١٩٥٠ الى أن نصب بطريركا لأنطاكية وسائر المشرق سنة ١٩٥٧ باسم أغناطيوس يعقوب الثالث ، وذلك بعد وفاة سلفه البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم عضو مجمع اللغة العربية .

خلّف الفقيد عدداً من المؤلفات منها مايتصل بتاريخ الكنيسة : (تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ، جزءان . تاريخ الكنيسة السريانية الهندية) . ومنها ما يتصل بالبحث اللغوي المقارن بين العربية والسريانية (مخطوط في الصلات بين العربية والسريانية بعنوان : البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية) نُشر جزء منه في مجلة المجمع

مج ٤٠ ج ١ سنة ١٩٦٥ بعنوان العربية وشقيقتها السريانية الوفيّة • وجزء آخر بعنوان : الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية : مج ٤٤ ج ١ سنة ١٩٦٩ • ومنها ديوان شعر بالسريانية • وكان مؤسساً للمجلة البطريركية ومشرفا عليها وله فيها العديد من المقالات والابحاث والمواعظ •

واختير الفقيد عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٦ ، كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي •

وأقيم له حفل تأبين في ١٢/٩/٨٠ مثّل المجمع فيه الزميل الدكتور عدنان الخطيب وألقى كلمة بعنوان : « عروبة السريان » •

والمجمع الذي يستشعر الألم العميق لوفاته يسأل الله أن يعــوض الدراسات اللغوية العربية المقارنة خيراً ويقدم أحر تعازيه للمجمع العلمي العراقي الزميل •

لجنة المجلة

من هو هذا الرياضي الشاعر

جاءنا السؤال التالي :

لدينا مخطوطة عنوانها « كتاب الحاتمية وتعرف بالمنصورية » فيها ٩٢ مقابلة لحكم ارسطوطاليس بأقوال المتنبي والرياضي •

أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب الحاتمية ،

قال ارسطاطاليس : اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغهـا

قال المتنبي :

واذا كـانت النفـوس كبـارا تعبـت في مرادهـا الاجسـام

قال الرياضي :

اذا علت شهوة الانسـان قدرته فجسمه هالك من داء شهوته » •

وآخرها : « قال ارسطاطاليس : آخر افراط التوقي أول مواردالخوف

قال المتنبي :

وغايـة المفـرط في سلمـه كغايـة المفـرط في حربـه

قال الرياضي :

وآخـر الخوف من أمـر يجاوزه يكون أوله افـراط خشيته » •

يلاحظ ان أقوال الرياضي على قافية واحدة • واننا لم نجد سـوى رياضيٍ واحدٍ هو أبو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني البغدادي (٢٢٣ــ ٢٩٨ هـ) ، كما لم نعثر على نسخة مشابهة لهذه المخطوطة • فمن كان له دراية بذلك فليرشدنا خدمة للعلم والأدب •

زاهـر احمـد عبيـد

دمشق « ص•ب ١٩ »

النقـرير السـنوي عـن أعمـال المجمـع

في دورته المجمعية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠

١ ـ مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية المنصرمة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ والتي بدأت بالاول من شهر أيلول ١٩٧٩ وانتهت بغاية حزيران ١٩٨٠ اثنتي عشرة جلسة ، من بينها جلسة علنية واحدة ، عالج أثناءها أمورا مجمعية مختلفة كان من أبرزها :

ا ـ ناقش التقرير العام الذي وضعه مراقب المجمع عن الاعمال التي أنجزها المجمع في دورته الماضية ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ وأقره •

وبحث المجلس في هذه المناسبة ، أوضاع المجمع وأحواله من النواحي الفنية والقانونية والادارية • وألف لجنة من السادة الاعضاء : الدكتور شكري فيصل ، والاستاذ عبد الهادي هاشم ، والدكتور محمد هيثم الخياط ، ومراقب المجمع الاستاذ مصباح غلاونجي لدراسة هذه الاوضاع دراسة شاملة في هدي القرار الجمهوري ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ والمتضمن القانون الاساسي لمجمع اللغة العربية ، والقرار الوزاري ٣١ لسنة ١٩٦٠ المتضمن اللائحة الداخلية ، وغيرهما من المراسيم والقوانين والقرارات النافذة المفعول وكذلك المقترحات التي قدمها العضوان السيدان الاستاذ أحمد راتب النفاخ والدكتور محمد هيثم الخياط حول مهام المجمع وأجهزته وسير العمل فيه على أن تقدم اللجنة الى المجلس تقريرا يكشف

عن الاسباب التي تعوق مسيرة المجمع الى غايته ، ويطرح مقترحات عملية تساعد على إزالة هذه الاسباب ، وعلى تعزيز أجهزته الادارية والعلمية والفنية بطاقات جديدة تساعد على النهوض بأعبائه ، وعلى تطوير أساليب العمل فيه •

ب ــ نظر في الدعوات الموجهة الى المجمع من مختلف المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه للمشاركة في مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية واجتماعات • وأقر المشاركة في بعضها ورشح من السادة الاعضاء من يمثل المجمع فيها •

وكان من أهم ما نظر فيه منها : الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري والمؤتمر العالمي للتاريخ الاسلامي الذي سيعقد في دمشق ، ودراسة الامكانات والوسائل التي يمكن أن يقدمها المجمع منفردا أو متعاونا مع غيره من الهيئات الاخرى في هذين المجالين•

وقد قرر المجمع أن يسهم في الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بالاعمال التالية :

١ ــ نشر الجزء الاول من تاريخ دمشق لابن عساكر والذي يتعلق بالسيرة النبوية •

٢ ــ اختيار مجموعة من مخطوطات التراث الادبي ونشرها محققة أو مصورة اذا تعذر النهوض بتحقيقها

٣ ــ اختيار مجموعة من مخطوطات التراث العلمي تنشر محققة أو مصورة •

٤ ــ نشر أقدم مخطوطة في الظاهرية وهي مخطوطة مسائل الإمام أحمد على أفضل وجوه النشر .

كما قرر المشاركة في المؤتمر العالمي للتاريخ الاسلامي فرشح الاعضاء السادة : الدكتور محمد كامل عياد والدكتور شكري فيصل والدكتور عبد الكريم اليافي ممثلين فيه ، وترك لكل منهم أمر اختيار موضوع من الموضوعات المحددة في كتاب اللجنة التحضيرية يلقيه في المؤتمر فاختار الدكتور محمد كامل عياد موضوع (أثر صقلية في نقل الحضارة العربية والاسلامية الى الغرب) واختار الدكتور شكري فيصل موضوع (حركات الاصلاح الاجتماعي في العالم الاسلامي) واختار الدكتور عبد الكريم اليافي موضوعين هما : (موازنة في فلسفة الفن وفلسفة العلم بين التراث العربي والتراث الغربي) و (موازنة في حال المرأة بين المجتمع العربي الاسلامي والمجتمع الغربي) .

وكذلك قرر المشاركة في المؤتمر الرابع لاتحاد الجامعات العربيةالذي يتناول موضوع (تعريب التعليم الجامعي) وقد سمّى المجلس عضو المجمع السيد الاستاذ المهندس وجيه السمان ممثلا أصيلا للمجمع في هذا المؤتمر وعضو المجمع السيد الدكتور هيثم الخياط رديفا.

ج ــ درس ما تلقاه من المجامع والهيئات والمؤسسات والافراد من موضوعات ومشاريع ومقررات وتوصيات ومصطلحات مختلفة واستشارات لغوية ، وأحال بعضها على اللجان المختصة لدراستها وابداء الرأي فيها.

د ــ بحث موضوع امكان اعادة طبع بعض كتب المجمع النافدة،وألّف لجنة من أعضائه السادة الاساتذة : عبد الهادي هاشم ، أحمد راتب النفاخ، وعبد الكريم زهور عدي للنظر في هذه الكتب وانتقاء مايرون فائدة من

اعادة طبعه وتصويره منها ، وتقديم مقترحاتهم في ذلك الى المجلس •

هـ ــ ناقش موضوع مآل مقر المجمع القديم بعد الانتقال الى المبنى الجديد ، وقد انتهى الى :

ــ أن يبقى مستودع المجمع في المقر القديم ريثما يعد له المكان اللازم في البناء الجديد •

ــ أن تنقل مخطوطات دار الكتب الظاهرية الى قبة الملك العادل بعد نقل مكتبة المجمع منها ، وإعدادها الإعداد الصالح لحفظ المخطوطات•

ــ أن تتخذ ، مبدئيا قاعة الرئيس محمد كرد علي مخزنا للكتب ، بعد ترميمها واصلاحها ، وتوفر الاعتمادات اللازمة للانفاق على ذلك •

ــ أن تجعل القاعة التي كانت مقراً لرئيس المجمع قاعة للباحثين والمحققين •

و ــ نظر في اللجان الدائمة والمؤقتة ، وأعاد تأليفها من جديد على هدي الاعمال المستجدة ، وترك لكل لجنة أمر اختيار رئيس ومقرر لها ، وفوض اليها أمر تحديد مهماتها ، ووضع خطط لتحقيق هذه المهمات واطلاع المجلس على هذه المنجزات • وكان تأليفها على النحو التالي:

لجنة المخطوطات واحياء التراث :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣١ تاريخ ١٦ــ٦ــ١٩٨٠ من السادة:

ــ الاستاذ الدكتور محمد كامل عياد

ــ الاستاذ الدكتور شكري فيصل

ــ الاستاذ عبد الهادي هاشم

ـ الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

لجنة المصطلحات :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٢ تاريخ ١٦ـ٦ـ١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ الدكتور حسني سبح
ـ الاستاذ المهندس وجيه السمان
ـ الاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

لجنة الاصــول :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٣ تاريخ ١٦ـ٦ـ١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ عبد الهادي هاشم
ـ الاستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
ـ الاستاذ أحمد راتب النفاخ

لجنة ألفاظ الحضارة :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٤ تاريخ ١٦/٦/١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب
ـ الاستاذ الدكتور شكري فيصل
ـ الاستاذ المهندس وجيه السمان
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

لجنة المجلة والمطبوعات :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٥ تاريخ ١٧/٦/١٩٨٠ من السادة :

- الاستاذ الدكتور شاكر الفحام
- الاستاذ الدكتور شكري فيصل
- الاستاذ المهندس وجيه السمان
- الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

وقد عقدت كل من هذه اللجان اجتماعاتها المقررة عالجت خلالها الموضوعات المحالة عليها من مجلس المجمع ، كما قامت بدراسات حول المهمات المنوطة بها •

ز ــ بحث موضوع المطبعة التي اعتزم المجمع اقتناءها ، بعد أن توافرت لديه الاسباب المادية ، وقد كلف المجلس العضو الدكتور محمد هيثم الخياط الاتصال بالمؤسسات التي تستورد مثل هذه الاجهزة والاستعلام عن أفضلها وأسهلها استعمالا وتناولا وأقربها ثمنا من المبلغ المخصص لشرائها وقد اختير جهاز مناسب بالفعل • وأبرم المجمع عقدا مع أصحابه، وأرسل العقد الى مجلس الدولة لاستكمال أسبابه القانونية •

ح ــ نظر في موضوع ملء الشواغر في المجلس ، وفي ترشيح وانتخاب أعضاء عاملين ومراسلين •

ط ــ عقد جلسة علنية مساء الخميس الواقع في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ أيار ١٩٨٠ في قاعة الامير مصطفى الشهابي بدار الكتب الظاهرية بدلا من قاعة محمد كرد علي التي كانت بحاجة الى الاصلاح والترميم ، استقبل فيها العضو الجديد الاستاذ عبد الكريم زهور عدي بحضور عدد

كبير من العلماء والادباء والمثقفين وقد تم حفل الاستقبال وفقا للاعراف والتقاليد المجمعية المتبعة •

٣ ـ نشاط المجمع داخل القطر وخارجه :

شارك السيد الرئيس في الاجتماع السادس للجنة تحضير المعجم الطبي العربي الفرنسي الانكليزي والمنعقد في تونس في المدة الواقعة بين ١٥ و ٢٥/١٠/١٩٧٩ وفي اجتماعها السابع المنعقد في المدة الواقعة بين ٢٤/١ و ٢/٢/١٩٨٠ واجتماعها الثامن المنعقد بتونس في المدن الواقعة بين ١٠/٤ و ١٩/٤/١٩٨٠ •

شارك المجمع في المعارض التالية :

ـ المعرض الخامس للكتاب العربي الذي أقامته الامانة العامةللمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت في المدة الواقعة بين ٥ و ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ •

ـ معرض الرياض الدولي للكتاب الذي أقامته جامعة الرياض في المدة الواقعة بين ٢٦ شباط و ٧ آذار ١٩٨٠ •

ـ المعرض الرابع للكتاب العربي الذي أقيم في جامعة البصرة بالعراق في المدة الواقعة بين ١ و ٧ نيسان ١٩٧٠ •

ـ المعرض الثاني للكتاب العربي الذي أقامته جامعة صنعاء في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٨ نيسان ١٩٨٠ •

ـ وفي معرض الكتاب العلمي الذي نظمه المجلس الاعلى للعلوم

بدمشق في أسبوع العلم التاسع عشر والذي أقيم في المـدة الواقعة بين ١٠/١١/١٩٧٩ و ١٥ منه •

ـ شارك موفد من موظفي المجمع في الدورة التدريبية الخامسة لشؤون المخطوطات والتي أقامها معهد المخطوطات العربية في بغداد في المدة الواقعة بين ٧/٤ و ٣/٧/١٩٨٠ •

٤ ـ أعضـاء المجمـع :

جدد المجلس بإجماع أعضائه انتخاب الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى تبدأ بالثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٨٠ على الرغم من إلحاحه الشديد على زملائه بإعفائه واتاحة الفرصة لغيره ليتولى الرئاسة • ومن الجدير بالذكر أن هذه المرة هي الثالثة التي يجدد المجلس فيها للاستاذ الرئيس مدة رئاسته •

انتخب مجلس المجمع خلال هذه الدورة الاستاذ عبد الكريم زهور عدي والدكتور محمد مروان محاسني عضوين عاملين في المجمع •

فجع المجمع بعضوين جليلين من أعضائه هما الاستاذ شفيق جبري الذي وافته المنيـة يوم الاربعاء الواقع في ٦ ربيع الاول ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ والدكتور ميشيل الخوري الذي توفاه الله يوم الاربعاء في ١٢ شعبان ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٨٠ م •

فجع أيضا بالعضو المراسل غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث بطرك الروم السريان وكانت وفاته يوم الاربعاء في ١٢ شعبان ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٨٠ م •

٥ ـ مطبوعات المجمع :

أ ـ الكتب التي صدرت :

١ ـ شعر أبي هلال العسكري من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع وطبع بإشراف الاستاذ قدري الحكيم.

٢ ـ فهرس مخطوطات العلوم والفنون المختلفة عند العرب الموجودة في دار الكتب الظاهرية ، من وضع الاستاذ مصطفى سعيد الصباغ.

٣ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو النصري ، بتحقيق الاستاذ الدكتور شكر الله نعمة الله القوشجاني ، وطبع بإشراف الاستاذ رياض مراد .

٤ ـ الطبعة الثانية من كتاب تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني بتحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري وبإشراف الاستاذ أحمد راتب النفاخ.

٥ ـ عرف البشام فيمن ولي فتوى الشام للمرادي بتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .

٦ ـ تصنيف العلوم والمعارف من صنع الدكتور يوسف العش ومراجعة السيدة أسماء محاسني .

٧ ـ مصور للجزء الثاني من كتاب (قاموس الأطبا وناموس الألبا) للطبيب مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري.

ب ـ الكتب التي بوشر بطبعها :

١ ـ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم بعض العبادلة (من عبد الله بن جابر الى عبد الله بن زيد) .

٢ ــ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم بعض العبادلة أيضا (من عبادة الى عبد الله بن ثوب) •

٣ ــ الجرء الثاني من كتاب فهرس مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية من صنع الاستاذ رياض المالح•

٤ ــ فهرس مخطوطات كتب الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية من صنع الاستاذ محمد مطيع الحافظ •

٥ ــ شرح مايقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور محمد يوسف ومراجعة الاستاذ أحمد راتب النفاخ•

٦ ــ تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبي العيد دودو واشراف الدكتور عدنان درويش •

٧ ــ حاشية ابن بري على المعرب للجواليقي بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، ومراجعة الاستاذ صلاح زعبلاوي•

٨ ــ مشيخة ابن طهمان بتحقيق الاستاذ طاهر مالك •

ج ــ الكتب التي تعاقد المجمع على طبعها وسيباشر بها :

١ ــ المعاصرون للاستاذ محمد كرد علي ويطبع باشراف الاستاذ محمد المصري •

٢ ــ شعر منصور النمري من جمع وتحقيق الاستاذ الطيب العشاش « تونس ــ كلية الآداب » ويطبع بإشراف الاستاذ قدري الحكيم•

٣ ــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون بتحقيق الاستاذ محمد أحمد دهمان « طبعة ثانية » •

٤ ـ شعر ابن ميادة من جمع وتحقيق الاستاذ حنا جميل سليم .

٦ ـ البناء الجديد للمجمع :

لقد أنجز بناؤه وكسوته ماعدا الطابق الارضي والقاعة الكبرى والمستودعات والحدائق . والامل كبير بأن يتم بعضها في الاشهر الثلاثة المتبقية من هذه السنة وأن تتم كسوة البناء في العام المقبل . وقد جهز بمقسم هاتفي حديث يستوعب مئة خط وبوسائل التدفئة والتبريد ، كما أنه بدىء بتركيب المصعد واعداده للعمل ، ويعمل المجمع على اقامة مجموعة كهربائية اضافية تستعمل في حالة الطوارىء .

وقد تسلّم المجمع منذ ثلاثة أشهر تسلّماً مؤقتا ، الطوابق الخمسة العليا منه ، ونقل اليها جميع ادارته ، وباشر بنقل مكتبته وسينقل مستودع الكتب والمجلة بعد أن يهيّأ المكان المناسب لها .

٧ ـ موازنة المجمع

بلغت موازنة المجمع العادية للعام ١٩٨٠ (١٫٢١٧٫٠٠٠) ليرةسورية. وبلغت موازنته الاستثمارية لاستكمال مشروع البناء الجديد للعام ١٩٨٠ (١٫٦٠٠٫٠٠٠) ليرة سورية ، ولشراء آلة طابعة (٢٥٠٫٠٠٠) ليرةسورية.

٨ ـ مكتبة المجمع

بلغ مجموع ما تقتنيه من كتب عربية وأجنبية (١٦٫٦٧٣)

وبلغ مجموع أعداد المجلات والدوريات عربية وأجنبية (٣٧٨)

وكان مجموع ما زودت به شراءً وإهداء خلال الدورة من كتب عربية وأجنبية ٣١٢ كتابا .

أنهت اللجنة المكلفة بجرد المكتبة أعمالها ، ونظمت تقريرا قدمته الى المجمع ذكرت فيه نتيجة الجرد والنواقص التي ظهرت وقدمت بعض المقترحات التي ترمي الى تحسين حال المكتبة وتنظيم أعمالها .

باشرت اللجنة أيضا بنقل المكتبة من البناء القديم الى البناء الجديد وبلغ عدد الكتب التي نقلت حتى إعداد هذا التقرير ، الثلث ، ويؤمل بأن يتم نقلها كاملة حتى غاية شهر تشرين الثاني ١٩٨٠ .

٩ ـ دار الكتب الظاهرية :

ـ المخطوطات :

بلغ مجموع المخطوطات فيها ١١٨٩٩ ولم يطرأ على عددها أية زيادة في هذه الدورة وذلك لندرة المخطوطات في الاسواق .

بلغ عدد المخطوطات التي تداولها الباحثون ٢١٢٠ وعدد المخطوطات المصورة للمؤسسات العلمية الرسمية وللباحثين ١٣٥٠ .

عرضت الدار لشذورٍ ومقطعات من مخطوطات قديمة (وهي تعرف باسم : دشت) كانت محفوظة في مستودعاتها ، وبدأت بجمع شتاتها والتأليف بين متفرقها وتصنيفها .

ـ المطبوعات :

بلغ مجموع الكتب في الدار عربية وأجنبية ٦٦٩٥٢ كتابا .

وبلغ عدد الكتب العربية التي زودت بها الدار خلال هذه الدورة شراءً وإهداء ١١٣٥ وعدد الكتب الاجنبية ١٠٠ .

أنهت وضع فهرس بطاقي للكتب التركية والفارسية ، وشرعت بإعداد

فهارس مماثلة للكتب الروسية والبولونية والهولندية .

ـ الدوريات :

بلغ مجموع أعداد المجلات عربية وأجنبية ٤٣٣٧٦

وبلغ عـدد الاعداد العربية والاجنبيـة الواردة اليها خلال هذه الدورة ٣٧٢ .

بلغ عدد الرواد المطالعين ٩٥٠٠٠ وعدد الباحثين ٣٠٠

بلغ عدد الكتب المستعارة داخليا ٢٢٥٣٧ كتابا

ودار الكتـب الظاهرية بحاجة الـى مستودعات جـديدة لكتبها ومخطوطاتها وستتخذ بعض غرف مقر المجمع القديم ومنها قاعة الاستاذ محمد كرد علي مقراً لهذه الكتب والمخطوطات كما أسلفنا .

كما أن جهازها الاداري قد عزز ببعض الموظفين الذين تحتاج إليهم .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ صحيح البخاري مع الترجمة الانكليزية (١ ـ ٩)		أنقرة	١٣٩١ هـ
ـ الاقليات القومية في الصين على طريق التقدم	قسم التأليف	بكين	١٩٧٨
ـ ثورة ١٩١١	قسم التأليف	«	١٩٧٦
ـ جغرافيا الصين	قسم التأليف	«	١٩٧٣
ـ حرب الافيون	قسم التأليف	«	١٩٧٩
ـ الحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨	قسم التأليف	«	١٩٧٨
ـ حركة يي خه توان عام ١٩٠٠	قسم التأليف	«	١٩٧٩
ـ حكايات يه شنغ تاو المختارة	قسم التأليف	«	١٩٧٩
ـ قصائد ماوتسي تونغ	ماوتسي تونغ	«	١٩٧٩
ـ مسقط رأسي	قاو يوي باو وغيره	«	١٩٧٧
ـ القرآن الكريم مع ترجمة معانيه للانكليزية (١ ـ ٢)	عبد الله يوسف علي	بيروت	
ـ مسار الدعوة الإسلامية في لبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري	حسن خالد	بيروت	١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين	أبو الحسن علي الاشعري تح : هلموت ريتر	بيروت ١٩٨٠
ـ الوافي بالوفيات (ج١٠)	صلاح الدين خليل الصفدي تح : جاكلين سوابله وعلي عمارة	بيروت ١٩٨٠
ـ البيبليوغرافيا القومية التونسية (١ ـ ٣)	دار الكتب الوطنية التونسية	تونس ١٩٧٨ و ١٩٧٩
ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه (ج ١)	محيي الدين الدرويش	حمص ١٩٨٠
ـ ابنة الصين	ماريا جلايت ترجمة عبد الهادي ميداني	دمشق ١٩٩٧
أراغون	برنار لو شربونيه ترجمة : ولي الدين السعيدي	« ١٩٧٩
ـ أساطير فنلندية	إيلينا بريميسيريو ترجمة روز مخاوف	« ١٩٧٩
ـ أصيلا (رواية)	جميل عطية ابراهيم	« ١٩٧٩
ـ انكسارات (مقالات في الادب المقارن)	هاري ليغن ترجمة : عبد الكريم محفوض	« ١٩٨٠
ـ إيبلا منعطف التاريخ	د. عمر الدقاق	« ١٩٧٩
ـ الجدران الاربعة	نديم محمد	« ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ أربع رغبات	عدد من المؤلفين ترجمة شوكت يوسف	»	١٩٧٩
ـ حكايات بائع الرمل	ايندبلاتيوف ترجمة : وسام نسيب نويلاتي	»	١٩٧٩
ـ حكايا بلاد فارس القديمة للفردوسي (١ ـ ٢)	بربرا ليوني بيكار ترجمة أوديت سلوم	»	١٩٨٠
ـ خراب الدورة الدموية شعر	رياض صالح الحسين	»	١٩٧٩
ـ خطة اقتصادية لمائتي عام	هرمان كاهن و وليام براون ـ ترجمة: عيسى عصفور	»	١٩٧٩
ـ الرحيل الى أرض الجدة	ويليام كامو ترجمة ميشيل واكيم	»	١٩٨٠
ـ رمي الجمار (قصص)	نصر الدين البحرة	»	١٩٨٠
ـ ساعة الحقيقة	أوريليو بيشي ترجمة د. صافي فلوح	»	١٩٨٠
ـ شجرة الامنيات السحرية (حكايات شعبية للاطفال)	عدد من المؤلفين ترجمة توفيق الاسدي	»	١٩٧٩
ـ علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها	د. صفوح الاخرس	»	١٩٨٠
ـ فقراء بلغوا المجد	عدد من المؤلفين ترجمة : أنيس الحكيم	»	١٩٧٩

اســم الكتــاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ في الاغنيــة الشــعبية	ابراهيــم فاضــل	« ١٩٨٠
ـ قبــل أن يذوب الجليــد	جواد فهمي باشكوت ترجمة جوزيف ناشف	« ١٩٧٩
ـ القـــزم (روايـــة)	بارلاغــا ركفيــست ترجمة فيكتور عزام	« ١٩٨٠
ـ القطار الاحمــر العجوز (مجموعة قصص للاطفال)	جــورج قــس	« ١٩٧٩
ـ قــول عــلى قــول (الجــزء الثــاني)	الــدوس هكســلي ترجمة ندرة اليازجي	« ١٩٧٩
ـ كانــت طويلة في المســاء	بنــدر عبــد الحميد	« ١٩٨٠
ـ لغـــة الشـــعر	أحمد يوســف داود	« ١٩٨٠
ـ لاســي تنــذر بالخطــر	ســوزان بــيرول ترجمةحسيب كاسوحة	« ١٩٧٩
ـ مبادىء الادارة المحليــة وتطبيقـــــــاتها	عبد المهدي مساعدة	« ١٩٨٠
ـ مختارات من الاقاصيص الشــعبية التشــيكلية والسلوفاكية (١ ـ ٣)	يوجينــا نيــم تسوفا ترجمة : نزار عبد الله	« ١٩٨٠
ـ مختارات من القصــص الانكليــزية الحديثــة	عــدد مــن المؤلفين ترجمة : عارف حذيفة	« ١٩٧٩
ـ مشــكلة الســكان نموذج القطر العراقي	د. فاضل الانصاري	« ١٩٨٠
ـ مــن أحســن التقاســيم فــي معــرفة الاقاليم	المقدســي اختيار غازي طليمات	« ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ من كتاب الاعتبار	أسامة بن منقذ اختيار : د. عبدالكريم الاشتر	دمشق	١٩٨٠
ـ نصوص مختارة	ف. غ. بيلنسكي ترجمة يوسف حلاق	دمشق	١٩٨٠
ـ النمس الوفي	عدد من المؤلفين ترجمة: عيسى فتوح	»	١٩٧٩
ـ فهارس الخزانة الملكية (المجلد الاول ـ فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات	محمد عبد الله عنان	الرباط	١٩٨٠
ـ القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت	معهد الكويت للابحاث العلمية	الكويت	١٩٨٠

الفهارس العامة للمجلد الخامس والخمسين

١ ـ فهرس المـواد

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

(١) وانظر فقيد المجمع : المرحوم شفيق جبري

ب ـ فهرس الأعلام : أسماء كتاب المواد
منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

ـ ح ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والخمسين

الصفحة

المقـــالات

التعـريف والنقـد

آراء وأنبـــاء